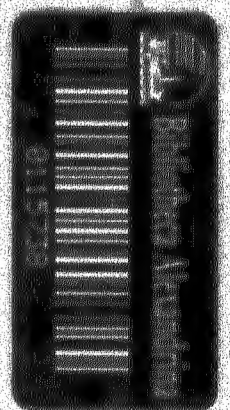


المفصل
في
تاريخ العرب قبل الإسلام

تأليف
الدكتور جواد عاي

الجزء الثالث



انفصیل
فی
تاریخ العرب قبل الاسلام
۳

الفصل
في
تاريخ العرب قبل الإسلام

تأليف
الدكتور هبّار علي

ساعدت جامعة بغداد على نشره

المجلد الثالث

○ الطبعة الثانية ○

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

الفصل الرابع والثلاثون

مملكة النبط

مملكة النبط ، مملكة عربية لم يعرف الأخباريون من أمرها شيئاً . سداها ولحمتها النبط . وهم قوم من جيلة العرب ، وإن تبرأ العرب منهم ، وعيروا بهم ، وأبعدوا أنفسهم عنهم ، وعابوا عليهم لهجتهم ، حتى جعلوا لغتهم من لغات العجم ، وقالوا لأنهم نبط ، وإن في لسان من استعرب منهم رطانة . وسبب ذلك ، هو أنهم كانوا قد تثقفوا بثقافة بني لرم ، وكتبوا بكتابتهم ، وتأثروا بلغتهم ، حتى غلبت الإرمية عليهم ، ولأنهم فضلاً عن ذلك خالفوا سواد العرب باشتغالهم بالزراعة وبالرعي وباحترافهم للحرف والصناعات اليدوية ، وهي حرف يزدريها العربي الصميم ، ويُعَيَّر من يقوم بها ويحترفها .

وتكمن عوامل ظهور النبط وغلبيتهم على المنطقة التي عرفت بهم ، وتكوينهم دولة بعد أن كانوا أعراباً يعيشون عيشة ساذجة ، تكمن في أسباب وأسس اقتصادية . فقد تمكن هؤلاء النبط الأذكياء من استغلال موقع بلادهم لممر شرايين التجارة بين العربية الجنوبية وبلاد الشام بها ، ففرضوا ضرائب على التجار وعلى التجارة عادت عليهم بفوائد كبيرة ، كما قاموا بأنفسهم بالوساطة في نقل التجارة بين بلاد الشام ومصر ومواقع من جزيرة العرب ، فدرت هذه الوساطة عليهم أموالاً طائلة جعلتهم من الشعوب العربية الغنية بالنسبة إلى غيرهم ممن يسكنون البوادي ، والمواقع المقفرة المنعزلة .

وقد كان ميناء (غزة) ميناء النبط المفضل على البحر المتوسط . وهو في الواقع ميناء كل التجار العرب ، إذ كان المرفأ الوحيد الذي ترفأ اليه تجارة العرب . وقد استفادوا منه كثيراً لقربه من النبط ، صاروا يشترون منه ما يرد عليه من بضائع من موانئ البحر المتوسط ، ثم يحملونها الى بلادهم فيبيعونها للتجار العرب القادمين اليهم من الحجاز ومن العربية الجنوبية ومن أماكن أخرى من جزيرة العرب ، كما أنهم صاروا يشترون من التجار العرب ما عندهم من تجارة ، ثم يحملونها الى ذلك الميناء لبيعه في أسواقه ، وبذلك حصلوا على أرباح من هذه الوساطة في الاتجار .

وقد نشأت دولة النبط التي نتحدث عنها قبل الميلاد في المنطقة الشمالية الغربية من جزيرة العرب ، في المكان الذي عرف باسم (العربية الحجرية) (Arabia Petraea) عند اليونان والرومان .

وأما أخبارنا عنها ، فستمدة من كتب الكلاسيكيين ، ومن مؤلفات المؤرخ اليهودي (يوسفوس فلافيوس) (Josephus Flavius) (٣٧ - ١٠٠ بعد الميلاد) . صاحب (Ioudaïke Archaeologia) و (Periton Ioudaikon Polemon)^١ ، ومن كتابات عثر عليها في (العربية الحجرية) وفي الأخرى التي خضعت لحكمها وهي نبطية ولايتينية ويونانية . وعلى هذه الموارد يعول المؤرخ الحديث في تدوين تأريخ قوم كان لهم نفوذ وسلطان وصوت مسموع وكلمة ، ثم اذا هم في الذاهبين (وتلك الأيام نداولها بين الناس)^٢ .

وقد تضمن القسم الأكبر من كتابات النبط ، كتاب : Corpus Inscriptionum Semiticarum وقد أشير فيه الى المواضع التي عثر فيها على تلك الكتابات ، والى السمات التي وسمت بها لتمييز بعضها عن بعض . وأسهمت كتب أخرى بالطبع في هذا المجهود العسير ، مجهود نشر الكتابات النبطية القديمة وغيرها ، ككتاب : (Handbuch der Nordsemitischen Epigraphik) ، وكتاب : Corpus Inscriptionum Semiticarum ، للعالم المعروف (مارك ليدزبارسكي)

١ Harvey, P. 228, A. R. Shilleto, The Works of Flavius Josephus in 5 Vols., (Bohn's Standard Library).

٢ سورة ال عمران : رقم ٣ ، الآية ١٤٠ .

(A Text Book of North-Semitic : وكتساب^١ (Mark Lidzbarski)
 Inscriptions) لـ (كوك) (G. A. Cooke)^٢ وكتساب (REP. EPIG)^٣ ،
 وكتب أخرى سأشير إليها في أثناء الحديث ، يضاف إليها ما نشر في المجلات
 العلمية الاستشرافية كمجلة : (ZDMG) وأمثالها^٤ .

أما لغة النصوص النبطية ، فلغة (بني إرم)^٥ ، وأما خطها فبالقلم الإرمي ،
 ولكنه (إرمي) مأخوذ من القلم الإرمي القديم ، وقد عرف عند المستشرقين
 بـ (القلم النبطي) تمييزاً له عن بقية الأقلام^٦ . وأما المواضع التي عثر على هذه
 الكتابات فيها فهي عديدة ، منها (بطرا) و (الحجر) (Hegra) و (العلا)
 و (تيماء) و (خيبر) و (صيدا) (Sidon) و (دمشق) ومواقع متعددة
 من (حوران) ومن (اللجاة)^٧ و (طور سيناء) والجوف واليمن ومصر وإيطاليا
 وأماكن أخرى سترد أسماؤها في ثنايا هذا الفصل^٨ .

وتختلف الكتابات النبطية القديمة ، من حيث رسم الحروف ، بعض الاختلاف
 عن الكتابات النبطية المتأخرة المدونة بعد الميلاد ، وتختلف أيضاً باختلاف الأماكن
 التي وجدت فيها ، فلكتابات (طور سيناء) مثلاً خصائص كتابية محلية لانجدها
 في النصوص الأخرى . وتفيدنا هذه الخصائص المحلية والتطورات التي طرأت بمرور
 العصور على أشكال الحروف في مثل (التريسع) والانفصال والاتصال وتقاربها
 و تباعدها من الخط الكوفي في دراسة تطور الخطوط السامية ، وعلاقتها بعضها
 ببعض^٩ .

١ Mark Lidzbarski, Handbuch der Nordsemitischen Epigraphik nebst Aus-
 gewählten Inschriften, Weimar, 1898, Ephemeris für Semitische Epigraphik,

I, Glessen 1901, 11, 1903, III, 1912.

٢ G. A. Cooke, A Text-Book of North-Semitic Inscriptions : Moabite, Hebrew,
 Phoenician, Aramaic, Nabataean, Palmyrene, Jewish, Oxford, 1903.

٣ Repertoire D'Epigraphie Semitique.

٤ Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft.

٥ (بنو إرم) ، الطبري (١ / ٢٢٠) (طبعة ليدن) .

٦ Lidzbarski Nord. Eplg., I, S., 180.

٧ البلدان (٣٢٣ / ٧) .

٨ Musil, Deserta, P., 471, Lidzbarski, I, S., 121, 122.

٩ Lidzbarski, I, S., 121, 194.

وهي على اختلافها تشارك الكتابات العربية التي عثر عليها في العربية الجنوبية أو في المواضيع الأخرى من جزيرة العرب في كونها شخصية في الغالب . كتبت في أمور خاصة ، لا علاقة لها بالمجموع . فهي لا تفيد المؤرخ إفادة مباشرة ، ولكنها تفيد الباحثين من غير شك في أمور أخرى ، تفيدهم في الدراسات اللغوية مثلاً ، فهي كنز لا يقدر بثمن من هذه الناحية . أما الكتابات العامة ، أعني النصوص التي لها علاقة مباشرة بالدولة وحياة الشعب وبساسة الحكومة أيام السلم أو الحرب ، فهي قليلة جداً - ويا للأسف - مع أنها المادة الأساسية في كتابة التاريخ^١ .

والكتابات النبطية المؤرخة مثل الكتابات السامية الأخرى ، قليلة بالنسبة الى الكتابات الغفل من التاريخ . أما طرائق تواريخ الحوادث عند النبط ، فكانت متعددة منها التواريخ بأيام الملوك كأن يذكر اسم الشهر الذي دوت فيه النص ، ثم يذكر بعده عام التدوين ، فيقال مثلاً : (في شهر كذا من سنة كذا من حكم الملك) (يرح شنت ملك نبطو) . وقد استعملت هذه الطريقة في أيام استقلال النبط خاصة . والتواريخ بسني حكم قياصرة (رومة) وذلك بذكر الشهر الذي دوت فيه الكتابة ، ثم السنة المصادفة من سني حكم القيصر الذي في أيامه جرى التدوين ، أو السنة المصادفة دون الإشارة الى اسم الشهر^٢ .

وقد عثر على كتابات مؤرخة بسني حكم (القناصل) ، وعلى كتابات أخرى أرخت بتقويم (بصرى) ، ومبدأه اليوم الثاني والعشرون من شهر (آذار) من سنة (١٠٦) بعد الميلاد ، وقد أرخ به في كتابات (طور سيناء) كذلك^٣ . وظلت الأقسام الجنوبية من (الكورة العربية) تؤرخ به حتى بعد فصلها من هذه الكورة وإلحاقها بـ (كورة فلسطين)^٤ . وأرخ بالتقويم (السلوقي) ، وأوله

^١ Lidzbarski, I, S., 163.

^٢ Lidzbarski, I, S., 112, REP. EPIG., 128, I, II, P., 113, Euting, Sinai. Inscr., No : 457.

^٣ Lidzbarski, I, S., 113, Euting 319, 457, 463, Berger, No : 1060.

^٤ Provincia, III, S., 303.

اليوم الأول من شهر (تشرين الأول) (أكتوبر) من سنة (٣١٢) قبل الميلاد^١ .
وأرخ بأيام القيصر (بومبيوس) حيث اتخذت مبدأ لتقويم يبدأ بشهر (تشرين الأول) ، (أكتوبر) من سنة (٦٣) قبل الميلاد ، أرخ به في الكتابات وفي النقود^٢ .

وأرخ في بعض الكتابات النبطية بتواريخ محلية كانت متعارفة عندهم مشهورة .
كما فعل غيرهم في جزيرة العرب حيث أرخوا بالحوادث المحلية المهمة ، نظراً لما كان لها من شهرة بينهم . وقد تمكن العلماء من تشخيص بعض منها ، ولم يتمكنوا من تشخيص بعض آخر . ومن الكتابات المؤرخة بتواريخ محلية كتابة عثر عليها في مدينة (فيليبوبولس) (Philippopolis) ، وقد أرخت بتقويم يبدأ بسنة (٢٤٨) تقريباً أو بين سنة (٢٤٧) وسنة (٢٤٩)^٣ . ومدينة (شقا) (شقة) ، وقد أرخت في عدد من كتاباتها بسنة (٩٢) بعد الميلاد . ومدينة (Constantia) وهي (البراك) في (اللجاة) وفي عدد من الكتابات التي عثر عليها في موضع (شيخ مسكين) ، وهو (Maximinopolis) على رأي بعض الناس^٤ .

والرأي السائد اليوم بين العلماء أن النبط عرب مثل سائر العرب ، وإن استعملوا الإرامية في كتاباتهم ، بدليل أن أسماءهم هي أسماء عربية خالصة ، وأنهم يشاركون العرب في عبادة الأصنام المعروفة عند عرب الحجاز ، مثل (ذي الشرى) و (اللات) و (العزى) ، وأنهم رصعوا كتاباتهم الإرامية بكثير من الألفاظ العربية ، وبدليل إطلاق اليونان واللاتين والمؤرخ اليهودي (يوسفوس) كلمة (العرب) على النبط ، وإطلاق اسم (Arabia Petraea) أي (العربية الحجرية) على أرضهم ، ولو لم يكن النبط عرباً ، لما أطلق (الكلاسيكيون) كلمة العرب عليهم ، وما كانوا يدخلون بلادهم في ضمن العربية ويجعلونها جزءاً من أجزائها الثلاثة .

وقد كان النبط من أهل جزيرة العرب في الأصل ، نزحوا من البوادي إلى

Berytus, Archeological Studies, Published by the Museum of Archeology
of the American University of Beirut, Vol., I, American Press Beirut, 1934, ١
P., 36.
Provincia, III, S., 304. ٢
Provincia, III, S., 205. ٣
Provincia, III, S., 305, 306. ٤

أعالي الحجاز فأقاموا بها، ثم سرعان ما استقروا وتحضروا وأقاموا يفلحون الأرض ويزرعونها ، فأقاموا لهم مستوطنات زراعية ، واستقروا في المدن والقرى، محترفين بمختلف الحرف وفي طبيعتها التجارة وبلاشتغال بالقوافل التجارية التي تنقل التجارة بين مختلف الأمكنة ، فجمعوا من ذلك مالا واثرا . وقد ذهب بعضهم الى أن أصلهم من العربية الجنوبية ، وأن عرقهم هذا هو الذي جعلهم يشتغلون بالزراعة وبالعمارة وبالحرف التي كانت مألوفة عند العرب الجنوبيين منذ العهود القديمة^١ .

ولقد وجدنا طائفة من العلماء تتنكر لهذا الرأي ولا تراه ، وترى في الألفاظ العربية المزوجة في الإرامية بكثرة، وفي تشابه الأسماء واشتراكها بين النبط والعرب، أثراً من آثار الاختلاط والاتصال بحكم السكنى المشتركة والجوار ، ولا علاقة له بوحدة الجنس ، وترى لذلك أن النبط إرميون احتكوا بالعرب وتأثروا بهم ، أو أنهم إرميون استعربوا من بعد^٢ .

أما ان النبط من بني (إرم) لأنهم كتبوا بلغتهم ، واستخدموا قلمهم، فهو قول مردود ، فقد كتب غير النبط ومن غير (بني إرم) بلغة (إرم) وبقلم (إرم) ، ولم يقل أحد من العلماء إن جميع من كتب بلغة الإرميين وبقلمهم هم من (بني إرم) حتماً . ولا يمكن أن يقال ذلك ، لأن الإرامية كانت قد تغلبت على أكثر لغات الشرق الأدنى وصارت لغة الكتابة والتدوين قبل الميلاد وبعده بقرون . تغلبت على العبرانية مثلاً وزاحتها حتى فضلت عليها عند المتكلمين بها من الخاصة والسواد الى نهاية القرن السابع بعد الميلاد ، فدونت بها كتب من (التركوم) والأدعية والشروح و (مجلة تعنيت) و (أنطيوخوس) وغيرها من مؤلفات القرنين الثاني والأول قبل الميلاد^٣ . وألفت بها فيم بعد الميلاد ، فلا عجب إذن إذا ما دوت النبط أو غيرهم من العرب بالإرامية لغة الفكر والثقافة ، وتكلموا بلغة أخرى هي لغة اللسان^٤ . وقد كان الأعاجم في الإسلام يتكلمون باللسنة أعجمية ، ويدوتون باللسان العربي لسان العلم والفكر والقرآن .

Delties, P., 4. ١

Kennedy, P., 34. ٢

قاموس الكتاب المقدس (٥٨/١) . ٣

Ency. Bibl., P., 277, 282. ٤

تلك هي آراء المستشرقين في أصل النبط . أما رأي أصحابنا الأخباريين فيهم فخلاصته ان النبط « جيل من العجم ينزلون البطائح بين العراقيين ، سُمُّوا بذلك لكثرة النبط عندهم ، وهو الماء . وسمي أولاد شيت أنباطاً لأنهم نزلوا هناك . هذا أصله ، ثم استعمل في عوام الناس وأخلاقهم ... »^١ والعرب تنفر من النبط وتنظر اليهم نظرة ازدراء واحتقار ، وإذا أراد أحدهم الاستهانة بأحد قال له « يا نبطي » . (وفي حديث الشعبي ان رجلاً قال لآخر يا نبطي ، فقال : لا حدّ عليه كلنا نبط ، يريد الجوار والدار دون الولادة)^٢ . وورد في الأخبار : « أهل عمان عرب استنبطوا ، وأهل البحرين نبط استعربوا »^٣ . وضرب المثل في رطانة كلام النبط بالعربية وقبحه : « وقد قبح الكلام ، وصار على كلام النبط »^٤ الى غير ذلك من كلام فيهم يشير الى ازدراء العرب بنبط العراق ، ونبط الشام وبنبط عامة .

وقد أشار المسعودي الى ان « من الناس من رأى ان السريانيين هم النبط .. » وقال في معرض حديثه عن أهل نينوى : « وكان أهل نينوى ممن سمينا نبطاً وسريانيين ، والجنس واحد ، واللغة واحدة ، وانما بان النبط عنها بأحرف يسيرة في لغتهم ، والمقالة واحدة » . وجعل النبط أهل بابل ، وملوك بابل هم ملوك النبط . وذكر أيضاً ان هنالك من يزعم ان النبط هم (نبط بن ماش بن إرم ابن سام بن نوح)^٥ . فيفهم من كلام (المسعودي) انه لم يكن على علم واضح بأصل أهل نينوى وبأصل أهل بابل ، فجعلهم من السريان ومن النبط . والمسعودي مثل بقية الأخباريين عني بالنبط المتكلمين بالإرمية (الآرامية) من أهل العراق . والسريانية كلمة حديثة عهد ، يراد بها لغة بني إرم ، أي (الإرمية) . ولا يرتقي اسم (السريان) (Syrians) على كل حال أكثر من خمسمئة سنة أو أربعمئة

- ١ تاج العروس (٢٢٩/٥) ، القاموس (٣٨٧/٢) ، اللسان (٢٨٨/٩) وما بعدها ، البستان (٣٥٠/٢) .
- ٢ تاج العروس (٢٣٠/٥) .
- ٣ استعجم العرب في الموامي بعدك ، واستعرب النبط
- الاغاني (٦١/٥) ، صحيح الاخبار عما في بلاد العرب من الآثار ، محمد بن عبد الله بن بليهد النجدي ، القاهرة (١٩٥ م) (١٨٩/٢) ،
- الاغاني (١٦/٥) .
- ٤ مروج الذهب (١٢٩/١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ٢٦٦) ، (طبعة المطبعة البهية) .

سنة قبل الميلاد . واما اطلاق اسم السريان على الإرميين الشرقيين ، اي لإرمي العراق ، فقد حدث بعد الميلاد . أطلق على منتصرة الإرميين ليميزوا عن بني جنسهم الوثنيين ، فصار له مفهوم خاص ، وصارت كلمة (إرمي) (آرامي) تعني الصابئ والوثني أما كلمة (سرياني) فتعني النصراني حتى اليوم^١ .

أما (ماش) (Mash) ، فهو أحد أبناء (أرام) ذكر في (التكوين) ، مع (عوص وحول وجائر) بمعنى أنهم اخوته^٢ . ودعي (ماشك) في (أخبار الأيام الأول)^٣ . ويظن أنهم سكان (ماش) (ماشو) في النصوص الآشورية ، أي بادية الشام^٤ . و (إرم) هو ابن (سام بن فوح) في التوراة^٥ . وتنفق رواية (المسعودي) المأخوذة من أقوال أهل الكتاب ولا شك ، مع ما جاء في التوراة من أن (ماش) هو ابن (آرام) ، وهو (إرم) . وأما ما ذكره على لسان غيره أو لسانه من أن النبط هم (نبيط) وأن (نبيطاً) هو ابن (ماش) ، فهو قول لم يرد في التوراة . ولا يعرف العهد القديم شخصاً اسمه (نبيط بن ماش بن أرام) . ويقصد المسعودي من (نبيط) (نبايوت) ، ولا شك و (نبايوت) هو الابن البكر لاسماعيل في التوراة^٦ .

أما أنهم سموا نبطاً لكثرة النبط عندهم وهو الماء ، أو لاستنباطهم الماء ، وإنباطهم الآبار ، وما شاكل ذلك من تفاسير وردت في معنى النبط^٧ ، فهو كلام كان يسمع في القديم . أما اليوم فلا يمكن أن يقام له وزن . والنبط في عرف الباحثين هم (نبط) و (نبطو) في الكتابات^٨ ، والكلمة

١ لمعرفة ما قيل في أصل لفظة (السريان) وتكونها ، راجع : (دليل الراغبين في لغة الاراميين) تأليف القس يعقوب أوجين حنا الكلداني ، طبع مطبعة دير الآباء الدومنيكيين في الموصل سنة ١٩٠٠ م (ص ٩ وما بعدها) .

٢ التكوين : الاصحاح العاشر ، الآية ٢٢ .

٣ قاموس الكتاب المقدس (٢٠٧/٢) الاصحاح الاول ، الآية ١٧ ، Ency. Bibl., P., 2972

٤ Hastings, PP., 606.

٥ التكوين : الاصحاح العاشر ، الآية ٢٢ .

٦ التكوين : الاصحاح ٢٥ ، الآية ٣ ، أخبار الأيام الاول ، الاصحاح الاول ، الآية ٢٩ .

٧ ابن دريد : الاشتقاق (٢٣٦/٢) (طبعة وستنفلد) .

٨ (نبطو) ، CIS, II, I, II, P., 184, II, 157.

اسم علم ليس غير مثل سائر أسماء الأعلام ، لا علاقة له لا بالماء ولا باستنباط الماء . حار الأخباريون فيه فعالجوه على مألوف طريقتهم بإيجاد معان الأسماء ، وتعليلات وأسباب ، وظنوا أنهم بهذا التعليل وجدوا سر التسمية ووقفوا عليه ، ولا سيما ان النبط زراع ، ولهم مياه غزيرة وعلم بالماء ، وان النبط : الماء الذي ينبت من قعر البئر اذا حفرت ، فقالوا : النبط من نبط ، فالمسألة اذن سهلة هينة . أنهم سمّوا نبطاً لاستنباطهم ما يخرج من الأرضين ، وهو الماء^١ .

وأشير الى النبط في حديث عمر : « تمعددوا ولا تستنبطوا » ، أي تشبهوا بمعد ولا تشبهوا بالنبط . وفي الحديث الآخر : « لا تنبّطوا في المدائن » أي لا تشبهوا بالنبط في سكانها واتخاذ العقار والملك . وورد ذكر النبط في خبر مرفوع الى ابن عباس : « نحن معاشر قريش من النبط من أهل كوثي ريثا ، قيل : ان ابراهيم الخليل ولد بها ، وكان النبط سكانها »^٢ . وورد في حديث (عمرو بن معديكرب) حين سأله (عمر) عن (سعد بن أبي وقاص) ، فقال : « أعرابي في حيّوته ، نبطي في جيّوته » ، أراد انه في جباية الخراج وعمارة الأرضين كالنبط حدّقاً بها ومهارة فيها، لأنهم كانوا سكان العراق وأربابها. وفي حديث أبي أوفى : « كنا نسلف نبط أهل الشام »^٣ .

ويقال الآن في نجد للشعر العامي (الشعر النبطي) أو (شعر النبط) ، ويرى الباحثون في هذا النوع من الشعر انه منسوب الى نبط العراق^٤ . وعلى كل فإن لهذه التسمية علاقة باسم هذا الشعب العربي القديم الذي نتحدث عنه .

والنبط الذين قصدهم الأخباريون إذن ، هم قبط آخر لا نريدهم نحن في هذا الفصل ولا نقصدهم ، هم يقصدون بقايا الشعوب القديمة خاصة النازلين في البطائح منهم ، ومنهم مترسبات الإرميين في العراق والشام ، وذلك قبيل الإسلام وفي الإسلام ، وكانوا يتكلمون بلهجات عربية ولكن برطانة أعجمية وبلكنة غريبة

١ اللسان (٤١١/٧) (صادر) ، البستان (٢٢٥٠/٢) .

٢ اللسان (٤١١/٧) .

٣ اللسان (٤١٢/٧) .

٤ خالد بن محمد المفرج : ديوان النبط ، مجموعة من الشعر العامي في نجد . دمشق ١٩٥٢ م (ص : ط) ، محمد بن عبد الله بن بليهد النجدي : صحيح الاخبار عما في بلاد العرب من الآثار ، القاهرة ، ١٩٥١ م (١٨٩/٢) .

ظاهرة . أما نبطنسا ، فهم أصحاب كتابات مدونة بالإرمية ، وقد عاشوا في (العربية الحجرية) وفي مناطق أخرى خضعت لسلطانهم لم تكن البطائح منها على كل حال ، كما عاش فرع آخر منهم في (تدمر) ، وسنأتي الحديث عنهم .

وعندي أن النبط عرب ، بل هم أقرب إلى قريش وإلى القبائل الحجازية التي أدركت الإسلام من العرب الذين يعرفون بـ (العرب الجنوبيين) . والنبط يشاركون قريشاً في أكثر أسماء الأشخاص ، كما يشاركونهم في عبادة أكثر الأصنام . وخط النبط قريب جداً من خط كتبة الوحي ، وقد قلت إن من العلماء من يرى أن قلنا هذا مأخوذ من قلم النبط . يضاف إلى ذلك ما ذكرته من وجود كلمات عربية كثيرة في النصوص النبطية المدونة بالإرمية ، هي عربية خالصة من نوع عربية القرآن الكريم . لهذه الأسباب أرى أن النبط أقرب إلى قريش وإلى العدنانيين علي حد تعبير النسابين من العرب الجنوبيين الذين تبتعد أسماؤهم وأسماء أصنامهم بعداً كبيراً عن أسماء الأشخاص والأصنام عند قريش وبقية العدنانيين . أضف إلى هذا ما ورد في التوراة وما عند أهل الأخبار من أن (نايوت) وهو (نابت) أهل الأخبار ، هو الابن الأكبر لإسماعيل ، وإسماعيل في عرف النسابين هو جد العرب العدنانيين .

وقد سبب تدوين النبط كتاباتهم بالإرمية خسارة فادحة لنا لا تقدر بثمن ، لأنه حرماننا الحصول على نصوص بلهجات عربية قديمة نحن في أشد الحاجة إليها ، لما لها من فائدة في دراسة تطور اللهجات العربية واللهجة التي نزل بها القرآن الكريم والمراحل التي مرت بها . وخاصة أننا لا نملك من النصوص العربية المدونة باللهجات العربية الشمالية القريبة من عربية القرآن سوى بضعة نصوص .

ويعد (ديودورس الصقلي) أقدم كاتب (كلاسيكي) تحدّث عن النبط . يليه (سترابون) ، فبقية (الكلاسيكيين) الذين عاشوا بعدهما . وفي تأريخ (يوسفوس) اليهودي المتوفى حوالي سنة (٩٥) بعد الميلاد ، أخبار مفيدة عن النبط ، ولا سيما علاقتهم بالعبرانيين الذين كانوا على اتصال وثيق بهم بسبب الجوار .

وقد تطرق (سترابون) إلى أمور لم يتطرق لها (ديودورس) ، أخذها من صديق له اسمه (أثينودورس) (Athenodorus) ، وكان فيلسوفاً ولد بين النبط وعاش بينهم . وقد حدثه هذا الفيلسوف أن عدداً كبيراً من الرومان ومن الغرباء

من الجنسيات الأخرى كانوا يعيشون بين النبط ، وكانوا في نزاع وخصام بينهم .
أما النبط فكانوا على صفاء ووثام ، يعيشون عيشة سلام وراحة^١ . ويتبين أثر
اختلاط الغرباء بالنبط ، في الآثار الباقية وفي الكتابات اليونانية والرومانية التي عثر
عليها في أرض النبط وعلى النقود .

وقد شملت مملكة النبط في أوج أيامها منطقة واسعة ضمت (دمشق) و (سهل
البقاع) (بقاآث ه - لبنون) (Biq'ath Ha-Lebanon) (Coele Syria) ،
والأقسام الجنوبية والشرقية من فلسطين وحواران و (أدوم) (Idumaea) ،
ومدين الى (ددن) (ددان) وسواحل البحر الأحمر . وثبت أيضاً ان جماعة
من النبط سكنت في الأقسام الشرقية من (دلتا) النيل ، وقد تركت لنا عدداً
من الكتابات^٢ .

ولا يعرف الموطن الأصلي الذي جاء منه النبط على وجه التحقيق ، ولا الزمان
الذي هاجروا فيه منه . ويظن بوجه عام انهم كانوا بدواً في الأصل من سكان
البادية الواقعة شرق شرقي الأردن ، ثم ارتحلوا نحو الغرب فتركوا أرض (أدوم)
وضايقوا الأدوميين الذين ارتحلوا نحو الشمال والغرب اختياراً أو كرهاً ، فسكنوا
في المناطق الخصبية المشرفة على البحر المتوسط . وكان ذلك حوالي (٥٨٧) قبل
الميلاد . ولا يعرف على وجه العموم في الزمن الحاضر شيء ما عن مبدأ تأريخ النبط^٣ .

ويرى بعض العلماء أن النبط هم (نيباطي) المذكورون في أخبار الملك
(أشور بنبال) (Aschurbanipal) ، وهم أيضاً (نبايوت) (Nebojot) =
(Nabatene) أولاد اسماعيل في التوراة^٤ . وهم سكان أرض (Nabatene)^٥ .

١ Sir Alexander B.W. Kennedy, Petra, its History and Monuments, London, 1925, P., 33.

وسيكون رمزه : Kennedy

٢ Ency., Vol. III, P. 801, Clermont Ganneau, Les Nabatliens en Egypte, in Recueil d'Arch. Or., VIII, 1924, PP. 229.

Kennedy, P., 29.

٣ J. Hastings, Encyclopaedia of Religion and Ethics, Vol., IX, P. 121.

وسيكون رمزها : ENCY. RELIG.

٤ Josephus Flavius, Antiquities of the Jews, I, XII, 4, Col., I, P., 103, A. R. Shillea, London, 1911, (Bell and Sons).

ويعارض هذا الرأي بعض آخر ، ولا يرى وجود صلة ما بين النبط و (نبياطي) أو (نبايوت)^١ . وأما النبط المذكورون في (المكايين) ، فهم النبط جماعتنا الذين نتحدث عنهم الآن^٢ .

وقد أطلق (يوسفوس) اسم (النبطية) (Nebaioth) على منطقة واسعة تمتد من نهر الفرات فتصل بحدود الشام الى البحر الأحمر ، وهي من مناطق أولاد اسماعيل^٣ . ويظهر من تأريخ (يوسفوس) أن مؤلف هذا التأريخ كان يرى وجود صلة بين اسم (نبايوت) وهو اسم ابن (يشمعييل) (اسماعيل) وبين اسم النبط ، وإلى هذا الرأي ذهب أيضاً (جيروم) (Jerome)^٤ .

ومن أخبار (ديودورس) عنهم أن معظم بلادهم قفرة قليلة الماء والقسم المنبت منها قليل ، لذلك عاش سكانها عيشة أعرابية ، على الغزو ، وعلى التحرش بحدود جيرانهم ، لعلهم أن من الصعب على الجيوش تعقب آثارهم والاتحام بهم في البادية لقلة الماء ، وإلا تعرضت للتهلكة والموت عطشاً .

أما هم ، فلهم آبار مخفية ، وكهاريس أغلقت فنتحاتها ، فلا يعلم أحد من الناس سواهم أين هي ؟ يشربون منها متى شاءوا ، ويأخذون منها ما يحتاجون إليه . وهم قوم يحبون الحرية ويقدمونها ، ويأبون الخضوع لحكم الغرباء . ولهذا لم يخضعوا لحكم الآشوريين أو الميديين أو الفرس أو لحكم ملوك المقدونيين ، مع أن هذه الدول أرادت استعبادهم فأرسلت عليهم جيوشاً قوية ، ولكنها لم تنجح في تحقيق ما أرادت ، ولم تتمكن من السيطرة على هؤلاء الأنباط^٥ .

وقد ذكر عنهم أنهم كانوا يجمعون المطر ويخزنونه في الصهاريج ، التي لا يعرف مواقعها أحد غيرهم ، وأنهم كانوا لا يذيقون ماشيتهم الماء الا في كل ثلاثة أيام ، حتى تتحمل عطش البادية وقلة مائها ، وبذلك تتعود هذه البوادي القاسية .

E. Schrader, K.L.T., S., 151.

٢ المكايين الاول ، الاصحاح الخامس ، الاية ٢٥ ، الاصحاح التاسع ، الاية ٣٥ ، Hastings, P., 649.

Josephus, Antiqu., I, 12, 4.

Ency. Bibl., P., 3254.

Diodorus, 19, 94, 1-100, 3, Die Araber, I, S. 31, 284, J. Cantineau, Nabatéen

et Arabe, I, in L'Inst. des Etudes Orient d'Alger, 1934-1935, 4.

أما الناس ، فكانوا يعيشون على اللحوم والحليب ، يضاف الى ذلك نوع من (الفلفل) ولب بعض الشجر ، حيث تخلط بالماء^١ .

وقد أخذ (ديودورس) أخباره عن النبط من مؤرخ قبله هو (Hieronymos of Cardia) = (Hieronymos of Kardia) ، ويعود خبره الى حوالي السنة (٣١٢) قبل الميلاد ، اذ تحدث هذا المؤلف عن حملة (انطيفونس) (انتيكونس) (Antigonos) على القبائل العربية، فذكر (النبط) (Nabataei) = (Nabatoioi) وأشار الى الحملة التي أرسلت عليهم^٢ .

ويتبين من أقدم الأخبار الواردة في الكتب (الكلاسيكية) عن النبط أنهم كانوا في بادئ أمرهم أعراباً رعاة ماشية ، ومنهم أصحاب قوافل يتعاطون التجارة ، ويقيمون حول البحر الميت ، وكانوا يستخرجون (الاسفلت) من سواحله الشرقية فيحملونه الى مصر لبيعه الى المصريين^٣ . وكانت لهم أماكن محصنة تحصيناً طبيعياً يلتجئون اليها فيصعب على العدو مباغتتهم ومهاجمتهم في هذه الحصون ، كما أن لهم علماء بصحاريهم وبمواضع الماء فيها ، يحتمون بها عند الحاجة ، ويتخلصون بذلك من تعقيب الجيوش . ويذكر أنهم جنوا أرباحاً كثيرة من اتجارهم بالاسفلت ، إذ كان المصريون يشترونه منهم لاستعماله في (المومياة) ، ولهذا أقبلوا عليه اقبالاً كبيراً ، درّ على النبط ربحاً طيباً^٤ .

وقد وصفوا بأنهم كانوا يكرهون الزراعة ويزدرونها ، كما كانوا يزدرون السكنى في بيوت مستقرة ، وكانوا رعاة يربون الأغنام وبقية الماشية . وإذا وجدوا غريباً بينهم قتلوه ، لأنهم كانوا يخشون أن يقعوا تحت حكم الأجانب فيفقدوا حريتهم^٥ . ووصف (سترابو) النبط ، فقال : إنهم تجار ، أقاموا في بيوت من الحجر ، وقد اشتغل قوم منهم بالزراعة^٦ .

لقد أظهر هؤلاء الرعاة مقدرة فائقة وكفاية لا تقدر في تكييف أنفسهم وفي

Diodorus, 19, 49, Die Araber, I, S., 32. ١

Diodorus, 19, 94, 1-100, 3, Die Araber, I, 31. ٢

Ency., Vol., III, P., 801, Dieties, P. 4. ٣

Die Araber, I, S., 34. ٤

Die Araber, I, S., 283. ٥

Dieties, P., 4. ٦

أخذهم بالأساليب الحديثة في الحياة . تمكنوا من استغلال أرضهم وما فيها من موارد طبيعية ، وتعلموا استغلال مناجم النحاس والحديد القديمة في (أدوم) ، واستخدام هذين المعدنين المهمين في صنع المواد اللازمة لشؤون الحياة . وأخذوا من (الهلينية) تنظيم المدن وأصول الإدارة والفن وحوّلوا مدينتهم الصخرية الى مدينة حديثة جميلة تنطق حتى اليوم بكفاية أصحابها وبقابليتهم للمدينة . كما اقتبسوا من (الفرث) (Parthian) ما يلائمهم ويوائم حياتهم وحاجاتهم^١ . وضربوا النقود على طريقة اليونان والرومان فأحسنوا في صنعها وأجادوا وأثبتوا أن العربي كيفما كان أمره قابل للتطور والابداع والأخذ والاقتباس ، وأنه إذا هيئت له الظروف وأرشده المرشدون ووجهوه توجيهاً حسناً : أفاد نفسه وقومه والبشرية خير افادة .

ومن النبط انتقلت المصنوعات النحاسية والحديدية المصنوعة في بلاد اليونان أو الشام أو في بطرا الى اليمن ، وقد كانوا واسطة لنقل (الهلينية) الى العرب الجنوبيين . وقد عثر في (خولان) من اليمن على رأس مصنوع من النحاس ، محفوظ الآن في المتحف البريطاني ، يشبه وجهه الوجوه المطبوعة على النقود النبطية المضروبة في القرن الأخير قبل الميلاد ، لذلك يرى الباحثون أنه من صادرات مملكة النبط الى اليمن ، وأنه من المصنوعات المتأثرة بالطابع (الهليني)^٢ .

ويحدثنا (ديودورس) ان (انطيغونس) (Antigonus) الذي خلف الاسكندر في سورية ، جرّد حملة على النبط قوامها أربعة آلاف جندي من المشاة وستمئة فارس جعلها في قيادة صديقه (أثينيوس) (Athenaeus) ليجهزهم على التحالف معه وتأيد مصالحه . وأمره بمباغتتهم وسلب كل ما يمتلكون من ماشية . فسار القائد من مقاطعة (أدوم) (Idumaea) بكل حذر وتكتم لكيلا يعلم أحد من النبط به . وباغت الصخرة في منتصف الليل ، فقتل من حاول المقاومة وأسر خلقاً منهم ، وترك الجرحى ، واستولى على ما وقعت عليه يده من البخور والتوابل والطيب والفضة . ثم أمر قوته بالاسراع بالرجوع ، فلما قطعت مسافة مئتي (اسطاديون) أضناها التعب ، ونهكها قطع الطريق ، فاضطرت الى قطع

M. Rostovtzeff, II, PP. 853.

Rostovtzeff, II, P., 865, R. P. Hings, in British Museum Quarterly, XI, 1937, PP., 153, H. Shlobies. Forschungen und Fortschritte X, 1934, S., 242.

السير للاستراحة في معسكر أقامته . وفيما كان الجنود ينعمون بنومهم ، هاجمهم النبط وأعملوا فيهم السيوف ، فلم ينج من رجال الحملة الا خمسون فارساً هربوا بسلام بعد أن أثنى أكثرهم بالجراح . وكان ذلك كما يزعم (ديودورس) بسبب تهاون رجال الحملة بأمر الحراسة وعدم تصورهم ملاحقة النبط لهم ، وتمكنهم من الوصول الى هذا الموضع في خلال يومين أو ثلاث^١ .

وذكر (ديودورس) ان اليونان تخيروا الوقت المناسب حيناً باغتوا (الصخرة) فقد كان من عادة أهلها الذهاب الى أسواق مجاورهم للامتياز وللمبادلة سلعهم بسلع يحتاجون اليها من جيرانهم، تاركين في صخرتهم أموالهم ونساءهم وأطفالهم وعجزتهم وشيوخهم . ولم تكن الصخرة مع حصانتها ، مسورة ، فانتهاز رجال الحملة هذه الفرصة ، وباغتوا الحصن على نحو ما ذكرت . فلما بلغ الخبر النبط، تركوا السوق وتراكضوا الى الصخرة ، وأسرعوا يتعقبون أثر اليونان حتى أدركوهم في ذلك الموضع ، فانقموا منهم شر انتقام ، وعلموهم درساً لا ينسى ولا شك في وجوب اتخاذ الحذر والحيلة وتقدير كل أمر حق قدره مهما صغر وتفه، وقد تأتي التوافه بنتائج لا تأتي من عظام الأمور . أما تأريخ ارسال هذه الحملة ، فكان في سنة (٣١٢) قبل الميلاد^٢ .

وبعد انتقام النبط ممن حاول استرقاقهم ، عادوا الى الصخرة راضين مطمئنين، فنظموا أمورهم ، ثم كتبوا الى الملك (انطيغونس) كتاباً كتب بالأبجدية السريانية يلومون فيه (أثينيوس) (Athenaeus) على ما فعل بهم، ويعتذرون فيه عما بدر منهم ، ويحملون صاحبه وزر صنعه . وقد أجابهم الملك بأن ما حدث لم يكن بعلمه ورضاه ، وأن قائده عمل برأيه فخالف أمره ، ولذلك فهو يحمله وزره ، ويرجو أن تتحسن العلاقات فيما بينهم وبينه ، وأن ينسى ما حدث ، وكان غرضه من هذا الكلام التأثير عليهم ، وجلبهم اليه ولو الى حين حتى يرى أمره ، فان أبوا ضرب ضربته . ونال ما أراد .

وبعد مدة هيا قوة قوامها أربعة آلاف مسلح من المشاة ، وأربعة آلاف من الفرسان جعل قيادتها تحت إمرة ابنه (ديمتريوس) (Demetrius) ، للانتقام

Die Araber, I, S., 33, J. Cantineau, Le Nabatéen, I, 1932, II. ١
Booth, P., Book, XIX, VI, Kennedy, PP., 30, Deities, P., Ency. Relig., Vol., 9, ٢
P. 121, Ency., III, P., 801, Die Araber, I, S., 33.

من النبط بأية طريقة كانت . فلما سمع النبط بقدومها ، أمنوا أموالهم في مواضع حصينة يصعب الوصول إليها ، ووضعوا عليها حراسة كافية ، وسلكوا طرقاً متعددة تؤدي بهم الى البادية . فلما وصل (ديمتريوس) الى (الصخرة) ، هاجمها بعنف وشدة ، غير أنه لم يفلح في اقتحامها والاستيلاء عليها ، ورجع بجيوشه قانعاً بالهدايا التي قدمت اليه^١ .

ويذكر (ديودورس) أن النبط كانوا قد لجأوا الى اتخاذ أماكن حراسة وضعوا فيها حراساً ، واجبرهم تنبيه النبط حين تبدو ظاهرة خطر عليهم ، بإيقاد نيران في مواضع مرتفعة من تلك الأماكن ، تكون علامة على وجود الخطر . فلما ظهر (ديمتريوس) متجهاً نحو الصخرة ، أوقد الحراس النار ، فهرب النبط الى مواضع أمينة من البادية ، وتخلصوا مع أموالهم منه ، لأنه خاف من ملاحقتهم لعدم تمكن جيشه من تعقب آثارهم ولخوفهم من ولوج البادية . وقد كان (المقدونيون) يخشون من دخولها^٢ .

كان النبط من الشعوب العربية التي جمعت ثروة عظيمة، واكتنرت الذهب والفضة بفضل اشتغالها في التجارة وموقعها الممتاز الذي تلتقي عنده جملة طرق تجارية برية كانت عماد طرق القوافل في ذلك الزمن إليها يصل طريق اليمن والعربية الجنوبية المهم الموازي للبحر الأحمر ، ومنها يتفرع الطريق الى مصر والشام وغزة والمدن الفينيقية على البحر المتوسط ، وإليها يصل طريق تجاري آخر مهم يصل الخليج بمدينة (بطرا) . ويصل مدينة تجارية أخرى لم يكن شأنها في التجارة أقل من شأن عاصمة النبط ، وأعني بها مدينة جرها Gerrha على الخليج . فتحمل إليها تجارة الهند وما وراء الهند ، وحاصلات ايران والعربية الشرقية لتوزع منها في الشام ومصر وموانئ البحر المتوسط . وقد عمل ملوك النبط بكل ذكاء على الاستفادة من هذه الطرق واستغلالها لمصلحتهم ومصلحة مملكتهم^٣ . وقد اقتضى ذلك بالطبع وضع حرس قوي لحماية القوافل واجراء التسهيلات الضرورية لأصحابها والاتفاق مع سادات القبائل لضمان سلامتها مقابل مبالغ تدفع لهم عن المرور (الترانزيت) .

Booth, PP., 650, Book, XIX, VI, Kennedy, P., 31, Die Araber, I, S., 32. ١

Diodorus, 19, 94, 6, 19, 2, Die Araber, I, S., 284. ٢

M. Rostovtzeff, The Social, II, P., 841. ٣

وقد أدت سياسة البطالة الرامية الى السيطرة على البحر الأحمر واحتكار التجارة البحرية الى إلحاق أضرار فادحة بالنبط وبغيرهم من العرب الذين كانوا يتاجرون في البحر الأحمر . فاضطر النبط الى التحرش بسفن البطالة ومهاجمة السفن التي تتجه نحو مصر وبأخذ ما فيها ، فاضطر (بطلميوس الثاني) (٢٨٥ - ٢٤٦ قبل الميلاد) الى انشاء قوة بحرية لحراسة السفن التجارية ، وقد ألحقت هذه القوة خسائر فادحة بأسطول النبط^١ ، منعت النبط أمداً من التعرض لقوافل البطالة ، غير ان النبط كانوا ينتهزون الفرص ، فلما انشغل (بطلميوس) بالحرب مع (سلوقي) سورية عادوا الى مهاجمة سفن البطالة والسفن الذاهبة أو الآتية من مصر^٢ .

وألحقت سياسة (بطلميوس فيلادلفيوس) ومشروعاته الرامية الى السيطرة على البحر الأحمر وعلى تجارة البلاد الخارة، أضراراً خطيرة بالتجارة العربية ، أثرت تأثيراً سيئاً جداً في الوضع السياسي في جزيرة العرب . إذ أفقدت العرب السيطرة على البحر الأحمر وأوجدت لهم منافسين خطيرين نافسوهم في أسواق إفريقيا والهند ، ولم يكن من السهل التغلب عليهم ، بفضل ما أدخلوا على سفنهم من تحسينات فنية وابتكارات ، وما خصصوا بها من قوات لحمايتها من تعرض سفن العرب لها . وقد ابنتى (بطلميوس فيلادلفوس) مدينة (Berenice) على خليج العقبة (Atlantic Gulf) لحماية التجار والسفن من تعرض النبط . ولعل ميناء (امبلونه) (Ampelone) الذي أسسه تجار الروم في جزيرة العرب على ساحل البحر الأحمر تجاه (العلا) على رأي بعضهم ، هو من المواضع التي أنشئت لهذه الغاية في هذا الزمن^٣ . وبإنشاء هذه المواضع سيطر اليونان على البحر والطريق التجاري القريب منه ، كما تمكنوا من ضمان الحصول على حاجاتهم بشراء ما يريدون من حاصلات الجزيرة ومن بيع ما يريدون يبعه في هذه الموانئ أيضاً .

وكان من نتائج هذه السياسة التي اقتضي أثرها من جاء بعد (بطلميوس فيلادلفوس) من الملوك والقيصرة ، مشاطرة تجار العرب أرباحهم العظيمة التي

١ Strabo, III, P., 204.

٢ Murry, The Rock City Petra, P., 80, Die Araber, I, S., 285.

٣ M. Rostovtzeff, The Social., Vol., I, P., 387.

كانوا يجنونها من الاتجار مع مصر والشام . فلم يدخل في امكانهم وضع الأسعار كما يريدون ويشتھون كما كان ذلك سابقاً . إذ وضع سادة بلاد الشام ومصر الجدد أسعاراً ثابتة للبضائع العربية والهندية التي تصل الى بلادهم ، كما فرضوا عليها ضرائب معينة بحسب قوائم جديدة . وبذلك تحكموا في الأسعار التجارية العالمية ، وحرّموا تجارة جزيرة العرب وسادتها من ملوك متاجرين وأسر غنية متنفذة ربحاً عظيماً ، وألحقوا بخزانتهم خسائر كبيرة . وكان من أثر هذه السياسة الصارمة هبوط الأسعار هبوطاً بيناً في الأسواق^١ .

وقد تمكن الباحثون في تأريخ النبط من ضبط أسماء جملة ملوك حكموا النبط. ولا نستطيع اليوم ذكر اسم أول من أسس مملكة النبط، ولا الزمن الذي أسست فيه تلك المملكة ولا الأسرة التي نسلت أولئك الملوك . وكل ما نستطيع قوله هو ان استقلال النبط كان قبل الميلاد ، واننا نعرف أسماء بضعة ملوك حكموا قبل الميلاد ، بصورة أكيدة لا مجال فيها لأي شك ، كما نعرف أسماء ملوك كان حكمهم بعد الميلاد .

ويكثر اسم (الحارث) (أرتاس) (ارتياس) (Aretas) = (Arethas) بين أسماء الملوك ، حتى لقد ذهب الظن ببعض الباحثين الى ان هذا الاسم هو لقب ، وانه في معنى (فرعون) بالنسبة الى ملوك مصر ، و (قيصر) بالنسبة الى ملوك الرومان والروم ، و (النجاشي) بالنسبة الى ملوك الحبشة، و (كسرى) بالنسبة الى ملوك الفرس ، و (تبع) بالنسبة الى ملوك اليمن^٢ . أما الاسم الذي يليه في المرتبة فهو (عبادة) و (مالك) و (رب ال) (رب ايل) . وذهب بعض آخر الى ان لفظة (Aretas) هي اسم الأسرة الحاكمة التي حكمت النبط ، وانها من أصل (آرامي) هو (خرت) (Charethath)^٣ .

وفي الفصل الخامس من أسفار (المكابيين الثاني) ان (أرتاس) زعيم العرب طرد (ياسون) (Jason) من أرضه (فجعل يقر من مدينة الى مدينة والجميع ينبلذونه ويغضونه بغضة من ارتد عن الشريعة ، ويمقتونه مقت من هو قتال لأهل

١ Rostovtzeff, The Social., Vol., I, P., 387.

٢ The Bible Dictionary, Vol., I, P. 107.

٣ Hastings, P. 48.

وطنه حتى دحر الى مصر^١ . ويظهر من هذه الآية ان الحارث كان قد طرد (ياسون) من أرضه . وتغلب عليه ، وصار يتعقبه حتى هرب الى مصر . وكان (ياسون) قد اختلف مع أخيه (أونياس الثالث) (Onias III) في يهوذا على الكهانة العظمى . وقد حكم (أرتاس) أي (الحارث) المعروف بـ (حرث) (حرثت) (حارثة) (Harithat) في الكتابة النبطية في حوالي سنة (١٦٩) قبل الميلاد . ونظراً الى انه أول ملك وصل اسمه اليينا في الأخبار ، أطلق الباحثون عليه لقب (الأول) تمييزاً له عن بقية من جاء بعده حاملاً هذا الاسم^٢ .

ويلاحظ أن الآية المذكورة لم تلقب (الحارث) بلقب (ملك) ، وإنما نعتته بـ (زعيم) ، أو بما شابه ذلك من معان ، هي دون درجة (ملك) . أما الموارد التاريخية ، فقد لقبته بلقب (ملك)^٣ .

وقد وردت كلمة (النباطين) ، وهم النبط ، في موضع من الفصل الخامس من سفر المكابيين الأول ، وذكرت بعدها بجملة آيات كلمة (العرب) . وكان هؤلاء العرب يشدون أزر (تيموتاوس) الذي حارب (يهوذا المكابي) (يهوذا مكابوس) (Judas Maccabaeus) (١٦١ ق. م .)^٤ أما النبط فكانوا على وئام مع المكابيين : (يهوذا المكابي) وأخوه (يوناثان) وكانت صلاتهم بحيرانهم المكابيين حسنة . ويظهر من الآية التي ذكر فيها اسم (العرب) أن (تيموتاوس) وأنصاره كانوا قد استأجروا العرب للقتال معهم^٥ . وأغلب الظن أن المراد بـ (العرب) . في هذه الآية هم جماعة من الأعراب .

وطلب (يوناثان) (المتوفى سنة ١٤٣ ق. م .) — الذي انتخب مكان أخيه يهوذا المكابي بعد مقتله — من النبط مساعدتهم ، أن يعيروهم عدة يستعين بها على أعدائه ، وذلك حين طلب (بكيديس) قتله . وأرسل (يوحنا أخاه في جماعة

١ المكابيون الثاني ، الفصل الخامس ، الآية ٨ .

٢ Ency. Bibl., Vol., 9, P. 121, 296.

٣ Die Araber, I, S. 290.

٤ Ency.. Vol., III, P. 801, Ency. Relig., Vol., 9, P. 121, E. Schrader, KLT, S., 152, Ency. Bibl., P. 2853.

٥ المكابيون الاول ، الفصل الخامس ، الآية ٢٤ وما بعدها .

بقيادته يسأل النباطين أوليائه . أن يعيروهم عدتهم الوافرة (١) ، فلما كان يوحنا في (ميدبا) (مادبا) ، خرج عليه (بنو يمرى) وقبضوا عليه وعلى كل من كان معه وذهبوا بالجميع^٢ . ويظهر من ارسال (يوناثان) أخاه النبط ومن جملة (يسأل النباطين أوليائه) الواردة في (المكابيين) أن علاقة المكابيين بالنبط كانت حسنة جداً ، وأن النبط كانوا إذ ذاك أقوياء أصحاب عدة وعتاد .

وأما (بنو يمرى) Bene-Amri/Jambri الذين قتلوا (يوحنا) شقيق (يوناثان) ، وهو المعروف بـ (يوحنا المكابي)^٣ ، فقبيلة عربية يظهر أن منازلها كانت في (ميدبا) (مادبا) من أقدم مدن (مؤاب)^٤ ، وهي تبعد ثمانية أميال الى الجنوب الشرقي من (حشبان) (Heshbon) و (١٤) ميلاً شرقي بحر (لوط)^٥ ، وهي مدينة (Mydava) التي ذكرها (بطلميوس) وذكر أنها تقع في (العربية النبطية) (Arabia Petraea) و (اندبه) (Undaba) و (Ueddaba) لدى (أويسيوس) و (Medaba) لدى (جيروم)^٦ . وصارت في العصور المسيحية مركزاً لأسقف المقاطعة المعروفة باسم (المقاطعة العربية) (Provincia Arabia) . ولا نعرف في الزمن الحاضر شيئاً من أمر هذه القبيلة (Bene Amri) ، التي لا يستبعد أن يكون اسمها الصحيح (بنو عمرو) .

وذكر (يوسفوس) أن (يوناثان) وشقيقه (سمعان) (Simon) سمعا أن (بني عمرى) (Bene Amri) (Amaraeus) سيقمون عرساً عظيماً ويزفون العروس من مدينة (Gabatha) = (Gabbatha) ، وهي من أشرف العرب ، فقررا الانتقام من قتلة شقيقهما ، فذهبا مع قوة كبيرة ووضعاً كميناً في (ميدبا) (مادبا) . فلما وصل الموكب ، خرج الكمين ، فسقط قتلى كثيرون ، وهرب من تمكن من النجاة الى الجبل^٧ .

-
- ١ سفر المكابيين الاول ، الفصل التاسع ، الآية ٣٥ .
 - ٢ سفر المكابيين الاول ، الفصل التاسع ، الآية ٣٦ ،
Dubnow, II, S., 79, Josephus, Antiqu., XIII, I, II.
 - ٣ (يوحنا مكابيوس) ، قاموس الكتاب المقدس (٣٩٧/٢) .
 - ٤ (مادبا) ، Dubnow, II, S., 79.
 - ٥ قاموس الكتاب المقدس (٣٩٧/٢) ، Ency. Bibl., P. 3002.
 - ٦ Ency. Bibl., P. 3003.
 - ٧ Josephus, Antiq., XIII, I, IV.

وحكم بعد (الحارث الأول) الملك (زيد ال) (زيد ايل) ، وذلك في حوالي السنة (١٤٦) قبل الميلاد . ثم الملك (الحارث الثاني) (حرت) (حرث) ، الذي حكم حوالي سنة (١١٠) قبل الميلاد ، ودام حكمه حتى حوالي عام (٩٦) قبل الميلاد^١ .

ويرى (شرادر) أنه حكم حوالي سنة (١٣٩) قبل الميلاد ، ودام حكمه حتى سنة (٩٧) قبل الميلاد^٢ . ويرى بعض آخر أنه حكم حوالي سنة (١٢٠ ق.م.)^٣ . ويظهر أنه كان يعرف بـ (ايروتيموس) (Erotimus) = (Herotimus)^٤ . ويظن (شرادر) أنه هو الذي قصده (يوسفوس) حين ذكره في حوادث سنة (٩٧) قبل الميلاد^٥ .

وتوقف بعض آخر في تثبيت اسم من حكم بعد الحارث الأول ، فوضع فراغاً قدره بنحو نصف قرن ، ذكر أنه لا يدري من حكم فيه ، ثم وضع بعده اسم (الحارث) الثاني المعروف بـ (Erotimus II) ، وقد قدر حكمه فيما بين السنة (١٢٠) والسنة (٩٦) قبل الميلاد^٦ .

ولم تصل إلينا أخبار واضحة أكيدة عن هذا (الحارث) . ويذكر المؤرخ اليهودي (يوسفوس) أن أهل (غزة) طلبوا منه العون والمساعدة ليتمكنوا من الثبات أمام محاصرة (اسكندر جنيوس) (Alexander Jannaeus) لمدينتهم ، غير أنه خيَّب آمالهم ، فلم يساعدهم . وقد نعت هذا المؤرخ بـ (ملك) ، مما يدل على أن هذا اللقب صار لقباً رسمياً لحكام النبط في هذا العهد^٧ .

وذكر أن (ايروتيمس) (Erotimus) = (Herotimus) (الحارث الثاني) ، كان قد اهتبل فرصة ضعف الأوضاع في مصر وبلاد الشام ، فهاجم بأولاده وبجنوده تلك الأرضين ، وغنم منها غنائم كثيرة ، فكوّن بذلك لنفسه وللغرب

1 Ency., III, P. 801, Ency. Relig., Vol., 9, P. 121.

2 Schrader, KLT, S. 153.

3 Die Araber, I, S., 290.

4 Ency., III, P., 801, Ency. Relig., Vol., 9, P. 121.

5 Schrader, KLT, S., 153.

6 Deities, P. 540.

7 Josephos, Ant., 13, 360, Die Araber, I, S., 290.

صيتاً بعيداً^١ .

وتبين للنبط على ما يظهر أنهم اذا استمروا في تأييدهم ومساعدتهم للجسمونيين (Hasmoneans) المناضلين للخلاص من حكم السلوقيين السوريين ، ألحقوا أضراراً بمصالحهم الخاصة وبحكومتهم نفسها ، فلم تكن سياسة المكابيين مقتصرة على طلب الاستقلال التام والخلاص من الحكم الأجنبي ، بل كانت تنطوي على الاستيلاء على الأردن والتوغل في مناطق النبط نفسها ، وانشاء حكومة قوية قد تراحم حكومتهم في يوم من الأيام ، فرأوا ان من الخير لهم ان يدعوا هذا التأييد ، وأن يقاوموا ان احتاج الأمر الى المقاومة . وقد حدث ذلك بالفعل في عهد الملك المكابي (اسكندر جنيوس) (اسكندر ينيوس) (Alexander Jannaeus) (١٠٣ - ٧٦ قبل الميلاد) حيث وقعت حرب بينه وبين النبط بسبب الأردن^٢ .

فلما تمكن الملك المكابي مستعيناً بمجنود مرتزقة من اليونان ومن أهل آسية الصغرى ومن (المؤابيين) ومن (الجلعايين) أهل (جلعاد) ، وهم من العرب كما يقول المؤرخ اليهودي (يوسفوس)^٣ ، وأجبرهم على دفع الجزية اصطدم بمعارضة الملك (عبادة) (Obedas) الذي أعلن حرباً عليه ، كاد (اسكندر) يهلك فيها لولا الأقدار التي احتضنته ففر مسرعاً هارباً بنفسه الى القدس ، وبذلك كتب لنفسه السلامة والنجاة^٤ .

إن (عبادة) (Obedas) = (Obodas) = (Obadath) هذا الذي ذكره (يوسفوس) ، هو (عبادة) المعروف عند المؤرخين بـ (عبادة الأول) تمييزاً له عن ملوك آخرين عرفوا بـ Obedas ، وقد حكم حوالي سنة تسعين قبل الميلاد^٥ . وجعل (شرادر) حكمه في عام (٩٣) قبل الميلاد . وقد ورد اسمه مضروباً على النقود^٦ .

١ Die Araber, I, S. 290.

٢ The Universal Jewish Encyclopedia, Vol., 8, P. 79.

٣ Josephus, Antiq., XIII, XIII, 5, The Jewish War, Book, 1, IV, 3-4.

٤ Subnow, II, S., 160, The Cambridge Ancient History, Vol., IX, PP. 399.

٥ Ency. Rellig., Vol., 9, P. 121, Ency., III, P. 801, The Cambridge Ancient History, Vol., IX, P. 409.

٦ Die Araber, I, S., 291, Schrader, KLT., S. 153.

لم ينعم (اسكندر جنيوس) (اسكندر يانيوس) بعد عودته الى القدس بأيام طيبة هادئة ، فلقد جوبه بمعارضة قوية وبجماعة شديدة أخذت تعارض سياسته وتقاومه ، ودبت الفتنة في كل مكان من مملكته وبلغ من حقد الجماعة عليه انها استدعت (ديمتريوس أويكروس) (Demetrius Eukarus III) المعروف بالثالث من بقايا حكام مملكة السلوقيين السوريين المتداعية ونصبته ملكاً عليها وحاكماً^١ . وهكذا نجد الشعب اليهودي الذي استعاد استقلاله يعود الى طبيعته الأولى ، فينقسم على نفسه ، ويشعل نار حرب أهلية في مملكته ، ويفضل حكم الغرباء على حكم أبنائه . ولما وجد الملك المكابي مركزه حرجاً وخصمه قوياً وانه قد يتغلب عليه، وأن له في الجنوب خصماً آخر طموحاً أقوى من خصمه (ديمتريوس) وأعنف، رأى التودد الى العرب والتحبب اليهم ، فترل لهم عن (موآب) و (جلعاد) وعن أماكن أخرى كان يخشى من احتمال انضمامها الى خصومه ، وقدمها إلى ملك النبط وتساهل في أمور أخرى ليأمن على ما تبقى من مملكته على الأقل^٢ .

وأما (ديمتريوس) الذي ترك (يهوذا) (Judaea) وارتحل عنها ، فقد ذهب الى (حلب) (Boroëa) ، وانتصر على أخيه (فيليب) (Philip)^٣ . غير أن (ستراتو) (Strato) حليف (فيليب) وأحد حكامه، أسرع فاستنجد في (Zizus) بسادات القبائل العربية وبالفرث (Parthians) ، فأنجده وساروا بقوات كبيرة على (ديمتريوس) فانتصروا عليه^٤ .

وحكم بعد (عبادة الأول) ملك اسمه (رب ال) (Rabb'il) = (Rabilus) . يظهر أن حكمه كان حوالي السنة (٨٧) أو (٨٦) قبل الميلاد . ويعرف عند المؤرخين بـ (رب ايل الأول) تمييزاً له عن عدد من الملوك حكموا بعده عرفوا باسم (رب ايل)^٥ . وقد عثر على كتابة وسمت بـ (CIS II, 349)^٦ ، مؤرخة في شهر (كسلو) وشهر (شمادا) (Schemada) في قراءة^٧ و (شمارة)

Dubnow, II, 160.

Josephus, Antiq., XIII, XIV, 3, Note 2.

Josephus, Antiq., XIII, XIV, 3, Note 2.

المصدر نفسه .

Ency., III, P. 801, Ency. Reli., Vol., 9, P. 121, Schrader, KLT, S., 153.

CIS, Pars, Secunda, Tomus, I, Fasculus Tertius, P. 306.

CIS وسيكون رمزه :

Provincia Arabia, I, S., 312.

(شمرة) (Schamara) في قراءة أخرى^١ من سنة (١٨) على قراءة^٢ أو سنة (١٦) على قراءة أخرى من سني ملك اسمه (حرت ملك) ، أي (حارث الملك) ، أو (الملك الحارث) بتعبير أصح . وقد دوتت هذه الكتابة على قاعلة تمال عشر عليه سنة (١٨٩٨ م) عند (بطرا) (Petra) دوتت عليها : « هذا تمال رب ايل ملك النبط بن ت ملك النبط عملها ب رحيم (حيم) (نى) (مجنى) الأقدم »^٤ . فيظهر من هذه الكتابة ان تمثالا^٣ أقيم للملك (رب ايل) عمل في السنة الثامنة عشرة أو السادسة عشرة من سني ملك اسمه (حرت) ، أي (الحارث) ، وان الذي عمل التمال شخص لعب القدر ببعض حروف اسمه الأول ، فلم يبق منه الا الحرف الأخير ، وهو (ب) ، كما لعب في طمس معالم بعض الحروف الأخرى من الاسم ، حمل الباحثين على الاختلاف في قراءتها .

أما اسم الملك وهو (رب ال ملك نبطو) ، فهو ظاهر واضح . وأما اسم أبيه الذي هو (ملك نبطو) أي ملك النبط ، فقد سقطت حروفه ولم يبق منه الا الحرف الأخير وهو (ت) ، لذلك اختلف فيه الباحثون ، فمنهم من قرأه (عبت) ، أي (عبادة) ، فجعل لذلك (رب ايل) ابناً له ، أي لـ (عبادة الأول) ، ومنهم من قرأه (حرت) ، أي (الحارث) ، فجعل أباه ملكاً اسمه (الحارث)^٥ .

ولا نعرف شيئاً يذكر من أعمال (رب ايل) . ولعل ما ذكره (اصطيفان البيزنطي) (Stephanos of Byzanz) نقلاً عن (أورانيوس) من أن ملك العرب المسمى (ريليوس) (Rabilus) = (Rabilos) قتل (انتيغونس) (Antigonos) المقدوني في موضع يقال له (Matho) ، وهو قرية عربية ، أريد به الملك (رب ايل) الذي نتحدث عنه . وقد ذهب بعض الباحثين الى ان المراد

CIS, II, I, III, P. 306. ١

Provincia Arabia, I, S., 312. ٢

Provincia Arabia, I, S., 312, Nr. 405, J. Cantineau, 2, I. ٣

CIS, II, I, III, P. 306, Provincia Arabia, I, S., 312, Clermont-Ganneau, Re- ٤

cueil d'Archéol. Orientale, II, PP. 221, Syria, Tome, IV, 1923, P. 152.

Die Araber, I, S., 295, Deities, P. 540. ٥

من لفظة (موثو) (موتو) الموت ، وان المقصود موضع الموت أو قرية الموت ، لما وقع فيها من موت ، فعرفت به^١ .

ولا نعلم من أمر (رب ايل) شيئاً يذكر ، والظاهر ان حكمه كان قصيراً ، جعله بعضهم نحو سنة ، أي سنة (٨٧) قبل الميلاد ، ثم وضع بعده حكم (الحارث) المعروف بالثالث^٢ . وهو من أشهر الملوك المتقدمين من النبط ، وأخباره أوضح من أخبار من تقدمه من ذكرت . وقد ذهب بعضهم الى احتمال كونه هو (اروتيموس) (Erotimus) المذكور في التواريخ اليونانية^٣ . وذهب بعض الباحثين الى أن حكم الحارث كان من سنة (٨٥) حتى سنة (٦٠) قبل الميلاد ، أو من سنة (٨٧) حتى سنة (٦٢) قبل الميلاد^٤ . وإذا صح أنه أدرك سنة (٦٢) أو (٦٠) قبل الميلاد ، يكون الرومان قد استعادوا مدينة دمشق في أيام هذا الملك ، إذ يرى كثير من المؤرخين أن (اللجيونات) الرومانية العاملة بإمرة القائدين (لوليوس) (Lollius) و (ميتيلوس) (Metellus) قد احتلت المدينة عام (٦٥) قبل الميلاد ، ثم دخلها (بومبيوس) في سنة (٦٤) قبل الميلاد^٥ . وذهب بعض الباحثين إلى أنه اضطر الى اخلاء (دمشق) سنة (٧٠) قبل الميلاد ، إذ لم تستطع جيوشه الوقوف أمام جيش الملك الأرمني (تيكرائس) (Tigranes) التي زحفت على بلاد الشام^٦ .

وقد عرف الحارث الثالث بـ (فيلهيلان) (Philhellen) ، وهو لقب يوناني (Aretas Philhellene) ، معناه محب اليونان . وقد اشتهر بتوسيعه رقعة ملك النبط . فلما هاجمه (أنطيوخس الثاني عشر) (أنطيوخس) (Antiochus XII) وأخذ يتوغل في أرض النبط ، أسرع (الحارث) فجمع قواته ووقف بحزم أمام القوات المهاجمة ، ثم اصطدم به عند موضع (Kana) (Cana) ، حيث قضى على معظم جيش (أنطيوخس) وألحقه مع من قتل بالعالم الآخر . وقد

Die Araber, I, S., 294. ١

Die Araber, I, S., 291. ٢

Die Araber, I, S., 292. ٣

Schrader, KLT, S., Delties, P. 540. ٤

Ency. Bibli., P. 991, Delties, P. 540. ٥

Delties, P. 541. ٦

وقعت هذه المعركة في سنة (٨٦) أو (٨٤ - ٨٣) قبل الميلاد^١.

ويرى بعض الباحثين استناداً الى النقود التي ضربت باسم (أنطيوخس) ، بسنة (٨٧ - ٨٦) قبل الميلاد ، والتي استمر ضربها ثلاث أو أربع سنين ثم انقطعت أن نهاية هذا الملك كانت بسنة (٨٥ - ٨٤) أو (٨٤ - ٨٣) ، وهي السنة التي قتل فيها ، وانتهت بانتصار (الحارث) عليه^٢.

وقد مكن سقوط (أنطيوخس) في تلك المعركة النبط من تقوية أنفسهم ومن شدّ عزيمتهم ، فلما مات الملك (رب ايل) الأول سنة (٨٧) قبل الميلاد على بعض الآراء ، وتولى (الحارث) الثالث (حارثة) (Aretas) الحكم من بعده انتهز تلك الفرصة فاستولى سنة (٨٥ ق.م.) على دمشق ، وتوسعت بذلك رقعة مملكته وأحاطت بملكة المكايين من الشرق والجنوب^٣.

وقد افتتح عهد (الحارث الثالث) باستيلائه على (دمشق) وعلى (سهل البقاع) (Koile-Syria) = (Coile-Syria) ، فقد استدعاه أهلها لانتقاذهم من مهاجمة (اليطوريين) (Ituräer) لهم ، بقيادة ملكهم (بظلميوس بن منيوس) (Ptolemaios Mennaios) ، أي (بظلميوس بن معن) . وهو من أصل عربي أيضاً ، فأسرع اليها ، وكانت يومئذ قصبية (السلوقيين) ، فاستولى عليها ، ودخات في جملة أملاكه^٤ ، ولقبه أهلها (حج اليونان وحاميهم) (Philhellen) ، لأنه أنقذهم من (غزو الأعراب) لهم^٥.

الآن وقد أصبح (الحارث) ملكاً على مملكة واسعة الأطراف ، وتشرف على مملكة (يهودا) المتداعية ، وبإمرته جيش قوي ، كان لا بد له من التدخل في

-
- | | | | |
|---|--------|---------------------------------------|---|
| (Kana) | (Cana) | على ساحل البحر المتوسط عند (يافا) ، | ١ |
| The Cambridge Ancient History, Vol., 9, P. 400, Josephus, Antiq., XIII, XV, | | | |
| I, Vol., 2, P. 428, The Jewish War, Book, I, IV, 7-8, Die Araber, I, S., 294, | | | |
| Dubnow, II, S., 163, Hastings, P. 147, Deities, P. 540. | | | |
| Die Araber, I, S., 294. | | | ٢ |
| Bernhard Stade, Geschichte des Volkes Israel, II, S., 504, Berlin, 1888, | | | ٣ |
| Deities, P. 540. | | | |
| Die Araber, I, S., 294, B. Stade, II, S., 405. | | | ٤ |
| Die Araber, I, S., 298, R. Dussaud, Penetration, 55, A. Kammerer, Petra | | | ٥ |
| et La Nabatene, 1929, I, 515, A. R. Bellinger, 78. | | | |

شؤون هذه الجماعات المتخاصمة المتنافرة التي تكون مملكة ، ولكنها لا تخضع للملك ولا لسلطان . وإذا لم يتدخل هو بنفسه فإن الأحزاب اليهودية نفسها لا تتركه على الحياد . وهذا ما حدث . فغزا (الحارث) أرض يهوذا ، وفي معركة واحدة وقعت عند موضع (اديدا) (Addida) = (Adida) أنهار الجيش اليهودي ، وتشتت شمله ، فلم يبق أمام (اسكندر ينيس) (Alexander Jannaeus) = (Alexandros Iannaios) غير طلب الصالح ، فعقد الصالح ، وعاد النبط الى ديارهم الى حين^١ . ولم يشر المؤرخ (يوسفوس) الى محتويات معاهدة الصالح^٢ .

أما (Adida) = (Addida) المكان الذي وقعت فيه المعركة ، فهو (الحديثة) على مقربة من (اللد) (Ludda) ، المسماة أيضاً باسم (Diospolis)^٣ ، وقد عرفت (Adida) باسم (حاديد) (Hadid) و (حديد) (Hadid) و (Aditha)^٤ .

لقد تمكن (الحارث) من بناء جيش يعتمد عليه في المعارك ، فبعد أن كان جيش النبط في بادئ أمره جماعات غزو غير منظمة ولا منسقة تهاجم عدوها وتباغته على طريقة الأعراب ثم تراجع ، يسيّرهما العُرف القبلي ، تحسن جيش النبط بعض التحسن ، وأدخات على القوات الراكبة بعض الإصلاحات ، غير أنها بقيت مع ذلك متأثرة بروح البداوة ، التي لا تقبل الخضوع للأنظمة والأوامر ، والتي لا تهتم الا بالغنائم ، فاذا حصلت عليها رجعت الى مواطنها دون تفكير في العاقبة . فلما استولى (الحارث) على دمشق ، وفيها عدد كبير من اليونان ، انضم بعضهم اليه ، فعملوا على تحسين جيشه وتدريبه ، وعلى تكوين جيش مدرب نظامي ، استعان به في تقوية مركزه حتى صار به من أقوى ملوك النبط الذين حكموا حتى أيامه ، مما حمله على التدخل في شؤون مملكة يهوذا ، ثم على مجابهة الرومان ، وهم أصحاب جيوش منظمة مدربة ، بجيش لم يتعود دخول الحروب النظامية ، فتغلب الرومان من ثم عليه .

Josephus, XIII, XV, 2, Vol., II, P. 428, Dubnow, II, S., 163, The Cambridge Ancient History, Vol., IX, P. 400.

Die Araber, I, S., 298.

Hastings, P. 12, 324, Ency. Bibl., P. 1932.

المكابيون الاول ، الفصل الثاني عشر ، الاية ٣٨ ، الفصل الثالث عشر ، الاية ١٣ ،
Ency. Bibl., P. 65, 1932, Jerome, Onom., 93, Die Araber. I, S., 298.

فلما دبّ الخلاف بين الأخوين (أرسطوبولس) (Aristobolus) و(هركانوس) (Hyrcanus)، ابني (اسكندرة) (Alexandra) على الملك، وانقسمت (يهوذا) إلى أحزاب وجاعات أبرزها جماعة (الفريسيين) (Pharisées) يؤيدون (هركانوس) وجماعة (الصدوقيين) (Sadducées) أنصار (أرسطوبولس)، وجميع (أرسطوبولس) حوله أنصاره وجيشاً من العرب ومن جنود مرتزقة، وتفوق على أخيه، طلب (هركانوس) مساعدة النبط، وبعث صديقه (انتيباطر) (Antipater) إلى (بطرا) ليتوسط لدى (الحارث)، وكان صديقاً له، في أمر مساعدة (هركانوس) وفي أمر اللجوء إليه. فلما نجحت الوساطة، هرب من القدس ليلاً متجهاً إلى النبط، وطلب من الملك بإلحاح أن يعيده إلى (يهوذا)، وأن يأخذ له التاج من أخيه، ويثبته في ملكه، ويتمهد في مقابل هذه المساعدة بإعادة المدن الاثنتي عشرة التي أخذها أبوه (اسكندر) من العرب، وهي: (مادبا) (مأدبا) (Medaba) و(نبالو) (Naballo) و(ليبياس) (Libias) و(ثريسة) (Tharabasa) و(اكلة) (Agalla) و(اتونه) (Athone) و(زوره) (Zoara) و(اورونه) (Oronae) و(ريده) (Ryddda) و(لوسه) (Lusa) و(اوريه) (Oryba) و(مريسه) (Marissa) إلى النبط. فوافق (الحارث) على هذه الشروط، وهجم على (يهوذا) (٦٦ - ٦٥ ق. م.) بجيش قوامه خمسون ألف جندي راجل وفارس شنت شمل أصحاب (أرسطوبولس) وتركه وحده، فهرب إلى القدس. فتعقبه الحارث على رأس جيش عربي يهودي كبير، وأحكم عليه الحصار، وكادت العاصمة تسقط في يديه لولا حدوث تطور سياسي عسكري خطير قلب الوضع، ذلك هو هجوم الرومان فجأة في أيام (بومبيوس) على دمشق وسورية وهجوم قائدهم (سكورس) (Scaurus) على (يهوذا) وتدخله في هذا النزاع. لقد كان تقدم الرومان هذا في بلاد الشام تهديداً صريحاً لليهود وللنبط، أدى بعد قرون إلى الاستيلاء التام على كل فلسطين والأردن وإلحاقها بالمستعمرات الرومانية. وقد كانت فاتحة ذلك تدخل الرومان في شؤون يهوذا، وتوجيه انذار

Josephus, XIV, I, 4, II, 1-3, Dubnow, II, S., 172, Josephus, The Jewish War, 302.

تاريخ يوسفوس اليهودي، المطبعة العلمية، بيروت (ص ١١٥) .

الى (الحارث) بوجوب فك الحصار عن (القدس) والتراجع عن يهوذا مع جميع جيشه فوراً ان أراد أن تكون علاقاته بـ (رومة) حسنة ، والا عدواً لها ومشاكساً . وقد أدرك (الحارث) ان جيشه لا يستطيع الوقوف أمام جيوش الرومان المدربة المنظمة المسلحة تسليحاً جيداً حديثاً بالنسبة الى أسلحة النبط . فك الحصار ، وتراجع ومعه (هركانوس) ، فاغتم (أرسطوبولس) الفرصة ، وكان قد اكتسب ثقة (سكوروس) قائد الرومان ، وتعقب المراجعين في طريقهم الى (ربت - عمان) (فيلادلفيا) (عمان) ، فالتحم بهم في معركة عند موضع اسمه (بابيرون) (Papyron) ، فانتصر على (الحارث) وقتل ستة آلاف من أتباعه^١ .

وتعقدت الأمور ثانية بين الرومان والنبط ، وهدد (سكوروس) النبط بالزحف عليهم وتخريب بلادهم ، وقرر الحارث في بادئ الأمر تحديته ، ثم وجد ان من المستحيل عليه الثبات له ، وتوسط (انتياتز) فيما بينه وبين (سكوروس) بأن يدفع الحارث جعالة للرومان ، وتصلح بذلك معهم . وقد سرّ (بومبيوس) من هذه النتيجة حتى انه أمر بوضع صورة (الحارث) في موكب نصره ، كما سرّ (سكوروس) بذلك اذ أمر بضرب نقد ، صور الحارث عليه وقد أحنى رأسه راکعاً وحاملاً سعة تعبيراً عن استسلامه له^٢ .

لقد وقع كل ذلك في حوالي السنة (٦٢) قبل الميلاد ، السنة التي هلك فيها هذا الملك ، وذهبت بوفاته معه كل آماله وأحلامه في أن يكون وريث مملكة السلوقيين في بلاد الشام . ولعل النكسة التي وقعت له قد أثرت فيه ففعلت منيته.

وقد ورد اسم (الحارث) في كتابة عثر عليها في القسم المعروف بـ (المدراس) (المدرس) (Elmadras) من (بطرا)^٣ . و (المدراس) معبد خصص لعبادة الإله (ذو الشرى) (Duschara) إله النبط الكبير . وقد دوتها أحد قواد الملك في السنة السادسة عشرة أو السابعة عشرة من حكم (حرتت) (Haritatt)

Josephus, XIV, II, 1-3, Vol., 3, PP. 4, Dubnow, II, S., 176, The Cambridge Ancient History, Vol., IX, P. 382, Die Araber, I, S., 302.

Die Araber, I, S., 303, J. De Morgan, Manuel de Numisme Orient., 2, 1924, 237.

Provincia Arabia, I, S., 209.

في مناسبة تقربه الى الإله (ذو الشرى) بصنم تجيره ونجيره ملكه^١ .

وحكم بعد (الحارث الثالث) ابنه الملك (عبادة الثاني) ، حكم من سنة (٦٢) حتى سنة (٤٧) قبل الميلاد ، أو من سنة (٦٢) حتى سنة (٦٠) على رأي آخر^٢ . ولا نكاد نعرف من أمره شيئاً يذكر . وقد عثر على نقد من الفضة ضرب بأمره وهو من فئة الـ (دراخما) (Dirakhma) ، ضرب في السنة الثانية أو الثالثة من سني حكمه . وقد صورت عليه وجه الملك حليفاً ، وشعر رأسه قصيراً^٣ .

ويظهر من رواية أوردها المؤرخ (يوسفوس) أن القائد (A. Gabinius) ، انتصر على النبط في إحدى المعارك ، وأن النبط قد هزموا هزيمة منكرة . ولم يذكر اسم الملك الذي انتصر عليه هذا القائد . وإذا أخذنا برواية من يجعل هذا الانتصار في السنة (٥٥) قبل الميلاد^٤ ، فعنى هذا أن الملك المغلوب هو (عبادة الثاني) على رأي من يرى أنه حكم من سنة (٦٢) حتى سنة (٤٧) قبل الميلاد ، أو في أيام (مالك الأول) على رأي من يجعل ابتداء حكم هذا الملك من سنة (٦٠) قبل الميلاد .

وحكم الملك (مالك) (Malichus) = (Malchus) المعروف بـ (الأول) بعد (عبادة الثاني) ، وهو ابنه ، من سنة (٤٧) حتى سنة (٣٠) على رأي . ومن سنة (٥٠) أو حوالي السنة (٤٧) حتى سنة (٣٠) قبل الميلاد على رأي آخر^٥ . وذهب بعض المؤرخين الى أن (مالكا) كان قد حكم بعد (الحارث الثالث) ، وأن حكمه كان فيما بين السنة (٦٢) والسنة (٣٠) قبل الميلاد^٦ .

وقد انجد النبط في أيام ملكهم (ملكوس) (مالكوس) (Malichus) ،

Provincia Arabia, I, S., 210, CIS, II, 442, Euting 16, Lagrange 56, Lagrange, Revue Biblique, VII, 1898, P. 165, Clermont-Ganneau, Recueil d'Archeol. Orient., II, P. 379.

اختلف في تاريخ حكمه ولبعض الباحثين رأي آخر ، راجع :
Ency., III, P. 801, Dillmann, Neue Petra-Forschungen, 1912, S., 99.

Hill, P. XII, 3, PL., XLIX, 2, 3.

Josephus, Antiqu., 14, 103, Jud., I, 178, Die Araber, I, S., 306.

Hill, P. XIII, Ency. Relig. Vol., 9, P. 121, Ency., Vol., III, P. Schrader, KLT., S., 153.

Deities, P. 541.

أي (مالك الأول) ، (يوليوس قيصر) (Julius Caesar) سنة (٤٧) أو (٤٨) قبل الميلاد في حصاره لمدينة الاسكندرية ، فأمدّه بقوة من جيشه^١ . كما ساعده أيضاً عدد من سادات القبائل توسط في ارسالهم اليه (أنتيباطر) (Antipater) ، لعلهم من سادات قبائل طور سيناء^٢ .

وكان (انتيباتر) قد تزوج امرأة عربية من أسرة كبيرة معروفة ، نجلت له أربعة أولاد وبنات ، وتمكن بهذا الزواج من تكوين صداقة متينة مع ملك العرب (النبط) كما يقول ذلك (يوسفوس) . ولما وقعت الحرب بينه وبين (ارستوبولس) (Aristobulus) ، أرسل أولاده الى جدهم ملك العرب ليكونوا في مأمن هناك^٣ .

وكان لـ (بطرا) أثر مهم في الحصومات الشخصية التي وقعت في مملكة (يهوذا) أيام الملك (هركانوس بن اسكندر) ، هذه الحصومات التي أدت الى تدخل (الفرث) (Parthians) من جهة ، والى تدخل الرومان من جهة أخرى في شؤون مملكة يهوذا ، ولكل دولة مصلحة في هذا الجزء المهم من الشرق الأدنى ومطعم . وللدولتين أنصار وأعوان ، وطامعون في الملك يريدون المساعدة والمعونة للحصول على العرش . والطامعون في العرش والراغبون في الفتن والحصومات في (يهوذا) كثيرون . فلما بلغت جيوش الفرث حدود (القدس) ، بتحريض من (انطيوخوس) ابن أخ (هركانوس)^٤ ، أسرع (هيرودوس) (Herodus) ابن القتيل (انتيباتر) الذي كان الحاكم الحقيقي في (يهوذا) ، وصاحب النفوذ في المملكة ، وصاحب الخطوة عند الرومان ، فهرب الى النبط ، الى ملكهم (مالك) (Malchus) في عاصمة (بطرا) ، يلتمس منه العون والمساعدة والمال على سبيل الهبة أو الدين لما كان لوالده القتيل من صداقة به ، ليرشو به من ينقذ حياة أخيه . فلما كان في طريقه الى بطرا وصلت رسل الملك تخبره أن الملك لن يتمكن من مقابلته ، وذلك بناءً على طلب ورجاء تقدم به الفرث اليه ، واتصل عندئذ بسادات قبائل عربية كانت لهم صلات وصداقة بوالده ، فلما رأى ذلك أثر

١ Delties, P. 541, Die Araber, I, S., 306.

٢ Josephus, Antiq., XIV, VIII, I, Vol., 3, P. 22.

٣ Josephus, The Jewish War, Book, I, VIII, 8.

٤ تاريخ يوسفوس (ص ١٤٦) (Antigonos)
Josephus, Antiqu., XIV, XIII, 3, Dubnow, II, S., 250.

الذهاب الى مصر ومنها الى ايطالية حيث كان له فيها أصدقاء يساعده في الانتقام من قتلة أبيه^١ . وإلى هذا الملك ، أي ملك النبط (مالك) هرب (يوسف) (Joseph) شقيق (هيرودس) مع مئتي رجل من رجاله ، على أثر هجوم (انطيوخوس) ، وحينما بلغه تغير رأيه بالنسبة الى (هيرودس) أخيه^٢ .

وعاد (هيرودس) من (رومة) ملكاً ، لقد تفضل (أغسطس) و (أنطونيوس) ومشايخ الرومان عليه فنصبوه ملكاً على اليهود ، على مملكة يعين ملوكها الرومان أو الفرث . عاد بفضل الرومان ، فصار بالطبع آلة في أيدي سادة (رومة) . ولما نشبت الحرب بين (أنطونيوس) و (أوكتافيوس) سنة (٣٢) قبل الميلاد ، انضم الى حزب (أنطونيوس) صاحب الفضل عليه . أما واجبه الذي كلفه ، فقد كان محاربة النبط ، الذين رفضوا دفع الجزية للرومان ، وأبوا الخضوع لهم ، والذين أيدوا الفرث . ولما تمكن القائد (فنتيديوس باسوس) (Ventidius Bassus) من ضرب الفرث ومن انزال هزيمة بهم ، أصاب الضرر الملك (مالك) حليف (الفرث) فانتزعت منه بعض أملاكه . لذلك فرح (هيرودس) بهذا التكليف ، وشجعت على ذلك (كليوباترة) ملكة مصر وصاحبة (أنطونيوس) ، التي طلبت منه الاسراع في محاربة (ملك العرب) الذي أبى دفع الجزية لها ، وكانت تكره (هيرودس) وتريد هلاكه ان أمكن ، فأرادت بعملها هذا أن تقضي عليه ، أو أن تضعف من مركزه ومن مركز ملك العرب ، بمحاربتها بعضها بعضاً فتمكن من الملكين فيخضعان لها وتكون سيده (العربية) . ويادر (هيرودس) بمحاربة النبط ، فالتقى بهم عند (اللد) (Diospolis) وانتصر عليهم ، ثم التحم بهم في (قنا) (Cana) (قنات) (Canatha) في البقاع (Coele Syria) وكاد يتغلب عليهم لولا هجوم (أثيناوس) (Atheniaius) فتغيرت الحال ، وهاجمه النبط أيضاً فسقط عدد كبير من جيشه في ساحات القتال وأسروا من فر منهم الى (Ormiza) فاضطر عندئذ الى الرجوع الى (القدس)^٣ .

Josephus, Antiq., XIV, XIV, 1-3, The Jewish War, I, XIII, 8, Book., I, XIV, 1-2. ١

Josephus, The Jewish War, Book, I, XV, I. ٢

٣ تاريخ يوسفوس ص ١٦٨ وما بعدها ،
Josephus, Antiq., XV, 110, 119, The Jewish War, I, XVIII, 4, 1-4, Die Araber, I, S., 306, 307.

وفي القدس أخذ (هيرودس) يحرض قومه على الانتقام من العرب ، والأخذ بالثأر ، ولا سيما بعد هجوم العرب على مملكته ومباغته مدنه . فنشبت سلسلة من الحروب كلفت اليهود والعرب خسائر كبيرة ، اذ طالت الحروب ، ولم تنته الا بعد مشقة . ويدعي المؤرخ (يوسفوس) ان النصر كان في الخاتمة في جانب اليهود . فقد جمع (هيرودس) كل قواته وأعاد تنظيمها ، ثم عبر الأردن . ولما بلغ (عمان) (Philadelphia) التحم بالنبط ، فأنزل بهم خسائر كبيرة ، إذ سقط منهم خمسة آلاف قتيل ، واستسلم منهم أربعة آلاف رجل كانوا قد تحصنوا في معسكر حصين ، ولكن أجبرهم العطش في الأخير على الاستسلام . كما قتل سبعة آلاف آخرون كانوا حاولوا الفرار من الحصار ، فتعقبهم اليهود وقتلوه^١ . واضطر النبط عندئذ الى دفع الجزية الى (هيرودس) ، وعقدوا صلحاً معه ، ولم تخالفه العرب بعد ذلك^٢ .

يقول (يوسفوس) : إن العرب كانوا يكرهون (هيرودس) وحاولوا الثورة عليه والانتقام منه حتى بعد عقد هذا الصلح . وقد كان في جملة من دفع الجزية اليه العرب الساكنون في (حوران) (Auranitis) ، بحكم تبرع القيصر (أغسطس) بأرضهم له ، إلا أنهم كانوا يدفعون الجزية اليه أحياناً ، وكانوا يمتنعون من دفعها أحياناً ، أخرى ، ويحاولون التخلص منه . ولم تكن قوة (هيرودس) في الحقيقة هي التي جعلت هؤلاء الأعراب يقبلون بمصالحة اليهود أو دفع الجزية لهم ، إنما كانت قوة الرومان التي تسخرها أيدٍ إدارية قوية تحسن التوجيه للبطش في القبائل المتعادية وفي سادات القبائل المتنافسين على الزعامة المتباغضين ، وفي العساكر المسخرين الذين أكرهوا على القتال ، ولم يكن لديهم علم بأسلوب القتال ولا بكيفية استخدام الأسلحة ، ولا عزم على الوقوف في وجه الخصم ، وليس لهم ضباط وقادة مجربون محنكون ، لهم هدف وطني وخبرة بأساليب القتال ، ولم يكونوا يرون في الفرار ما لا يتفق مع واجبهم العسكري .

ولا ندرى متى كانت نهاية الملك (مالك) بعد هذه الخسائر التي حلت بالنبط . والظاهر انه لم يعمر بعدها طويلاً ، أو انه مات في أثنائها ، فإن المؤرخ (يوسفوس)

١ Josephus, Antiq., 15, 153, 157-158, Jewish War, I, 383, Die Araber, I, S., 306.

٢ تاريخ يوسفوس (ص ١٦٨ وما بعدها)
Josephus, Antiq., XV, V, 1-5, The Jewish War, Book, I, XIX, 1-6.

الذي هو مرجعنا في أخبار هذه الحروب لم يشر اليه ولم يذكره في الغارة الانتقامية التي أغارها النبط على أسطول (كليوبطرة) عند موضع (Actium) التي أدت الى احراق السفن المتجمعة هناك^١ .

وقد خلف (عبادة) (Obodas) المعروف بالثاني عند بعض المؤرخين وبالثالث عند بعض آخر الملك (مالك الأول) . خلفه على الحكم سنة (٣٠) قبل الميلاد ، ودام حكمه حتى سنة (٩) قبل الميلاد . ويظن انه مات مسموماً سنة (٩ ق. م.) سمه وزيره ومستشاره (صالح) (Syllaes) الذي قطع رأسه في (رومة) سنة (٥) قبل الميلاد^٢ .

وفي أيام هذا الملك كانت حملة الرومان التي أرسلها (أغسطس) بقيادة (أوليوس غالوس) لفتح بلاد اليمن . وهي حملة أسهم فيها النبط بتقديم قوات لمساعدة الرومان ، كما أسهم فيها (هيرودس) ملك (يهوذا) بخمسمئة رجل يهودي ، ضمهم الرومان وسار بهم الى اليمن ، كما تحدثت عنها في كلامي على السبئين . ويصف (يوسفوس) (عبادة) بالضعف وفقر الهمة والكسل ، ووصف وزيره (صالح) (Syllaes) بالقدرة والكفاية على صغر سنه . وانه لذلك كان هو المتصرف في الأمر والمدير لشؤون المملكة ورجل الدولة الحقيقي . وكان صديقاً لـ (هيرودس) يزوره وينزل عليه . وكاد يتزوج أخته لولا اختلاف الدين ، ورفض (Syllaes) الدخول في الديانة اليهودية ليسمح له بالزواج^٣ .

وقد انقلبت المودة التي كانت بين (هيرودس) و (صالح) (Syllaes) عداوة شديدة ، فسعى (صالح) حين ذهب الى (رومة) لاثارة حفيظة (أغسطس) على (هيرودس) بسبب الحملات العسكرية التي قام بها على أرض (اللجاة) (Trachonites)^٤ ، وعلى العرب الذين آووا أهل (اللجاة) وساعدوهم . فلما

1 Dio., 51, 7, I, Zon., 10, 30, Plutarch, Antl., 69, Die Araber, I, S., 307.

2 Deities, P. 541, Ency., III, P. 801, Ency., Relig., Vol., 9, P. 121, Die Araber, I, S., 286.

3 Josephus, Antiq., XVI, VII, 6, The Jewish War, Book, I, XXVII, I, XXIII, 8.

4 واللجاة اسم للحرّة السوداء التي بأرض صلخد من نواحي الشام فيها قرى ومزارع وعمارة واسعة يشملها هذا الاسم ، البلدان (٣٢٣/٣) ، Josephus, Vol., 3, P. 186, Note : I, The Jewish War, Book, I, XXIV, 6, Antiq., XVI, IX, I-4.

ذهب (هيرودس) الى (رومة) ليرفع شكايته عن ابنه (اسكندر) الى القيصر،
والتماسه من القيصر شمول ابنه الآخر (انتياتر) بالعطف والحماية ، انتهز أهل
اللجاة (Trachonites) فرصة غيابه فأعلنوا الثورة وهاجموا الحدود ، وعادوا
الى الغزو ، وكان (هيرودس) قد منعهم منه ، وضرب على أيديهم بشدة .
فلما تعقبهم وكلاء (هيرودس) وقتلوا خلقاً منهم ، هرب عدد من رؤسائهم
الى النبط واحتتموا بهم . ولما عاد (هيرودس) أراد الانتقام منهم، فطلب الاذن
من حكام سورية الرومان بتأديبهم والموافقة على ارسال قواته الى المقاطعة لمقاتلتهم.
ورجا من (عبادة) ومن وزيره (صالح) اجلاء رؤساء أهل (اللجاة) عن
أرض النبط وعدم حمايتهم . فلما رفضا ذلك ، طلب من (صالح) اعادة المال
الذي اقترضه منه (عبادة) بوساطته . ولما لم تثمر المفاوضات شيئاً ، هجمت
قوات (هيرودس) على المناطق التي التجأ اليها الهاربون من أهل (اللجاة) ،
فاستولت على (Raipia) معقلهم وهدمته . فلما سمع النبط بذلك ، بادرت جماعة
منهم برئاسة قائد يدعى (Nacebus) لمساعدتهم ، فاصطدمت بجنود (هيرودس)
وسقط (Nacebus) مع زهاء عشرين رجلاً من أتباعه قتل في هذه المعركة .
ثم أمر (هيرودس) بإسكان الأدوميين في (اللجاة) ، وكتب بذلك الى حاكم
(فينيقية) يبين له الأسباب التي حملته على ارسال هذه الحملة على (التراخونيين)
أهل اللجاة . ويدعي (يوسفوس) ان (Syllaeus) استغل فرصة وجوده في
(رومة) وذهب الى القيصر شاكياً من العمل الذي قام به (هيرودس) ووشى
به كثيراً ، فغضب عليه (أغسطس)^١ . غير ان القيصر بدّل رأيه في (صالح)
حين أطلع على الخبر الصحيح ، ولما بلغته أخبار وفاة الملك (عبادة) وانتقال
العرش الى (Aeneas) الذي غير اسمه حينما تولى الملك ودعا نفسه (Aretas) على
عادة أكثر ملوك النبط دون أن يكتب ملك النبط اليه ويخبره بالحدث ، فغضب
على (صالح) وأمر بمعاقبته^٢ . ويدعي (يوسفوس) ان الملك الجديد كان
مبغضاً لـ (صالح) ، لأنه كان يعتقد انه كان نفسه يطمع في الملك لما كان له
من نفوذ ومال ، وانه كتب الى (أغسطس) يخبره بأنه سمّ (عبادة) الملك

Josephus, Antiqu., XVI, IX, 1-4. ١

Josephus, Antiqu., XVI, IX, 4, X, 8. ٢

السابق ، وانه قتل عدداً من أشرف المملكة في (بطرا) ، من بينهم (Sohemus) السيد النبيل ، الذي يحترمه قومه ويجلونه، وانه قتل (Fabatus) خادم (أغسطس) وفعل أموراً أخرى منكراً تستوجب العقاب^١ .

أما (Nacebus) الذي قتل في معركة (Ralpta) ، وهو في موضع في العربية ، فكان صديقاً لـ (Syllaeus) ومن أبناء عشيرته . ويخيل إليّ أن كلمة (Nacebus) ليست علماً لفائدة الحملة ، وإنما هي درجة ومنزلة ، وأن معناها (نقيب) ، وهي درجة من درجات الجيش ، ولكنني لا استبعد كونها اسماً حرف في اليونانية حتى صار على الشكل المذكور ، وأن الأصل هو (نقيب) أو (نسب) أو (نجيب) أو ما شاكل ذلك من أسماء . وأما (Sohemus) ، فهو اسم علم قد يكون (سخيماً) أو (سحيماً) أو (سهيماً) ، وكلها أسماء معروفة في الجاهلية .

وقد أشار (موسل) الى رواية ذكرها (أورانيوس) (Uranus) و(اصطيفان البيزنطي) عن تأسيس مدينة (Auara) في أيام الملك (عبادة) ، خلاصتها أن (حارثة) (Aretas) ابن الملك حلم أن والده سينشئ مدينة ، وأن هذه المدينة هي (Auara) من كلمة (حوراء) أي (البيضاء) . فلما قص (حارثة) حلمه على والده ، أخذ يفتش عن موضع أبيض ينشئ عليه المدينة ، وبينما كان يفتش عن هذا الموضع تراءى له شبح رجل أبيض على جمل أبيض استخفى فجأة . فلما دنا من مكان الشبح ، وجد بقايا شجرة ذات عروق ممتدة ، فأمر أن يكون موضع (حوراء) (Auara)^٢ .

ويرى (موسل) ان هذه المدينة هي (الحميمة)^٣ ، وهي أيضاً (Auara) التي ذكرها (بطلميوس) وتقع في (العربية الحجرية) (Arabia Petraea) على الطريق بين (أيلة) و (بطرا)^٤ ، وأن الملك المقصود هو (عبادة الأول) . وأما الوقت ، فكان في حوالي سنة (٩٣) قبل الميلاد . وقد ذكرت أنه حكم على

Josephus, Antiq., XVII, IV; 2. ١

Musil, Hegaz, P. 59, Note 20, Uranus, Arabica. (Müller, Fragmenta), Vol., ٢

4, P. 523, Stephen of Byzantium, Ethnica, (Meineke), Vol., 1, P. 144.

البلدان (٣/٤٦) . ٣

Musil, Hegaz, P. 60, Tabula Paullingeriana, Sheet, 8, (Vienna), 1888. ٤

رأي أكثر الباحثين حوالي سنة (٩٠) قبل الميلاد . وأرى أن (Obadas) الذي ذكر (أورانيوس) و (اصطيغانوس البيزنطي) أنه كان صاحب ولد اسمه (حارثة) (Areta) ، هو (عبادة) الثالث ، فقد كان صاحب ولد اسمه (حارثة) وهو المعروف عندنا بـ (Aretas) الرابع . أما (عبادة) ، فالذي خلفه هو (رب ايل) ، لذلك يكون (عبادة) الثالث الذي نتحدث عنه أكثر ملاءمة لرواية المؤرخين من (عبادة الأول) .

وحكم بعد (عبادة الثالث) الملك (الحارث) (حرثت) (Aretas) المعروف بـ (الرابع) والملقب بـ (راحم عمه) (Philopatris) وبـ (ملك النبط)^١ . وقد حكم من حوالي سنة (٩) قبل الميلاد حتى حوالي سنة (٤٠) بعد الميلاد . وورد اسمه في عدد من الكتابات ، منها النصوص المرقمة بـ (CIS 11, 160) و (CIS II, 197-217) و (CIS II, 354) . أما الكتابة الموسومة بـ (CIS 11, 160) فقد أرخت بالعام الخامس من حكمه ، أي سنة (٤) قبل الميلاد^٢ ، وقد ورد فيها اسم الإله (دوشرا) أي (ذو الشرى)^٣ .

وأما النص الموسوم بـ (CIS 11, 197) ، فأرخ بشهر نيسان من السنة التاسعة من حكم (حرثت) (الحارث) ، (بيرح نيسان شنت تشع لحرثت ملك نبطو)^٤ ، أي في السنة الأولى للميلاد ، وورد فيه أسماء الآلهة : (دوشرا) (ذو الشرى) ، و (منوتو) (مناة) (Manutu) و (قيشح)^٥ . وقد ذكرت في هذا النص بعد جملة : (لحرثت ملك نبطو) جملة (رحم عمه) ، أي (محب شعبه) ، وهي من النعوت التي ظهرت في الكتابات في هذا العهد .

وأرخ بأيام صاحبنا (حرثت) (الحارث) النص المعروف بـ (CIS 11, 198) وهو أيضاً من النصوص التي عثر عليها في (الحجر)^٦ . ويعود عهده الى شهر

Ency. Relig., Vol., 9, P. 121. ١

Ency., III, P. 801, Ency. Relig., Vol., 9, P. 121, Schrader, KLT, S., Provincia Arabla, I, S., 152. Die Araber, I, S., 304. ٢

CIS II, 160. M. A. Levy, In ZDMG., 1869, XXIII, P. 435. ٣

CIS II, I, II, PP. 223, CIS II, P. 194, 4, 197. ٤

CIS II, 197, 5, Huber, 29. Euting 2. ٥

CIS II, I, II, P. 224. Douthy 2, Euting 3. ٦

(طبت) من السنة التاسعة من حكم هذا الملك ، أي الى السنة الأولى للميلاد^١ .
وقد وردت فيه بعض الأسماء ، مثل (كمكم) (كمكام) و (ودلت)
و (ودلات) و (حرم) (حرام) و (كلبت) (كلبه) (كليبت)
(كلبية) و (وهب اللات) و (عبد عبادة) . وأسماء الآلهة : (دوشرا)
و (هبلو) و (هبل) و (منوتو) (مناة) و (اللت) (اللات) .

أما النص (CIS 11, 199) ، فقد كتب في شهر (شباط) من السنة الثالثة
عشرة من سني حكم (الحارث) (حرث) وهي السنة الرابعة بعد الميلاد^٢ .
وقد أرخت بقية النصوص من (CIS 11,200) حتى (CIS 11, 217) بسني (الحارث)
كذلك ، وهي تفيد مثل غيرها فائدة كبيرة من حيث تتبع تأريخ الأسماء، فوردت
فيها أسماء كثيرة مثل (كهلن) (كهلان) و (وعلن) (وعلان) و (سعد الله)
و (مرت) (مرة) و (سكينت) (سكينه) و (حميد) و (حوشب)
و (خلف) و (قين) و (جلهمة) و (تيم الله) و (عميرت) (عميرة)
و (وهب) وأمثالها مما كان شائعاً معروفاً عند العرب قبل الإسلام^٣ .

وذكرت في الكتابة (CIS 11, 354) مع اسم (الحارث) أسماء (شقيلت) (شقيلة)
ملكة النبط و (مالك) و (عبادت) (عبادة) و (رب ال) (رب ايل) .
وقد دونت في السنة التاسعة والعشرين من حكم الملك ، وهي سنة عشرين بعد
الميلاد ، وذلك عند صنع صنم يوضع في معبد (بطمون) . ويلاحظ ان معظم
المقابر الكبيرة التي عثر عليها في (الحجر) هي من السنين الأخيرة من حكم
(الحارث)^٤ .

والى هذا الملك يرجع النص الموسوم بـ (REP. EPIG. 54) ويرجع تأريخه الى
السنة الثالثة والأربعين من حكم (الحارث) ، وقد دعي فيه بـ (محب شعبه)
(رحم عمه) (رجم عمه) كما ذكر فيه اسم زوجته (شقيلة)^٥ . وكذلك

CIS II, I, II, P. 226. ١

CIS II, 199, Huber 30, Euting 4, CIS II, I, 11, P. 227. ٢

CIS II, I, II, P. 229. ٣

CIS II, 354, Euting 47, Cooke, North-Semitic Inscriptions, PP. 244, Provincia ٤

Arabia, I, S., 283.

REP. EPIG., I, II, P. 44. ٥

النص الموسوم بـ (REP. EPIG. 1103) المكتوب في سنة (٤٠) من حكم (الحارث) ، أي سنة (٣١) للميلاد ، وهو من النصوص التي عثر عليها في (مدائن صالح)^١ .

وأرخ بحكم هذا الملك النص (REP. EPIG. 674) ، وهو شاهد قبر من مدينة (مأدبا) يرجع تأريخه الى سنة (٣٧) بعد الميلاد^٢ .

و (الحارث) (Aretas) الذي أمد القائد الروماني (واريوس) (فاروس) (Varus) بقوة من المشاة والفرسان حين زحف على (يهودا) ، هو (الحارث) الرابع الذي نتحدث عنه ، فعل ذلك كما يقول (يوسفوس) انتقاماً من (هيرودس) وتقرباً الى الرومان . وبعد أن استولى (فاروس) على مدن عدة وهو ذاهب الى القدس ، منها مدينة (عكا) (Ptolemais)^٣ (Acco) ، اتجه نحو (الجليل) (Gallée) ثم السامرة فالقدس . أما القوات العربية ، فقد سارت الى مدينة (Arus) فأحرقتها ثم سارت الى مدينة (Sampho) وهي مدينة محصنة جداً فاستولت عليها وأحرقتها ، واستولت على أماكن أخرى . حدث ذلك حوالي سنة (٤) قبل الميلاد^٤ .

واصطدم النبط باليهود في أيام القيصر (طيباريوس)^٥ و (هيرودس) ملك (يهوذا) المعروف بـ (هيرود انتيباس) (Herodes Antipas)^٦ ، وذلك في سنة (٣٦) بعد الميلاد^٧ ، بسبب زواج (هيرودس) من زوج أخيه على زوجه الأولى ، وهي ابنة (الحارث) (حرث) . وبسبب اختلافها على حدود منطقة (Gamalites) ، فجرت حروب بين الطرفين انتهت بانتصار (الحارث) على خصمه انتصاراً كبيراً في (جلعاد) (Gilead) وبثبتت شمل جيوشه ، فاستنجد (هيرودس) بسيدته وحاميه القيصر (طيباريوس) ، فغضب القيصر وكتب الى

١ REP. EPIG., II, III, P. 377.

٢ REP. EPIG., II, I, P. 101, CIS, II, 196.

٣ Josephus, Antiq., Vol., 3, P. 253, (Bohn's Standard) Library), XVII, X, 9.

٤ Dubnow, II, S., 302.

٥ (طيباريوس بن اغوستوس) ، الطيزي (٧٤١ / ٧٤٤) ، (طبعة ليدن) .

٦ Dubnow, II, S., 381, Josephus, 3, P. 283.

٧ Dubnow, II, S., 384, The Bible Dictionary, I, P 107.

عامله على سورية (فيتليوس) (Vitellius) ان يسير فوراً بجيشه لمحاربة (الحارث) والقبض عليه حياً وارساله مكبلاً بالسلاسل الى (رومة) أو ارسال رأسه اليه إن قتل^١ . وبينما كان العامل بهم بالزحف على مملكة النبط وتنفيذ أمر القيصر ، جاءته الأخبار بوفاة (طياريوس) سنة (٣٧) بعد الميلاد فتوقف عن الحرب ، وقرر الرجوع الى مكانه . وساء موقف (هيرودس) ثم نحاها الرومان عن عرشه ونفوه الى (اسبانية) ، حيث مات هناك^٢ .

ويظهر من رسالة (بولس) الرسول الثانية الى أهل (كورنتوس) ان (دمشق) كانت في أيدي ملك اسمه (الحارث) ، وانه همّ بالقبض عليه ، غير انه هرب ونجا منه . قال : « في دمشق والى الحارث الملك كان يحرس مدينة الدمشقيين يريد أن يمسكن ، فتدليت من طاقة في زنبيل من السور ونجوت من يديه »^٣ . ونرى (بولس الرسول) أيضاً في رسالته الى أهل (غلاطية) وفي حديثه عن نفسه وعن كيفية اعتدائه الى ديانة المسيح ، يقول : « ولا صعدت الى اورشليم الى الرسل الذين قبلي ، بل انطلقت الى العربية ، ثم رجعت أيضاً الى دمشق . ثم بعد ثلاث سنين صعدت الى اورشليم لأتعرّف ببطرس فكثت عنده خمسة عشر يوماً »^٤ . فهو يذكر هنا العربية وبعدها دمشق . فهل أراد بالعربية البادية ؟ أو أراد بها عربية النبط ، وانه من عربية النبط أو البادية عاد الى دمشق ؟.

والرأي الراجح بين علماء العهد الجديد ، هو أن (الحارث) الذي قصده (بولس الرسول) هو هذا (الحارث) ، أي (الحارث) الرابع ، وأما الوقت الذي استولى فيه (الحارث) على دمشق ، فقد كان في حوالي سنة (٣٧) بعد الميلاد ، وذلك على أثر الحرب التي شنها على (هيرود انتيباس) ، وتدخل

١ انجيل مرقس ، الاصحاح السادس ، الاية ١٧ وما بعدها تاريخ يوسفوس (ص ٢١٣) ، Josephus, Antiq., XVIII, V, I, 4.

٢ Josephus, Antiq., XVIII, V, I, Dubnow, II, 8., 384.

Josephus, Antiq., V, 3.

تاريخ يوسفوس ص (٢١٤ وما بعدها) .

٣ رسالة بولس الرسول الثانية الى أهل كورنتوس ، الاصحاح الحادي عشر ، الاية ٣٢ وما بعدها .

٤ رسالة بولس الرسول الى أهل غلاطية ، الاصحاح الاول ، الاية ١٧ وما بعدها ، N. Gluck, Delties and Dolphins, P. 542, The Story of the Nabataeans, New York, 1965.

(طياربوس) في الموضوع^١. ويظهر أن تدخل الرومان هذا أثار غضب (الحارث) عليهم ، فسار بعد انتصاره على (يهوذا) الى (دمشق) فاستولى عليها وأعادها بذلك مدة لا نعلم طولها الى مملكة النبط . ويتخذ هؤلاء من وجود فجوة في النقود الرومانية الدمشقية ، تبدأ بسنة (٣٤) بعد الميلاد وتنتهي بسنة (٦٢ - ٦٣) بعد الميلاد دليلاً على صحة نظريتهم في أن المدينة تحررت في خلال هذه الفجوة من حكم الرومان ودخلت في حكم النبط ، ولهذا السبب حدثت هذه الفترة في ضرب النقود الرومانية في الشام^٢.

وفي أيام هذا الملك دُوِّنت الكتابة المعروفة بـ (REP. EPIG. 1108) ، وهي من الكتابات المدونة في (الحجر) (Hegra) ، أي (مدائن صالح) ، دُوِّنت في السنة (٣٨) للميلاد. وفي جملة الأسماء المذكورة في هذا النص اسم (عبدعدنون) أي (عبد عدنان)^٣.

وقد عثر على كتابة قبرية مؤرخة بالتقويم السلوقي من سنة (٤ - ٥) قبل الميلاد ، وهي أيام حكم (الحارث) الرابع ، صاحبها رجل اسمه (قصي بن تعجلة) ، ولم يشر في الكتابة الى حكم ملك النبط الذي في أيامه دونت هذه الكتابة . ويرى (ليمان) أن الذي حمل (قصي) على إغفال الإشارة الى اسم الملك هو أن القيصر (أغسطس) كان قد فوتض أمر (Trachonitis) و (Batanaea) (Auranitis) في عام (٢٣) قبل الميلاد الى ملك (يهوذا) (هيرودس) (Herodes) ، وقد كان صاحب الكتابة من سكان هذه الأرضين ، فلم يؤرخ بسني حكم ملك النبط الذي في أيامه أنشأ ذلك القبر^٤.

لقد كان الحارث الرابع من المتأثرين بالثقافة الهلينية وبالحياة الهلينية. ويظهر هذا الأثر في المباني العامة التي أقيمت في أيامه وفي الكتابات اليونانية من عهده. ولا يستبعد أن يكون قد أتقن اللغة اليونانية وأخذ يتكلم بها مع اللسان الإرمي والنبطي ، إذ كانت تلك اللغة هي لغة القوة والثقافة في تلك الأيام .

Hastings, P. 48, Ency. Bibl., PP. 206. ١

Hastings, P. 48. ٢

REP. EPIG., II, III, P. 381. ٣

Ephemeris, II, S., 259. ٤

N. Glueck, Rivers, P. 195. ٥

وحكم بعد (الحارث الرابع) ابنه الملك (ملكو) (مالك) المعروف بالثاني ، وذلك من سنة (٤٠) حتى سنة (٧١) أو (٧٥) بعد الميلاد^١ . ويظهر أن النص المعروف بـ (CIS 11, 195) لصاحبه (عبد ملكو بن عبيشو) ، أي (عبد الملك ابن عبيش) والمؤرخ بالسنة الأولى من حكم (ملكو) (مالك) ، قصد بـ (ملكو) (مالك الثاني) هذا^٢ ، ويرجع تأريخه الى سنة (٤١) بعد الميلاد . أما ناشر النص في (CIS 11) ، فقد ذهب الى أنه (مالك الثالث) ، وأنه كتب في حوالي سنة (٣٩) بعد الميلاد . ومعنى هذا ان (مالك الثالث) حكم في سنة (٣٨) بعد الميلاد ، وهو وهم . وقد عثر على هذا النص في موضع (أم الرصاص)^٣ .

وفي السنة الأولى من حكم (ملكو) (مالك) دوتت الكتابة الموسومة بـ (CIS 11, 218)^٤ . وقد ذكر ناشرها ان (ملكو) المقصود هو (ملكو) الثالث ، وأن تأريخها يرجع الى سنة (٣٩) بعد الميلاد^٥ ، وهو وهم . وأما النص (CIS 11, 182)^٦ ، فقد أرخ كذلك بأيام (ملكو) ، أرخ بشهر (اب) (آب) من السنة السابعة عشرة من حكم (ملكو ملك نبطو برحرث)^٧ ، أي من حكم الملك (مالك النبط بن حارثة) . ويصادف هذا التأريخ عام (٥٧) بعد الميلاد . أما ناشر النص ، فقد جعله أيضاً (ملكو) (مالك) ، وجعل تأريخ التدوين في حوالي سنة (٥٠) بعد الميلاد^٨ . وهو يناقض ما ذهب اليه كثير من الباحثين من أن حكم الملك (مالك الثاني) كان من سنة (٤٠) حتى سنة (٧١) بعد الميلاد . ثم إن ما ذهب اليه ناشر النص من أن تأريخه يوافق سنة (٥٠) بعد الميلاد ، هو وهم أيضاً ، اذ يجب أن يكون سنة (٥٧) للميلاد ، لأن ابتداء حكم هذا الملك

Ency., Vol., III, P. 801, Ency., Relig., Vol., 9, P. 121, Hill, P. XIX, Littmann, in Princeton University Archaeological Expedition to Syria in 1904-1905, Div., IV, Sect., A, P. 21, W. Glueck, Delties, P. 542.

CIS II, 195, CIS, II, I, II, P. 217.

CIS, II, I, II, P. 218.

CIS, II, 218, Euting 21, Doughty, I.

CIS, II, I, II, P. 256.

CIS, II, 182, Vogue, N. 6.

CIS, II, I, II, PP. 206.

CIS, II, I, II, P. 207.

كان سنة (٤٠) . ولما كان النص قد أُرِخ بالسنة السابعة عشرة من حكمه تكون السنة إذن سنة (٥٧) للميلاد .

لقد انتزعت (دمشق) من حكم (مالك الثاني) ، في زمن لا نعرفه ، إلا أن الأرضين في شرقها وفي جنوب شرقها بقيت جزءاً من مملكة النبط^١ .

وانتقل الحكم الى (رب ال) (رب ايل) (ربثيل) الثاني المعروف بـ (سوتر) (سوتر) (Soter) بعد وفاة (ملكو) (مالك) الثاني . وقد حكم من حوالي سنة (٧٠) حتى سنة (١٠٦) بعد الميلاد على رأي، ومن سنة (٧٥) حتى سنة (١٠١) على رأي آخر ، أو شيئاً آخر قريباً من ذلك أو بعيداً بعداً قليلاً ، بحسب تعدد أنظار الباحثين^٢ ، لعدم وجود تقاويم ثابتة لدينا أو كتابات تنص على تواريخ حكم كل ملك من هؤلاء الملوك .

والى عهد هذا الملك تعود الكتابة المعروفة بـ (CIS 11, 183) المؤرخة في السنة الخامسة والعشرين من سني حكم (رب ال) (رب ايل) . وصاحبها رجل اسمه (قصي بن ادينت) ، أي (قصي بن أذينة)^٣ . وتكون سنة تدوين هذه الكتابة اذن في سنة (٩٥) أو (١٠٠) بعد الميلاد . أما الكتابة (CIS 11, 161) ، فتعود الى أيامه كذلك ، وقد دونت في شهر (أيار) من السنة الرابعة والعشرين من حكم (رب ايل) ، وقد دون مع التاريخ النبطي ما يقابله بالتقويم المستعمل عند الرومان آنثذ وهو سنة (٤٠٥)^٤ .

والتقويم الروماني هو تقويم السلوقيين . وتقابل هذه السنة سنة (٩٤) للميلاد ويكون مبدأ حكم (رب ايل) اذن في سنة (٣٨١) من التقويم السلوقي ، أي سنة (٧٠) بعد الميلاد . ووردت في هذه الكتابة بعض الأسماء ، مثل : (هني) (هانيء) و (جدلت) (جدلة) و (بمرت) (بجرة) (بجرة) و (ادرم) و (عبد الملك) ، وهي من الأسماء المعروفة أيضاً عند عرب الحجاز ونجد^٥ .

Delties, P. 542.

Ency., III, P. 801, Ency. Religi., Vol., 9, P. 121.

CIS II, I, II, PP. 208, Levy, In ZDMG., 1868, I, XXII, S., 262, Vogue, Syrie Centr., Inscr. Semit., P. 112.

CIS II, I, II, P. 191, CIS 11, 161.

CIS II, I, II, P. 192.

والى عهد الملك (رب ايل) الثاني تعود كذلك الكتابة التي دونتها (منعت بن جديو) (منعة بن جدي) (ببصرا بشت ٢٣ لرب ايل ملكا ملك نبطو) ، أي بمدينة (بصرى) ، وذلك في السنة الثالثة والعشرين لحكم (رب ايل) ملك النبط . وقد دونت هذه الكتابة بمناسبة تقرب صاحبها الى الإله (دوشرى وأعرى) بتقديمه مذبحاً الى معبده في مدينة (بصرى)^١ . ويكون تأريخ تدوين هذه الكتابة سنة (٩٣) للميلاد . وكذلك الكتابة القبرية المؤرخة بالسنة الثالثة والعشرين من حكم (رب ايل) ، أي في سنة (٩٣) للميلاد^٢ . ولدنا كتابة أخرى سجلت في أيام هذا الملك صاحبها رجل اسمه (علرو برجشمو) ، أي (عاذر بن جشم) (علره بن جشم) (عذير بن جشم) (علر بن جشم) ، ورد فيها اسم الإله (شيع القوم) دونتها في السنة السادسة والعشرين من حكم الملك ، أي في حوالي سنة (٩٦) بعد الميلاد^٣ .

وترينا الكتابة الموسومة بـ (REP. EPIG. 1434) أن للملك شقيقين هما : (جميلت) أي (جميلة) و (هجرو) أي (هاجر) ، وقد نعتنا فيها بـ (ملكتي النبط) . ويظهر ان هنالك شقيقة ثالثة اسمها (فصائل) ، وربما كانت له شقيقة رابعة سقط اسمها من النص^٤ .

وقد ذكرت (شقيلت) (شقيقة) أم الملك (رب ايل) الثاني مع ابنها في نقد ، وذلك في أثناء عهد وصايتها عليه حين انتقل العرش اليه ، وكان على ما يظهر صغيراً . وكان للملك شقيق ساعدها في تحمل أعباء الحكم اسمه (انيشو) (Oneishu) لعله (أنيس) . ولما تزوج (رب ايل) من زوجه (جميلت) (جميلة) (Gamilath) أمر بضرب اسمها مع اسمه على النقود^٥ .

وقد ذكر بعض الباحثين ان بعض ملوك النبط ولا سيما المتأخرين منهم ، أقاموا في أكثر أوقاتهم في (بصرى) (Bostra) ، مما أدى الى اضعاف شأن

Mark Lidzbarski, *Ephemeris Semitische Epigraphik*, S., 330, (Giessen 1902), ١

Clermont-Ganneau, *Recueil*, P. 170, *Rep. Epig.* 83.

REP. EPIG. 83, I, II, P. 67. ٢

Ephemeris, II, I, S., 252, *REP. EPIG.* 468. ٣

Ephemeris, S., 332, *Recueil*, P. 173, *REP. EPIG.* 886.

REP. EPIG., III, I, P. 141. ٤

Hill, P. XX, 12-13, *PL.*, II, 18-23. ٥

عاصمتهم القديمة (بتر) والى اضعاف ادارة أمور النبط^١ .

وأخر ملك نعرفه من ملوك النبط ، هو الملك (ملكو) (مالك) الثالث ، الذي حكم من سنة (١٠١) حتى سنة (١٠٦) بعد الميلاد على بعض الآراء . وفي أيامه قضى (تراجان) في سنة (١٠٦) بعد الميلاد على استقلال هذه المملكة وجعلها تحت حكم حاكم (سورية) (كورنيليوس بالما) (Cornelius Palma) (٩٨ - ١١٧ م) ، وأطلق عليها اسم (الكورة العربية) (Provincia Arabia)^٢ . وقد نقل مقر الحكم من (بتر) الى (بصرى) ، فتضاءل بذلك شأن العاصمة القديمة فلما كان القرن الثالث للميلاد ، صارت (بتر) مجرد موضع قليل الشأن^٣ .

لقد قضى الرومان على استقلال النبط في العربية الحجرية ، فأضافوا بلادهم الى جملة الأرضين التي استولوا عليها . وخسر النبط ملكهم ودولتهم ، ثم خسروا أرضهم فيما بعد . واضطروهم ضغط القبائل العربية الأخرى عليها الى الرحيل الى أماكن أخرى ، والهجرة الى مواطن جديدة طلباً للرزق . كما هاجر من قبلهم سكان الأرضين التي استولى النبط عليها في أيام عزهم وملكهم واندمج أكثرهم في القبائل الجديدة الفتية التي سادت على أرض النبط ، وتسموا باسمهم وانتسبوا اليهم حتى نسوا أصلهم القديم فزال النبط بزوال دولتهم ، وبقي اسمهم ، وبعض رسومهم التي يعود الفضل في إحيائها الى المستشرقين .

وقد بقي النبط يمارسون التجارة وقيادة القوافل حتى بعد فتح الرومان لبلادهم كما يتبين من بعض الكتابات النبطية المؤرخة التي عثر عليها في (طور سيناء) وفي مصر . ومنها كتابة مؤرخة بسنة (١٦٠) من تقويم (بصرى) المقابلة لسنة (٢٦٦) بعد الميلاد . وقد تبين ان أكثر الكتابات التي عثر عليها في الأماكن المذكورة وفي أماكن أخرى هي كتابات وجددها العلماء والباحثون والسياح على الطرق القديمة الموصلة الى جزيرة العرب أو البحر الأحمر ، وفي وجودها في هذه الأماكن دلالة على أن أصحابها كانوا أصحاب تجارة يتجرون بين مصر وجزيرة العرب

Deltles, P. 543.

Die Araber, I, S., 304, Groag Stein, Prosopographia, 2, 346, NR : 1412,

1936, Schrader, KLT, S., 153.

N. Glueck, The Story of the Nabataeans, P. 543.

وموانئ ساحل البحر الأحمر ولا سيما ساحل النبط المقابل لبر مصر^١ .
ويظن جماعة من المستشرقين ان عرب (الحويطات) الساكنين في منطقة (حسمى)
في الأقسام الشمالية من الحجاز ، في المنطقة التي كانت تسكنها (جذام) ، هم
من بقايا النبط^٢ .

وتنسب (الحويطات) الى جدّ أعلى لهم اسمه (حويط) ، وهو على زعمهم
من أهل مصر ، جاء بيت الله الحرام حاجاً فمات في (العقبة) ودفن في (حسمى).
وهم عشائر يتراوح عددها من عشر عشائر الى اثني عشرة عشيرة تسكن في
طور سيناء وفلسطين والحجاز^٣ ، وتجاور قبيلتي (بلى) و (جهينة)^٤ . وهم
في الحملة ميالون الى الحرب والغزو ، ولذلك كانوا يغزون العشائر المجاورة لهم ،
ويأخذون الأتاوة من القرى والمدن الواقعة في مناطق نفوذهم في أيام العثمانيين^٥ .

وتتألف (الحويطات) من ثلاثة بطون هي : (حويطات التهمة) و (حويطات
العلويون) (العلاوين) ويعرفون أيضاً بـ (حويطات ابن جاد) (حويطات
ابن جازى)^٦ . وتتألف (حويطات التهمة) (حويطات التهم) التي تقع
منازلها على ساحل البحر الأحمر حتى (الوجه) في الجنوب ، من عشائر عديدة
هي : (العمران)^٧ و (العميرات) و (المساعيد) والذبابين والزماهرة والطقيقات
والسليانيين والجرافين والعبيات والمواصة والمشاهير والفرعان والجواهره والقبيضات
والفحامين . وأما (حويطات العلويون) ، فتتألف من : (الصوياحين) و (المقابلة)

1 Whikler, Rock Drawing of South Upper Egypt, (1938), L.A. Tregena and Dr.
John Walker, Bulletin of the Faculty of Arts, Fouad University, Vol., XI,
Part II, December, 1949, Enno Littmann, Nabataean Inscriptions from
Egypt, in Bulletin of the School of Oriental and African Studies, Univer-
sity of London, 1953, PP. 1.

2 Ency., Vol., I, P. 368, III, P. 802.

3 Ency., II, P. 349, Burkhardt, Notes on the Bedouins and Wahabys, London,
1831, P. 29, Doughty, Travels in Arabia Deserta, I, 16, 29, 45, 46, 137, 233,
390, II, 24, 323.

4 Ency., II, P. 349, Musil, Arabia Petraea, III, P. 48.

5 Euting, Tabuch. einer Reise in Inner-Arabien, II, S. 103, Ency., II, P. 349.

6 قلب جزيرة العرب (ص ١٤٤) ،

Musil, Hegaz, P. 6, Petraea, BD., BD. 3, S., 48, 51.

7 (حويطات التهم) قلب جزيرة العرب (ص ٧٢ ، ١٣١ ، ٤٢٥) ، (حويطات
التهمة) ، (عمران) ، Ency., II, P. 349.

و (المحاميد) و (الخضريرات) و (السلامين) و (العزاجين) و (القدمان)
و (العواجة) و (السلامة) . ومن (حويطات ابن جازي) (المطالقة)
و (الدراوشة) و (العامرة) و (المرايع) و (الدمانية) و (العطون)
و (التواهة)^١ .

لقد عثر على كتابات مدونة بالنبطية وعلى كتابات مدونة بثلاث لغات هي
النبطية والإرمية واليونانية ، بعضها من بعد ضم مملكة النبط الى (الكورة العربية) ،
أي بعد سقوطها في أيدي الرومان ، وقد تبين منها أن النبط بقوا أمدأ يكتبون
ويدونون بلغتهم ، وإن كانوا يستعملون معها اليونانية أو الإرمية أو كلتا اللغتين
في بعض الأحيان ، كما تبين أن اليهود دوتوا بالنبطية أيضاً ، أولئك اليهود الذين
كانوا على اتصال بالنبط ، وكانت لهم صلات تجارية بهم . وقد دونوا بهذه
اللغة حتى بعد سقوط دولة النبط . وقد وصلت كتابات أصحابها يهود فيها عقود
بيع وشراء مع النبط ، كما وصلت كتابات نجد فيها خلاصات من عقود ومكاتبات
دوتت باليونانية أو بالإرمية ، على حين دوتت الخلاصات بالنبطية وبالعكس^٢ .

ولا نعرف شيئاً يذكر عن أصول تنظيم الدولة وكيفيةها عند النبط . والملك
بالطبع هو رئيس الدولة والشخص الوحيد الأعلى للحكومة . وهو الذي يختار من
يوكل اليهم ادارة الأعمال وتسيير أمور الرعية . والملك حاشية القرية عنده ، وكل
اليها النظر في المسائل العليا للدولة وتقديم الاستشارة الى الملك ، ويقال للواحد منها
(اخ ملكا) ، أي (أخو الملك) . ويظهر أنها كانت طبقة خاصة من الطبقات
الأرستقراطية انحصرت فيها هذه الوظائف انحصار الملكية في الأسر المالكة^٣ .

ومما يلاحظ على النبط ان ملوكهم كانوا ينعتون أنفسهم بنعوت لا نجدها في
الكتابات العربية الأخرى ، فجمة : (ملك رحم عمه) ، أي (الملك الرحيم
بشعبه) ، أو (الملك المحب لشعبه) لا نجدها مثيلاً في الكتابات الأخرى من
كتابات ما قبل الاسلام . لكنهم لم يتركوا الجمل التي تنعتهم أيضاً بـ (ملوك

١ وأسماء أخرى ، راجع : قلب جزيرة العرب (ص ١٤٤) ،

Ency., II, P. 349, Musll, Petraea, III, 48, 51, 407.

Deities, P. 8. ٢

REP. EPIG. 675, 1100, M. Lidzbarski, In Ephemeris, 3, (1909-1915), 89, 297, ٣

Die Araber, I, 8., 287.

النبط) ، اذ نجدهم يكتبون بعد اسمهم : (ملك ملك نبطو) ، أي (الملك : ملك النبط) .

ويلاحظ انه قد كان للمرأة منزلة رفيعة عند النبط ، بدليل ما نجده في كتاباتهم وفي نقودهم من ذكر اسم الملكات مع الملوك . فقد كان من عاداتهم ورسومهم ذكر الملكات مع الملوك رسمياً ، فقد ورد مثلاً : (شقيلت أخته ، ملكت نبطو) . أي (شقيلة أخته ، ملكة النبط) . وورد : (شقيلت أمه ، ملكت نبطو) ، أي : (شقيلة أمه : ملكة النبط) ، وهكذا . ونجد النقود النبطية وقد أشارت الى اسم الملك الذي أمر بضرب ذلك النقد ، كما نجد اسم زوجته أو أمه معه . وقد ضربت صورة رأس الملك ورأس الملكة معه في النقود المضروبة باليونانية^١ .

وبالرغم من ظفر العلماء بنقود نبطية ويونانية ، لم يتمكنوا حتى الآن من الاتفاق على تثبيت أسماء ملوك النبط تثبيتاً زمنياً ، ولم يتمكنوا أيضاً من تعيين مدة حكم كل واحد منهم تعييناً مضبوطاً قاطعاً ، فما سنذكره عنهم لا يعني إذن انه شيء ثابت وأكد^٢ .

وقد تأثر النبط بالثقافة اليونانية تأثراً كبيراً . ويظهر هذا الأثر في نقودهم ، إذ قلدوا في ضربها النقود اليونانية ، بل ضربوها بكتابة يونانية في الغالب . وقد نعت (عبادة) الثالث نفسه بـ (الها) في نقد ضربه باسمه ، محاكاة للسوقيين الذين لقبوا أنفسهم بـ (ديوس) (Deos) ، أي (الإله) . كما يظهر هذا الأثر في ادارة الدولة وفي الحجارة المكتوبة ، إذ نجد أصحابها يكتبون بالنبطية وباليونانية ، بل نجد هذا الأثر على شواهد القبور وغير ذلك^٣ . ولعلمهم كانوا قد أخذوا من مناهل العلم اليوناني ، وتعلموا العلوم الشائعة في ذلك العهد من اليونان الذين سكنوا بين النبط ، ومن بلاد الشام حيث كانوا على اتصال دائم بها ، وفي بلاد الشام جاليات قوية من الرومان واليونان . ولهذا ظهر أثر اللاتينية واليونانية في الأنباط^٤ .

Deities, P. 11. ١

J. Cantineau, Le Nabatéen, I, 6, R. Dussaud, Pénétration, 51, Die Araber, I, S., 289. ٢

Le Nabatéen, 2, (1932), P. 5, 6, 152, Die Araber, I, S., 288. ٣

N. Glueck, Rivers, P. 194. ٤

ويظهر أن النبط كانوا مولعين بالشراب وبالخمر ، ونجد لصور الكروم مكانة بارزة في فن النحت والنقش عندهم . وقد أظهروا براعة فائقة في حفر صور الكروم وعناقيدها على الألواح ، كما يظهر ذلك من آثارهم التي درسها الباحثون في النبطيات^١ .

مدن النبط :

و (بتر) (البتراء) (بطرا) (Petra) ، هي عاصمة النبط القديمة . ومعنى (Petra) (بطرا) في العربية (الصخر) . أما اسمها القديم فـ (ها - سلع) (ها - سلع) ، (Sela) = (Selah) ، ويعني أيضاً (الصخر) لغة الأدوميين . وهي على خمسين ميلاً تقريباً الى الجنوب من البحر الميت . ولما افتتحها (أمصيا) (٨٣٧ - ٨٠٩ ق. م.) ، سمّاها (يفتشيل) أي (الخاضع لله)^٢ . وكانت عاصمة (أدوم) . وكانت من أشهر المدن في العالم القديم ، ثم صارت لمؤاب^٣ . وقد ذكرها (ياقوت الحموي) في مادة (سلع) ، فقال : « و سلع أيضاً حصن بوادي موسى عليه السلام بقرب بيت المقدس »^٤ . وتقع آثار المدينة وبقاياها اليوم في وادي موسى ، ويسمى أيضاً (وادي السيق)^٥ . وقد عرف هذا الوادي بوادي موسى ، لما زعم أن موسى ضرب الصخر بعصاه فشقه فجرى الماء من موضع العين الى النهر ، فسميت لذلك بعين موسى . وكان السيق مبلطاً ، ولا تزال آثار التبليط باقية في بعض المواضع . وتجاه نهاية السيق هيكل منحوت في الصخر ، يسمى : (خزنة فرعون) ، وداخل باب الهيكل دار ، وعلى بعد (٦٠٠) قدم تقريباً من هذا الهيكل بقايا آثار مسرح عظيم منحوت في الصخر يتسع لزهاء أربعة آلاف انسان .

١ Delties, P. 4.

٢ قاموس الكتاب المقدس ، (١ / ٥٢٨) ،

Die Araber, I, S., 283, Kennedy, PP. 78, Hasting, P. 835.

٣ قاموس الكتاب المقدس ، (١ / ٥٢٨) ،

٤ البلدان (١٠٧ / ٥) ، Ency. Bibl., P. 4344, Nöldeke, IN ZDMG., 55, S., 259

٥ قاموس الكتاب المقدس (١ / ٥٢٩ وما بعدها) ، (باب السيق) ، Provincia, I, S., 195, 215.

ومن آثارها المهمة ، الأثر المعروف باسم (خزنة فرعون)^١ ، وقوس النصر وهياكل وقبور عدة ، بعضها على الطراز النبطي القديم ، وبعضها متأثرة بالفن المصري الآشوري أو اليوناني أو الروماني^٢ .

وتشاهد في (بطرا) كتابات كثيرة ، منها ما هو مؤرخ يعود بعضها الى ما قبل الميلاد ، أكثرها كتابات نبطية من نوع الكتابات التي توضع على القبور ، وبعضها لاتينية وأخرى يونانية . ووجدت كتابة باليونانية دوتها أسقف سكن معبداً من معابد المدينة القديمة التي تعود الى ما قبل الميلاد في حوالي سنة (٤٤٧) للميلاد . كما وجدت كتابة لاتينية على قبر بني على النمط (الروماني) صاحبها ضابط روماني اسمه (سكستوس فلورنتينوس) (Sextius Florentinus) لا يعلم زمانه على وجه الصحة ، ويرى بعضهم انه من أيام (هدريانوس) (Hadrianus) أو (أنطونيوس بيوس) (Antoninus Pius)^٣ .

وقد منحت (بطرا) درجة (Colonia) رومانية في أيام حكم الرومان كما يظهر ذلك من بعض النقود الرومانية التي عثر عليها . ويرى بعض الباحثين أن ذلك كان في أيام حكم (Elagabalus) (٢١٨ — ٢٢٢) للميلاد^٤ . ولكن هنالك من يعارض هذا الرأي من الباحثين في علم النميات^٥ .

وقد وصف (سترابو) (بطرا) (بتر) بقوله : كانت (بطرا) عاصمة النبط ومقر حكمهم ودولتهم وهي لا تبعد الا أربعة أيام عن (أريحا) (Jericho) وخمسة أيام عن غابة النخيل (بوسيديون) (Poseidion) . وهي موضع غني بالماء كثير البساتين بالنسبة الى من يأتي اليها من البوادي القاحلة الجرد . وقد زارها (أثينودور) (Athenodor) صديق (سترابو) ، فوصفها له ، وذكر له انه وجد بها أجانب ، بينهم جمع من الروم . ويظهر من أخبار (سترابو) أن النبط

١ راجع وصف (خزنة فرعون) في الجزء ال (٢١) من السنة الثامنة من مجلة المشرق الصادر في ١ تشرين الثاني من سنة (١٩٠٥) (ص ٩٦٥ وما بعدها) .

٢ قاموس الكتاب المقدس (٥٢٩/١) وما بعدها .

٣ Kennedy, P. 76.

٤ Provincia, III, S., 291.

٥ Berytus, Vol., IX, Fasc., I, 1918, P. 40, « Petra, Colonia », By Stella Ben-Dor,

De Saulcy, Numisme de La Terre Sainte, 1874, PP. 292, 353.

كانوا قد بنوا بيوتاً لهم في هذه المدينة كذلك . وقد أبدت التنقيبات التي أجريت عند مدخل المدينة هذا الرأي^١ .

الحجر :

أما (الحجر) ، فمدينة من مدن النبط القديمة المهمة ، تقع على شريان التجارة في العالم القديم ، وهي (Egra) = (Hegra) التي أشار إليها (سترابو) في أثناء حديثه عن حملة (أوليوس غالوس) و (Haegra) = (Hagra) التي ذكرها (بلينيوس) على أنها مقر القبيلة المسماة (ليانيتيه) (Laenitae)^٢ . وقد ذهب بعض الباحثين إلى أنها (مدائن صالح)^٣ ، وذهب بعض آخر إلى أن (مدائن صالح) ، هي (العلا) لا (الحجر)^٤ . وفرق بعض آخر بين موضع مدائن صالح و (العلا)^٥ .

وقد ذكر (بطليموس) المدينة أيضاً ، وذكرها المؤرخ (اصطيفانوس البيزنطي) كذلك^٦ . وقد كانت من مواضع النبط المهمة ، وقد عثر على خمس كتابات في (مدائن صالح) خرج بعض الباحثين من دراستها إلى أن (الحجر) هي من الأماكن التي أنشأها (المعينيون) . وقد كان اسمها القديم (حجرا) (هجرا) أو (حجرو) (هجرو) و (ال - حجرو) في الكتابات^٧ .

و (حجرو) و (ال - حجرو) هي (الحجر) في العربية . وقد ذكر هذا الموضع في المؤلفات العربية . وذكر (ابن حبيب) أن قوم ثمود نزلوا الحجر^٨ . وذكر علماء اللغة أن (الحجر) ديار ثمود ناحية الشام عند وادي القرى ،

Die Araber, I, S., 285, Strabo, 16, 779, A. Kramer, Petra et la Nabatène, 1929, P. 510. ١

Musil, Hegaz, P. 291, 299. ٢

Arabien, S., 55, 59. ٣

Arabien, 4, 15. ٤

Arabien, S., 39, 40. ٥

Ptolemäus, VI, 7, 29, Stephanus Byzantius, I, 260, Arabien, S., 44. ٦

Jaussen-Savignac, I, 157, NR. 9, Arabien, S., 39. ٧

المحبر (ص ٣٨٤) ٨

وهم قوم صالح النبي، وقد جاء ذكر الموضع في القرآن : (وقد كذب أصحاب الحجر المرسلين)^١ ، كما جاء ذكره في كتب الحديث^٢ . وقد تضاعل شأنها في الإسلام ، حتى صارت قرية صغيرة في القرن العاشر للميلاد ، ثم تركها أهلها ، وتقع خرائبها اليوم بين (جبل اثلت) و (قصر البنت) ونخط سكة حديد الحجاز ، حيث تشاهد آثار حصن قديم وبعض بقايا أبراج وآثار سور ، كما عثر على بقايا تيجان أعمدة قديمة وعلى مزولة شمسية ، وعلى نقود يرجع عهدها الى (الحارث الرابع) . ويظهر من أسس بعض الدور أنها بنيت بالحجارة . أما الجدران ، فقد بني أكثرها باللبن . وتقع خرائب (العلا) الى الجنوب من (الحجر)^٣ .

وقد عثر الباحثون على قبور من بقايا قبور الحجر القديمة ، نقشت مداخلها وجدرانها بنقوش تدل على حذق ومهارة ، ولا سيما المقبرة التي هي من القرن الأول للميلاد ، ومن عهد الملك (الحارث الرابع) . وقد تألفت من غرف نحتت في الصخور ، ولبعضها دروب وطرق توصل بعضها ببعض . وهي قبور لأسر ، ومن هذه المقابر الموضع المعروف بـ (قصر البنت) ، وقد نحت في داخل تل ، ويعد من أغنى تلك المقابر من الناحية الفنية ، وله مدخل خارجي ، ارتفاعه عشرون متراً . وقد زين بالزخارف والنقوش^٤ .

ويعدّ الموضع المعروف بـ (ديوان) من الآثار القيمة الباقية من (الحجر) . وقد عمل في (جبل اثلب) . وهو معبد يذكرنا بمعابد (بطرا) . وهو على قاعة ذات زوايا مربعة ، عرضها عشرة أمتار ، وعمقها اثنا عشر متراً ، وارتفاعها ثمانية أمتار ، ولها مدخل عرضه ثمانية أمتار و (٣٥) ستمتراً ، وارتفاعه سبعة أمتار وزهاء خمسة ستمترات ، على كل جانب منه عمود من حجر ، جعلت زواياه مربعة . أما الباب ، فقد تلف . ويوصل الى هذا المدخل مدرج . وهناك معبد آخر صغير يقع على مسافة (١٥١) متراً الى الجنوب من (جبل اثلب)^٥ .

١ الحجر ، الرقم ١٥ ، الآية ٨٠ ، المفردات (١٠٧) ، تفسير القرطبي (١٠ / ٤٥ وما بعدها) .

٢ اللسان (١٧٠ / ٤) .

٣ Arabien, S., 44.

٤ Arabien, S., 60, Jaussen-Savignac, Mission, I, 316.

٥ Arabien, S., 66, Jaussen-Savignac, Mission, I, 118, 405, Doughty, I, 118.

Musil, Arabia Petraea, (1907) 133, 146.

وقد وجدت في (القرية) بالحجاز وهي أطلال ، مدينة قديمة على خمسة وأربعين ميلاً الى الشمال الغربي من (تبوك) في أرض (حسمى) كتابات نبطية ويونانية ، كما عثر على معبد قريب منها في البادية دعاه (موسل) (غوافة) و (روافة) ، وجدت عليه كتابة نبطية يونانية طويلة ورد فيها اسم (مارقوس أورليوس انطونينوس) (Marcus Aurelius Antoninus) و (لوقيوس أورليوس فيروس) (Lucius Aurelius Verus)^١ . ويظهر ان هذه المدينة كان لها شأن في أيام النبط ، ولا سيما في أواخر أيام مملكتهم ، وان هذا المعبد كان قد ابتناه قوم ثمود في أوائل منتصف القرن الثاني للميلاد^٢ .

الكورة العربية :

ضمت (العربية النبطية) سنة (١٠٥) أو (١٠٦) بعد الميلاد الى الأملاك الرومانية وكون منها ومن أرضين أخرى ضمت اليها مقاطعة جديدة عرفت باسم (الكورة العربية) (Provincia Arabia) (المقاطعة العربية) وجعلت تحت حكم حاكم بلاد الشام المدعو (كورنيليوس بالما) (A. Cornelius Palma)^٣ . ولا يعلم على وجهه التحقيق أعين الرومان والياً على هذه الكورة حال تكوينها ، أم انها جعلت تحت ادارة حاكم (سورية) المباشرة ثم عيّن لها حاكم خاص . والمعروف ان أول والٍ (Legat) عيّن عليها انما عيّن في سنة (١١١) بعد الميلاد^٤ .

ولم تكن حدود (الكورة العربية) (المقاطعة العربية) ثابتة، بل كانت تتغير وتتبدل ، وتتقلص وتتوسع تبعاً لمراكز الحكام ومنازلهم . ففي سنة (١٩٥) بعد الميلاد مثلاً أضيف اليها بعض الأرضين الجنوبية من مقاطعة (سورية الفينيقية) (Syria Phönice) ، ولكن هذه الحدود تغيرت مراراً قبل هذا التاريخ وبعده . وتساعدنا (السكة الرومانية) التي أنشأها (تراجان) ثم وسعت فيما بعد مساعدة

Musil, Hegaz, P. 185, 258. ١

Musil, Hegaz, P. 185, 258, The Geographical Journal, Vol., CXVII, Part, ٢
4, 1951, PP. 448, « The Ruins of Quraiya », By H. ST. J. B. Philby.

Provincia, III, S., 250. ٣

Provincia, III, S., 250. ٤

كبيرة في تعيين حدود ومساحة هذه المقاطعة . وقد أنشئت هذه السكة لأغراض عسكرية لتيسر للجيوش الرومانية الوصول بسرعة الى المواضع المهمة من الوجهة العربية ، ولتتمكن بواسطتها من السيطرة على الوطنيين وضبط الأمن^١ .

ويمكن الاستدلال من أنصاب الأميال ، التي وضعها الحاكم (قلوديوس سويروس) (قلوديوس سيفيروس) (Claudius Severus) على هذه الطرق للوقوف بواسطتها على الأبعاد والمسافات والاتجاه ، على معرفة طريقين مهمين : أولهما طريق جديد انتهى منه في سنة (١١١) للميلاد ، يمتد من الحدود الشمالية للمقاطعة العربية أي من بلاد الشام الى (بصرى) (Bostra) ثم الى (فيلادلفيا) (عمان) (Philadelphia) ، ومنها في اتجاه الجنوب ثم الغرب على طريق (بطرا) حتى البحر الأحمر . وثانيها الطريق الممتد من (فيلادلفيا) ماراً بـ (جرش) (Gerasa) وربما بـ (أذرح) (Adra) نحو (بصرى) (Bostra) . وقد كان هذا الطريق معروفاً قبل سنة (١٠٥) للميلاد ، غير انه أصحح وعمر ، وربما حوّل الى طريق عسكري في سنة (١١٢) للميلاد ، أي في أيام (تراجان)^٢ .

وقد عرفت أسماء أكثر الحكام الذين تولوا منصب حاكم المقاطعة العربية من رومان وبيزنطيين، وردت أسمائهم مدونة على أنصاب الأميال وفي الكتابات الأخرى التي عثر عليها في مواضع متعددة من هذه المقاطعة . وأولهم (كورنيليوس بالما) . وقد تبين أن الألقاب الرسمية التي كان يتلقب بها حكام هذه المقاطعة في القرن الثاني بعد الميلاد كانت من درجة الألقاب الرفيعة التي تمنح عادة لحكام مقاطعة (قيصرية) مثل لقب : (Legatus Augusti Pro Praetore) أو (Augustorum) تضاف اليه جملة : (Consul Designatus) متى يكون الحاكم في درجة (قنصل) (Consul) ، وذلك يكون عادة بالنسبة الى حكام المقاطعات من درجة (Legatus Pro Praetore) وقد يقتصر اللقب على كلمة (Consulares) إذا كان صاحبه قنصلاً . غير أن هذه الألقاب الرسمية لم تكن ثابتة ، بل كانت تتغير بحسب أهمية الحاكم ومنزلته ، والوظيفة التي يشغلها ، والزمان الذي حكم فيه^٣ .

Provincia, III, S., 250, 264.

المشرق : السنة الثامنة ، العدد ١٠ ، ١٥ ايار ١٩٠٥ ، ص ٤٥٧ وما بعدها .

Provincia, III, S., 264.

Provincia, III, S., 281.

وتفيدنا وثائق المجامع الكنسية التي انعقدت في أوقات مختلفة لمعالجة المشكلات التي جابهت الكنيسة ، وحضرها ممثلون عن كنائس (الكورة العربية) فائدة كبيرة في تعيين أسماء مدن هذه الكورة وتأريخها. ومن هذه المجالس مجلس (نيقية) (Nicaea) الذي انعقد في سنة (٣٢٥) بعد الميلاد^١، ومجمع (انطاكية) (Antiochia) المعقود في سنة (٣٤١) بعد الميلاد^٢ ، ومجمع (Sardica) الملتئم عام (٣٤٧) للميلاد^٣، ومجمع (القسطنطينية) المنعقد عام (٣٨١) بعد الميلاد ، ومجمع (أفسوس) (Ephesus) المجتمع عام (٤٣١) ، ومجمع (خلقدونية) (Chalcedon) الذي انعقد في عام (٤٥١) ، للميلاد ، ومجمع (القسطنطينية) المنعقد سنة (٥٣٦) للميلاد ، ومجمع (القدس) الملتئم عام (٥٣٦) بعد الميلاد ، وغيرها من المجالس والمجامع الدينية^٤.

وقد عثر على نقود ضربت في أيام الرومان والبيزنطيين في عدد من مدن (الكورة العربية)^٥ . مثل (Adra) (أذراعات) و (بصرى) (Charachmoba) و (ديوم) (Dium) و (Eboda) و (Esbu) و (جرش) (ومأدبا) (Medaba) و (Moca) و (بطرا) و (فيلادلفيا) (Philadelphia) و (فيليب بوليس) (Philippolis) و (Rabbathmoba)^٦.

أما (Adra) ، فهي (أذراعات) المشهورة عند العرب في الجاهلية والإسلام^٧. وتعرف في الزمن الحاضر بـ (درعة) و (درعا) كذلك ، وهي (أذرعى) (Edrei) في التوراة ، بمعنى قوة أو حصن^٨ . وهي من مدن (باشان)

1 Provincia, III, S., 253, Gelzer, Geographische Bemerkungen zu dem Verzeichnis der Väter von Nikaia, In der Festschrift für Heinrich Kalpert.

Berlin, 1898, S., 47-61.

2 Provincia, III, S., 253, Ency., I, P. 359.

3 Provincia, III, S., 253.

4 Provincia, III, S., 255.

5 Hill, P. XXII, Journal of Roman Studies, Vol., VI, (1961).

6 Hill, P. XXII — XXIV.

7 البلدان (١٦٢/١ وما بعدها) ، البكري (٨٣/١) ، المقدس (ص ١٦٢) ،
الاب ١٠ س. مرمرجي الدومنيكي : بلدانية فلسطين العربية ، مطبعة (جان

دارك) ، بيروت ، ١٩٤٨ م (ص ٤) .

8 Ency. Bibl., PP. 118, Hastings, P. 203.

العظيمة^١ . وقد اشتهرت (أذرعات) بخمرها عند العرب ، وقال عنها علماء اللغة لأنها موضع بالشأم تنسب اليه الخمور^٢ .

و (أذرعات) موطن (عوج) (Og) ملك (باشان) ، وكان جباراً قامة وبأساً^٣ ، من سلالة الرفائيين ، حاول أن يمنع مرور بني اسرائيل بأرضه ، فاصطدم بهم بأذرعات ، وتغلبوا عليه ، فقتل هو وبنوه ، وانقسمت مدنه الستون المحصنة بين (الرؤيين) و (الجاديين) ونصف سبط (مني)^٤ . وتقع (أذرعات) في وادي يكون القسم الجنوبي من وادي (حوران) وعلى مسافة ستة أميال الى الشرق من طريق الحج ، وفيها كهوف عديدة وصهاريج كبيرة ، وبها خرائب وآثار يقرب محيطها من ميلسين يظهر أنها من عهد الرومان^٥ . ومن بقاياها (قناة فرعون) ، وهي تأخذ مياهها من بحيرة صغيرة قرب موضع (يابس) في حوران . ومسجد يشبه بناؤه (كاتدرائية) بصرى ، وآثار الشوارع والخوانيت التي كانت عليها ، وموضع سوق . وعثر في خرائبها على كتابات باليونانية كما عثر فيها على نقود ضربت فيها من سنة (٨٣) قبل الميلاد . وقد ألحقها (بومبيوس) (Pompeius) بمقاطعة سورية الرومانية، وألحقها (تراجان) بالمقاطعة العربية ، وذكر (أويسيوس) (Eusebius) و (جيروم) أنها من أشهر مدن (العربية) ، وكان بها أسقف حضر مع من حضر من الأساقفة في المجالس الكنسية التي انعقدت في (سلوقية) (Seleucia) و (القسطنطينية) و (خلقدونية) (Chalcedon) (٤٥ م)^٦ .

وفي المتحف البريطاني قطع من النقد المضروب في هذه المدينة ، وقد أشير في

١ قاموس الكتاب المقدس (٥٦/١) ، التثنية ، الاصحاح الاول ، الاية (٤) ،

Ency. Bibl., PP. 1188, Hill, P. XXIII.

٢ اللسان (٩٧/٨) .

٣ التثنية . الاصحاح الثالث ، الاية ١١ ، يشموع ، الاصحاح الثالث عشر ، الاية ١٢

٤ العدد ، الاصحاح ٣٢ ، الاية ٢ وما بعدها ، تثنية ، الاصحاح الثالث ، الاية ٣ وما بعدها ، و ١٢ - ١٧ ، قاموس الكتاب المقدس (١٢٤/٢) .

٥ قاموس الكتاب المقدس (٥٦/١) و Ency. Bibl., P. 1189.

٦ Ency. Bibl., P. 1189, Wetzstein, Ausgewählte Griechische und Lateinische Inschriften, gesammelt auf Reisen in den Trachonen des Haurangebirges, Reiseberichte über Hauran und Trachonen, 47, on Mast., 118, 4, 213, 379, Hastings, P. 203.

بعضها الى (دوشرى) (ذي الشرى) لآله النبط . كما صور على بعضها صور
القياصرة الذين في أيامهم ضرب ذلك النقدا .

و (باشان) ، ومعناها (التربة الخفيفة) ، مقاطعة من أرض كتعان واقعة
شرقي الأردن بين جبلي حرمون و (جلعاد) ، وسميت (باشان) من جبل في
البلاد^٢ . وسكانها القدماء هم (الرفائيون) (Rephalite) ، ولهم مملكة ذكر
في التوراة من ملوكهم اسم الملك (عوج) الذي قتله الاسرائيليون ، وهو المعروف
بـ (عوج بن عوق) عند أهل الأخبار ، والمعروف بـ (عوج بن عوق) عند
العوام^٣ . وقد ذكر الأخباريون انه رجل (ذكر من عظم خلقه شناعة) ، وانه
كان ولد في منزل آدم فعاش الى زمن موسى ، وقد قتله موسى^٤ . وقد أخذوا
أخبارهم هذه عنه عن أهل الكتاب ، أو من وقوفهم على ما جاء في أسفار
(التثنية) و (يشوع) و (العدد) عنه . وكان قد حاول منع الاسرائيليين
من المرور بأرضه ، فقتلوه ، وجاء انه كان ينام على سرير من حديد طوله تسع
أذرع وعرضه أربع أذرع ، وذلك لبيان ضخامة جسمه . ونجد في الأسفار المذكورة
أخباره مع بني اسرائيل ومقاومته لهم^٥ .

وكانت باشان تشمل حوران والجلولان واللجاة ، وكلها مؤلفة من صخور
وأترية بركانية ، وتربتها مخصبة ، وماؤها غزير ، ويحدها شمالاً أرض دمشق ،
وشرقاً بادية الشام ، وجنوباً أرض (جلعاد) ، وغرباً (غور الأردن) ،
ويحترق جانبها الشرقي جبل الدروز ، وهو جبل (باشان) القديم . ويمر بالجلولان
سلسلة تلال من الشمال الى الجنوب . أما مقاطعة (اللجاة) ، فهي حقل من
(الالفا) أي الصخر البركاني ، سالت من (تل شيمحان) ، وهو فم بركان

١. Hill, P. XXIII, Dussaud, Notes de Mythologie Syrienne, PP. 167, De Sauley, Terre Sainte, PP. 373.

٢. قاموس الكتاب المقدس (٢٠٦/١) ، المزامير ، ٦٨ ، الاية ١٥ .

٣. اللسان (٣٣٥/٢) ، (٢٨١/١٠) .

٤. التثنية ، الاصحاح الثالث ، الاية ١١ وما بعدها .

٥. التثنية ، الاية ١ وما بعدها ، والاصحاح ٣ ، الاية ١ وما بعدها ، ويشوع ،
الاصحاح ١٣ ، الاية ١١ وما بعدها ، والعدد ، الاصحاح ٢١ ، الاية ٣٤ ، و ٣٢ ،
الاية ٢ وما بعدها ، قاموس الكتاب المقدس (١٢٤/٢) .

قديم بقرب شحبة^١ .

ومن أشهر مدن (باشان) (الجولان) (Golan) ، وهي من منطقة (الجولان) (Gaulanitis) ، وتعني الكامة (الدائرة) ، وأصلها مدينة (جولان) ، وبها سميت المقاطعة . وتقع في (باشان)^٢ و (عشتاروت) (عشتروت) (بعشتره) (Ashtaroth) = (Ashtoreth) = (Be-Eshterah) ، ويظهر أنها (تل عشتره) (تل أشعري) في الجولان^٣ . ومدينة (عشتاروت قرنايم) (Asther Karnaim) وهي (قرنيون) (Carnion) أو (قرنين) (Carnain) التي استولى عليها (يهوذا المكابي) (Judas Maccabaeus) سنة (١٦٤) قبل الميلاد على ما يظن . وهي من مدن (الرفاثيين) في (باشان)^٤ . وقد اختلف الباحثون في مكانها في هذا اليوم ، فذهب بعضهم الى أنها (الصنان) وذهب بعض آخر الى أنها (قنوات) وذهب آخرون الى أنها (تل عشتره)^٥ .

ويظهر أن كثيراً من (الباشانيين) كانوا يعيشون عيشة سكان المغاور والكهوف (Troglydotes) ، إذ تبين أن قسماً منهم سكن الكهوف والمغاور ، وسكن بعض منهم في أنفاق وكهوف تحت الأرض يبلغ طولها (١٥٠) قدماً ، وتتفرع منها أزقة تحت الأرض بجانبها بيوت تنفتح كواها في سقوفها ، فهي في الواقع مدن تحت الأرض . وفضل نفر آخر السكنى في بيوت منقورة في الصخر . وسكن بعض منهم في بيوت منفردة مبنية من الحجر^٦ .

وأما (بصرى) وتعرف بـ (Bostra) ، فقصة (حوران) ، ومن أشهر مدنها^٧ . وقد عرفت في أيام الرومان بـ (Nova Trajana Bostra)^٨ . وقد ألحقت بالمقاطعة العربية في مبدأ تأسيس هذه المقاطعة ، أي في أيام (تراجان) ،

-
- ١ قاموس الكتاب المقدس (٢٠٦/١) .
 - ٢ قاموس الكتاب المقدس (٣٤٥/١) ، Hastings, P. 303, Schumacher, Across the Jordan, 92.
 - ٣ قاموس الكتاب المقدس (١٠٢/٢) ، Hastings, P. 57.
 - ٤ التكوين ، الإصحاح الرابع عشر ، الآية ٥ ، قاموس الكتاب المقدس (١٠٢/٢) .
 - ٥ قاموس الكتاب المقدس (١٠٢/٢) ، Hastings, P. 57.
 - ٦ قاموس الكتاب المقدس (٢٠٦/١) ، Ency. Bibl., P. 4976.
 - ٧ الكلدان (٢٠٨/٢) ، المشترك (طبعة وستنفلد) (٥٧) ، بلدانية فلسطين (ص ٢٣ وما بعدها) ، عيون الأخبار (٣٣١/٢) .
 - ٨ Ency., I, P. 765, Hill, P. XXIV.

وصارت عاصمتها وقصبتها العظمى بعد أيام (ديوقليتيان) (Diocletian)
 (٢٨٦ - ٣٣٧) بعد الميلاد^١ ، ومركزاً من مراكز النصرانية المهمة . وفي
 القرن السادس للميلاد كانت أسقفية (Avara) ، وهي (الحميمة) على رأي
 (موسل) تراجع (بصرى)^٢ . ويظهر أنها لم تكن تابعة للغساسنة ، وإنما كانت
 في إدارة البيزنطيين . وقد تضررت مثل (أذرعات) في أثناء غزو الفرس لديار
 الشام عام (٦٤) للميلاد ضرراً بالغاً ، وفقدت مكانتها المهمة من ذلك الحين^٣ .

وقد ورد اسم (بصرى) في السيرة في قصة (بحيرا) الراهب ، كما ورد
 اسمها في خبر فتوح الشام . وكان أهلها من (قيس) من (بني مرة) .
 وذكر (أبو الفداء) أنها من ديار (بني فزارة) و (بني مرة)^٤ . وقد
 اشتهرت بصنع السيوف المعروفة بـ (السيوف البُصْرية)^٥ .

وعثر على نقود ضربت في مدينة (بصرى) ، منها ما يعود تاريخها الى أيام
 (انطونيوس بيوس) (Antonius Pius) ، ومنها ما يعود الى أيام (هدريانوس)
 (Hadrianus) ، وهي النقود التي ضرب على أحد أوجهها النصف الأعلى لانسان
 يظهر أنه يرمز الى (العربية) (Arabia) حاملاً جسمين يشيران ، على رأي
 بعض الباحثين ، الى كورة (Auranitis) أي (حوران) و (العربية الحجرية)
 (Arabia Petraea) ومنها ما يعود الى آخرين ، وهم : (ديفا فاوستينا)
 الأول (Diva Faustina) ، وقد صور النصف الأعلى من الجسم على أحد وجهي
 النقد ، ومارقوس أورليوس قيصر (Marcus Aurelius Caesar) و (كومودوس
 قيصر) (Commodus Caesar) و (كومودوس أوغسطس) (Commodus Augustus)
 و (سبتيميوس سويروس) (Septimius Severus) و (يولية دومنا)
 (Julia Domina) و (ايلابالوس) (Elagabalus)^٦ .

ودعيت (بصرى) في النقود التي ضربت باسم (سويروس اسكندروس)

History of the World, Vol., VI, P. X, Ency., I, P. 765. ١

Musil, Hegaz, P. 60. ٢

Ency., I, P. 765. ٣

Ency., I, P. 765. ، (ص ٢٣) ، ٤

اللسان (٦٨ / ٤) ، (ضا د ز) ، (ب ص د) ، ٥

Hill, P. XXIV. ٦

(Severus Alexander) ، بـ (مستعمرة بصرى) (Colonia Bostra) ^١ .
 ويعني هذا حدوث تغير في النظام الإداري لهذه المدينة في هذا العهد . ويرى بعض
 الباحثين أنها جعلت في درجة مستعمرة ، أي (Colonia) قبل أيام (سويروس) ،
 وبقيت في هذه المرتبة حتى عهد (سبتيميوس سويروس) (Septimius Severus)
 غير أن (هل) وآخرين يعارضون هذا الرأي ويرفضونه ، ويرون أن ذلك
 كان في أيام (سويروس اسكندروس) ، لا قبله ، وانها لم تعرف
 بـ (Colonia Bostra Nova Traiana Alexandriana) إلا في أيامه ^٢ . وأما في
 نقود (بولية مامية) (Julia Mamaea) ، فقد دعت بـ (Colonia Bostra)
 كذلك ^٣ .

وأعيد النظر في مرتبتها في أيام (فيليب سنيور) (فيليب الأقدم)
 (Philip Senior) على ما يظهر، فجعلت في درجة (متروبوليس) (Metropolis) ،
 فدعت (Colonia Metropolis Bostra) . وحافظت على درجتها هذه في أيام
 (فيليب الأصغر) (Philip Junior) ^٤ . ولم يعثر على نقود ضربت في (بصرى)
 بعد أيام (تراجان دسيوس) (Trajan Decius) أو (تريبونيانوس غالوس)
 (Trebonianus Gallus) ^٥ .

وأما (Charachmoba) ، فلها (قير موآب) (Kir Moab) في التوراة
 والتركوم . و (قير حاراش) (قير حراشات) (قير حارسة) من (موآب)
 وهي (الكرك) ^٦ . وقد عثر على نقد يعود الى عهد (Elagabalus) يظن انه
 من نقود هذه المدينة، وان الصورة المضروبة في الوجه المقابل لصورة (Elagabalus)
 ترمز الى الإله (دوشرى) ^٧ .

-
- | | |
|---|---|
| Hill, PP. XXIV, Morey, In REV. Numes., P. 81, 1911, Berytus, Vol., IX, Fasc., | ١ |
| I, (1948), P. 43. | |
| Hill, P. XXV-XXVI. | ٢ |
| Hill, P. 22. | ٣ |
| Hill., P. 24, The Quarterly of the Department of Antiquities in Palestine | ٤ |
| Vol., No. 3, 1931, P. 135. | |
| Hill, P. XXVI. | ٥ |
| قاموس الكتاب المقدس (٢٣٠/٢) ، | ٦ |
| Hill, P. XXX, XXXI, Ency., II, P. 855, Musil, Petraea, S., 45-62. | |
| Hill, XXX, XXXI, 27. | ٧ |

وتختلف وجهات نظر الباحثين في موضع مدينة (ديوم) (Dium) (ديون) (Dion) ، فمنهم يرى أنها (الحصن) (قلعة الحصن) على مقربة من (اربد) (Dila) عند (بطلميوس)^١ ومنهم من يرى أنها (كفر أبيل) ، وآخرون يرون أنها (تل الأشعري) ، وهكذا^٢ . وهي من مدن (Decapolis) ، ثم ألحقت بـ (المقاطعة العربية) في عهد (سبتيميوس سويروس) (Septimius Severus) على ما يظن^٣ . وقد عثر فيها على نقد ضرب باسم (Geta)^٤ ، وأرخ تأريخ الضرب بتقويم (بومبيوس) ، وأشار في أحد وجهي النقد الى الإله (هدد) الذي صورته بعض النقود المضروبة في بعض المدن السورية . وهو يقابل الإله (زيوس) (Zeus) عند اليونان^٥ .

ويراد بـ (Decapolis) الحلف المؤلف من عشر مدن ، تحالفت لدفع غزو القبائل لها . ويظهر أنه ظهر الى الوجود في القرن الأول للميلاد . والمدن المذكورة هي : (Pella) و (Scythopolis) و (Dion) و (Gerasa) و (Philodelfhia) و (Gadara) و (Raphana) و (Kanatha) و (Hippos) و (دمشق) . وقد انضمت اليه مدن أخرى بين حين وآخر . فلكون أرض هذا الحلف ممتدة من دمشق الى الجنوب الشرقي لبحر الجليل (Sea of Galilee)^٦ .

ومدينة (Eboda) ، هي (عبدة) (العبد) في (العربية الحجرية) (Arabia Petraea)^٧ . وقد أشار (بطلميوس) الى أن (Eboda) = (Oboda) و (Gerasa) و (Gypsaria) و (Lysa) هي من مدن (العربية الحجرية) ، وجعلها بعضهم من (النقب)^٨ . وتقع خرائب (عبدة) في جنوب (بئر السبع) (Beerscheba) وفي غرب (بطرا) وفي جنوبها سبخ ، غير أن من المشكوك

-
- ١ عن (اربد) ، البلدان ، (١٧٠ / ٨) ، بلدانية فلسطين (ص ٥) ،
Provincia, III, S., 265, Hill, P. XXXI.
 - ٢ Hill, P. XXXI.
 - ٣ Hill, P. XXXI, Provincia, III, S., 264.
 - ٤ Hill, P. 28.
 - ٥ Hill, P. XXXI-XXXII, 28.
 - ٦ Hastings, P. 183.
 - ٧ Provincia, III, S., 268, Hill, P. XXXII.
 - ٨ Provincia, III, S., 268, REV. Bibl., 1904, PP. 403, 1905, PP. 74.

فيه أن تكون هذه السباح موضع (Ge'ham Maleh) ، أي وادي الملح^١ . وأما صنم (Eboda) ، فقد عرف باسم (زيوس عبودة) (Zeus Oboda)^٢ .

وأما (Esbu) ، فإنها (حشبون) (Heshbon) في التوراة ، وتعرف اليوم بـ (حسان) ، وتقع بين (فيلادلفيا) (عمان) و (مأدبا) ، وعلى مسافة (٢٦) كيلومتراً من شرق النهاية الشمالية للبحر الميت في صعيد (موآب)^٣ . وهي من مدن العربية القديمة الشهيرة^٤ . وفي التوراة أنها كانت من مدن (الموآبيين) ثم استولى عليها الملك (سيحون) ملك (الأموريين) وجعلها عاصمة له ، ثم تغلب عليها الاسرائيليون ، ثم استعادها (الموآبيون)^٥ . والظاهر أنها كانت من مدن النبط ، ثم دخلت أخيراً في أملاك الرومان فالبيزنطيين . ولا تزال آثار المدينة القديمة باقية حتى الآن . وأما النقود التي ضربت فيها، فهي من أيام (Elagabalus) وبعضها من عهد (كركلا) (كاركلا) (Caracalla) . ويظهر من بعض النقود أنها كانت تعرف أيضاً بـ (Aurelia)^٦ . و (Gerasa) هي (جرش) في الزمن الحاضر ، ونسبها (ياقوت الحموي) الى رجل زعم أن اسمه هو (جرش بن عبد الله بن عليم بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر ابن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن ربيعة بن ثور بن كلب بن وبرة)^٧ . وتقع عند الحافة الجنوبية الشرقية لسلسلة (عجلون) ، ولا يعرف أصلها ومبدأ تأريخها على وجه التحقيق . ولم يرد اسمها في التوراة^٨ . وقد أشير إليها في كتب (الحديث)^٩ .

١ Musil, Hegaz, P. 253, 255.

٢ Hill, P. XXXII.

٣ قاموس الكتاب المقدس (٣٧٤/١) ،

Hill, P. XXXII, Reallexikon, VI, S., 613, Musil, Petraea, I, P. 383.

٤ Ency., Bibl., P. 2044.

٥ العدد ، الاصحاح ٢١ ، الاية ٢٥ وما بعدها ، الاصحاح ٣٢ ، الاية ٣٧ ، اشعيا ، الاصحاح ١٥ ، الاية ٤ ، والاصحاح ١٦ ، الاية ٨ وما بعدها ، وارميا ، الاصحاح ٤٨ ، الاية ٢ ، ٣٤ ، ٤٥ ، والاصحاح ٤٩ الاية ٣ .

٦ Hill, P. XXXIII, Hastings, P. 346.

٧ البلدان (٨٥/٣) ، بلدانية فلسطين (٥٢) .

٨ Ency., I, P. 1017, Hastings, P. 290.

٩ اللسان (٢٧٢/٦) .

ويظن بعض الباحثين أنها (راموت جلعاد) (Ramoth-Gilead) المذكورة في العهد العتيق^١ . ويظهر أنها من المدن التي عرفت بعد عهد (اسكندر الكبير) ، وقد استولى عليها (اسكندر ينيوس) (اسكندر جنيوس) ملك (يهوذا) ، ثم تحررت من اليهود في عهد (بومبيوس) ، وألحقت بكورة (سورية الرومانية) ، ثم أضافها (تراجان) في عام (١٠٦) بعد الميلاد الى (الكورة العربية) ، وضمت بعد ذلك الى كورة (فلسطين الثانية) (Palestina Secunda) أي الأردن^٢ .

وكانت (جرش) مركزاً لعبادة الإله (ارتيمس) (Artemis) ، وهو (ديانا) (Diana) عند الرومان ، وابنة (زيوس) (Zeus) و (ليتو) (ليطو) (Leto) عند الإغريق^٣ ، كما كانت أسقفية معروفة قبل الإسلام ، وتشاهد آثار كنائس ومباني رومانية وبيزنطية ونبطية. لا تزال باقية حتى اليوم^٤ .

وأما (Medaba) = (Medeba) ، فهي (مآدبا) وهي (ميدبا) في التوراة. وهي من أقدم مدن (موآب) ، وقد ذكرت في سفر (العدد) مع (حشبون) و (ديبون)^٥ . وكانت في أيدي (العمونيين) في ملك (داود) . وفي أيام (أشعيا) عادت الى يد (موآب)^٦ . وفيها قتل (يوحنا مكابيوس) (يوحنا المكابي)^٧ . وسبق أن ذكرت أن (بني يمرى) (Bne-Imri) = (Bne-Amri) قتلة (يوحنا) كانوا من سكان (ميدبا) (مآدبا) ، وهم من العرب . وقد جعلها (بطليموس) في جملة مدن (العربية الحجرية)^٨ . أما (أويسيوس) (Eusebius) و (جيروم) ، فذكراها في جملة مدن (العربية)^٩ . وتقع خرائب تلك المدينة القديمة على مسافة (١٤) ميلاً شرقي (بحر لوط) ، وهي مبنية على رأس تل وحوله ، وفيه آثار المدينة القديمة . والى الجهة الجنوبية منها

Hastings, P. 290. ١

Ency., I, 1017, Schürer: Geschichte des jüdischen Volkes, II, S., 182. ٢

Hastings, P. 290, Harvey, P. 52. ٣

Ency., I, P. 1017. ٤

عدد ، الاصحاح ٢١ ، الآية ٣٠ . ٥

اشعيا ، الاصحاح الخامس عشر ، الآية ٢ . ٦

قاموس الكتاب المقدس (٣٩٧/٢) . ٧

Ptolemy, V, 17, 6, VIII, 20, 20, Ency. Bibl., P. 3003. ٨

Eusebius, 138, 32, 279, 13, Ency. Bibl., P. 3003. ٩

بركة ، والى الشرق والشمال برك أخرى . وتوجد آثار هيكل كبير بينها عمودان واقفان^٢ . ومن أنفس ما عثر عليه في هذه المدينة القديمة خارطة من (الموزاييك) الفسيفساء (Mosaic) لفلسطين النصرانية ومصر^٣ ، كما عثر فيها على نقود من أيام الرومان واليونان^٤ . وقد ازدهرت بعد الميلاد : فصارت مركز (أسقف) ، ومثلث في مجمع (خلقيدون) (Chalcedon)^٥ .

وأما (فيلادلفيا) (Philadelphia) ، فهي (ربة) و (ربة بني عمون) (Rabbath — Bene — Ammon) في التوراة . وهي في (جلعاد) بالقرب من مخرج نهر (يبيوق) وعاصمة (بني عمون)^٦ . وذكر (اصطيفانوس البيزنطي) أنها كانت تعرف بـ (Astarty) . وقد يكون لهذا القول أصل ، فقد ورد في بعض الكتب ان من مدن (سورية) مدينة عرفت بـ (Asteria) ، وللتسميتين علاقة بالصنم (عشتروت) (Asteria)^٧ . وعلى أنقاض هذه المدينة القديمة تقع (عمان) عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية . وأما سبب تسميتها بـ (فيلادلفيا) ، فلتجديد بنائها وإعادة تعميرها في عهد (بطلميوس فيلادلفوس) (Ptolemy Philadelphus) (٢٨٥ — ٢٤٧) قبل الميلاد فعرفت به^٨ . وصارت من أشهر مدن (Decapolis)^٩ . وقد انتزعها (أنطيوخس أبيفانوس) (Antiochus Epiphanes) من (بطلميوس فيلوباتر) (بطلميوس فيلوباتر) (Ptolemy Philopater) في سنة (٢١٨) قبل الميلاد^{١٠} ، وكان يحكمها في أيام (هركانوس) ملك (يهوذا) (١٣٥ — ١٠٧) قبل الميلاد ، حاكم اسمه (زينو كوتيلوس) (Zeno Cotyles)^{١١} .

- ١ قاموس الكتاب المقدس (٣٩٨/٢) .
- ٢ Ency. Bibli., P. 3003, Hastings, P. 596, Clermont Ganneau, in: Recuell D'Archeol. Orient., XI, P. 161, 1897), A. Jacoby, Das geogr. Mosaik von Medaba, 1905, Musil, Petraea, I, PP. 113.
- ٣ Hill, I, XXXV, 33.
- ٤ قاموس الكتاب المقدس (٣٩٧/٢) ، Hastings, P. 596.
- ٥ قاموس الكتاب المقدس (٤٧٣/٢) .
- ٦ N. Glueck: The River Jordan, 1946, P. 839, 93, 189, Hill, P. XXXIX.
- ٧ Hastings, P. 780, Ency., Bibli., P. 3998.
- ٨ N. Glueck, P. 48, 89, 175, 189, Ency. Bibli. P. 3998.
- ٩ Polybius, (Polubios), 5, 17, Ency. Bibli., P. 3998
- ١٠ Josephus, Antiq., XIII, 8, I, 15, 3, Ency. Bibli., P. 3998.

وكانت بأيدي النبط في سنة (٦٥) قبل الميلاد^١.

وتنسب (فيليب بولس) (Philippopolis) ، وهي (شعبة) (شعبة) في الزمن الحاضر^٢ ، وتقع على مسافة سبعة كيلومترات شمال (القنات) الى (فيليب) (فيلفوس)^٣ المعروف بالعربي (M. Julius Philippus Arabus) (٢٤٤ - ٢٤٩ م)^٤ . وقد عرف بالعربي لأنه كان عربي المولد^٥ . وكان قد نشأ وترعرع في (بصرى) ، ثم دخل الجيش الروماني وتقدم فيه ، وأصبحت له مكانة كبيرة أوصلته الى أعلى مراتب الدولة ، وهي (قيصر)^٦ .

ويرى بعض الباحثين انه أنشأ هذه المدينة في سنة (٢٤٨) بعد الميلاد أو بين (٢٤٧) و (٢٤٨) بعد الميلاد . ويرى (كوبيجك) (Kubitschek) انه أسسها في عام (٢٤٤) ، أي قبل ذهابه الى (رومة)^٧ . وجعلها في درجة (مستعمرة) (Kolonia) = (Colonia) رومانية . ولا تزال أنقاض هذه المدينة باقية حيث تشاهد آثار معابدها وشوارعها وبعض أبنيتها ومسرح وغير ذلك مما جاء وصفه في كتاب : (Die Provincia Arabia)^٨ ، كما عثر فيها على كتابات ورد فيها اسم (القيصر) (فيليب)^٩ ، كما عثر فيها على نقود^{١٠} .

وأما (Rabbathmoba) ، وتعرف في اليونانية باسم (Areopolis) ، فلانها (ربة) (ربا) ، وهي مدينة بنيت في عهود الرومان المتأخرة على رأي بعض الباحثين^{١١} . وقد عثر فيها على نقود ضرب عليها اسم (سبتيميوس سويروس) وأسرته . ويظن أن الصورة الرمزية المضروبة على عدد من نقود (ربة) تشير إلى

-
- | | |
|--|----|
| Ency. Bibl., P. 3998. | ١ |
| Provincia, III, S., 145, 147. | ٢ |
| (فيلفوس) الطبري (٦٩٤/١ ، ٧١٩) ، فهرست تأريخ الطبري ، عمل (دي غويه) (ص ٤٥٤) . | ٣ |
| Hill, P. XXXIX, Die Araber, II, 4. | ٤ |
| The Historians' History of the World, Vol., VI, P. 412. | ٥ |
| Leopold von Ranke: Weltgeschichte, BD., 5, S., 163, | ٦ |
| Hill, P. XIII, Provincia, III, S., 305. | ٧ |
| Hill, P. XII, Provincia, III, S., 305. | ٨ |
| Hill, P. XIII. | ٩ |
| Provincia, III, S., 145. | ١٠ |
| Hill, XIII, Provincia, I, S., 55, Burckhardt, 377, H.B. Tristram: The Land of Israel, 110. | ١١ |

إله لعله الإله (Kemosh) أو إلى معبده الخاص به ، على نحو ما رأينا في بعض النقود من ذكر (متاب) ، وهو معبد (دوشري) ليرمز إلى الإله^١ . ويرى بعض الباحثين أن (Kemosh) هو إله الحرب^٢ .

ومن مدن الكورة العربية الأخرى : (Sodoma) ، ولعلها (الزوراء)^٣ ، و (السويداء) (Dionysias) ، و (Beretana) ، وقد وردت أسماءها في مجمع (نيقية) . وقد ألحقت (السويداء) بالكورة العربية في أيام (سويروس) و (Adrama) و (Constantine) و (Neapolis) ، وقد وردت أسماءها في جملة الأسماء المدونة في أعمال مجمع (القسطنطينية) المنعقد عام (٣٨١) للميلاد^٤ . و (Ziza) و (Dia-fenis) و (Tricomia) و (Areopolis) و (Canotha) و (Nela) و (Zerabena) و (Anitha) و (Eutymia) و (Chrysopolis) و (Erra) و (Neve) و (Maximianopolis) و (Phaena) و (Aena) ، وقد وردت أسماءها في سجلات أعمال مجمع (خلقدون) (خلقيدون) (Chalcedon) (٤٥١ م)^٥ .

وذكر (بطلميوس) أسماء مواضع أخرى يقع بعضها في النقب (Negeb) = (Negev) غرب (العربية)^٦ . وسجلت في (Notitia Dignitatum) أسماء (Motha) ، وهي : (أمنان) (Speluncae) ، وهي (دير الكهف) ، و (Mefa) و (Gadda) وهي (خو) ، و (Betthoro) و (Dia-Fenis) و (Auatha) و (Gomotha) و (Libona) و (Naarsafari) و (Thainatha) و (Adittha) وهي (الحديد) و (Asabaia) و (Ultha) و (Uade Afar) و (Castra) و (Arnonensia)^٧ ، على أنها من مواضع الكورة العربية . وهناك أماكن أخرى ذكرت أسماءها في كتاب : (Die Provincia Arabia) ، قد يخرجنا تعدادها عن

Hill., P. XIII.	١
Hill, XIII, Baethgen: Beiträge zur Semit. Religionsgeschichte, S., 14.	٢
Provincia, III, S., 253.	٣
Provincia, III, S., 252, 353.	٤
Provincia, III, S., 263, Harduin, Kritische Angabe der Unterschriften von Geltzer, Leipzig, 1893.	٥
Provincia, III, S., 256, Ptolmey, V, 16.	٦
Provincia, III, S., 256, Notitia Dignitatum. Ori., 37.	٧

أصل الموضوع^١ .

وقد أوكلت مهمة المحافظة على الأمن في (الكورة العربية) الى الكردوس (اللجيون) (Legion VI Ferrata) الروماني الذي كان معسكراً منذ أمد في (سورية) ، فصدر الأمر اليه في سنة (١٠٦) للميلاد على ما يظهر بنقل مقره من شمال سورية الى هذه الكورة الجديدة التي أنشأها (تراجان)^٢ . ثم نقل مقره في أيام (هدريانوس) (Hadrianus) الى (اللجون) (Caparconta) في (الجليل) (Galilee)^٣ . وفي أيام (هدريانوس) أيضاً وفي سنة (١٣٥) للميلاد وهي سنة استيلائه على القدس وإخماده الثورة التي قامت في (اليهودية) أمر بإنشاء (Aelia Capitolina) . لأغراض عسكرية على ما يظهر^٤ .

ويرى بعض الباحثين أن الكورة العربية قد قسمت في القرن الثالث للميلاد وفي (ديوقليطيان) (ديوقليطيانوس) (Diocletianus) = (Diocletian) الى كورتين : كورة شمالية عاصمتها (بصرى) وعرفت بـ (كورة بصرى) (Provincia Bostrom) ، وكورة جنوبية وعاصمتها (بطرا) وعرفت باسم (كورة بطرا) ، وبعبارة أصح (الكورة الحجرية) (Provincia Petrae) ، وتعرف بـ (العربية) أيضاً^٥ .

أما في القرن الرابع وفي حوالي سنة (٣٠٧) للميلاد تقريباً ، فقد اقتطعت منها بعض المدن ، مثل (أيلة) و (Phainon) ، وألحقت بفلسطين ، وبذلك تقلصت (Praeses Arabiae) وتوسعت رقعة فلسطين (Praeses Palaestinae) كثيراً . ويظهر أن الضرورات العسكرية هي التي دفعت الى أحداث هذه التغيرات^٦ .

وحدثت تغيرات أخرى في (الكورة العربية) في القرنين الخامس والسادس

Provincia, III, S., 253. ١

The Quarterly of the Department of Antiquities in Palestine, Vol., II, III, 121, Harvard Excavations at Samaria, 1908-1910, I, 251, I, II, Plate 59. ٢

The Quarterly, II, III, P. 121, 1933. ٣

The Quarterly, II, III, P. 120. ٤

Provincia, III, 271, Mommsen: Verzeichnis der Römischen Provinzen, S., 501. ٥

Provincia, III, S., 275. ٦

للميلاد، فانتزعت منها مدن أخرى ألحقت بـ (فلسطين الثالثة) (Palestina Tertia) وتعرف أيضاً بـ (Palestina Salutaris)^١ .

أهل الكهف والرقم:

ولا بد لي وقد انتهيت من الحديث عن النبط وعن (الكورة العربية) من الكلام عن أهل الكهف والرقم ، الذين ذكروا في القرآن الكريم : « أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقم كانوا من آياتنا عجباً »^٢ . إذ ذهب بعض علماء التفسير الى أن الرقم واد دون فلسطين فيه الكهف ، وهو قريب من (أيلة) . كان اليهود قد أوحوا الى المشركين من أهل مكة، أن يسألوا الرسول عنهم ، امتحاناً له . وكانوا يتداولون أخبارهم ، ويروون قصصاً عنهم ، كان شائعاً فاشياً اذ ذاك بين النصارى أيضاً ، فجاء الجواب عنهم في سورة (الكهف)^٣ . وهناك من زعم أن (الرقم) على فرسخ من (عمان) ، أو قرية صغيرة بالقرب من البحر الميت ، أو أنها (البتراء) : وذلك بالإضافة الى روايات أخرى رجعت مكان (الكهف) الى (أفسس) (أفسوس) ، بالأناضول ، أو الى أماكن أخرى لا داعي الى ذكرها في هذا المكان ، لعدم وجود علاقة لها بهذا البحث . وقد بحث عنها المتخصصون ، كما قامت بعثات آثارية بالبحث عن كهف (أهل الكهف) في الأماكن المذكورة ، للتأكد عما جاء عنه في الموارد النصرانية والاسلامية ، فإليها أحيل من يريد التبسط في الكلام عنه^٤ .

١ Provincia, III, S., 280.

٢ سورة الكهف ، الآية ٩٠ .

٣ تفسير الطبري (١٢٦/١٥ وما بعدها) ، (طبعة بولاق) ، تفسير النيسابوري (١١٦/١٥ وما بعدها) ، (حاشية على تفسير الطبري ، طبعة بولاق) ، تفسير القرطبي (٣٥٦/١٠ وما بعدها) ، تفسير ابن كثير (٧٣/٣) .

٤ راجع دائرة المعارف الاسلامية ، Encyclopedia of Islam ، ومجلة : Review de Qumran, Vol. 5, No. 18, 1965. وما كتبه (ماسنيون)

و (بارنيوس) Baronius و (تاليمونت) Talimont عن الكهف . واشكر دائرة الآثار بعمان في المملكة الاردنية الهاشمية لتفضلها علي بإرسال صورة كتابة (بشر ام الرجوم) ، ومقال يقع في (٣) صفحات للسيد رفيق وفا الدجاني عنوانه : كهف ، أهل الكهف في الرقيب ، وذلك بكتابها المرقم بـ ١٤-١٩٥٨-١٩٥٨ والمؤرخ لـ (١٨-٨-١٩٦٦ م) .

ولقد تبين الآن ان الكتابات المدونة عند مدخل (الشق) في (البتراء) ، لا صلة لها بأهل الكهف ، وانما كتبت تخليداً لذكرى جماعة من اليونان البارزين جاءوا من (جرش) فوافاهم أجلهم بـ (البتراء) ، ماتوا قبل (أصحاب الكهف) بأمد . وقد شرح تلك الكتابات (ستاركي) (Starkey)^١ . وذهب الباحثون في (دائرة الآثار في المملكة الأردنية الهاشمية) الى أن كهف (أهل الكهف) ، هو (كهف الرجيب) ، وهو على مقربة من قرية صغيرة تدعى (الرجيب) ، وجدت بداخله مدافن يرجع عهدها الى زمان القيصر (ثيودوسيوس الثاني) (Theodosius II) (٤٠٨ - ٤٥٠ م) ، الذي في زمانه كان بعث أهل الكهف . وذهبوا الى ان اسم هذا الموضع في القديم هو (الرقيم) ، تحول الى (الرجيب) فيما بعد . وأيد هذا الرأي الأستاذ (هج نيلي) (Hugh Nilley) الذي زار الموضع ودرسه ، وكتب مقالاً عنه^٢ .

وذهب من رأى ان كهف الرجيب هو (كهف أهل الكهف) ، الى أن دخول الفتية الكهف ، كان في أيام الطاغية (تراجان) (٩١ - ١١٧ م) المشهور ، فاتح (الكورة العربية) ومؤسسها والآمر بإنشاء الممر الحربي المعروف باسم (طريق تراجان) وباني مدينة (أيلة) الرومانية وصاحب الملعب الروماني والآثار العديدة للمباني التي أقامها بعمان وبمدين أخرى من الأردن . وقد كان شديداً عاتياً قاسياً على النصراني ، عدتهم خوة مرقه خارجون على الدولة والقانون لذلك أصدر أمره سنة (١١٢ م) بقتل كل نصراني لا يخلص للقيصر والدولة ، فخاف منه النصراني وتكتموا ، وكان من جملة من تكتم وانزوى (أصحاب الكهف)^٣ .

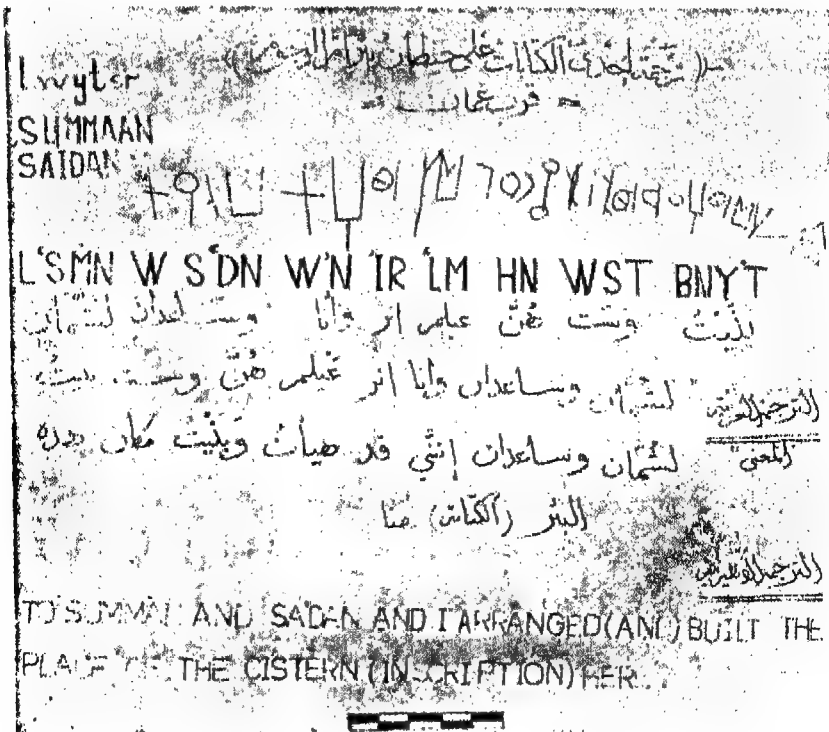
ووجدت البعثة الأميركية لمدرسة الأبحاث الشرقية بالتعاون مع دائرة الآثار الأردنية في موضع (أم الرجوم) الواقع على بعد (١٥) كيلومتراً شمال (عمان) ،

١ (ص ٢) من مقال السيد رفيق وفا الدجاني ، المرسل الي ، وهو يشير الى الجزء العاشر من حويليات دائرة الآثار .

٢ من مقال السيد رفيق وفا الدجاني ، المرسل لي بكتاب دائرة الآثار الاردنية المشار اليه ، وقد اشار الى مجلة Review de Qumran, Vol., 5, No : 18, 1965.

٣ المصدر المذكور .

آثار بشر قديمة استدل من كتابة عثر عليها مدونة على جدارها أنها تعود الى ما قبل الميلاد . وأن الموضع المذكور هو حصن من الحصون التي كانت تدافع عن مدينة (ربة عمون) ، عاصمة مملكة (عمون) ، التي عاشت بين القرن الثالث عشر والقرن السادس قبل الميلاد . و (ربة عمون) ، هي (عمان) العاصمة



هذه صورة الكتابة التي دونها الباحثون لكتابة بشر ام الرجوم
أعدها لي دائرة الآثار الأردنية بعمان ، فلها شكري

الآن . وقد كتبت الكتابة بخط مشتق من القلم العربي الجنوبي ، يظن البعض أنها من كتابات القرن السابع قبل الميلاد .
ويظهر من هذه الكتابة المهمة ، أن أصحابها كانوا يكتبون بقلم قريب من

القلم المسند ، وقريب من القلم اللحياني والشمودي والصفوي ، وأن لهجتهم كانت لهجة عربية ، أي ان أصحابها من العرب . وقد كتبوها لمناسبة إقامة تلك البشر التي حضرها وهياها (شمان) و (سمان) و (ساعدن) (سعد) (ساعد) وهما أصحاب هذه الكتابة والبشر .

١ كتاب دائرة الآثار الاردنية المؤرخ لـ ١٨-٨-١٩٦٦ م والمرقم بـ (٢-١٤-٤-١٩٥٨) .

الفصل الخامس والثلاثون

مملكة تدمر

ويتصل الحديث عن النبط بالحديث عن مكان آخر له علاقة بهم أيضاً ، هو (تدمر) المعروف بـ (Palmyra) عند الغربيين الذين ورثوا هذه التسمية عن الرومان واليونان . وهو (تدمر امور) المذكور في كتابة من كتابات (تغلت فلاصر الأول) (Tiglat-Pileser I) = (Tiglath-Pile) (١١١٧-١٠٨٠ ق.م.)^١ على رأي بعض الباحثين . وقد ورد اسم المدينة وهو (تدمر) في عدد من الكتابات كما ورد اسم علم للأشخاص .

وقد رأى بعض الباحثين ان (Palmyra) من لفظة (Palma) اللاتينية ومعناها (نخل) (نخلة) ، وان الاسكندر ذا القرنين لما تغلب عليها أطلق عليها (Palmyra) أي مدينة النخل ، وذلك لما يكتنفها من غابات النخل العظيمة ، فعرفت عند اليونان واللاتين منذ ذلك الحين بهذا الاسم^٢ . غير ان هذا رأي يحتاج الى اثبات ، فليس لدينا دليل من عهد الاسكندر يؤيد هذا القول . وليست لدينا حجة دامغة تثبت وجود النخل في هذه المدينة اثباتاً يستوجب تسمية الموضع

1 Ency., Vol., III, P. 1020, Hommel, in ZDMG., XIIIV, 547, Syria, Revue d'Art Oriental et d'Archéologie, Tome, VII, Paris, 1926, P. 77, Dhorme: Palmyre dans les Textes Assyriens, Revue Biblique, 1924, PP. 106, Ency. Brita., Vol., 17, P. 161, Reallex., I, IV, S., 280.

2 قاموس الكتاب المقدس (٢٨٢/١) ، Ency., III, P. 1020.

وعلى كل حال ، فإن الذي نستنبطه من قصة إضافة (تدمر) الى المباني التي نسب بناؤها الى سليمان ، هو أن هذه المدينة كانت قد اكتسبت شهرة في أيام تدوين أسفار (أخبار الأيام) وأنها كانت مدينة عامرة شهيرة فيما بين السنة (٣٠٠) و (٢٠٠) قبل الميلاد^١ .

ويجوز أن تكون الشهرة التي اكتسبتها مدينة (تدمر) (تدمر) في أيام كتبة أسفار (أخبار الأيام) هي التي حملتهم على إضافتها الى أعمال (سليمان) ، لأنها (بمباني سليمان) أليق وأنسب من موضع صغير هو (تمار) ، فأضافوا هذه المدينة الشهيرة اليه ، لتدل على شهرته وعلى مدى بلوغ ملكه في أيامه . وقد أضيف الى ملك سليمان على هذا النحو من الإضافات ما لا تصح إضافته اليه ، وبولغ في ملكه وحكمه في الأيام القديمة التي تلت أيامه ، لأنه كان من أشهر ملوك (بني اسرائيل) ، حتى صارت أخباره من قبيل الأساطير .

وذهب المؤرخ اليهودي (يوسفوس فلافيوس) هذا المذهب أيضاً، فنسب بناء (تدمر) الى (سليمان)^٢ . أخذ رأيه هذا من هذا الموضع من التوراة بالطبع ، ومن الروايات التي وصلت اليه وكانت قد ظهرت قبله ، للسبب المذكور .

أما الروايات العربية ، فهي لا تفيد علماً ولا تصلح أن تكون دليلاً ، فهي روايات متأخرة دخلت الى المسلمين من أهل الكتاب ، أشاعها وروجها أمثال (ابن الكلبي) بين الأخباريين ، فأخذوها بغير تحقيق ولا تدقيق . وقد ذكر (ياقوت الحموي) أن قوماً يزعمون أنها مما بنته جن سليمان ، وأن أهل تدمر يزعمون أن ذلك البناء قبل سليمان بزمان^٣ .

ولدينا أبيات نسبت الى (النابغة الذبياني) تتضمن أسطورة بناء جن سليمان لتدمر ، امثالاً لأمره الذي أصلره إليها ، فقد نسب اليه قوله :

Hastings, P. 889, Die Araber, I, S., 344.

Hommel, in ZDMG., XLIV, 547, Ency., III, P. 1020, P. Dhorme. Palmyre dans les Textes Assyriens, in: Revue Biblique, 1924, PP. 106.

البلدان (٣٦٩/٢) ، (ثم عاد الى الشام ، فوافى تدمر ، وكانت موطنه) ، (ملك سليمان) ، الأخبار الطوال (٢٠) .

إلا سليمان إذ قال الإله له ، قم في البرية فأحدها عن الفند
وجيش الجن اني قد أمرتهم^١ يبنون تدمر بالصفايح والعمد^٢

ولا يصلح شعر النابغة ولا أمثاله من شعراء الجاهلية أن يكون حجة في بناء
(سليمان) لتدمر . فمن الجائز أن يكون النابغة أو غيره ، قد أخذ فكرته هذه
من أهل الكتاب ، ومن الجائز أن يكون هذا الشعر من وضع الوضاعين نسبه
إليه . وقد وضعت أشعار في الاسلام ونسبت إلى الجاهليين ، وإلى آدم وهاييل
وقايل والجن وابليس .

وبين الأخباريين من ينسب بناء (تدمر) إلى (تدمر بنت حسان بن أذينة
ابن السميدع بن يزيد بن علقم بن لاوذ بن سام بن نوح) . وذكروا قصة تفيد
عثورهم على قبر (تدمر بنت حسان)^٣ . وقد أعجبوا بينائها ووصف الشعراء
صورتين جميلتين من بقية صور كانت فيها . وقد حاصرها خالد بن الوليد ثم
ارتحل عنها فبعث أهلها رسلاً وصالحوه على ما أدوه له ورضي به^٤ . أما قصة
العثور على قبر في تدمر ووجود جثة فيه ، فأمر ليس ببعيد ولا بغريب . وأما
قصة (تدمر بنت حسان) ونسبها والكتابة التي على قبرها ، فهي من وضع
الأخباريين والقصاص ولا شك^٥ .

وقد أشار (بلنيوس) (بلينيوس) إلى مدينة (Palmyra) ، وهو أول
كاتب (كلاسيكي) عرض لها ، فذكر أنها مدينة شهيرة ، ولها موقع ممتاز ،
أرضها خصبة ، وبها يتايع وعيون ، تحيط بحداثتها الرمال . وقد عزلتها الطبيعة
عن العالم ببادية واسعة الأطراف ، بعيدة المسافات ، وتقع بين انباطوريتين
عظيمتين انباطورية (رومة) ، وانباطورية (القرث) (Parthia) ، ولهذا

١ (وخيس الجن . اني قد أذنت لهم) ، اللسان (خ/ي/س) ، معجم ما استعجم
(١٩٤/١) ، (وستنفلد) ، البلدان (٣٦٩/٢) ، المشرق ، السنة الأولى
العدد ١١ ، حزيران ، ١٨٩٨ م (ص ٤٩٦) ، مروج الذهب (٢/٢٤٤) ،
(دار الاندلس) ، (ذكر الاخبار عن بيوت النيران ، وغيرها) .

٢ البلدان (٣٦٩/٢) ، معجم ما استعجم (١٩٤/١) .

٣ البلدان (٣٧١/٢) .

٤ Lidzbarski, Ephemeris, I, S., 207.

استرعت أنظار الدولتين^١ . وورد اسمها في كتب (الكلاسيكيين) الذين عاشوا بعد (بلينيوس) مما يدل على ازدياد شهرة هذه المدينة بعد الميلاد^٢ .

ويعود الفضل في حصولنا على معارفنا التاريخية عن تدمير الى الكتابات التدمرية التي درسها المستشرقون وترجموها الى لغاتهم وشرحوا ما جاء فيها ، وهي بالإرمية واليونانية ثم اللاتينية والعبرانية ، نشرت في كتب خاصة وفي كتب الكتابات السامية وفي ثانيا المجلات^٣ ، والى كتب المؤلفين اليونان واللاتين والسريان . من هذه الموارد الرئيسية استقى المؤرخون معارفهم عن تأريخ هذه المدينة ، تضاف اليها موارد ثانوية ذكرت (تدمر) عرضاً لوجود مناسبة دعت الى ذلك مثل سجلات المجامع الكنسية والتلمود .

أما تأريخ المدينة فلا نعرف من أمره شيئاً يذكر يعود الى ما قبل الميلاد . وأكثر ما كتب عن مدينة (تدمر) يعود الى ما بعد الميلاد .

وكان غالبية أهل (تدمر) برغم كتابة أمورهم بالإرمية وبالقلم الإرمي من العرب على رأي أكثر الباحثين ، شأنهم في ذلك شأن نبط (بطرا)^٤ . وهم يرون ان القبائل العربية التي أخذت تستولي على المناطق الحصينة الواقعة في شرقي أرض (كنعان) ، بعد سقوط الدولة البابلية ، كتبوا بالإرمية، لأنها كانت لغة الكتابة

Pliny, Nat. Histo., V, XXI, 88, William Wright, An Account of Palmyra and Zenobia with Travels and Adventures in Bashan and the Desert, London,

Wright : 1896, P. 110. ويكون رمزه :

Ency. Bibl. P. 4886.

راجع الموارد الآتية فيما يتعلق بكتابات تدمر :

Répertoire d'Epigraphie Sémitique, Corpus Inscriptionum Latinarum, Corpus Inscriptionum Graecarum; Cantineau. Inventaire des Inscriptions de Palmyre, Beyrouth 1930; Littmann: Semitic Inscriptions, Part IV of «The Publications of an American Archeological Expedition to Syria in 1899-1900»; Sabernheim: Palmyrenische Inschriften, in: Mitteilungen der Vorderasiatischen Gesellschaft, 1905; De Vogue: Syrie Centrale — Inscriptions Sémitiques, 1868; J.B. Chabot: Notes d'Epigraphie d'Archéologie Orientales, in: Journal Asiatique, 1897-1901; Cooke: Textbook of North Semitic Inscriptions; Syria, Tome XIV, 1933, PP. 158, 169; Cantineau: Inscriptions Palmyrennes, Damas 1930; Fr. Rosenthal: Die Sprache der Palmyrenischen Inschriften.

Fr. Rosenthal, Das Sprache der Palmyren Inschriften.

والثقافة في المنطقة الواسعة الواقعة غربي الفرات^١. وتظهر في بعض الكتابات بعض المصطلحات والكلمات العربية الأصلية ، كما نجد فيها أسماء أصنام عربية مع أصنام لإرمية^٢ . وبالجملة فإن في (تدمر) ثقافة هي خلاصة جملة ثقافات : عربية وإرمية ويونانية ولاتينية، وأقدم كتابة عثر عليها فيها لا يتجاوز تأريخها سنة (٣٠٤) من التأريخ السلوقي ، أي سنة (٩) قبل الميلاد^٣ .

كانت تدمر عقدة من العقد الخطيرة في العمود الفقري لعالم التجارة بعد الميلاد تمر بها القوافل تحمل أثمن البضائع في ذلك الوقت . كانت على اتصال بأسواق العراق وما يتصل بالعراق من أسواق في إيران والهند والخليج والعربية الشرقية ، كما كانت على اتصال بأسواق البحر المتوسط ولا سيما ديار الشام ومصر ، كما كانت على اتصال بالعربية الغربية وبأسواقها الغنية بأموال إفريقية والعربية الجنوبية والهند . ان هذه التجارة هي التي أحيت تلك المدينة ، كما ان تغير طرق المواصلات بسبب تغير الأوضاع السياسية هو الذي شلّ جسم تلك المدينة فأقعدتها عن الحركة بالتدريج .

لقد كانت القوافل الذاهبة من العراق الى بلاد الشام ، أو القادمة من بلاد الشام الى العراق ، تمر بمدينة (تدمر) . وكان الموضع الذي تحط فيه قوافل (تدمر) هو موضع (Vologesias) = (Vologesokerta) على نهر الفرات . ومن هذا المكان تنقل التجارة الى الجهات المقصودة في العراق ، ومنه تحمل تجارة العراق بالبر الى (تدمر) فدمشق^٤ .

ويظهر من كتابة عثر عليها في إحدى المقابر أن القوافل التجارية كانت تمر في حوالي سنة مئة قبل الميلاد بمدينة (تدمر) في أثناء أسفارها بين مدينة (دورا) (Doura) والشام . وبين الطريق القديم وهذا الطريق ، تسكن قبائل عربية من سكان الخيام ، أي من النوع المعروف باسم (سكينيتيه) (Skenita) عند (الكلاسيكيين)^٥ .

Ency. Brita, 17, P. 161.

Syria, XIV, 1933, Nöldeke: Über Orthographie und Sprache des Palmyrener, in ZDMG., XXIV, 1870, S., 85.

Cooke: Northsemitic Inscriptions, No. 141, Vögue: Syrie Centrale, No. 30a,

Ency., Brita., 17, P. 162.

Die Araber, II, S., 61.

The Cambridge Ancient History, Vol., IX, P. 599.

وقد اقتضت هذه الأعمال التجارية الواسعة تكوين علاقات سياسية واقتصادية مع الفرس والرومان والروم والقبائل العربية في البادية التي لم يكن من الممكن مرور قوافلها في أرضها بسلام ما لم يتفق مع سادتها على دفع إتاوة سنوية ، أو جعل معلوم . ولضمان سلامة قوافلها ، اضطرت كما اضطرت غيرها إلى إرسال حراس معها وإلى إنشاء مواضع للحماية والاستراحة في مواضع متعددة من البادية . ونجد في الأخبار أن التدمريين جمعوا فلول أهل المدينة الذين سرحوا من الجيش الروماني أو الذين أجبرهم الاضطراب أو ضعف قادة الجيش الروماني أو عنجهيتهم على ترك الخدمة في جيش الرومان ، وألفوا منهم جيشاً درب تدريباً حسناً ، وصار قوة مقاتلة متفوقة على قوات الأعراب بما توفر عندها من حسن التدريب والطاعة والنظام ، واستطاعوا بهذه القوات من الهيمنة على أبناء البادية الجياع إلى الغزو والسلب ونهب القوافل ، ووضعوا لهم حاميات في المراكز الضرورية الحساسة . فقد ورد في الكتابات أنه كان لهذه المدينة حامية (Militia) في (عانة) (عاناتا) (Anatha) = (Anath) في عام (١٣٢) و (٢٢٥) بعد الميلاد ، وفي (الحيرة) (Hirtha) في سنة (١٣٢) بعد الميلاد وفي (دورا) (Doura) في سنة (١٦٨) و (١٧٠) للميلاد .

وقد عثر على مدافن بمقربة من القدس وجدت فيها كتابات تدمرية دوت عليها أسماء أصحاب تلك القبور ، ويظهر أنهم من جنود (تدمر) الذين التحقوا بالجيش الروماني ، وخدموا فيه ، وقد اشتركوا مع الرومان في محاصرة القدس . ويجوز أن يكون بعضهم من التجار جاؤوا إلى هذه المدينة ، فأقاموا بها للتجارة .

وقد كوّن الرومان فرقاً من الجنود التدمريين المرتزقة الذين التحقوا بالجيش الروماني ، فاستفادوا منهم في قتال القبائل الغازية بصورة خاصة وفي القتال في البوادي لخبرتهم بها ولقدرتهم على القتال في هذه المواضع وتمكنهم منها ، كما استخدموهم في قتال الفرس ومن كان في خدمتهم من الأعراب . واشتهر التدمريون في فن الرماية ، فكانوا في أيامهم من خيرة الرماة بالسهم ، ولذلك استعان بهم الرومان وألفوا كتائب منهم اشتهرت في الحروب . ولما سقطت (تدمر) احتفظ

Byrtus, Vol., III, Fasc., I, 1943, P. 25, 55, CIS. II. 3973. A. Cantineau: Syria.

XIV, 1933, PP. 179, Musil, Palmyrena, P. 234.

الرومان بهم في جيوشهم ، فاستخدموهم في حروبهم في شمال إفريقيا . وقد عثر على كتابات أثبتت انهم كانوا في جملة القوات الرومانية التي كانت في بريطانيا^١. واشتهر التدمريون بفرسانهم كذلك ، فقد ألف (أذينة) قوة من القوات الراكبة لمحاربة أعدائه ، جهزها بأسلحة واقية من دروع ومن صفائح من المعدن يلبسها الفارس من أعلى رأسه الى أسفل قدمه ، فلا يستطيع عدوه أن يناله بأذى ، كما درعت الخيل والجمال بصفائح الوقاية ، على نحو ما كان يفعله الفرس في قوافلهم الراكبة في أثناء القتال . وقد اكتسبت هذه القوات شهرة واسعة في حروبها مع الفرس والرومان^٢ .

وكان أهل تدمر خليطاً من تجار ومزارعين . أما أطرافها وحواليها ، فكانوا أعراباً ورعاة^٣ . وكانت مدينة يونانية ولكنها لم تكن مثل المدن الأخرى المتأثرة بالهيلينية في الشرق ، ولم تخضع لنظام المدن اليونانية (Greek Polis) ، وكانت خاضعة للرومان وبها حامية رومانية ، ولكن خضوعها كان في الواقع صورياً ، كما أن الحامية لم تكن شيئاً تجاه أهل المدينة والقبائل المحيطة بها . كانت المدينة بالرغم من الطابع الهليني - الروماني الذي يبدو عليها ، مدينة شرقية ، الحكم فيها في يد الأسر ذات السلطان في البلدة تحكمها في السلم والحرب . لقد خلقت الاضطرابات السياسية التي حدثت في الشرق لضعف الحكومات الكبرى وانحلالها وانقسامها الى (ملوك طوائف) جماعة من الحكام السادات (Tyrannies) تزعموا القبائل أو المدن ، وشاركوا الحكومات في الحكم . ومن هؤلاء الأسرة التي حكمت (تدمر) . والأسرة التي حكمت (حمص) (Hemesa) = (Emesa)^٤ .

وكانت في تدمر جاليات يونانية ورومانية ، أقامت فيها وفضلت السكنى فيها على المواضع الأخرى . أقامت بين أهل المدينة حتى صارت من سكان المدينة ، كما كانت فيها جاليات يهودية نزحت اليها في زمن لا نستطيع تعيينه بالضبط ، قد يكون قبل سقوط القدس في أيدي الرومان بأمد للتجارة ، قامت بأعمال التبشير بين

Enc. Brit. 17, P. 163, Cooke, NSI, PP. 250 312, Lidzbarski, Ephemeris.

II, S., 92.

Die Araber, II, S., 259.

Byrtus, Vol., III, I, 1943, P., 54, M. Rostovtzeff: Social and Economic

History of the Hellenistic World, Ch., VI, PP., 842, 852.

السكان ، فتهود أناس منهم ، ورحل قسم من هؤلاء المتهودين الى القدس ، وأقاموا فيها قبل خراب الهيكل بأمداً .

تمكنت هذه المدينة الصحراوية من رفع منزلتها من منزل منعزل في البادية تنزل به القوافل الى مكانة مدينة من الدرجة الأولى ، ومركز ديني خطير لعبادة الأصنام يحج اليه أعراب البادية، وسوق للتجارة تكدست فيه أنفس البضائع وأثمنها وتجمعت فيه رؤوس الأموال والذهب والفضة والجواهر ولا سيما بعد سقوط (بطرا) بأيدي الرومان ، وذهاب ملكهم ، فانتقلت أسواقهم الى أيدي التدمريين . وتولت قوافل (تدمر) نقل البضائع بين العراق والشأم مختربة البادية الى المرافئ العراقية على الفرات . وقد عادت هذه القوافل على المدينة بخير عميم من أجور الوساطة في البيع والشراء ومن الضرائب التي تجبها عن البضائع التي تمر بها أو تباع فيها ، والتي يحددها مجلس سادات المدينة . وتبين مظاهر هذه الثروة في المباني الجميلة المنقوشة والتي تتحدث آثارها عنها ، وفي بقايا الهياكل والأعمدة المرتفعة الجميلة المصنوعة من الحجر الصلد المصفوفة على جانب الشارع الكبير من قوس النصر المقام عند المعبد الكبير الى نهايته في مسافة لا تقل عن (١٢٤٠) ياردة ^٢ .

ولما كانت (تدمر) مدينة حياتها الأساسية بالتجارة ، صار للتجار وأرباب القوافل ولزعماء القوافل شأن خطير في الحياة الاجتماعية للمدينة ، حتى أشير اليهم في الكتابات ، حيث كثر فيها ورود ذكر (زعيم القافلة) و (زعيم السوق) ^٣ .

ومدينة مهمة لها مال وثروة وليس لها جيش ضخم قوي ولا مجال لتكوين هذا الجيش فيها ، لا يمكن أن تبقى في مأمن ومنجاة من مطامع الطامعين . ولو كانت في بقعة منعزلة وفي بادية بعيدة . فقد كان لعاب الدول القوية يسيل عند سماعها بوجود شعوب صغيرة أو حكومات مدن أو مواضع ذات ثراء ومال ، فتكتب اليها إما باعطاء ما عندها اليها ، وإما بدفع جزية ترضيها،راضية مرضية، وإما أن تمتنع فتزحف جيوشها عليها عندئذ فيكون كل ما يصل اليه يدها حلالاً طيباً ، ويكون الناس لها عبيداً وخولاً ، لا نستثنى (تدمر) من هذا الولىع

The Universal Jewish Encyclopedia, 8, P., 381.

Ency. Brita., 17, P., 162, Syria, XXIV, 1933, P., 396, «Premières Restaurations

à l'Arc Monumental de Palmyre», by Robert Amy;

Cooke; North-Semitic, PP., 274, 279.

الانساني بالحصول على الثراء السهل بالطبع . لذلك طمع فيها الطامعون من شرقيين وغربيين . طمع فيها أهل العراق ، وطمع فيها الفرس ، وطمع فيها اليونان والرومان والبيزنطيون . وكان أول طامع فيها وصل خبره اليانم الفاتحين الأقوياء هو الملك (تغلت فلاصر) (تغلات بليزر) (Tiglath — Pilezer) الأول ، تلاه جملة غزاة ورثوا الحكم والملك والتسلط في أرض الشرق الأدنى .

واذا عرفنا ان (تغلت فلاصر الأول) (١١١٧ — ١٠٨٠ ق. م.) ، كان قد استولى عليها ، فإن ذلك ينفي ما ورد في أخبار اليهود من بناء سليمان لتلك المدينة على نحو ما ذكرت . فقد جاء حكم (سليمان) بعد حكم هذا الملك الآشوري بنحو قرن ، وقد كانت المدينة قائمة قبل ذلك الملك بالطبع .

وقد صارت (تدمر) في جملة الأرضين التي أخضعها (الاسكندر) الكبير لحكمه . لحكم تلك الامبراطورية التي أراد أن يكوّنها في ذلك العالم ، ليوحد فيها الأجناس والأديان ، وليقيم مملكة واحدة على هذه الأرض . ومن عهد الاسكندر ظهر اسم (تدمر) الأجنبية ، أي (بالмира) (Palmyra) بين اليونان واللاتين^١ .

ولما انقسمت دولة (الاسكندر) قسمين ، صارت (تدمر) من نصيب (السلوقيين) على ما يظهر . ولكننا لا نعلم شيئاً عن عهد استيلائهم عليها ، ولا عن مدة بقائهم فيها . وقد حاولت (تدمر) أن تقف موقف الحياد بين (الفرث) والرومان ، وتمكنت من ذلك أمدأ ، اذ كان من مصالحة الدولتين المتنافستين وجود محل منزّل محايد، كي يتمكن تجار الدولتين من الاتجار فيه ومن التسوق منه^٢ . وقد قام أحد القادة السلوقيين ببناء حصن ليضم اليه الجنود المقدونيين في مدينة (تدمر) . فعل ذلك سنة (٢٨٠) قبل الميلاد . ولعلّ هذا الحصن ، هو واحد من سلسلة حصون أقامها السلوقيون في المواضع المهمة ذات المكانة الخطيرة من الوجهة السياسية والعسكرية والتجارية لحماية مصالحهم فيها^٣ .

ولا يعرف تأريخ خضوع تدمر للرومان معرفة أكيدة . وقد ورد في تأريخ (أفيانوس) أن (مرقس أنطونيوس) القائد الروماني بعد أن حارب الملوك

Agnes Carr Vaughan, P., 7, New York, 1967.

وسيكون رمزه : Vaughan

Vaughan, P., 8.

Freya Sterk: Rome on the Euphrates, P., 242, New York, 1967.

(الأرشكيين) ، ودارت عليه الدوائر توجه الى الشام عائداً من ثم الى (رومة). فلما قرب من (تدمر) أوفد الى أهلها رسلاً يخبرونهم أنه قاصد مدينتهم ليريح فيها جنوده من أتعاب الحرب ومشقة الطريق . وكان يريد في نفسه الاستيلاء على المدينة وأخذ ما فيها من أموال ونفائس . فأحس التدمريون بالمكيدة ، وبادروا الى نقل أموالهم وما يملكون من أشياء ثمينة ، فتعقبهم الرومان حتى أدركوهم فاقتتلوا قتالاً شديداً كانت الغلبة فيه للتدمريين^١ . أما المدينة نفسها فقد حلّ بها الخراب وأصبحت ركاماً ، وكان ذلك في حوالي سنة (٤١) قبل الميلاد^٢ .

وفي أيام القيصر (طيباريوس) (طبريوس) (Tiberius) (١٤ - ١٧ م) كانت (تدمر) في جملة الأرضين التابعة لحكم الرومان^٣ .

ونجد بين الكتابات التي عثر عليها في هذه المدينة قوائم (كمركية) تبين بعض الرسوم التي كانت تجبى عن البضائع وأثمانها باليونانية والتدمرية يعود تأريخها الى سنة (١٧) بعد الميلاد^٤ .

ويظهر من قائمة الضرائب التي وضعت في أيام (جرمانيكوس) (Germanicus) (١٧ - ١٩ م) لجبايتها عن البضائع التي ترد دوائر (كمارك) المدينة ، وفي أيام (دوميطيوس كوربواو) (Domitius Corbulo) (٥٧ - ٦٦ م) أن مدينة (تدمر) كانت في نفوذ وحكم (رومة) في العصر الأول للميلاد . وقد كانت تابعة للرومان في أيام الأنباطور (فيسبسيان) (Vespasian) (٦٠-٧٩م) . غير أن هذا لا يعني أنها كانت خاضعة للرومان خضوعاً تاماً ، وأن الاشراف على شؤون المدينة كان كله بأيدي موظفي (رومة) ، بل كان ذلك اشرافاً عاماً ، أما الادارة، فكانت بأيدي أهل المدينة^٥ . وأن الحكم الروماني لم يتدخل في أمورها تدخلاً فعلياً . حتى ان الرومان سمحوا للمدينة الاحتفاظ بحامياتها (Militia) التي

١ المشرق ، السنة الاولى ، العدد ١٣ ، ١ تموز ١٨٩٨ (ص ٥٨٨) ،

Appian: De Bello Civili, V, 9, Wright, P., 110.

٢ Oberdick: Syria, Tome, VII, S., 46, 1926, P., 77, Mommsen: Römische Geschichte, 1894, V.S., 243, Ency. Brita., 17, P., 162, Syria. XXII, 1941, PP., 170.

Vaughan, P., 8. ٣

Cooke, PP., 313-332, J. A. Chabot, II, 301. ٤

Ency. Brita., 17, P., 162, Jean Starecky: Palmyre, Paris, 1952, PP., 27. ٥

كانت لها في الخارج في مثل موضع (Vologasia) وفي مواضع أخرى^١.

وقد زارها الانباطور (هدريانوس) (Hadrianus) (١١٧ - ١٣٨ م) سنة (١٣٠) بعد الميلاد، ومنحها لقب (هدريانا بالميرا) (Hadriana Palmyra) و (هدريا نوبوليس) (Hadrianopolis)^٢، وعثر فيها على كتابة مدونة بالإرمية واليونانية يرتقي تاريخها الى سنة (١٣٧) بعد الميلاد، أي الى أيام هذا الانباطور، جاء فيها أشياء تخص الأحوال التجارية في هذه المدينة أصدرها مجلس سادات المدينة لتنظيم التجارة، وتثبيت الضرائب، وكيفية الجباية وما الى ذلك من أمور. وهي من الكتابات المهمة الطويلة التي ترينا ناحية خطيرة من نواحي حياة تدمر^٣.

وقد بذل (هدريانوس) عناية كبيرة بـ (تدمر)، حتى قيل فيه انه مؤسس المدينة الثاني. واعتنى عناية خاصة بحماية الطرق البرية التي تصلها بنهر (الفرات) الذي كان شرياناً مهماً من شرايين التجارة العالمية في ذلك العهد. فقد كان يقوم بالمهمة التي عهدت الى (قناة السويس)، فيما بعد. ولأهمية هذا النهر الذي هو الممر المائي الذي يوصل تجارة ذلك المحيط الغالية الى الموانئ الواقعة عليه، سعى لتحسين صلاته بالفرس وبالمحافظة على الأمن في البادية، لتتمكن القوافل من المرور منها بأمن وسلام. وأوصل حامياته الى شواطئ الفرات الغربية، بل يقال انه أنشأ أسطولا فيه، وان التجار التدمريين أقاموا في مدينة (Vologasia) وأقاموا لهم معبداً هناك، ليتعبدوا فيه لإلههم الذي منحهم الخير والرفاه^٤.

وقد منحت (تدمر) درجة مستعمرة رومانية عليا، فاكسبت بذلك حق الامتلاك التام والاعفاء من الخراج، والحرية الكاملة في ادارة سياسة المدينة. ونالت الحقوق الإيطالية (Colonia Juris Italici) (Italici Juris) (Jus Italicum).

Freya Stark: Rome on the Euphrates, P., 244.

١ (هدريانوس)، الطبري (٧٤٢/١)، (طبعة لندن)، (٢٥/٢) (طبعة المطبعة الحسينية).

٢ المشرق، السنة الاولى، الجزء ١٢، ١٥ حزيران، ١٨٩٨، (ص ٥٣٨)،
Ency. Brita., 17, P., 162, Cooke, P., 322, Mommsen: Römische Geschichte, V., S., 423, Wright, P., III.

٣ Mommsen: Provinces of the Roman Empire, II, P. 236, Rostovtzeff: Caravan Cities, Oxford, 1932, P., 144, Leon Homo: Le Siècle d'Or de l'Empire Romain, Paris, 1947, P., 224 Fr. Stark: Rome, P., 253.

منحت هذه الدرجة في أيام (هدريانوس) على رأي ، أو في أيام (سبتيμιوس سيوروس) (Septimius Severus) (١٩٣ - ٢١١ م) على رأي آخر^١. وكانت تتمتع بهذه المنزلة في أيام (كراكلا) (Caracalla) (٢١١ - ٢١٧ م) كذلك^٢. ولكن منحها درجة (مستعمرة) لا يعني أنها صارت مقاطعة رومانية مئة بالمئة ، بل كانت في الواقع حكومة مستقلة ذات سلطة واستقلال في إدارة شؤونها خاضعة خضوعاً شكلياً لحكم الرومان^٣.

وقد استفادت (تدمر) من سياسة (هدريانوس) المنظوية على الميل إلى السلم ومجانبة الحرب ، ومن سياسة (انطونينوس بيوس) (Antoninus Plus) (١٣٨ - ١٦١ م) الذي نشر ألوية السلم والطمأنينة ، فوسعت تجارتها، وزادت في عدد قوافلها ، وحصلت على ثروة طائلة. وتعدّ المدة المنصرمة بين سنة (١٣٠) و (٢٧٠) بعد الميلاد من أحسن أيام هذه المدينة . فالى هذه الأيام ترجع معظم النصب والآثار العظيمة التي ما برحت تشاهد بقاياها في جملة ما يشاهد من أشلاء المدينة وجدنها المهشم بين الأتربة والصخور .

وقد كانت في تدمر حامية رومانية أيام (ماركوس أوريليوس) (ماركوس أوريليوس) (Marcus Aurelius) (١٦١ - ١٨٠ م) ، على طريقة من سبقه من الحكّام في وضع حامية رومانية في هذه المدينة .

ولسلطان (رومة) على تدمر ، استفاد الرومان من المحاربين التدمريين وكونوا منهم فرقاً وكرايس لحماية الطرق ومصالحهم الممتدة في البوادي ، فأودعوا أمر

١ المشرق ، السنة الأولى ، الجزء ١٢ ، ١ تموز (ص ٥٨٩) ، Wright, P., 112. , Syria, Tome, XIV, 1933, P., 32, The Cambridge Ancient History, XII, 1, 2, P., 18.

٢ المشرق ، الجزء المذكور ، Syria, XIV, 1933, P., 32, Rowell: Inscriptions Grecques de Doura Europos, 1929-1930, PP., 265.

٣ Rostovtzeff: Social and Economic History of the Roman Empire, P., 532, Syme: Cambridge Ancient History, XI, P., XI, P., 139, Dessau: Geschichte der Römischen Kaiserzeit, II, S., 627; Kornemann - Volker: Staaten; Ency. Brit., 17, P., 163; Cooke, NSI, PP., 250, 312, Lidzbarski: Ephemeris; Manner, S., 99, III, Jonnes: Cities of the Eastern Roman Empire, P. 287, Février: Essai sur "Histoire de Palmyre, P. 14.

الدفاع عن (دورا) (Doura) الى الكرديوس التدمري العشرين (XXth Cohore Palmyrenorum)^١ . وتركوا مهمة حراسة (الفنادق) (Funduq) التي أقامها الرومان على الطريق الى كراديس الرماة التدمريين لحماية القوافل من لصوص الطرق والسالين^٢ .

وقد تأثرت (تدمر) بأصول اليونان والرومان وطرقهم في ادارة الحكم، فكان للمدينة مجلس (شيوخ) (Senatus) له سلطة سن القوانين والتشريع ، وله رئيس وكاتب وجملة أعضاء. ويشرف على السلطة الاجرائية شيخان (Archontes) وديوان يتألف من عشرة حكام . أما السلطة القضائية فينظر فيها بعض الوكلاء (Syndices) وغيرهم من العمال^٣ .

ويحمل موظفو المدينة عناوين يونانية تشير الى أثر التنظيم اليوناني فيها ، وإلى انها كانت تنفذ النظم الادارية اليونانية في أعمال الشعب. فالرئيس هو (Proedros) والكاتب أي (السكرتير) هو (Grammateus) ، وهناك عناوين وظائف أخرى هي : (Archontes) و (Syndicus) و (Dekaprotai) ، وهي المجالس المحلية التي يتألف كل مجلس منها من عشرة أعضاء . جرى هذا التنظيم على وفق نظام المدن اليونانية في حماية (الانباطورية) الرومانية^٤ .

ودعيت السلطة التنفيذية ، المؤلفة من أعضاء مجلس الشيوخ ، وكذلك الشعب بـ (Strategoi) وهي تعادل (Duumviri) (Dumviri) عند الرومان^٥ .

وتجمل التدمريون الذين حصلوا على حقوق (مواطن روماني) بأسماء رومانية مثل (سبتيميوس) (Septimius) و (يوليوس أوريليوس) (Julius Aurelius) وضعوها في مقدمة أسمائهم النبطية أو العربية^٦ . وقد فعل ذلك قبلهم العبرانيون ونبط (بطرا) وسكان بلاد الشام وغيرهم من الضعفاء الذين يظنون انهم سيكتسبون بهذه المحاكاة الاحترام والتقدير . والضعيف انما يشبه بالأقوياء ليعتقي ضعفه .

١ Ancient Cambridge History, XI, 3, 4, P. 116.

٢ R. Dussaud: Pénétration des Arabes en Syrie, 73.

٣ المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ١٢ ، ١٥ ، حزيران ، ١٩٦٨ م (ص ٥٤٢) .

٤ Ency. Brita., 17, P. 161.

٥ Ency. Brita., 17, P. 162.

٦ Ency. Brita., 17, P. 162.

أسرة (أذينة) :

كان للانقلاب الذي وقع في مملكة الفرث أثر كبير في حياة مدينة تدمر ، وأعني بهذا الانقلاب ثورة (أردشير بن بابك بن ساسان) على الملك (أرتبان) الخامس ملك الفرث ، وتأسيسه حكومة جديدة هي دولة (الساسانيين) (٢٢٦م)^١ . فكان من نتائج ظهور الدولة الساسانية تجدد الحروب بين الرومان والفرس ووقوع معارك بين الدولتين .

وقد أحسنت أسرة عريقة من أسر (تدمر) الاستفادة من هذه الحروب ، وجرت المغامرات إليها ، والحصول على مركز عال لدى الرومان . وزعيم هذه الأسرة هو (أذينة) من (بني السמידع) ، ينسبه (الطبري) الى (هوبر العمليقي) (العمليقي) من عائلة العماليق ، فهي من بقايا (العماليق) على رأي الأخباريين^٢ .

و (أذينة) من أسرة قديمة معروفة ، تولى رجالها رئاسة تدمر والزعامة عليها ، واستطاعت بفضل تأييدها للرومان وتقربها إليهم أن تكتسب ودّ القياصرة وعطفهم عليها والانعان على أفرادها بالألقاب والأوسمة وبالمال في بعض الأحيان ، وبالقوة والمعونة وهي غاية كل سيد قبيلة وأمنية كل رئيس في مجتمع قبلي يقوم النظام السياسي والاجتماعي فيه على مفهوم الحكم القبلي في كل زمان ومكان . ولم يتعرض الرومان لحكم أفرادها على المدينة اذ كانت أحكامهم لا تعارض أحكام (رومة) ولا تصطدم بها . فتركهم يديرون شؤونها على وفق السياسة الرومانية وإرادة القياصرة وأوامرهم التي يصطلونها الى (المشيخة) ، فكانوا يعدونهم (Procuratores) لدى قياصرة الرومان^٣ .

ووردت في الكتابات التدمرية أسماء نفر من رجال هذه الأسرة ، منهم (نصور) (Naswar) (Nasores) (نصر) (ناصور) ، وهو جدّ (أذينة) . واسمه يشير الى اسم عربي الأصل هو (نصور) أو (ناصر) أو (نصر) تحوّل

١ الطبري (٣٥٤/١ ، ٦٨٧ ، ٧٠٤ - ٧٠٨ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧٤٤ ، ٧٤٧ ، ٧٩٩ ، ٨١٣ - ٨٢٥ ، ٨٣١ - ٨٣٣ ومواضع أخرى) ، (طبعة ليدن) ، مروج الذهب (٢٠٦/١) (طبعة دار الرجاء) .

٢ أذينة بن السמידع بن هوبر ، مروج الذهب (١٦/٢) ، الطبري (٣١/٢) .
٣ Zosim, I, 39, Oberdick, S. 22.

الى (نصر) ليلائم النطق النبطي . وهو والد (وهبلات) (وهب اللات) (Vaballathus) (Vahballatat) ، و (وهب اللات) ، هو والد ولد اسمه (خيران) (حيران) (Airanes) . و (حيران) (خيران) ، هو والد (أذينة)^١ .

و (نصور) اذن هو أقدم من وصل إلينا اسمه من أسماء الأسرة التي حكمت مدينة (تدمر) . وهو شخص لا نعرف عنه شيئاً ما . وقد يكون من سادات القبائل في الأصل من جاء الى هذا المكان فاستقر فيه ، وتولى نسله أو هو الحكم فيه . وقد يكون لهذا الاسم صلة بـ (نصر) الذي ينسب أهل الأخبار ملوك الحيرة إليه ، فيقولون أنهم من (آل نصر) .

وكان (سبتيميوس خيران) ، على رأس مجلس المدينة ، ولقبه الرسمي الذي عرف به عند أهل مدينته (رأس تدمر) (رش تدمور) إضافة الى لقبه الذي لقبه به الرومان^٢ . وقد تمكن من تثبيت حكم أسرته ومن الهيمنة على شؤون المدينة ومن توسيع تجارتها ، فاكسب بذلك منزلة كبيرة عند أهل تدمر ، وعند الرومان . ورافق (سبتيميوس سويروس) (١٩٣ - ٢١١ م) في حروبه مع الفرث وتقرب إليه ، ولقب نفسه بـ (سبتيميوس) ، فصار اسمه (سبتيميوس خيران) (سبتيميوس خيران)^٣ .

وقد عثر على كتابة يرجع الباحثون زمان كتابتها الى حوالي السنة (٢٣٥) للميلاد ، أو بعد ذلك بشيء قليل ، ورد فيها اسم (أذينة بن خيران بن وهب اللات ابن نصور) . وقد لقب (أذينة) فيها بلقب (سقلطيك) (Skiltyk) . وقد كان يحمل لقب عضو في مجلس (الشيوخ) الروماني^٤ .

وقد نعت (سبتيميوس أذينة) بـ (سقلطيقا) (Skiltyka) في الكتابة التي دونت لتكون شاخصاً لأحد القبور . وقد حصل على لقب عضو مجلس الشيوخ ، ثم لقب نفسه بلقب (ملك) (Rex) ، وذلك في حوالي سنة (٢٥٠) للميلاد^٥ .

١ J. Cantinau: Inventaire des Inscriptions de Palmyra, 8, 1936, No. 55, Die Araber, II, S., 252; Oberdick, S., 152, Syria, Tome XII, 1931, J. Cantinau:

Palmyrenien Provenant du Temple de Bel, PP. 138.

٢ Cooke, NSI, No. 125, Die Araber II, S. 252.

٣ المشرق ، السنة الأولى ، الجزء ١٣ ، تموز ١٨٩٨ م (ص ٥٩٠) .

٤ Die Araber, II, S., 252.

٥ المشرق : السنة الأولى ، الجزء ١٣ ، تموز ١٨٩٨ م ، (ص ٥٩٢) .

وجمع الناس عليه، فأدرك الرومان ما وراء هذه الدعوة من خطر على مصالحهم، فأوعز القيصر الى (روفينوس) (Rufinus) باغتياله، فقتل وتخلص الرومان منه^١. ومن ولد (أذينة) ، (سبتيميوس خيران) (Septimius Hairan) تولى رئاسة تدمر بعد مقتل أبيه^٢. وقد ذكر اسمه في كتابة دونت سنة (٢٥١) للميلاد ، ولم يصطدم بالرومان . وقد كان مثل أبيه بدرجة (Senator) كما لقب أيضاً بلقب (رئس تدمر) ، أي (رأس تدمر) (رئيس تدمر)^٣. ولقب بلقب (Exarchus) (Exarkus)^٤.

ولما مات (سبتيميوس خيران) ، خلفه (أذينة) (Odenatus) على شؤون المدينة . ولم يرد نسبه في النصوص، فلا ندري أكان ابناً أم شقيقاً لـ (سبتيميوس خيران)^٥. وقد ذهب بعضهم الى انه كان أخاه^٦. وكان شجاعاً فارساً ألف حياة البداوة جريئاً ، محباً للصيد ولا سيما صيد الذئب والفهود والأسود^٧. تولى قبل انتقال الحكم اليه قيادة الجيش والقوافل ورئاسة قبائل البادية، فكانت له مؤهلات خاصة وكفايات حسنة مكنته من رفع شأن (تدمر) في أعين الرومان ، ومن تكوين اسم لها عند رجال الدولتين المتراحتين .

وقد تبين من كتابة دونت سنة (٢٥٨) للميلاد ومن كتابتين أخرين انه كان يحمل درجة قنصل (Vir Consularis) في عهد القيصر (فاليريانوس) (Valerianus)^٨ كما كان يحمل لقب (مرن) ، أي (سيدنا) ، وهو اللقب الذي يستعمله أهل (تدمر) ، وهو يعادل لقب (Exarchos) (Exarkos) في اليونانية^٩.

-
- ١ Oberdick, S. 22, Wright, P. 115.
 - ٢ يرى (Oberdick) أن (روفينوس) قتل (سبتيميوس خيران) الابن الأكبر لـ (أذينة) مع والده ، لذلك تولى (أذينة) الثاني الحكم بعد مقتل أبيه فوراً ، Oberdick S. 22.
 - ٣ Die Araber II, S. 252.
 - ٤ Die Araber, II, S., 252, Cantineau, 3, No. 16.
 - ٥ Die Araber, II, S., 252, J. Cantineau, 3, No. 16.
 - ٦ المشرق : السنة الأولى ، الجزء ١٣ ، السنة ١٨٩٨ م (ص ٥٩٢) .
Die Araber, II, S., 252, J. Cantineau, 3, 22.
 - ٧ المشرق : السنة الأولى ، الجزء ١٣ ، السنة ١٨٩٨ م (ص ٥٩٢) .
 - ٨ Die Araber, II S., 253, H. Seyrg, in: Annales Archéol. de la Syrie, 13, 1963, 159, 162, J. Cantineau, 3, No. 17, Ency. Brita., 17, P. 162, Cooke, NSI, No. 126.
 - ٩ Die Araber, II, S. 253.

وقد ذكر بعض المؤرخين ان (أذينة) الذي نتحدث عنه كان ابناً لـ (أذينة) ابن (خيران) ووالد (سبتيميوس خيران) ، وانه كان قد هرب الى الجبال وألّف حياة البداوة والرعى منذ صغره لينتقم من الرومان الذين اغتال قائدهم (روفينوس) (Rufinus) أباه^١ . فلما انتقل الحكم اليه ، عمل جهده على الأخذ بثأر أبيه ، فراجع (فاليريانوس) (والريانوس) شاكياً اليه ما فعله (روفينوس) بأبيه ، طالباً منه انزال العقاب به . أما القيصر ، فلم يأبه لهذه الشكوى ، ولم يحسب لها حساباً ، فغاض ذلك (أذينة) وأزعجه وحمله على التفكير في الاتصال بأعداء الرومان، وهم الفرس^٢ . فلما بلغه نبأ زحف (فاليريانوس) على الفرس في عام (٢٥٩) بعد الميلاد وخيانة قائده (مكريانوس) وسقوط القيصر أسيراً في أيدي الفرس على مقربة من (الرها) ، أرسل رسلاً الى (سابور) حملهم هدايا كثيرة وكتاباً يتودد فيه اليه ويظهر رغبته في مصالحته ومخالفته . فلما بلغ الرسل معسكر الملك ، وطلبوا ملاقاته لابلأغه الرسالة ، استكبر عليهم وتجبر ، وأظهر عجبه من تجاسر (شيخ) على الكتابة اليه ، ومخاطبته مع أنه (ملك الملوك) ، وهو رئيس مدينة في بيداء قفرة لا قيمة لها ولا أهمية ! ومن يكون أذينة ؟ هذا الرجل الذي دفعته حماقته الى التجاسر على سيده بالكتابة اليه ؟ فإن كان له أمل في عقوبة خفيفة ، فليأت إليّ ويدها مغلولتان الى ظهره ! وإن لم يفعل ، فليعلم بأنني سأهلكه وأهلك أسرته وأنزل الدمار بمدينته ؟ ثم مرّق الرسالة ، ورمى بالهدايا تحت قدميه^٣ . فعاد الوفد كاسف البال خائفاً مما قد يقوم به هذا الملك المغرور الطائش من عمل تجاه مدينة خسرت الرومان ، ولم تحظ بالاتفاق مع الساسانيين .

ولما رجع الرسل الى تدمير وأعلموه بما جرى ، قرر الأخذ بثأره من هذا الملك المتغطرس الطائش ، فجمع القبائل بظاهر تدمر وجعلها تحت امره ابنه (هروديس) ، وضم اليها فرسان تدمر بقيادة (زبدا) كبير قواده، وقواًسيها

Oberdick, S. 22, Wright, P. 115. ١

(والريانوس) ، (والريانوس) ، الطبري (٧٤٣/١) ، (ليدن) . ٢

أمر سابور برمي الهدايا في النهر ، ٣

Oberdick, S., 23, Wright, P. 118 Gibbon: The Decline and Fall of the Roman Empire, Vol., I, P. 236.

بقيادة (زبائي) ، وهما من (آل سبتيميوس) أي من أقرباء أذينة ، وحشد معهم بعض الكتائب الرومانية وقلول جند (والريانوس) وسار على رأس هذا الجيش قاصداً المدائن للانتقام من (سابور) الذي كان قد انشغل بغزو الأنحاء الشمالية ، ولانقاذ القيصر من الأسر^١

وفي أثناء زحف (أذينة) على المدائن ، وصلته أنباء تغلب القائد الروماني (كاليستوس) على الفرس ، وتشتت شملهم وهربهم ، فغير اتجاهه وأسرع اليهم لملاقاتهم ، وقد أدركهم قبل تمكنهم من عبور نهر الفرات، فالتحم بهم وتغلب عليهم، وولى (سابور) مع قلول جيشه مدعوراً تاركاً أمواله وحرمة غنيمة في أيدي التدمريين. ولم يتمكن الفرس من عبور نهر الفرات الا بعد تعب. ولما عبروه هنا بعضهم بعضاً على السلامة والنجاح^٢ . اما أذينة، المنتصر الظافر ، فكتب الى (غاليانوس ابن والريانوس) (كاليانوس بن والريانوس) يخبره بهزيمة الفرس ، وباخلاصه للامبراطورية ، ففرح القيصر بالطبع بخبر النصر فرحاً عظيماً ، وأنعم عليه بدرجة قائد عام على جميع عساكر المشرق (Dux Romanorum) ، وحثه على مواصلة الحرب لانقاذ (والريانوس) والده من الأسر^٣ .

وقد أشار المؤرخ (ملالا) (ملاس) الى ملك دعاه (Enath) ، ذكر انه كان ملك العرب (السرسين) (Saracens) الأجلاف الغلاظ وحاكم (العربية) وحليف الرومان ، وذكر انه هاجم ملك الفرس (سابور) في ايام (والريانوس) وكان قد سار الى حدود الامبراطورية الساسانية، وتوغل فيها وأوقع خسائر بالفرس^٤. وقد قصد به الملك (أذينة) هذا الملك الذي نتحدث عنه .

ويظهر أن (أذينة) كان يتحجب الى الرومان ، فأنعموا عليه بالألقاب ، ومن ذلك لقب (Vir Consularis) الذي كان يحمله في عام (٢٥٨) للميلاد . وقد منح قبل هذه السنة على ما يظهر . ولعلّ ضغطه المتزايد على الفرس هو

١ المشرق ، السنة الأولى ، الجزء ١٣ ، السنة ١٨٩٨ م ، (ص ٦٣٧ وما بعدها) .
Oberdick, S., 23, Wright, P. 118.

٢ المشرق ، السنة الأولى ، الجزء ١٣ ، السنة ١٨٩٨ م ، (ص ٦٣٧ وما بعدها) ،
Wright, P. 118, 119, 120, Oberdick, S., 23, 24.

٣ المشرق ، السنة الأولى ، الجزء ١٣ ، (ص ٦٣٩) ، ١٨٩٨ م ،
Wright, P. 120, Ency. Brita., 23, P. 944.

٤ Malalas, XXIII, 5, 2, Musil, Palmyrena, P. 247.

الذي حملهم على ترك (دورا) (Dura) (Doura) ففسح بذلك المجال لعودة الحامية الرومانية الى هذه المدينة ، فرجع ذلك من شأنه في أعين الرومان^١ .

وتمكن (أذينة) من تحرير الجزيرة من الفرس، وفتح (نصيبين) (Nisibis) و (حرّان) فاستقبل هو وجنوده استقبالا عظيماً . وكان الناس يذكرون بازدياد (غاليانوس) الذي تركهم فريسة للفرس^٢ . ثم سار بجيوشه الى (طيسفون) (Ktesiphon)^٣ (٢٦٤ م) ، فخاف (سابور) وأمر بجمع كل ما عنده من قوات للدفاع عن عاصمته ، غير انها لم تتمكن من وقف زحف التدمريين فوصل (أذينة) الى (المدائن) وحاصرها ، ونصب المجانيق وآلات الحصار لفتحها ، وكاد (سابور) يلتبس منه الأمان لولا حدوث حادث أكره أذينة على ترك الحصار والتراجع ، هو خروج (مكريانوس) (Macrianus) (Macrinus) القائد السني كان السبب في وقوع (والريانوس) في الأسر على القيصر (غاليانوس) وتنصيبه نفسه قيصرأ على آسية الصغرى ومصر وفلسطين والشام . فاضطر هذا الانقلاب (أذينة) الى الرجوع الى مدينته بسرعة ، لاتخاذ موقف حاسم تجاه هذا الوضع السياسي الجديد^٤ .

لم يكن (أذينة) مطمئناً الى (مكريانوس) (Macrianus) (Macrinus) كان يكرهه ويخشى أن يستولي على ملكه ان تمكن واستأثر في الحكم ، فقرر منازلته قبل منزلة (مكريانوس) له . وبينما كان يهيم بالزحف على (حصص) (Emisa) (Emissa) جاء نبأ مقتل (مكريانوس) ، فأعلن السوريون ولاءهم لأذينة وخروجهم على (كياتوس بن مكريانوس) وساروا مع التدمريين لمحاصرة (كياتوس) في مدينة (حصص) . ولما اشتد الحصار على المدينة وطال ، قتل

١ Berytus, VIII, Fasc. I, P. 56.

٢ المشرق ، السنة الأولى ، الجزء ١٣ ، سنة (١٨٩٨ م) (ص ٦٤١) ،
Oberdick, S., 25. Berytus, Vol., VIII, Fasc., I, 1934, P. 34, Zosim, I, 39, Trebell, Poll. Valer, VII, Rostovtzeff : Res Gestae divi Saporis; Dura, by Michael, I.

٣ (طيسفون) ، بفتح أوله وسكون ثانية وسين مهملة وفاء وآخره نون ، هي مدينة كسرى التي فيها الايوان . البلدان (٨٠/٦) .
Syrta, XVIII, 1937, P. 2, « Note sur Hérodién, Prince de Palmyre », by Henri Seyrle, Oberdick, S., 25.

(كاليستوس) سيده (كياتوس) ورمى برأسه من فوق السور تحت قدمي (أذينة) ثم فتح له أبواب المدينة والتمس منه الأمان ، فنحاه إياه ودخل المدينة في سنة (٢٦٢) للميلاد^١ .

ولم يكن استسلام أهل (حصص) للتدمريين أمراً سهلاً عليهم فقد كانت بين الفريقين شحنة وبغضاء . نظر أهل حصص إلى أهل تدمر نظرة ازدراء وغضاضة ، إذ كانوا يرونهم ناساً أجلاً ، ليس لهم حظ من حضارة وثقافة ، أهل بادية حفاة جفاة . وقد يكون لاتصال حدود (تدمر) بحدود حكومة (حصص) وغارات أعراب تدمر على أرض حصص يد في خلق هذا النزاع . وقد لاقت حصص من استيلاء أهل تدمر عليها عنفاً شديداً إذ حل بها دمار وخراب لرفضها الاستسلام لـ (برابرة تدمر)^٢ .

لقد سقطت حصص في أيدي التدمريين ، بالرغم من تضرع أهلها وتوسلهم بالإلهة (الشمس) لتنصرهم على أعدائهم وتنزل بهم خسائر فادحة . وقد كانوا من عبّادها المخلصين . ولكن أهل تدمر كانوا يتعبدون للشمس كذلك ، وقد توسلوا وتضرعوا إليها لتنصرهم على أعدائهم أهل حصص . لقد كان موقف (الشمس) موقفاً حرجاً . فالطرفان المتخاصمان ، من عبادها . وقد أقام كل منهما معبداً ضخماً فخماً لعبادتها ، زوقت أبوابه وذهبت قبابه ، وكل منهما يتوسل إليها ، فأى طرف تؤيد إذن ؟ والظاهر ان اختيارها وقع على تدمر إذ انتصروا على أهل حصص ، ودخلوا المدينة ظافرين^٣ .

وسرّ (أذينة) ولا شك من هذه النتيجة ، فقرر بعد استراحة جنوده بضعة أيام أن يسير نحو الشمال للقضاء على المنشقين . وبينما هو في طريقه ، تلقى أنباء تمرد (كاليستوس) وخروجه عليه وإعلان نفسه ملكاً ، فأمر نقرأ من رجاله بالذهاب إلى معسكر (كاليستوس) لاغتياله ، فذهبوا إليه ، وتمكن فارس من الدخول إلى خيمته وقتله^٤ . عندئذ تحسن موقفه ، فسار إلى الجزيرة ، وتعقب الفرس فقبض على عدد من (المرازبة) (Satrapen) وأرسلهم إلى (رومة) ، وأظهر

١ المشرق ، السنة الأولى ، الجزء ١٥ ، آب ١٨٩٨ م (ص ٦٨٧) .
٢ Petr. Patr. Fra., 167, Dio, Ed: Boiss, 3, 744, A. Alföldi in : Berytus, 5, 84, Die Araber, III, S., 251.
٣ Die Araber II, S., 250.
٤ المشرق ، العدد نفسه (ص ٦٨٧) ، Trebellius, Trig. Tyr., 17,

إخلاصه وطاعته لقيصر ، فرضي عنه واطمأن اليه ، وأعطاه منزلة رفيعة هي :
(Imperator Totius) (Dux Orientis) ودعاه انبراطوراً على جميع أنحاء المشرق ،
أي على الشام والجزيرة وآسية الصغرى علدا (بتينية) وبضع نواح شمالية ،
(٢٦٤ م)^١ . وضربت نقود باسمه صور عليها أذينة ووراءه بعض أسرى الفرس .
وجعل تحت امرته جميع القوات الرومانية المعسكرة في المشرق . وكلفه القضاء على
فلول جيش (مكريانوس) وتطهير المقاطعات الرومانية منهم^٢ .

واختار أذينة لنفسه لقباً آخر حبیباً الى نفوس الشرقيين هو لقب (ملك الملوك)
(ملك ملكا)^٣ ، لعله فعل ذلك محاكاة للملك الفرس . ومنح لقباً آخر هو
(أغسطس) (Augustus) لقب قياصرة الرومان^٤ . والانسان متى أبطرت النعمة
مال الى اتخاذ أمثال هذه الألقاب ! وفي رواية أن مجلس الشيوخ الروماني منحه
لقب (أغسطس) ، فصار مساوياً للقيصر ، وأنه أمر بوضع صورته مع صورة
الانبراطور على النقود التي أخذت غنيمة من الفرس^٥ .

وعرف (أذينة) بـ (متقنا دي مدنحا كله) ، (متقنا متقناوتا) ،
وتقابل معنى (Reparator Totius Orientis) أو (Correctores Italiae)
(Utriusque Italiae, Italiae Regionis Transpadanae)^٦ ، وتقابل درجة
(Correctores) منزلة (رئيس) (Praesides)^٧ ، أي رئيس مقاطعة من
المقاطعات .

وقام (أذينة) باصلاحات جمة أظهر فيها أنه لم يكن قائداً قديراً فقط ، بل
كان الى ذلك رجل ادارة وسياسة وتسامح أيضاً . فنع تعصب الوثنيين على النصراني
واضطهادهم لهم ، ومنح كل طائفة حريتها في ممارسة شعائر دينها ، ونحو

١ المشرق ، العدد نفسه (ص ٦٨٨) ، Oberdick, S., 31, Ency. Brita., 17 P. 162.

٢ المشرق ، العدد نفسه (ص ٦٨٨) ، Oberdick, S., 31.

٣ Die Araber, II, S., 253.

٤ المشرق ، السنة الأولى ، الجزء ١٥ ، السنة (١٨٩٨ م) ، (ص ٦٨٨) ، Gibbon, I, P. 241.

٥ Wright, P. 121.

٦ Die Araber, II, S., 253, Cambridge Ancient History, 12, 175.

٧ Die Araber, II, S. 253.

النصارى حق بناء الكنائس حيثما شاؤوا^١ . وتعقب اللصوص وقطاع الطرق من الجنود الهاربين والمسرحيين من الخدمة والصعاليك الذين وجدوا في الاعتداء على الأمنين ومهاجمة القوافل والقرى والمدن خير مصدر للحصول على الكسب والمغانم والمال ، وقتل (كاليستوس) زعيم الصعاليك الذي استمال من لا عمل له إلا الفتنة والاعتداء على الناس ، وبذلك أراح أذينة نفسه وأراح المقاطعات الرومانية من شر هؤلاء ، واطمأن الناس على أنفسهم ، وعادوا الى أماكنهم التي اضطروا الى تركهم لها بسبب تلك الاعتداءات التي قام بها من أطلق عليهم الكتاب اسم (الظالمون)^٢ .

وصمم (انبراطور الشرق) و (ملك الملوك) بعد هذه الأعمال على انتزاع القيصر (والريانوس) من أيدي الفرس ، ومحاربة خصمه المتغطرس المتلقب بلقب (ملك الملوك) كذلك . قد يكون حياً في اذلال من استهان به فزق رسالته أمام أعين رسله ، وقد يكون تقريباً للرومان وتودداً الى القيصر (غالينوس) . والشرقيون مبالغون ويا للأسف في اكرام الغرباء ، متزلفون الى القوي منهم ، ولو كان في ذلك هلاك الوطن والرعية . عيّن ابنه البكر (سبتيميوس هيرودس) (Septimius Herodes) من زوجته الأولى نائباً عنه في ادارة شؤون الملك ، وأخذ هو جيشه وسار به لمحاربة الفرس في أوائل عام (٢٦٥) بعد الميلاد . سار به الى (طيسفون) عاصمة (سابور) فحاصرها أمدداً ، ويظهر ان (سابور) أظهر استعداداً لعقد صلح لولا اشتراط (أذينة) فك أسر (والريانوس) ، وهو شرط كان في نظر الفرس جداً عظيماً^٣ .

ووقع حادث مهم اضطّر (أذينة) الى تبديل خططه العسكرية وترك حصار (طيسفون) . ذلك هو انتهاء (القوط) فرصة محاصرة (أذينة) للمدائن وابتعاده عن آسية الصغرى وبلاد الشام ، فعبروا بحر (بنطس) (Pontus) أي البحر الأسود ونزلوا بميناء (هرقلية) (Heraclea) ثم زحفوا على (بتينة)

١ المشرق ، العدد المذكور (ص ٦٨٩) .

٢ (الظالمون الثلاثون) ، المشرق (ص ٦٨٩) ، Tribellius : Trig. Tyr., 14.

٣ Oberdick, B., 35, Hieronym. Cliron. XII, Gallienl : « Odenatum Persas ita Cecidisse, ut Castra a Ctesiphontem Poneret », Zosim, I, 39, Trebellius, Poll., 2, Gall 10 « Ctesiphon ».

٤ (بنطس) ، البلدان (٦٦/٢ ، ٢٩٣) ، ويعرف أيضا ببحر (طرابزنده) ، البلدان (٦٦/٢) .

و (فريجية) و (غلاطية) و (قيادوقية) ، وكانوا يقصدون من وراء زحفهم هذا التوسع والاستيلاء على آسية الصغرى وبلاد الشام وكل ما يمكن الاستيلاء عليه من بلاد الشرق . فلما علم (القوط) بمجيء (أذينة) هربوا الى ميناء (هرقلية) مسرعين ، ومنه ركبوا الى بلادهم التي جاءوا منها . فقرر عندئذ الرجوع الى العراق لفتح (طيسفون) . وبينما كان (أذينة) في (حصص) لراحة الجند ، أعد وليمة كبيرة تذكراً ليوم ميلاده حضرها قواده وكبار القوم : فأنهز (معنى) (Maeonius) ابن اخيه (خيران) هذه الفرصة ، فقتل هو وعصابته عمه (أذينة) وابن عمه (هيرودس) (Herodus) ، لاغتصاب عمه منه ملكه الذي ورثه من أبيه . ونادى بنفسه ملكاً على المملكة التي أنشأها وكونتها (أذينة) القتييل ، وبذلك استرجع حقه من المقتول . ولكن حياة القاتل كما يقول المثل الشرقي لا تطول ، وذلك قولهم : « بشر القاتل بالقتل » ، فما كاد يترجع على العرش اياماً حتى انتقمته منه سيوف (حصص) ، وألحقته بالعالم الواسع الذي ذهب اليه القتيلان (٢٦٦ - ٢٦٧ م)^٢ .

ما أعجب الحياة . في مدة قصيرة طفر فيها رجل (تدمر) من رئيس في مدينة صحراوية الى ملك على عرش مملكة ، فقائد كبير في أعظم انبراطورية في عالم ذلك الزمن ، ومنافس للقيصر وملك على الشرق ، وفي لحظة واحدة انتقل فيها هذا القائد الملك من هذا العالم الى عالم القبر . انها الحياة لا بد لها من نهاية مهما بلغ الانسان من منزلة ومكانة ، لا تعرف قوة وضولة ولا فقرراً وضعفاً ، الجميع الى هذه النهاية منتهون ، وللفيلسوف أن يستخرج منها حكمة الحياة .

هل قتل (معنى) عمه لاغتصابه حقه الطبيعي في الملك ؟ أو قتله لأسباب أخرى ؟ وهل كان لأحد مثل المملكة (الزباء) ضلع في الحادث ؟ وهل كان للرومان يد في هذه الجريمة ؟ وهل كان للحزب الوطني التدمري الذي كان يكره اليونان والرومان وكل سيطرة غريبة يد في هذا الاغتيال ؟ لما عرف عن (أذينة)

١ المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ١٥ ، (١٨٩٨ م) ، (ص ٦٩١) .
٢ راجع خبر مقتل (أذينة) والعداء الذي كان بينه وبين (معنى) والنزاع الذي حدث بينهما حين كانا في الصيد في مجلة المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ١٥ ، (١٨٩٨ م) ، (ص ٦٩١ وما بعدها) .

Oberdick, S., 38, Zosim, I, 39, Treb. Poll., 30, Tyr. 15, Gibbon, I, P. 263, Vaughan : Zenobia, P. 60.

من دفاعه عن الانبراطورية الرومانية وحماسته في الدفاع عنها ؟ هذه أسئلة سألها المتعمقون في تاريخ (تذر) والباحثون فيه ، وأجابوا عنها أجوبة مختلفة . فمنهم من رأى ان الجريمة هي انتقام شخصي بسبب اغتصاب (أذينة) حق القاتل الذي ورثه من أبيه ، ومنهم من رأى انها مسألة مدبرة مدروسة وان للزباء يداً فيها . ومنهم من رأى انها بتدبير الرومان وعلمهم ، فعلوها للتخلص من رجل أخذوا يشكون في اخلاصه ، ويرتابون منه . ومنهم من رأى عكس ذلك : رأى انها فاجعة للرومان وخسارة كبيرة لسياستهم في الشرق ، وانها من أعمال الوطنيين الذين رأوا في ملك تدمر أداة طيعة مسخرة في أيدي سادة (رومة) فقرروا لذلك الانتقام منه.

أما نحن فنرى أن من الصعب البت في سرّ قتل (أذينة) وابنه ، فالأخبار الواردة في هذا الموضوع غامضة ، والأدلة غير متوفرة ، ومبايعة الجيش وقواده للقاتل في سرعة ومن غير كلام أو قتال ، ثم قيام أهل حمص بقتل القاتل بعد أيام ، وتولى الملكة (الزباء) الحكم بعده وبسرعة هي قضايا فيها نظر . ولهذا تعددت الآراء ، ولن تتفق ما دامت الروايات المقدمة إلينا على هذا النحو من التعقيد والأمور^١ .

أظهر (أذينة) مقدرة فائقة جدية بالاعجاب ، استطاع أن يكون جيشاً قوياً يخيف الفرس ويلحق بهم الخسائر ويكتسب تقدير الرومان واحترامهم في مدة قصيرة ، واستطاع أن يكون من القلعة الصغيرة المبنية في البادية مملكة كان لها أثر خطير في النزاع السياسي العسكري بين الرومان والفرس . لقد قام بعمل عسكري عظيم في محاولاته الحربية لانقاذ القيصر (والريانوس) محاولات لم يقم بها سيد (رومة) وابن القيصر الأسير ولا أتباعه الرومان . لقد (أرسلته الشمس أسداً خيفاً مرعباً)^٢ .

لقد وقعت في أيام (أذينة) أحداث خطيرة عظيمة في الشرق الأدنى بين المعسكرين : المعسكر الشرقي وهو معسكر الفرس ، والمعسكر الغربي وهو معسكر الرومان يساعدهم التدمريون . كانت انتصارات الفرس في سنة (٢٦٠) بعد الميلاد،

١ المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ١٥ ، (١٨٩٨ م) ، (ص ٦٩٣) ،

Oberdick, S., 40, Gibbon, I, P. 263, Vaughan : Zenobia, P. 60.

٢ Oracula : Sibyllinus, VV, 169, Berytua, Vol., VIII, Fasc., I, 1943.

ثم أسر القيصر (والريانوس) ، وغزو بلاد الشام ، وقيام (أذينة) بالهجوم على الفرس ، وطردهم من الأرضين التي احتلوها من الأمور الخطيرة التي وقعت في ذلك العهد ، أفادت الرومان ولا شك كثيراً ، ولكنها لفتت أنظارهم في الوقت نفسه الى الخطر الجديد الذي أخذ يتهددهم من ظهور قوة (تدمر) ، وتسلطهم في بلاد الشام . وقد تنزعم الحركات الوطنية المعادية للرومان في الشرق ، فتكون كارثة على (رومة) . ونجد أخبار (أذينة) وأعماله خاصة بعد معركة (الرها) (Edessa) في تأريخ (سوزيموس) (Zosimus)^١ .

ولا بد لي في هذا الموضع ، وقد انتهيت من الحديث عن أذينة ، من الإشارة الى رجل كان له شأن وذكر في أيام (أذينة) ، وكان أقوى شخصية في تدمر الا وهو (ورود) (Worod) الذي ورد ذكره في عدد من الكتابات ، أقدمها الكتابة المدونة بشهر نيسان من سنة (٢٦٢) للميلاد وقد لقب فيها بـ (Procurator Ducenarius)^٢ . كما لقب بلقب (مرن) الذي تلقب به (أذينة) أيضاً ، أي (سيدنا) و (أميرنا) ، وبألقاب أخرى مثل (Cursus Honorum) و (قائد القافلة) و (شريف المستوطنة) وغير ذلك من نعوت حملها (أذينة) نفسه ، مما يحملنا على الاعتقاد بأنه كان الرجل الثاني في تدمر بعد (أذينة) ، ومن الغريب ان اسمه اختفى مع اسم أذينة في السنة التي قتل فيها الملك نفسه ، فلم نعد نقرأه في الكتابات^٣ .

وكان (ورود) يقوم مقام (أذينة) بأعباء الحكم عند غياب (أذينة) عن عاصمته . ويرى بعض الباحثين ان اسمه الكامل هو (يوليوس أورليوس سبتيميوس ورود) (Julius Aurelius Septimius Worod) وانه كان من الطبقة (الأرستقراطية) ، وهو من أصل فارسي روماني. وقد نال أعلى الألقاب المعروفة في أيامه ، حتى ضاهت الألقاب التي لقب بها (أذينة) . والظاهر انه كان شخصاً كفواً حازماً لذلك نال مركزاً لم يبلغه أحد غير (أذينة) ، اذ كان الرجل الثاني في تدمر بعد الملك^٤ .

Oracula : Sibyllinus, XVIII, Zosimus, I, 27, I, 36, I, 39.

J. Cantineau, 3n. II, Die Araber, II, S., 255.

Die Araber, II, S., 255.

Vaughan, P. 58.

ولا نعرف شيئاً كثيراً عن المكانة التي حصل عليها بعد مقتل (أذينة) وتولى (الزباء) أعباء الحكم نيابة عن ابنها (وهيلات). والظاهر انه لم ينل عند الملكة المنزلة التي بلغها عند (أذينة)، وان عيّنته الملكة نائباً عنها في بعض الأوقات، وكل ما وصل اليه عندها هو منصب (مستشار)، فقد كانت تستدعيه عند الحاجة لاستشارته في بعض الأمور الخطيرة. وقد كان لها جماعة مستشارين تستعين بآرائهم في إدارة الحكم وفي تنظيم الأمور المالية، ولا سيما الجباية من التجارة والتجار.

ولم يشر (الطبري) ولا غيره من المؤرخين المسلمين الى حروب (أذينة) مع (سابور) على أهميتها وبلوغ ملك (تدمر) فيها العاصمة (طيسفون). وهذا أمر يدعو الى العجب، حقاً اذ كيف يهمل المؤرخون والأخباريون هذا الحدث الخطير؟ فلا بد أن يكون هنالك سبب. ورأيت ان سببه الموارد الأصلية التي اعتمد عليها المؤرخون المسلمون والأخباريون واخذوا منها، وهي موارد فارسية الأصل متعصبة للفرس، أو موارد عراقية مائلة اليهم.

وقد أخذ المؤرخون المسلمون تأريخ الفرس من موارد فارسية، أما تأريخ الرومان واليونان، فقد أخذوه من موارد نصرانية سريانية في الغالب، ولكنهم أخذوه بقدر، ولم يتوسعوا في الطلب، لذلك كان تأريخ الرومان واليونان مختصراً جداً وضعيفاً بالقياس الى ما دون عن تأريخ الفرس. عبارة عن جريدة بأسماء القياصرة جافة في الغالب، ونتف وقطع مبثوثة هنا وهناك في الفصول المدونة عن تأريخ الدول الفارسية ذكرت في المواضع التي تكون لها صلات بتأريخ الفرس، ولذلك أيضاً أدمج أكثر ما دون عن تأريخ الغساسنة وعرب الشام في الأوراق التي دونت عن تأريخ الحيرة وعرب العراق. وقد انتزعت من موارد فارسية - عراقية، ففيها تعصب للفرس وللعراق على الروم والرومان وبلاد الشام.

واظن ان الموارد الأولى التي نقل منها الأخباريون والمؤرخون كلامهم عن تأريخ الفرس لم ترقها الإشارة الى انتصارات ملك كوت مملكة في البادية بنفسه، على (سابور) صاحب انباطورية واسعة تتباهى بنفسها على الرومان، فأهملت الكلام عنها بدافع العاطفة والنزعات القومية. فلما ترجمت تلك الموارد الى العربية أو نقل

منها ، لم يجد الأخباريون والمؤرخون شيئاً يقولونه عن انتصارات (أذينة) على (سابور) ، وإلا ذكروه كما ذكروا حادث أسر (سابور) للقيصر (الريانوس) في أثناء كلامهم عن سابور . وقد ذكره الطبري فقال : (وانه حاصر ملكاً كان بالروم يقال له الريانوس بمدينة انطاكية ، فأسره وحمله وجاعة كثيرة معه وأسكنهم جنديسابور)^١ .

الزباء :

انتقل الملك بعد مقتل (أذينة) و (معن) الى (وهبت) و (هبلات) (وهب اللات) ، وهو ابن (أذينة) من زوجه (الزباء) ويعرف في اليونانية بـ (اتينودورس) (Athenodorus) . وكان لوهبلات اخوة هم : (حيران) (خيران) و (تيم الله) من أذينة (أذينة) وامه (الزباء) . وكان قاصراً ، لذلك تولت الوصاية عليه وتأديبه بأدب الملوك حتى يبلغ سن الرشد ، فعلمته (اللاتينة) والفروسية ، وهياته ليكون ملكاً كبيراً كقيصرة الرومان أو أكاسرة الفرس وسعت هي لتهديب الدولة وتوسيعها وبسط نفوذها على أماكن واسعة لم تكن خاضعة لتدمر ، لذلك كان لا بد من حدوث احتكاك وتصادم بينها وبين الرومان .

وللأخباريين احاديث واقاصيص عن الزباء ، واسمها عندهم (نائلة بنت عمرو ابن الظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع بن هوبر العميلقي (العمليقي) من العماليق^٢ . و (الزباء بنت عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع بن هوبر) على زعم^٣ ، و (ليلي) في زعم آخر . وزعموا ان لها اختاً اسمها (زيبية) بنت (الزباء) لها قصر حصين على شاطئ الفرات الغربي ، فكانت تشتو عند اختها وترجع يبطن النجار ، وتضير الى تدمر . كما كان لها جنود هم في نظرهم بقايا من العماليق والعاربة الأولى ، وتزيد وسليح ابن (حلوان بن عمران

١ الطبري (٦١/٢) (طبعة المطبعة الحسينية) .

٢ الطبري (٣١/٢) ، ابن خلدون (٢٦١/٢) ، حمزة (٦٥) .

٣ مروج (١٦/٢) .

ابن الحاف بن قضاة) ومن كان معهم من قبائل قضاة^١ . وذكر (ابن خلدون) ان ملك العرب بأرض الحيرة ومشارف الشام كان لعمر بن الظرب، وكان جنود الزباء من بقايا العالقة من عاد الأولى ومن نهد وسليح ابني حلوان ومن كان معهم من قبائل قضاة ، وكانت تسكن على شاطئ الفرات وقد بنت هناك قصراً ، وتربع عند بطن المجاز ، وتصيف بتدمر ، أخذ قوله هذا من تأريخ الطبري وتصرف فيه بعض التصرف^٢ . أما الأصل ، فخير من اخبار الأخباريين ، وأما النقل فحكمه حكم الأصل بالطبع . وأما ان جنود (الزباء) من بقايا (العالقة) ، فهو أمر مقبول في نظر اصحابنا الأخباريين ، ولم لا ؟ إن (الزباء) في رأيهم من بقايا العالقة ، اي من العرب الأولى فلم لا يكون جنودها اذن من اولئك القوم ؟

وزعم بعض الأخباريين ان (الزباء) من ذرية (السميدع بن هوثر) من (بني قطورا) اهل مكة ، وهي بنت (عمر بن أذينة بن الظرب بن حسان) . وبين (حسان) و (السميدع) آباء . وزعم آخرون ان (عمر بن الظرب) كان على مشارف الشام والجزيرة ، وكان منزله بين (الخابور) و (قرقيساء) ، ف وقعت بينه وبين (مالك بن فهم) حروب هلك (عمر) في بعضها ، فقامت بملكه من بعده ابنته (الزباء) . وقد استمرت الحرب بين (مالك) و (الزباء) الى ان الجأها الى اطراف مملكتها . وكان (مالك) على ما يصفه الأخباريون رجلاً قديراً يغير على ملوك الطوائف حتى غلبهم على كثير مما في ايديهم^٣ . وهو في نظرهم اول من ملك من (عرب الضاحية) . وكان منزله مما يلي (الأنبار) ، ثم ملك بعده أخوه (عمر بن فهم) . فلما هلك تولى من بعده (جذيمة الأبرش) الشهير في تأريخ الحيرة^٤ .

والذي حارب (عمر بن الظرب) على رواية منسوبة الى (ابن الكلبي) ذكرها (الطبري) هو (جذيمة الأبرش) . وكان جذيمة على هذه الرواية قد جمع جموعاً من العرب سار بها يريد غزاة (عمر) ، وأقبل (عمر) بمجموعة

-
- ١ الطبري (٣٢/٢) .
 - ٢ ابن خلدون (٢٦١/٢) .
 - ٣ ابن خلدون (٢٥٩/٢) وما بعدها .
 - ٤ الطبري (٢٨/٢) .

من الشام فالتقوا فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتل (عمرو بن الظرب) وانفضت جموعه. فأجمعت الزباء رأسها لغزو (جذيمة) للأخذ بثأر أبيها ، واستعدت لذلك . غير ان اختاً لها هي (زبيبة) ، وكانت ذات رأي ودهاء وأدب ، نصحتها بترك الحرب ، فإن عواقبها غير مضمونة ، فاستجابت لنصيحتها ، وعمدت الى طرق المكر والحيل فراسلته واستدرجته الى عاصمتها في قصة معروفة مشهورة لا حاجة بي الى اعاتها ، فغدرت به وقتلته^١ . وطلب (قصير بن سعد بن عمرو ابن جذيمة بن قيس بن ربي بن نمارة بن لحم) ، وكان أريباً حازماً أثراً عند (جذيمة بن الأبرش) من (عمرو بن عدي) خليفة (جذيمة) على الحيرة الخروج لقتال (الزباء) ، فأحجم فلما رأى ذلك منه ، صمم على أن يأخذ هو بالثأر ، فذهب اليها مدعياً انه مضطهد ممقوت لتهمة نسبت اليه هي انه ساهم في قتل (جذيمة) فوثقت به واطمأنت اليه وهي لا تعلم ما يخفي لها ، ثم طلب منها أن يعود الى بلده ليعود بأمواله ونفائس ما لديه فسمحت له وأعطته تجارة^٢ لتصريفها هناك ، فباعها وعاد بأرباح طائلة وبأموال كثيرة ، فزادت ثقتها به وتكرر الحال ، حتى اذا ما وثق من اطمئنانها اليه عاد في المرة الأخيرة برجال أشداء من بني قومه ومعهم (عمرو بن عدي) ، وضعهم في جوالق كبيرة فلما توسطوا في المدينة ، أنزلت الجوالق وخرج الرجال منها ، فوضعوا سيوفهم في رقاب أهلها ، فلما رأت الزباء ذلك ، أرادت الحرب من نفق حفرته لمثل هذه الأيام ، اطلع قصير عليه ، فوضع (عمرو بن عدي) على بابها . فلما رآته الزباء مصت خاتمها ، وكان فيه سم ، قائلة : (بيدي لا بيدك يا عمرو) ، وتلقاها عمرو بن عدي بالسيف فجعلها به وقتلها ، وغم كثيراً ، وانكفاً راجعاً الى العراق^٣ .

وهي قصة محشوة بالأمثال المنسوبة الى أبطالها : جذيمة وقصير والزباء وعمرو

١ حمزة (٦٥) .

٢ الطبري (٣٤/٢ وما بعدها) ، مروج (١٩/٢ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢٦١/٢ وما بعدها) ، البلدان (٣٧٩/٣) ، مروج الذهب (٦٩/٢ وما بعدها) ، (قصة جذيمة) . فلما نظرت الزباء الى مشي الجمال ، قالت :

ما للجمال مشيها وثيداً أجندلا يحملن أم حديداً ؟
أم صرفانا بارداً شديداً أم الرجال جثما قعوداً ؟

مروج (٧٢/٢) ، (دار الاندلس) .

ابن عدي ، وفيها على عادة الأخباريين في رواية أمثال هذا القصص شعر نسب
بعضه الى هؤلاء الأبطال ، ونسب بعضه الآخر الى شعراء أقحمت أسماؤهم في
القصة ليؤكد واضعوها ولا شك صدق حديثهم ، وليلوّنوا كلامهم بعض التلوين .
ونجد قصة الزباء وجديعة وقصير المطالب بالثأر في شعر ينسب الى (عدي بن
زيد العبادي) ، جاء فيه :

ألا أيها الملك المرجى ألم تسمع بخطب الأولينا
دعا بالبقّة الأمراء يوماً جذيمة عصر ينجوهم ثبينا
فطاوع أمرهم وعصى قصيراً وكان يقول لو تبع اليقينا

ثم يستمر في نظم القصة شعراً حتى تنتهي . وقد ختمت بنصح للإنسان ليتعظ
بالحوادث والمنايا ، التي لا تعرف أحداً منها كانت درجته ومنزلته ، إلا أخذته ،
ثم صيرته أثراً بعد عين^١ .

وذكر أهل الأخبار ان (الزباء) كانت تأتي الحصون ، فتتزل بها ، فلما
نزلت بـ (مارد) ، حصن دومة الجندل ، وبالأبلى ، حصن تيماء ، قالت
تمرد مارد وعز الأبلى ، فلهبت مثلاً^٢ .

ولم يبخل الأخباريون على الزباء ، فنحوها آياتاً زعموا انها قالتها ، وجعلوها
أدبية في العربية بليغة الى اعلى درجات البلاغة . لها حكم وامثال بهذه العربية ،
عربية القرآن الكريم . ولا غرابة في ذلك ، فالذي ينسب شعراً عربياً الى آدم
وابليس ويرويه مشكلاً مضبوطاً على وفق قواعد النحو والصرف ، لا يعجز عن
رواية شعر ينسب الى (عمرو بن الظرب) والى ابنته الزباء .

وذكر ان معاوية ذكر في أحد مجالسه (الزباء) وابنة (عفزر) ، فقال :
« اني لأحب ان أسمع حديث ماوية وحاتم ، فقال رجل من القوم : أفلا أحدثك
يا امير المؤمنين ؟ فقال : بلى ، فقال : إن ماوية بنت عفزر ، كانت ملكة
وكانت تتزوج من أرادت^٣ . »

١ الشعر والشعراء (١١٢ وما بعدها) ، (عدي بن زيد العبادي) ، وفي الكتب
الآخرى اختلاف في الالفاظ والعبارات ، مروج (٧٣/٢) ، (دار الاندلس) .
٢ مروج (٧٣/٢) ، (دار الاندلس) .
٣ البيان والتبيين (٩/٣) ،

ويذكر اهل الأخبار ان (ابنة عفزر) قينة كانت في الدهر الأول، لا تدوم على عهد ، فصارت مثلاً . وقيل : قينة كانت في الحيرة ، وكان وفد النعمان اذا اتوه لهما بها . وذكر ان (عفزر) اسم اعجمي ، ولذلك لم يصرفه (امرؤ القيس) في قوله :

أشميمُ بروق المزنِ أين مصائبُهُ ولا شيء يشفي منك يا ابنة عفزرا^١

ولم تشأ الكتابات التدمرية الاعلان عن اسم ملكة تدمر ، بل ذكرتها على هذه الصورة : (بت زباي) اي (بنت زباي)^٢ . و (زباي) هو اسم والد الملكة ، حذفت كلمة (بت) وهي (بنت) في العربية ، وقلب الحرف الأخير وهو الباء من كلمة (زباي) وصيّر همزة ، فصار (زباء) ، وعرفت ملكة تدمر عند العرب باسم (الزباء) .

وقد ذكر المؤرخ (فلافيوس فوبسكوس) (Flavius Vopiscus) ان والد (الزباء) رجل من تدمر اسمه (اخليو) (Achilleo)^٣ ، و (Achilleo) هو (انطيوخس) (Antiochus) في رواية اخرى^٤ .

وقد أثنى عليها المؤرخ (تريبيوس بوليو) (Trebellius Pollio) ووصفها وصفاً جميلاً ، وأشار الى مقدرتها وقابليتها ، وذكر انها كانت تتكلم اليونانية وتحسن (اللاتينية) ، وتتنق اللغة المصرية وتتحدث بها بكلطلاقة ، وتهتم بشؤون المملكة ، وتقطع المسافات الطويلة سيراً على الأقدام في طليعة رجال جيشها ، الى غير ذلك من كلام فيه ثناء واطراء على هذه الملكة .

وقد بلغتنا روايات تفيد ان الملكة ادعت انها من مصر ، من سلالات الملوك وانها من صلب الملكة الشهيرة (قبطرة)^٥ (كليوبطرة) (Cleopatra) ، وانها كانت نفسها تتكلم المصرية بطلاقة ، وانها ألقت كتاباً كتبته بخط يدها اختصرت

١ اللسان (٥٩١/٤) .

٢ المشرق ، السنة الأولى ، (١٨٩٨ م) ، آب ، الجزء ١٥ ، (ص ٦٩٣) .

٣ Flavius Vopiscus Aur., 31, Oberdick, S., 143.

٤ Zosimus, I, 61, Oberdick, S., 143.

٥ Trebellius Pollio : Hist. August., P. 192, 199, XXX, Tyrannl., C., 14.

٦ مروج (٢٥٩/١) (طبعة دار الرجاء) ، (٢٥٩/١) ، Oberdick, S., 47, Gibbon, I, P. 202.

فيه ما قرأته من تواريخ الأمم الشرقية ولا سيما تاريخ مصر^١ ، وانها استقدمت مشاهير رجال الفكر الى عاصمتها ، مثل الفيلسوف الشهير (كاسيوس ديونيسيوس لونجينوس) (Cassius Longinus) . (٢٢٠ - ٢٧٣ م) بعد الميلاد . وكان فيلسوفاً على مذهب الأفلاطونية الحديثة ومن أصدقاء الفيلسوف (فرفوريوس) (Phorphyrios) ، استقدمته الملكة الى عاصمتها واستضافته عندها وجعلته مستشاراً لها ، فأخلص لها في مشورته، فكان ذلك سبباً في قتله . فقتله القيصر (أوريليانوس) (Aurelianus) ، لاتهامه انه كان يحرض الملكة على الرومان^٢ .

ومثل الكاتب المؤرخ (كليكراتس الصوري) ، و (لوبوكوس) البيروتي اللغوي الفيلسوف ، و (بوسانياس) الدمشقي المؤرخ ، و (نيوكوماخس) (Nicomachus) من زمرة الكتاب المؤرخين، المتصلعين بالإغريقية، ومن الفلاسفة ، وقد تولى الكتابة باللغة الإغريقية ، وصار من مستشاريها كذلك^٣ . ولذلك أمر به القيصر (أورليانوس) فقتل بعد محاكمته بمدينة حمص، في الوقت الذي حوكت فيه الملكة والفيلسوف (لونجينوس) ، الذي قطع رأسه بعد ان مثل به^٤ . وفي حشد هذا النوع من الرجال دلالة على ميول الملكة الفلسفية الأدبية وثقافتها العالية ولا شك .

وملكة شأنها هذا ، لا بد ان تكون حرة الفكر، متساهلة مع اصحاب العقائد والآراء . وهذا ما كان . ففي مدينة (تدمر) الوثنية عاشت جالية كبيرة من اليهود تمتعت بممارسة شعائرها الدينية بكل حرية ، ونالت حقوق المواطنة التي كان يتمتع بها التدمريون ، جاءت الى المدينة مهاجرة من فلسطين خاصة بعد خراب القدس على ايدي القيصر (طيطوس) (تيتوس) (Titus) في سنة (٧٠) بعد الميلاد^٥ . فاشتغلت فيها بالتجارة ، فحصلت على ارباح طائلة جداً ، وصار لها في المدينة اسم وشأن حتى ان مجلس المدينة والشعب اقام تمثالاً في سنة (٥٦٩)

1 Oberdick, S., 47, Vaughan, P. 79.

2 فقدت مؤلفات هذا الفيلسوف ولم يبق منها غير : (Le Sublime) أي كتاب الايغال ، المشرق، السنة الاولى الجزء ٢٠ ، السنة ١٨٩٨ م ، (ص ٩٢١)، Hervey, P. 245.

3 المشرق ، الجزء نفسه (٩٢١) ، Vaughan, P. 192.

4 Vaughan, P. 192.

5 المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ٢٠ (١٨٩٨ م) ، (ص ٩٢٤) .

السلوقية المقابلة لسنة (٢٥٧) الميلادية ليهودي يدعى (يوليوس أورليوس شلميط)
(Julius Aurelius Schalmath) قائد القافلة ، لأنه ترأس القافلة ، وأنفق عليها
من ماله^١ .

وقد بالغ بعض المؤرخين في عدد اليهود الذين كانوا في (تدمر) أيام حكم الزباء
فزعم انه بلغ نصف عدد سكان المدينة ، وهو زعم يحتاج الى اثبات . وزعم
القديس (أنثاسيوس) (St. Athanasius) ان ملكة تدمر كانت تدين باليهودية^٢
ولكنها مع تهودها لم تهب أبناء دينها الكنائس لتكون لهم مجامع ومحافل^٣ . وذهب
الى هذا الرأي المؤرخ (فوتيوس) (Photius)^٤ . وذكر (فيلاستريوس)
(Philastrius) ان الذي هوّد الملكة هو (بولس السميساطي) (Paulus Samosati)^٥
وهو أسقف كان مقرباً الى الزباء ، وله منزلة عالية لديها . ونسبت اليه آراء في
المسيح وفي بعض الأمور الدينية الأخرى دعت الى محاكمته في مجمع (انطاكية)
الذي انعقد في سنة (٢٦٤) للميلاد ، فوجد المجمع ان تعاليمه تشبه تعاليم
(أرتاماس) (أرتامون) الذي حكم عليه قبلاً ، فحرموا آراءه كذلك ، ثم
حكم عليه في (انطاكية) سنة (٢٦٩) بعزله عن الأسقفية ، ولم تتدخل (الزباء)
في القرارات التي اتخذها رجال الكنيسة تجاه بولس ، كما انها لم تنفذ قراراتهم
بحقه ، بل أبقته في مركزه وتركته على ما كان عليه^٦ .

ويرى بعض المؤرخين أن خبر تهود الملكة خبر مختلق ، وضعه آباء الكنيسة
للإساءة الى سمعة (بولس السميساطي) والظعن فيه والخط من تعاليمه وللتأثير في
نفوس أتباعه^٧ . وقد لاقى (بولس) من خصومه عنتاً شديداً . ولا يعقل بالطبع
أن يعتمد رجل كنيسة الى تهويد شخص مهما كان مذهبه ورأيه في طبيعة المسيح

-
- ١ Oberdick, S., 65, Corpus, Insc. Grea., III, NR. 4486, Levy: Palmyr. Inschr. in ZDMG., VII, 1864, S. 88.
 - ٢ المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ٢٠ ، (١٨٩٨ م) (ص ٩٢٤) ،
Oberdick, S., 71, Milman: History of the Jews, III, P. 175.
 - ٣ المشرق ، الجزء ٢١ (١٨٩٨ م) ، (ص ٩٩٥) .
 - ٤ Oberdick, S., 71, G. Moss: Jews and Judaism in Palmyra, in : Palestine
Exploration Fund Quarterly, Vol., 60, 1928, 100-107.
 - ٥ المصدر نفسه .
 - ٦ المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ٢١ ، ١٨٩٨ م (ص ٩٩١ وما بعدها) .
 - ٧ Oberdick, S., 72.

واللاهوت ، بل المعقول أن يعمد للتأثير فيه وادخاله الى مذهبه . ولدينا خبر آخر أراه من جنس خبر (فيلاستريوس) ذكره (تيودوريت) (Theodoret) ، خلاصته : أن الأسقف (بولس) أخذ رأيه في (الثالث) من آراء الملكة المتأثرة باليهودية ، وأنه كان قد تأثر بالمرأة حتى سقط الى الحضيض^١ . ولا يخفى ما في هذا الخبر من طعن في عقيدة الرجل الذي أبدى رأياً في (الثالث) سبب غضب الآباء عليه .

ولم نجد في الآثار اليهودية التي بين أيدينا ما يفيد تهود (الزباء) ، نعم ورد في التلمود خبر يفيد حماية (الزباء) للأخبار^٢ ، غير أنه وردت أخبار أخرى تفيد أن اليهود كانوا ناقلين على (تدمر) حاقدين عليها يرجون من الله أن يطيل في عمرهم ليرؤوا نهايتها . هذا الخبر الكبير (يوحانان) (يوخانان) (Johanan) (Jochanan) رئيس (أكاديمية) (طبرية) والمعاصر لأذينة والزباء ، يقول : (مخلص وسعيد من يدرك نهاية أيام تدمر) . ولو كانت الملكة على دين يهود ، لما صدرت هذه الجملة من فم ذلك الحبر ولا شك . ونفهم من بعض الروايات المروية عن فقهاء اليهود وأخبارهم في فلسطين في ذلك العهد ، أن الملكة اضطهدت اليهود وعذبتهم . وهي روايات لا يمكن التسليم بصحتها أيضاً ، ويجوز أنها ظهرت على أثر توسع الملكة في الأرضين التي كانت تحت سيطرة الرومان ومنها (اليهودية) غير أن هذا الاستيلاء لم يكن أمده طويلاً^٣ .

ووردت روايات أخرى تشير الى كراهية يهود منطقة الفرات لتدمر ، ورد ان الحبر (يهودا) (R. Juda) تلميذ الحبر (صموئيل) (Samuel) تحدث عن تدمر ، فقال : « سيحتفل الاسرائيليون في أحد الأيام بعيد ، انه عيد هلاك ترمود (Tarmud) ، انها ستهلك كما هلكت تمود (Tamud) . وقد هلكت » . وورد ان الحبر (آشة) (R. Asche) ذكر (ترمود) (Tarmud) فقال : « ترمود مثل تمود ، انها شيثان لأمر واحد ، اذا هلك أحدهما قام الثاني مقامه »

Oberdick, S., 73.

Talmud Jeru. Ter., VIII, 46b, Ency. Brita., 23, P. 945.

Simon Dubnow: Weltgeschichte des jüdischen Volkes, III, S., 179, The Universal Jewish Encyclopedia, Vol., 10, P. 639, Graetz: History of the Jews,

Vol., 2, PP. 528, 1927, Yer. Taan., VIII, 465.

ويراد بـ (ترمود) مدينة (تدمر)^١ . وقد اشترك عدد كبير من اليهود في صفوف أعداء الزباء ، واشتركوا مع الفرس في حروبهم مع تدمر كما اشتركوا مع الرومان . وقبض على عدد من الأحبار أحضروا الى الملكة كانوا يحرضون الناس على التدميرين^٢ .

أما (تمود) ، الذين هلكوا قبل هلاك (ترمود) ، فهم قوم ثمود . ويظهر أنهم حلت بهم نكبة أدت الى هلاكهم حتى صار هلاكهم مضرب الأمثال . ولم يشر الى زمن حلول تلك النكبة . ولكن ذلك كان قبل سقوط (تدمر) في أيدي الرومان على كل حال ، كما يفهم من كلام الخبر (يهودا) المتوفى سنة (٢٥٧) للميلاد^٣ .

أما أسباب هذا البغض ، فلم تذكر . ويظهر ان هنالك جملة عوامل دعت الى ظهوره ، منها آراء الملكة الفلسفية وآراء الفلاسفة والكتّاب الذين كانوا يحيطون بها ، وكانوا يبشّونها في تدمر وفي البقاع التي استولى عليها التدمريون ، فنفقت نفاقاً كبيراً بين يهود (تدمر) ويهود (الكالوتات) على نهر الفرات ، فأثارت هذه الآراء (الاحادية) عند اليهود حقد الأحبار والمتدينين . ومنها الزواج المختلط الذي انتشر في تدمر بين اليهود وغير اليهود ، ونشوء جيل جديد من هذا الزواج أضاع الدين وتقاليده الإسرائيليين . وهو أمر نهى عنه اليهود . ومنها الحالة السياسية التي نشأت من أسر الفرس للقيصر (والريانوس) ، وهجوم أذينة على الفرس وما أعقب ذلك من حروب ألحقت ضرراً كبيراً بالجاليات اليهودية الكبيرة التي كانت تسكن شواطئ الفرات ، ومعظمها من التجار الذين كانوا يتاجرون مع الفرس والروم ، وبين العراق وديار الشام ، فأصبحت هذه (الكالوتات) اليهودية التي كانت تتمتع بشبه استقلال بأضرار كبيرة ، وفقدت استقلالها خلال مدة استيلاء التدمريين على شواطئ الفرات . فلهذه الأسباب كانت نقمة اليهود على التدمريين^٤ .

Oberdick, S., 80, Jebam 17b. ١

ذكر (Oberdick) أمثلة عديدة على ذلك في (ص ٨٠) وما بعدها من كتابه . راجع أيضاً : ٢

Grätz: Geschichte der Juden, IV, S., 336, Levy, in ZDMG., XVIII, S., 97.

Jost: Geschichte des Judenthums und seiner Sekten, II, S., 156.

Oberdick, S., 79. ٣

Jost: Geschichte der Juden, 4, 14, 7, Oberdick, S., 78. ٤

وحرص بعض المؤرخين على ادخال الملكة في زمرة النصارى فزعموا انها كانت على دين المسيح . وتساهل آخرون بعض التساهل فقالوا انها لم تكن نصرانية أصيلة ولكنها كانت قريبة منها ميالة اليها ، وجحد حجج من قال بتهود الملكة وسخفها . وتوسط آخرون فقالوا انها لم تكن يهودية محضة ، ولا نصرانية خالصة ، إنما كان دينها وسطاً بين الدينين : كانت تعتقد بوجود الله ، وترى التوحيد، ولكنها لم تكن على اليهودية وعلى النصرانية ، بل رأت الخالق كما يراه الفيلسوف^١ .

وللمؤرخين آراء في أصل (الزباء) ونسبها وأسرتها ، فمنهم من ذهب الى أنها مصرية ، ومنهم من ذهب الى أنها من العماليق ومن هؤلاء المؤرخ (آيشهورن) (Eichhorn)^٢ . وقد أخذ هؤلاء آراءهم من الكتب العربية على ما يظهر . وذهب المؤرخ اليهودي (كريتس) (Graetz) (Grätz) الى أنها (ادومية) من نسل (هيرودس) وانها يهودية الدين^٣ . ورأى (رايت) (Wright) و(أوبردك) (Oberdick) وآخرون انها من أب عربي ولكنها من دم مصري من ناحية الأم . والذي عليه أكثرهم أنها عربية الأصل^٤ .

وقد ذكر (المسعودي) ان بعض المؤرخين كانوا يزعمون انها (رومية) تتكلم العربية^٥ .

أظهرت (الزباء) مقدرة فائقة في ادارة شؤون الملك ، فخاف منها الرومان ، وعزم (غاليانوس) بتحريض من شيوخ (رومة) على القضاء عليها قبل استفحال أمرها ، فأرسل جيشاً الى الشرق تظاهر انه يريد من ارساله محاربة (سابور) غير انه كان يريد في الواقع مهاجمة تدمر واخضاع الملكة . فبلغ خبره مسامع (الزباء) فاستعدت لمقابلته وخرجت له ، والتحمت فعلاً بكتائب الرومان، وانتصرت عليها انتصاراً باهراً ، وولت هاربة تاركة قائدها (هرقليانوس) (Heraclianus) قتيلاً في ساحة الحرب^٦ .

Oberdick, S., 72, 73.

Eichhorn, Fundgr. des Orients, II, S., 365, Oberdick, S., 47.

Graetz, Geschichte der Juden, IV, S., 335.

Wright, P. 131, Oberdick, S., 47.

مروج (١ : ٢٥٩) .

المشرق ، السنة الاولى ، ايلول ١٨٩٨ م ، ١٨ (ص ٨٢٤ وما بعدها) ،
Zosimus, I, 40, Oberdick, S., 43, Trebellius Pollio, Gall. 31, Trig. Tyr., 29, Hist.

August., P. 180, 181, Gibbon, I, P. 263.

ورأت الملكة الحذر من الفرس ، وذلك بتقوية حدود مملكتها ، فأمرت بإنشاء حصن (زنوبيا) (Zenobia) على نهر الفرات ، ليقف أمام الهجمات التي قد يوجهها الساسانيون عليها من الشرق^١ . ويقول (بروكوبيوس) انه سمي بهذا الاسم نسبة الى الملكة مؤسسته^٢ .

وقد اتبعت (الزباء) بعد مقتل زوجها سياسة عربية ، سياسة تعتمد على التقرب من الأعراب والتودد اليهم والاعتماد عليهم في القتال والحروب . وذلك بعد أن رأت ان الرومان هم أعداء تدمر ، وانهم لا يفكرون الا في مصالح الرومان الخاصة . وبهذه السياسة تقربت أيضاً الى العناصر العربية المستوطنة في المدن ، وأخذت تعمل على تكوين دولة عربية قوية واحدة بزعامتها ، وخاصة بعد أن أدركت ان الأعراب قوة لا يستهان بها ، وانهم لو نظموا واستغلوا استغلالاً جيداً ، صاروا قوة بحسب لها كل حساب ، فأخذت تعمل لتكوين هذه القوة ، ولكن الرومان كانوا أسرع منها ، ففقدوا على ماربها قبل أن تتحقق ، فاستولوا على تدمر وأزالوا مملكة ملكة الشرق^٣ .

وجهت (الزباء) أنظارها الى مصر ، ووضعت الخطط للاستيلاء على هذا القطر ، بعد أن مهدت لنفسها الدعوة فيه بإعلانها انها مصرية وانها من نسل الملكة (كليوبطرة) (قبطرة) فلها إذن فيه ما يسمح لها بالتدخل في شؤونه ، وأخذت تترقب الفرص وتتحين الأسباب ، فلما قتل القيصر (غاليانوس) سنة (٢٦٨) للميلاد ، وانتقل الحكم الى (أوريليوس فلوديوس) (Marcus Aurelius Claudius) (٢٦٨ - ٢٧٠ م) ، وجدت الجو صالحاً للتدخل ، كان الألمان (Alemannen) قد هاجموا حدود الإمبراطورية في مطلع هذا العام ، وكان (الغوط) (القوط) (Gothen) (Goths) قد أربكوا الدولة . وكان أثر الخسارة التي لحقتها الملكة في الجيش الروماني ، ومقتل (هرقلانوس) بالغاً في نفوس الرومان ، يتجلى في صياح أعضاء مجلس الشيوخ بصوت واحد سبع مرات في أثناء مبايعة القيصر الجديد : (ياقلوديوس أغسطس نجّنا من فكتوريا ومن زنوبيا ، ياقلوديوس

١ Oberdick, S., 43.

٢ Procopius, History of the Wars, II, V, IV-VI, P. 295.

٣ Die Araber, II, S., 270, VI, S., 270.

أغسطس أغثنا من التدمريين ^١ . وفي الرسالة المؤثرة التي وجهها القيصر الى مجلس الشيوخ ومدينة (رومة) وهو في طريقه لتأديب المهاجرين ، وفيها (ان جيبي ليندى خجلاً كلما تذكرت أن جميع الرماة بالقسي هم في خدمة زنوبية) ^٢ . فانتهزت الملكة هذه الفرصة المؤاتية وأرسلت جيشها لاحتلال مصر .

كان القيصر قد أمر عامله على مصر المدعو (بروبوس) (Probus) بالخروج على رأس اسطول الاسكندرية الى عرض البحر : لمطاردة (الغوط) (القوط) (Goths) ولمنعهم من الهرب عبر المضائق ، فخرج على رأس قوة كبيرة من الرومان لمطاردتهم ، فانتهز الوطنيون والمعارضون لحكم الرومان - وعلى رأسهم (تيماجينيس) (Timagenes) ، وهو رجل يوناني الأصل مبغض للرومان - هذه الفرصة ، فكتبوا الى الملكة يحضونها على تحرير مصر من حكم (رومة) وتولى الحكم فيها . وأظهر (فيرموس) (Firmus) ، وهو رجل ثري جداً ، استعداداه لمساعدة الملكة بالمال وبكل ما ينبغي اذا أرادت الاستيلاء على مصر . فأمرت (الزباء) قائدها (زبدا) بقصد مصر على رأس جيش قوامه سبعون ألف رجل . وقد قاتل الجيش الروماني الذي كان مؤلفاً من خمسين ألف مقاتل وتغلب عليه ، ثم قرر العودة الى تدمر تاركاً في مصر حامية صغيرة من خمسة آلاف رجل ، ويظهر انه تركها تحت إمرة (تيماجينيس) الذي عين نائباً عن الملكة على مصر . فلما سمع (بروبوس) بهجوم التدمريين وتغلبهم على الرومان ، أسرع عائداً الى مصر ، فألف جيشاً من المصريين المواليين للرومان ، وزحف على الاسكندرية ، وأخذ يتعقب التدمريين ، وأعمل فيهم السيف . فلما سمعت (الزباء) بذلك ، أمرت قائدها بالعودة ثانية الى مصر ، فجرت معارك بين الطرفين انتهت بانتصار التدمريين على (بروبوس) عند (بابلون) أي (القسطنطينية) ، وكتب النصر لجيش الملكة في مصر ^٣ .

١ المشرق ، الجزء المذكور (ص ٨٢٥) ،

Oberdick, 53, Trebellius Pollius, Claud., 4, Triq. Tyr., Vaughan, P. 83.

٢ المشرق ، الجزء المذكور (ص ٨٢٦) ،

Oberdick, S., 54, Trebellius Pollius, Claud., 7.

٣ (بروباتوس) ، المشرق ، السنة الاولى ، أيلول ١٨٩٨ م ، الجزء ١٨ (ص ٨٢٦)،

Zosimus, I, 39, 44, Hist. August., P. 198, (Pollus, XXX, Tyrani, G. 29), Oberdick, S., 54, Vaughan, P. 84, 122, 130.

وقد ساعد عرب مصر من سكان الأقسام الشرقية من مصر ، جيش تدمر مساعدة كبيرة ، ولا سيما فيما جرى من قتال حول حصن (بابلون) (Babylon) الذي عرف بـ (القسطنط) فيما بعد . ويظن بعض الباحثين أن (تياجيس) (Timagenes) الذي وصفه المؤرخ (زوسيموس) (Zosimos) (Zosimus) بأنه مصري ، كان في الحقيقة عربياً ، واسمه عربي أخذ من (تيم اللات) ، أو من (تيم جن)^١ . وكان من المبغضين للرومان .

ولم تتحدث الموارد التاريخية عن الحوادث التي جرت في مصر بعد هذا النصر ولا عن موقف الرومان من هذا التطور الذي وقع في منطقة خطيرة من مناطق الانبراطورية . ويظهر ان الملكة تراضت مع (رومة) وعقدت اتفاقية معها، وافقت (رومة) فيها على بقاء جيوش تدمر في مصر، مع اعتراف (تدمر) بسيادة الرومان على وادي النيل . وقد عقدت هذه الاتفاقية في أواخر ايام حكم (قلوديوس) . كما يتبين ذلك من خبر ذكره (ترييليوس بوليو) (Trebellius Pollio) مآله حلف المصريين بيمين الولاء والاخلاص للقيصر . وقد دام هذا الاتفاق في أوائل سني حكم القيصر (اورليانوس) (Aurellanus) (٢٧٠ - ٢٧٥ م) أيضاً كالذي يتبين من نقد ضرب في الإسكندرية في سني (٢٧٠) و (٢٧١) للميلاد، وقد ضربت على أحد وجهي النقد صورة مزدوجة لوجه القيصر (اورليانوس) (Aurellanus) حاملاً لقب (أغسطس) (Augustus) مع وجه (وهبلات)، وقد نعت بـ: (Vir Consularis Romanorum Imperator Dux Romanorum) (Vir Clarissimus Rex Imperator Dux Romanorum) ، ويشير الى اللقب الذي تلقب به أيام حكمه . وأما ازدواج صورة القيصر مع صورة (وهبلات) ، فيشير الى الحكم المزدوج على مصر^٢ .

ولم يدم هذا الاتفاق بين الرومان وبين الملكة طويلاً ، فقد ضغط سادات

Die Araber, II, S., 272, G. Ryckmans: Les Noms Propres sud-sémitiques, 62, ١
H. Wuthnow: Die Semitischen Menschnennamen in griech. Inschriften und Papyri, 1930, 39.

Mattingly-Sydenham, V, I, 308, No : 381, H. Mattingly, in CAH, 12, 301, ٢
Ency. Brita., 17, P. 163, Oberdick, S., 61, Wright, P. 137, Die Araber, II, S., 254.

(رومة) على الإمبراطور بأن ينقذ الامبراطورية مما حاق بها من تصدع في أوروبا وفي الشرق . وفي جملة هذا التصدع ظهور ملكة (تدمر) وأطامعها في مصر وفي الأرضين الأخرى من بلاد الشام وآسية الصغرى . واضطر القيصر (أوريليانوس) بعد الانتهاء من فتنة (رومة) ومن تأديب الجرمان الى التدخل والعمل للقضاء على عصيان العصاة وطمع الطامعين . وبلغ سمع الملكة من أصدقائها ومخبريها في (رومة) عزمُ الإمبراطور على القضاء عليها ، فقررت القيام بعمل سريع قبل مباغطة القيصر لها ، فألغت الاتفاق المعقود مع الرومان في أيام (كلوديوس) ، وأمرت بمحو صورة (ارريليانوس) من النقود لتبرهن على قطع علاقتها بالقيصر ، وعدم اعترافها بسيادة (رومة) الاسمية عليها ، وأمرت بضرب صورة (وهبلات) وحده ، مع اللقب (الإمبراطوري) المخصص بقياصرة (رومة) وذلك في السنة الخامسة من حكمه . وقد تلقت الزباء نفسها بهذا اللقب في النقود التي ضربت باسمها في الخارج . أما نقود (تدمر) ، فقد لقت فيها بلقب (ملكة)^١ ، ولقت في مصر هي وابنها بلقب (أغسطس) . وهو لقب القيصر (أوريليانوس) . وفي هذا التحدي الصريح ، دليل واضح على ما حدث من نزاع شديد في العلاقات السياسية بين تدمر ورومة^٢ .

وتفاوضت الملكة (الزباء) على رواية مع الملكة (فيكتوريا) (فيكتورية) (Victoria) عاهلة لإقليم (الغال) ، لتوحيد الخطط في مهاجمة القيصرية الرومانية واقتسامها ، وأمرت جيوشها بالسير الى (بيتينية) (Bithynia) فاستولت عليها ، وظلت تتقدم دون ملافاة معارضة تذكر حتى بلغت (خلقيدون) بازاء (القسطنطينية)^٣ . ويقال ان الملكة كانت قد أمرت بصنع عجلة فاخرة للدخول بها في موكب الظفر الى عاصمة الرومان^٤ .

واضطرت الملكة لتنفيذ خطتها هذه الى سحب القسم الأعظم من جيشها المعسكر في مصر معتمدة على دفاع المصريين انفسهم اذا هجم عليهم الرومان . فانتهاز

١ Cooke, NSI, No : 131, Wadd., 2628.

٢ Ency. Brita., 17, P. 163.

٣ المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ٢٢ (١٨٩٨ م) ، (ص ١٠٣٣) ،

Oberdick, S., 84, Vaughan, P. 117, 130, 133.

٤ Oberdick, S., 83.

(أوريليانوس) هذه الفرصة فأرسل مدداً الى (برويس) ، وكان القائد (زبدا) قد وصل الى مصر لمساعدة (فيرموس) نائب الملكة على صد الرومان . ف وقعت معارك بين الفريقين كاد يكون النصر فيها للتدمريين لولا استمالة (برويس) جماعة من المصريين ، فأزروه ودحروا جيش (زبدا) في سنة (٢٧١) للميلاد . واضطر التدمريون الى ترك مصر الى أعدائهم ، فكانت هذه أول نكبة عظيمة تنزل بالزباء^١ . ومنذ (٢٩) أغسطس من سنة (٢٧١ م) انقطع في الاسكندرية ضرب النقود التي تحمل صورة الزباء وهבלات^٢ .

ولا نعرف اليوم شيئاً من الموارد التاريخية عن الأثر الذي تركه انتصار (برويس) في مصر على التدمريين . ولكننا نستطيع أن نقول انه وقع وقعاً عظيماً على الملكة (الزباء) . فخسارة مصر على هذه الصورة ، كانت خسارة كبيرة عليها ، ولا بد أن تكون قد أثرت فيها ، فقد مكنت الرومان من القضاء على سلطان الملكة في تلك البقعة المهمة وجعلت في امكانهم تهديدها من الجنوب ، كما ان توقف جيشها عند (خلقيدون) ، وعدم تمكنها من الاستيلاء على (نيقية) وتوقف خططها العسكرية الهجومية ، ثم اتخاذها خطة الدفاع ثم التراجع ومحبي (أوريليانوس) بقوات كبيرة نحو الشرق ، كل ذلك قد يكون نتيجة من نتائج هذا الاندحار الذي مني به جيش الملكة وأحزابها الموالية لها بمصر ، فأضعف معنويات التدمريين ومن كان يواليهم وشدت من أزر الرومان ومن كان يناصرهم .

قاوم أهل (خلقيدون) التدمريين ، وأبوا التسليم لهم ، وأرسلوا الى القيصر لينجدهم ، ويظهر ان الملكة عرفت جراحة وضعها العسكري ، وعدم استطاعتها التقدم ، فقررت التراجع الى مواضع جديدة تدافع فيها عن نفسها اذا هاجمها الرومان . وقد هاجمها الرومان فعلاً ، اذ عبر القيصر مضيق (البسفور) وفاجأ التدمريين في (بيشنية) في أواخر سنة (٢٧١ م) أو أوائل السنة التالية، وأجلاهم عنها ، ثم سار الى (غلاطية) (Galatia) و (قفادوقية) (Cappadocia) حتى بلغ (أنقرة) (Ancyra) ، فسلمت له . وأخذ الرومان يتقدمون بسرعة الى بلاد الشام^٣ .

١ المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ٢٢ ، (١٨٩٨ م) ، (ص ١٠٣٤) .

٢ Oberdick, S., 84.

٣ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٣٤) ، Oberdick, S., 87.

أفزع تقدم الرومان السريع الزباء ورجالها ولا شك ، وأخذت المدن التي كانت تساندها تشك في تمكن الملكة من الدفاع عن نفسها ، وشاعت بين الناس قصص عن نهاية تدمير وخرابها بأيدي الرومان وعن سقوطها لا محالة ، أثبتت مع وصول أنباء اعتزام القيصر القضاء على حكم الملكة وانحطاع (تدمير) لحكم الرومان . ومن يدري ؟ فلعل الرومان وأنصارهم وأعوانهم وجواسيسهم هم الذين صنعوها وأذاعوها بين الناس لإماتة همة جيش الملكة وأعوانها ، والإيحاء إليه أنه مغلوب لا محالة وإن إرادة الآلهة قد قضت بذلك ولا راد لها . فكان من بين ما أشيع أن معبد (الزهرة) في (أفقة) (Aphaca) أنبا الحجاج التدمريين الذين حجوا قبل سنة من سقوط مدينتهم ، يستفتون (الزهرة) فيما سيحل بهم في السنة المقبلة بمصير سيء سيلحق بتدمير ، وإن كارثة ستزل بهم ، أنبأهم بذلك على عادة المعبد في موسم الحج الذي يلي الموسم الذي سئل فيه السؤال^١ .

وكان من بين ما أشيع تخروصات زعم أنها صدرت من معبد (أبولو) (Apollo) تنبئ بزوال دولة التدمريين ومشية الآلهة بانتصار (أورليانوس) على الزباء ، وتخروصات تزعم أن الحبر (يهودا) (R. Juda) تلميذ الحبر (صموئيل) (Samuel) تنبأ بها عن تدمير ، إذ كان قد قال : « سيحتفل الاسرائيليون في أحد الأيام بعيد ، إنه عيد هلال (ترمود) (Tarmud) ، أنها ستهلك كما هلكت (تمود) (Tamud) وقد هلكت » . وورد أن الحبر (أشه) (R. Asche) ذكر (ترمود) (Tarmud) فقال : « ترمود مثل تمود ، أنها شيثان لأمر واحد ، إذا هلك أحدهما قام الآخر مقامه » . ويراد بـ (ترمود) مدينة (تدمير)^٢ .

إلى غير ذلك من تخروصات أوجت بها دعاية الرومان ، وأعداء الملكة من يهود ومن قوميات أخرى قهرتها (الزباء) فأذاعتها بين الناس ، لافهامهم أن من العيب مقاومة القيصر وجنوده ، وإن من الخير ترك المقاومة والاستسلام ، وأن اليوم الذي ستحرر فيه تلك الشعوب من حكم الملكة آت قريب ، لأن إرادة الآلهة قضت أن يكون ذلك ، ولا راد لأمر الآلهة : نعم ، لم تصدق الملكة العاقلة

Zosimus, I, 54, 57, 58.

Oberdick, S., 80, Jebam, 17b.

الحكيمة بهذه الخرافات ، فحاربت . ولكن عقول العامة لم تكن على شاكلة عقل الملكة ، لقد أثرت فيها هذه الدعاية ، وقضت على معنويات التدمريين الوثنيين الذين يدينون بهذه الخرافات ويؤمنون بها ، وما زال من طرازهم خلق كثير في القرن العشرين الميلادي هذا .

تهيأت الملكة (الزباء) للملاقاة (أورليانوس) عند مدينة (أنطاكية) (Antiochia) ، وكانت هي على رأس الجيش فارسة تحارب في الطليعة . أما القيادة ، فكانت لقائدها (زبدا) . وفي الوقعة الأولى هجم فرسان تدمر على الكتائب الرومانية فشتوا شملها ، فأمر القيصر جنوده بالرجوع الى مسافات بعيدة ، ليوهم التدمريين أنه قد فرّ، فإذا ساروا في أثرهم وابتعدوا عن قواعدهم باغتهم بالهجوم ، فلا يتمكن فرسان تدمر من الهزيمة لثقل أسلحة الفرسان ومعداتهم وبطء خيلهم بالقياس الى خيل الرومان . وهو ما حدث . فقد خدع التدمريون وظنوا رجوعهم هزيمة ، فتعقبوهم الى مسافات بعيدة ، وفجأة انقلبت الكتائب الرومانية على التدمريين ، وأطبقوا عليهم ، وأعملوا فيهم السيوف وانهزموا هزيمة منكرة الى مدينة (انطاكية) . وفي هذه المدينة قرّر رأي الملكة على ترك أنطاكية والارتحال عنها بسرعة لأسباب ، منها وجود جالية يونانية كبيرة فيها كانت تفضل حكم الرومان على حكم الشرقيين عليهم ، وقد كان لها النفوذ والكلمة في المدينة . ومنها نفرة النصارى من الملكة بسبب موقفها من (بولس السميساطي) الذي قرر مجمع (انطاكية) عزله من وظيفته ، فلم تنفذ الملكة قرار المجمع ، وتركته يتصرف في أموال الكنيسة، ولم تكتف بذلك بل عينته (Procurator Decenarius) على المدينة ، أي انها جعلته الرئيس الروحي والديني على الانطساكيين . أضف الى ذلك كره اليهود الذين في المدينة للتدمريين . وقد نفذت الملكة هذا القرار في اليوم الذي دخلت فيه جيوشها المدينة ، فأمرت قائدها بتركها والسير الى (حصص) فوراً . وفي اليوم الثاني دخل (أورليانوس) تلك المدينة وأعطاهما الأمان .

وتعقب القيصر أثر الملكة ففتح جملة مدن حتى بلغ (حصص) (Emisa) ، وهناك وجدها على رأس جيش قوامه سبعون ألفاً في مفازة عريضة تقع شمالي المدينة.

المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٣٥) ،
Oberdick, S., 92, Ritter, Erdkunde, 17, 2, S., 1160, 8, Zosimus, I, II; 50; 51;

فاشتبك الرومان والتدمريون في معركة حامية ربح فيها التدمريون الجولة الأولى ، فولى الرومان مدبرين مذعورين تفتك فيهم سيوف تدمر . غير ان القيصر حزم رأيه ، وأدرك وجود ضعف في خطة قتال الملكة ، سببه ابتعاد فرسان تدمر عن مشاتهم في أثناء تعقب فرسان الروم ، فأمر جنوده بالهجوم على مشاة التدمريين ، ولم يكونوا في التدريب والقابلية مثل مشاة الرومان ، فزقوا مشاة الملكة كل ممزق وحلت هزيمة منكرة عامة بجيش الزباء اضطرتها الى ترك (حمص) وتفضيل الرجوع الى عاصمتها تدمر للدفاع عنها ، فلعل البادية تعصمها منه وتمنعه من الوصول اليها. ودخل القيصر مدينة (حمص) ، فتوجه بالشكر والحمد الى -إله (حمص) (الشمس) قاطعاً على نفسه عهداً ان يوسع المعبد ويجمّله ويزينه أحسن زينة، مقدماً له ندوراً هي أكثر ما غنمه من الغنائم من التدمريين^١ .

أدرك القيصر ان النصر الحقيقي لن يتم له الا بالقبض على (الزباء) وفتح (تدمر) ، وانه لن يدرك هذا الا اذا سار هو بنفسه على رأس جيشه لفتح تلك المدينة . لذلك قرر الزحف اليها بكل سرعة قبل أن تتمكن الملكة من تحصين مدينتها ومن الاتصال بالفرس وبالقبائل العربية الضاربة في البادية ، فيصعب عندئذ الاستيلاء عليها . فسار مسرعاً حتى بلغ المدينة برغم الصعوبات والمشقات التي جابهت الكتائب (اللجيونات) الرومانية في أثناء قطعها الصحراء ، وألقى الحصار على (تدمر) القلعة الصحراوية الحصينة ، غير ان المدافعين عنها قابلوه بشدة وصرامة برمي الحجارة والسهام والنيران على جيشه وبالشتائم والسخرية والهزء ترسل اليه من أعالي السور . ويظهر ان (رومة) سمعت بذلك فسخرت من عجز القيصر عن احتلال مدينة صحراوية ، ومن التغلب على امرأة ، فساء (أورليانوس) ذلك كثيراً ، فكتب الى مجلس الشيوخ يقول : « قد يستضحك مني بعض الناس لمحاربتى امرأة فاعلموا ان الزباء (Zenobia) اذا قاتلت كانت أرجل من الرجال »^٢ . وبعثت سخرية أهل تدمر وهزؤ أهل (رومة) منه في القيصر عزماً جديداً على فتح المدينة ودكها دكاً مهما كلفه الأمر ، ليمحو عنه هذه الوصمة

١ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٣٦) ،

Oberdick, S., 102, Zosimus, I, 53, Flav. Vop. Aur., 25, Gibbon, I, P. 258.

٢ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٣٨) ،

Oberdick, S., 108, Flav. Vopiscus Aur., 26-27, Hist. August., P. 218, Wright, P. 167, Gibbon, I, P. 266.

المخجلة التي لحقت به . فكاتب الملكة طالباً منها التسليم والخضوع للرومان لتنال السلامة وتستحق العفو ، فيسمح لها بالاقامة مع أسرتها في مدينة يعينها مجلس الشيوخ لها . أما جواب الملكة ، فكان : « ان ما التمسته مني في كتابك لم يتجاسر أحد من قبلك أن يطلبه مني برسالة . أنسيت ان الغلبة بالشجاعة ، لا بتسويد الصفحات . إنك تريد أن أستسلم لك . أتجهل أن كليوبتره (كليوبطرة) قد آثرت الموت على حياة سبقها عار الدبره . فيها أنا ذي منتظرة عضد الفرس والأرمن والعرب (Saracens) لفل شبائك وكسر شوكتك . وإذا كان لصوص الشام قد تغلبوا عليك وهم منفردون ، فما يكون حالك إذا اجتمعتُ بحلفائي على مقاتلتك . لا شك أنك ستذل وتخنق لي فتجرد نفسك من كبريائها التي حملتك على طلب المحال كأنك مظفر منصور في كل أين وآن »^١ .

لم ينجد الفرس ملكة الشرق ، ولم يرسلوا اليها مدداً ما . فقد كانوا هم أنفسهم في شغل شاغل عنها . توفي (سابور) الأول في عام (٢٧١) للميلاد ، فتولى (هرمز) (Ormidus) الملك من بعده ، وكان رجلاً ضعيفاً خائر القوى ، فعزل بعد سنة قضاها ملكاً . وظهرت فن داخلية بسبب ذلك لم تسمح للفرس وهم في هذه الحال أن يرسلوا قوة لمساعدة ملكة البادية عدوة (أورليانوس) قيصر الروم . وأما القبائل ، فأمرها معروف ، لأنها مع القوي ما دام قوياً ، فإذا ظهرت عليه علائم الضعف ، صارت مع غيره . تحرش قسم منها بجيوش الرومان المحاصرة للمدينة وهاجمتها ، غير أنها منيت بخسائر فادحة ، فتركت التحرش بالمحاصرين . ورأى قسم منها الاتفاق مع القيصر ، ففي الاتفاق الربح والسلامة . وما الذي يجنيه سادات القبائل من ملكة محاصرة ، لم يبق من ملكها غير مدينة في بادية وثروة سيستولي عليها الرومان . وإن بقيت لها فلن يصيبها منها ما يصيبهم من القيصر من مال كثير . ومن لقب وجاه يأتيهم من حاكم مدني قوي . وقد عرف القيصر فيهم هذه الخصلة فاشترى أنفس الرؤساء بالمال . فأمن بذلك شر القبائل ، وسلم من عدو يحسب لعداوته ألف حساب^٢ .

١ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٣٨) ،

Oberdick, S., 109, Flav. Vop. Aur., 26, 27, Wright, P. 157, Vaughan, P. 173.

Oberdick, S., 108, III. ٢

ولما رأت الزباء ان ما كانت تأمله من مساعدة الفرس والقبائل والأرمن لم يتحقق ، وان ما كانت ترجوه من مساعدة الحظ لها بإطالة أمد الدفاع لأكراه عدوها على فك الحصار والرجوع لم يتحقق كذلك ، وان وضع القيصر قد تحسن بوصول مدد عظيم اليه من الشام وبوصول مواد غذائية اليه كافية لإطالة مدة الحصار ، قررت ترك عاصمتها للأقدار ، والتسلل منها ليلاً للوصول بنفسها الى الفرس عليهم يرسلون لها نجدة تغير الموقف وتبدل الحال . ودبرت أمر خطتها بكل تكتم وهربت من مدينتها من غير ان يشعر بخروجها الرومان ، وامتنعت ناقة واتجهت نحو الفرات ، ولعلها كانت تقصد الوصول الى حصنها (زنوبية) ومنه الى الفرس^١ . على كل حال ، فقد حالقها الحظ في أول الأمر ، فأوصلها سالمة الى شاطئ النهر ، عند (الدير) (دير الزور) قريب من (زليبية)^٢ (Halebiya) ثم خانها خيانة فظيعة . فلما علم (أورليانوس) بنبا هرب الملكة ، أيقن ان أتباعه ستذهب كلها سدى ان لم يتمكن من القبض عليها حية . لهذا أوعز الى خيرة فرسانه وأسرع رجاله باقتفاء أثر الملكة والقبض عليها معها كلفهم الأمر . وقال الحظ كلمته . انه سيكون في جانب القوي ما دام الناس في جانبه . نقل فرسان القيصر الى موضع وجود الملكة على الشاطئ ، في اللحظة الدقيقة الفاصلة الحاسمة بين الموت والهلاك والدمار وبين العز والسلطان واسترجاع ما ذهب من ملك . كانت الملكة تهم بوضع نفسها في زورق لينقلها الى الشاطئ الثاني من نهر الفرات. ولو عبرت لتغير اذن كل شيء . واذا بالفرسان ينقضون عليها ويأخذون (ملكة الشرق) معهم مسرعين الى معبد الشرق للرومان : (Recepto Orientis) ، وهو على رأس جنوده يحاصر هذه المدينة العنيدة التي أبت الخضوع لحكمه والتسليم له^٣.

من الباحثين من يرى ان الملكة هربت من نفق سري يصل معبد المدينة بالخارج يمر تحت السور له باب سري خارج الأسوار أعداً لمثل هذه المناسبات ، أو من أنفاق أخرى ، اذ يصعب تصور خروج الملكة ليلاً من مدينتها ولو بحفر نفق في السور دون أن يشعر بذلك الرومان . ويستشهدون على صحة رأيهم هذا

Oberdick, S., III.

١ المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ٢٣ (١٨٩٨) م ،
Wright, P. 160, Freya Stark, Rome, P. 367.

٢ « Recepto Igitur Orientis », Flav. Vop. Aur., 25. ٣

بالسراديبي والقنوات التي ترى بقاياها تحت أسوار تدمر وقلاعها الى اليوم^١ .

أحضرت الزبباء أمام القيصر ، فقال لها : « صرت في قبضتنا يا زينب ، ألسنت أنت التي أدت بك الجسارة الى أن تستصغري شأن قيصر روماني » . فأجابت : « نعم ، لاني أقر لك الآن بكونك قيصراً ، وقد تغلبت عليّ . وأما غالينانوس وأورليوس وغيرهما ، فلست أنظمهم في سلك القياصرة . وإنما بارتني فيكتورية في السلطنة والعز ، فلولا بعد الأوطان لعرضت عليها أن تشاركني في الملك^٢ » . فأثرت كلمات الملكة في نفس (اوريليانوس) ، ففتحها الأمان . وقد أثر أسرها في نفوس التدمريين المتحصنين في بلدتهم ، فرأى قسم منهم الاستمرار في الدفاع وعدم تسليم المدينة مهما كلف الأمر ، ورأى قسم آخر فتح الأبواب والتسليم ، وصاحوا من أعلى الأسوار في طلب الأمان ، وفتحوا له أبواب المدينة في بدء السنة (٢٧٣) للميلاد^٣ . فدخلها دخول الظافرين ، فقبض على حاشية الملكة السابقة ومستشاريها ومن كان يحرض على معارضة الرومان ، واستصفى أموال الملكة وجميع كنوزها ، وأخذ الزبباء ومن قبض عليهم معه وتوجه بهم الى (حصص)^٤ .

وتذكر بعض الروايات أن القيصر كان اول ما فعله عند دخوله الى المدينة أن توجه الى معبد الإله (بعل) (Bel) ، فشكر الإله وحده على توقيقه له ونصره له على أهل تدمر . ثم اختار له قائداً نصبه على (تدمر) اسمه (Sandarion) على رواية و (Apsaeus) على رواية أخرى ، ليحافظ على الأمن ويحكم المدينة . وجعل في إمرته حامية فيها ستمائة من الرماة ، ثم غادر تدمر تاركاً أمرها الى هذا القائد^٥ .

١. المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٥٨) ،
Oberdick, S., III, Ritter: Erdunde, XVIII, 2, S., 1521.

٢. المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٥٨) ،
Oberdick, S., 112, Ritter, Erdunde, XVII, 2 Hist. August., P. 199, 218, Wright,
PP. 160, Vospicus Aurel., C. 28, Zosimus, I, I, C. 55, P. 50, Gibbon, I, P. 267,
Trebellius Poll., 30, Tyr., 29.

٣. المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٥٩) ، Leopold Von Ranke: BD., 5, S., 189.

٤. Zosimus, I, 56.

٥. Vaughan, P. 187.

وفي حصص كما زعم المؤرخ (زوسيموس) (Zosimus) حاكم القيصصر الملكة وأصحابها (استحضرت القيصصر سلطنة تدمر وأشياءها فلما مثلت بين يديه ، جعلت تعتذر إليه وتتصل وتدافع عن نفسها مدافعة الداهية حتى قرفت كثيرين من أصحابها بأنهم أصلوها بسوء نصائحهم وورطوها في الغرور . وكان من جملة الذين وشت بهم عند القيصصر (لونيچينوس) فحكم عليه القيصصر من ساعته بالموت بعد أن مثل به . فكابد لونيچينوس العقاب بشجاعة وصبر جميل حتى انه عند وفاته كان يعزى أصدقاءه وأقاربه . وكذلك نكل بكل من تجرمت زينب عليه)^١ .

وقد اختلف الباحثون في صحة رواية هذا المؤرخ ، فمنهم من شك فيها ومن هؤلاء (الأب سبستيان رتزال) الذي نقلت ترجمته العربية لرواية (زوسيموس) فقد استبعد صدور الوشاية والخيانة من ملكة كانت على جانب عظيم من سمو الأخلاق والثقافة^٢ . ومنهم من اعتقد بصحتها وسلم بها ولام الزباء على صدور مثل هذا العمل الشائن منها ، ومن هؤلاء المؤرخ الألماني (مومزن) (Mommsen) الشهير في تأريخ الرومان^٣ .

وغادر (أورليانوس) مدينة حصص الى (رومة) ومعه (الزباء) وأبنائها وعدد من الأسرى أراد إلحاقهم بموكب النصر الذي سيقمه عند دخوله العاصمة ليتفرج عليهم الناس . وفي أثناء عبور (البسفور) غرق عدة من أصحاب (الزباء) في جملتهم (وهيلات) على رواية المؤرخ (زوسيموس)^٤ . وبينما كان القيصصر في (تراقية) (Thrazien) اذ جاءت الأخبار تنبئ بثورة أهل تدمر على قائد المدينة (سنداريون) (Sandarion) الذي عيّن القيصصر حاكماً على تدمر^٥ ، وبظهور ثورة أخرى في مصر بطلها (فيرموس) (Firmus) الثري الشهير . وكان هدف الثورتين واحداً ، هو التحرر من حكم الرومان والحصول على الاستقلال ،

١ اخذت ترجمة رواية (زوسيموس) من مجلة المشرق السنة الاولى ، الجزء ٢٣ ، السنة ١٨٩٨ م (ص ١٠٥٩) ، راجع الاصل في :
Zosimus, I, I, C. 56, P. 49, 51, Vopiscus: Hist. August., P. 219, (Aurel. C. 30)

٢ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٥٩) .
٣ Oberdick, S., 113, Georg Finaly: Griechenland unter Römern, 1861, Leipzig, S., 104, Mommsen, The Provinces of the Roman Empire, Vol., II, P. 748.

٤ Zosimus, I, 58, ZDMG., 1864, S., 748.

٥ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٦٠) .

فأنفق (فيرموس) وهو من كبار رجال المال في العالم في ذلك الحين أموالاً كبيرة على الجمعيات الوطنية المناهضة لرومة ، وألف جيشاً تمكن به من الاستيلاء على الاسكندرية ، وجمع حوله أشياء (الزباء) في مصر ، ولقب نفسه بالقباب القياصرة ، وأخذ يتفاوض مع التدمريين في توحيد الخطط والعمل بجهد في تفويض الانباطورية الرومانية في الشرق^١ .

وقرر القيصر الاسراع في العودة الى الشرق لمعالجة الحالة قبل فوات الوقت ، فوصل الى (تدمر) بسرعة كبيرة أذهلت المدينة الثائرة ، فلم تدبر ما تصنع . كانت قد قتلت القائد (سنداريون) (سوداريون) (Sandarion)^٢ ، وفكتكت بالحامية الرومانية ، ورفعت راية العصيان في الشرق وتزعمت الحركة الوطنية المعادية للدخلاء وتبنتها ، فبأي وجه ستقابل (أورليانوس) القيصر المنتفطرس الجبار ؟ وماذا سيكون موقفه منها ؟ وهي في وضع حرج لا تأمل الحصول على مساعدة لا من الفرس ولا من المصريين . وتداعت المدينة بسرعة حينما مثل أمامها الرومان وسلمت نفسها للقيصر ، فسلمها هو غنيمة الى جنده يفعلون بها ما يشاءون بغير حساب .

عفا القيصر (أنطيوخس) عن أقارب الزباء ، وكان التدمريون أقاموه ملكاً عليهم . ولم يعف عن الرعية فتناولتهم سيوف الرعاع من جنود (رومة) وخناجرهم من غير تمييز في العمر أو تفريق في الجنس^٣ . وأباح القيصر لجنوده تهديم أبنية المدينة ، فدُكَّت الأسوار وهدمت الأبراج وقوضت الأبنية^٤ ، حتى ان القيصر نفسه رق قلبه على من تبقى حياً من المدينة ، فكتب الى (Cerronius Bassus) قائد المدينة أن يصفح عنهم ، وأن يعيد بناء هيكل الشمس الى ما كان عليه ، وكان جنود (اللجيون) الثالث قد نهبوه وخربوه ، وأمر بالانفاق عليه وبترتيبه وتجميله من الأموال التي استصفيت من خزائن (الزباء) . وطلب من مجلس الشيوخ في (رومة) ارسال كاهن ليدشن المعبد^٥ . وأرسل

Oberdick, S., 115.

(سوداريون) : الجزء المذكور (ص ١٠٦٠) .

Oberdick, S., 116, Grätz: Geschichte der Juden, IV, S., 336.

المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٦٠) . Vaughan, PP. 208.

Flavius Vopiscus Aur., C. 31, « Cerronius Bassus », Wright, P. 163, Flavius

Vopiscus: Hist. August., P. 21, Vaughan, P. 209.

بعض نفائس الهيكل الى عاصمته لتوضع في معبد الشمس الذي أقامه هناك ، ومنها أعمدة مصورة^١ . غير أن ما أفسده الدهر لا يصلحه العطار . ولم يتمكن القيصر من اصلاح ما أفسده الدهر على يديه . فلم يعد المعبد معبداً كما كان ، ولم تعد (تدمر) تدمر الزباء .

وقبل أن يرحل (اوريليانوس) عن أرض تدمر ، غزا الفرس . ويظهر أنه غزا قوة كانت قد أرسلت لمساعدة (تدمر) ، فأرجعها على أعقابها . ثم عين قائده المحنك (ساترنيوس) (Saturninus) بدرجة (Dux) قائداً على الحدود لحمايتها من الفرس^٢ ، وتوجه الى مصر للقضاء على ثورة (فيرموس) ، فكان الحظ فيها حليفه . احتل الإسكندرية وقبض على التاجر الحاكم ، الذي لقب نفسه قيصرأ ، فأمر بمعاقبته بعقاب السراق واللصوص ، أي بصلبه على الصليب^٣ . وبذلك أعاد معيد الشرق الى الرومان الشرق المنفصل منهم مرة أخرى الى الرومان .

بعد هذه الانتصارات وانتصارات أخرى أحرزها في غالبية ، عاد الى عاصمته في سنة (٢٧٤) للميلاد في موكب قيصري عظيم وصفه المؤرخ (Flavius Vopiscus) وصفاً رائعاً ، اشترك فيه (١٦٠٠) مصارع وعدد غفير من الأسرى من مختلف الأقوام ، ومن بينهم الملكة الزباء ومعها أحد أبنائها ، وقيل كلاهما ، وبعض رعاياها ، وثلاثة عجلات ملكية : عجلة (أذينة) زوج الزباء وهي مزينة بالذهب والجواهر ، وعجلة أهداها (هرمر بن سابور) الى القيصر ، وعجلة (الزباء) الخاصة التي أعدتها لتدخل فوقها منتصرة عاصمة الرومان . وتقدم الموكب عشرون فيلاً وعدة وحوش وحيوانات جيء بها من فلسطين وليبيا ومصر وأماكن أخرى . سار الى (الكابيتول) ثم الى قصر (الانبراطور) . واحتفل الشعب في اليوم الثاني احتفالاً خاصاً كانت فيه ألعاب مختلفة وكان فيه تمثيل وسباق مختلف الأنواع^٤ .

كان هذا الاحتفال نهاية فصل وبداية فصل جديد ، قضى على الملكة أن تقبع

Zosimus, I, 61, Oberdick, S., 116. ١

Oberdick, S., 118. ٢

Flavius Vopiscus, Aur., C. 32, 45, Firmus, C. 2, Hist. August., P. 219, Oberdick, S., 118, Gibbon, I, P. 268. ٣

Oberdick, S., 119, Flavius Vopiscus Aur., C. 33, Hist. August., P. 220, Gibbon, I, P. 269. ٤

منذ نهايته في بيت خصص بها في (تيبور) (Tibur) مع أولادها ، وأن تعتزل السياسة والشرق . عاشت في عزلة في هذه البقعة من ايطالية ، ولم يتحدث عنها مؤرخو عصر (أورليانوس) شيئاً بعد أن صارت من سواد الناس . ويظهر ان ما ذكره بعض المؤرخين اليونان عن زواج الزباء بعضو من أعضاء مجلس الشيوخ هو أسطورة من الأساطير العديدة التي راجت بعد ذلك عن حياة ملكة الشرق^١ . وأما أولاد الملكة ، فقد ذكرتُ قريباً ان بعض المؤرخين أشار الى غرق (وهبلات) في أثناء عبور القيصر مضيق (البسفور) . وأشار آخرون الى انه نقل مع أمه الى (رومة) . وأما (تيم الله) (Timolaus) ، فأسكن مع أمه أيضاً في (تيبور) . وزعم في رواية انه مات مع أخيه (خيران) (حيران) (Herenianus) في أثناء الاحتفال بموكب النصر . وزُعم أيضاً انه عاش وصار خطيباً مصقلاً من خطباء (اللاتين)^٢ . وروي أيضاً انها زوجت بناتها بأعيان من الرومان . وروي المؤرخ (تربيليوس بوليو) (Trebellius Pollio) ، وهو من رجال القرن الرابع للميلاد (حوالي سنة ٣٠٤ م) ، ان ذرية الزباء كانت في ايامه^٣ . وذكر ان الأسقف الشهير القديس (زنوبيوس) (Zenobius) أسقف مدينة (فلورنسة) ومعاصر القديس (أنبروسوس) (Ambrosius) كان من نسلها أيضاً^٤ .

ولم تكن تدمر في عهد (ديوقليطيانوس) (ديوكليتيانوس) (Diocletian) (٢٨٥ - ٣٠٥ م) سوى قرية صغيرة وقلعة من قلاع الحدود لحمايتها من هجمات القبائل وغزوها للمدن القريبة من البادية^٥ . ونحسبنا المؤرخ (ملالا) أن (ديوقليطيانوس) ابنتى (Castra) فيها ، وذلك بعد عقده الصلح مع الفرس^٦ ، ورم بعض ابنتها . ويرى (الأب سبستيان رترفال) أنه اضطهد نصارى تدمر كما فعل في سائر الأقاليم^٧ .

-
- ١ Oberdick, S., 120.
 - ٢ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٦٢) .
 - ٣ Oberdick, S., 120, Trebellius Pollio, 20.
 - ٤ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٦٢) ،
 - Oberdick, S., 120, Eutrop, 9, 13, Hieron, Chron., P. 758, Vol., Baronius, Ann., III, P. 146.
 - ٥ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٦٢) ، Oberdick, S., 116
 - ٦ Oberdick, S., 117, Malalas, S., 308.
 - ٧ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٣٦) .

وفي حوالي القرن الخامس للميلاد (٤٠٠ م) كانت تدمر مقاطعة تابعة لولاية (فينيقية) وقد عين (تاودوسيوس) (تيودوسيوس) (ثيودوسيوس) الثاني (٤٠٨ - ٤٥٠ م) فرقة من الجند لحراسة (تدمر)^١ . والظاهر أن وظيفتها كانت حماية الحدود من هجمات رجال البادية . أما الكتيبة الرومانية التي عسكرت فيها في حوالي سنة (٤٠٠) بعد الميلاد ، فهي (اللجيون الألبيري) (Illyrian) الأول^٢ .

وذكر الراهب (إسكندر) (Alexander the Acoemete) المتوفى في حوالي سنة (٤٣٠) للميلاد أنه في أثناء سفره من القرات الى مصر قابله الجنود الرومان المعسكرون في القلاع بكل ترحاب وقدّموا له ولرفاقه كل المساعدات الممكنة ، وانه وجد قلاعاً مقامة على طول حدود الفرس والروم على مسافات تتراوح من عشرة أميال الى عشرين ميلاً رومانياً . وقد قطع الحدود هذه حتى بلغ مدينة (سليمان) ، ويقصد بها مدينة تدمر^٣ .

وأمر القيصر (يوستنيانوس) (جستنيانوس) (Justinianus) (٥٢٧ - ٥٦٥ م) في أوائل تبوئه الحكم (٥٢٧ م) (أرمنيوس) (Armenius) بالذهاب الى (تدمر) لترميم ما تهدم من المباني واعادة المدينة الى ما كانت عليه . وأمدّه بالأموال اللازمة لهذا المشروع^٤ ، كما أمر بتقوية حامية المدينة ، وان تكون مقر حاكم (Dux) مقاطعة (فينيقية لبنان) (Phoenice Libanesia) وذلك لحماية الحدود خاصة حدود الأرض المقدسة^٥ ، وذكر المؤرخ (بروكوبيوس) (Procopius) ان القيصر المذكور قوى أسوار المدينة وقلاعها وحصنها تحصيناً قوياً ، وحسن موارد

١ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٦٣) ،

Oberdick, S., 117, Wright, P. 169, Notitia Dign Orien., P. 84, 380, (Ed. Bocking).

٢ Ency. Brita., 17, P. 163, Notitia Dign., I, 85.

٣ Musli: Palmyrena, P. 248, De S. Alexandra Fundatore Acoemetorum, Constantinopli, in: Bolland «Acta Sanctorum» P. 1025, Edition, E. De Stoop: VII d'Alexandre Acémété, in: Patrologia Orientalis, P. 683.

٤ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٦٣) ،

٥ Oberdick, S., 117, Procopius: De Aedif. Just., II, II, De Bello Persico, 2, I, P. 88, Theophanus, Chro., I, P. 267, (Ed. Bonn), Malalas, P. 426, Syria, VII, 1926, P. 77.

مياها . ولا تزال آثار هذا العهد باقية حتى الآن^١ .

وقد كانت مدينة (تدمر) على الحدود الداخلية (Limes Interior) للامبراطورية في أيام (يوسطينيانوس)^٢ . ويسكن في المناطق التي بين هذه الحدود وبين الحدود الخارجية (Limes Exterior) القبائل المحالفة للرومان . ومن هذه المنطقة تغزو القبائل الحدود^٣ . وقد كان سلطان الروم وقواتهم العسكرية أقوى في الحدود الداخلية منها على الحدود الخارجية التي كان يقوم بالدفاع عنها رجال القبائل الحليفة بالدرجة الأولى بأجور ومخصصات تدفعها الحكومة الى رؤسائها لضمان حماية تلك الحدود .

وقد كانت القبائل العربية قبل الميلاد وبعده تفتق راحة سكان الحدود وتزعج الحاميات الموكول اليها أمر سلامتها ، وتكون مصدر خطر دائم للحكومات . وكان من الصعب الاطمئنان اليها . ثم ان البادية كانت تصدّر لهم بين حين وآخر بضاعة جديدة منها ، وموجة عنيفة تزعج القبائل القديمة والحدود معاً ، فكان على تلك الحكومات مداراتها واكتساب ود القوية منها ، ويقال ان القيصر (دقيوس) (Decius) (٢٤٩ - ٢٥١ م) سثم في زمانه من هذا الوضع وبرم به ، ففكر في ادخال العرب في نفوس هذه القبائل وقهرها ، فجاء بأسود اصطادها من افريقية في البادية لتتناسل وتتوالد ولتكون مصدر خطر ورعب للأعراب^٤ .

وقد اتخذ بعض ملوك الغساسنة تدمر منزلاً لهم ومحل اقامة . ولم تزل على هذا الشأن حتى فتحها المسلمون سنة (٦٣٤ م)^٥ . غير انها منذ تركتها الزبلاء لم ترجع الى ما كانت عليه . وقد أثر تحول الطرق التجارية في مركز هذه المدينة كثيراً ولا شك .

وانتهت بنا أسماء عدد من أساقفة مدينة (تدمر) مدونة في سجلات الأعمال الكنسية ، منهم : الأسقف (مارينوس) (Marinus) وقد حضر المجمع النيقاوي (Nicaea) (Nicaea) الذي انعقد سنة (٣٢٥) للميلاد^٦ ، والأسقف (يوحنا) (٣٥٧ م) وقد ورد اسمه في سجلات أعمال مجمع (خلقيدون) (Chalcedon)

- ١ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٣٦) .
- ٢ Musil, Palmyrena, P. 248, Theophanes, Chronographia (Migne), Col : 404.
- ٣ Musil, Palmyrena, P. 248.
- ٤ Musil, Palmyrena, P. 247, The Chronicon Paschale, (Migne), Col : 669
- ٥ المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ٢٣ (١٨٩٨ م) ، (ص ١٠٦٣) .
- ٦ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٦٣) ، Oberdick, S., 117.

المنعقد عام (٤٥١ م)^١ ، و (يوحنا) الثاني المشهور في أيام (انستاس) (أنسطاس) (أنسطاس) (نسطاس) القيصر (٤٩١ - ٥٨١ م) . وكان نفي في عهد (يوسطينوس) خليفته لدفاعه عن (المجمع الخلقيدوني) ولقوله بطبيعيتين في المسيح سنة (٥١٨ م)^٢ . ويستدل من وجود أساقفة في تدمر على انتشار النصرانية في هذه المدينة .

وفي (تدمر) في الزمن الحاضر ثروة تاريخية مطمورة تحت الانقراض ستفيدنا ولا شك فائدة كبيرة في تدوين تاريخ المدينة وتاريخ صلاتها بالخارج . لقد عثر فيها على كتابات أفادتنا كثيراً في تدوين تاريخ المدينة . ولكن ما سيعثر عليه منها مما هو مطمور سيفيدنا أيضاً ، وقد يفيدنا أكثر في كتابة تاريخها . وقد قام علماء بالتنقيب في مواضع منها ، للكشف عن المواقع المهمة منها ، وكتبوا عنها^٣ . غير ان المدينة لا تزال في انتظار من يكشف عنها .

ووردت في الكتابات التدمرية أسماء اصنام عديدة عبدها التدمريون ، بلغ عددها زهاء اثنين وعشرين صنماً ، منها ما هو معروف ومشهور عند العرب ، وأسمائها أسماء عربية . ومنها ما هو لإرمي ، وعلى رأس آلهة تدمر الإله (شمش) (شمس) . وقد اتصفت دياناتهم بمزايا النظام الشمسي الذي تركزت عليه ديانة عرب الشمال . ومن هذه الأصنام (بل) ، أي (بعل) ، و (يرح بل) (يرح بول) (يرح بعل) ، و (عجل بل) (عجل بول) و (عجل بعل) ، و (الت) أي (اللات) ، و (رحم) (رحيم) ، (اشتر) أي (عشتار) ، و (عثر) عند العرب الجنوبيين^٤ ، و (ملك بل) (ملك بعل)^٥ ، و (عزيزو) (عزيز)

١ Oberdick, S., 117.

٢ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٢٦) .

٣ Syria. Tome, VII, 1926, PP. 70, « Recherches Archéologiques a Palmyre », by Albert Gabriel, PP. 128, Syria, Tome, XI, 1930, PP. 242, Tome, XVII, 1936, PP. 229, Bounni A, Les Annales Archéologiques de Syrie, Vol., 15, 1965.

٤ Ency. Brita., 17, P. 163, Syria, Tome, IX, 1928, PP. 101, Tome, XIII, 1932, PP. 139, Tome XIV, 1933, PP. 171, J. Février, La Religion des Palmyreniens, PP. 57.

٥ Syria, XIV, 1933, P. 182.

و (سعد) ، و (اب جل) ، و (اشر)^١ ، و (بل شمن) (بل شمين)
(بل شمين) ، أي (بل السماوات) (رب السماوات)^٢ و (جد) (جد بل) ،
وغيرها .

وعثر في تدمر على مقابر عديدة خارج أسوار المدينة على التلال المشرفة عليها
تذكر الأحياء عباد المال بالمصير المحتوم الذي سيواجه كل حي غني أو فقير أو
متوسط ، تضم رفات من تستقبلهم ثم لا تسمح لهم بالانتقال منها الى دار أخرى .
إنها دور الأبدية والاستقرار ، وقد أجاد أهل المدينة كل الاجادة باطلاقهم (بيت
الأبدية) على القبر^٣ . ضمت بيوت الأبدية هذه رفات الآباء والأبناء الى الأبد :
بعضها على هيئة أبراج ذوات غرف تودع فيها الموتى ، وبعضها على هيئة بيوت
ذوات غرفة واحدة مزينة بالنقوش وأنواع الزخرفة كتبت على جوانبها أسماء ساكنيها
في الأبدية ورسمت صورهم عليها^٤ . هذه هي مدينة الأموات تشرف على مدينة
الأحياء وتضحك منها .

حصن (زنوبية) :

لم تفكر (الزباء) ، على ما يظهر ، في نقل عاصمتها الى موضع آخر ، وقد
عملت على تقوية (تدمر) وتحصينها وتجميلها ، ومعظم الآثار الباقية فيها هي من
أيامها . ولو ان كثيراً من الأبنية التي كانت فيها قبل أيام الملكة قد صيرت
باسمها ، غير انها عُنيت عناية فائقة بتحسين عاصمتها ولا شك . وابتنت مدينة على
نهر الفرات لحماية حدودها من الشرق عرفت بـ (زنوبية) وهو اسمها باليونانية .
ويظهر ان هذه المدينة هي التي أشار اليها (الطبري) بقوله : « وكانت للزباء
أخت يقال لها زبيبة ، فبنت لها قصراً حصيناً على شاطئ الفرات الغربي »^٥ .

Syria, XV, 1934, PP. 173, Tome XVIII, 1937, P. 9, XVIII, 1937, 198, Baethgen,

Beiträge zur Semitischen Religionsgeschichte, S., 84.

Syria, XVIII, 1937, P. 5, REP. EPIG., 30, Tome, I, I, P. 28.

Ency. Brita., 17, P. 162, Syria, XXVI, 1949, PP. 87, « La Tour Funerale

de Palmyre », by Ernest Will, Wood, The Ruins of Palmyra, PL. 56.

Ency. Brita., 17, P. 162.

الطبري (٢/٣٢)

فجعل المدينة قصراً ، وصيّر اسم المدينة وهو (زنوبية) (زيبية) وجعله اسم أخت للزباء . وذكر (المسعودي) ان مدائن الزباء على شاطئ الفرات من الجانب الشرقي والغربي ، (وكانت فيما ذكر قد سقطت الفرات وجعلت من فوقه أبنية رومية ، وجعلته أنقاباً بين مدائنهما)^١ . وذكر أيضاً انها حفرت سرباً من تحت سريرها وبنته حتى خرج من تحت الفرات الى سرير أختها^٢ . وقد أشير الى هذا النفق في قصة مقتلها . وذكر (ابن الكلبي) ان أبا الزباء اتخذ النفق لها ولأختها ، وكان الحصن لأختها داخل المدينة^٣ .

وذكر (البكري) ان المدينة التي بنتها الزباء على شاطئ الفرات هي (الخانوقة) ، وزعم ان (الزباء) (عمدت الى الفرات عند قلة مائه فسكر ، ثم بنت في بطنه ازجاً جعلت فيه نفقاً الى البرية وأجرت عليه الماء ، فكانت اذا خافت عدواً دخلت الى النفق وخرجت الى مدينة اختها الزيبية)^٤ . وسمى (ياقوت الحموي) تلك المدينة (الزباء) ، قال : انها (سميت بالزباء صاحبة جذعة الأبرش)^٥ . ودعاها في موضع آخر (عزان)^٦ وقال : إن في مقابلها على الضفة الثانية من الفرات مدينة تدعى (عدان) ، وهي لأخت الزباء^٧ .

ويظهر ان هرب (الزباء) سراً من نفق سري ، يمر من داخل المدينة من معبدها او من قصر الملكة ومن تحت السور الى الخارج ، هو الذي أوحى الى أهل الأخبار قصة ذلك النفق الطويل الذي زعموا أن الملكة بنته تحت الأرض من قصرها الى نهر الفرات ، حيث مدينتها الثانية ، وهو نفق يجب أن يكون طوله مئات من الأميال . وقد عثر على بقايا سراديب وقنوات تحت أسوار تدمر وقلاعها تشير الى وجود أنفاق للهروب منها عند الاضطراب^٨ ، ولكنها لا يمكن أن تكون على شاكلة نفق أهل الأخبار بالطبع .

- ١ مروج (١٩/٢) .
- ٢ مروج (٢١/٢) .
- ٣ الطبري (٣٤/٢) (طبعة المطبعة الحسينية) .
- ٤ البكري ، معجم (٣٢٠/١) ، (طبعة وستنفلد) .
- ٥ البلدان (٣٧٢/٤) .
- ٦ البلدان (١٢٦/٦) .
- ٧ البلدان (١٢٦/٦) .
- ٨ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٥٨) ،
Oberdiek, S., III, Ritter, Erdkunde, XVII, 2, S., 1521.

ولا يستبعد احتمال وجود نفق في حصن (زنوية) على الفرات أيضاً، ساعد وجوده في تثبيت هذه القصة في رواية الأخباريين .

ويرى (هرتسفلد) (E. Herzfeld) أن هذه المدينة هي الموضع الذي يعرف اليوم باسم (الحلبية) ، ويقابله في الضفة الثانية من النهر موضع آخر يسمى (الزليبية) . وهو يعارض رأي من يدعى أن (الزليبية) هي المدينة التي بنتها الزبّاء . وينسب بناء موضع (حلبية) (الحلبية) الى (الزبّاء) كذلك^١ . ويرى بعض الباحثين احتمال كون (الحلبية) القصر الثاني الذي نسب بناؤه الى الزبّاء ، وذكر في الروايات العربية . وذهب بعض آخر الى أن (زنوية) هي مدينة (السبخة) الحالية^٢ .

ويرى (موسل) أن (الحلبية) هي (دور كرباتي) (Dur Karpati) (Nibarti Aschur) التي بنيت بأمر (آشور نصربال الثالث) (Asurnazirpal) عام (٨٧٧) قبل الميلاد ، وأنها عرفت بـ (زنوية) ثم (الزبّاء) فيما بعد^٣ . ويعزو (سبستان رتزال) سبب بناء مدينة (زنوية) الى عزم الملكة على اذلال مدينة (فولوغيسية) (Vologasia) (Vologesias) المعروفة في الكتابات التدمرية باسم (أليسيا) (Ologesia) (ألياشيا) ، وهي في نظر بعض الباحثين (الكفل) على نهر الفرات في لواء الحلة بالعراق ، بناها (فلوغاس) (فلوكاس) من ملوك (الأرشكين) (بنو أرشك) حوالي سنة (٦٠) للميلاد . وذلك لاستغلال التجارات الواردة عن طريق نهر الفرات من أقاصي الهند والشام وآسية الصغرى^٤ . فرأت (الزبّاء) منافسة هذه المدينة ببناء مدينة جديدة تقع في منطقة نفوذها على نهر الفرات .

- ١ المشرق ، السنة الاولى ، الجزء الـ ٢٠ ، السنة ١٨٩٨ م ، (ص ٩٢٠) ،
Friedrich Sarre und Ernst Herzfeld, Archäologische Reise im Euphrat und Tigris-Gebiet; Berlin, 1911, I, S., 167, II, 365.
- ٢ المشرق ، السنة الاولى ، (١٨٩٨ م) ، (ص ٤٩٥ ، ٩٢٠) ،
Sarre — Herzfeld, Archäologische, I, S., 164.
- ٣ Musil, Euphrates, P. 331, Rawlinson, Cuneiform Inscriptions, (1861-1884), Vol., I, PL. 24, Col., 3, II, 49, Budge and King, Annals, 1902, PP. 360.
- ٤ المشرق ، السنة الاولى (١٨٩٨ م) ، (ص ٤٩٥ ، ٩٢٠) ، سماها (الأب رتزال) (الكفل) ،
Rostovtzeff, Melange Gloz, 749, Seyrig, Syria, XIII, 1932, P. 272.

وكانت قوافل (تدمر) تتاجر مع هذه المدينة العراقية (ألباشيا) ، تحمل إليها بضائع الشام وسواحل البحر المتوسط ، وتنقل منها إلى (تدمر) بضائع الهند وإيران والخليج والعراق . يقود هذه القوافل زعماء شجعان خبروا الطرق وعرفوها معرفة جيدة ، ولهم في المدينة مقام محترم . وطالما عمل لهم رجال القافلة والمساهمون في أموالها ، التمايل ، تقديرآ لهم وتخليداً لأسمائهم وكتبوا شكرهم لهم على الحجارة ، ولدينا نماذج عديدة منها . من ذلك كتابة دوتها رجال قافلة لزعيمهم وقائدهم (يوليوس أورليوس زيبيد بن مقيم بن زيبيدا عشثور ييدا) ، لأنه أحسن اليهم حين قاد قافلتهم وأوصلها سالمة إلى (ألباشيا) في العراق . وكتابة أخرى دوتها جماعة قافلة تولى قيادتها زعيم اسمه (نسي بن حالا) لمناسبة توفيقه في حمايتهم وحماية أموالهم في أثناء ذهابهم وعودتهم إلى (الفرات) وإلى (ألباشيا) (Ologesia) وقد صنعوا لذلك تماثلاً له في شهر (نيسان) من سنة (١٤٢) للميلاد تخليداً لاسمه^١ .

وقد استولى (خسرو) الأول في حوالي سنة (٥٤٠) بعد الميلاد على (زنوبية) فدمرها . فلما استرجعها (يوستينيانوس) (جستنيانوس) (Justinianus) (٥٢٧ - ٥٦٥ م) ، أعاد بناء ما تهدم منها . وقد عثر على بقايا المباني التي تعود إلى أيامه ، وبعضها من عمل معماريه (يوحنا البيزنطي) و (أزيدوروس الملطي) (Isidoros Miletus) حفيد البناء البيزنطي الشهير (أيا صوفيا) (Hagia Sophia) كلفها القيصر انشاء تلك العمارات^٢ . غير أن إصلاحات هذا القيصر لم تضيف إلى حياة المدينة عمراً طويلاً ، لقد كانت نوعاً من أنواع الحقن المقوية ، تقوّم الجسم إلى حين ولكنها لا تمنحه الأبدية . ففي سنة (٦١٠) للميلاد . وفي أيام القيصر (فوقاس) (Phokas) هاجمها (خسرو) الثاني وأنزل فيها الخراب والدمار^٣ . فقد عبر (شهربراز) (Shahrvaraz) نهر الفرات في اليوم السادس من شهر (أغسطس) من عام (٦١٠) للميلاد ، واستولى على مدينة (زنوبية) (Zenobia)^٤ . وأخذ نجمها منذ ذلك الحين في الأفول ، فلم يسمع

REP. EPIG., I, VI, P. 342. ١

Sarre-Herzfeld, Archäologische reise, I, S., 167, II, S., 365. ٢

Land, Anecdota Syriaca, I, 16. المصدر نفسه ، ٣

Musl, Euphrates, P. 332. ٤

عنها شيء ، حتى انها لم تذكر في أخبار الفتوح ، ويدل هذا على أنها لم تكن شيئاً يذكر في ذلك الحين^١ .

ويحدثنا المؤرخ (بروكوبيوس) أن الأيام أثرت في مدينة (زنوبية) (Zenobia) مدينة (الزباء) ، فأُنزلت فيها الخراب ، وتركها أهلها ، فانتَهز الفرس هذه الفرصة ودخلوها وتمكنوا بذلك من الولوج في الأرضين الخاضعة للروم دون أن يشعر الروم بذلك ، ولذلك أعاد (يوسطيانوس) بناء هذه المدينة وأحكم حصونها وجدد قلاعها وأنزل الناس فيها ، وأسكن فيها حامية قوية جعلها تحت إمرة قائد ، وأقام لها سدوداً من الحجارة لحمايتها من فيضان الفرات ، وقد كانت مياه الفيضان تصل اليها فتلحق بها أضراراً جسيمة^٢ .

وذكر المؤرخ (بروكوبيوس) أن الفرس والروم ابتنوا قلاعاً بنيت جدرانها باللبن لحماية كورة (قوماجين) (Commagene) وهي الكورة التي كانت تعرف قبلاً باسم (كورة الفرات) (Euphratesia) ، وحماية حدود الانباطورية الفارسية الواسعة المشرقة على البادية من الغزو أيضاً . ومن جملة هذه الحصون ثلاثة حصون أمر القيصر (ديوقلطيانوس) (ديوقليتيانوس) (Diocletianus) ببنائها ، منها حصن (Mabri) (Mambri) الذي أصلحه القيصر (يوسطيانوس) (جستنيانوس) (Justinianus) ورعمه . ويقع على مسافة خمسة أميال رومية من (زنوبية) (Zenobia) . و (Mambri) ، هو خرائب (شيخ مبارك) على مسافة سبعة كيلومترات من (الخليية)^٣ .

ولم يبق من آثار عهد (تدمر) في (الخليية) إلا مقابر خارج أسوار المدينة . وهي على هيئة أبراج تتألف من طابقين أو ثلاثة طوابق وأهرام بنيت على الطريقة التدمرية في بناء القبور ، غير أنها دونها كثيراً في الصنعة وفي الفن . وتشاهد بقايا قبور مشابهة لهذه القبور في المدن الواقعة في منطقة الفرات الأوسط ، أي المنطقة التي خضعت لنفوذ حكومة (تدمر)^٤ .

Land. Anecdota Syriaca, I, 16, Sarre-Herzfeld, Arch., I, S., 167, II, S. 365. ١

Procopius, De Bello Persico, II, 5, 4-7, Musil, Euphrates, P. 332. ٢

Musil, Euphrates, P. 332, Procopius, De Aedificis, II, 8, 4-8. ٣

Sarre-Herzfeld, Arch., II, S., 367. ٤

ويلاحظ انتشار هذا النوع من القبور في المناطق التي سكنها العرب في أطراف الشام والعراق في العهد البيزنطي ، خاصة في (تدمر) وفي (حمص) و (الرها) (Edessa) وفي (الحضر) كذلك^١ . بل وفي (بطرا) أيضاً حيث نجد شهاً كبيراً في أشكال القبور المنحوتة من الصخر على هيئة أبراج ذات رؤوس تشبه الهرم في بعض الأحيان . ولانتشار هذا النوع من القبور في مناطق سكنتها أغلبية من العرب المتحضرين ، نستطيع أن نقول انها نمط خاص من أنماط بناء القبور كان خاصاً بالعرب المتحضرين^٢ .

وذكر (بطلميوس) أسماء عدد من المواضع جعلها في عداد أماكن (كورة تدمر) (Palmyrena)^٣ . وهي : (Resapha) و (Cholle) و (Oriza) و (Putea) و (Adaba) و (Palmyra) و (Adacha) و (Danaba) و (Goaria) و (Aueria) و (Casama) و (Admana) و (Atera) و (Alalis) و (Sura) و (Alamatha) ، وتقع هذه المواضع الثلاثة الأخيرة على نهر الفرات^٤ .

أما (Palmyra) ، فهي (تدمر) العاصمة . وأما (Resapha) ، فهي (الرصافة) وهي مدينة قديمة ورد خبرها في النصوص المسارية فدعيت فيها بـ (Ra-sap-pa) ومن ذلك نص يعود الى سنة (٨٤٠) قبل الميلاد . وقد اشتهرت بوجود ضريح القديس (سرجيوس) (St. Sergius) بها ، المقدس عند الغساسنة^٥ .

وأما (Cholle) ، فهي (الخولة) (الخلة) . وأما (Oriza) ، فهي (الطيبة) ، وتقع هذه المواضع على السكة الرومانية الممتدة من الفرات الى (تدمر)^٦ . ويرى (موسل) أن (Putea) ، هو (Berlarac) ، وهو موضع (بيار جحار) ، ويقع على السكة الرومانية المارة من (تدمر) الى موضع (Occaraba)^٧ .

-
- | | |
|---|---|
| Sarre-Herzfeld, Arch., II, S., 367, W. Andrae, Hatra, II, S., 76-106. | ١ |
| Sarre-herzfeld, Arch., II, S., 367, Elssfeldt, Tempel und Kulte Syrischer Städte in Hellinistisch-Römischer Zeit, 1941. | ٢ |
| Ptolemy, Geography, V, 14 : 19. | ٣ |
| Musil, Palmyrena, P. 233. | ٤ |
| Winckler, Keillinschriftliches Textbuch, 1909, S., 75, Musil, Palmyrena, P. 262. | ٥ |
| Musil, Palmyrena, P. 233. | ٦ |
| Musil, Palmyrena, P. 233. | ٧ |

أما المستشرقان (ميلر) (Müller)^١ و (موريتس) (Moritz)^٢ ، فقد ذهبا الى أنه (أبو الفوارس) الواقع على مسافة سبعة كيلومترات في غرب جنوب غربي تدمر . وذهب (موريتس) أيضاً الى احتمال كونه (القطار) ، وهو على مسافة خمسة وعشرين كيلومتراً الى الشمال الشرقي من (تدمر)^٣ .

أما موضع (Adada) ، فكان حصناً رومانياً كذلك ، يعرف في الزمن الحاضر بـ (الحير) ، ويقع على أربعة عشر كيلومتراً الى الجنوب الشرقي من (الطيبة) (Oriza) ، وعند الحافات الغربية لمرتفع (Adidi) ، وهو اسم قريب من (Adaba)^٤ وقد ذهب (ميلر) الى أنه الموضع المسمى بـ (خربة العاشقة) (خربة العاشقة) الواقع على الحافات الشمالية لهضبة تدمر^٥ .

ويرى (موسل) أن في كلمة (Adacha) بعض التحريف ، وأن الأصل الصحيح هو (Archa) و (Harac) ، وهو (أرك) (رك) الواقع على طريق تدمر وفي الشمال الشرقي من المدينة^٦ .

وأما (Danaba) ، فيقع على طريق (دمشق) (تدمر) ، وهو موضع خرائب (البصري) على رأي (موسل)^٧ .

وأشار المؤرخ (اصطيغانوس البيزنطي) الى (Goaria) كذلك ، ذكرها على هذا الشكل (Goareia)^٨ . ويظهر ان هذه المدينة كان لها شأن في تلك الأيام ، واذ أطلق اسمها على منطقة واسعة دعت باسم (Goarene) ، ويظن انها (البخراء) وهي في زمننا خرائب تقع على ستة وعشرين كيلومتراً الى الجنوب من (تدمر) . وقد عرفت بـ (Goareia) عند بني إرم (الآراميين)^٩ . وذهب (ميلر) و (بينتزنگر) (Benzinger) الى ان (Goaria) هو الموضع المسمى بـ (Cehere)

Müller, Ptolemy, Geography, P. 983. ١

Moritz, Palmyrena (1889), S., 8. ٢

Musil, Palmyrena, P. 233. ٣

Musil, Palmyrena, P. 233. ٤

Müller, Ptolemy, Geography, P. 984. ٥

Musil Palmyrena, P. 234. ٦

Musil Palmyrena, P. 234. ٧

Stephen of Byzantium, Ethnica, P. 210. ٨

Musil, Palmyrena, P. 234. ٩

على الخارطة الرومانية لأيام الانباطورية^١ . وهو رأي يعارضه (موسل) ، ويرى ان (Cehere) هو المكان المسمى بـ (خان عتيبة) الواقع على مسافة تزيد على مئة كيلومتر في جنوب غرب (البخراء)^٢ .

ويظهر ان (Aueria) (Aueira) (Aberia) ، هو موضع (Eumari) (Euhara) (Euarius) في مؤلفات أخرى ، وهو موضع (الخوارين)^٣ .
وأما (Casama) ، فهو على طريق دمشق المؤدي الى تدمر ، وهو خرائب خان (المنقورة) على رأي (موسل)^٤ . وأما (Admana) (Odmana) (Ogmana) ، فهو موضع (Ad-Amana) في الخارطات الرومانية للانباطورية على ما يظهر ، وهو موضع (خان التراب) على رأي (موسل) كذلك^٥ .
وأما (Atera) ، فالظاهر انه موضع (Adarin) على الخارطة الرومانية ، وهو موضع (خان الشامات) (أبو الشامات) (خان أبو الشامات) على رأي (موسل) . أما (ميلر) فيرى انه موضع (دير عطية)^٦ ، وهو رأي لا يقره (موسل) عليه^٧ .

وموضع (Sura) هو (سورية) على رأي (موسل) . وأما (Alalis) فيقع في غرب (Sura) عند (بطلميوس) . ويظن (موسل) أنه يقع بين موضعي (Sura) و (Alamatha) في مقابل (طابوس)^٨ .

عانة :

ذكرت أن التدمريين كانوا قد وضعوا حاميات لهم في مدينة (Anatha) ، أي (عانة)^٩ . وهي لا تزال موضعاً معروفاً جيداً على نهر الفرات في العراق .

-
- | | |
|---|---|
| Müller, Ptolemy, Geography, P. 984, Müller, Palmyrena, S., 22, Pauly-Wisowa, Real-Lex., BD., 7, 1547, Peutingeriana Tabua Itineraria, Wien, 1888. | ١ |
| Musil, Palmyrena, P. 234. | ٢ |
| Musil, Palmyrena, P. 235. | ٣ |
| Musil, Palmyrena, P. 235. | ٤ |
| Musil, Palmyrena, P. 235. | ٥ |
| Müller, Ptolemy, Geography, P. 985. | ٦ |
| Musil, Palmyrena, P. 235. | ٧ |
| Musil, Palmyrena, P. 235. | ٨ |
| Beryus, Vol., VIII, Fasc., I, (1943), P., 25, 55, CIS, II, 3973, A. Cantineau Syria, XIV, 1933, PP. 179, Musil, Palmyrena, P. 234. | ٩ |

وعرفت (عانة) بـ (Anat) و (An-at) و (A-na-at) و (A-Na-Ti) في الكتابات المسمارية . وعرف موضعها بـ (خ-نا) (H-na) و (خا-نا-ت) (Ha-na-at) في النصوص البابلية القديمة . وقد تكونت مملكة صغيرة بهذا الاسم امتدت رقعتها الى الحابور، وعرفت المدينة بـ (Anatha) في مؤلفات (الكلاسيكيين)^١ . ويشك المستشرق (أدور ماير) (Eduard Meyer) في وجود صلة بين اسم الإله (Ana-tu) (Anat) ، واسم مدينة (An-at) ، أي (عانة)^٢ .

ومركز (عانة) الجزر الواقعة في النهر ، وهي خصيبة ، وفي مأمن من غارات الأعراب . وقد تمكن أصحابها بفضل موقعهم هذا من التحكم في القبائل المجاورة لها ومن أخذ الجزية منها . ولهذا السبب استعمل الآشوريون في الغالب رجالاً من أهلها لحكم منطقة (سوخي) (Suhi) . وفيها كان يقيم (ايلو ابني) (Ilu Ibni) حاكم (سوخي) الذي دفع الجزية الى الملك (توكلي أنورتا الثاني) (Tukulti Enurta) (٨٨٩ - ٨٨٤) قبل الميلاد^٣ .

وقد ذكر اسم (عانة) و (الحيرة) في الكتابة المرقمة برقم (6) (Littmann)^٤ . ويرجع تأريخها الى شهر أيلول من سنة (٤٤٣) من التأريخ السلوقي ، أي شهر (سبتمبر) من سنة (١٣٢) للميلاد ، وورد فيها اسم الإله (شيع القوم) حامي القوافل والتجارات . ويظهر ان المراد بـ (حيرتا) الحيرة الشهيرة في العراق^٥ . فإذا كان ذلك صحيحاً ، دل على ان نفوذ تدمر قد بلغ هذا المكان، وان القصص الذي يرويه الأخباريون عن ملوك الحيرة والزباء أصلاً تطور على مرور الأيام

Sarre-Herzfeld, Arch., II, S., 313, Ency., I, P. 344-345, G. Bell, in Geogr. Journ., XXXVI, P. 535, ZDMG., IXI, 701, Pauly-Wissowa, Real-Lexl., I, S., 2069, I, II, S., 104. ١

Eduard Meyer, in ZDMG., 31, 1877, S., 716. ٢

Musil, Euphrates, P. 345, Sheil, Annales, PL. 3, (1909), II, 69-73. ٣

CIS, II, III, I, P. 156, 3973, Lidzbarski, Ephemeris für Semi Epigr., I, S., 345- ٤

346, REP. EPGR., 285, G. A. Cooke, NSI, NO : 140, Littmann, in Part IV, of the Publications of an American Archaeological Expedition to Syria in 1899-1900, Palmyrene Inscriptions, NO : 6, P. 70, Syria, Tome IV, 1923, P.

156, Hartwig Derenbourg, un dieu Nabatéen, 1902, PP. 124, REP.

EPIG. 285, I, IV, PP. 230.

CIS, II, III, I, P. 157. ٥

والموارد المتقدمة ، تأريخ العرب قبل الاسلام (٨١/٣) .

فتكونت منه قصة (جذيمة) والزباء .

وصاحب هذه الكتابة رجل اسمه (عبيدو بن غانمو بن سعدلات) ، من قبيلة (روحو) أي (روح) ، وكان فارساً في حامية مدينة (عنا) وهي (عانة) . وقد دون كتابته هذه بمناسبة تقديمه مذبحين الى الإله (شيع القوم) الذي لا يشرب خمرأ ، وهو حامي القوافل . ويلاحظ أن أكثر الكتابات تذكر جملة (الذي لا يشرب خمرأ) بعد اسم هذا الإله . وهي تعني أن هذا الإله كان يشرب الخمر ولا يحبها ، فعلى أتباعه تجنبها . ويظهر ان طائفة من الناس حرمت عليها الخمرة ، ودعت الى مقاطعتها ، واتخذت (شيع القوم) حامياً لها . وهي على نقيض عباد الإله (دسره) (دشرة) (Dussares) أي (ذو الشرى) الذين كانوا يتقربون الى إلههم هذا بشرب الخمر^١ .

ولا نعرف متى استولى الرومان عليها . ولم يرد ذكرها في قائمة (ماريوس مكسيموس (Marius Maximus) التي عثر عليها في (Dura) والتي يعود تاريخها الى سنة (٢١١) للميلاد في ضمن المخافر الرومانية التي كانت في المناطق الوسطى لنهر الفرات . ويظهر منها أن (عانة) (Anath) كانت في ذلك الوقت في أيدي (الفرث) (Parthians) ، وأن الرومان دخلوها بعد ذلك . قد يكون في أثناء حملة (اسكندر سويرس) (Alexander Severus) كما ذهب (روستوفستزف) (Michael Rostovtzeff) الى ذلك، أو في أيدي (غورديانوس) (Gordianus) كما ذهب (أولستيد) (A. T. Olmstead) الى ذلك^٢ .

وقد ذكر (عانة) (Anatha) المؤرخ (أريان) في أثناء حديثه عن أسطول (تراجان) الذي مرّ بها . وورد اسمها (Anath) في خبر (معين) (Ma'ajin) أحد قواد الملك (سابور الثاني) (٣٠٩ - ٣٧٩ م) ، وكان قد اعتنق النصرانية وبنى جملة ديارات ، ونصب القس على (سنجار) (شجار) (Schiggar) ، ثم لم يكتف بذلك ، فذهب الى (عانة) ، فبنى على شاطئ الفرات وعلى مسافة ميلين منها ديراً استقر فيه سبع سنوات^٣ .

CIS, II, 182, Lidzbarski, Ephemeris, I, III, 1902, S., 345, REP. EPIG.,

I, IV, P. 232, Syria, Tome, IV, 1923, P. 156.

Berytus, VIII, Fasc., I, 1943, P. 25.

Musil, Palmyrena, P. 345.

وفي سنة (٣٦٣) للميلاد حاصرها الروم ، وألحقوا بها أضراراً كبيرة . وأجلوا السكان عنها . ولما أرسل (فاراموس) (Varamus) (Varafous) في عام (٥٩١) للميلاد قوة على (عانة) (لناوشة) (كسرى) (Chosroes) وصدّه عن الرجوع الى فارس ، قتل الجنود قائدهم ، وانضموا الى (كسرى) . وفي القرن السابع للميلاد ، كان مقر أسقف قبيلة (الثعلبية) في هذه المدينة .

الفصل السادس والثلاثون

الصفويون

والى هذا العهد تجب اضافة قوم من العرب أطلق المستشرقون عليهم لفظة (الصفويين) ، نسبة الى أرض (الصفاة)^١ . وهم أعراب ورعاة كانوا ينتقلون من مكان الى آخر طلباً للماء والكلأ . وقد دوتوا خواطرهم أحياناً على الأحجار ، وتركوها في مواضعها ، ومنها استطعنا الإلمام ببعض الشيء بأحوالهم وأخبارهم . وقوم تنتشر الكتابة بينهم على هذا النحو ، لا يمكن أن نتصورهم أعراباً على النحو المفهوم من الأعرابية ، بل لا بد أن نتصور انهم كانوا على شيء من الثقافة والإدراك .

واذا سألتني عن سبب اختيار المستشرقين لهذه التسمية واطلاقها على أصحاب هذه الكتابات ، فإنني أقول لك : انهم أخذوها من اسم أرض بركانية عرفت بالصفاء وبالصفاة ، تغطي قشرتها الخارجية حتى اليوم صخور سود تقول لك انها خرجت الى هذا المكان من باطن الأرض، وان براكين ثائرة مزججة غاضبة كانت قد قذفت بها الى ظهر الأرض فاستقرت في أمكنتها هذه ، ومن يدري ؟ فلعلها أصابت أقواماً كانت تعيش في هذه المواضع أو مارة بها فأهلكتها . وهي تسمية

E. Littmann, Thamud und Safa, In Abhandlung für die Kunde des Morgenlandes, (1940), 25, I, M. Hofner, Die Beduinen in den Vorislamischen Arabischen Inschriften, in L'antica Societa Beduina, (Studi Semitici 2), 1959, 53.

قديمة تعود الى ما قبل الاسلام ، بدليل انها وردت في نص يوناني على هذه الصورة : (Safathene)^١ وورود اسم لآله عرف به (زيوس الصفوي) (Zeus Safathenos) ، أي نسبة الى هذه الأرض^٢ .

أما (الصفوية) ، فتسمية ليست بتسمية عربية قديمة ، وليست علماً على قوم معينين أو على قبيلة معينة ، وإنما هي تسمية حديثة أطلقها المستشرقون على قبائل عديدة كانت تنتقل من مكان الى مكان طلباً للماء وللكتل ، لرعي ماشيتها التي تكون ثروتها ورأس مالها ، تراها يوماً في أرض النبط ، ويوماً آخر في بلاد الشام حيث كان الرومان ثم البيزنطيون يسيطرون . فنحن في هذا الموضع لسنا أمام مملكة أو حكومة مدينة ، بل أمام قبائل عديدة حرفتها الرعي والغزو وكفى . ومن نسميهم بالصفويين إذن ليسوا بقبيلة واحدة ولا بجنس معين ، وإنما هم قبائل متنقلة ، كانت تنتقل في هذه الأرضين الواسعة ، في أزمنة مختلفة متباينة . ويعود الفضل الى الكتابات التي عثر الباحثون عليها في اعطائنا فكرة عن تلك القبائل المتنقلة ، وفي حصولنا على أسماء بعض تلك القبائل التي كان ينتسب اليها أصحاب تلك الكتابات .

وقد جمعت الكتابات الصفوية من أرضين واسعة ، تمتد من (حماه) في سورية الى نهر الفرات في العراق في الشرق ، والى فلسطين والمملكة الأردنية الهاشمية فأعالي الحجاز ، وكلها كتابات شخصية في موضوعات متعددة ، ليس بينها وثائق تتعرض للمسائل العامة مثل القوانين والحروب بين الدول بتفصيل وتبسط ، ذلك لأن الكتابات الصفوية هي كما قلت كتابات أفراد كتبوها تعبيراً عن أمور شخصية لا غير ، ومثل هذه الكتابات لا تتعرض لما يبحث عنه المؤرخ الا بقدر ، وهو قدر لا يقدم في الغالب للمؤرخ ما يبحث عنه ، ولهذا انحصرت فوائدها في مسائل

١ العرب في سوريا قبل الاسلام (ص ٢٧) .

٢ العرب في سوريا قبل الاسلام (ص ١٦٢) .

G. Ryckmans, Inscriptions Safaitiques, Extrait Du Museon, tome, 1-2, Louvain, 1951, Handbuch, S., 46, Ditlef Nielsen, Über die Nordarabischen Gotter, in Mittel. der Vorderas. Gesellsch., Bd., 21, 1916, E. Littmann, Safaitic Inscriptions, Leiden, 1943, Annual Department of Antiquities of Jordan, Vol., I, 1951, P. 17.

وكذلك الاعداد التالية لهذه المجلة التي تصدرها مديرية الآثار في المملكة الأردنية الهاشمية .

أخرى ، في مثل الدراسات اللغوية والدينية وتطور الخطوط ودراسة أسماء الأشخاص والقبائل وما شاكل ذلك .

وانتشار هذه الكتابات وتناثرها في أرضين صحراوية ، أمر يلفت النظر ويدعو الى العجب من أمر الأعراب في ذلك العهد الذين كانوا يقرأون ويكتبون مع أنهم أبناء بادية ، وقد عاشوا قبل الإسلام بزمان طويل ، ثم إن خطها يلفت اليه النظر أيضاً ، فهو خط عربي ، ولد من الأم التي نسلت الخط العربي الجنوبي ، وهو قريب من الخط الثمودي والخط اللخاني ، ويعني هذا أن العرب كانوا يكتبون قبل الميلاد بخط أود أن أسميه بالقلم العربي الأول ، أو القلم العربي القديم منه تفرعت الأقلام العربية المتنوعة فيما بعد ، فوجد ما نسميه بالقلم المسند وبالأقلام العربية الشمالية ، وذلك لظروف كثيرة لا مجال للكلام عليها في هذا المكان . وهو يدل على أن الصفويين وأمثالهم من الأعراب لم يتأثروا بالثقافة الإرمية مع قربهم منها واتصالهم بها ، وطغيانها على الثقافات الأخرى في العراق وفي بلاد الشام ، فبقوا مخلصين لقلمهم القديم ، فكتبوا به ، ولم يستعملوا قلم بني لرم كما فعل (أهل المدر) المقيمين في مدن العراق والشام وقراها . وكتبوا بلهجاتهم أيضاً ولم يكتبوا بلغة بني لرم كما فعل غيرهم من العرب الحضّر .

وقد رأى (دوسو) (Dussaud) أن الصفويين كانوا يحاكون الجنود الرومان واليونان في تسجيلهم خواطرمهم وذكرياتهم على الحجارة ، ففقد وجد الباحثون أحجاراً دون عليها أولئك الجنود في أثناء أدائهم واجباتهم العسكرية في بلاد الشام وعلى الطريق الرومانية ذكرياتهم وخواطرمهم ونزولهم في تلك الأمكنة . ولكن وجود كتابات صفوية عديدة من القرن الأول قبل الميلاد يثبت ان الصفويين كانوا يدونون خواطرمهم بهذا الأسلوب ، وذلك قبل شروع أولئك الجنود الرومان واليونان في تدوين خواطرمهم على هذا الأسلوب ، وانهم كانوا يدونون خواطرمهم هذه على الأحجار وبهذا الشكل لأن هذه الحجارة كانت هي ورق كتابة أهل البادية ، فكتبوا عليها كما يكتب أهل الحضّر على الرق والخشب والورق وغيرها من وسائل الكتابة^١ .

ويرجع علماء الصفريات عمر أقدم الكتابات الصفوية الى القرن الأول قبل الميلاد.

أما آخر ما عثر عليه من كتابات ، فيرجع الى القرن الثالث بعد الميلاد ، على رأيهم أيضاً^١ . فما عثر عليه من الكتابات الصفوية ، هو من عهد تبلغ مدته زهاء أربعة قرون .

وقد أرخت بعض هذه الكتابات بحوادث محلية عرفت عند أصحابها ، الا انها مجهولة لدينا ، لذلك لم نستطع الاستفادة منها في تكوين رأي في زمن كتابتها . فقد أرخ بعضها بسنة وفاة قريب لصاحب الكتابة ، أو بوقت نزوله في المكان الذي كتب به الكتابة ، أو بوقت هربه من الرومان أو بعد كذا من الأيام أو من السنين من رؤية قريب له أو وفاته ، ومثل هذه الحوادث ، لا تفيد المتأخرين شيئاً ، ولا تساعدهم في تثبيت زمن تدوينها بوجه صحيح مضبوط . وأرخ بعضها بحوادث أعم ، الا انها ذكرت بأسلوب فوت علينا معرفة زمان وقوع الحادث بوجه مضبوط ، فقد أرخت كتابة منها بـ (سنت نرز اليهود) ، أي (سنة الخصام مع اليهود)^٢ . وهي سنة كان يعرفها صاحب الكتابة وأصحابه . أما نحن فلا نعلم من أمرها شيئاً ، فقد خاصم العرب اليهود كثيراً في تأريخهم . فأية خصومة من تلك الخصومات قصد صاحب الكتابة . فإذا كان قد قصد ثورة العرب أهل اللجاة (Trachonitis) على (هيرود الكبير) الملك المكابي ، فهذه الثورة يجب أن تكون قد وقعت فيما بين السنة (٢٣ ق. م.) والسنة (١٤ ق. م.)^٣ . أما اذا كان صاحب النص قد قصد خصاماً آخر ، فإننا لا نستطيع التكهّن عنه من نصه هذا ، لما قلناه من تعدد الخصومات بين العرب واليهود .

وأرخت كتابة أخرى بزمن تمرد صاحب الكتابة على الروم ، وذلك سنة مجيء (الميديين) الفرس الى (بصرى) ، (ومرد على رم سنت أتى همذى بصرى)^٤ وقصد بـ (همذى) (الماذيين) ، أي الميديين من الفرس . ولما كانت الأخبار لم تشر الى اكتساح الفرس لـ (بصرى) قبل سنة (٦١٤ م.) ، ظن من عالج هذه الكتابة أن صاحبها قصد استيلاء الفرس عليها في ذلك الزمن ، أي في السنين الأولى من سني مبعث الرسول ، حيث غلبت الفرس على الروم ، كما أشار الى

Winnett, P. I. ١

Winnett, P. 95. ٢

Winnett, P. 95, Josephus, Antiq., XVI, IX. ٣

F. V. Winnett, Safaitic, P. 19, 323, M43, Harding 37, T31. ٤

ذلك القرآن الكريم . غير أن هذا الفريق عاد فأبدل رأيه ، لأنه وجد أن هذا الرأي لا ينسجم مع نوع الكتابة والأبحاث الانثارية التي دلت على ان الكتابة يجب أن تكون أقدم عهداً من سنة (٦١٤ م) ، ورأى لذلك أن استيلاء الفرس على (بصرى) يجب أن يكون قبل ذلك بكثير ، وقد يكون وقع في القرن الأول قبل الميلاد ، غير أننا لا نملك نصوصاً تاريخية تشير الى وصول الفرس الى هذا المكان ، واستيلائهم عليه في ذلك الزمن . وهكذا نجد أن تلك الكتابة المؤرخة قد أوجدت لنا مشكلة ، لم نتمكن من حلها بسبب الغموض الوارد فيها عن سنة استيلاء الفرس على بصرى^١ .

وطالما قرأنا في الكتابات أن أصحابها (نجوا من الروم) أو فروا من الروم ، أو تمردوا على الروم وأمثال ذلك من تعابير . وقد قصدوا بالروم بلاد الشام التي كانت في أيدي الرومان ، ثم انتقلت الى الروم ، وهم اليونان البيزنطيون . ولما كانت بلاد الشام تحت حكم المذكورين ، عبروا عنها بـ (رم) (روم) أي (الروم) (وبلاد الروم) .

لقد كان الصفويون يحكم نزولهم في أطراف بلاد الشام على اتصال بالروم بل اضطروا الى الخضوع لحكمهم والاعتراف بسيادتهم عليهم . والتوغل شمالاً وجنوباً في بلاد الشام بحثاً عن الماء والكأ وعن القوت ، كما اضطروا الى مراجعة قرى بلاد الشام ومدنها للامتيار ولبيع ما عندهم من فائض من منتوج أيديهم ومن حاصل حيواناتهم . وهذا مما يدفعهم الى التخاضع أحياناً مع موظفي الأمن الروم وحراس الحدود ورجال الجباية و (الكمارك) ، في شأن أمور الأمن ، أو أخذ حقوق الحكومة منهم ، فيقبض الروم على من يقاوم منهم ، أو يتهرب من الأداء ، أو يقتل ، أو يقوم بأعمال مخالفة ، فيلقونه في السجن أو يقتلونه ، ولهذا نجد بعض الكتابات وقد سجلت حين هرب صاحبها من سجن الروم ، وعاد الى حرثته . وهربه من الروم واستنشاقه نسيم الحرية ، معناه اللجوء الى البادية والاحتماء بها حيث يصعب على الجنود الروم الوصول اليها للقبض عليهم والاقتصاص منهم . والبادية حصن أمين للأعراب .

Winnett, P. 3, 19, BASOAR, Num : 122, P. 50, Die Araber I, S., 75, CIS 5,

4448, J. Pirenne I, 212.

ويظهر من هذه النصوص أن شأن الصفويين بالروم لم يكن يختلف عن شأن سائر العرب بهم وبأمثالهم من الدول الأجنبية مثل الفرس ، فهم مضطرون بحكم وضعهم الى التسليم لسلطان الدول الأجنبية ما داموا ضعفاء لا يستطيعون مقاومة الأعاجم ، فإذا تغيرت الأحوال ، وظهرت مواضع ضعف في الأجنبي ، اهتبل الأعراب الفرس ، فانقلبوا عليه حتى يرضيهم أو يظهر قوته . وهكذا كان الصفويون ينتهزون الفرس ، فتى وجدوا ثغرة في سلطان الروم وموضع ضعف في حراسة حدودهم ، هاجموهم منها حتى ينالوا ما يبتغون من مغم ، وقد ينقلب الحادث عليهم بالطبع ، لسوء تقدير في الموقف ، وهذا ما يحدث في كل غزو أو حرب ، وهو شيء طبيعي فقد ينتصر المحارب فيرجح ، وقد يندحر فيخسر كل شيء .

ويلاحظ من الكتابات الصفوية أن أصحابها كانوا يتزعون نزعة شديدة الى تخليد أنفسهم وابقاء آثارهم وذكرياتهم بكل الطرق الممكنة ، فأرخوا بكل حادث كان معروفاً عندهم ، حتى بحادث ولادة ماشيتهم ، أو مقتل أحدهم ، أو فرض غرامة مالية على أحدهم ، أو سفر أحد منهم وبأمثال ذلك من حوادث صغيرة تافهة ، ولكنها مع ذلك وعلى الرغم مما يبدو عليها من سذاجة تدل على وجود نزعة قوية لديهم لتأريخ كل ما يقع عندهم وتدوينه ، ليطلع عليه غيرهم ممن يمر بالأماكن التي نزلوا بها^١ . هذا وما زال الأعراب وأهل القرى عندنا يسجلون حوادثهم على النحو المذكور من تسجيل التواريخ .

وللطابع الشخصي الذي تحمله الكتابات الصفوية ، لم يتمكن من الاستفادة منها من الوجهة السياسية والعسكرية ، فلم نعث فيها على اسم ملك ، لا عربي ولا أجنبي ، ولم نعث فيها على موضوع سياسي يشير الى الحالة السياسية التي كانت في العراق أو في بلاد الشام أو في جزيرة العرب في تلك الأيام ، ولم يتمكن أيضاً من الخروج منها بأية فكرة عن نوع الحكم الذي كان يعيش فيه الصفويون : أكانوا في حكم ملوك ، على شاكلة عرب الغساسنة ؟ أم كانوا قبائل متنقلة خاضعة لسلطان الروم ، حين تكون في بلاد الشام ، وحررة طليقة حين ترد البادية ؟ وقد وردت في الكتابات الصفوية أسماء قبائل ، منها : (بدن) و (يعر)

١ راجع النصوص الصفوية .

و (تر) ، و (هجدل) (هكدل) ، و (جر) (كر) و (حزن)
و (حضى) ، و (حولت) (حواللة) ، و (دمصى) و (سلم) ،
و (صبح) ، و (ضف) ، و (عبد) ، و (عوذ) ، و (غر) ،
و (فرث) ، و (وقر) ، و (يحرب) ، و (همضر) ، و (املكث)^١ .
ومن القبائل الصفوية : (اشلل) ، و (بكس) ، و (جعبر) ، و (جوا) ،
و (حمد) ، و (حرم) ، و (حظى) (حضى) ، و (حمى) ، و (زد)
(زيد) ، و (زهر) ، و (عدل) ، و (عمرت) (عمرة) ، و (فضج) ،
و (مسكت) (ماسكة) ، و (معصى) (معيص) ، و (نمرت) (نمر)
(نمار) (نميرة) ، و (هنر) (هذير) (هذار)^٢ ، و (نسمن) أي
(نسمان)^٣ ، و (حمد) (حماد) (حميد)^٤ .

وترد لفظة (ال) قبل اسم القبيلة في كثير من الكتابات الصفوية ، وتؤدي
فيها معنى (آل) عندنا ، مثل : (ال تم) ، أي (آل تم)^٥ ، و (ال عوذ)
بمعنى (آل عوذ)^٦ و (ال ادم) (آل آدم)^٧ ، و (ال حد) (آل حد)^٨ .
وهي بمعنى ان المذكور أو المذكورين من القبيلة المسماة ، أو من العشيرة المذكورة ،
أو من البيت المسمى .

وورود (ال) بهذا المعنى في النصوص الصفوية يدل على ان لغة هذه القبائل
وهي قبائل عربية شمالية تشارك لغة القرآن الكريم في هذه الخاصية .

وقبيلة (عوذ) ورد اسمها في عدد من الكتابات الصفوية . وقد ورد في احداها
ان حرباً كانت قد نشبت بينها وبين قبيلة أخرى ، اسمها (وعل) أو (ويل)
أو (وائل)^٩ . وقد يكون لاسم هذه القبيلة صلة باسم الإله (جد عوذ) .

Winnett, P. 4.	١
Jordan, II, PP. 14.	٢
Littmann, Safa, S., 53, 55.	٣
Safa, S., 62.	٤
Annual Report of the Department of Antiquities of Jordan Vol., I, P. 26.	٥
Jordan, I, P. 27.	٦
G. Ryckmans, Inscriptions Salfatiques Au Britisch Museum et au Musée de Damas, Louvain, 1951, P. 88.	٧
Jordan, I, P. 24.	٨
Jordan, I, P. 27.	٩

وقد عثر على اسم قبيلة (نعمن) ، أي (نغان) في بعض الكتابات الصفوية التي عثر عليها في (وادي خوران) بالعراق . ويرد (نعمان) اسماً لأشخاص ، ومنهم بعض ملوك الحيرة^١ .

وقد ورد اسم قبيلة في إحدى الكتابات التي عثر عليها في العراق ، وهي قبيلة (ال صح) ، أي (آل صح) ، أو (آل صائح) ، أو (آل صيح) ، أو (الصائح)^٢ . وما زال اسم (الصائح) معروفاً في العراق ، وهو اسم عشيرة فقد يكون له صلة بهذه التسمية القديمة .

وقد أفادتنا هذه الكتابات من الناحية الجغرافية ، إذ قدمت لنا أسماء مواضع عديدة لا يزال بعضها يسمى بالأسماء الواردة في تلك الكتابات . وقد يمكن في المستقبل دراسة الأسماء الأخرى لتثبيت مواضعها وتعيينها على مصورات الأرض (الخارطات) .

ومن المواضع التي ورد اسمها في الكتابات الصفوية ، موضع (رجب) ، وهو (الرحبة) . وقد ورد في نص سجله رجل اسمه (حن بن هتق) ، (حنان ابن العاتق) ، أو (حنين بن العاتق) ، أو (حن بن العاتق) ، وذكر أنه (بن ال - رجب) ، أي (من الرحبة) ، أو (من آل رجة) ، وأنه كتب كتابته هذه في السنة التي دار فيها قتال مع قبيلة (ال حمد) (الحمد) أو (آل حمد)^٣ . وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن (الرحبة) هو اسم موضع . كما أن (الحمد) هو اسم موضع كذلك ، وأن الذين نزلوا في هذين المكانين وفي أمكنة أخرى نسبوا أنفسهم إليها فقالوا : (آل رجة) و (آل حمد) ، وذلك على نحو ما نجده في عربيتنا من ذكر (آل) في الانتساب ، وإن هذا معناه أن أولئك الأعراب الذين نزلوا في الموضعين انتسبوا إلى المكانين ، فاستعملوا لذلك لفظة (ال) ، أي (آل) ، قبل الموضع ، فظهر الاسم (ال رجب) (ال رجة) وكأنه اسم قبيلة^٤ .

١ مجلة سومر ، المجلد العشرون ، ١٩٦٤ ، الجزء الأول والثاني (ص ٢٧) من القسم الانكليزي .

٢ مجلة سومر ، المجلد العشرون ، السنة ١٩٦٤ ، الجزء الأول والثاني (ص ٢٧ ، ١٨) من القسم الانكليزي .

٣ العرب في سوريا قبل الاسلام (ص ١٠٥) .

٤ العرب في سوريا (ص ١٠٥ وما بعدها) .

ولهذا المظهر من التسميات والانتساب شأن كبير في موضوع دراسة أنساب القبائل ، إذ فيه برهان ودليل على أن الإقامة في موضع تكون سبباً للانتساب إليه ، ثم لتحويل ذلك النسب الى اسم جدّ ، وأن ما يرويه أهل الأخبار في هذا الباب مثل انتساب الغساسنة الى (غسان) ، وأن (غسان) اسم موضع ماء نزلوا عليه ، فدُعُوا به ، يجب أن ينظر اليه نظرة اعتبار ، لا رفض وازدراء . وفي أسماء القبائل العربية المدونة في كتاب الأنساب والأدب ، أو الواردة في الكتابات الجاهلية أمثلة عديدة من هذا القبيل .

ومن الأماكن التي ورد ذكرها في النصوص الصفوية : (بصرى) وقد ذكرت على هذه الصورة (بصر) ، و (هنمرت) ، (النمرت) ، أي (النارة) ، و (هشبكي) أي (الشبكي)^١ و (حجر)^٢ .

و (حجر) موضع قد يراد به (الحجر) المعروف في عربيتنا ، وهو (Hegra) و (Hegrae) عند اليونان واللاتين ، و (حجرا) و (حجرو) عند النبط^٣ .

وورد اسم مدينة (تيا) أي (تياء) في الكتابات الصفوية كذلك ، كالذي ورد في نص دونه رجل اسمه (نخل - ال بن شيب) أي (خليل - ايل ابن شبيب) ، وقد تذكر فيه رجلاً اسمه (أبرش) ، وهو من أهل (تياء)^٤ . ولم يكن الصفويون كما يبدو بوضوح من كتاباتهم ومن صور الحيوانات التي نقشوها على الأحجار أعراباً معنيين في الأعرابية على نحو عرب البوادي البعيدين في البادية ، حيث يقضون حياتهم فيها ، فلا يختلطون بالحضر ، ولا يمتزجون بالحضارة ، وإنما كانوا أشباه أعراب وأشباه حضر ، وربما كان تعبير (رعاة) خير تعبير يمكن اطلاقه عليهم ليميزهم عن غيرهم . فقد كان الصفويون أصحاب ماشية ، لهم ابل ، يعيشون عليها ، ويتاجرن بها ، ولهم خيل يركبونها ، والخيل كما هو معروف لا تستطيع الحياة في البوادي القاحلة العميقة والرمال القليلة المياه ،

١ العرب في سوريا (١٠٦) .

٢ Jordan, II, P. 48.

٣ Jordan, II, P. 48.

٤ Enno Littmann, Zur Entzifferung der Saka — Inschriften, Leipzig, 1901, S., 51.

ولهم المعز والغنم والحمير والبقر، وهي من الحيوانات التي تحتاج الى رعي ومراعي^١. ولذلك يجب أن يكون أصحابها من طبقة الرعاة . وقد كانت حياتهم حياة رعي، نجدهم في الشتاء في مكان ، ثم نجدهم في الصيف في مواضع أخرى قريبة من الجبال حيث يكون الجو لطيفاً والمياه كثيرة ، ليكون في استطاعتهم الابتعاد من حر الحرار ومن سموم الأرض القاحلة في الصيف ، ولتستمتع ماشيتهم بجو لطيف فيه ما يغريها من خضرة نضرة ومن ماء عذب زلال .

ان في بعض هذه الكتابات تعبيراً عميقاً عن ذكاء فطري يعبر عن طراز حياة الصفرين ، فكتابة مثل : (ورعى همعز وولد شهى) ، ومعناها : (ورعت المعز وولدت الشياه) ، أو (ورعى بقر هنخل) ، أي (ورعت البقر في هذا الوادي) ، أو (وقف على قبر فلان وحزن) ، هي تعابير، وإن بدت ساذجة مقتضبة لا يكتبها حضري ، غير أنها تمثل في الواقع ذكاءً فطرياً عميقاً ، ونوعاً من التعبير عن حس أهل البادية أو أهل الرعي ، وهو حس مرهف فيه بساطة وفيه اقتضاب زبنا من وحي الصحراء البسيطة الممتدة الى ما وراء البصر على نمط واحد ، وشكل لا تغيير فيه ولا تبديل . وكتابات يكتبها أناس يحيون بعيدين عن حضارة المدن ، ويعيشون بين أشعة الشمس وضوء القمر في بيوت وبر أو شعر معز لا تقى ولا تنفع الا بمقدار ، لا يمكن أن تكون الا على هذا النحو من البساطة ، ولكنها بساطة ذكي يحاول بذكائه التعبير عن حياته تلك .

ونجد هذا الذكاء الفطري في الصور المرسومة للحيوانات ، فقد أراد مصوروها أن يعبروا عن غرائزهم الفنية بصورة محسوسة ترى ، فرسموا صور حيوانات ألفوها ورأوها ، بصورة بدائية ، ولكنها معبرة أخاذة . ورسموا بعض المناظر المؤثرة في حياتهم مثل الخروج للصيد ومعارك الصيد ، فنرى على بعض الأحجار فارساً وقد حمل ربحاً طويلاً، ونرى مشاة وقد حملوا أقواساً وتروساً صغيرة مستديرة لوقاية أجسامهم من السهام أو من الحيوان ، ونرى رجالاً يطاردون غزالاً أو ضأناً ، ونرى أناساً فرساناً ومشاة يطاردون أسداً^٢ ، ونرى غير ذلك من صور بدائية من هذا القبيل ، مهما قيل فيها ، فلأنها صور رائعة لا يمكن أن يحفرها

١ العرب في سوريا (١٠٧) .

٢ العرب في سوريا قبل الميلاد (ص ١٠٧ وما بعدها) .

فنان بأحسن من هذا الحفر ، وهو في مثل هذا المحيط ، وليست لديه من آلات الحفر غير هذه الآلات .

والصور المنقوشة على الأحجار التي ترينا الصفوي وقد ركب حصانه معتقلاً رماً طويلاً ، هي صورة المحارب الفارس عند الصفويين ، وهي في الواقع صورة الفرسان الأعراب ، سلاحهم الرئيسي الرماح ، يطعنون بها خصمهم . وما زال البدو في بعض البوادي من جزيرة العرب يحملون ذلك السلاح التقليدي القديم ، يحاربون به خصومهم في المعارك القبلية البدائية . وأما المحارب الماشي ، فإنه يحارب بالقوس ويده الترس كما يظهر من بعض الصور ، وهو لا بد أن يكون قد استعان بأسلحة أخرى بالطبع ، مثل السيوف والفؤوس والحجارة وكل ما تقع يده عليه مما يصلح أن يكون مادة للقتال والعراك^١ .

إن الصور التي تمثل الناس ، وهم يطاردون الغزلان أو بقر الوحش أو الأسد أو الحمار الوحشي ، هي صور مفيدة جداً تتحدث عن وجود تلك الحيوانات في تلك الأماكن وفي تلك الأوقات ، وعن طرقهم في صيدها . وقد كانت لحوم بعض تلك الحيوانات طعاماً شهياً لمن يصطادها ولآلهم وجماعتهم ، كما أن لوجود صورة الحصان شأناً في اظهار أن الصفويين وغيرهم كانوا يعرفون الخيل في تلك الأزمنة ، وأن الحصان العربي كان موجوداً يومئذ^٢ .

وفي جملة ما عثر عليه من أسماء آلهة الصفويين اسم إله عرف بـ (إله هاجبل) (إلاه هاجبل) (إله الجبل) ، وهي تسمية تدل على أن عبده كانوا من سكان جبل أو أرض مرتفعة ، ولهذا نعتوا إلههم بـ (إله الجبل) أو أن عبده هؤلاء قد أخذوه من أناس كانوا قد خلقوا إلههم من ارتفاع أرضهم ، وصار إلهاً من آلهة الصفويين . وهو يقابل الإله المسمى بـ (الاجبل) (Elagabal) وهو كناية عن الشمس، وكان يعبد في (حصص) (Emesa) فإن لفظة (Elagabal) تعني (إله الجبل) . وقد رمز إليه بـ (حجر أسود) وعباد الحجر الأسود كانت معروفة عند الجاهليين . وقد كان أهل مكة يقصدون الحجر الأسود في مكة ويتقربون إليه^٣ .

١ العرب في سوريا (١٠٧ وما بعدها) .

٢ العرب في سوريا (ص ١٠٨) .

٣ F. Altheim, Aus Spätantike und Christentum, 1951, 28, Die Araber, I, S.,

ولا ندرى من حلّ في محل الصفويين فأخذ مواطنهم ، ولم تختف كتاباتهم بعد عهدهم هذا ؟ هل كان الذين أخذوا مكانهم أميين لا يقرأون ولا يكتبون فكانت أيامهم صُمتاً بكمّاً ؟ الذين أخذوا مكانهم هم أعراب مثلهم ، كانوا أقوى منهم ، لذلك تغلبوا عليهم على وفق سنة البادية . هذا جواب لا شك فيه . ولكننا لا نستطيع تحديد هوية أولئك الأعراب وتعيين أسماء قبائلهم ، كما أننا لا نستطيع التحدث عن سبب سكوتهم وعدم ترك آثار كتابية لهم نتحدث عن أيامهم وعن قبورهم وأصدقائهم وما شاكل ذلك من أمور الى زمن مجيء الاسلام . إن الغساسة ، هم آخر من نعرف أنهم كانوا في هذه الأرضين وفيما جاورها وكذلك قبائل عربية أخرى مثل لحم وكلب ، ولكننا لا نعرف أنهم تركوا كتابات تتحدث عنهم .

وبين أسماء الأشخاص المدونة في النصوص الصفوية أسماء تشبه أسماء أهل مكة والعرب الشماليين شبهاً كبيراً ، ويحملنا هذا على تصور ان ثقافة الصفويين عربية شمالية . ونجد هذا التشابه في أمور ثقافية أخرى ، سأحدث عنها في الأماكن المناسبة . ومن الأسماء الواردة في النصوص الصفوية : (قصيو) ، أي (قصي) . وقد ورد اسم (قصيو بن كلبو) ، أي (قصي بن كلاب) في أحد النصوص . وكان من رجال الدين . وورد (قصيو بن رحو) أي (قصي بن روح) . و (قصيو بن اذينت) ، أي (قصي بن أذينة)^١ .

ويرى بعض المستشرقين ان الصفويين هم مثل سائر القبائل العربية الشمالية هاجروا من جزيرة العرب الى الشمال ، فسكنوا في منطقة (الصفاء) ، غير أنهم لم يكونوا قد اندمجوا في أثناء تدوينهم كتاباتهم بالثقافة السامية الشمالية كما اندمج غيرهم مثل النبط ، بل كانوا لا يزالون محافظين على صلاتهم بالجزيرة ولا سيما بالعربية الجنوبية منها موطنهم القديم . وتعتبر عن هذه الصلة بعض الخصائص اللغوية التي ترجع على رأيهم الى أصل عربي جنوبي ، غير أنهم تأثروا بالطبع بمن اختلطوا بهم وبمن تجاوروا معهم من الساميين الشماليين أو العرب الشماليين ، ويظهر أثر هذا الاختلاط على رأيهم أيضاً في الأسماء والكلمات والتعابير الخاصة التي نقرأها في هذه النصوص^٢ .

١ رنيه ديسو ، العرب في سوريا ، (ص ١١٦) .
Handbuch, S., 48. ff., René Dussaud, Les Arabes en Syrie Avant L'Islam,
٢ E. Littmann, Götting. Gelberte Angelger, 1908, S., 144.

قلت : إن كلمة (الصفويون) لا تعني شعباً معيناً أو قبيلة معينة ، وإنما هي اصطلاح أوجده (هاليفي) ليطلق على الكتابات التي عثر عليها في مواضع متعددة من (اللجاة) و (حوران) ومواضع أخرى ، لذلك يجب ألا يفهم أننا نقصد أناساً تركوا لنا كتابات متشابهة كتبت بقلم واحد ، ليظهر أنهم كانوا بين البداوة والحضارة فلاحين ورعاة لهم قرى ومزارع ، وربما كانت لهم تجارات أيضاً ، غير أننا لا نعرف من أمرهم شيئاً كثيراً . فقد يكونون اذن من قبيلة واحدة ، وقد يكونون جملة قبائل ، وقد تكون لهم (امارة) لا نعرف من أمرها شيئاً ، وربما لا يكون لهم ذلك . وربما كانوا أتباعاً للسلطة القائمة في بلاد الشام تتحكم فيهم بنفسها أو بواسطة أمراء أو سادات قبائل .

وقد يكون الصفويون أناساً وصلت أسماؤهم إلينا ، وكتب المؤرخون عنهم ، ولكننا لا نعرف أنهم هم الذين نبحث عنهم ، لأننا أمام اصطلاح جديد مبهم ، ظهر كما قلنا في القرن التاسع عشر ، ليست له حدود واضحة ولا معالم مرسومة ، فلا ندري نحن في الواقع ما نريد ، قد يكون هؤلاء أسلاف غساسنة الشام ، وقد يكونون غيرهم .

الفصل السابع والثلاثون

مملكة الحيرة

وللأخباريين واللغويين وعلماء تقويم البلدان ، آراء في أصل اسم (الحيرة) ، وبينهم في ذلك جدل على التسمية طويل عريض ، كما هو شأنهم في أكثر أسماء المدن القديمة التي بَعُدَ عهدُها عنهم فحاروا فيها . وإيرادها هنا يخرجنا عن صلب الموضوع ، وهي أقوال لا تستند إلى نصوص جاهلية ، ولا إلى سند جاهلي محفوظ . ومن أحب الوقوف عليها ، وتعرّف مذاهب القوم فيها ، فعليه بمراجعة تلك المظان^١ ، كما أن لبعض المحدثين آراء في هذا الباب^٢ .

ومعظم المستشرقين ، يرون أنها كلمة من كلمات بني إرم ، وأنها (حرتا) (Harta) (Hirta) (Hérta) (حيرتا) (حيرتو) السريانية الأصل ، ومعناها المخيم والعسكر وأنها تقابل في العبرانية كلمة (حاصير) (Haser)^٣ ، وإن (حيرتا) (حيرتو)

١ ابن الفقيه (١٨١) ، البلدان (٣٧٥/٢) ، أبو تمام ، الحماسة (٨١١) ، البيت (٢) ، « والحيرة ٥٠٠٠ قرب الكوفة ، والنسبة حيري وحاري » ، القاموس (١٦/٢) ، البكري ، معجم (٤٧٨/٢) وما بعدها ، (طبعة السقا) ، المشرق ، السنة ، ١٩٠٨ ، (٧٧) ، (والحيرة ، بالكسر : بلد بجنب الكوفة ينزلها نصارى العباد ، والنسبة إليها حيري وحاري) ، اللسان : مادة (حير) .
٢ يوسف رزق الله غنيمية ، الحيرة ، المدينة والمملكة العربية ، بغداد ، سنة ١٩٣٦م ، (ص ١١) .

٣ Ency., II, P. 314, Rothstein, Die Dynastie der Lakhmiden, S. 12.

وسيكون رمزه : Rothstein

Fränkel, Aram. Fremdwörter in Arabisch, XV, XVIII,

Nöldeke, Sasa., S. 25.

في التواريخ السريانية تقابل (العسكر) عند الاسلاميين^١ وهي في معنى (الحضر) و (حاضر) و (الحاضرة) كذلك . ولهذا زعم بعض المستشرقين ان (الحضر) اسم المكان المعروف في العراق أخذ من هذا الأصل العربي، أي من (الحضر)^٢ . وقد عرفت (الحيرة) في مؤلفات بعض المؤرخين السريان ، فعرفت بـ (الحيرة مدينة العرب)^٣ ، (حيرتا دي طياية) ، كما عرفت بأسماء بعض ملوكها مثل (النعمان) ، فورد (حيرتو د نعمان ديث بورسويي) ، أي : (حيرة النعمان التي في بلاد الفرس)^٤ .

ويلاحظ ان تعبير (حيرة النعمان) (حيرتا دي نعمان) ، تعبير شائع معروف في العربية كذلك . ولا بد أن يكون لاشتهار (الحيرة) باسم (النعمان) سبب حمل الناس على نسبة هذه المدينة اليه .

ويرى بعض علماء التلمود أن مدينة (حواطره) (حوطرا) التي ورد في التلمود أن بانيها هو (برعدى) (بن عدى) ، هي الحيرة^٥ . وقد حدث تحريف في الاسم ، بدليل أن التلمود يذكر أنها لا تبعد كثيراً عن (نهر دعه) (Nehardea) ، وأن مؤسسها هو (برعدى) ، ويقصد به (عمرو بن عدى)^٦ .

ويظن أن موضع (حرتت دارجيز) (حارتا دار جيز) (حرتة دارجيز) ، الوارد في التلمود ، هو (الحميرة)^٧ . وقد ورد أن (ارجيز) وهو ساحر ، هو الذي بنى تلك المدينة . ويرى بعض الباحثين احتمال وجود صلة بين هذا الساحر وبين قصة (سینهار) باني (الخورنق)^٨ . وعرفت في التلمود بـ (حيرتا

Musil, Palmyrena, P. 289, Hoffmann, in ZDMG., 32, (1878), ١

753, F. Althelm, Geschichte der Hunnen, I, (1959), S. 130.

Die Araber, I, S., 275, Hoffmann, in ZDMG., 32, 1878, 753, F. Althelm, ٢
Geschichte der Hunnen, I, 1959, 130, Anm. 34, Brockelmann, Lexi.

Syriacum, 2, 1928, 228a, Die Araber, II, S. 225.

الديورة في مملكتي الفرس والعرب (ص ٣٢ ، ٤٧) ٣

Rothstein, S. 13, John of Ephesus, 352, 10, 13, John of Ephesus, ٤

3, 216, Die Araber, I, S. 275, II, S. 225.

S. Funk, Die Juden in Babylonien, II, S. 154, Sabbat I, 14. ٥

S. Funk, Die Juden, II, S. 154. ٦

Sanhedrin 5b, Sabbat 19b, Erubin 63a. ٧

Die Juden, II, S. 155, J. Obermeyer, Babylonien, S. 234. ٨

دي طيبه) أيضاً ، أي (معسكر العرب) و (حيرة العرب)^١ .

وقد ذكر اسم الحيرة في تأريخ (يوحنا الأفسوسي) (John of Ephesus) من مؤرخي القرن السادس الميلاد (توفي سنة ٥٨٥ م) ، فقال : (حيرتود نعمان دبيت بور سوبي) ، أي : (حيرة النعمان التي في بلاد الفرس)^٢ ، كما ذكرها (يشوع العمودي) (Josua Stylites)^٣ . وورد اسمها في المجمع الكنسي الذي انعقد في عام (٤١٠ م) ، وكان عليها إذ ذاك اسقف اسمه (هوشع) (Hosha) اشترك فيه ووقع على القرارات باسم (هوشع) اسقف (حيرته) (حيرتا)^٤ .

وقد أشرت في أثناء حديثي عن مملكة (تدمر) الى ورود اسم مدينتين هما (حيرتا) (الحيرة) و (عاناتا) (عانة) في كتابة يرجع تأريخها الى شهر أيلول من سنة (١٣٢) للميلاد^٥ . وقلت باحتمال أن تكون (حيرتا) هذه هي الحيرة التي نبحث فيها الآن . فإذا كان ذلك صحيحاً ، كانت هذه الكتابة أقدم كتابة وصلت إلينا حتى الآن ورد فيها هذا الاسم^٦ .

ومدينة (Eertha) التي أشار إليها (كلوكس) (Glaucus) و (اصطيفان البيزنطي) (Stephen of Byzantium)^٧، وذكر أنها مدينة (فرثية) (Parthian) تقع على الفرات ، هي هذه الحيرة على ما يظن^٨ .

وورد في بعض مؤلفات السريان مع (الحيرة) اسم موضع آخر قريب منها هي (عاقولا)^٩ ، وقد ذهب (ابن العبري) الى أنه (الكوفة)^{١٠} ،

J. Obermeyer, S. 234.

John of Ephesus, 352, 10, 13.

Rothstein, S. 13.

Musil, Palmyrena, P. 20, ZDMG., 43, S. 388.

راجع تاريخ العرب قبل الاسلام (٨١/٣) ، لجواد علي ، (٦/٤) .

Littmann, 6, CIS, II, III, P. 156, 3073.

Glaucus, Fragmenta, P. 409, (Muller), Stephen of Byzantium,

Ethnica, P. 276, (Meineke), Paulys - Wissowa Elfer Halbbend,

(1907), S. 552.

Musil, Euphrates, P. 102.

الديورة في مملكتي الفرس والعرب (ص ٥٩) .

Bar Hebraeus, PP. 94, 101.

وأشار (ياقوت) الى (عاقولاء) غير أنه لم يحدد موقع هذا المكان^١ .
وقد اشتهرت الحيرة في الأدب العربي بحسن هوائها وطيبه ، حتى قيل «يوم
وليلة بالحيرة خير من دواء سنة»^٢ . وقيل عنها انها « منزل بريء مريء صحيح
من الأدوية والأسقام »^٣ ، وهي على (سيف البادية)^٤ ليست بعيدة عن الماء ،
وقد ورد ذكرها كثيراً في شعر الشعراء الجاهليين والاسلاميين، وهي لا تبعد كثيراً
عن (النجف) و (الكوفة)^٥ .

وقد ذكر (حمزة الأصفهاني) انه بسبب حسن هواء الحيرة وصحته لم يمت
بالحيرة من الملوك أحد ، الا قابوس بن المنذر . أما بقية الملوك ، فقد ماتوا في
غزواتهم ومتصيدهم وتغريبهم ، وانه بسبب ذلك قالت العرب : « لبيثةُ ليلة
بالحيرة أنفعُ من تناول شربة »^٦ .

وقد نعتت في المؤلفات الاسلامية بنعوت منها : (الحيرة الروحاء)^٧ ،
و (الحيرة البيضاء)^٨ ، أخذوا ذلك من شعر الشعراء . وزعم بعض أهل
الأخبار : ان وصفهم اياها بالبياض ، فلانما أرادوا أحسن العارة .

ويظهر من وصف أهل الأخبار للحيرة أنها لم تكن بعيدة عن الماء وأن نهراً
كان يصل بينها وبين الفرات . بل يظهر ان هذا النهر كان متشعباً فيها ، بحيث
كوتن جملة انهار فيها . اما نواحيها ، فكانت قد بنيت على بحر النجف وعلى
شاطيء الفرات ، وربما كانت مزارع الحيرة واملاك أثريائها قائمة على جرف

-
- ١ البلدان (٩٨/٦) .
 - ٢ الاصطخري ، المسالك (٨٢) .
 - ٣ الطبري (٨٥٠/١) .
 - ٤ الاصطخري (٨٢) ، ابن حوقل (١٦٣) ، البلدان (٣٧٥/٢) .
 - ٥ اليعقوبي ، البلدان (ص ٣٠٩) ، « طبعة دي غويه » ، رحلة ابن جبير (ص ٢١٠) ،
(دي غويه) ، الاصطخري (١٦٣) ، « دي غويه » .
 - ٦ حمزة (٧٥) .
 - ٧ قال عاصم بن عمرو :
صبحنا الحيرة الروحاء خيلاً
ورجلاً فوق أتباج الكلاب
 - ٨ قال الشريف الرضي :
بالحيرة البيضاء حيث تقابلت
شمم العباد عريضة الأعطان
ديوان الشريف الرضي (٨٨٥/٢ وما بعدها) ، البلدان (٣٧٧/٣) .

البحر وشاطئ النهر^١ ومن أنهار الحيرة نهر كافر^٢ . ويرى بعض أهل الأخبار أنه هو نهر الحيرة^٣ .

وقد أدى ميلاد الكوفة في الاسلام الى أفول نجم الحيرة ، اذ انتقل الناس من المدينة القديمة الى المدينة الاسلامية الجديدة ، واستعملوا حجارة الحيرة وقصورها في بناء الكوفة ، وهذا مما ساعد على اندثار تأريخ تلك المدينة الجاهلية ولا شك . غير انها ظلت أمداً طويلاً تقاوم في الاسلام الهرم الى أن جاء أجلها فدخلت في عداد المدن المندثرة .

وقد عرف ملوك الحيرة عند أهل الأخبار بـ (آل لحم) وبـ (آل نصر) . كما عرفوا بـ (النعامنة) وبـ (المناذرة) ، وذلك لشيوع اسم النعمان واسم المنذر فيما بينهم^٤ . وعرفوا أيضاً بـ (آل محرق) ، وفيهم يقول الشاعر الأسود بن يعفر :

ماذا أؤمل بعد آل محرق تركوا منازلهم وبعد إباد
أرض الخورنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد^٥

وفي طليعة أهل الأخبار الذين عنوا بجمع أخبار الحيرة الأخباري الشهير ، بل رأس أهل الأخبار في أمور الجاهلية : (هشام بن الكلبي) . فله كتاب في (الحيرة) سماه (ابن النديم) كتاب الحيرة وتسمية البيع والديارات ونسب العباديين) ، وكتاب ثان سماه (ابن النديم) (كتاب المنذر ملك العرب) ، وكتاب ثالث اسمه (كتاب عدي بن زيد العبادي)^٦ . وهي مؤلفات لم تصل إلينا - ويا للأسف ! - نرجو أن تكون في عالم الوجود، ليتمكن من يأتي بعدنا من الظفر بشيء جديد فيها ، قد يفيد عشاق تأريخ الحيرة ويزيد في معارفهم .

-
- ١ تقويم البلدان ، لأبي الفداء (٢٩٩) .
 - ٢ شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، للأخباري (١٢٤) .
 - ٣ (قال أبو عمرو : كافر نهر بالحيرة) ، الاغانى (١٢٥ / ٢١) ، (فخذ المتلمس صحيفته في نهر الحيرة) ، الاغانى (١٢٦ / ٢١) وما بعدها) ، ابن حبيب ، أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والاسلام (نواذر المخطوطات) ، (ص ٢١٣) .
 - ٤ التنبيه (ص ١٥٨) .
 - ٥ المعارف (ص ٢٨٢) .
 - ٦ الفهرست (١٤٦ وما بعدها) ، (أخبار هشام الكلبي) .

وقد زارها نفر من السياح وكتبوا عنها ، كما نبشت بعض البعثات الآثرية آثارها ، وعالجت مديرية الآثار القديمة في العراق بعض نواحٍ من تأريخها ، وقد توصل الحفّارون الى العثور على نقوش من الجبس مما تُكسى به الجدر للزينة ، وعلى جرار متعددة وآثار من هذا القبيل صغيرة بعضها من العهد الجاهلي وبعضها من العهد الاسلامي^١ . غير انهم لم يعثروا حتى الآن على كتابات جاهلية تتحدث عن تأريخ تلك المدينة القديمة السيئة الحظ .

وتأريخ هذه المدينة قبل الميلاد غامض لا نكاد نعرف من أمره شيئاً ، فلم يرد خبرها في نص تأريخي مدوّن أو كتابة مدوّنة قبل الميلاد . وأقدم ذكر لها هو ما أشرت اليه ، غير ان ذلك لا يتخذ دليلاً على انها لم تكن مولودة قبل هذا العهد ، اذ يجوز انها كانت قبل هذا العهد قرية صغيرة ، أو مدينة تسمى باسم غير هذا الاسم . ولعل المستقبل سيكشف عن تأريخها القديم بالساح لبطن الأرض بإخراج ما في جوفها من أسرار عن ذلك التأريخ .

أما الأخباريون ، فيرجعون عهدها الى أيام (بختنصر) . هم يقولون : إن (برخيا) لما قدم من (نجران) وأخبر (بختنصر) بما أوحى الله اليه ، وقص عليه ما أمره به من غزو العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم ولا أبواب ، وان يظأ بلادهم بالجنود فيقتل مقاتلتهم ويستبيح أموالهم ، وأعلمه كفرهم به ، واتخاذهم آلهة دون الله ، وتكذيبهم الرسل والأنبياء ، وثب (بختنصر) على من كان في بلاده من تجار العرب ، وكانوا يقدمون عليه بالتجارات والبياعات ، ويمتارون من عندهم الحب والتمر والثياب وغيرها ، فجمع من ظفر به منهم ، فبنى لهم حيراً على النجف وحصّته ثم ضمهم فيه ، ووكل بهم حرساً وحفظة ، ثم نادى في الناس بالغزو ، فتأهبوا لذلك ، وانتشر الخبر فيمن يليهم من العرب فخرجت اليه طوائف منهم سائلين مستأمنين . فاستشار (بختنصر) فيهم (برخيا) ، فقال : إن خروجهم اليك من بلادهم قبل نهوضك اليهم رجوع منهم عمّا كانوا عليه ، فأقبل منهم ، فأحسن اليهم ، فأنزلهم (بختنصر) السواد على شاطئ الفرات ، فابتنوا موضع عسكرهم بعد ،

D. Talbot Rice, The Oxford Excavation at Hira, In Ars. Islamica, Vol., I,

Part, I, MCM, XXXIV, P. 51,

Ann Arbor University Press, Journal of the Royal Central Asian Society,

Vol., XIX, April, 1932, P. 254, Vol., Sept., 1932, P. 276.

فسمّوه (الأنبار) . ثم سار (بختنصر) لمقاتلة العرب ، فنظم (بختنصر) ما بين (أيلة) و (الأيلة) خيلاً ورجلاً ، ثم دخلوا على العرب . وسار (بختنصر) بجيشه حتى التقى بموضع (ذات عرق) بعدنان فهزمه ، وسار الى بلاد العرب حتى قدم الى (حضور) وقد اجتمع أكثر العرب من أقطار (عربية) ، فخذق الفريقان ، ثم تصالح (بختنصر) و (عدنان) ، بعد أن أكلت السيوف العرب . وعاد (بختنصر) بمن أخذ معه من سبايا العرب فأسكنهم (الأنبار) . وذهب قوم ممن أفلت قبل الهزيمة الى (ريسوب) وعليهم (عك) . وذهب الباقون الى (وبار) . ولما رجع (بختنصر) ، مات (عدنان) ، وبقيت بلاد العرب خراباً حياة (بختنصر) . فلما مات (بختنصر) خرج (معد بن عدنان) ومعه الأنبياء أنبياء بني اسرائيل حتى أتى (مكة) فحج وحج الأنبياء معه ، ثم خرج حتى أتى (ريسوب) فاستخرج أهلها ، وقتل أكثر (جرهم) ، ثم تزوج ابنة معانة ، فولدت له نزار بن معد^١ .

فؤسس الحيرة على رواية هؤلاء الأخباريين ، هو (بختنصر) . وهو مؤسس (الأنبار) في نظرهم أيضاً . وقد كان ذلك في أيام عدنان . وقد سبق لي أن تعرضت لهذه الرواية ولجنودها وأصولها في مواضع من الأجزاء المتقدمة من هذا الكتاب .

وفي بعض روايات الأخباريين أن (الأردوان) ملك النبط ، وكان معاصراً لـ (أردشير) ، هو الذي بنى الحيرة . كما أن (بابا) خصم (الأردوان) هو الذي أنزل من أعانه من الأعراب (الأنبار) . فالحيرة والأنبار إذن هما من عمل ملكين متخاصمين من ملوك النبط متخاصماً في أيام أردشير . ولأهل اليمن ، ويمثلهم (الهمداني) ، رواية أخرى في بناء (الحيرة) ، فهم يرجعون بناءها الى (تبع)^٢ .

ويحدثنا (ابن الكلبي) بأن تبعاً المعروف بالرائد — وهو تبّان أسعد أبوكرب ابن ملكي كرب تبع بن زيد بن عمرو بن تبع وهو ذو الأذعار بن أبرهة تبع ذي المنار بن الراش بن قيس بن صيفي بن سبا — لما سار في أيام (بشتاسب

١ الطبري (١ / ٢٩١ وما بعدها) .
٢ البلدان (٣ / ٣٧٧) .

وأردشير بهمن بن اسفنديار بن يشتاسب (متوجهاً من اليمن في الطريق الذي سلكه (الرائش) قبله ، خرج على جبلي طيء ، ثم سار يريد الأنبار ، فلما انتهى الى موضع الحيرة ليلاً ، تحير ، فأقام مكانه ، وسمي ذلك الموضع الحيرة. ثم سار وخلف به قوماً من الأزد ولحم وجذام وعاملة وقضاة ، فبنوا وأقاموا به . ثم انتقل اليهم بعد ذلك ناس من طيء وكلب والسكون وبلحارث بن كعب وإياد . ثم توجه الى الأنبار^١ .

وروى الطبري رواية أخرى تشبه هذه الرواية ، ولكنها رواية مختصرة لم تذكر اسم تبع ، وقد أخذ الطبري روايته هذه عن شيخه عبدالله بن أحمد المروزي^٢ .

هذه هي أقوال الأخباريين في كيفية مجيء العرب الى العراق وفي سكنائهم الحيرة والأنبار وما بين المكانين من أرضين . وهي أقوال فيها شيء من الحق ، ولكن فيها شيء كثير من الخطأ والضلal . فنحن لا نريد أن ننكر هجرة القبائل العربية من الجزيرة الى العراق ، فهذا أمر ليس الى نكرانه من سبيل ، ولكننا لا نستطيع أن نوافقهم على أقوالهم في مبدأ تلك الهجرة وفي تواريخها ، وفي كيفية تلك أمور لا يعرفها الأخباريون . كما أننا لا نستطيع أن نوافقهم في زعمهم على من قاد تلك الهجرة والهجرات التي تلتها من رجال . فنحن نعلم حق العلم أن من تحدثوا عنهم وجعلوهم في الدهر الداهر وفي العرب العاربة أو في أيام ملوك الطوائف هم في الأكثر أناس عاشوا بعد الميلاد ، وبينهم رجال لا تبعد أيامهم كثيراً عن الإسلام ، وبينهم أناس اخترعتهم مخيلة الأخباريين .

وتأريخ الحيرة مع سعته وكثرة ما يرويه الأخباريون منه ، لا يخلو من اضطراب ومن تناقض يدفعنا أحياناً الى العجب من قول (ابن الكلبي) مثلاً : « إني كنت استخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ أعمار من عمل منهم لآل كسرى وتأريخ سنيهم من بيع الحيرة ، وفيها ملكهم وأمورهم كلها »^٣ . وهو كما نعرف سند الأخباريين ومرجعهم الأول في تأريخ الحيرة . فرجل يدعي هذه الدعوى ويستقي أخباره من مواردها الأصلية ، لا يجوز صدور روايات منه يناقض بعضها بعضاً ، وأخبار لا تؤيد هذا الزعم . فللرجل روايات عن حادث

١ الطبري (٣/٢) .

٢ الطبري (٣/٢) .

٣ الطبري (٣٧/٢) .

واحد تثبت ، إن صح أنها له ، أن الرجل لم يكن صاحب رأي ولا اجتهاد فيما يرويه ، وأنه يروي كل ما يقال له دون نقد أو تمحيص . فهو يروي خبراً عن حادث في شكل ، ثم يرويه في شكل آخر يختلف عما رواه كل الاختلاف أو بعض الاختلاف . ثم هو يزيد وينقص في أسماء الملوك وفي مدد حكمهم ، ويذكر أجالاً ، ثم يناقض ما قاله تفضيلاً . غير أن علينا — ونحن أحياء نكتب عن شخص مضى على وفاته أكثر من ألف عام — أن نكون حذرين في القول . فنحن لا نستند في حكمنا هذا الى مؤلف كامل الرواية لذلك الرجل ، إنما نستند الى كتب اقتطعت من مؤلفات ابن الكلبي وروت عنها . فما يدرينا لعل الخطأ في هذه الكتب ، والاضطراب فيها ، أو أن أصل الاضطراب في الموارد التي نقل ابن الكلبي منها . فما رواه ابن الكلبي إذن هو حكاية لما وجدته هو أو أخذه من أفواه الرواة ، فلا لوم عليه في هذا الشأن ولا تريب . ولسنا في هذا المكان قضية نحاول توجيه اللوم لأحد ، أو نسحب اللوم من أحد . فهذا ليس من شأننا في هذا الموضوع ولا من اختصاصنا ، إنما نريد أن نشير الى هذا التناقض العجيب الغريب الذي نراه فيما وصل إلينا من روايات تتعلق بحادث واحد ، والذي نراه بين تواريخ الأخباريين عن ملوك الحيرة مثلاً ، فما ذكره (الطبري) من أسماء ملوك لحم ومدد حكمهم ، يختلف بعض الاختلاف عما ورد في تأريخ (حمزة) مثلاً أو في (مروج الذهب) للمسعودي ، أو في المؤلفات الأخرى التي سترد أسماؤها في ثنايا البحث ، مع أنها تشير أحياناً الى المورد الذي استقت منه ، كابن الكلبي مثلاً . وهذا هو الذي يحملنا على العجب من وقوع هذا الاختلاف .

فهل نقل هؤلاء من كتاب واحد من كتب (ابن الكلبي) مثلاً ، أو أنهم نقلوا من مؤلفات متعددة لابن الكلبي ، فحدث من أجل ذلك هذا الاختلاف على انه ، مع افتراض هذه الحالة ، لا يجوز وقوع مثل هذا الاختلاف ، اذ لا يعقل أن يكتب مؤلف واحد فاهم للمادة هاضم لها ، له نقد وتفكير تأريخي ، خبراً في كتاب يختلف اختلافاً بيناً عما كتبه في كتاب له آخر ، الا ان يكون قد عثر على موارد جديدة وروايات حصل عليها بعد تأليف الكتب السابقة . ومهما يكن من شيء فإن أمر مناقضة الأخباريين أنفسهم في رواية الأخبار ، وفي عدم تنسيقها ، من الأمور التي لا ينفرد بها أخباري واحد ، وتجد في تأريخ الطبري أمثلة من هذا القبيل حيث يناقض خبره في موضع خبره المروي في موضع آخر

دون أن يشير إليه أو يشير الى وقوعه من الأخباريين . وقد فطن (ابن الأثير) الى ذلك فأشار الى انه ناقل ، وذاكر ما وجده وما قاله مختلف الأخباريين ليوقف عليه القارىء . ثم لم يغفل ، فذكر ما هو مرجح لديه ، أو ما هو مرجح لدى أكثرية الأخباريين .

ومن مواضع الاختلاف بين الأخباريين ، اختلافهم في تسلسل من حكم (الحيرة) من ملوك ، وفي مدد حكمهم . ومن عاداتهم ذكر مدة حكم الملك إجمالاً ، كأن يقولوا : « حكم مدة كذا من السنين » ، ثم يذكرون ذلك تفصيلاً محسوباً بالنسبة الى مدة حكم من عاصر ذلك الملك من ملوك الفرس ، كأن يقولوا : « منها كذا في حكم الملك الفلاني ، وكذا في حكم الملك الفلاني » ، وهكذا إن كان الملك قد أدرك جملة ملوك من ملوك الفرس . وأنت اذا فحصت ما ذكره اجمالاً ، ثم ما ذكره تفصيلاً وجمعته بعضه مع بعض تجد اختلافاً بين حاصل الجمع والعدد المذكور اجمالاً في بعض الأحيان . وقد أوجد اختلاف الأخباريين في تسلسل الملوك وفي مدد الحكم صعوبات جمة للباحثين في هذا التأريخ في تثبيت تواريخ الملوك ، وفي تعيين أيامهم على وجه مضبوط ما برحت قائمة في هذا المدون عن تأريخ آل لحم وتأريخ آل غسان .

وقد درج بعض المؤرخين مثل الطبري وأبي حنيفة الدينوي وابن الأثير على ادماج تأريخ الحيرة في تأريخ الفرس في الجملة ، فهم وأمثالهم يذكرون في كلامهم على ملك من ملوك الساسانيين صلات ذلك الملك بعرب الحيرة ، ويشيرون الى ملكها الذي كان يحكم في أيامه ، والى عدد من عاصر من ملوك الفرس ، ولذلك تجزأ تأريخ الحيرة وتناثر في صفحات فصول هؤلاء المؤرخين عن تأريخ الساسانيين .

ودرج فريق آخر كاليقوبي وحزرة والمسعودي على تدوين تأريخ الحيرة في باب مستقل بني على حسب تسلسل حكم الملوك كما استقر ذلك في ذهن الكاتب ، مع ذكر بعض الأمور المتعلقة بالملك من سني حكم ، أو من معاصرة الملوك الساسانيين أو من بناء أو ما شابه ذلك . وتجد في مؤلفات هؤلاء الأخباريين أموراً لم يتطرق اليها أصحاب الطريقة الأخرى في بعض الأحيان . وتفيدنا مؤلفات هؤلاء من هذه الناحية في زيادة علمنا بتأريخ الحيرة المستقي من المورد الأول .

ويؤسفنا جداً أن لا نملك حتى الآن دراسة علمية دقيقة للتأريخ وللمؤرخين الإسلاميين وللموارد التاريخية وكيفية أخذ بعضها من بعض ، وهي دراسة لا بد

منها ، إذ غيرها لا نتمكن من كتابة تأريخ بالمعنى العلمي للعرب قبل الاسلام . وهي تيسر لنا فهم اتجاهات المؤرخين ، وتصنيف الموارد على أساس الأسبقية ، وبذلك تيسر مهمة المؤرخ بعض التيسر ، وتمهد له الجادة بعض التمهيد .

ومن المؤسف حقاً أن الأخباريين كانوا يتصرفون بالنصوص والمقتبسات التي يعتمدون عليها ، ويجرون فيها بعض التغيير ، وربما أغفلوا أسماء أصولها ، فظهر كأنها منهم على حين أنها نقل وأخذ . ولو أشاروا الى المقتطفات والمقتبسات في الموضع المناسب ، لكان في اشارتهم هذه خدمة كبرى لمن جاء بعدهم ، وهداية الى الموارد الأصلية التي يجب أن يرجع اليها ويعتمد عليها .

ومن حسن الحظ ان بين أيدينا جملة مؤلفات لاتينية ويونانية ، وردت في ثناياها اشارات الى (عرب الروم) و (عرب الفرس) ، أي عرب الشام من (آل جفنة) وعرب الحيرة من (آل لحم) . وقد عاصر بعض أصحاب هذه المؤلفات أولئك القوم ، واشتركوا هم أنفسهم في الحملات لكونهم مؤرخين رسميين يسيرون مع القيصر أو القواد لتدوين الحوادث والمشاهدات . وقد أفادتنا اشاراتهم هذه فوائد كبيرة ، وعليها كان جلّ اعتماد الباحثين في إيجاد مواضع ارتكاز يطمئن اليها في تعيين تواريخ (آل جفنة) أو (آل لحم) . وبها تمكنا من تصحيح أكثر أغلاط الأخباريين . ولقدمها - بالنسبة الى مؤلفات الاسلاميين - ولكون معظمها من عهد ما قبل الإسلام ، وكان لها حق التقديم بالطبع في نظر المؤرخ الحديث ، ولكن هذا لا يدفع عنها مع ذلك مواطن النقد والشبهات .

وللمؤلفات السريانية فضل يجب ألا ينسى أيضاً في تدوين هذا التأريخ ، ولكنها ليست على الاجمال كالمؤلفات اليونانية واللاتينية في الدقة وفي النقد . ولما كان الكثير منها تواريخ كنسية ، تعرضت لتأريخ الحيرة أو عرب الشام أو العرب الآخرين بقدر ما هؤلاء من صلة بالكنيسة وبالنصرانية . وهي على الجملة تمزج الأخبار بالمعجزات وبخوارق العادات وبرواية كرامات الآباء في هداية الملوك الوثنيين وسادات القبائل ، وهي لا تخلو أيضاً من العصبية التي اتسم بها ذلك الزمن في النزاع المذهبي الذي منيت به النصرانية وفي محاولة الغرض من الطرف النصراني الثاني ، كالذي نجده بين المؤلفات النسطورية واليعقوبية والملكية وأمثالها ، فلكل منها رواية بأسلوبها الخاص ، لذلك وجب علينا الانتباه لهذه الناحية حين الرجوع اليها ، وتخليص رواياتها من شوائب العصبية للمذهب ، ونقدتها لاستخلاص

العصر التاريخي منها في تدوين تأريخ صحيح لعرب العراق او عرب بلاد الشام
أو عرب جزيرة العرب .

وأهل الحيرة عرب ، يقسمهم الأخباريون الى طبقات ثلاث : تنوخ، والعباد،
والأحلاف^١ . وهؤلاء في نظرهم من قبائل متعددة ، فيها من قحطان وفيها من
عدنان . وقد ذكروا ان في لهجة أهل الحيرة هجئة ، رجّعوا سببها الى اختلاط
هؤلاء العرب بمن كان يفد عليهم من النبط ممن كانوا يثيرون الأحداث فيلتجئون الى
هذا المكان^٢ . ولذلك شابت لهجتهم رطانة نبطية . وقد كتبوا بقلم (بني لارم) ،
شأنهم في ذلك شأن تدمير وأهل (بطرا) اذ استعملوا قلماً نبطياً متأخراً في الكتابات .

أما تنوخ ، فهم قبائل سكنوا بيوت الشعر والمظال والوبر غربي الفرات بين
الحيرة والأنبار فما فوقها في اصطلاح أهل الأخبار^٣ . ويظهر من وصفهم لتنوخ
انهم قصدوا بهم من كان يشتغل بالزراعة ومن كان يعيش عيشة أهل البادية من
سكان هذه المنطقة : منطقة ما بين الحيرة والأنبار . ولم يقصدوا قبيلة معينة^٤ .

وللأخباريين رأي خاص في تفسير أصل كلمة (تنوخ) خلاصته : انه لما
مات (بنخنصر) ، انضم الذين كان أسكنهم الحيرة من العرب الى أهل الأنبار،
وبقيت الحيرة خراباً ، فغبروا بذلك زماناً طويلاً لا تطلع عليهم طالعة من بلاد
العرب ولا يقدم عليهم قادم . وبالأنبار أهلها ومن انضم اليهم من أهل الحيرة
من قبائل العرب من بني اسماعيل وبني معد بن عدنان . فلما كثر أولاد معد بن
عدنان ومن كان معهم من قبائل العرب ، وملأوا بلادهم من تهامة وما يليهم ،
فرقتهم حروب وقعت بينهم وأحداث حدثت فيهم ، فشتتوا . وأقبلت منهم
قبائل حتى نزلوا البحرين ، وبها جماعة من الأزدي كانوا نزلوها في دهر (عمران
ابن عمرو) من بقايا (بني عامر) ، وهو : (ماء السماء بن حارثة) ، وهو :
(الغطريف بن ثعلبة بن امرئ القيس بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن
عمران بن الحاف بن قضاعة) ، و (مالك بن زهير بن عمرو بن فهم بن تيم الله

١ حمزة (٦٦) .

Die Araber, I, S. 268, Nöldeke, Geschichte der Perser, (1879), S. 24.

٢ البلدان (٣/ ٣٨٠) ، Rothstein, S. 18.

٣ حمزة (٦٦) ، (وتنوخ : حي من اليمن) ، اللسان (نوخ) .

٤ Rothstein, S. 28, Nöldeke, Sassa., S. 24, Anm. 3.

ابن أسد بن وبرة) في جماعة من قومهم ، و (الحيقار بن الحيق بن عمير بن قنص بن معد بن عدنان) في (قنص) كلها . ولحق بهم (غطفان بن عمرو ابن الطمشان بن عوذ مناة بن يقدم بن أنصى بن دعى بن إياد بن نزار بن معد ابن عدنان) ، و (زهر بن الحارث بن الشلل بن زهير بن إياد) ، و (صئح ابن الحارث بن أفصى بن دعى بن إياد) . فاجتمع بالبحرين جماعة من قبائل العرب ، فتحالفوا على التنوخ ، وهو المقام ، وتعاهدوا على التوازر والتناصر ، فصاروا يداً على الناس ، وضمهم اسم تنوخ .

وتنخّ على تنوخ بطون من (نمارة بن لحم) ، ودعا (مالك بن زهير) (جذيمة الأبرش بن مالك بن فهم بن غانم بن دوس الأزدي) الى التنوخ معه ، وزوجه أخته (لميس) ابنة (زهير) . فتنخ (جذيمة بن سالك) وجماعة ممن كان بها من قومهم من الأزدي ، فصار (مالك) و (عمرو) ابنا (فهم) والأزدي حلفاء دون سائر تنوخ . وكلمة تنوخ كلها واحدة . أما اجتماع من اجتمع من قبائل العرب بالبحرين وتحالفهم وتعاهدهم ، فكان على حد قول (ابن الكلبي) في أزمان ملوك الطوائف الذين ملكهم الاسكندر وفرّق البلدان بينهم عند قتله (دارا) ملك فارس الى أن ظهر (أردشير بن بابك) ملك فارس على ملوك الطوائف ، وقهرهم ، ودان له الناس .

وفي هذا العهد عهد ملوك الطوائف، تطلعت أنفس من كان بالبحرين من العرب الى ريف العراق وطمعوا فيه، واهتبلوا ما وقع بين ملوك الطوائف من الاختلاف، فأجمعوا على السير الى العراق . وكان أول من طلع منها (الحيقار بن الحيق) في جماعة قومه واختلطوا من الناس ، فوجدوا الأرمانيين (بني إرم) ، وهم الذين بأرض بابل وما يليها الى ناحية الموصل ، يقاتلون الأردوانيين ، وهم ملوك الطوائف ، فاستفادوا من ذلك وانتشروا في السواد . وسكن قسم منهم بين عرب الأنبار ، وسكن قسم آخر منهم بين عرب الحيرة . ثم طلع (مالك) و (عمرو) ابنا (فهم بن تيم الله) ، و (مالك بن زهير بن فهم بن تيم الله) ، و (غطفان ابن عمر بن الطمشان) ، و (زهر بن الحارث) ، و (صئح بن صئح) فيمن تنخ عليهم من عشائريهم وحلفائهم على الأنبار على ملك الأرمانيين ، فطلع (نمارة بن قيس بن نمارة) و (النجدة) ، وهم قبيلة من العماليق ، يدعون الى (كندة) و (ملكان بن كندة) و (مالك) و (عمرو) ابني (فهم)

ومن حالفهم ، وتنخ معهم على (نفر) على ملك الأردوانيين ، فأنزلهم الحير ، أي الحيرة . فلم تزل طالعة الأنبار وطالعة (نفر) على ذلك لا يدينون الأعاجم ولا تدين لهم الأعاجم حتى قدمها تبع ، وهو : (اسعد ابو كرب بن ملكيكرب) في جيوشه فاستولى عليها ، ونزل الحيرة فيمن معه^١ .

وروى (ابن الكلبي) أن كثيراً من تنوخ نزلوا الأنبار والحيرة وما بين الحيرة وطفّ الفرات وغريبه الى ناحية الأنبار وما والاها . نزلوا في المظالم والأخبية لا يسكنون بيوت المدر ، ولا يزواجون أهلها . وكانوا يسمون (عرب الضاحية) . فكان اول من ملك منهم في زمان الطوائف (مالك بن فهم) ، وكان منزله مما يلي الأنبار ، ثم مات مالك بن فهم ، فملك من بعده أخوه (عمرو بن فهم) . ثم هلك عمرو بن فهم ، فملك من بعده (جذيمة الأبرش ابن مالك بن فهم بن غانم بن دوس الأزدي)^٢ .

وقد أخذ الطبري ما ذكره عن (تنوخ) من روايات ترجع الى (ابن الكلبي) والى (ابن اسحاق) ، وتختلف روايات (ابن اسحاق) التي اخذها (الطبري) عن شيخه (ابن حميد) عن (سلمة) عن (ابن اسحاق) بعض الاختلاف عن روايات (ابن الكلبي) .

ولدينا رواية تذكر أن (بني زهير بن عمرو بن فهم) ، ومنهم (مالك ابن فهم) الذي تنخّ عليه تنوخ . هو ومالك بن فهم بن غنم الأزدي ، تنخوا بعين هجر ، وتحالفوا هناك ، فاجتمعت اليهم قبائل من العرب ، فنزلوا الحيرة ، فوثب (سليمه بن مالك بن فهم) على أبيه ، فرماه فقتله ، فقال أبوه :

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتدّ ساعده رماني

ففرقت بنو مالك ، وكانوا عشرة ، ولحقوا بعمان ، وملك جذيمة بن مالك عشرين ومئة سنة . وذلك في أيام ملوك الطوائف . وهو أول من اتخذ داراً^٣ .

-
- ١ الطبري (٢٧/٢ وما بعدها) ، الكامل ، لابن الأثير (١٩٥/١ وما بعدها) ، البلدان (٣٧٧/٣ وما بعدها) .
 - ٢ الطبري (٢٨/٢ وما بعدها) .
 - ٣ الاشتقاق (٣١٧/٢ وما بعدها) .

أما ما زعمه أهل الأخبار في معنى تنوخ، فقد أشرت مراراً الى جنوح الأخباريين الى أمثال هذه التفسير ، حين ترسو سفينة علمهم على شاطئ الجهل بالأشياء . وما تنوخ في نظري الا (Tanueitae) (Thanuitae) القبيلة التي ذكرها (بطلميوس) في جملة القبائل التي كانت في أيامه^١ . وهي وإن كانت في جغرافيته في مواضع بعيدة عن الحيرة غير ان ذلك لا يمنع من انتقال بطون منها الى الحيرة وبادية الشام واقامتها فيها ، وهو حادث مألوف ليس بغريب ، أو انها كانت في هذه المواضع في أيام (بطلميوس) كما كانت بطون منها تقيم في المواضع التي ذكرها أو انه أخطأ في تعيين مواضعها الصحيحة فظن انها حيث وضعها من الأماكن ، وهو أمر ليس وقوعه من الكتاب في الزمن الحاضر غريب ، فكيف بالنسبة الى تلك الأيام .

فتنوخ اذن على الوصف المتقدم ، هم أعراب الحيرة ، لا حضرها وأهل مدرها ، وكانوا يعيشون في اطرافها وحولها ، في بيوت الشعر والمظال ، على نقيض (العبادين) . وقد تبين من بعض الموارد ان بطوناً من تنوخ نزلت ارضين تابعة للروم^٢ .

واما العباد ، فهم الذين سكنوا رقعة الحيرة فابتنوا بها، فهم حضر مستقرون^٣ . ويقول معظم الأخباريين انهم كانوا على دين المسيح . ويقول بعضهم : انهم قبائل شتى من بطون العرب ، اجتمعوا على النصرانية ، والنسبة اليهم عبادي^٤ . وذهب بعض الى انهم بطن في جزيلة من لحم^٥ . وخالف فريق فذهبوا الى انهم كانوا من قبائل شتى انفردوا من الناس في قصور ابتنوها لنفوسهم ظاهر الحيرة^٦ . وانهم دانوا لأردشير^٧ .

ونسبهم بعض أهل الأخبار الى (بني عبد القيس بن أفضى بن دعي بن جديلة

١ Sprenger, Alte Geography, 341, Glaser, Skizze, II 283, Blau, In ZDMG.,

22, (1868), S. 660, Forster, II, P. 247.

Die Araber, II, S. 251. ٢

Die Araber, I, S. 269. حمزة (٦٦) ، ٣

الاشتقاق (٧/١) ، (طبعة وستفالد) ، Rothstein, S. 19. ٤

العقد الفريد (٢٥٣/٢) . ٥

ابن القفطي : الحكماء (١٩٩) ، غنيمة (١٦) . ٦

الطبري (٤٣/٢) . ٧

ابن أسد بن ربيعة) ، وذكروا انهم من نسل أربعة ، هم : عبد المسيح ، وعبد كلال ، وعبد الله ، وعبد ياليل^١ . وأشار (السهيلي) الى ورود اسمهم في الحديث ، فقال : « وفي الحديث المسند : أبعد الناس عن الاسلام ، الروم ، والعباد ، وأحسبهم هؤلاء ، لأنهم تنصروا . وهم من ربيعة ، ثم من بني عبد القيس »^٢ .

وللأخبارين أقوال في أصل كلمة (العباد) ، فمنهم من يقول انهم انما سموا بذلك لأن وفداً وفد على كسرى كانت أسماؤهم تبتدىء بكلمة عبد ، فقال كسرى : أنتم عباد كلكم فسموا العباد^٣ . ومنهم من يقول : لا ، انما قيل لهم العباد لأنهم كانوا يعبدون الله ، فسموا بهذا الاسم^٤ . ومنهم من يرى انهم سموا بذلك لأنهم لما قاتلهم سابور الأكبر ، اتخذوا شعاراً لهم ، هو يا آل عباد ، فسموا العباد^٥ . الى غير ذلك من أمثال هذه التعليلات.

واظن ان خير ما نفعله في هذا الباب لمعرفة من كانت تنطبق عليهم هذه التسمية ، هو ان ندرس أسماء مشاهير من نسبوا الى العباديين من اسر ورجال ، مثل : اسرة عدي بن زيد العبادي ، وبني مرينا ، وبقيلة ، وأمثالهم ممن حشروا في العباديين . فقد شملت التسمية هؤلاء وهم من قبائل مختلفة . كان آل عدي بن زيد مثلاً من تميم ، وكان بنو مرينا من لحم ، وكانت بقيلة من الأزد^٦ . فهم اذن من قبائل مختلفة ، ومع ذلك عرفوا بالعباديين ، وذلك يدل على ان هذا الاسم لم يكن يعني قبيلة ، او بطناً ، وإنما يعني جماعة من قبائل شتى جمعت بينها وحدة الدين ، ووحدة الوطن . لذلك لم يطلق إلا على النصاري العرب من اهل الحيرة . اما غيرهم من نصاري العرب ، فلم يشملهم اسم العباديين^٧ .

-
- | | |
|---|---|
| ١ | الروض الأنف (٥٣/١) . |
| ٢ | الروض الأنف (٥٣/١) . |
| ٣ | اللسان (٢٧٢/٣) ، (عبد) ، ابن قتيبة المعارف (٦٤٩) ، ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول (٢٥٠) . |
| ٤ | تاج العروس (٤١٠/٢) وما بعدها ، (عبد) ابن القفطي ، (١٧٣) وما بعدها ، اللسان (٢٧٢/٣) ، الروض الأنف (٥٣/١) . |
| ٥ | الآغاني (١٥٦/١١) . |
| ٦ | Rothstein, S. 20. |
| ٧ | Rothstein, S. 20. |

ويمكن ان نقول استناداً الى روايات الأخباريين في تحديد مدلول الكلمة ، واقتصارها على نصارى الحيرة دون غيرهم من نصارى العرب : إن هذه الكلمة اطلقت في الأصل على من تنصر من اهل الحيرة ، ليميزوهم عن غيرهم من سكان المدينة من الوثنيين . ولم يكن اولئك النصارى في بادىء امرهم بالطبع إلا فئة قليلة ، ثم توسعت من بعد . فلما انتشرت النصرانية في الحيرة لازمت هذه التسمية جميع نصاراها ، كائناً من كانوا ، وصارت علماً لهم ، لم تميزهم عن الوثنيين حسب ، وإنما ميزتهم ايضاً عن بقية النصارى العرب من غير اهل الحيرة فلما مضى زمان طويل على هذا الاستعمال ، ظن المتأخرون انه علم ، ثم حاروا في تعليله ، فأوجدوا على طريقتهم تلك التعليلات .

ولعل العباد والعباديين من كلمة (عبد) في الأصل ، أطلقتها منتصرة الحيرة الأولى على نفسها ، لأنها تعبدت لإله ، لتمييز نفسها عن الوثنيين . او ان اولئك الوثنيين اطلقوها على اولئك المنتصرة ، تمييزاً لهم عن سائر الوثنيين . وقد يكون لـ (عبد المسيح) علاقة بهذه التسمية كذلك . وهي تسمية شائعة بين النصارى شيوع (عبدالله) بين المسلمين^١ .

ولا استبعد ان يكون العباد والعباديين ، هم بقية (اباديدي) (Abadidi) او (إباديدي) (Ibadidi) ، الذين تحدثت عنهم في اثناء كلامي عن الآشوريين . وقد كان العباديون أكثر أهل الحيرة ثقافة ، حلق بعضهم الصناعات ودرس بعضهم العلوم ، وفاق بعض آخر في اللغات فحلق العربية وتعلم الفارسية ، وكانوا يتقنون في الغالب لغة بني إرم بحكم تنصرهم واعتبار النصارى لها لغة مقدسة ، لأنها لغة الدين ، لذلك كان لهم وجه ومقام في الحيرة ، ولهذا السبب اختار الفرس تراجمتهم ومن كان يتولى المراسلة بينهم وبين العرب من هؤلاء ، كالذي كان مع (زيد العبادي) والد (عدي) .

وأما (الأحلاف) ، فهم الذين لحقوا بأهل الحيرة ونزلوا فيها ، ولم يكونوا في الأصل لا من تنوخ ، ولا من العباد الذين دانوا لـ (أردشير)^٢ . وقد كان بين أهل الحيرة جماعة من النبط^٣ ، كما كانت بينهم جماعات من

Nöldeke, Sassa., S. 24, Rothstein, S. 21.

١ حمزة (٦٦)
٢ الأغاني (٦١/٨)

الفرس ومن اليهود . والنبط هم من بقايا قدماء العراقيين ، وقد كان بعضهم يتكلم العربية برطانة ظاهرة ، فتأثر بعض عرب الحيرة بهذه الرطانة ، فبدت على ألسنتهم ، وذلك باختلاطهم بتلك البقية التي تكلمت بلهجة بني إرم وهي التي عرفت بلغة (النبط) عند المسلمين^١ .

وكانت للوثنيين من أهل الحيرة أصنام ، منها : الآلات ، والعزى ، وسبد^٢ ، و (محرق) وبه تسمى بعض الرجال تبركاً وتقرباً إليه^٣ .

لقد كان معظم نصارى الحيرة على مذهب النساطرة ، وهو مذهب شجعته الفرس في بلادهم نكاية بالروم . غير ان هنالك جماعة كانت على مذهب اليعاقبة ، كما كان بعضهم على مذاهب نصرانية أخرى لا مجال للحديث عنها في هذا المكان . وقد حاول أصحاب هذه المذاهب كسب أكبر عدد ممكن من الناس الى مذاهبهم . وطبيعي ألا يجد مذهب الروم صدىً رجباً في الأرضين الخاضعة للفرس ، لما في ذلك من أخطار سياسية تهدد مصالحهم .

وقد كانت الحيرة من المراكز المهمة في حركة التبشير بالنصرانية بين العرب . ومن الحيرة ذهب قسم من المبشرين الى اليمن والأجزاء الأخرى من جزيرة العرب لنشر النسطورية والمذاهب النصرانية الأخرى هناك ، وفيها انعقد مجمع (دار يشوع) في سنة (٤٢٤)^٤ ، وفي هذه المدينة توفي هذا الجاثليق (دار يشوع) ودفن فيها على بعض الروايات^٥ .

ما ذكرته عن أهل الحيرة ، هو ما يخص أهل المدينة وما حولها من الحضر المستقرين . أما من كان قد خضع للملك الحيرة ، فكانوا قبائل يعيشون في ارضين واسعة ، كانت تنقلص سعتها وتتوسع بحسب قدرة (ملك الحيرة) ومكانته ، فقد حكم (امرؤ القيس) مثلاً (كل العرب) على حد قول النص : (نص النارة) الذي وجد على قبره . ويقصد بذلك (كل الأعراب) ، وخص منهم (أسدأ) و (نزاراً) و (مذحجاً) وغيرها ، حتى بلغ حدود (نجران) ،

١ (عرب استنبطنا ، وتبسط استعربنا) ، أمالي المرتضى ، (١٧٧/١) .
٢ الاغانى (١٠٤/٢) ، « طبعة دار الكتب المصرية » ، (٢٠/٢) ، (ساسي) .
٣ Rothstein, S. 95, Nöldeke, in ZDMG., 1887, S. 712.

٤ الديبورة في مملكتي الفرس والعرب (١٠) .
٥ أوچين نسران ، خلاصة تاريخية للكنيسة السريانية « تعريب القس سليمان الصانع » ، الموصل ، ١٩٣٩ (ص ٢٦ وما بعدها) .

كما ملك (معداً)^١ . ولكننا لا نستطيع أن نؤكد أن مُلك ملوك الحيرة قد شمل القبائل المذكورة في كل الأوقات ، بل في كل أيام حكم (امرئ القيس) ، فقد تعودت القبائل الانتفاضة على من يفرض حكمه عليها عند أول فرصة يشعرون فيها بضعف الحاكم ، أو أن الأوضاع أخذت تسير عكس ما يريد ، فتتقلب عليه وتخرج على طاعته .

ونجد في رسالة (شمعون الارشامي) الحيرة أن في جملة من كان في معسكر (المنذر) الثالث ، (طيايه حنبة ومعداية) ، أي (طيء) ومعد . والأغلب أنه قصد بـ (طيايه) الأعراب ، فقد كانت تطلق بهذا المعنى في هذا العهد . ولعله قصد بـ (حنبة) (حنفة) قبيلة (بني حنيفة) أو قبيلة أخرى اسمها قريب من هذا الاسم . ويلاحظ ان اسم (معد) كان معروفاً مشهوراً على انه من القبائل العربية الكبيرة التي تشمل منازلها أرضين واسعة . وقد ميّز بينها وبين (نزار) في (نص النارة) مما يدل على ان (نزاراً) كانت منفصلة عن (معد) ولها اسم خاص في القرن الرابع للميلاد . أما الأنباء التي زعم الأخباريون أنها بنيت في أيام بختنصر ، فقد كانت من المدن المعروفة في أيام الساسانيين ، تلي شهرتها في العراق شهرة مدينة (طيسفون) (Ktesiphon) . وقد تبين من فحص آثارها ومعالمها الباقية أنها من المواضع التي كانت قبل عهد الدولة الساسانية ، غير أننا لا نعرف من أمرها شيئاً يذكر قبل عهد هذه الدولة . والذي بعث فيها الحياة وانشأ فيها الأبنية والعمارات ، هو الملك الساساني (سابور الثاني) (شاپور) (Shapur II) (٣١٠ - ٣٧٩ م)^٢ ، أو سابور الأول في بعض الروايات^٣ . وقد حصّنت وقيوت وجعلت قلعة حربية لصدد غارات الروم على حدود هذه المملكة من ناحية الفرات . وكان لها أثر مهم في الحملة التي قام بها الانباطور (يوليانيوس) (Julianus) على مملكة الساسانيين في سنة ٣٦٣ للميلاد ، اذ دافعت عن نفسها دفاعاً شديداً . ولما تمكن يوليانيوس منها ، بعد ذلك الحصار المتعب صارت ركناً وتللاً من الرماد ، فأمر عندئذ ببناء (هيليوبوليس) (Heleopolis) . وقد وصف المؤرخ (أميانوس مرسلانوس) (Ammianus Marcellianus) الأنباء ،

١ تاريخ العرب قبل الاسلام ، مؤلف هذا الكتاب (٣٣/٤ وما بعدها) ،
Die Araber, II, S. 313.

٢ Paulys - Wissowa, 64, Halbband, 1950, 1725, Ency., I, P. 348.

٣ Paulys - Wissowa, 2 Halbband, 1894, 1791, Musil, Euphrates, P. 354.

وذكر نلاعها الحصينة^١ .

وفي جنوب هذه المدينة وعلى مسافة قليلة منها ، يقع نهر عيسى الذي يصل الفرات بدجلة ، وهو نهر قديم يرجع عهده الى ما قبل الاسلام ، عرف بـ (Naarsares) أو (Narsares)^٢ ويظن ان الملك سابور الثاني المذكور هو الذي أمر بحفره . وقد اكتسبت المدينة بهذا النهر شأناً خاصاً اذ صارت فرضة مهمة ، ومخزناً للأموال ، ومركزاً عظيماً في وسط العراق للتجارة ولتبادل السلع المرسلّة عن طريق دجلة الى الفرات وبالعكس . ولاسم هذه المدينة، وهو الأنبار ، علاقة بهذا المعنى على ما يظن . وهو من (Ham-bara) الايرانية القديمة، ومعناها المخزن ، ومنها (أنبار) (Anbar) بالفارسية الحديثة . وقد عرف العلماء المسلمون معنى الكلمة فذكروه^٣ . ومن هذه الكلمة أخذ البيزنطيون (Anbara) (Abbareny) (Abara) ، ويقصدون بها الأنبار^٤ .

وقد عرفت المدينة بـ (فيروز سابور) (فيروز شاپور) (Peroz Shapur) كذلك . ومعنى هذه الكلمة (سابور المنتصر) . ومنها جاء اسمها (بيريسابور) (Pirisaboora) (Bersabora) (Pirisaboras) المذكور في تأريخ (أميانوس مارسلانوس) و (زوزيموس) . وقد ذكر هذا الاسم في المؤلفات السريانية . وكان عليها أسقف نسطوري^٥ .

ويظن ان موضع (أنكوباريتيس) (Ankobaritis) المذكور في جغرافية

١ Paulys-Wissowa, 64 Halbband, 1950, 1725, Ammianus, XXIV, 2, 9, XXIV, 2, 18, Musil, Euphrates, PP. 234 236, 240, 354.

٢ (نهر صرصر) ، Paulys-Wissowa, 64 Halbband, 1950, 1725.

٣ (وانما سميت الأنبار أنبار ، لأنها كانت تكون فيها أنابير الطعام ، وكانت تسمى الاهراء ، لان كسرى يرزق أصحابه رزقهم منها ، الطبري (٢٨/٢) ، البلدان (٣٦٨/١) ، اللسان (١٩٠/٥) ، (صادر) ، (نبر) ،

Ency., I, P. 348, Fränkel, Die Aramaischen Fremdwörter in Arabischen, S. 136, Scheftelwitz, In ZDMG., IX, 699, Nöldeke, Grammatik der Neusyrischen Sprache, S. 403, Paulys-Wissowa, Zweiter Halbband, 1894. 1461.

٤ Ency., I, P. 348.

٥ Ammianus Marcellianus, XXIV, 29, 5, 3, Paulys-Wissowa, 2 Halbband, 1894, 1791.

(بطلميوس) يعني المنطقة التي تقع فيها الأنبار . فإذا كان هذا الظن صحيحاً ، كان اسم هذه المدينة معروفاً اذن قبل ايام الساسانيين^١ .

ولم يذكر (ايزيدور الكركسي) (Isidorus of Charax) الذي ساح حوالي ميلاد المسيح في إنباطورية الفرث ، اسم هذه المدينة ، ولا اسماً آخر يقع في هذا المكان ، لذلك يرى بعض الباحثين أن الأنبار لم تنشأ إلا بعد أيام (ايزيدور) وربما في القرن الأول للميلاد ، وأنها أنشئت في بادئ الأمر لخزن المواد فيها وتموين الحاميات بما تحتاج اليه ، ثم توسعت في العصر الساساني حتى أصبحت المدينة الثانية في اقليم بابل بعد طيسفون^٢ .

وفي رواية لـ (ثيوفيلكتس) (Theophylactus) أن (كسرى برويز الثاني) (Khusrave Abharvez) (٥٩٠ - ٦٢٨ م تقريباً) ، حينما هرب من وجه (بهرام جوين) حوالي سنة ٥٩٠ للميلاد ، وترك العاصمة طيسفون عبر دجلة واخترق البادية حتى جاء الأنبار ، ومنها ذهب الى عانة (Anatha) ، ومنها ذهب الى (قرقيساء) حيث اتصل بالروم^٣ .

وقد صارت (الأنبار) من أهم المواضع العلمية ليهود العراق في عهد (هرمز الرابع) (٥٧٨ - ٥٩١ م) أو (٥٧٩ - ٥٩٠ م) . فلما اضطهد هذا الملك اليهود ، وأمر بإغلاق مدارسهم الدينية التي كانت من أهم مدارس اليهود في ذلك العهد في مدينتي (سورا) (Surà) و (بومبيدثا) ، (فومبيدثه) (Pumbeditha) ، انتقل أحرار المدينتين الى مدينة (فيروز سابور) (Peroz Shapur) أي الأنبار . وكانت إذ ذاك في حكم ملوك الحيرة^٤ . وصارت منذ ذلك العهد مركزاً من مراكز الثقافة اليهودية في العراق .

وتقع (فومبيدثه) (Pumbeditha) بجوار الأنبار ، وتعني (فم البداة) ، وقد كانت من أهم المستوطنات اليهودية في العراق . ومن أهم المراكز العلمية التي أخرجت طائفة من كبار أحرار اليهود ، أسهموا في تدوين التلمود وفي جمع التراث اليهودي القديم . ومن علمائها (مار رابة الغاؤون) وآخرون . وقد قدم

Ptolemy, V, 18, 4, Paulys-Wissowa, 2 Halbband, 1894, S. 1791.

Paulys-Wissowa, 2 Halbband, 1894, 1791.

Theophylactus, IV, 10, 4, Paulys-Wissowa, 2 Halbband, 1894, 1794.

Die Araber, I, S. 630, Th. Noldeke, Tabarl, 57, Anm., 5.

اليها اليهود من فلسطين هرباً من الرومان الذين لم يعطوا اليهود الحرية الدينية الكافية للانصراف الى ممارسة شعائهم الدينية والتعليم على وفق ديانتهم . فأسسوا مستوطنات مهمة في العراق ، منها : هذه المستوطنة ، ومستوطنة (نهر دعة) وغيرها ، وفي هذه المستوطنات دوّن التلمود البابلي الذي هو من أهم أركان كتب التشريع عند اليهود^١ .

وقد جاء في (بابا بئرا) أن العرب الذين أتوا الى (فومبيدته) ، استولوا على أرض اليهود . وقد جاء اليهود الى حبرهم (أبيه) (Abaya) ليكتب لهم نسختين من نسخ تملك الأرض ، حتى اذا استولى غريب على نسخة التملك تكون لديه نسخة ثانية . وكان ذلك على أثر هذا الحادث^٢ . وكان العرب عندما ينتزعون تلك الأرضين يأخذون سندات التملك أيضاً . ولهذا راجع اليهود هذا الخبر ليكتب لهم سندي تملك ، حتى اذا أخذت نسخة ، احتفظ صاحب الأرض بالنسخة الثانية فيكون في امكانه مقاضاة المغتصب^٣ .

ونجد في (ندة) (Niddah) ، وهو (كتاب الحيض) من باب (كتاب الطهارة) (Seder Tohoroth) في الفقه العبراني ، قصة تاجر عربي كان في (فومبيدته) ، وكان يرتدي عباءة أو جبة سوداء حالكة السواد، ولما كان السواد من الألوان المكروهة عند اليهود ، جاءه أحد زوار المدينة من اليهود، فسأله عن هذا السواد ، فقال التاجر : وهل يوجد لون كهذا اللون ! فقام عليه اليهود ، وانتزعوا منه عباءته أو جبته ومزقوها، ثم استرضوه بأن عوضوه بأربعمئة (زوز)^٤ .

ملوك الحيرة :

وقد عرف ملوك الحيرة بـ (آل نصر) ، وبـ (آل لحم) ، وبـ (آل محرق) ، وبـ (آل النعمان) ، وبـ (آل عدي) . وورد ان العرب كانت تسمي بني المنذر الملوك (الأشاهب) الجمالهم^٥ .

- | | |
|---|---|
| J. Obermeyer, Die Landschaft Babylonien, S. 215. | ١ |
| Baba Bathra 168b. | ٢ |
| The Babylonian Talmud, Seder Nezikin, II, P. 735. | ٣ |
| Niddah 20a, The Babylonian Talmud, Seder, P. 131. | ٤ |
| الاشتقاق (ص ١١٦) . | ٥ |

ويظهر ان شهرة ملوك الحيرة بـ (آل نصر) ، هي شهرة قديمة تعود الى ما قبل الاسلام بزمان طويل . فقد ورد في الأخبار عن (نهر دعة) (Nehardea) وهي مستوطنة من المستوطنات اليهودية القديمة الكبيرة التي تأسست في العراق ، وتقع عند فم نهر ملكا (Nehr Malka) ، أي نخرج نهر الملك من الفرات^١ ، انه في سنة (٥٧٠) من التقويم السلوقي الموافقة لسنة (٢٥٩) للميلاد ، جاء (بابا ابن نصر) الى مدينة (نهر دعة) وخرّبها ، فهرب بعض أجبائها الى مواضع يهودية أخرى ، كانت ملجأ لليهود^٢ . ويظهر ان الأمير المهاجم ، وقد سمي في الخبر بـ (بابا) (Papa) ، كان من أبناء سيد قبيلة عربية اسمه (نصر) . وقد عرف بـ (برنصر) و (بن نصر) في التلمود^٣ . وقد ذهب الباحثون الى ان المراد به أحد أمراء الحيرة من (آل نصر)^٤ . أما (كريتز) (Grätz) ، وهو من المؤرخين اليهود المشهورين ، فقد ذهب الى انه (أذينة) زوج الملكة (زنوبيا) (الزباء) (Zenobias) ملكة تدمر^٥ . غير ان هناك أدلة تاريخية لا تؤيد هذا الرأي ، ثم ان الموارد العربية تنعت ملوك الحيرة بـ (آل نصر) ، ولم يشتهر ملوك تدمر فيها بـ (آل نصر) .

وقد تحدثت اليك برأي أهل الأخبار في أول من حكم الحيرة من الملوك، ورأينا أن (مالك بن فهم) هو أول ملك حكم هذا الموضع على زعم ، وهو في نظرهم من الأزد^٦ . وقد حكم مدة عشرين عاماً على رواية الأخباريين^٧ .

وقد زعم (حمزة الإصفهاني) أن (مالك بن فهم) تملك تنوخ العراق في زمان ملوك الطوائف ، وان منزله كان بالأنبار ، وأنه بقي بها الى أن رماه ابنه (سليمة بن مالك بن فهم) رمية بالنبل ، وهو لا يعرفه . فلما علم أن سليمة راميّه ، قال :

١ J. Obermeyer, Die Landschaft Babylonien, S. 245.

٢ J. Obermeyer, Die Landschaft Babylonien, S. 254.

٣ Kethuboth 51b.

٤ J. Obermeyer, Die Landschaft Babylonien, S. 255.

٥ Grätz, Geschichte der Juden, IV, S. 295.

٦ الطبري (٢٧/٢) .

٧ اليعقوبي (١٦٩/١) ، المعارف (٢٨١) .

جزاني ، لا جزاه الله خيراً
أعلمه الرمايسة كل يوم
سليمة ، إنه شرأ جزاني
فلما اشتد ساعده رماني

فلما قال هذين البيتين فاظن أي مات ، وهرب سليمة . هرب الى عمان^١ .
وحكم بعد (مالك بن فهم) أخوه (عمرو بن فهم) على رواية^٢ ، و(جذيمة
الأبرش) المعروف بجذيمة الوضاح أيضاً على رواية أخرى . ولا نعرف من أمر
(عمرو) هذا شيئاً يستحق الذكر .

وتزعم رواية أن الذي حكم بعد(مالك بن فهم) هو (جذيمة الأبرش) ، وقد
جعلته ابناً لمالك ، وجعلت نسبه على هذه الصورة : (جذيمة بن مالك بن فهم
ابن غانم بن دوس بن عدنان بن عبدالله بن الغوث) . وقالت : إن والده(مالك)
هو أول من ملك الضاحية في حكم ملوك الطوائف^٣ .

أما حظ جذيمة الأبرش ، فهو خير من حظ الرجلين السابقين عند الأخباريين ،
فله في رواياتهم شعر وحديث . وقد تحدثوا عنه ، ونسبوا اليه الغزوات ، وجاد
عليه بعض الرواة فرفعوا زمانه وجعلوه في العاربة الأولى . جعلوه من بني (وبار
ابن أميم بن لوذ بن سام بن نوح) ، وصيروه (من أفضل ملوك العرب رأياً ،
وأبعدهم مغاراً ، وأشدهم نكاية ، وأظهرهم حزمًا . وأول من استجمع له الملك
بأرض العراق ، وضم اليه العرب ، وغزا بالجيوش)^٤ ، وذكر (المسعودي)
أنه أول من ملك الحيرة^٥ .

وقد وصفوه أيضاً ، فقالوا : إنه (كان به برص ، فكنتت العرب عنه ،
وهابت العرب أن تسميه به ، وتنسبه اليه ، إعظاماً له . فقيل : جذيمة الوضاح
وجذيمة الأبرش)^٦ . وذكر (المسعودي) أن جذيمة هو صاحب النديمين اللذين

١ حمزة (٦٤) ، الاشتقاق (٣١٧) .

٢ الحيرة (١١٨) ،

٣ الطبري (٦١٢/١) ، (دار المعارف) ، البلدان (٣/٣٧٩) ، مفاتيح العلوم ،
للخوارزمي (ص ٦٨) .

٤ الطبري (٢٩/٢) ، البلدان (٣/٣٧٩) ، أسماء المفتالين ، لمحمد بن حبيب ،
(نوادر المخطوطات) ، (ص ١١٢) .

٥ مروج (١٦/٢) .

٦ الطبري (٢٩/٢) ، الكامل (١٣٦/١) ، الاشتقاق (٢/٢٩١) .

يضرب بهما المثل ، واستشهد على ذلك بشعر لـ (متمم بن نويرة اليربوعي) في
مرثيته لأخيه مالك بن نويرة :

وكنّا كندمانيّ جذيمة حقبه من الدهر حتى قيل لن يتصدعا^١

وقد ذكر ان النديمين المذكورين هما : مالك وعقيل ، وهما ابنا (فرج بن
مالك) من (بلقين) ، وكانا قد قدما من الشام ، يريدان جذيمة ، فوجدا فتى^٢
قد تلبد شعره ، وطالت أظافره ، وساءت حاله ، أسرع نحوهما يرجو الطعام
والرعاية ، فلما سألاه عن حاله ، وتبين لهما انه (عمرو بن عدي) ، سرّا به
كثيراً ، وعُنيا به ، وأخذاه معها الى (جذيمة) ، فلما رآه ، فرح به فرحاً
كثيراً ، لعودته اليه ، ونظر اليه ، ثم أعاد عليه الطوق ، وكان جذيمة قد صنعه
له قبلاً ، ثم قال : « كبر عمرو عن الطوق » . وكان الجن قد استطارته ،
أي خطفته . وقال جذيمة لمالك وعقيل : ما حكمكما ، أي ما طلبكما ! قالوا حكمنا
منادمتك . فأصبحا يضرب بهما المثل^٣ .

وذكر (المسعودي) ان كنية (جذيمة) التي عرف بها هي (أبو مالك) ،
وروى في ذلك شعراً ، زعم ان قائله هو سويد بن كاهل اليشكري :

ان أذق حنفي ، فقبلي ذاقه طسم وعاد وجديس ذو السبع
وأبو مالك القليل الذي قتلته بنت عمرو بالخدع^٤

وذكر الأخباريون ان جذيمة غزا طسماً وجديساً، غزاهم في منازلهم من (جو)
وما حولهم . فأصاب (حسان بن تبع أسعد أبي كرب) ، وقد اغار على طسم
وجديس باليامة ، فانكفأ جذيمة راجعاً بمن معه ، وأنت خيول تبع على سرية
لجذيمة ، فاجتاحتها وبلغ جذيمة خبرهم ، فقال في ذلك شعراً دون منه الطبري

١ التنبيه (١٥٨ وما بعدها) ، ابن قتيبة ، عيون الاخبار (٢٧٤/١) ، الروض
الانف (٣٠٣/٢) .

٢ الكامل ، لابن الاثير (١٩٧/١) ، التنبيه (١٥٨ وما بعدها) ، (أنا شهدت
ندمانى جذيمة : مالكا وعقيلا ، وصباحتهما الخمر المشعشة لما وجدا عمرو بن
عدي ، فكنت اصرف الكأس عنه) ، رسالة الغفران (٢٧٨) .

٣ مروج (١٦/٢) ، (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) .

احد عشر بيتاً . وقد أراد ابن (الكلبي) ان يكون حذراً في هذه المرة ، أو ان يظهر نفسه في مظهر الحذر الناقد ، فقال : « ثلاثة ابيات منها حق ، والبقية باطل »^١ . وجميل صدور هذا الحذر من الطبري ، او من ابن الكلبي ، وقد عودانا سرد ابيات من الشعر العربي ، نسبها الى من هو اقدم عهداً من جذيمة ولم يذكر انه باطل ، او ان فيه حقاً وباطلاً .

وفي جملة ما تحدث به الأخباريون عن جذيمة انه تكهن وتنبأ ، وانه اتخذ صنمين يقال لهما الضيزنان ، وضعهما بالحيرة في مكان معروف ، وكان يستسقي بهما ويستنصر بهما^٢ . فلم يقنع الأخباريون بالحديث عن ملك جذيمة وحده ، فأضافوا اليه التنبؤ والكهانة وعبادة الأصنام .

وذكر بعض أهل الأخبار ان (جذيمة بن مالك بن فهم) وهو جذيمة الأبرش كان ينزل الأنبار ويأتي الحيرة ثم يرجع . وكان لا ينادم أحداً ذهاباً بنفسه ، وينادم الفرقدن . فإذا شرب قدحاً ، صب لهذا قدحاً ولهذا قدحاً ، وهو أول من عمل المنجنيق ، وأول من حذيت له النعال ، وأول من رفع له الشمع^٣ . بقي على ذلك حتى نادمه مالك وعقيل^٤ ، الى غير ذلك من أقوال وروايات عنه . وهي تدل على انه كان قد ترك أثراً في المجتمع في ايامه غير أثر الملك ، مما حدا بالقوم أن يضعوا هذه الأقوال فيه .

واشتهر (جذيمة) عند أهل الأخبار بفرس له ، ذكر انها كانت من سوابق خيل العرب ، اسمها (العصا) . وفيها ورد في المثل : « إن العصا من العصية » . وقد نجا (قصير بن سعد اللخمي) على فرسه هذه ، فأخذ بثأره وقتل (الزباء) على زعم أهل الأخبار .

وهم يروون أن جذيمة كان يغازي إياداً النازلين بـ (عين أباغ) ، فذكر له اسم غلام من نخم في أخواله من إياد ، هو عدي بن نصر ، له جمال وظرف ، فغزاهم . فبعثت إياد قوماً سقوا سدنة الصنمين الحمر ، وسرقوا الصنمين ، فأصبحا

-
- ١ الطبري (٢٩/٢) .
 - ٢ الطبري (٢٩/٢) ، اليعقوبي (١٦٩/١) ، الكامل ، لابن الاثير (١٩٦/١) .
 - ٣ المعارف (٢٨١) ، « ويذكر أيضاً أنه أول من أوقد الشمع » ، الروض الانسف (٣٠٣/٢) .
 - ٤ اللسان (٦٨/١٥) ، (عصا) ، الخيل لابن الكلبي (٣١) ، نوادر المخطوطات (١٩٩) .

في إياد . فبعثت اليه تفاوضه على ارجاع الصنمين اليه على أن يكف عن غزوهم ، ولكنه اشترط عليهم اعطائه عدي بن نصر مع الصنمين ، فوافقوا على ذلك . فانصرف عنهم وضم عدياً اليه ، وولاه شرابه . ويدعون انه تزوج اخته (رقاش) التي أحبته فيما بعد ، في قصه يروونها ، ومن هذا الزواج المزعوم كان (عمرو ابن عدي) ابن أخت جذيمة الذي خلف خاله على الملك^١ .

وفي رواية من روايات الأخباريين ان جذيمة زوجت اخته من ابن عمه : (عدي ابن ربيعة بن نصر) ، فولدت له (عمرو بن عدي) الذي استطار به الجن^٢ . وفي جملة ما نسبته أهل الأخبار الى جذيمة من حروب حربه مع (عمرو بن الطرب بن حسان بن أذينة بن السميدع بن هوبر العملي) (العمليقي) من عاملة المالقي . وعمرو هذا هو أبو الزباء عند الأخباريين . ويذكر هؤلاء أن الطرفين استعدا للقتال استعداداً كبيراً ، فجمعا كل ما امكنها جمعه . ولما اصطدما ، قتل عمرو ، فانهزم أصحابه ، وعاد جذيمة بعد هذا النصر الى قواعده سالماً . ولم يشتر الطبري الى اسم الموضع الذي وقع فيه هذا القتال . وملك من بعد (عمرو) ابنته الزباء^٣ .

أما ملك جذيمة ، فكان عل حد قول الأخباريين ما بين الحيرة والأنبار وبقعة وهيت وناحيتها وعين التمر وأطراف البر الى الغير والقطقطانة وخفية وما والاها ورقة وسائر القرى المجاورة لبادية العرب . ويفهم من بعض الروايات أيضاً انه ملك معداً وبعض اليمن^٤ . وكانت داره بالموضع المعروف بـ (المضيق) بالمصيرة بين الخانوقة وقرقيسيا^٥ .

- ١ الطبري (٣٠/٢ وما بعدها) ، الكامل ، لابن الاثير (١٩٦/١) ، ابن خلدون (القسم الاول) ، المجلد الثاني (٥٤٢ ، ٥٨٦ ، ٦٢٦) ، العقد الفريد (٢٦٠/٥) ، الحموي ، المشترك (٣١٩) ، الهمداني ، صفة (١٧٨) ، مراصد الاطلاع (٩٧٦/٢) .
- ٢ الاخبار الطوال (٥٦) .
- ٣ الطبري (٣١/٢) ، الكامل ، لابن الاثير (١٩٩/١) ، مروج (٩٠/٢) وما بعدها (، نوادر المخطوطات ، (أسماء المغتالين) (ص ١١٢ وما بعدها) ، الاغانى (٧١/١٤) .
- ٤ الطبري (٢٩/٢) ، بلوغ الارب (١٧٥/٢) ، محمد بن حبيب ، أسماء المغتالين (نوادر المخطوطات) ، (١١٢) .
- ٥ حمزة (٦٤) .
- ٦ البلدان (٣٧٨/٣) .

اما الأنبار ، فقد تحدثت عنها . وهي — على ما يظهر من روايات الأخباريين — من المواضع التي كان يخضع اعرابها في الغالب لحكم اللخمين . واما بقعة ، فتقع على الفرات بين هيت والأنبار . وأما هيت ، فهي من المواضع القديمة المعروفة قبل الميلاد، وقد ورد اسمها في نص (توكلي أنورتا الثاني) (Tukulti Enurta II) الذي يعود عهده الى حوالى سنة ٨٨٥ قبل الميلاد^١ . وقد عرفت بـ (ايد) (Id) و (ايت) (It)^٢ . وهي (ايس) (اس) (Is)^٣ و (ايس بوليس) (اسبولسي) (Ispolis) (Ispoolis)^٤ و (ايديكاره) (Idikara)^٥ و (دياكيرة) (Diakira)^٦ في مؤلفات الكلاسيكيين . و (ايسي) (Ihi) و (ايبداكيرة) (Ihidakira) في مؤلفات عصر التلمود^٧ .

وفي بقعة استشار جذيمة قصيراً على حد قول الأخباريين في أمر زيارته للزباء^٨ . وتقع بقعة على مقربة من الحيرة . وقيل هي حصن كان على فرسخين من هيت على رواية ياقوت^٩ . وقد جعلها (اليعقوبي) على شط الفرات بالقرب من الأنبار وفي ملك الزباء^{١٠} . وهي على الفرات بين الأنبار وهيت ، في رواية أكثر الأخباريين^{١١} .

وأما القطقانة ، فوضع في البرية لا يبعد كثيراً عن الكوفة، وهو بالطف^{١٢} .
وأما خفية ، فهي أجمة في سواد الكوفة ، بينها وبين الرحبة ، ينسب إليها

-
- | | |
|---|----|
| Scheil and Gautier, Annales de Takulti Ninip II, Roi D'Assyrie, 889-884, Paris, 1910, P. 38, Ency., II, P. 322, Musil, Euphrates, P. 350. | ١ |
| Musil, Euphrates P. 350. | ٢ |
| Heradotus, I, 179. | ٣ |
| Isidore of Charax, Mansiones Parthiace, (Muller), P. 249 ^٤ | ٤ |
| (ايوبوليس) ، المشرق ، السنة ١٩٠٣ ، العدد ١٠ ، (ص ٤٤٠) . | |
| Ptolemy, Geography, V. 19, 4. | ٥ |
| Ammianus Marcellianus, Rerum, XXIV, 2, 3, Zosimus, III, 15. | ٦ |
| Musil, Euphrates, P. 350. | ٧ |
| (بقعة خلفت الرأي) ، البلدان (٢٥٣/٢) ، الطبري (٣٧/٢) وما بعدها ، | ٨ |
| (كما لم يطع فيما أشار قصير) ، رسالة الغفران (٥٣٣) . | |
| البلدان (٢٥٣/٢) ، الطبري (٣٢/٢) . | ٩ |
| اليعقوبي (١٦٩/١) . | ١٠ |
| البكري ، معجم (٢٦٤/١) وما بعدها ، مراصد الاطبلع (١٦٦/١) ، | ١١ |
| البلدان (٤٧٣/١) ، Musil, Euphrates, P. 160. | |
| البلدان (١٢٥/٧) . | ١٢ |

الأسود المعروفة بأسود خفية ، وهي غربي الرحبة، ومنها الى عين الرهيمة مغرباً .
وقيل أيضاً عين خفية ^١ .

وقد اشتهرت (عين التمر) القريبة من (شفاثا) بالقصب والتمر، وهي على
طرف البادية . فتحها المسلمون على يد (خالد بن الوليد) في سنة ١٢ للهجرة
في أيام أبي بكر ^٢ .

وقد طال عمر جذيمة على حد قول (حمزة الأصبهاني) الى ان لحق ملك
(سابور بن أشك الأشغاني) (شابور بن أشك) ، وحكم على حد قوله أيضاً
ستين سنة . أما نهايته ، فكانت على يد الزباء في قصة مشهورة معلومة ، رصعها
الأخباريون بشعر وأمثلة ^٣ ، تحدثت عنها في أثناء كلامي على الزباء . وجعل
بعضهم مدة حكمه مئة وثمانين سنة ، اذ ملك في زمن ملوك الطوائف خمساً
وتسعين سنة ، وفي ملك أردشير بن بابك وسابور الجنود ثلاثة وعشرين سنة ^٤ .
وملك يحكم هذه المدة لا بد أن تكون مدة حياته أطول من مدة حكمه .

وذكر (أبو حنيفة الدينوري) ان جذيمة لم يزل ملكاً مقيماً بالخورنق ، حتى
دعته نفسه الى تزويج (مارية) ابنة الزباء الغسانية . وكانت ملكة الجزيرة ،
ملكته بعد عمها الضيزن الذي قتله (سابور) ، فقتلت جذيمة ، ثم قتلها قصير
مولاه ^٥ . فجعل الملكة القاتلة بنتاً من بنات الزباء عينها ، فدعاها مارية ، وبذلك
أنقذ الزباء من تهمة القتل التي ألصقها الأخباريون بهذه الملكة ، وجعلها ملكة
على الجزيرة ، وجعل نسبها في غسان ، وغسان معادون منافسون لآل لخم ، ثم
أبى إلا أن يجعل لجذيمة قصرأ منيفاً ، فوقع اختياره على الخورنق ، وهو قصر
لائق أن يكون قصر ملك ، وخالف في ذلك رأي الأخباريين الذين ينسبون هذا
القصر الى ملك آخر هو النعمان .

وقد جاء اسم (جذيمة) (جديمت) في نص نبطي ويوناني عثر عليه في

-
- ١ البلدان (٤٥٢/٣) .
 - ٢ البلدان (٢٥٣/٦) .
 - ٣ حمزة (٦٤ وما بعدها) ، البلدان (٣٧٩/٣) ، الكامل ، لابن الاثير (١٩٩/١)
الطبري (٤٤٨/١) .
 - ٤ مروج (٩٠/٢ وما بعدها) ، الروض الانف (٢٠/١) .
 - ٥ الاخبار الطوال (٥٦) .

(أم الجمال) ، جاء فيه : (هذا موضع أي قبر فهر بن شلي (سلي) مربي جديمت ملك تنوخ) . ولهذا النص على قصره أهمية بالغة ، لأنه يشير الى الصلة التي كانت بين الأسرة الحاكمة في الحيرة وعرب الشام^١ . ومن الصعب بالطبع استنتاج كيفية وفاة مربي الملك في هذا الموضع : أكان زائراً هذه الديار فأدركه أجله فقبر هناك ! أم جاء مع سيده في حرب فتوفي في ذلك المكان ! مهما يكن من شيء ، فقد أفادنا الحجر فائدة كبيرة بتدوينه اسم صاحب القبر ، واسم جديمة ملك (تنوخ) تنوخ .

ويلاحظ أن النص دوّن اسم (جديمة) بحرف (الدال) وكتب اسم (تنوخ) بحرف الحاء (تنوخ) بدلاً من الخاء . ويكون هذا النص من أقدم النصوص التي ورد فيها اسم (تنوخ) . ويرجع عهده الى حوالي السنة (٢٧٠) بعد الميلاد^٢ . وجعل (ابن دريد) لجديمة نسلاً ، سماهم (بني جهضم) ، وجعل لفظة (جهضم) من (التجهضم) ، ومعناها التكبير^٣ .

وذكر (حمزة الأصفهاني) أنه لم يلد لجديمة غير (زينب بنت جديمة) ، وهي أم مرتع . واسمه (عمرو بن معاوية بن كندة) ، فغزا في آخر عمره الشام ، فقتل (عمرو بن ظرب بن حسان بن أذينة) ملك المالقة والد الزبّاء ، فانطوت له الزبّاء على طلب الثأر حتى قتله^٤ .

وانتقل الملك بعد وفاة جديمة الى ابن أخته (عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة بن الحارث بن مسعود بن مالك بن غنم بن نمارة بن لحم)^٥ . أما أمه ، فهي أخت جديمة ، وهي : (رقاش بنت مالك بن فهم بن غنم بن عدنان) على رواية من ينسب مالك بن فهم الى عدنان^٦ .

١ Rep. Epig., 1097, II, III, P. 373, Enno Littmann, Nabataish-Griechische Bilinguen, In Le Florilegium Melchior de Vogue, P. 375, Die Araber, II, S. 251.

٢ Die Araber, I, S. 193, Altheim-Stiehl, Geschichte der Hunnen, I, S. 151, 154.

٣ الاشتقاق (٢٩٢/٢) .

٤ حمزة (٦٥) .

٥ الطبري (٣٠/٢ وما بعدها) ، معجم الشعراء (٢٠٥) ، الاغانى (٧٢/١٤) ، رسالة الغفران (٢٧٨) ، فرائد اللال (١٠٨/٢) .

٦ حمزة (٦٥) ، مروج (٩٢/٢) ، (محمد محيي الدين عبد الحميد) ، التنبيه (١٥٨) ، نزهة الجليس (٥٩/٢ وما بعدها) .

ويلاحظ أن (الطبري) لم يكن مستقراً في موضوع اسم (عدي) والد عمرو ، إذ يجعله (نصرأ) في موضع ، فيقول (عدي بن نصر بن ربيعة)^١ ، ويجعله (ربيعة) في موضع آخر ، فيقول : (عدي بن ربيعة بن نصر)^٢ . ويظهر أن ذلك إنما وقع له بسبب أخذه من روايات مختلفة ، وعدم تدقيقه ونقده لتلك الروايات .

وفهم من رواية يرجع (الطبري) سندها الى (ابن حيد) عن (سلمة) عن (ابن اسحاق) أن زمان حكم (ربيعة بن نصر اللخمي) كان بين ملك (تبان أسعد ابو كرب) وملك ابنه (حسان بن تبان أسعد)^٣ . والرواية مضطربة مشوشة ، يفهم منها أن (ربيعة بن نصر) كان نفسه قد حكم اليمن في الفترة الواقعة بين (تبان أسعد) وبين حكم ابنه (حسان) ، وأن (حسان) هذا لم يتمكن من الحكم الا بعد هلاك (ربيعة بن نصر)^٤ . ويزيدها اضطراباً وتشويشاً ذكر (الطبري) رواية الرؤيا التي رآها (ربيعة بن نصر) وعرضها على (سطيح) و (شق) لتفسيرها له ، وما كان من جوابها له في تفسيرها ، حيث (وقع في نفسه أن الذي قالوا له كائن من أمر الحيشة ، فجهاز بنيه وأهل بيته الى العراق بما يصلحهم ، وكتب لهم الى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرزاذ ، فأسكنهم الحيرة ، فمن بقية ربيعة بن نصر ، كان النعمان بن المنذر ملك الحيرة)^٥ . فيتبين منها أن (ربيعة بن نصر) كان مقيماً باليمن ، وقد أقام بها حياته ، وأن بنيه هم الذين ذهبوا الى العراق . ولكنها لم تشرح كيف وجد (ربيعة) في اليمن وكيف حكمها وهو من لحم ؟ وهي رواية شاذة ، دسها بعض المتعصبين لليمن — على ما يظهر — على (ابن اسحاق) ، فدوّنوها في أخباره . وقد دست أخبار وأشعار على ابن اسحاق ، فرواها وصدق بها من غير نقد ولا تحقيق . وللعلماء رأي فيه .

ويزعم بعض أهل الأخبار أن (سطيحاً) و (شقاً) أخبرا (ربيعة بن نصر)

-
- ١ الطبري (١ / ٦١٤ ، ٦٢٧) ، (دار المعارف) .
 - ٢ الطبري (٢ / ٦١ ، ١١٢) ، (دار المعارف) .
 - ٣ الطبري (٢ / ٦١ ، ١١١ وما بعدها) ، (دار المعارف) .
 - ٤ (فكل هؤلاء ملكه قبل ملك ربيعة بن نصر اللخمي ، فلما هلك ربيعة بن نصر ، رجع ملك اليمن كله الى حسان بن تبان أسعد الطبري (٢ / ١١٢ ، ١١٥) .
 - ٥ الطبري (٢ / ١١٤) .

في تأويلها لرؤيا بما يكون من غلبة الحبش على أرض اليمن، وبغلبة الفرس بعدهم. فلما سمع بذلك ، أوجس في نفسه خيفة ، فأحب أن يخرج ولده وخاصة أهله من أرض اليمن ، فوجه ابنه عمراً الى يزدجرد بن سابور، أو الى سابور ذي الأكتاف ، فأنزله الحيرة ، فيومئذ بنيت ، فضم عمرو اليه اخوته وأهل بيته ، فمن هناك وقع آل نحم الى الحيرة ، واتصلوا بالأكاسرة فجعلوا لهم على العرب سلطاناً ، فلما مات خلفه من بعده ابنه (جذيمة بن عمرو)^١ .

وزعم (الدينوري) أن وفاة ربيعة بن نصر كانت في أيام (قباد بن فيروز) وأنه بوفاته رجع الملك الى حمير ، فملك ذو نواس من بعده ، وهو ذو نواس صاحب تعذيب نصارى نجران نفسه . فأرجع أيام ربيعة الى قباد (قباد) ، وهو قول يخالف ما يرويه الأخباريون^٢ . وجعل ذا نواس المالك من بعده ، وقد عاش ذو نواس بعد قباد أمداً ، فخالف في ذلك التاريخ وأقوال الأخباريين .

ووصف (الطبري) عمرو بن عدي، فقال عنه : (هو أول من اتخذ الحيرة منزلاً من ملوك العرب ، وأول من مجده أهل الحيرة في كتبهم من ملوك العرب بالعراق ، واليه ينسبون ، وهم ملوك آل نصر ، فلم يزل عمرو بن عدي ملكاً حتى مات وهو ابن مائة وعشرين سنة ، منفرداً بملكه ، مستبدّاً بأمره ، يغزو المغازي ويصيب الغنائم ، وتفد عليه الوفود دهره الأطول ، لا يدين للملوك الطوائف بالعراق ، ولا يدينون له ، حتى قدم أردشير بن بابك في أهل فارس)^٣ .

وذكر الطبري أن الحيرة خربت بعد هلاك بختنصر ، لتحول الناس عنها الى الأنبار ، وبقيت خراباً الى أن عمرت في زمن عمرو بن عدي ، باتخاذها إياها منزلاً^٤ .

وسمى رواية تنسب نصراً الى الساطرون ملك الحضرة ، وتجعل آل نصر من الجرامقة ، من (رستاق باجرمي)^٥ ، ورواية أخرى تجعل ملوك الحيرة من

١ الاخبار الطوال (٥٦) .

٢ الاخبار الطوال (٦٢ وما بعدها) .

٣ الطبري (٦٢٧/١) ، (دار المعارف) ، حمزة (٦٥) ، مفاتيح العلوم ، للخوارزمي (٦٨) .

٤ الطبري (٤٣/٢) ، (دار المعارف) .

٥ Rothstein, S. 42.

٦ (وهو جرمقاني من أهل الموصل من رستاق يدعى باجرمي) ، معجم الشعراء ، (٢٠٥) ، Rothstein, 42.

(أشلاء قنص بن معد) . فقد ذكر أن (عمرو بن الخطاب) لما أتى بسيف النعمان بن المنذر ، دعا جبير بن مطعم فسلمه إياه ، ثم قال : يا جبير ، ممن كان النعمان ؟ قال : من أشلاء قنص بن معد . وهو من ولد عجم بن قنص ، إلا أن الناس لم يدروا ما عجم ، فجعلوا مكانه لحماً ، فقالوا هو من لحم ونسبوا إليه^١ . وكان جبير من أنسب العرب^٢ . والذي عليه أكثر أهل الأخبار أن (آل نصر) هم من اليمن ، كانوا قد تركوا اليمن وهاجروا حتى استقروا بالعراق ، ونزلوا الحيرة ، وأسسوا ملكهم بها^٣ .

ويذكر الأخباريون أن عمراً انتقم من الزباء لقتلها جديمة ، ورووا في ذلك رواياتهم المرسعة بالشعر والأمثال^٤ . وهي روايات لا تستند إلى أسس تاريخية ، إذا قصدوا بذلك الزباء ملكة تدمر التي عرفنا تأريخها ونهايتها في مكان آخر من هذا الكتاب .

وجعل (الدينوري) مدة حكم (عمرو بن عدي) نيفاً وستين سنة^٥ .

وتولى الملك بعد وفاة عمرو ابنه امرؤ القيس . ويقال له امرؤ القيس البدء وامرؤ القيس الأول . أما أمه ، فهي ماوية بنت عمرو اخت كعب بن عمرو الأزدي على رواية حمزة^٦ . وقد عاصر جملة من ملوك الفرس ، هم : سابور ابن أردشير (سابور بن أردشير)^٧ ، وهرمز بن سابور ، وبهرام بن هرمز ، وبهرام بن بهرام ، وبهرام بن بهرام بن نرسی ، ونرسی بن بهرام بن بهرام ، وهرمز بن نرسی ، وسابور ذو الأكتاف على رواية تجدها مدونة في تأريخ حمزة . وجعل مدة ملكه مئة وأربع عشرة سنة ، وهي مدة تتفق مع ما ذكره الطبري حكاية على لسان ابن الكلبي .

-
- ١ الروض الانف (١٨/١) .
 - ٢ الجاحظ ، البيان (٣٠٣/١) .
 - ٣ مفاتيح العلوم (٦٨) .
 - ٤ الطبري (٣٥/٢) ، الكامل (١٣٧/١) ، الأغاني (٧٣/١٤) ، الأمثال ، للميداني (١٥٨/١ ، ٢٤٦) ، ابن دريد ، المقصورة (١٧) ، مروج (١٧/٢) وما بعدها ، حمزة (٥٨) .
 - ٥ المعارف (٢٨٢) .
 - ٦ حمزة (٦٦) .
 - ٧ الطبري (٦٤/٢) ، حمزة (٦٧) .

غير اننا اذا ما وازنّا بين ما ذكره الطبري حكاية على لسان ابن الكلبي في عدد ملوك الفرس الذين حكم (امرؤ القيس) في ايامهم ، وفي مدة حكمه في عهد كل ملك من هؤلاء الملوك^١ . وبين ما ذكره حمزة نجد اختلافاً في العدد واختلافاً في المدة ، مما يدل على ان حمزة نقل من مورد آخر يختلف عن مورد الطبري^٢ .

وإذا كانت مدة حكم امرؤ القيس على نحو ما ذكره ابن الكلبي وغير ابن الكلبي من رواة ، فكم تكون مدة حياة هذا الملك ؟ إنهم لم يعينوا هذه المدة ، ولكنها مدة تزيد بالطبع على هذه السنين في نظر أصحاب تلك الروايات ، ولم لا تطول ؟ وقد ساروا على خطة اطالة أعمار الملوك الأولين ، فلك يتجاوز حكمه مئة عام بسنين أمر لا بأس به في نظر هؤلاء الرواة .

غير اننا نلاحظ أنهم بخلوا على الملوك المتأخرين ، فلم يمنحوا هذه النعمة ، نعمة إطالة مدة الحكم او مدة العمر ، فجعلوا لهم مدداً مقبولة في الغالب معقولة . ولو عاش هؤلاء المتأخرون في زمن بعيد عن اولئك الرواة ، بعيد عن ايام تدوين اخبار ملوك الحيرة ، لما حرمهم الأخباريون كرمهم هذا ، ولأعطوهم ولا شك ما اعطوه من سبقهم من الملوك جملاً من السنين .

وقد نعت امرؤ القيس في بعض الروايات بـ (المحرق)^٣ ، ونعت ايضاً بـ (محرق الحرب)^٤ . ونصادف كلمة المحرق ومحرق وآل محرق في مواضع من التواريخ المتعلقة بالحيرة . وقد اطلقها بعض الأخباريين على الغساسنة ايضاً^٥ . وهم يرون انها لقب ألحق بأولئك الملوك ، لأنهم عاقبوا اعدائهم في اثناء غزوهم لهم بمحرق أماكنهم بالنار . ويرى (روتشتاين) انه تفسير لظاهر الكلمة ، وهو تفسير مغلوط . والصحيح في نظره انها اسم علم لأشخاص عرفوا بمحرق ، ولذلك قيل (آل محرق) لا (آل المحرق)^٦ .

١ الطبري (٦٥/٢) .

٢ حمزة (٦٧) .

٣ المعارف (٢٨٢) .

٤ Rothstein, S. 64.

٥ (ومحرق ايضاً : لقب الحرث بن عمرو ملك الشام من آل جفنة ، وانما سمي بذلك لانه أول من حرق العرب في ديارهم ، فهم يدعون آل محرق) ، اللسان

(حرق) .

٦ Rothstein, S. 47.

وفي أصنام الجاهليين صنم يدعي محرق والمحرق ، تعبدت له بعض القبائل مثل بكر بن وائل وربيعة في موضع (سلمان)^١ . وقد ورد بين أسماء الجاهليين اسم له علاقة بهذا الصنم ، هو عبد محرق^٢ ، أفلا يجوز أن يكون للمحرق إذن علاقة بهذا الصنم ، كأن يكون قد اتخذ من باب التيمن والتبرك للملك الذي عرف بالمحرق أو أنه قدم قرباناً لهذا الإله أحرقه على مذبحه بالنار ، وكان يكثر من حرق القرابين للآلهة ، وتلك عادة معروفة وقد وردت أيضاً عند العبرانيين ، فقليل له لذلك المحرق ؟ وإلى هذا الاحتمال ذهب بعض المستشرقين^٣ .

ويظهر أن محرقاً كان من الشخصيات الجاهلية القديمة الواردة في الأساطير ، وقد اقترن اسمه بالدروع . وورد (بردي محرق) كما اقترن اسمه بـ (نسيج داود) ، مما يدل على أن هذا الاسم من الأسماء المعروفة قديماً في أساطير الجاهليين^٤ .

وقد ورد أيضاً صوت محرق وفرخ محرق^٥ ، وذلك يدل على أن (محرقاً) في هذا الموضع حيوان قد تكون له علاقة أيضاً بأساطير الجاهليين^٦ .

ومما حكاها الأخباريون عن هذا الملك انه كان قد تنصر ، وانه لذلك أول من تنصر من آل نصر^٧ . وهو أمر يحتاج الى دليل ، كما ذكروا أن ملكه كان واسعاً وانه كان عاملاً للفرس (على فرج العرب من ربيعة ومضر وسائر من ببادية العراق والحجاز والجزيرة)^٨ .

ويظن بعض الباحثين ان امرأ القيس ، هو امرؤ القيس الذي ورد اسمه مدوناً في نص (النمرة) . فإذا كان هذا الظن صحيحاً ، كان امرؤ القيس أول ملك من ملوك الحيرة يصل خبره إلينا مدوناً ، وكذلك خبر تأريخ وفاته في سنة ٣٢٨

J. Wellhausen, Reste Arabischen Heidentums, S. 57.

Rothstein, S. 48.

Reste, S. 57.

Rothstein, S. 49.

الاناسي (٦٥/٨) .

Rothstein, S. 49.

الطبري (٦٥/٢) ، ابن خلدون (٢٦٣/٢) .

الطبري (٦٤/٢ وما بعدها) ، ابن خلدون (١٧١/٢) .

للميلاد ، المقابلة لسنة ٢٢٣ من تقويم بصرى ، التقويم المعمول به في تلك الجهات التي قبر فيها امرؤ القيس^١ .

ويظهر من نص النارة ان امرأ القيس صاحب القبر ، كان رجلاً محارباً ، وقائداً كبيراً ، أخضع قبيلتي أسد ونزار ، وهزم مذحجاً ، وأخضع معداً ، ووزع بنيه في القبائل ، وبلغت فتوحاته أسوار (نجران) مدينة (شمر) . وهو بهذه الفتوحات قد تمكن من معظم أنحاء الجزيرة . وهذا النص يناقض الروايات التي تنسب الفتوحات العظيمة الى (شمر يهرعش) (شمر يهرعش) ، فتجعله فاتح العراق وما وراء العراق الى الصين ، وتعكس القضية عكساً تاماً . وروايات فتوحات (شمر) ، هي روايات يمانية وضعها أناس متعصبون لليمن ولا شك . وقد سبق لي أن بينت ان المستشرقين يرون ان (شمرأ) المذكور في هذا النص أي صاحب (نجران) ، هو (شمر يهرعش) (شمر يهرعش) . وقد ذكرته في باب (ملوك سبأ وذوي ريدان وحضرموت ويمت) . ومعنى هذا ان (نجران) كانت في ملكه يوم أغار (امرؤ القيس) عليها فوصل أسوارها ، ويظهر انه لم يتمكن منها وانه فرض سلطانه على القبائل الساكنة في البادية ، فاعترفت بسيادته عليها . ولهذا لقب في النص بلقب (ملك العرب كلهم الذي نال التاج) ، وختمت الكتابة بجملة « فلم يبلغ ملك مبلغه » ، وهي جملة تعبر عن اتساع ملكه وامتداده مسافات شاسعة .

ويظهر من ورود كلمة (التيج) أي التاج في هذا النص ان هذه الكلمة كانت معروفة عند العرب الشماليين في ذلك الحين ، أي في القرن الرابع للميلاد ، وانها وردت بالمعنى المفهوم منها في الزمن الحاضر ، أي ما يوضع على الرأس تعبيراً عن الملك والحكم .

وفهم من هذا النص أن (امرأ القيس) كان قد بسط سلطانه على كل العرب ، أي الأعراب ، فملكهم وملك خاصة (بني نزار) و (أسد) وقبائل (معد) ، وأنه نصب أولاده على القبائل ليضمن طاعتها وخضوعها له ، وأن

François Nau, Les Arabes Chrestiens, P. 32, René Dussaud, Arabes en Syrie avant L'Islam, Paris, 1907, P. 35, REP. EPIG., I, (1900-1905), 361, NR. 483, R. Dussaud, Misslon, 314, J. Cantineau, Le Nebatéen, 1932, 49, Die Araber, II, S. 313.

سلطانه بلغ بذلك حدود أرض اليمن . فامتد حكمه إذن من الحيرة وبلاد الشام الى نجد والحجاز ، حتى بلغ حدود مدينة (نجران) . وقد كانت منازل (معد) في الحجاز وفي ضمن أرضها (مكة) وتمتد الى (نجران)^١ .

ويظهر من دفن (امرؤ القيس) في موضع (النارة) من بلاد الشام أن (امراً القيس) كان في بلاد الشام حينما نزل به أجله. ويرى بعض الباحثين أنه كان قد جاء الى بلاد الشام ، لأنه كان من حزب (بهرام) الثالث ومن مؤيديه ، فلما وقع الخلاف بين الفرس على العرش وانتصر (نرسي) (٢٩٣ - ٣٠٢ م) (٢٩٣ - ٣٠٣) ، خرج امرؤ القيس من العراق ، وقصد بلاد الشام ، فأقام هناك . ومال الى الروم فأيدوه وأقروه على عرب بلاد الشام ، فيكون قد عمل للفرس وللروم معاً^٢ .

وكتابة (النارة) هي شاهد قبر ملك عربي يدعى (امرؤ القيس) ، عثر عليها في موضع (النارة) وهو في الحرة الشرقية من جبل السدروز ، ويرجع تأريخها الى اليوم السابع من شهر (كسلول) من سنة (٢٢٣) من تقويم (بصري) أي في اليوم السابع من شهر كانون الأول من سنة (٣٢٨) بعد الميلاد^٣ . دوتت على ضريح الملك ، وهو بناء مربع ، لتكون دليلاً للناس يعرفون منها اسم صاحب القبر . وتتألف من خمسة أسطر ، هذا نصها :

- ١ - تي نفس مر القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو اسر النج .
- ٢ - وملك الاسدين ونزرو وملوكهم وهرب مدحجو عكدي وجا .
- ٣ - بزجي في حيج نجرن مدينة شمر وملك معدو ونزل بنيه .
- ٤ - الشعوب ووكلهن فرسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه .
- ٥ - عكدي . هلك سنة ٢٢٣ يوم بكسلول بلسعد ذو ولده^٤ .

Die Araber II, S. 321.

٢ رينه ديسو ، العرب في سورية قبل الاسلام (ص ٣٦ وما بعدها) .

Die Araber, II, S. 319.

٣ REP. EPIG., I, VII, P. 361, No. 483, Syria, Tome, IV, 1923, P. 154.

٤ ولفنسون (١٩٠) ، زيدان ، العرب قبل الاسلام (٢٠٣) ، رينه ديسو ، العرب في سورية قبل الاسلام (ص ٣٣) ،

Lidzbarski, Ephemeris, Zweiter Band, Erster Heft, S. 34, REP. EPIG.,

I, VI, P. 362, Dussaud, Nabatéo-Arabe D'An-Nemara in Rev. Arch.,

1902, II, 409-421, Halevy, in Rev. Sém., 1903, P. 58-62, Peiser Die

Arabische Inschrift Von En-Nemara in Orientalist. Literatur-Zeitung, VI,

15, Col. 277-281.

وإذا أردنا تقريب هذه الكتابة الى أفهامنا وتلوينها بلهجتنا العربية، لهجة القرآن الكريم ، كتبناها على هذا الشكل :

- ١ - هذا قبر امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذي نال التاج .
- ٢ - وملك الأسدين ونزاراً وملوكهم ، وهزم مذحجاً بقوته وقاد .
- ٣ - الظفر الى أسوار نجران ، مدينة شمر . وملك معداً واستعمل أبناءه على
- ٤ - القبائل . ووكلهم لدى الفرس والروم ، فلم يبلغ ملك مبلغه
- ٥ - في القوة . هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول . ليسعد الذي ولده^١ .

وقد استدل المستشرقون من عبارة (ذو أسر التاج) (الذي نال التاج) على أن صاحب هذا التاج هو من الملوك الذين كان لهم اتصال بالفرس، وأن المقصود به ملك من ملوك الحيرة ، لوجود صلة لهم بالأنباطورية الفارسية^٢ . ودعواهم في ذلك ان هذه الجملة ، وكلمة (تج) (تاج) هما من الاصطلاحات المستعملة عند الفرس وعند من خالطهم من الملوك ، فلا بد أن يكون حاملها من الملوك المحالفين لهم . وكلمة (تاج) من الألفاظ المعربة عن الفارسية ، من أصل (تاك)^٣ . ولما كان هذا ملكاً عربياً ، فهو اذن امرؤ القيس ملك الحيرة^٤ .

١ تختلف الترجمات بعضها عن بعض بعض الاختلاف ، بسبب اختلاف العلماء في القراءات ، راجع جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام (٤٣٧/٣ وما بعدها) ،

René Dussaud, Mission, 1903, P. 314-323, R. Dussaud, in Revue Archéologique, 1902, III, Tome 41, PP. 409-421, Les Arabes en Syrie Avant L'Islam, P. 34 Hommel, Grundriss, I, S. 155, Clermont-Ganneau, Recueil D'Archéologie Orient, VI, P. 395, VII, P. 167.

٢ زيدان ، العرب قبل الاسلام (٢٠٣) ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، لجواد علي (٤٤١/٣) .

٣ غرائب اللغة (٢٢١) .
٤ Hommel, I, S. 155, De Lagarde, Armen. Stud., 834.

وكان من عمال (سابور بن أردشير) و (هرمز بن سابور) و (بهرام ابن سابور) (على فرج العرب من ربيعة ومضر وسائر من ببادية العراق والحجاز والجزيرة) في تأريخ الطبري^١ . وورد في تأريخ ابن خلدون نقلاً عن (السهيلي) : ان (امرأ القيس) كان عاملاً للفرس على مدحج وربيعة ومضر وسائر بادية العراق والجزيرة والحجاز^٢ . ويظهر ان المورد الذي نقل منه (السهيلي) و (الطبري) يرجع الى منبع واحد ، هو (ابن الكلبي) . وما رواه (ابن الكلبي) يتفق بوجه عام مع ما جاء في نص (التماره) من أمر ملك وفتوح (امرئ القيس) . و (شمر) صاحب مدينة (نجران) ، هو (شمر يهرعش) في رأي أكثر المستشرقين ، وينطبق زمانه على زمان (امرئ القيس)^٣ . واذا صح هذا الرأي نكون قد حصلنا على أول نص عربي جاهلي يشير الى حرب نشبت بين مملكة الحيرة ومملكة (سبأ) وذو ريدان وحضرموت ويمنت (في عهد أول ملك من ملوكها وهو (شمر يهرعش) المعروف بـ (شمر يهرعش) عند الاسلاميين .

وفي روايات الأخباريين ما يؤيد نشوب حرب بين عرب الحيرة وعرب اليمن في ايام (شمر يهرعش) ، غير انها تناقض هذا المدون في النص عن تغلب (امرئ القيس) على نجران مدينة (شمر) . ف (شمر) عندها بطل من الأبطال ، فتح الفتوح العظيمة ، وبلغ ملكه حداً لم يصل اليه ملك (اسكندر ذي القرنين) . وعندهم أيضاً انه هو باني مدينة (سمرقند) ، وهو الذي حير (الحيرة) . وهو تبع الأكبر وهو وهو ، على حين هو - في هذا النص - ملك مغلوب ، لم يتمكن من الوقوف أمام (امرئ القيس) الذي بلغت جيوشه مدينة (نجران) . فهل تجد تناقضاً أغرب من هذا التناقض ؟ على اننا لو فرضنا ان (شمر) صاحب نجران هو رجل آخر غير (شمر يهرعش) ، فهذا النص يهدم بنیان الأخباريين اليمانيين القائم على أساس المبالغة في المفاخرات والمباهاة بالأجداد نكايه بالعدنانيين الذين تعالوا عليهم في الاسلام بفضل النبي وشرف الاسلام ، فأحفظهم ذلك جداً . وقد سبق أن تحدثت عن عثور العلماء منذ عهد غير بعيد على نص أشار الى

-
- ١ الطبري (٦٤/٢ وما بعدها) .
 - ٢ ابن خلدون (١٧١/٢ وما بعدها) ، (بولاق ١٢٨٤ هـ) .
 - ٣ جواد علي تأريخ العرب قبل الاسلام (١٤١/٣ وما بعدها) .
 - ٤ أغضبهم .

غزو غزاه قائد من قواد (شمس) على (ملك أسد) وأرض (تنوخ) التي تخص الفرس ، وذكرت أن (شمر) المذكور هو (شمر يهرعش) في رأي الباحثين^١ . وقد تحدثت عنه حديثاً فيه الكفاية في موضعه ، وفي أثناء كلامي على (شمر يهرعش) ، فلا حاجة بي هنا لإعادة الكلام عليه .

ويرى بعض الباحثين أن (المشقي) الأثر الشهير المعروف الذي نقلت أحجار جدرانها المزخرفة الى متحف (قيصر فريدرش ويلهم) ببرلين ، ولا تزال آثاره باقية ، هو من بناء (امرئ القيس) . وقد استدلوا على ذلك بطراز بنائه الذي يشبه الطراز (الحيري) على رأيهم ، وذهبوا الى أنه أقامه في هذا المكان بعد فراره من أرض الحيرة ومن الساسانيين سنة (٢٩٣ م) ، ليكون قصر له وحصناً يدافع به عن ملكه الجديد^٢ .

ويذكر الطبري ان وفاة (امرئ القيس) كانت في عهد (سابور) ، أي سابور ذي الأكتاف (٣١٠ - ٣٧٩ م) ، وأنه كان عامل (سابور) على ضاحية مضر وريبعة ، وان سابور استعمل ابنه عمرو بن امرئ القيس في مكان والده^٣ .

وحكم بعد امرئ القيس البدء ابنه عمرو . وامه هند بنت كعب بن عمرو على رواية^٤ ، و (مارية البرية) أخت (ثعلبة بن عمرو) من ملوك الغساسنة في رواية أخرى^٥ . وكان يعاصر من ملوك الفرس سابور ذا الأكتاف (٣١٠-٣٧٩ م) وأخاه (أردشير بن هرمز بن نرسي) (٣٧٩ - ٣٨٣ م) وسابور بن سابور (سابور الثالث) (٣٨٣ - ٣٨٨ م)^٦ . وقد نعت بعض الأخباريين بموقد الحرب (مسعر حرب) . وذكروا انه حكم خمساً وعشرين سنة^٧ . ونعت الأخباريين له هذا النعت ، يدل على انه كان محارباً، ولكنهم لم يذكروا شيئاً من تلك الحروب .

١ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 487.

٢ Die Araber, II, S. 258, 318, 320.

٣ الطبري (٦١/٢ وما بعدها) ، (دار المعارف) .

٤ حمزة (ص ٦٧) .

٥ المروج (١٩٩/٣) ، (٢٣/٢) ، (طبعة دار الرجاء) .

٦ الطبري (٧٠/٢) .

٧ شرح قصيدة ابن عبدون المعروفة بالبسملة (ص ١٠٠) .

وقد ذهب بعض الأخباريين الى ان مارية التي ضرب المثل بقرطها فقبل قرطا مارية ، هي مارية هذه ام عمرو^١ .

وقد وضع اليعقوبي بعد امرىء القيس شقيقه الحارث بن عمرو بن عدي ملكاً وجعل مدة ملكه سبعاً وثمانين سنة . ثم وضع عمراً ابن امرىء القيس ملكاً من بعده . وحكم هذا على زعمه مدة أربعين عاماً^٢ .

ولا نعرف من أعمال عمرو هذا شيئاً . وللأخباريين في مدة حكمه أقوال عدة تراوح عندهم من ٢٥ سنة الى ٦٠ سنة^٣ . وقد ذكر الطبري ان عمراً (بقي في عمله بقية ملك سابور وجميع أيام أردشير بن هرمز بن نرسي ، وبعض أيام سابور بن سابور) ، ثم قال ان جميع مدة ملكه فيما ذكره ابن الكلبي ثلاثين سنة^٤ . واذا أخذنا برواية الطبري المذكورة ، تكون مدة حكمه حوالي الستين سنة ، ومعنى هذا ان عمراً كان قد عمّر أكثر من ستين سنة، وانه توفي بعد وفاة سابور ذي الأكتاف وبعد سنة (٣٨٣ م) ، لأن حكم (سابور بن سابور) المعروف عند المؤرخين بـ (سابور) الثالث كان في حوالي السنة (٣٨٣ م) . فقد تولى سابور هذا الحكم فيما بين (٣٨٣) حتى سنة (٣٨٧) أو (٣٨٨ م)^٥ . واذا أخذنا برواية من يقول انه حكم (٢٥) سنة ، أو (٣٠) ، وجب أن تكون وفاته في أيام (سابور ذي الأكتاف) .

وقد جعل الطبري في موضع آخر من تأريخه وفاة (عمرو) في عهد (سابور ابن سابور) ، أي (سابور) الثالث^٦ . وبذلك يكون قد أطال مدة حكمه وعمره .

ويذكر الطبري أن (سابور بن سابور) استخلف (على عمله أوس بن قلام في قول هشام) ، وذلك بعد مهلك (عمرو)^٧ . ولم يذكر الأسباب التي حلت سابور على هذا التعيين . ويظهر أنه كان من أسرة غريبة عن أسرة (آل لحم)

-
- ١ البسامة (ص ١٠١) .
 - ٢ اليعقوبي (١٧٠/١) .
 - ٣ الطبري (٧٠/٢) ، ابن الاثير (١٥٨/١) ، حمزة (٦٧) ، مروج (١٩٩/٣) .
 - ٤ الطبري (٦٢/٢) ، (دار المعارف) .
 - ٥ Ency. 4, P. 178.
 - ٦ الطبري (٦٥/٢) .
 - ٧ الطبري (٦٥/٢) (طبعة دار المعارف بمصر) ، مفاتيح العلوم (٦٩) .

الحاكمة . ويرجع ابن الكلبي نسبه الى العماليق ، فيقول إنه من (بني عمرو بن عمليق)^١ . وذكر حمزة نسبه على هذه الصورة : أوس بن قلام بن بطينا بن جمهير بن لحيان العمليقي^٢ . وجعله ابن خلدون من بني عمرو بن عملاق^٣ . ويتبين من خبر ورد في (الأغاني) أن أوساً كان من أسرة كانت تقيم في الحيرة ، وهي من بني الحارث بن كعب^٤ . وقد ورد اسم رجل آخر من هذه الأسرة ، ذكر انه بنى ديراً في الحيرة^٥ .

ولا نعرف من أعمال أوس هذا شيئاً، وكل ما نعرفه عنه انه حكم خمس سنوات^٦ . وان امرأاً اسمه (جحجج بن عتيك بن لحم) (جحججا) ثار به فقتله على رواية لابن الكلبي ذكرها الطبري^٧ . أما حمزة فذكر اسمه ونسبه على هذه الصورة ، (جحججنا بن عبيل أحد بني فاران) . وقال : (قال ابن الكلبي : وهو فاران ابن عمرو بن عمليق ، وهم بطن بالحيرة يقال لهم بنو فاران ، وجحججنا منهم . فقتل جحججنا أوساً ، فرجع الملك الى آل بني نصر)^٨ .

فنحن إذن أمام روايتين في أصل جحججي (جحججا) أو جحججنا : رواية ترجعه الى لحم ، ورواية أخرى ترجعه الى بني فاران ، وترجع بني فاران الى (عمرو بن عمليق) ، أي الى العشيرة التي رجع الأخباريون نسب أوس بن قلام اليها ، إذن فهو بموجبها من العماليق .

أما هذا الاختلاف الذي نراه بين الرواة في كيفية ضبط اسم هذا الثائر في جحججا أو جحججنا ، وفي عتيك أو عبيل ، فيمكن رجعه الى خطأ وقع في تدوين الروايات ، إما سهواً وإما جهلاً بحقيقة الاسم ، فن هذين نشأ لدينا هذا الاختلاف .

ولم يذكر الأخباريون الأسباب التي حملت (جَحَجَجِي) على الثورة والمنافع

-
- | | |
|---|--|
| ١ | الطبري (٦٥/٢) (طبعة دار المعارف بمصر) . |
| ٢ | حمزة (ص ٦٧) . |
| ٣ | ابن خلدون (٤٨/٢) . |
| ٤ | الأغاني (١٨/٢ ، ٢٦) . |
| ٥ | Rothstein, S. 64. |
| ٦ | الطبري (٧٢/٢) ، (٦٥/٢) (طبعة دار المعارف بمصر) ، حمزة (ص ٦٧) . |
| ٧ | الطبري (٦٥/٢) (طبعة دار المعارف بمصر) . |
| ٨ | حمزة (ص ٦٧) . |

التي جرت لها لنفسه منها . وكل ما ذكروه عنه انه ثار به جحجي فقتله ، وان هلاكه كان في عهد (بهرام بن سابور) (٣٨٨ - ٣٩٩ م) ، وان (بهرام) استخلف بعده في عمله (امرئ القيس البدء بن عمرو بن امرئ القيس البدء) خمساً وعشرين سنة . وكان هلاكه في عهد يزيدجرد الأثيم^١ .
فيتين من ذلك ان (جحجبا) (جحجي) ، قاتل أوس ، لم يحكم الحيرة وان حكمها عاد فانتقل الى آل نصر .

ولم يذكر اليعقوبي أوس بن قلام ولا الثورة التي قام بها جحجبا (جحجي)، بل نصب رجلاً آخر بعد عمرو بن امرئ القيس هو المنذر بن امرئ القيس ، ونعته بالمحرق ، نعته بذلك لأنه أخذ قوماً حاربوه ، فحرقهم، فسمي لذلك محرقاً، وجعل بعده النعمان^٢ .

ولم يذكر المسعودي كذلك أوس بن قلام ولا جحجبا (جحجي) ، بل ذكر النعمان بن امرئ القيس رأساً بعد عمرو بن امرئ القيس ، وقال انه قاتل الفرس خمساً وستين سنة ، وان أمه الهيجانه بنت سلول ، وكانت من مراد أو من إياد^٣ . وقد نعت الطبري امرأ القيس هذا بالبدء^٤ . أما حمزة فلقبه بالبدن^٥ . وأظن ان مرد هذا الاختلاف خطأ وقع في الروايات من الرواة أو الكتابة للحرف الأخير من كلمة البدء أو البدن ، فصارت الكلمة الواحدة في الأصل كلمتين .

وذكر ابن الأثير ان بهرام بن سابور استخلف من بعد أوس امرأ القيس بن عمرو بن امرئ القيس الكندي ، فبقي خمساً وعشرين سنة ، وهلك في أيام يزيدجرد الأثيم^٦ ، وازدادة الكندي الى امرئ القيس خطأ ، ولا شك ، فلم يرو أحد من الأخباريين ان امرأ القيس هذا كان كندياً . ومن المعروف ان ابن الأثير قد اعتمد على تأريخ الطبري اعتماداً كلياً ، حتى ليتمكن أن يقال انه اختصره ، والعبارتان خلا زيادة كلمة (الكندي) متشابهتان، ففي استطاعتنا أن نقول بحدوث هذه الزيادة في تأريخ ابن الأثير إما من النسخ وإما من ابن الأثير نفسه ، إذ

-
- ١ الطبري (٦٥/٢) (طبعة دار المعارف بمصر) .
 - ٢ البقرةوبي (١٧٠/١) .
 - ٣ مروج (٢٣/٢) (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) .
 - ٤ الطبري (٦٥/٢) (طبعة دار المعارف) .
 - ٥ حمزة (ص ٦٧) ، (ثم امرؤ القيس البدن) ، مفاتيح العلوم (٦٩) .
 - ٦ ابن الأثير : الكامل (١٧٦/١) .

استعجل دون تفكير فأضاف كلمة الكندي الى نسب امرىء القيس، لشهرة امرىء القيس الكندي .

ولا نعرف من خبر امرىء القيس شيئاً يذكر . وقد ذكر حمزة أنه هو محرق الأول ، وأنه أول من عاقب بالنار . وفي روايته هذه انه حكم لإحدى وعشرين سنة^١ . أما الطبري ، فذكر انه حكم خمساً وعشرين سنة^٢ .

وذكر الطبري أن (يزدجرد) المعروف بالأثيم (٣٩٩ - ٤٢٠ م) ، الذي في أيامه كان هلاك (امرىء القيس) استخلف مكان (امرىء القيس) ابنه (النعمان) . وهو فارس حليلة ، وصاحب الخورنق^٣ .

وهذا النعمان المعروف عند المؤرخين بالنعمان الأول ، هو أول ملك نستطيع أن نتحدث عنه بشيء من التأكيد والتحقيق والتفصيل ، وهو كما يقول الأخباريون : النعمان بن امرىء القيس بن عمرو بن عدي . أما أمه ، فهي شقيقة ابنة أبي ربيعة ابن ذهل بن شيان^٤ ، وهي أخت عمرو المزدلف .

وقد عرف النعمان بالنعمان الأعور كذلك ، كما عرف أيضاً بالسائح^٥ . وكان له شقيق من أمه شقيقة ، هو (حسان بن زهير)^٦ .

ويظهر من وصف الأخباريين للنعمان أنه كان رجلاً حازماً قوياً ، محارباً من أشد الناس نكاية في عدوه . غزا عرب الشام مراراً كثيرة فسبى منهم وغنم . وكان يغزو بكتيتين كانتا عنده : دوسر وأهلها تنوخ ، والشهباء وأهلها الفرس . يغزو بهما من لا يدين له من العرب^٧ . وقد اشتهرت دوسر بشدة ضربتها حتى قيل أبطش من دوسر^٨ . وقد نسب بعضهم له خمس كتائب ، هي : الرهائن

١ حمزة (ص ٦٧) ، (وهو محرق الأول ، لانه أول من عاقب بالنار) ، مفاتيح العلوم (٦٩) .

٢ الطبري (٦٥/٢) (طبعة دار المعارف بمصر) .

٣ الطبري (٦٥/٢) (طبعة دار المعارف بمصر) .

٤ الطبري (٦٥/٢) (طبعة دار المعارف) ، ابن الاثير (١٧٦/١) ابن خلدون (٤٨/٢) .

٥ حمزة (ص ٦٨) ، مفاتيح العلوم (٦٩) .

٦ حمزة (ص ٦٨) .

٧ الطبري (٧٣/٢) ، (٦٧/٢) (دار المعارف) ، حمزة (ص ٦٨) .

٨ الميداني : مجمع الامثال (٧٨/١) ، (ضربت دوسر فيه ضربة) ، اللسان (٢٨٥/٤) ، (صادر) ، مادة (دسر) .

والصنائع والأشاهب ، والكتبتان المذكورتان . أما الرهائن ، فذكروا أنها كانت تتألف من خمسمائة رجل رهائن لقبائل العرب ، يقيمون على باب الملك سنة ، ثم يجيء بدلم خمسائة أخرى ، وينصرف أولئك الى أحيائهم ، فكان الملك يغزو بهم ويوجههم في أموره . وأما الصنائع ، فهي : بنو قيس وبنو تيم اللات بن ثعلبة ، وكانوا خواص الملك لا يبرحون بابه .

وذكر أنه كانت له كتيبة تسمى (الوضائع) ، وقوامها ألف رجل من الفرس يضعهم ملوك الفرس بالحيرة نجدة للملوك العرب ، وكانوا يقيمون سنة ، ثم يأتي بدلم ألف رجل ، وينصرف أولئك^١ .

وقيل إن وجوه العرب وأصحاب الرهائن كانوا يفلدون عند رأس كل سنة ، وذلك في أيام الربيع ، الى النعمان وبقيّة من تولى الملك بعده ، وقد صيّر لهم أكلاً عنده ، وهم ذوو الآكال ، فيقيمون شهراً ، ويأخذون آكلهم ويبدلون رهائنهم وينصرفون الى أحيائهم . والآكال هم سادة الأحياء . وكانوا يأخذون المرباع ، أي ربع الغنيمة في الحرب والغزو^٢ .

ونعت بعض المؤرخين مثل الطبري وحمزة النعمان بأنه فارس حليلة^٣ ، أي معركة حليلة المعروفة التي وقعت في أيام المنذر بن ماء السماء ، لا في أيام النعمان على روايات آخرين^٤ .

وإلى النعمان هذا ينسب أكثر الأخباريين بناء قصر الخورنق الشهير في الأدب العربي . قيل : انه بناه لبهرام جور بن يزدجرد الأول (٣٩٩ - ٤٢٠ م) المعروف بالأثيم . وكان يزدجرد لا يبقى له ولد ، فسأل عن منزل بريء مريء صحيح من الأدوية والأسقام ، فدلّ على ظهر الحيرة ، فدفع ابنه بهرام جور الى النعمان هذا ، وأمره ببناء الخورنق مسكناً له ، وأنزله إياه ، وأمره باخراجه الى بوادي العرب^٥ .

-
- ١ بلوغ العرب (١٧٦/٢) .
 - ٢ بلوغ العرب (١٧٦/٢) .
 - ٣ الطبري (٦٥/٢) (دار المعارف) ، حمزة (ص ٦٨) ، مفاتيح العلوم (٦٩) .
 - ٤ البلدان مادة حليلة ، الميداني : مجمع الامثال (٢٣١/١) ، (١٥٠/٢) .
 - ٥ الطبري (٧٣/٢) (٦٥/٢) (دار المعارف) الاغانى (١٤٤/٢) ، (طبعة دار الكتب المصرية) .

وذكر (السهيلي) ان الخورنق قصر بناه النعمان الأكبر ملك الحيرة لسابور ليكون ولده فيه عنده ، وبناؤه بنياناً عجيباً لم تر العرب مثله . واسم الذي بناه له سنار ، وكان بناه في عشرين سنة^١ . ويذكر بعضهم انه بني على نهر (سنداد)^٢ . وقد ارتبط اسم الخورنق في القصص الذي شاع حوله باسم بانيه المسمى سنار ، وهو في زعم الأخباريين بناء رومي كلفه النعمان بناء القصر ، فلما انتهى منه وكمل تعجب من حسنه واتقان عمله ، وبدلاً من أن يوفيه النعمان وفاءً حسناً ، أمر به فطرح من رأس الخورنق ، فمات في قصص يرويه الأخباريون . ويضرب بهذه النهاية المثل في الأدب العربي في الجزاء السيئ ، فيقال (جزاه جزاء سنمار)^٣ . وقد وردت قصة سنار في أبيات تنسب لعبد العزى بن امرئ القيس الكلبي ، وكان أهدى افراساً الى الحارث بن مارية الغساني ووفد عليه ، فأغره واكرمه ، ثم عاقبه لما بلغه خبر وفاة ولد للحارث وكان قد استرضعه لبدى بني الحميم بن عوف من بني عبد ودّ من كلب ، نهشته حية فتوفي ، فظن الملك انهم اغتالوه ، لذلك طلب من عبد العزى أن يجيء بهم اليه . فلما أبى ، انزل به العقاب . وقد

- ١ الروض الانف (٦٧/١) ، (والخورنق : نهر . والخورنق : المجلس السني يأكل فيه الملك ويشرب ، فارسي معرب ، أصله خرنكاه ، وقيل : خرنقاه معرب . قال الاعشى :
ويجيء اليه السيلحون ودونها
والخورنق : نبت . والخورنق : اسم قصر بالعراق ، فارسي معرب ، بناه النعمان الأكبر الذي يقال له الاعور ، وهو الذي لبس المسوح فساح في الارض) ، اللسان (٧٩/١٠) ، مادة (خرنق) .
- ٢ بلوغ الارب (٣٨٦/١) .
- ٣ الطبري (٦٥/٢ وما بعدها) ، (دار المعارف) ، البلدان (١/٢ وما بعدها) ، دائرة المعارف الاسلامية (٣٥/٩) ، الميداني ، مجمع الامثال (١٦٧/١) ، البكري ، معجم (٥١٦/٢) ، (وسنمار : اسم رجل اعجمي ، قال الشاعر :
جزتنا بنو سعد بحسن فعالنا
جزاء سنمار وما كان ذا ذنب
وحكي فيه السنمار بالالف واللام . قال أبو عبيد : سنمار اسم اسكاف بنسي لبعض الملوك قصراً ، فلما أتمه أشرف به على اعلاه فرماه منه غيرة منه أن يبنسي لغيره مثله ، فضرب ذلك مثلاً لكل من فعل خيراً فيجزي بضده . وفي التهذيب : من أمثال العرب في الذي يجازي المحسن بالسوأى قولهم : جزاه جزاء سنمار . قال أبو عبيد : سنمار بناء مجيد رومي فبنى الخورنق الذي يظهر الكوفة للنعمان ابن المنذر ، وفي الصحاح : للنعمان بن امرئ القيس ، فلما نظر اليه النعمان كره ان يعمل مثله لغيره ، فلما فرغ منه القاه من اعلى الخورنق فخر ميتاً ،،،، اللسان (٣٨٣/٤) (صادر) ، مادة (سنمر) .

ورد في هذه الأبيات ان سنمار صرف عشرين حجة في بنائه البنيان بالقرميسد والسكب ، فلما كمل البناء وآض كمثل الطود ، وظن سنمار انه سينال من صاحبه المودة والقرب ، إذ بصاحب القصر يأمر بقذفه من فوق برجه فيموت . ولم يذكر الشاعر اسم الملك ولا اسم الخورنق ، وهو يخاطب في هذه الأبيات ابن جفنة ، كما اشير الى (المرء حارث) ويقصد به الحارث الغساني^١ .

وقد نسب بعض أهل الأخبار قصة نهاية (سنمار) الى (أحيحة بن الجلاح) . فذكروا ان أحيحة أراد بناء أطم له ، فبناه له (سنمار) . فلما كمل ، عجب من بنائه ، فقال له (سنمار) : « اني لأعرف فيه حجراً لو انتزع لتقوض من عند آخره ، فسأله عن الحجر ، فأراه موضعه ، فدفعه أحيحة من الأطم ، فخر ميتاً^٢ .

وقد ذكر (جزاء سنمار) في شعر لأبي الطمحان القيني ، وآخر لسليط بن سعد وآخر ليزيد بن لياس النهشلي^٣ .

واقترن اسم هذا القصر في الغالب باسم قصر آخر نسب بناؤه أيضاً الى هذا النعمان ، هو السدير^٤ .

ويتبين من روايات أهل الأخبار عن (الخورنق) و (السدير) ان القصر الأول لم يكن بعيداً عن الحيرة ، وانما كان على مقربة منها ، وربما كان على مسافة ميل من الحيرة . أما (السدير) ، فكان على مسافة بعيدة ، وقد ورد انه كان في وسط البرية التي بينها وبين الشام .

١ (ودعا ابنه : شراحيل وعبد الحارث ، فكتب معهما الى قومه :

جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء سنمار وما كان ذا ذنب
سوى رصه البنيان عشرين حجة يعلي عليه بالقراheid والسكب
فلما رأى البنيان تم سموقه وآض كمثل الطود ذي الباذخ الصعب
فاتهمه من بعد حرس وحقة وقد هره اهل المشارق والغرب
وظن سنمار به كل حيرة وفاز لديه بالمودة والقسرب
فقال : اذفوا بالعلج من فوق برجه فهذا لعمر الله من أعجب الخطب)

الطبري (٦٦/٢ وما بعدها) ، (دار المعارف) .

٢ الميداني ، مجمع الأمثال (١٦٧/٢) .

٣ الطبري (٦٦/٢) (دار المعارف) .

٤ البلدان (السدير) ، حمزة (ص ٦٨) ، البكري (٧٢٩/٣) ، الروض الأنف

(٦٦/١) .

ويظهر من وصف أهل الأخبار للسدير ، ومن انه كان قبة في ثلاث قباب متداخلة^١ ، ومن وصفهم للخورنق ، ان السدير لم يكن في مثل ضخامة قصر الخورنق ، وان الخورنق كان قصراً كبيراً أعد للسكنى وليكون حصناً يهيم على مشارف البادية .

ويرى بعض الباحثين أن قصر الخورنق لم يكن من بناء (النعمان) ، وأنه إنما بني قبل ذلك ، ويرى أن النعمان قد أسكن (بهرام) فيه^٢ .

وقد ورد ذكر الخورنق في شعر لحسان بن ثابت :

وحارثة الغطريف أو كابن منذر ومثل أبي قابوس ربّ الخورنق^٣

وقد ذهب بعض شراح هذا البيت الى أن المراد بـ (ابن منذر) (عمرو ابن هند) ، وأن المراد من (أبي قابوس) ، (النعمان بن المنذر بن امرئ القيس بن عدي اللخمي) ، الذي لبس المسوح وساح في الأرض ، والذي نعته الشاعر عدي بن زيد العبادي بـ (رب الخورنق)^٤ . وهو تفسير ينسجم مع رأي المؤرخين في باني القصر ، إلا أنه يتعارض معهم في تسمية الملك ، فالمعروف عندهم أن (ابا قابوس) هو (النعمان بن المنذر) آخر ملوك الحيرة ، وهو قاتل الشاعر (عدي بن زيد العبادي) لا (النعمان السائح)^٥ . ولا يوجد أحد غيره عرف عندهم بـ (أبي قابوس) . وقد حكم هذا بعد (عمرو بن هند) بأمد ، فيكون هو مراد الشاعر المذكور . غير ان هذا يدفعنا الى تخطئة (حسان) في نسبة الخورنق الى هذا الشاعر ، أو تخطئة المؤرخين في نسبتهم القصر الى (النعمان

١ (والسدير : بناء ، وهو بالفارسية سهدي أي ثلاث شعب أو ثلاث متداخلات . وقال الاصمعي : السدير فارسية ، كان أصله سادل أي قبة في ثلاث قباب متداخلة ، وهي التي تسميها الناس اليوم سدلي ، فأعربتة العرب ، فقالوا سدين . والسدير : النهر ، وقد غلب على بعض الانهار ، قال :

الابن امك ما بدا ولك الخورنق والسدير

التهذيب : (السدير نهر بالحيرة) ، اللسان (٣٥٥/٤) ، (صادر) ، نهاية الأرب (٣٨٥/١) وما بعدها .

٢ ايران في عهد الساسانيين ، آرثر كريستين ، ترجمة يحيى الخشاب (ص ٢٦٠) .

٣ البرقوقي (ص ٢٨٧) .

٤ الخورنق (ص ٢٨٧) .

٥ المحبر (٣٥٨) وما بعدها .

السائح) . والذي اراه ان هذا التفسير ، لا يتعارض مع روايات المؤرخين في باني القصر ، وان مراد الشاعر من (ومثل أبي قابوس رب الخورنق) ، انه صاحب الخورنق ، اي مالكة والتازل فيه ، لا الباني له . وقد ذكره لشهرة القصر في ايامه وبذلك فلا يقع التعارض بين التفسيرين ، ويكون الملك المقصود هو (النعمان أبو قابوس) .

ومن اشار الى القصيرين : الخورنق والسدير في شعره من الشعراء الجاهليين ، المنخل ، قال :

واذا صحوت فسائي	رب الشريعة والبحير
واذا سكرت فليني	رب الخورنق والسدير

وقد نشأ لقب (السائح) الذي لقب به النعمان من القصة الشهيرة التي يرويها الاخباريون عن هذا الملك ، وهي ان النعمان جلس في يوم من ايام الربيع في قصره الخورنق فأشرف منه على النجف وما يليه من البساتين والنخل والجنان والانهار ... فأعجبه ما رأى من الخضرة والنور والانهار ، فقال لوزيريه وصاحبه : هل رأيت مثل هذا المنظر قط ؟ فقال : لا ، لو كان يدوم ! قال : فما الذي يدوم ؟ قال : ما عند الله في الآخرة ، قال : فيم ينال ذلك ؟ قال : بترك الدنيا وعبادة الله والتماس ما عنده . فترك ملكه من ليلته ، ولبس المسوح مستخفياً هارباً لا يعلم به ، وأصبح الناس لا يعلمون بحاله ، فحضروا بابه ، فلم يؤذن لهم عليه كما كان يفعل . فلما ابطأ الإذن عليهم ، سألوا عنه ، فلم يجدوه ، وساح الملك منذ ذلك الحين في الارض ، فلم يره انسان^١ .

ويلحق الاخباريون بهذه القصة ابياتاً ينسبونها لعدي بن زيد العبادي . ذكروا انه خاطب بها النعمان بن المنذر ، هي في الواقع اختصار للقصة ، لم يذكر فيها اسم النعمان ، وانما اكتفى الشاعر بذكر رب الخورنق ، ورب الخورنق هو النعمان في تفسير الاخباريين^٢ .

-
- ١ الطبري (٧٣/٢ وما بعدها) ، (٦٧/٢) ، (دار المعارف) ، حمزة (ص ٦٨) ، المعارف (ص ٢٨٢) .
 - ٢ الطبري (٦٧/٢ وما بعدها) ، حمزة (ص ٦٩) ، المعارف (ص ٢٨٢) ، نهاية الارب (٣٨٧/١) .

والأبيات المنسوبة الى عديّ بن زيد ، وهي :

وتذكّر ربّ الخورنق إذ فكّر يوماً ، وللهدى تفكير
سره ملكه وكثرة ما يملك والبحر معرضاً والسدير
فارعوى جهله ، فقال : وما غبطة حيّ الى المات بصير ؟

تشير الى النعمان السائح ، وتذكر قصة مفارقتها ملكه ، ولبسه المسوح واعراضه
عن الملك بعد ان كان ملكاً . ولم يقصد بالنعمان : النعمان بن ابي سلمى صاحبه ،
كما تصور بعض الناس^١ ويظهر انه نظمها للنعمان صاحبه على سبيل العظة والتذكير ،
ليدخله في النصرانية ، وذلك بعد ان كان يتعبد للأوثان . وقد تمكن من التأثير
فيه ، فأدخله فيها كما يذكر الاخباريون .

وقد ورد في بعض الروايات تنصر النعمان^٢ ، ونسب تنصره الى سلطان القديس
(سمعان العمودي) (Symeon Stylites) عليه ، وكان يقوم ، بالتبشير بين
أهل الحيرة^٣ . وذكر انه شفاه ببركته من مرض كان به ، فتنصر^٤ . وهي رواية
في حاجة الى دليل . فلم يثبت ان آل نحم كانوا قد تنصروا في هذا العهد .

وقد ذكر الطبري ان تبع بن حسان بن تبع بن ملكيكرب بن تبع الأقرون، تبع
حمير ارسل حينما ولي الملك ابن اخته الحارث بن عمرو بن حجر الكندي في جيش
عظيم الى بلاد معد والحيرة وماوالاها ، فسار الى النعمان بن امرئ القيس ابن
الشقيقة ، فقاتله ، فقتل النعمان وعدة من اهل بيته ، وهزم اصحابه ، وافلته
المنذر بن النعمان الاكبر ، وامه مساء السماء امرأة من النمر . فذهب ملك آل
النعمان ، وملك الحارث بن عمرو الكندي ما كانوا يملكون^٥ .

وقد استدرك الطبري على هذه الرواية ، فذكر بعدها مباشرة هذه الجملة ،
قال : (وقال هشام : ملك بعد النعمان بن المنذر ابنه المنذر بن النعمان ، وأمه

١ رسالة الغفران (٥٥٥) ، (تحقيق الدكتور عائشة عبد الرحمن ، بنست الشاطيء) .

٢ ابن خلدون (٢٧١/٢) .

٣ شيخو : النصرانية (٨٢) .

٤ السمعاني (٢٤٧/١) ، الحيرة (١٥١) . Causin, 254.

٥ الطبري (٨٦/٢) ، (٨٩/٢ وما بعدها) (دار المعارف) .

هرّ ابنة زيد مناة بن زيد الله بن عمرو الغساني اربعاً واربعين سنة ^١ . وذلك يدل على ان هذه رواية اخرى منسوبة الى ابن الكلبي ايضاً ، ولكنه اخذها من مورد آخر غير المورد الذي نقل منه الرواية السابقة ، وهي منسوبة ايضاً الى ابن الكلبي استهلها الطبري بقوله : (حدثت عن هشام بن محمد) ^٢ . وهو ابن الكلبي . وحديث الطبري عن قتل الحارث بن عمرو الكندي للنعمان بن امرئ القيس ابن الشقيقة ، يناقض ما رواه هو نفسه وما رواه غيره عن تنسك النعمان واعتزاله الملك وسياسته في الارض وعن اللقب الذي منحه الاخباريون لياه وهو (السائح) ، ويظهر ان ابن الكلبي وأضرابه رواة هذه الروايات كانوا قد اخذوا رواياتهم من مصادر عربية مختلفة ، غير مدونة ، فوقع هذا التناقض بين الروايتين .

وعاد الطبري فتكلم على هذا الموضوع في اثناء حديثه عن الاحداث التي وقعت بين العرب في ايام قباز ، فقال : (وحدثت عن هشام بن محمد ، قال : لما لقي الحارث بن عمرو بن حجر بن عدي الكندي النعمان بن المنذر بن امرئ القيس ابن الشقيقة ، فقتله ، وأفلته المنذر بن النعمان الاكبر وملك الحارث بن عمرو الكندي ما كان يملك ، بعث قباز بن فيروز ملك الفرس الى الحارث بن عمرو الكندي : انه قد كان بيننا وبين الملك الذي قد كان قبلك عهد ، واني احب ان ألقاك . وكان قباز زنديقاً يظهر الخير ويكره الدماء ^٣ . فجعل الطبري والد النعمان في هذه الرواية المنذر بن امرئ القيس مع ان والد النعمان المقصود هو امرئ القيس . وقد ذكر الطبري ان ملك النعمان الى ان ترك ملكه وساح في الارض تسع وعشرين سنة وأربعة أشهر . من ذلك في زمن يزديجرد خمس عشرة سنة ، وفي زمن بهرام جور بن يزديجرد أربع عشرة سنة ^٤ . واذا اخذنا بهذه الرواية وجب ان يكون ابتداء حكم الملك النعمان في سنة (٤٠٥ م) ، وتركه الملك واختياره في الارض وحياة الزهد في حوالى السنة (٤٣٤ م) . فقد حكم بهرام بن يزديجرد ، المعروف بـ (بهرام الخامس) عند المؤرخين فيما بين السنة (٤٢٠ م) والسنة (٤٣٨ م) ^٥ . وصار عرش الحيرة بعد النعمان الى ابنه المنذر ، وكانت أم المنذر من غسان .

١ الطبري (٩٠/٢) (دار المعارف) .

٢ الطبري (٨٩/٢) (دار المعارف) .

٣ الطبري (٨٩/٢) (٩٥/٢) (دار المعارف) .

٤ الطبري (٦٨/٢) (دار المعارف) .

٥ Ency., 4, P. 178.

وهي هند بنت زيد مائة بن زيد بن عمرو الغساني^١. اما المسعودي ، فذكر أنها :
هند بنت الهيجانة من آل بكر^٢ :

وقد ذكر الطبري ان يزدجرد لما ولد بهرام جور ، اختار لحضائه العرب ،
فدعا المنذر بن النعمان واستحضنه بهرام ، فسار به المنذر ، واختار لرضاعته ثلاث
نسوة ذوات اجسام صحيحة وأذهان ذكية وآداب حسنة ، من بنات الأشراف ،
وهن عربيتان وعجمية ، فأرضعنه ثلاث سنين ، فلما بلغ خمس سنين ، احضر له
مؤدبين ، فعلموه الكتابة والرمي والفقه . وأحضر له حكيماً من حكماء الفرس .
ثم احضر له معلمي الفروسية ، فتعلم الرماية والصيد وركوب الخيل حتى صار من
أهمر الناس . وظل هذا شأنه لدى المنذر حتى مات يزدجرد . ففرح الناس بوفاته
وقرر الاشراف والموبذان والمرازية صرف الملك عن اسرة يزدجرد ، لسوء سيرته
في الناس ، ونصبوا شخصاً آخر مكانه . فلما رأى بهرام ذلك ، طلب مساعدة
المنذر ، فأرسل المنذر قوة بقيادة ابنه النعمان ، وسار هو على رأس قوة اخرى
قوامها ثلاثون ألفاً من فرسان العرب ، ومعه بهرام ، وبعد مفاوضات وافق الفرس
على خلع من نصبوه كسرى عليهم ، وتعيين بهرام ، وبفضل هذه المساعدة
استعاد التاج^٣ .

وتناقض هذه الرواية كما نرى من الرواية السابقة التي دوتها الطبري نفسه في
تعليل سبب بناء الخورنق والتي تحدثت عنها قبل قليل . وقد فطن ابن الأثير الذي
نقل الروایتين ايضاً لهذا التناقض ، فقال : (هكذا ذكر أبو جعفر ، في اسم
بهرام جور ، ان اباه اسلمه الى المنذر بن النعمان كما تقدم ، وذكر عند يزدجرد
الأثيم انه سلم بهرام الى النعمان بن امرئ القيس . ولا شك ان بعض العلماء قال
هذا وبعضهم قال ذاك ، الا انه لم ينسب كل قول الى قائله)^٤ . وأبو جعفر
هذا هو الطبري .

ولا نعم شيئاً من أمر النعمان بن المنذر الذي تولى قيادة القوة التي أمر والده
بارسالها للتحرش بمملكة الفرس ، بعد ان رفضوا نصب بهرام جور ملكاً عليهم

١ حمزة (ص ٦٩) ، الطبري (٨٦/٢) ، (٦٨/٢ وما بعدها) ، (دار المعارف) .

٢ مروج (٢٣/٢) .

٣ الطبري (٧٤/٢ وما بعدها) ، الدينوري ، الاخبار الطوال (ص ٥٧ وما
بعدها) ، تحقيق (فلاديمير جرجاس) (طبعة ليدن) ،
Nöldeke, Aufsätze, S. 104.

٤ ابن الأثير : الكامل (١٦٢/١) .

على نحو ما رأيناه في رواية الطبري الثانية^١ . فقد سكت الطبري عنه كما سكت الآخرون .

ونجد رواية نشأة بهرام جور بأرض العرب في رواية لليعقوبي مختصرة ، هي في الواقع جمع للروايتين السابقتين . ذكر اليعقوبي ان يزدجرد دفع بهرام جور الى النعمان ، فأرضعته نساء العرب ، ونشأ على أخلاق جميلة . ولما مات يزدجرد كرهت الفرس أن تولي ابناً له لسوء سيرته ، وقالوا : « بهرام ابنه قد نشأ بأرض العرب لا علم له بالملك » . وأجمعوا على أن يملكوا رجلاً غيره ، فسار بهرام في العرب ، فلما لقي الفرس ، هابته ، فأذعنوا له وأعطوه الطاعة فوعدهم من نفسه خيراً . وكتب الى الآفاق يعدهم بذلك . وقدم المنذر بن النعمان عليه ، فرفع منزلته^٢ . فلم تنكسر هذه الرواية رواية من زعم ان يزدجرد سلم ابنه الى النعمان ، ولم تنكسر صلة المنذر ببهرام جور ، ولكنها كما نرى لم تشر الى اسم من قاد الجيش من العرب وسار على الفرس .

ولا يمنع على كل حال قول الأخباريين في بناء النعمان الأول الخورنق لبهرام من كون ابنه هو الذي ساعد بهراماً على أخذ التاج . لقد سلمه والده صغيراً الى النعمان ، فلما كبر وترعرع ، ومات والده وهو بين عرب الحيرة ، وامتنع الفرس من توليه التاج ، ساعده المنذر في ذلك ، وأخذ له حقه ممن اغتصبه منه .

ويظهر من أخبار الأخباريين انه كانت للمنذر منزلة عند (يزدجرد) . ذكر الطبري ان يزدجرد (دعا بالمنذر بن النعمان ، واستحضنه بهرام ، وشرّفه وأكرمه ، وملكه على العرب وجباه بمرتبتين سنتين ، تدعى احدهما (رام أبزوذي يزدجرد) وتأويلها (زاد سرور يزدجرد) ، وتدعى الأخرى (بمهشت) وتأويلها (أعظم الخول) ، وأمر له بصلة وكسوة بقدر استحقاقه لذلك في منزلته ، وأمره أن يسير ببهرام الى بلاد العرب^٣ .

وتناقض هذه الرواية رواية الطبري المذكورة في قصة بناء الخورنق ، ورواية بقية أهل الأخبار عن قصة بناء ذلك القصر ، وتؤكد ان وفاة (النعمان) الأول

١ الطبري (٧٢/٢) (دار المعارف) .

٢ اليعقوبي (١٣٢/١) .

٣ الطبري (٦٨/٢ وما بعدها) ، Rothstein S. 69.

كانت في أيام يزديجرد ، لا في أيام بهرام بن يزديجرد ، وتفيد ان انتقال الحكم الى المنذر كان في عهد يزديجرد .

واشترك المنذر في الحرب التي وقعت بين الروم والفرس بعد مدة قصيرة من تولي بهرام جور الملك ، واختار بلاد الشام ساحة لهجومه . والظاهر أن إسهامه في هذه الحرب كان بطلب من بهرام الذي لم يكن موقفه حسناً فيها ، فكلف المنذر مهاجمة بلاد الشام . ليخفف من شدة ضغط الروم عليه . غير ان التوفيق لم يخالف المنذر في هجومه هذا ، فني بخسارة كبيرة وهو يحاول مع جيشه عبور الفرات ، ففرق أكثرهم في النهر . وكان ذلك في سنة ٤٢١ م . ولحقت به خسارة أخرى في السنة نفسها ، أو في السنة التي تلتها حينما أعاد الكرة على الروم^١ . وقد ذكر المؤرخ (سقراط) (Socrates) المتوفى في حوالي سنة ٤٣٩ م غرق زهاء مئة ألف رجل من رجال المنذر في النهر ، وهو عدد مبالغ فيه ولا شك .

وقد استند الطبري الى رواية يتصل سندها بابن الكلبي ، فجعل مدة حكم المنذر بن النعمان أربعاً وأربعين سنة ، من ذلك في زمن بهرام جور ثماني سنين وتسعة أشهر ، وفي زمن يزديجرد بن بهرام ثماني عشرة سنة ، وفي زمن فيروز ابن يزديجرد سبع عشرة سنة^٢. وهذه الرواية تناقض روايات ابن الكلبي السابقة عن تولي المنذر الحكم في أيام يزديجرد الأثيم والد بهرام جور ، كما مر معنا . وقد أغفلت أمر (هرمز) وهو ابن يزديجرد ابن بهرام جور ، المعروف بالثالث ، الذي حكم من حوالي السنة ٤٥٧ حتى السنة ٤٥٩ للميلاد . فإذا فرضنا أن حكم المنذر كان ثماني سنين وتسعة أشهر من زمان بهرام جور الذي حكم من حوالي السنة ٤٢٠ للميلاد حتى السنة ٤٣٨ للميلاد ، صارت السنة ٤٢٩ هي السنة ٤٣٠ للميلاد التي يجب أن تكون سنة توليه الحكم ، وإذا أضفنا الى هذا الرقم أربعاً وأربعين سنة ، وهي مدة حكم المنذر ، الى هذه الرواية ، صارت السنة ٤٧٣ - ٤٧٤ للميلاد ، هي سنة انتهاء حكم المنذر بوفاة . وتكون سنة وفاته إذن في زمن (فيروز بن يزديجرد بن بهرام جور) الذي حكم من حوالي السنة ٤٥٩ حتى السنة

Rothstein, S. 69, Socrates, VII, 18, Bar Hebraeus, Chron. Syriac., 75,

Caussin, Essai, II 63, Noldeke, Sas., 86, Paulys-Wissowa,

Erster Halbband, S. 1281.

٢ الطبري (٩٠/٢) (دار المعارف) .

٤٨٤ للميلاد . وبحسب هذه الرواية يكون المنذر قد عاصر بهرام جور المعروف بـ (بهرام الخامس) عند المؤرخين وعاش في زمن يزدجرد الثاني ، وهو ابن (بهرام جور) . وفي زمن (هرمز بن يزدجرد) ، ثم في زمن شقيقه فيروز ابن يزدجرد بن بهرام جور^١ .

وتولى بعد المنذر ابنه الأسود من زوجته هرمز ابنة النعمان من بني الهيجانة ابنة عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان على رواية الطبري^٢ . ومن لحم على حد قول حمزة^٣ .

وأما (الدينوري) ، فنذكر أن الذي ولي الملك بعد (النعمان بن امرئ القيس) الأعور والسائح ، أخوه (المنذر بن امرئ القيس) ، وكانت أمه من (النمر بن قاسط) ويقال لها : (ماء السماء) لجأها وحسنها ، وأبوها (عوف بن جشم) وقد ولاه (كسرى أنو شروان) العرش ، وزعم أنه تزوج (هنداً) ابنة الحارث بن عمرو الكندي آكل المار ، وهي التي أولدته ثلاثة أولاد هم : عمرو بن هند المعروف بمضطرط الحجارة ، وقابوس المعروف بقينة العرس ، والمنذر بن المنذر . وذكر أنه بقي ملكاً على الحيرة إلى أن غزا (الحارث ابن أبي شمر الغساني) ، وهو الأعرج ، فقتله الأعرج بالحيار^٤ .

وجعل (الدينوري) (المنذر بن المنذر بن امرئ القيس) بعد (المنذر) المذكور ، وقال : إنه خرج يطلب دم أبيه ، فقتله الحارث أيضاً بعين أباغ ، ويقال : إن قاتله هو (مرة بن كلثوم التغلبي) ، أخو عمرو بن كلثوم ، ثم نصب من بعده شقيقه عمرو بن هند ، ثم النعمان بن المنذر أبا قابوس ، وبذلك أنهى قائمته الملوك الحيرة^٥ . وهي قائمة سقط منها عدد من الملوك .

ولا نعرف من أخبار الأسود شيئاً كثيراً . وقد ذكر حمزة أنه حكم عشرين عاماً ، وذلك في زمن فيروز بن يزدجرد وبلاش بن فيروز وقباذ بن فيروز^٦ .

١ راجع ترتيب وسن ملك الساسانيين في : Ency. 4, P. 178.

٢ الطبري (٨٦/٢) ، (٩٠/٢) (دار المعارف) .

٣ حمزة (ص ٦٩) .

٤ المعارف (ص ٢٨٣) .

٥ المعارف (ص ٢٨٣) ، عيون الاخبار (٣٣٠/١) .

٦ حمزة (ص ٦٩) .

وروى أنه حارب الغساسنة وانتصر عليهم ، وأسر منهم ، كما روى أنه وقع في إحدى معاركه في أيدي الغساسنة ، فقتله^١ . وذكر الطبري أن الفرس أسرت^٢ ، ولم يذكر سبب هذا الأمر . وأنه حكم عشرين سنة ، من ذلك في زمن فيروز ابن يزدجرد عشر سنين ، وفي زمن بلاش بن يزدجرد أربع سنين ، وفي زمان قباذ بن فيروز ، ست سنين^٣ .

وقد حكم (فيروز) من سنة (٤٥٩ م) حتى سنة (٤٨٤ م) ، ويكون حكم (الأسود) بحسب رواية الطبري المتقدمة في حوالي السنة (٤٧٤ م) تقريباً ، وقد حكم (بلاش) أربع سنين ، من سنة (٤٨٤ م) حتى سنة (٤٨٨ م) ، ثم حكم (قباذ الأول) ، وهو ابن فيروز من بعده . حكم من سنة (٤٨٨) حتى سنة (٥٣١) للميلاد . ولما كان (الأسود) قد حكم ست سنين من زمان حكم (قباذ) ، تكون سنة وفاته في حوالي السنة (٤٩٤ م)^٤ .

وورد في رواية انه كان للأسود بن المنذر ولد اسمه شرحبيل ، قتل ، قتله الحارث بن ظالم ، وكان طفلاً مسترضعاً عند سنان بن أبي حارثة المري^٥ .

وكان سبب ذلك على ما تذكره الرواية ان (خالد بن جعفر بن كلاب) كان قدم على (الأسود بن المنذر) أخى النعمان ، ومعه (عروة بن عتبة بن جعفر) ، فالتقى خالد بن جعفر والحارث بن ظالم بن غيط بن مرة بن سعد بن ذبيان عند الأسود بن المنذر ، فجعل خالد يقول للحارث : يا حمار ، أما تشكر يدي عندك ان قتلت عنك سيد قومك زهيراً وتركتك سيدهم ؟ فقال : سأجزيك شكر ذلك . فلما خرج الحارث ، قال الأسود لخالد : ما دعاك الى أن تتحوش بهذا الكلب ، وأنت ضيفي ؟ فقال : انما هو عبد من عبيدي ، ولو وجدني نائماً ما أيقظني . وانصرف خالد الى قبته ، فلامه عروة الرحال ، ثم ناما وأشرجت عليهما القبة ، فلما هدأت العيون ، انطلق الحارث حتى أتى قبة خالد ، فهتك شرجها ، ثم ولجها

١ الحيرة (ص ١٥٦ وما بعدها) .

٢ الطبري (٨٦/٢) ، (٩٠/٢) (دار المعارف) .

٣ الطبري (٨٦/٢) ، (٩٠/٢) (دار المعارف) .

٤ راجع أزمنا حكم الملوك الساسانيين في : Ency. 4, P. 178.

٥ ابن الأثير . الكامل (٢٢٩/١) وما بعدها ، نهاية الأرب (٣٥٣/١٥) وما بعدها .

وقتلته . فنادى عروة : واجوار الملك ! فأقبل الناس ، وسمع الأسود الهتاف ، وقرر الانتقام ممن خرق جوار الملك . وهرب الحارث منه^١ .

ولما هرب الحارث تنقل في القبائل ، فلجأ الى صديق له من كندة . فطلبه الملك فشخص من عند الكندي ، وأضمرته البلاد حتى استجار بزياد أحد بني عجل ابن لجيم ، فقام بنو ذهل بن ثعلبة وبنو عمرو بن شيان ، فقالوا لعجل : أخرجوا هذا الرجل من بين أظهركم ، فانه لا طاقة لنا بالشهباء والدوسر ، وأبت عجل ذلك عليهم . فلما رأى الحارث ذلك ، كره أن تقع الفتنة بينهما بسببه ، فارتحل من بني عجل الى جبلي طيء ، فأجاروه ، فكث عندهم حيناً . ثم ان الأسود لما أعجزه أمره ، أرسل الى جارات كنّ للحارث بن ظالم استافهن وأموالهن ، فبلغ ذلك الحارث ، فخرج من الجبلين ، حتى علم مكان جاراته ، فأتاهن ، واستنقذهن ، واستاق ابلهن ، فألحقهن بقومهن . واندس الى بلاد غطفان حتى أتى سنان بن أبي حارثة المري^٢ ، وهو أبو هرير بن سنان ممدوح زهير . وكان الأسود قد استرضع ابنه شرحبيل عند سنان ، ترضعه امرأته . فاستعار الحارث سرج سنان ، وهو في ناحية الشرية ، فأتى به سلمى امرأة سنان ، وقال لها : يقول لك بعلك ، ابغني شرحبيل مع الحارث ، وهذا سرجه لك آية . فدفعته اليه ، فأتى به من ناحية من الشرية فقتله ، وهرب من فوره ، وهرب سنان لما سمع بخبر قتله .

فلما بلغ الأسود قتل ابنه شرحبيل غزا بني ذبيان ، فقتل وسبي ، وأخذ الأموال وأغار على بني دودان رهط سلمى ، ثم وجد بعد ذلك نعلي شرحبيل في جانب الشرية عند بني محارب بن خصفة ، فغزاهم وأسروهم وأحى لهم الصفا ، وقال : اني أحذّيكُم نعالاً^٣ ، فأمشاهم عليها ، فسقطت أقدامهم ، ثم ان سيّار بن عمرو ابن جابر الغزاوي احتمل للأسود دية ابنه ألف بعير ، ورهنه بها قوسه ، فوفاه بها . ثم هرب الحارث ، فلحق بمعبد بن زرارة فاستجار به ، فأجاره ، وكان من سببه وقعة رحرحان . ثم هرب حتى لحق بمكة ، ثم غادرها الى الشام ، فلحق بيزيد بن عمرو الغساني ، فأجاره وأكرمه . ومكث عنده . ثم افتقد بيزيد ناقه له ، ولم يعلم خبرها ، فأرسل الى الحِمّس التغلبي ، وكان كاهناً ، فسأله عنها ،

١ نهاية الأرب (٣٤٨/١٥ وما بعدها) .

فأخبره ان الحارث صاحبها ، فهم به الملك ثم تذم من ذلك ، فأوجس الحارث في نفسه شراً ، فأتى الخمس التغلبي فقتله . فلما فعل ذلك دعا به الملك ، وأمر به ابن الخمس فقتله بأبيه . وأخذ ابن الخمس سيف الحارث ، فأتى سوق عكاظ في الأشهر الحرم ، فأراه قيس بن زهير العبسي ، فضربه به قيس فقتله^١ .

وذكر ان الأسود غزا بني ذبيان وبني أسد بشط أربك وأوقع فيهم ، وانه وجد نعل ابنه شرحبيل القتيل في بني محارب بن خصيفة بن قيس عيلان . فانتقم منهم شر انتقام ، وانه قبل من الحارث بن سفيان دفع دية شرحبيل ، فدفعها اليه ، وهي ألف بعير ، (دية الملوك)^٢ .

ونحو هذه الغزوة هو جزء متمم لنحو قتل الحارث بن ظالم لابن الأسود ، كما جاء في رواية أخرى .

وروايات أهل الأخبار عن قتل الحارث بن ظالم لخالد بن جعفر بن كلاب ، وعن قتل ابن الملك ، روايات متناقضة مضطربة قلقة ، والتبس الأمر فيها على الرواة ، ولا سيما (ابن الكلبي) و (أبي عبيدة) اللذين هما مرجعا أكثر رواة تلك الروايات . يتداخل فيها اسم النعمان بن امرئ القيس مع اسم النعمان بن المنذر واسم الأسود بن المنذر ، وتنسب القصة مرة الى هذا الملك ، ومرة الى ذلك . وقد تتداخل ، فيذكر اسم الملك الأسود ، ثم يورد بعده اسم الملك النعمان .

يذكر الرواة رواية كالرواية السابقة ، جعلت الولد القتيل شرحبيل بن الأسود ، وجعلت الحارث بن ظالم يسير متخفياً الى الحيرة ليفتك بالأسود . ولكنهم جعلوه في هذه الرواية يسمع صراخ امرأة أخذ جمع الأسود صرمة من إبلها ، فتوجع لها ، ووعدوها على إعادة إبلها فطلب منها أن تذهب الى موضع عينه لها ، ليأتي لها بإبلها . فلما وردت إبل النعمان ، أخذ مالها ، فسلمه اليها ، ثم فرّ يطلب له مجيراً فلم يجره أحد قائلين له : من يجيرك على هوازن والنعمان ؟ ويختفي اسم المنذر فجأة في هذه الرواية ، ويظهر اسم الملك النعمان كما في الرواية السابقة ، ولكن دون تصريح باسم والد النعمان ، وهو امرؤ القيس^٣ .

١ نهاية الأرب (٣٥٣/١٥) ، (يوم الخريبة) ، العقد الفريد (٧/٦ وما بعدها) .
٢ الأغاني (٢٢/١٠ وما بعدها) .
٣ الكامل (٢٢٣/١ وما بعدها) .

ثم تستمر الرواية فتأخذ الحارث الى الشام ، ليستجبر يزيد بن عمرو الغساني من النعمان وهوازن ، فيجيره ويكرمه ، ولكنه يذبح ناقة ليزيد ، ثم يقتل امرأة أرسلها يزيد لتحترق بيت الحارث ، ثم يقتل الكاهن الذي تكهن بعقر الحارث للناقة وبقتله للمرأة . فلم يبق أمام يزيد إلا قتل الحارث ، فأمر به فقتل . وعلى هذه الصورة انتهت حياة رجل هو في نظر الأخباريين بطل من أبطال المغامرات والمفاجآت .

وأما الرواية التي تذكر أن ذلك الملك هو النعمان بن امرئ القيس فتقول إن النعمان بن امرئ القيس كان قد تزوج بنتاً من بنات زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي ، وهو من السادة الأشراف ، فأرسل النعمان ذات يوم الى زهير يستزيه بعض أولاده ، فأرسل ابنه شأساً ، وكان أصغر ولده ، فأكرمه وحباه ، ورجع بهدايا والطف كثيرة . فلما بلغ ماء من مياه غني بن أعصر ، طمع به رباح بن الأشل ، فقتله ، واستلب ما كان معه . فلما سمع زهير بمقتل ولده ، جاء ديار غني ، وأخذ يغير عليها ، حتى قتل منها مقتلة عظيمة ، فاستجارت غني بحلفائهم بني عامر بن صعصعة ، فأنجدوها . وتوسعت الحرب ، فاشتكت بها هوازن ، وكانت تحقد على زهير لأنه كان يسر بها خسفاً ويجيبها الإتاوة كل سنة بعكاظ ، وترأس خالد بن جعفر بن كلاب غنياً وبني عامر وهوازن ، فقتل زهيراً ، وعاد أبناؤه بجسده ليواروه التراب . وذهب خالد بعد مصرع زهير الى النعمان مستجيراً به حين علم أن غطفان ستطلبه به ، فأجاره ، وضرب له قبة وحماه . وبينما كان في مجلس النعمان ، قدم الحارث بن ظالم الى المجلس ، وجرى بينه وبين خالد كلام ، أغلظ فيه خالد على الحارث ، فحقد الحارث عليه وقرر الانتقام منه ، فاغتاله وهرب . فجعل النعمان يطلبه ليقته بجاره ، وهوازن تطلبه لقتله بسيدها خالد . فلحق ببني دارم من تميم ، واستجار بهم ، فأجاروه على النعمان . فلما علم النعمان ذلك ، جهز جيشاً الى بني دارم ، فلما سمعوا بمجيء الجيش عليهم ، استعدوا له ، وأرسلوا أموالهم الى بلاد بغيض ، واستعدوا مع بني مالك بن حنظلة وبني عامر للقتال . فلما التقوا بجيش النعمان ، قتل رئيس جيش النعمان ، وانهزم الجيش . وقيل : إن الحارث بن ظالم ركب الى الحيرة متخفياً ، واستاق لإبلا

له كان قد استولى عليها النعمان ، وقتل أحد أبنائه ، وفر^١ .
وهناك رواية تجعل النعمان المذكور النعمان بن المنذر ، وتجعل الولد القتيل لابناً
لهذا النعمان . وجعلت رواية أخرى قتل الحارث لخالد في عهد الأسود ، ثم تذكر
أنه هرب منه . ثم إن رجلاً من بني زيد مناة كان بعض حشم النعمان قد أخذوا
إبله وأهله ، استجار بالحارث فركب الحارث حتى أتى النعمان ، فقال : أبيت
اللعن ! إنك أخذت نساء جاري ، وماله ، وأنا له جار . فذكره النعمان بقتله
خالداً ، وهو في جوار الأسود أخيه . ثم إن النعمان أوعد الحارث وعيداً شديداً .
ففضى الحارث ، وندم النعمان على تركه ، وطلبه ففاته ، وكان للنعمان ابن مسترضع
عند (سنان بن أبي حارثة) ، وكانت سلمى بنت ظالم تحت سنان ، فجاء
الحارث إلى أخته على لسان سنان ، حتى أعطته ابن النعمان ، فضرب عنقه ولحق
بمكة . فجاور عبدالله بن جدعان^٢ .

وأما قتل (الحارث بن ظالم) ، فالروايات مختلفة فيه ، منها ما جعل قاتله :
(يزيد بن عمرو الغساني) على نحو ما رأيت . ومنها ما جعل قاتله ملكاً من
ملوك غسان تسميه النعمان . ومنها ، وهي رواية من روايات أهل الكوفة ، ما
جعل قاتل الحارث هو الملك النعمان بن المنذر ، وتذكر قصة كيفية استدراج النعمان
للحارث ومراسلته له مصرحاً له أنه قد رضي عنه وعفا عما بدر منه حتى أمن
الحارث . فلما جاء إلى النعمان ، وكان في قصر بني مقاتل ، أمر به فقتل . قتله
ابن الخمس التغلبي ، وكان الحارث قد قتل أباه^٣ .

وجاء في رواية أن (عمرو بن الخمس) هو الذي قتل الحارث ، قتله بأمر
الملك الأسود بن المنذر^٤ . وذكر (ابن دريد) أن قوماً زعموا أن النعمان قتل
(الحارث بن ظالم) ، وهذا وهم ، لأن الذي قتله إنما هو (المنذر بن المنذر
أبو النعمان)^٥ . وذكر (محمد بن حبيب) . أن (سيار بن عمرو الفزاري)
المعروف بـ (ذي القوس) ، كان قد رهن قوسه على ألف بغير في قتل الحارث
ابن ظالم من النعمان الأكبر^٦ .

- ١ الكامل (٢٢٩/١) وما بعدها .
- ٢ المحبر (١٩٣) وما بعدها .
- ٣ الأغاني (٢٧/١٠) وما بعدها .
- ٤ الاشتقاق (٢٠٣/٢) (طبعة أوربة) .
- ٥ الاشتقاق (١٧٥) .
- ٦ المحبر (٤٦١) .

ويظهر من (رسالة الغفران) ان (آل لحم) كانوا يعظمون (الأسود بن المنذر)^١ ، ولم يذكر سبب هذا التعظيم .

وحكم بعد الأسود أخوه المنذر بن المنذر بن النعمان ، وأمه هرّ ابنة النعمان . حكم على رواية لابن الكلبي سبع سنين^٢ ، وذلك في زمان قباذ بن فيروز^٣ . ولما كان حكم قباذ ، وهو (قباذ الأول) ويسمى بـ (قباذ بن فيروز) قد امتد من سنة (٤٨٨) حتى سنة (٥٣١) للميلاد^٤ ، فيكون حكم المنذر اذن قد وقع في خلال هذه المدة .

واذا أخذنا بهذه الرواية ، وجب أن يكون ابتداء حكم المنذر بن المنذر في حوالي سنة (٤٩٤ م) ، وانتهاء حكمه في حوالي السنة (٥٠١ م) ، وذلك بحسب سني حكم ملوك الفرس عند المؤرخين^٥ . ولكننا نواجه روايات أخرى رواها ابن الكلبي أيضاً وغيره تخالف هذا التقدير .

وبعد المنذر انتقل الملك الى ابن أخيه النعمان بن الأسود ، وأمه هي (أم الملك ابنة عمرو بن حجر ، أخت الحارث بن عمرو الكندي)^٦ . اذن فهي أميرة من أمراء كندة . وقد حكم هذا الملك على رواية لابن الكلبي أربع سنين^٧ ، وذلك في زمن قباذ^٨ .

يظهر من رواية لـ (ثيوفانس) ان النعمان هذا أغار على حدود الروم وعلى العرب المحالفين لهم ، فاصطدم بالقائد (أوجينيوس) (Eugenius) عند موضع (بثرابسوس) (Bithrapsos) (البثر) على الفرات ، فأصيب بخسارة فادحة . ولا نعرف على وجه التحقيق سنة وقوع هذا الحادث ، والمظنون انه كان حوالي سنة (٤٩٨ م)^٩ .

-
- ١ رسالة الغفران (١٣٣) .
 - ٢ الطبري (٩٤/٢) ، (١٠٤/٢) (دار المعارف) .
 - ٣ حمزة (ص ٦٩) .
 - ٤ Ency., 4, P. 278.
 - ٥ Ency. 4, P. 178.
 - ٦ الطبري (٩٤/٢) ، (١٠٤/٢) ، (دار المعارف) ، حمزة (٦٩) .
 - ٧ الطبري (٩٤/٢) ، (١٠٤/٢) ، (دار المعارف) .
 - ٨ حمزة (ص ٦٩) .
 - ٩ Rothstein S. 74, Theophanes, 217, Huart, I, S. 66, J. Bury : History of the Later Roman Empire, London, 1931, Vol., I, P. 434.

واشترك النعمان أيضاً في الحرب التي وقعت بين الروم والفرس حوالي سنة (٥٠٢ للميلاد) ، اذ رجا منه قباذ أن يهاجم حدود الروم من جهة الجنوب ، فهاجمها في قطاع (حران) (Carrhae)^١ واصطدم بالقائدين (أولمبيوس) (Olympius) و (أوجينيوس) (Eugentius) فتغلبا عليه ، غير انه أعاد الكرة فتغلب عليها . وفي المعركة التي وقعت على مقربة من (قرقيسياء) (Circesium) على الخابور أصيب بجرح بليغ في رأسه فقضى عليه^٢ .

وفي أثناء غياب النعمان ومعظم جنوده عن الحيرة ، انتهب العرب الذين في بلاد الروم الملقبون بـ (بني ثعلبة) (طايوس ديت رومين د متقربن ديت ثعلبة)^٣ هذه الفرصة ، فأغاروا على عاصمته ، وأخذوا كل ما أمكنهم أخذه ، فاضطر من كان قد تخلف في الحيرة من جيش النعمان الى الفرار الى البادية^٤ . ويخيل اليّ ان ذلك كان على أثر إصابة الملك بجرحه المميت .

وتولى الحكم رجل من (آل نحم) اسمه (أبو يعفر بن علقمة بن مالك بن عدي بن الذميل بن ثور بن أسس بن ربي بن نمارة بن نحم) ، بعد النعمان^٥ . فهو من (ذميل) و (ذميل) بطن من بطون نحم^٦ . ولم يتحدث أصحاب الأخبار عن علاقة هذا الرجل بالأسرة المالكة ولا عن كيفية تعيينه والأسباب التي أدت الى اختياره لهذا المنصب ، وكل ما ذكرته انه حكم ثلاث سنين ، ثم انتقل الحكم من بعده الى المنذر بن امرئ القيس البدء ، وهو ذو القرنين ، وذلك في رواية للطبري عن ابن الكلبي^٧ .

أما حمزة الأصبهاني ، فجعل بعد أبي يعفر ابناً للنعمان الأعور سماه امرأ القيس ابن النعمان بن امرئ القيس . قال : انه هو الذي غزا بكرأ يوم (أواره) في دارها ، وكانوا أنصار بني آكل المرار وهزمهم . وكانت بكر قبله تقسم أود ملوك الحيرة وتعصدهم . ونسب اليه بناء حصن (الصنبر) زاعماً ان الذي بناه

Josua Stylites, 51, Rothstein, S. 74. ١

Josua Stylites, 57, Rothstein, S. 74. ٢

Rothstein, S. 74. ٣

Rothstein, S. 74. ٤

الطبري (٩٤/٢) ، (١٠٤/٢) ، (دار المعارف) . ٥

حمزة (ص ٦٩) . ٦

الطبري (٩٤/٢) ، (١٠٤/٢) ، (دار المعارف) . ٧

له هو البناء الرومي الشهير سنمار ، وانه هو الذي قتل ذلك البناء . وجعل مدة حكمه سبع سنين^١ ، وذلك في زمن قباد^٢ . وقال (حمزة) : وفيه قال المتلمس :

جزاني أخو لحم على ذات بيننا جزاء(سنمار)وما كان ذا ذنب^٣

وذكر حمزة ان حصن صنبر المذكور ، وهو من عمل (سنمار) ، هو الذي قال فيه أحد الشعراء :

ليت شعري متى تحبّ به الناقة نحو العذيب والصنبر^٤

ويعرف المنذر هذا عند أكثر الأخباريين بالمنذر بن امرئ القيس بن النعمان وب (ذي القرنين) وب (المنذر بن ماء السماء) وب (ابن ماء السماء) . وماء السماء هي أمه على زعمهم ، وهي : مارية ابنة عوف بن جشم بن هلال بن ربيعة بن زيد مائة بن عامر الضحيان بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط في رواية ابن الكلبي التي دوتها الطبري^٥ . وذكر حمزة نسب ماء السماء كما ذكره الطبري ، غير أنه جعل الاسم ماوية بدلاً من مارية^٦ ، ولا أراه إلا خطأ من النساخ في كتابة الاسم أدى الى هاتين الصورتين . وأما سبب تلقيبه بذئ القرنين ، فيقال إنه لقب بذلك لضفيرتين كانتا له من شعره ، فعرف بهما لذلك^٧ .

وتلقيب ابن الكلبي امرأ القيس والد المنذر بالبده هو خطأ ولا شك ، إذ لا يعقل أن يكون هذا المنذر ابناً لامرئ القيس البدء المتوفي سنة ٣٢٨ للميلاد . ويلاحظ أن الأخباريين لقبوا امرأ القيس الآخر الذي حكم بعد أوس بن قلام

-
- ١ حمزة (ص ٧٠) ، (وهو صاحب سنمار الذي قتله حين بنى له الحصن الذي يسمى الصنين) ، مفاتيح العلوم (ص ٦٩) .
 - ٢ حمزة (ص ٧٠) .
 - ٣ حمزة (ص ٧٠) .
 - ٤ حمزة (ص ٧٠) .
 - ٥ الطبري (٩٤/٢) ، الروض الأنف (٢٢/١) .
 - ٦ حمزة (ص ٧٠) (وكانت تسمى مارية) ، مفاتيح العلوم (ص ٦٩) .
 - ٧ الطبري (٩٤/٢) .

بالباء كذلك ، مع أنه مسبوق على حد قولهم بملك آخر اسمه هذا الاسم . فلا يجوز تلقيب صاحبنا هذا بإذن بالباء . ولا يجوز بالطبع تلقيب امرئ القيس الآخر الذي زعم انه والد المنذر بالباء أيضاً ، لأنه ثالث المراقبة في ترتيب اسماء الملوك بحسب رواية الأخباريين .

ولا نعلم شيئاً يذكر من أمر امرئ القيس والد المنذر ، فهم لم يشيروا إشارة صريحة الى أنه كان ملكاً . فهل هو امرؤ القيس بن النعمان الذي جعله حمزة ملكاً بعد أبي يعفر ؟ لا يستبعد أن يكون هو إن صحت رواية حمزة .

وبلاحظ أن المؤرخين البيزنطيين واللاتين قد أطلقوا على المنذر (Alamoundaros O Sacicus) و (Alamundarus O Sacices) ، و (Alamundarus O Secicis) وغير ذلك^١ ، مما يفهم منه أنهم قصدوا بـ (Sacicus) و (Secicis) (Sicices) وأمثال ذلك كلمة (شقيقة) (الشقيقة) العربية ، وأنهم ارادوا المنذر بن الشقيقة ، وهو هذا المنذر الذي نتحدث عنه في رأي المستشرقين ، لذلك ذهب بعض المستشرقين الى أن أم المنذر هي (الشقيقة) (شقيقة) ، وذهب آخرون الى أنها لم تكن امه ، وإنما قيل له ذلك لأنه كان من آل الشقيقة الشهيرة ، فعرف عند أولئك المؤرخين بأبن الشقيقة أو بالمنذر ابن الشقيقة كما دعي الملوك بعد المنذر ببني ماء السماء^٢ .

أما الأخباريون فقد جعلوا شقيقة أمماً للنعمان الأعور كما رأيت ، ولم يشيروا الى ملك اسمه المنذر واسم امه شقيقة ، فأيهما المصيب ؟ الأخباريون أم المؤرخون اليونان واللاتين والسرمان ؟ وهل نحن أمام ملك آخر اسمه المنذر بن الشقيقة حكم في أوائل القرن السادس للميلاد ؟

وذكر الأخباريون ان المنذر كان قد تزوج هنداً بنت آكل المزارع^٣ ، فولدت له أولاداً منهم عمرو بن هند الذي ولي الملك بعده ، وقابوس ، ثم تزوج أختها أمانة فولدت له ولداً اسمه عمرو وهو المقتول بوادي القضيبة^٤ .

١ Rothstein, S. 76.

٢ Rothstein, S. 76.

٣ الروض الأنف (٢٢/١) .

٤ البلدان (١١٨/٧) ، (وهو ابن مامة) ، الروض الأنف (٢٢/١) .

ويرى بعض الباحثين ان حكم (المنذر) كان في حوالي السنة (٥٠٨ م) ،
أو قبل ذلك بقليل في حوالي السنة (٥٠٦ م) . وأما انتهاء ملكه فكان في حوالي
السنة (٥٥٤ م)^١ .

وكان قباذ قد عقد صلحاً في عام (٥٠٦) للميلاد مع الروم بعد الحرب التي
استمرت من سنة (٥٠٢) حتى سنة (٥٠٦ م) ، غير ان هذا الصلح لم يدم
طويلاً . ففي سنة (٥١٨) للميلاد تجدد الخلاف بين الفرس والروم ، وذلك على
أثر مطالبة قباذ القيصر (جستينوس) (يوستينوس) (Justinus) الأول بدفع
الأتاوة التي اتفق في صلح (٥٠٦ م) على دفعها للفرس . وبناء على تباطؤ القيصر
في دفعها جرت قباذ المنذر على التحرش بحدود الروم ، وقام المنذر بغزوها في
سنة (٥١٩ م)^٢ .

لقد تمكن المنذر في بعض حروبه مع الروم من أسر قائدين هما (ديموستراتوس)
(تيموستراتوس) (Timostratus) (Demostratus) ويوحنا (Johannes)^٣ .
وأراد القيصر أن يفك أسر هذين القائدين ويعقد صلحاً وحلفاً بين الروم والمنذر ،
فأرسل - على ما يظهر - رسولاً خاصاً الى المنذر هو (ابراهيم) (Abraham)
والد الكاتب المؤرخ (نونوسوس) (Nonnosus) ، ومعه (شمعون الأرشامي)
(Symeon of Beth Arsham) و (سرجيوس) (Sergius) أسقف الرصافة
(بيت رصافة) . وقد وصل الوفد الى المنذر في السنة السادسة (السنة السابعة)
من حكم (جستينوس) (يوستينوس) الموافقة لسنة (٨٣٥) من التقويم السلوقي
ولسنة (٥٢٤) للميلاد^٤ . وكان المنذر آنئذ في البادية في موضع اسمه (رمله)
(الرملة) . وقد نجحت مهمته فيما يخص فك أسر القائدين .

و (سرجيوس) هو مؤلف القسم السرياني الخاص بشهداء العربية الجنوبية ،
أي شهداء نجران^٥ . وقد دوتت في عهد أسقفيته على الرصافة أسماء الشهداء على

J. B. Bury, II, P. 91. ١

Rothstein, S. 79. ٢

Rothstein, S. 80, Land, Anecd., III, 235. ٣

Kitab Al-Unvan, Histoire Universelle Ecrite, par Acapius ٤

(Mahbub), de Menbidj, Seconde Partie, II, P. 425.

Musil : Palmyrena, P. 267, Guidi : La Lettera di Simeone Vescova ٥

di Beth Arsham, P. 507.

الجدار الشمالي للكنيسة الكبرى ، كنيسة القديس سرجيوس^١ .
وصادف وصول وفد الروم الى المنذر وصول وفد آخر من اليمن أرسله ذونواس
الملك الشهير المعروف بتعذيبه نصارى نجران الى المنذر ليفاوضه على تعذيب من في
مملكته من النصارى . وقد دوّن (شمعون الأرشامي) قصة التعذيب هذه مدعياً
انه نقلها من الكتاب الذي قريء على الملك ومن أقوال من عرفه من الحاضرين ،
دوّنّها في صورة كتاب ليقرأ في الكنائس ويطلع عليه المؤمنون . وقد نشر هذا
الكتاب ، وطبعت ترجمته كذلك^٢ .

وذكر ان القيصر (جستينوس) (يوستينوس) (Justinus) كتب الى المنذر
ابن النعمان طالباً منه اخراج من في أرضه من القائلين بالطبيعة الواحدة^٣ . وقد
جادلهم في مجلس عقده بحضرة المنذر (شيلا) الجاثليق . فلما سمع هؤلاء بذلك ،
هرب بعضهم الى نجران واقاموا هناك . وكان من مؤيديهم الحجاج بن قيس
الحيري صاحب المنذر .

يظهر ان امل القيصر في عقد هدنة أو معاهدة مع المنذر لم يتحقق ، أو أنه
تحقق ولكن الى حين . فلما ساءت العلاقات بين الروم والفرس ، ووقعت الحرب
سنة (٥٢٨ م) بين الجانبين ، هاجم المنذر الروم مؤيداً الفرس ، وكان له أثر
خطير في هذه الحرب . وقد توغل في بلاد الشام ، وغنم منها غنائم كثيرة ،
ولكنه لم يبق فيها أمداً طويلاً ، فعاد مع جنوده سريعاً الى قاعدته كعادة سائر
الملوك بعد أن أشبع نفسه من غنائم الحرب^٤ .

ونجد المنذر يجدد هجومه على بلاد الشام ، بعد مدة قصيرة من هجمه الأول .
لقد هاجمها سنة (٥٢٩ م) وتوغل فيها حتى بلغ حدود أنطاكية ، وأحرق

١ Musil, Palmyrena, P. 265.

٢ Land : Anecd., 3, 235, Assemani : Bibl. Orient., I, 364.

٣ (يوستينيانس) ، (وفي هذه السنة وجه يوستينيانس وفدا الى المنذر ملك
العرب ليصالحه ، لانه كان غزا الروم وخرب وسباً . وكان سبب الفتنة بين
العرب والروم اضطهاد الملك يوستينيانس الآباء ، القائلين بالطبيعة الواحدة ،
لان النصارى العرب يومئذ انما كانوا يعتقدون اعتقاد اليعقوبية لا غير) .
ابن العبري . تاريخ مختصر الدول (ص ١٤٨) ، Histolre Nestorienne,

(Chronique de Seert), Seconde Partie, P. 143.

٤ Nöldeke :Sasa., II, Anm. 3, Malalas, II, 166, Rothstein, S. 81.

عدداً من المواضع ومنها موضع (خلقيدون) (خلقيدونية) (Chalcedon) .
وقد زعم بعض المؤرخين السريان أنه ضحى بأربع مئة راهبة للعزى^١ ، وهي
دعوى تحتاج بالطبع الى درس .

وقد عرض ابن العبري لتوغل المنذر في أرض الروم ، واستيلائه على أرضين
واسعة شملت كل منطقة الحدود ، ومنها أرض الحابور ونصيبين ، حتى بلغ
(حمص) (Emessa) و (أباميا) (فامية) (Apamea) وأنطاكية (Antioch)
زاعماً أنه قتل عدداً كبيراً من السكان ، وخرب أكثر تلك الأرضين ، ذاكراً
أنه اختار من بين الأسرى أربعمئة راهبة أخذهن لنفسه ، غير انه لم يذكر أنه
قدمهن قرباناً الى العزى^٢ .

وقد اضطر هذا الغزو القيصر (يوسطنيانوس) (Justinianus) الذي خلف
(يوسطينوس) الى نصب الحارث الجفني (فيلارخا) (فيلاركا) (Phylarch) ،
أي عاملاً على عرب بلاد الشام لحماية الحدود من اعتداءات المنذرو عرب العراق^٣ .
وقد عوّض قباز الخسارة التي لحقت به عند موضع (دارا) بربح ناله بواسطة
المنذر. لقد قام المنذر وأحد القواد الفرس بمهاجمة منطقة الفرات (Euphratesia)
وهي منطقة (قوماجين) (Commagene) ، فلما تصدى لها القائد (بليزارىوس)
(Belisarius) تراجعاً ، ثم التقيا به عند الرقة (Callinikos) فانتصرا عليه. وقد
كان ذلك في السنة الرابعة من حكم (يوسطنيانوس) (Justinianus) أي في سنة
(٥٣١ م)^٤ .

وقد اشترك الحارث بن جبلة في هذه الحرب مع الروم ، وأنيطت به حماية
الجانب الأيمن في القتال الذي اضطرهم مع الفرس . أما المنذر وجيشه ، فكان يكون
الجناح الأيسر لجيش الفرس ، أي الجناح المقابل لعرب الروم^٥ .

١ Malalas II, 166, Nöldeke : Ghass., II, Theophanes, 273.
Land : Anecd. Syr., III, P. 247, Rothstein, S. 81, Pauly-Wissowa,
Erster Band, 1893, S. 1281.
٢ Bar Hebraeus, 78, Nöldeke : Aufstätze, 112.
Rothstein, S. 81.
٣ Procopius, I, 17, 18, Rothstein, S. 81,
٤ Pauly-Wissowa, Erster Halbband, 1893, 1281.
٥ Musil : Palmyrena, P. 274, Procopius : De Bello, I, 17.

وعلى الرغم من الصلح الذي عقد في عام (٥٣٢ م) بين الفرس والروم ، لم ينقطع النزاع بين الحارث الجفني والمنذر بسبب اختلافهما على الاتاوة التي تجبي من أعراب الـ (Strata) ، أي المنطقة الواقعة في جنوب تدمر ، وهي منطقة رعي لا شجر فيها ولا زراعة . وقد زعم (بروكوبيوس) أن كسرى ، حرّض المنذر على التحرش بالحارث ، للاخلال بشروط الصلح ، وإيجاد سبب لتجديد الحرب ، وأن القيصر يوستينانوس (Justinianus) كلف رجلين من ثقافته وهما (ستراتيغيوس) (Strategius) ، وهو من أصحاب الخبرة والحنكة في الشؤون الإدارية ، و (سوموس) (Summus) وهو ممن قسادوا الجيوش في فلسطين ومن السفراء الذين سبق أن كلفوا القيام بمهمات سياسية فأرسل رسولا إلى نجاشي الحبشة وإلى ملك حمير (Homeritae) دراسة النزاع وإيجاد حلّ للمشكلة . فأشار (سوموس) على القيصر بعدم اجابة طلب المنذر وبالاحتفاظ بالأرض ، أما (ستراتيغيوس) ، فقد رأى ان الموضوع تافه وأن الأرض المتنازع عليها لا تستحق كل هذا الاهتمام . وقد مضى وقت طويل دون أن يجزم القيصر برأي^١ .

وفي هذه الأثناء ادعى كسرى ان القيصر قد أخل بشروط الصلح باتصاله بالمنذر (Alamoundarus) وبمحاولته التأثير عليه وجرة اليه . وبارسالة (سوموس) إلى المنذر مع كتاب خاص من القيصر يمنيه بالوعود وبمبالغ كبيرة من المال اذا انضم إلى الروم ، وبأمر أخرى اتخذها حجة لإعلان اخلال الروم بالصلح^٢ . وصار ينتهياً لحرب جديدة حتى تهيأت له الأسباب ، وذلك في عام (٥٤٠ م)^٣ .

وبعد مراسلات بين الفرس والروم دون بعضها (بروكوبيوس) ، وهي مراسلات جميلة نرىنا فن الدبلوماسية ومنطق الملوك في ذلك العهد ، هاجم الفرس الروم . وغزا الحارث أرض الجزيرة للوقوف على قوة الفرس ومقدرتهم^٤ ، وهاجم المنذر بلاد الشام فبلغ فينيقية ، وتوغل في مناطق واسعة من لبنان^٥ . وقد أشار الطبري إلى هذا النزاع الذي وقع بين المنذر والحارث بن جبلة ،

Procopius, II, I, Gibbon, II, P. 607, (The Modern Library). ١

Procopius, II, 12-15. ٢

Procopius, II, V, Vol. I, P. 295, (Dewing). ٣

Procopius, II, XVI, 4-6, II, XIX, 15-20. ٤

Procopius, II, XII, XIX, 32-46. ٥

في أثناء كلامه على الحبشة في اليمن وعلى دخول الفرس إليها، كما أشار الى المودعة والهدنة التي عقدت بين كسرى أنو شروان والقيصر ، وقد سماه (مخطيانوس) ، أي (جستنيان) (جستنيانوس) (Justinianus) ، فقال : « وكان فيها ذكر بين كسرى أنو شروان وبين مخطيانوس ملك الروم مودعة وهدنة. فوقع بين رجل من العرب كان ملكه مخطيانوس على عرب الشام يقال له خالد بن جبلة وبين رجل من لحم كان ملكه كسرى على ما بين عمان والبحرين واليامة الى الطائف وسائر الحجاز ومن فيها من العرب يقال له المنذر بن النعمان نائرة . فأغار خالد ابن جبلة على حيز المنذر ، فقتل من أصحابه مقتلة عظيمة وغنم أموالاً من أمواله فشكا ذلك المنذر الى كسرى وسأله الكتاب الى ملك الروم في انصافه من خالد ، فكتب كسرى الى مخطيانوس يذكر ما بينهما من العهد على الهدنة والصلح ويعلمه ما لقي المنذر عامله على العرب من خالد بن جبلة الذي ملكه على من في بلاده من العرب ، ويسأله أن يأمر خالداً أن يرد على المنذر ما غنم من حيزه وبلاده ويدفع اليه دية من قتل من عربها وينصف المنذر من خالد وان لا يستخف بما كتب به من ذلك فيكون انتقاص ما بينهما من العهد والهدنة بسببه . وواتر الكتب الى مخطيانوس في انصاف المنذر فلم يحفل بها . فاستعد كسرى فغزا بلاد مخطيانوس في بضعة وتسعين الف مقاتل فأخذ مدينة دارا ومدينة الرهاء ومدينة منبج ومدينة قنسرين ومدينة حلب ومدينة انطاكية وكانت أفضل مدينة بالشام ومدينة فامية ومدينة حمص ومدناً كثيرة متاخمة لهذه المدائن عنوة واحتوى على ما كان فيها من الأموال والعروض وسبي أهل مدينة انطاكية ونقلهم الى أرض السواد ^١ .

ويظهر من سياق هذه الرواية ان الطبري لم يكن على علم واضح بالمنذر بن النعمان ولا بخالد بن جبلة . وقد نقل روايته هذه من غير نقد ولا مناقشة . فالشخص الذي تخاصم المنذر معه هو الحارث بن جبلة ، لا خالد بن جبلة . وقد وهم المورد الذي نقل الطبري منه ، فظن انه خالد بن جبلة . وهو مورد يظهر كما يتبين من سياق الحديث انه اعتمد على كتاب من كتب التأريخ ، لعله من المؤلفات الفارسية أو السريانية، وقد نقل الدينوري منه أيضاً، فذكر خالد بن جبلة ^٢ .

١ الطبري (١٢١/٢ وما بعدها) ، (١٤٩/٢) ، (دار المعارف) .

٢ الأخبار الطوال (٧٠ وما بعدها) .

وفي رواية الطبري عن ملك المنذر مبالغة على ما يظهر ، فليس في الأخبار التي يرويها الأخباريون عن هذا الوقت رواية واحدة يفهم منها ان نفوذ الفرس قد شمل هذه الأرضين الواسعة الممتدة من الحجاز الى ساحل الخليج . وليس فيها خبر واحد يفهم منه ان ملك المنذر قد شمل الطائف وسائر الحجاز . ولو كان ملكه قد بلغ هذه البلاد لوعت ذلك ذاكرة أهل الأخبار شيئاً عنه ، اذ انه لم يكن بعيد عهد عن الاسلام .

ولم تنقطع المناوشات بين الحارث والمنذر ، بالرغم من الهدنة التي اتفق الفرس والروم على عقدها لمدة خمس سنوات وذلك في سنة (٥٤٥ م)^١ . فبعد مدة قصيرة من التوقيع عليها ، عادت نيران الحرب فاستعرت بين الحارث والمنذر من غير أن يتدخل الفرس أو الروم في هذا النزاع . وقد تمكن المنذر من مباغته أحد أبناء الحارث : وكان يكلء خيله في البادية ، فأسره ، وقدمه على ما يقوله بروكوبيوس ضحية الى العزى (Aphrodite)^٢ . وبعد أن جمع كل واحد منهما كل ما يملك من قوة ومن حديد ، اشتبكا في حرب جديدة انتصر فيها الحارث انتصاراً كبيراً ، وقتل عدداً كبيراً من جنود خصمه . فلما رأى ما حل به ، فرّ هو ومن بقي حياً من أتباعه ، تاركاً اثنين من أبنائه في جملة من وقع في الأسر^٣.

وقد تكون غارة قيس بن سلمة بن الحارث الكندي على الحيرة غارة انتقامية من المنذر لما أنزله بال كندة من خسائر. ويظهر أن قيساً قد باغت المنذر وفاجأه بغارة خاطفة اضطرتة الى الهزيمة والالتجاء الى الخورنق مع ابنه عمرو وقابوس . وبعد مضي عام على هذه الهزيمة ، انتقم المنذر لنفسه بغارة أعارها على كندة كلفت الكنديين اثني عشر أميراً من بني حجر بن عمرو وقعوا في أسره في مكان يسمى ذات الشقوق ، ثم أمر بعد ذلك بضرب أعناقهم في الجفر ، وهو الموضع الذي أطلق عليه لهذه الحادثة جفر الأملاك ، وهو موضع (دير بني مرينا) الذي أشير اليه في الشعر المنسوب لامرئ القيس^٤.

ويذكر أهل الأخبار أن الشاعر (امرأ القيس الكندي) كان في جملة من

Procopius, II, 28, 9-11. ١

Procopius, II, 28, 12-14. ٢

Procopius, II, 28, 13-14. ٣

شعراء النصرانية (ص ٤) . ٤

وقع أسيراً ، الا أنه افلت من الأسر ونجا بنفسه ، فقال شعراً يرثي به من قتل ، منه :

ملوك من بني عمرو بن حجر يساقون العشية يقتلوننا
فلو في يوم معركة أصيبوا ولكن في ديار بني مريسا
ولم تغسل جماجمهم بغسل ولكن في الدماء مرمّلتنا

فهو يتألم ويتأفف من سقوط قومه قتلى ، لا في حرب ولا في معركة ، ولكن في (ديار بني مريسا) ، فأية مصيبة أعظم من هذه المصيبة ؟ ملوك أحرار شجعان يقتلون في مثل هذه الديار .

وفي رواية أن الذين قتلوا من بني حجر آكل المزار في جفر الأملاك هم تسعة واستشهدت على ذلك بشعر للحارث بن حلزة جاء فيه :

وفديناهم بتسعة أملا ك كرام أسلابهم أغلاء^١

وأشير في قصيدة هذا الشاعر الى الجون . وهو جون آل بني الأوس ، وهو في شرح الزواة ملك من ملوك كندة ، وهو ابن قيس بن معديكرب . قالوا : وكان الجون جاء ليمنع بني آكل المزار ، ومعه كتيبة خشنة ، فحاربه بكر ، فهزموه ، وأخذوا بني الجون ، فجاءوا بهم الى المنذر ، فقتلهم^٢ .

وفي بعض الروايات أن المنذر توسط لعقد الصلح بين بكر وتغلب واشترط ان أي رجل وجد قتيلاً في دار قوم فهم ضامنون لدمه ، وإن وجد بين محلتين قيس ما بينهما ، فينظر أقربهما اليه ، فتضمن ذلك القتل . وأخذ من الفريقين رهناً بأحداً منهم ، فتي التوى أحد منهم بحق صاحبه أقاد من الرهن^٣ .

وفي عهد هذا الملك وقع (يوم طخفة) بحسب رواية بعض الأخباريين .

١ الأغاني (٤٨/١١) (طبعة دار الكتب المصرية) ، شرح المعلقات السبع للزوزني (دار صادر) (ص ١٦٦) .

٢ الأغاني (٤٨/١١) (طبعة دار الكتب) ، الزوزني ، شرح المعلقات السبع . (ص ١٦٥) (صادر) .

٣ الأغاني (٤٤/١١) (دار الكتب المصرية) .

ويذكر هؤلاء أنه وقع بسبب (الردافة) وقيل : (الرفادة) . فقد كانت ردافة ملوك الحيرة في (بني يربوع) ، وكانت لعتاب بن هرمي بن رياح بن يربوع في عهد (المنذر بن ماء السماء) . فلما توفي ، صارت الى ابنه (قيس ابن عتاب) (عوف بن عتاب الرياحي) بحكم الوارثة ، وكان حديث السن ، فأشار (حاجب بن زرارة) على الملك أن يجعلها لرجل كهل له سن وعقل ، وأشار عليه باختيار (الحارث بن بيبة المجاشعي) (الحارث بن مرثد بن سفيان ابن مجاشع)^١ ولما فاتح الملك (بني يربوع) برأيه هذا : غضبوا وأبوا ، وأصر الملك على رأيه ، والا حاربهم ، فأبوا واستعدوا للقتال ، وساروا الى موضع (طخفة) وتحصنوا به ، فأرسل المنذر في أثرهم جيشاً كبيراً من افناء الناس ، عليه حسان أخوه وقابوس ابنه وبعث معهم الصنائع والوضائع ، اشتبك مع (بني يربوع) في هذا المكان، وصبر بنو يربوع وثبتوا ، ثم أغاروا على جيش المنذر، فانهزم ووقع القتل فيه ، وانهزم قابوس ومن معه، وضرب طارق أبو عميرة (طارق ابن عميرة) فرس قابوس فعقره وأسره، وأراد أن يجز ناصيته ، فقال : إن الملوك لا تجز نواصيها ، وأسر حسناً بشر بن عمرو بن جوين^٢ ، فعاد المنهزمون الى المنذر، وكان المنذر قد احتبس (شهاب بن عبد (قيس) بن كياس اليربوعي) عنده. فلما رأى سوء العاقبة ، استدعاه ، فقال له : « يا شهاب ، أدرك ابني وأخي ، فان أدركتهما حين ، فلبن يربوع حكمهم ، وأردت عليهم ردافتهم ، وأترك لهم من قتلوا وما غنموا ، وأعطيهم ألفي بعير » ، فذهب الى قومه وأعادهما ، ووفى الملك بما قال . ونجد للأحوص وللفرزدق ولأم موسى الكلاية شعراً في هذا اليوم^٣ .

وفي عهد المنذر ، كان يوم (أواره الأول) على قول أهل الأخبار . وسببه

- ١ نهاية الأرب (٤١٣/١٥) . (٢٢ نهاية الأرب (٤١٣/١٥) ، الاشتقاق (١٤٧) ، ومنه طخفة لبني يربوع على قابوس بن المنذر بن ماء السماء) ، اللسان (٢١٣/٩) ، (دار صادر) (طخف) .
- ٢ نهاية الأرب (٤١٣/١٥) ، (بشر بن عمرو والرياحي) ، العمدة لابن رشيق (٢٠١/٢) .
- ٣ البلدان (٣٢/٦) ، النقائص (٦٦/١ ، ٢٨٥) ، (٩٢٤/٢) ، الأغاني (١٧٦/٣) ، ابن الأثير (٣٩٦/١) ، العقد الفريد (٣٥٩/٣) ، أيام العرب (٩٤) .

أن تغلب لما أخرجت (سلمة بن الحارث) عنها ، التجأ الى (بكر بن وائل)
ولما بلغ بكرأ أذعنت له تغلب ودانت لحكمه ، وقالت له : « لا يملكنا غيرك »
فأرسل اليهم (المنذر) يدعوهم الى طاعته ، فلم يجيبوه ، فحلف المنذر ليسيرن
اليهم فان ظفر بهم ذبحهم على قلة جبل أواره حتى يبلغ الدم الخضيف ، وسار
اليهم بمجموعه لير بقسمه ، والتقى بهم بأواره ، فهزمت بكر ، وأسر (يزيد
ابن شرحبيل الكندي) ، فأمر المنذر بقتله فقتل ، وقتل خلق كثير من بكر ،
وأمر المنذر بذبح الأسرى الرجال على قلة جبل أواره ، وباحراق النساء ، والى
ذلك أشار الأعشى بقوله :

سبايا بني شيان يوم أواره على النار إذ تجلى به فتياها^١

وختم عام (٥٥٤ م) هذا النزاع العنيف الذي أتعب الحارث والمنذر فاستراح
الجانبان ، ختم بسقوط المنذر بن النعمان (مونذر بر نعمن) (ملك العرب)
صرعاً بيد خصمه الحارث بن جبلة بعيداً عن عاصمته ملكه ، ففي منطقة قنسرين
على روايات المؤرخين السريان ، ففي السنة السابعة والعشرين من حكم القيصر
(يوسطيانوس) (جستنيان) (Justinianus) هاجم المنذر منطقة (Rhomaye)
التابعة لحكم الروم ، فنازله الحارث بن جبلة ، وتغلب عليه ، وقتله عند عين
(عودايا) (Wdaja) في منطقة قنسرين . وقد سقط في هذه المعركة أحد أبناء
الحارث ، فدفته أبوه في قلعة هذا الموضع^٢ .

و (عودايا) ، هو (العذبة) على رأي موسل ، وهو من مواضع منطقة
(بالميرينا) (Palmyrena) ، أي منطقة تدمر ، ومعظم هذه المنطقة هي من
أعمال قنسرين^٣ .

١ الأغاني (١٢٢/١) ، الكامل ، لابن الأثير (٢٥٩/١) ، العقد الفريد
(١٥٤/٣) ، العمدة لابن رشيقي (٢١٥/٢) وما بعدها ، المختصر في أخبار
البشر (١٠٠/١) ، مراصد ، (١٢٧/١) ، اللسان (٣٥/٤) ، البكري ،
معجم (٢٠٧/١) ، البلدان (٢٧٣/١) ، أيام العرب (٩٩) .
٢ أمراء غسان (ص ١٨) ،
Bar Hebraeus, 81, Vol., I, P. 76,

(The English Translation), London, 1932, Michael the Syrian,
Chronicle, Vol., 4, P. 323, Musil, Palmyrena, P. 144, Rothstein, S. 83.
Musil, Palmyrena, P. 144.

وقد فهم (أوليري) من رواية للمؤرخ (ثيوفانس) ان المنذر كان حياً حتى سنة (٥٦٢ م) ، وهي السنة التي عقد فيها الصلح بين الروم والفرس ، وفيها توفي^١ .

وقد ذكر (هارتمن) (Hartmann) ان المنذر هذا خارب في صفوف الرومان في أيام القيصر (طيباريوس الثاني) (Tiberius II) ، غير انه خافهم وغدر بهم في احدى المعارك التي قادها (موريقيوس) (Mauricius) ، فلما صار (موريقيوس) قيصراً قبض عليه ، ونفى معه زوجته وبعض أبنائه الى جزيرة صقلية^٢ . ولم يقل هذا القول أحد ، وانما قصد المورد الذي استند اليه هارتمن وهو (ابواكريوس) (Evagrius) منبراً آخر غير المنذر الذي نتحدث عنه^٣ .

وسبق لأوليري ان ظن هذا الظن ، فذكر ان المنذر حُدس إن في الفرس ضعفاً ، وذلك بسبب انقطاع الحروب مدة بين الفرس والروم ، فانضم الى الروم وصار حليفاً لهم ، وحارب معهم . فلما تبين لديه الأمر، عاد الى حلفائه القدامى الفرس . فلما وقع في احدى المعارك أسيراً في أيدي الروم، نفاه القيصر موريقيوس سنة (٥٨٠ م) ونفى معه زوجته وبعض أولاده الى صقلية^٤ . ومصدر وهما هو اعتمادهما على رواية للمؤرخين (ابواكريوس) (Evagrius) و (نيقيفورس كالستوس) (Nicephorus Callistus) من غير أن يحصاهما . فالمنذر المقصود في هذه الرواية ليس هذا المنذر ، وانما هو المنذر بن الحارث بن جبلة الذي نفى بعد أن اتهمه الروم باتصاله من طرف خفي بالفرس ، وانه كان السبب في اخفاق الحملة التي قادها (موريقيوس) يوم كان قائداً ، فلما صار قيصراً ، انتقم منه بالنفي .

أما الذي عليه أكثر الأخباريين فهو : ان قتل المنذر كان في عين أباغ في

١ O'Leary, P. 160, Theophanes, P. 203.

٢ Paulys-Wissowa, Erster Halbband, S. 1281.

٣ Evagrius Scholasticus, V, 20, VI, 2, Paulys-Wissowa, Erster Halbband, S. 1281.

٤ O'Leary, P. 160, Evagrius, Hist. Eccl., 5, 60, 6, 2; Nicephorus Callistus, 18, 10.

المعركة التي عرفت بـ (يوم عين أباغ)^١ . وعين أباغ بحسب وصف بعض الأخباريين واد من أودية العراق وراء الأنبار على الفرات بين الكوفة والرقعة ، لا يبعد كثيراً عن الحيرة^٢ . وسبب وقوع هذه المعركة على ما يقولونه ، هو أن المنذر بن ماء السماء سار من الحيرة في معد كلها حتى نزل بعين أباغ ، وأرسل إلى الحارث الأعرج بن جبلة : إما أن تعطيني الفدية فأصرف عنك بجنودي ، وإما أن تأذن بحرب . فأرسل إليه الحارث : أنظرنا نظرك في أمرنا . فجمع عساكره وسار نحو المنذر ، فلما التقى به في عين أباغ ، اقتتلا ، فقتل المنذر ، وقتل فيها ابنان للحارث . فسار الحارث بولديه القتيلين إلى الحيرة ، فأهبطها وأحرقها ودفن ابنه بها ثم عاد^٣ .

ويذكر أهل الأخبار أن (عين أباغ) كانت منازل (إيراد) ، وأن (أباغ) رجل من العمالقة نزل ذلك المكان فنسب إليه . وقد اختلفت الأقوال في (عين أباغ) فمنهم من جعلها موضعاً بين الكوفة والرقعة ، ومنهم من جعلها عين ماء ، ومنهم من ينكر . أنها عين ماء ، ويرى أنها واد وراء الأنبار على طريق الفرات إلى الشام . ومنهم من يجعلها في (ذات الخيار)^٤ .

ويظهر من تعليقات ابن الأثير على هذه المعركة أن من كان يرى أن اسم الملك الغساني الذي انتصر في هذا اليوم هو أبو شمر عمرو بن جبلة بن الحارث ابن حجر بن النعمان بن الحارث بن الأيهم بن الحارث بن مارية الغساني ، أو هو رجل من الأزدي تغلب على غيرهما . وقد رجح هو رواية من قال إنه الحارث

١ حمزة (ص ٧٠) ، ابن الأثير ، الكامل (٢٢٢/١) ، العقد الفريد (٣٧٤/٣) ، ديوان الحماسة (٣٤٦/٢) ، اللسان (٢٩٨/١٠) ، أيام العرب (٥١) .
٢ البلدان (٧٣/١) ، (٢٥١/٦) ، (٧٣/١) ، (طهران) ، البكري (٦٤/١) ، ابن دريد ، الاشتقاق (٢٠٩) ، الأغاني (١٩٨/٢٧) ، الحموي ، المشترك (٣١٩) ، اللسان (٤١٧/٨) .

Noldeke, Ghass., 18, Rothstein, S. 2, 38.

٣ ابن الأثير ، الكامل (٢٢٢/١ وما بعدها) ، (٣٢٠/١ وما بعدها) (المنيرية) . أبو الفداء ، المختصر (٩٧/١) ، ديوان النابغة (٧٤-) ، البلدان (٧٣/١) ، ابن خلدون (الجزء الثاني) ، القسم الثالث (ص ٥٤٢) ، (بيروت) ، (حتى نزل بعين أباغ في ذات الخيار) ، ابن الأثير ، الكامل (٣٢٠/١ وما بعدها) .
٤ أبو الفداء ، المختصر (٩٧/١) ، ديوان النابغة (٧٤) ، البلدان (٧٣/١) ، ابن خلدون (الجزء الثاني) ، القسم الثالث (ص ٥٤٢) ، (بيروت) ، (حتى نزل بعين أباغ في ذات الخيار) ، ابن الأثير ، الكامل (٣٢٠/١ وما بعدها) .

الأعرج بن جبلة ، وهي رواية أكثرية الأخباريين^١ . ويؤيد هذه الرواية روايات المؤرخين السريان الذين سمو اسم ملك عرب الشام ، فدعوه (حارث برجابالا) أي الحارث بن جبلة (حارث بن جبل) . ويلاحظ أن ابن العبري استعمل جملة (ملك العرب) للمندر^٢ . كما استعملها غيره من المؤرخين .

ويرى (ابن الأثير) : أن (الحارث) لما بلغ (عين أباغ) ارسل الى (المنذر) يقول : إنا شيخان هنا ، فلا تهلك جنودي وجنودك ، ولكن ليخرج رجل من ولدك ، وليخرج رجل من ولدي ، فمن قتل خرج عوضه . فإذا فني أولادك وأولادي خرجت أنا اليك ، ومن قتل صاحبه ذهب بالملك . فتعاهدا على ذلك . فعهد المنذر الى رجل من شجعانه ، فأمره ان يخرج ، ويظهر أنه ابن المنذر . فلما خرج ، اخراج اليه الحارث ابنه (ابا بكر) . فلما رآه ، رجع الى أبيه ، وقال : إن هذا ليس بابن المنذر ، انما هو عبده او بعض شجعانه . فقال له الحارث : يا بني ، أجزعت من الموت ؟ فعاد اليه وقاتله ، فقتله الفارس ، فألقى رأسه بين يدي المنذر . وعاد فأمر الحارث ابنه الآخر بقتاله والطلب بشأه أخيه ، فخرج اليه ، فشد عليه الفارس وقتله . فلما رأى ذلك (شمر بن عمرو الحنفي) ، وكانت أمه غسانية ، وهو مع المنذر ، غضب ، وقال للمندر . أيها الملك ، إن الغدر ليس من شيم الملوك ولا الكرام ، وقد غدرت بابن عمك . فغضب المنذر . وهرب (شمر) الى الحارث فأخبره . فلما كان الغد ، أرسل الحارث اصحابه ، وحرضهم ، وكانوا اربعين ألفاً ، واصطفوا للقتال ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وقتل المنذر وهزمت جيوشه . فأمر الحارث بابنيه القتيلين فحملا على بعير ، وسار الى الحيرة فانتهبها وأحرقها ، ودفن ابنيه بها ، وبني الغريين عليهما في قول بعضهم^٣ . والمعروف ان الذي بنى الغريين هو النعمان بن المنذر فوق قبري نديمه .

واشار حمزة ايضاً إلى اختلاف الرواة في القاتل والمقتول في يوم عين اباغ ،

١ ابن الأثير (٢٢٢/١) .

٢ مختصر تاريخ الدول (ص ١٤٨) ، (بيروت ١٨٩٠) ،

Bar Hebraeus, 81, Vol., I, P. 76.

٣ الكامل (١/٣٢٠ وما بعدها) ، العقد الفريد (٣/٣٧٤) ،

فقال : وقتله الحارث الأعرج ، وهو الحارث الوهاب الجفني يوم عين اباغ . وهو اليوم الذي قيل فيه ما يوم حليلة بسر . وفي كتاب المعارف : أن الذي قتله الحارث الأعرج في يوم حليلة هو المنذر بن امرئ القيس . وكان يوم عين اباغ بعد يوم حليلة . والمقتول في يوم عين اباغ المنذر بن المنذر . وكان خرج يطلب بدم ابيه . فقتله الحارث الأعرج ايضاً . وقد سمعنا ان قاتله مرة بن كلثوم أخو عمرو بن كلثوم التغلبي ^١ .

وقد ذكر (ابن قتيبة) في (كتاب المعارف) ان الحارث بن ابي شمر الغساني ، وهو الحارث الأعرج ، هو الذي قتل المنذر بن امرئ القيس ، قتله ب (الخيار ^٢) . ويظهر من خبره هذا ان قتل المنذر انما كان ب (الخيار) ، لا في (يوم حليلة) ، وأن (الخيار) او (الخيار) موضع اقرب ما يكون الى الحيرة منه الى بلاد الشام .

وهناك رواية أخرى عن مقتل المنذر بن ماء السماء نجدها مدونة في الأغاني ، لم تشر الى عين اباغ ولا الى يوم حليلة ، او ذات الخيار ، خلاصتها . ان شمر ابن عمرو الحنفي احد بني سحيم هو الذي قتل المنذر بن ماء السماء ، قتله غيلة لما حارب الحارث بن جبلة الغساني ، فبعث الى المنذر بمئة غلام تحت لواء شمر هذا ، يسأله الامان على ان يخرج له عن ملكه ، ويكون له من قبله . فركن المنذر الى ذلك ، وأقام الغلمان معه ، فاغتاله شمر بن عمرو الحنفي ، فقتله غيلة . وتفرق معه من كان مع المنذر ، وانتهبوا عسكره ^٣ . وذكر (ابن دريد) ان قاتل المنذر الاكبر ، وهو جدّ النعمان بن المنذر ، يوم عين اباغ ، هو (شمر بن يزيد) ، وهو من (بني حنيفة) ، وكان في جند الملك الغساني ^٤ .

وتحدث (ابن خلدون) عن (يوم عين اباغ) ، فقال : « كان جبلة بن النعمان صاحب يوم عين اباغ ، يوم كانت الهزيمة له على المنذر بن ماء السماء . وقتل المنذر في ذلك اليوم » ^٥ . ولكننا نجده يقول في موضع آخر : « عمرو بن

١ حمزة (ص ٧٠) .

٢ المعارف (ص ٢٨٣) (طبعة محمد اسماعيل عبد الله الصاوي) .

٣ الأغاني (٤٦/١١) (دار الكتب المصرية) ، العقد الفريد (٦٦/٢) ، الاشتقاق (٢٠٩) ، البكري (٦٤/١) .

٤ الاشتقاق (٢٠٩/٢) .

٥ ابن خلدون ، الجزء الثاني ، القسم الثالث (ص ٥٨٦) (بيروت) .

عمرو بن عبد الله بن عبد العزيز ؛ قاتل المنذر بن ماء السماء في يوم عين اباغ^١ .
وذكر ان (عمراً) هذا هو ابن عم (علي بن ثمامة بن عمرو بن عبد العزيز بن
سحيم بن مرة) وهو الذي توجه كسرى^٢ . وقد ذكر ان (جبلة بن النعمان) ،
صاحب يوم عين اباغ ، كان منزله بصفين .

وفي رواية اخرى ان (حليلة) كانت قد اخرجت خلوقاً ، فخلقت به الفتيان .
ولما خلقت احدهم ، واسمه (لييد بن عمرو) ، دنا منها فقبلها ، فلطمته وبكت ،
فأمسكها ابوها ، ثم ذهب من ذهب وفيهم (شمر بن عمرو الحنفي) وكانت امه
من غسان ، الى (المنذر) متظاهرين انهم جاؤوا اليه ليخبروه ان الحارث يدين
للمنذر ، وهو يريد ان يعطيه حاجته ، فتباشر اهل عسكر المنذر ، وغفلوا بعض
غفلة ، فحمل الغلمان على المنذر وقتلوه ، فقتل : (ليس يوم حليلة بسر) ،
فذهب مثلاً^٣ .

وذكر (ابن قتيبة) ان « الحارث بن ابي شمر الغساني ، وهو الأعرج وجه
الى المنذر بن ماء السماء مئة فارس ، فيهم الشاعر (لييد بن ربيعة) ، وأمره
عليهم ، فصاروا الى عسكر المنذر ، وأظهروا انهم أتوه داخلين في طاعته ، فلما
تمكنوا منه قتلوه وركبوا خيلهم فقتل اكثرهم ونجا لييد ، حتى اتى ملك غسان ،
فأخبره الخبر ، فحمل الغسانيون على عسكر المنذر فهزموهم . وهو يوم حليلة .
وكانت حليلة بنت ملك غسان . وكانت طيبت هؤلاء الفتيان حين توجهوا وألبستهم
الأكفان والدروع وبرانس الأضرع^٤ .

وقد جعل بعض الاخباريين عين اباغ (ذات الحيار)^٥ ، ويفيد قولهم هذا
ان عين اباغ هو موضع يقع في منطقة تسمى ذات الحيار (الحيار) ، ويرى
(تولدكه) ان موضع (الحياران) الوارد في معلقة (الحارث) هو انضاً هذا

١ المصدر نفسه (ص ٦٢٦) .

٢ المصدر نفسه .

٣ الميداني ، مجمع الامثال (٢/٢٩٥ وما بعدها) .

٤ الشعر والشعراء (ص ١٤٨) ، (طبعة ليدن) .

٥ ابن الاثير (٢٢٢/١) .

المكان^١ . وللتثبت من هذا القول ، لا بد من الوقوف على موضع ذات الحيار (الحيار) و (الحياران) . وقد ذكر ياقوت الحموي ان الحيار صقع من بركة قنسرين ، كان الوليد بن عبد الملك اقطعه لتمعقاع بن خليلد بينه وبين حلب يومان^٢ . وهذا الوصف لموقع الحيار ينطبق على ما رواه المؤرخون السريان عن موضع مقتل المنذر كما يوافق رأي من جعل عين اباغ ذات الحيار .

ومن ذهب هذا المذهب ، (ابو الفداء) ، فقال في حديثه عن (يوم عين اباغ) . « ومن ايام العرب يوم عين اباغ ، وكان بين غسان ولحم ، وكان قائد غسان الحارث الذي طلب أذراع امرئ القيس ، وقيل : غيره . وكان قائد لحم المنذر بن ماء السماء . وقتل المنذر في هذا اليوم ، وانهمز لحم ، وتبعهم غسان الى الحيرة ، وأكثروا بينهم القتل . وعين اباغ في موضع يقال له . ذات الحيار »^٣ .

وذكر ابن عبد ربه المتوفي سنة ٣٢٨ هـ ان القتييل في يوم عين اباغ هو المنذر ابن ماء السماء ، وهو الذي تولى ملك الحيرة بعد قابوس وقبل النعمان بن المنذر ، الذي قربه (غدي بن زيد العبادي) الى كسرى . واما القاتل ، فهو الحارث الغساني^٤ . ومرد امثال هذا الاختلاف في اسماء الملوك في الروايات ، الى تشابه الاسماء اذ يصعب على الرواة ، وهم يعتمدون في رواياتهم على الحفظ ، ان يميزوا بعد مدة بين امثال هذه الاسماء ، فيحدث لهم مثل هذا الاضطراب .

ونجد هذا الرأي عند (النويري) كذلك ، اذ جعله ايضاً والد (النعمان) الملك الاخير من ملوك الحيرة . والذي قتله كسرى كما سنرى فيما بعد^٥ . والنويري هو عيال على (ابن عبد ربه) في كثير من الاخبار ، ولا سيما اخبار الايام .

١ وهو الرب . والشهيد على يوم الحيارين والبلد بلاد .

المعلقة . البيت ٨٢ ، شرح الزوزني (ص ١٦٩) ،

٢ البلدان (٣٧٥/٣) .

٣ المختصر في تاريخ البشر (٩٧/١) (بيروت) .

٤ العقد الفريد (١١٠/٦) ، (٢٦٠/٥) (لجنة التأليف والترجمة والنشر ،

١٩٤٦ م) .

٥ نهاية الأرب (٤٣٠/١) وما بعدها .

ويتبين من غربلة الأخبار الواردة عن (يوم أباغ) ، (يوم عين أباغ) ان من الأخباريين من يرى ان يوم عين أباغ ويوم حليلة ، هما يوم واحد، ولا فرق بينهما ، وقالوا انما عرف ذلك اليوم بـ (يوم حليلة) ، لبروز اسم (حليلة) فيه ، وهي بنت ملك غسان ، تخلق المحاربين وتحثهم على القتال . وان من الأخباريين من جعل (يوم حليلة) يوماً آخر مغايراً ليوم عين أباغ، ثم اختلفوا فيه ، فمنهم من جعله قبل يوم عين أباغ ، ومنهم من جعله بعده . وقد ذكروا انه كان يوماً عظيماً ، اشترك فيه عدد كبير من المقاتلين ، (وعظم الغبار حتى قيل : ان الشمس قد أُنحِبت وظهرت الكواكب المتباعدة من مطلع الشمس)^١. وهذا مما يدل على اشتراك عدد كبير من المقاتلين فيه . ومن ذهب الى ان (يوم حليلة) هو يوم آخر (ابن الأثير) ، وقد جعله بعد (يوم عين أباغ) . وقال : انه وقع في موضع يعرف بـ (مرج حليلة) ، وسببه ان المنذر لما قتل أراد ابنه (الأسود) الأخذ بالثأر ، فسار في جيش لجب ، والتقى بجيش (الحارث) في (مرج حليلة) . ولما طال الحرب ، أمر الحارث ابنته (هند) بأن تخلق فتيان غسان ، ونادى فتيان غسان : من قتل ملك الحيرة زوجته ابنتي هند . فقال لبيد بن عمرو الغساني لأبيه : يا أباي أنا قاتل ملك الحيرة أو مقتول ، ثم ركب فرسه ، وشد على الأسود ، فقتله ، وانهزمت لحم ثانية ، وقتلوا في كل وجه . وانصرف غسان بأحسن ظفر في تفاصيل أخرى لا مجال لشرحها هنا^٢ .

فيتبين من خبر (ابن الأثير) هذا ان الموضع الذي وقع فيه القتال اسمه (مرج حليلة) ، وان اسم ابنة الحارث هو (هند) لا حليلة ، وان المقتول فيه هو (الأسود) لا المنذر ، وان هذا اليوم قد وقع بعد (يوم عين أباغ) .

وفي رواية ان الغساسنة تمكنوا في المعركة التي سقط فيها المنذر من أسر أحد أبنائه وهو امرؤ القيس ، وبقي في أسرهم الى أن أغارت بكر بن وائل على بعض بوادي الشام ، فقتلوا ملكاً من ملوك غسان ، واستنقلوا امرأ القيس بن المنذر ، وأخذ عمرو بن هند بنتاً لذلك الملك يقال لها ميسون^٣ . وقد ذهب (كوسان دي برسفال) الى أن هذه الغارة كانت بقيادة أحد أبناء المنذر القليل ، وانها

١ البلدان (٣٢٥/٢ وما بعدها) ، أبو الفداء ، المختصر (٩٧/١) .

٢ الكامل (٣٢٠/١) وما بعدها .

٣ الأغاني (٤٨/١١) .

كانت غارة انتقامية وقعت بعد المعركة التي سقط فيها ابن ماء السماء^١ .
وقد أشار الحارث بن حنظلة الى ذلك في شعره مفتخراً :

وفككنا غل امرئ القيس عنه بعد ما طال حبسه والعناء

وقد زعم الشراح أن امرأ القيس هذا كان معروفاً بماء السماء^٢ أما الملك
الغساني القتيل ، فلم يسيروا الى اسمه ، وأشك في الذي رواه الأخباريون من أنه
كان ملكاً . وأرى احتمال كونه أحد أبناء الملوك . واستعمال جملة (رب غسان) ،
هي من باب التفضيم للعمل الذي قامت به بكر .

وذكر بعض الرواة أن حجراً الكندي ، وهو في نظرهم حجر بن أم قظام ،
غزا امرأ القيس هذا ، وكانت مع حجر جموع كثيرة من كندة ، غير أن بكراً
التي كانت مع امرئ القيس قاتلته ، وقتلت جنوده^٣ .

وذهب بعض الأخباريين الى أن مقتل المنذر بن ماء السماء هو في يوم حليلة ،
قتله الحارث بن أبي شمر الغساني . وسبب تسمية ذلك اليوم بيوم حليلة أن حليلة
ابنة الحارث كانت تخلق قومها وتحرضهم على القتال في ذلك اليوم . وذهب آخرون
الى أنه موضع^٤ .

وفي رواية تنسب الى ابن الأعرابي أن بني تغلب حاربوا المنذر بن ماء السماء ،
ولكنهم غلبوا على أمرهم ، فلحقوا بالشأم خوفاً منه . وبقوا هناك ، ففرّ بهم
عمرو بن أبي حجر الغساني في رواية ، أو الحارث بن أبي شمر الغساني في
رواية أخرى ، فلم يستقبلوه ، فانزعج من ذلك ، وتوعدهم ، وأن عمرو بن
كلثوم نهاه عن ذلك^٥ .

وقد روى بعض أهل الأخبار أبياتاً من الشعر ، زعموا أن ابنة المنذر قاتلتها
في رثاء والدها ، ففي جملتها :

Caussin, Essai, II, 116.

١ الأغاني (٤٨/١١) وما بعدها (دار الكتب المصرية) .
٢ الأغاني (٤٩/١١) (دار الكتب المصرية) .
٣ البلدان (٣٢٠/٣) ، الكامل ، لابن الأثير (٣٢٦/١) وما بعدها .
٤ الأغاني (٥٧/١١) وما بعدها .

وقالوا : فازساً منكم قتلنا ، فقلنا : الرمح يكلف بالكريم
بعين أباغ قاسمتنا المنايا فكان قسيمها خير القسم

وينسب الى المنذر بناء الغريين في بعض الروايات ، وكان السبب في ذلك كما
يقول الأخباريون أنه كان له نديمان من بني أسد يقال لأحدهما خالد بن نضلة
(مضلل) (خالداً بن المضلل) والآخر عمرو بن مسعود (عمرو بن مسعود
الأسدي) ، فتملا ، فراجعا الملك ليلة في بعض كلامه ، فأمر وهو سكران
فحفر لهما حفيرتان فدفنا حين . فلما أصبح استدعاها ، فأخبر بالذي أمضاه فيهما ،
فغمه ذلك ، وقصد حفرتهما ، وأمر ببناء طربالين عليهما ، وهما صومعتان .
فقال المنذر : ما أنا بملك إن خالف الناس أمري . لا يمر أحد من وفود العرب
إلا بينهما ، وجعل لهما في السنة يوم يؤس ويوم نعيم ، يذبح في يوم يؤسه كل
من يلقاه ويغري بدمه الطربالين ، ويحسن في نعيمه الى كل من يلقى من الناس
ويحملهم ويخلع عليهم . وقد ظل المنذر على عادته هذه الى أن حدث له حادث ،
أظهر فيه رجل ظهر يوم يؤسه وفاءً عظيماً ، فعفا عنه ، وترك تلك العادة وتنصر .
وكان الرجل الذي برّ بوعده فحضر بعد عام ليأخذه سيف الجلال نصرانياً ، ولذلك
تنصر المنذر . وذكروا أنه لم يكن يتورع من ذبح أعز الناس عليه اذا ظهر له
يوم يؤسه . فلما ظهر الشاعر الشهير عبيد بن الأبرص الأسدي ، لم ينجسه شعره
من مصير ذلك اليوم^١ . وذكروا أن الرجل كاد يسلمه سوء طالعه الى يد الجلال ،
هو حنظلة الطائي ، وأنه ترهب بعد هذا وابتنى ديراً له هو الدير المعروف بدير
حنظلة . وأما الذي كفّل ذلك الرجل حتى يعود بعد عام ، فرجل من أشرف
القوم هو شريك بن عمرو . وذكروا أيضاً أن حنظلة هذا هو عم أبياس بن قبيصة
الطائي ملك الحيرة^٢ .

١ اللسان (٤١٧/٨) (بيروت) .

٢ البلدان (٢٨٣/٦ وما بعدها) ، الأغاني (٢١٣/٥) (دار الكتب المصرية) ،
البكري ، معجم (ص ٦٩٤) . (طبعة ليدن) ، ابن قتيبة . الشعر (ص ١٤٤) ،
الأغاني (٨٦/١٩) ، القالسي . الامالي (١٩٥/٣) ، (طبعة دار الكتب
المصرية) ، ابن هشام (٤٠١/١) ، شرح قصيدة ابن عبدون (١٣٢) ، شعراء
النصرانية (ص ٦٠٠) ، الحور العين ، للحميري (ص ٧٦) ، رسالة الغفران
(١٨٢) ، طبقات ابن سلام (٣١) .

٣ شعراء النصرانية (ص ٨٩) .

وورد في بعض الروايات أن (المنذر بن ماء السماء) ، خرج في يوم يؤسه ، وكان يوماً يركب فيه فلا يلقي أحداً إلا قتله ، فلقي في ذلك اليوم (جابر بن رآلان) أحد (بني ثعل) ومعه صاحبان ، فأخذتهم الخيل بالثوبة ، فأثنى المنذر فقال : اقترعوا ، فأبكم قرع ، خلعت سبيله ، وقلت الباقي . فاقترعوا ، فقرعهم جابر ، فخلت سبيله ، وقتل صاحبيه ، فلما رأهما يقادان ليقتلا ، قال عزّ بَرّ . ورووا في ذلك شعراً نسبوه إلى جابر .

ومن الأخبار من نسب بناء الغرين إلى النعمان الثالث ، ومنهم من نسبهما إلى جدمة ، وذهب آخرون إلى نسبة الغري إلى الحارث الغساني . ويرينا هذا الاختلاف مبلغ جهلهم بأصل الغرين .

وقد ذكر (النويري) أن الغرين أسطوانتان كانتا بظاهر الكوفة ، بناهما (النعمان بن المنذر بن ماء السماء) على جاريتين كانتا قيتين تغنيان بين يديه ، فأتتا ، فأمر بدفنهما ، وبني عليهما الغرين . وذكر أيضاً أن « المنذر غزا الحارث ابن أبي شمر الغساني ، وكان بينهما وقعة عين أباغ ، وهي من أيام العرب المشهورة ، فقتل للحارث ولدان ، وقتل المنذر ، وانهمزت جيوشه ، فأخذ الحارث ولديه وجعلها عدلين على بعير ، وجعل المنذر فوقهما ، وقال : ما العلاوة بدون العدلين ؟ فذهبت مثلاً ، ثم رحل إلى الحيرة ، فأنتهبها وحرقها ، ودفن ابنه بها ، وبني الغرين عليهما » . وقد ذكر أن (المنصور) أمر بهدم أحدهما ، لكن تروهم أنه تحتها ، فلم يجد شيئاً .

وهذا الذي يرويه أهل الأخبار عن سبب بناء الغرين ، هو من القصص الذي ألفناه ، وعوّذنا أصحاب الأخبار سماعه ، فلا قيمة تاريخية له في نظرنا ، وإن أكد لنا الأخباريون أو حاولوا التأكيد بأنه حق ، وإنه أمر مسلم به وشائع معروف ، وإن عبيداً لقي حتفه لظهوره يوم يؤس المنذر أو النعمان . وقد يكون ذلك مسلماً به عندهم ، غير أننا لسنا من السذاجة بحيث نصدق بأشكال هذا القصص لمجرد أنه شائع معروف ، فليس كل شائع معروف أمراً صحيحاً يجب الأخذ به .

١ الفخر (ص ٧٣) .

٢ Rothstein, S. 140.

٣ نهاية الأرب (٣٨٧/١) .

ونحن لا نريد أن ننكر وجود الغريين ، فليس الى نكرانها أو نكران (الغري) من سبيل . ولكننا كما قلت ننكر هذا القصص الذي يرويه الأخباريون عن هذين الغريين ، لأنه قصص نشأ كما نشأ أمثاله عن جهل الناس أو أهل الأخبار بأصول الأشياء ، فلما احتاجوا الى معرفة الأسباب ، أوجدت لهم مواهبهم هذا القصص الطريف ، وهو أمر لم يتفرد به زمان دون زمان ، فزال الناس يتدعون قصصاً ثم يروونه ، ويتناقلونه على انه شائع صحيح ، مع ان تأريخ ابتداعه لا يبعد عن زماننا بكثير ، وأهل الحلي بهذا القصص عارفون .

أما ان الغريين حفرتان دفن في كل حفرة منهما رجل حي، لأنه عريد وسكر، وتحدث بكلام غاظ الملك ، وما أشبه ذلك من قصص ، فأمر لا نستطيع أن نقف منه موقفاً إيجابياً ، ولا نسلّم به . ففيه شيء من أثر الصنعة والتكلف . ولكننا نستطيع أن نقول ان الغري أو الغريين من المواضيع التي كانت لها صلة بعبادة الأوثان، ومن الجائز انهما كانا مخصصين لتقديم الذبائح والقرايين في المواسم الدينية وفي الأعياد . وقد عرفت مثل هذه العادات عند شعوب أخرى ، فكانت تهرق دماء الذبائح عند الأنصاب ثم تطلّى بها . وما الغريان الا نصبان من هذه الأنصاب . على ان الأخباريين أنفسهم قد ذكروا ان الغري نصب كان يذبح عليه العتائر ، كما ذكروا ان الغريين كانا طربالين ، والطربال صومعة على رأي ، وشيء مرتفع عند الأكثرين^١ . فلا يستبعد أن يكون الغريان موضعين من مواضع ذبح القرايين للأصنام .

ويذكر أهل الأخبار أن (شريك بن مطر) ، وهو جد (معن بن زائدة) ، كان من أكبر الناس عند المنذر . وكان له ولد اسمه (الحارث) ويلقب بـ (الخوفزان) وهو من بني (شيبان)^٢ .

١ البلدان (٢٨٢/٦) .
٢ الاشتقاق (ص ٢١٥) .

الفصل الثامن والثلاثون

عمرو بن هند

والذي خلف المنذر على ملك الحيرة بعد وفاته، هو ابنه عمرو بن هند المعروف بـ (مضطرب الحجارة) ، وهو لقب يشير بالطبع الى قوة ابن هند وشدة بأسه، وقد عرف عمرو بأمه (هند بنت عمرو بن حجر الكندي آكل المرار) ، فهو كندي من جهة أمه ، وعرف أيضاً بـ (محرق الثاني) على رواية حمزة^١ ، وبـ (المحرق) في رواية لغيره^٢ . وقد كان له من الأشقاء من أمه : قابوس والمنذر .

ويرى بعض الباحثين احتمال كون (هند) من (آل غسان) ، واليهما ينسب دير هند . ويرى أن حكم ابنها عمرو كان فيما بين السنة (٥٥٤) والسنة (٥٦٩ م)^٣ . وزعم ابن الأثير أن الذي تولى الملك بعد المنذر بن ماء السماء هو ابنه المنذر ابن المنذر بن ماء السماء المعروف بـ (الأسود) ، وأنه لما استقر الأسود وثبت قدمه جمع عساكره وسار الى الحارث الأعرج طالباً بثأر أبيه ، ونزل برج حليلة. ووصل الحارث الى هذا الموضع كذلك ، واقتتل الطرفان أياماً ولم ينتهيا الى

١ حمزة (ص ٧٢) ، معجم الشعراء (ص ٢٠٥ وما بعدها) ، مفاتيح العلوم (٦٩) .
٢ شرح ديوان لبيد (ص ٢٦٣) .

نتيجة . فلما رأى الحارث طول الوقت، نادى في فتيان غسان : « يا فتيان غسان، من قتل ملك الحيرة زوجته ابنتي هنداً » . فلما سمع ذلك ليبد بن عمرو الغساني، شدّ على الأسود فقتله ، وانهزم أصحابه ، فترل ليبد واحترز رأس الأسود، وأقبل به الى الحارث ، فألقى الرأس بين يديه ، فوافق الحارث على اعطاء ليبد ابنته ، ثم إن ليبداً انصرف ليواسي أصحابه ، فرأى أخاً للأسود يقاتل الناس ، فتقدم ليبد فقاتل فقتل ، ولم يقتل في هذه الحرب بعد تلك الهزيمة غيره . وانهزمت لحم ثانية ، وكثر فيها القتل . وذكر الأخباريون أن هذا اليوم هو من أيام العرب الكبرى إذ سار الأسود بجمع من عنده من عرب العراق ، وأقبل الحارث بجمع من كان عنده من عرب الشام . فجعلت هذه الرواية بعد المنذر ابنه المنذر الأسود وجعلته صاحب مرج حليلة^١ .

وتذكر رواية ان جيش الحارث الأعرج بن جبلة أسر كثيراً ممن كان مع المنذر من العرب ، وفيهم مئة من تميم ، فيهم شأس بن عبدة . ولما سمع أخوه علقمة ، وفد الى الحارث مستشفعاً وأنشده قصيدة مدح طويلة ، فنّ عليه، وأطلق له الأسرى من تميم ، وكساه وجباه^٢ .

وهناك رواية أخرى عن مقتل المنذر بن المنذر ، خلاصتها : ان الحارث بن أبي شمر جبلة بن الحارث الأعرج خطب الى المنذر ابنته هنداً ، وقصد انقطاع الحرب بين لحم وغسان فوافق المنذر على ذلك . غير ان هنداً أبت عليه ذلك ، فحقّد الحارث على آل لحم . فلما خرج المنذر غازياً ، بعث الحارث جيشاً الى الحيرة ، فانتهبها وأحرقها ، فانصرف المنذر عن غزاته وسار يريد غسان . وبلغ الخبر الحارث ، فجمع أصحابه وقومه ، فسار بهم ، فتوافقوا في عين أباغ . فاصطفوا للقتال ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، وحملت ميمنة المنذر على ميسرة الحارث وفيها ابنه ، فقتلوه وانهزمت الميسرة . وحملت ميمنة الحارث على ميسرة المنذر ، فانهزم من بها وقتل مقدمها (فروة بن مسعود بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل ابن شيبان) ، وحملت غسان من القلب على المنذر فقتلوه ، وانهزم أصحابه في كل وجه ، وقتل منهم خلق كثير ، منهم ناس من بني تميم ، ومن بني حنظلة ،

١ ابن الأثير (٢٢٣/١ وما بعدها ، ٢٢٥) ، البلدان (٣/٣٣٠) .

٢ أيام العرب (٥٥ وما بعدها) .

ووقع عددٌ في الأسر ، ومن هؤلاء الأسرى : (شأس بن عبدة) شقيق علقمة ابن عبدة من شعراء الجاهلية المعروفين . فالقتيل في هذه المعركة وعلى هذه الرواية اذن هو المنذر بن المنذر بن ماء السماء ، لا المنذر بن ماء السماء .

وقد تشكى ابن الأثير كما تشكى قبله حمزة من اختلاف الأخباريين في الروايات ، ومن تضارب الروايات بعضها ببعض ، ومن تقديم الأيام وتأخيرها ، وفي الشخص المقتول ، فذكر ان من الأخباريين من يقول ان يوم حليلة هو اليوم الذي قتل فيه المنذر بن ماء السماء ، ويوم أباغ هو اليوم الذي قتل فيه المنذر بن المنذر ، ومنهم من يقول بضد ذلك ، ومنهم من يجعل اليومين واحداً ، فيقول لم يقتل الا المنذر بن ماء السماء ، وأما ابنه المنذر فمات بالحيرة . وقيل ان المقتول من ملوك الحيرة غيرهما . وقد رجح ابن الأثير رواية القائلين ان المقتول هو المنذر بن ماء السماء ، ورجح أيضاً رواية من يقول ان المنذر بن المنذر لم يقتل ، وانما مات حتف أنفه^١ .

ويذكر أن (علقمة بن عبدة) الشاعر الجاهلي ، ذهب الى الحارث ، فدحه بقصيدة شهيرة ، رجاء استعطاف الملك ، ليمنّ عليه بالعفو عن أخيه ، فيفكه من أسره ، فاستحسن الملك شعره وفرح به ، ومنّ عليه بفك أسره ، وبفك أسر جميع من وقع من قومه في الأسر . فلما عادوا الى ديارهم ، أعطوا شأساً أموالاً وأكسية وإبلًا ، فحصل من ذلك له مال كثير^٢ .

وفي يوم (حليلة) ورد المثل . (ما يوم حليلة بسر)^٣ .

أعود بعد الكلام على (المنذر بن المنذر) الى الحديث عن عمرو بن هند شقيقه ، فأقول : يظهر من هذه الروايات المذكورة عنه ، ومن هذا الشعر الوارد اسمه فيه ، أنه كان رجلاً سريع الانفعال ، يتألم بسرعة مما يقال له ، ولذلك حدثت له مشكلات عديدة لم تكن لتحدث لولا هذا الحس المرفف عنده ، الذي جعله عرضةً لهجو الشعراء ، والشعراء ألسنة الناس وأبواق الدعاية في ذلك العهد ، وقصته مع طرفة بن العبد والمتلمس معروفة مشهورة^٤ .

- ١ ابن الأثير (٢٢٥/١) .
- ٢ ابن الأثير (٣٢٦/١ وما بعدها) .
- ٣ مجمع الأمثال ، للميداني (٤٠٨/٢) .
- ٤ (صحيفة المتلمس) ، الأغاني (١٩٤/٢١) ، خزانة الأدب (٤١٢/١) ، اليعقوبي (١٧٢/١) ، الفاخر (ص ٦٠) ، شعراء النصرانية (ص ٣٣٧) .

ويصفه أهل الأخبار بالشدة والصرامة ، بل جعلوه شريراً ، وزعموا أنه كان له يوم يؤس ويوم نعيم ، فيوم يركب في صيده يقتل أول من لقي ، ويوم يقف الناس ببابه فإن انتهى حديث رجل أذن له ، فكان هذا دهره^١ . وقالوا : إنه كان لا يتسم ولا يضحك . وكانت العرب تسميه (مضط الحجارة) لشدة ملكه ، وكانوا يهابونه هيبة شديدة ، وكان عاتياً جباراً ويسمى محرقاً أيضاً ، لأنه حرق بني تميم ، وقيل : بل حرق نخل اليمامة^٢ .

وقد وصف الشاعر (الرهاب العجلي) الملك (عمرو بن هند) بأنه ملك (يعتدي ويجور) وذلك في معرض وصفه للسدير^٣ .

وقد أصبحت الحيرة موئل الشعراء في أيام عمرو بن هند ، فلأكثر مشاهير الشعراء الجاهليين خبر مع هذا الملك ، كانوا يحضرون اليه من أماكن نائية لأنشاده شعرهم ولنيل جوائزه ، ولم تكن مجالسه لتخلو من منافسة الشعراء بعضهم لبعض ، ومن نقد بعضهم شعر بعض ، كالذي حدث بين طرفة والمسيب بن علس على ما يذكره الأخباريون^٤ . وقد كانت لمثل هذه المنافسات أهمية كبيرة في مجتمع ذلك اليوم ، لما كان لها من أثر في نفوس القبائل ، وطالما أدت الى غضب القبائل وغضب الملك نفسه ، وغضب الشعراء على منافسيهم وعلى الملك ، لاعتقادهم بتحزبه لأحد الخصمين .

وذكر بعض الرواة أن سبب هجاء (طرفة) عمرو بن هند ان عمرو بن هند كان يتباطأ في مجلسه في استقبال الناس . فإذا جلس لشرابه ، أخذ الناس بالوقوف على بابه حتى ينتهي من مجلس أنسه ، فيسمح عندئذ لذوي الحاجات بالدخول عليه ، كما كان يصرف وقته بالتلهي بالصيد والقتص ، مما جعل وقته

١ شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، للأنباري (ص ١٢٢) ، العقد الثمين في دواوين الشعراء الستة الجاهليين ، (ص ٣١٧) .

٢ خزانة الأدب (٤١٧/١) ، شعراء النصرانية (٣٠٥/١) .

٣ أبي القلب أن يهوى السدير وأهله وان قيل : عيش بالسدير غريب فلا أنذر الحي الذي نزلوا به واني لمن لم يأتته لنذير به البق والحمى وأسد خفية وعمرو بن هند يعتدي ويجور الأغاني (٢٩٥/٢١) (القسم الثاني) ، بيروت (١٩٥٧) .

٤ شعراء النصرانية (ص ٣٠٤ ، ٣٥٠ وما بعدها) .

يضيق عن استقبال الناس ، فصاروا يتكالبون على بابه ليجلدوا وقتاً يدخلون فيه عليه ، فاستاء طرفه من هذه المعاملة . وقال شعراً يهجو فيه ، كان في جملة ما جاء فيه .

فلبت لنا مكان الملك عمرو رغوئاً حول قبتنا نخور
لعمرك إن قابوس بن هند ليخلط ملكه نوك كثير
قسمت الدهر في زمن رخي كذلك الحكم يقصد أو يحور

فبلغ الشعر (عمرو بن هند) ، أبلغه إياه (عبد عمرو) ، وكان من سادات الناس في زمانه ، وكان زوج أخت (طرفه) ، وقد هجاه (طرفه) أيضاً . فلما أنشد (عمرو بن هند) هجاء طرفه له على سبيل المزاح والاستخفاف بشأنه ، قال له (عبد عمرو) : آيت اللعن ! وما قال فيك أشد مما قال فيّ فأنشده الأبيات . فقال عمرو بن هند : أو قد بلغ من امره ان يقول فيّ مثل هذا الشعر . فكتب الى رجل من عبد القيس بالبحرين ، وهو المولى ليقطله . فقال له بعض جلسائه : إنك إن قتلت طرفه ، هجاءك التلمس وهو رجل مسن مجرب ، وكان حليف طرفه ، وكان من بني ضبيعة . فأرسل عمرو الى طرفه والتلمس فكتب لها الى عامله بالبحرين ليقتلها ، وأعطاهما هدية من عنده وحملها ، وقال : قد كتبت لكما بحباء ، فأقبلا حتى نزلا الحيرة ، وارتاب التلمس بأمر الصحيفة واستقبال عمرو لها ، ففك ختمها وعرضها على غلام من أهل الحيرة ، فقرأها ، فاذا فيها أمر بقتله ، فأخذ الصحيفة فقتلها في البحيرة وقال :

وألقيتها بالثني من جنب (كافر) كذلك ألقى كل رأي مضال

وأشار على طرفه بفك خاتم صحيفته أيضاً ليقراها له ، ولكنه أبى ، وذهب الى صاحب البحرين ، فوجد هناك نهايته في قصص منق محبّر يرويه أهل الأخبار^٢.

١ الشعر والشعراء (ص ٨٩ وما بعدها) ، (ليدن) .

٢ شرح المعلقات السبع ، للزوزني (ص ٤٢ وما بعدها) ، الاغانى (١٢٥/٢١) ، ديوان طرفه بن العبد (ص ٩) ، شرح القصائد العشر ، للزوزني (١٠) ، الشعر والشعراء (ص ٨٥ وما بعدها) .

ويذكر بعض أهل الأخبار أن قبر طرفة بهجر ، وهو معروف هناك^١ .
 وللشاعر (طرفة بن العبد) شعر يعاتب به (عمرو بن هند) ، ويحرضه فيه
 على الطلب بحق أخيه (معبد) ، الذي أغير على إبل له ، وكانت في جوار
 (عمرو بن هند) فأنتهت . ويقول فيه : نحن في طاعتك ، ومضرب في طاعتك ،
 فما بالنأ أغير علينا ، وكلنا ندين لك^٢ .
 ولطرفة شعر في هجاء (قابوس) كذلك . ونرى بعض الأخباريين ينسبون
 إليه يومين : يوماً يصيد فيه ، ويوماً يشرب فيه ، فيقف الناس ببابه حتى يأذن
 لهم بالدخول إليه ، ولذلك سُم منهُ طرفة فهاجاه وهجا عمرو بن هند شقيقه معه^٣ .
 وينسب بعض أهل الأخبار هذه القصة إلى عمرو بن هند .

ويتبين من حديث الأخباريين عن صحيفة المتلمس ، ومن قصة نهاية طرفة في
 البحرين ، أن البحرين كانت تابعة في ذلك العهد للملك الحيرة ، وأن حاكمها
 كان عاملاً لعمرو بن هند^٤ . وقد ورد في رواية أن اسم عامل عمرو بن هند هو
 (أبو كرب ربيعة بن الحرث) ، وهو من ذوي قرابة (طرفة) فلما علم بخبر
 (طرفة) لم يقتله ، وكتب إلى (عمرو بن هند) أنه لن يقتله ، وقد اعتزل
 عمله^٥ . فعين عمرو عاملاً آخر مكانه اسمه في بعض الروايات (عبد هند) .
 وتقول رواية أخرى أن قاتل طرفة هو (المكعب) عامل البحرين ، قتله بكتاب
 عمرو بن هند^٦ . وكان (المكعب) عامل عمرو بن هند على عمان والبحرين على
 رواية هؤلاء الرواة^٧ . وتزعم رواية أخرى أن الذي قتله رجل من (الحوثر)

- ١ خزانة الأدب ، (٤١٦/١) ، مجمع الأمثال ، (٤١٢/١) ، الأغاني (٥٢٣/٢٣) وما بعدها (بيروت ١٩٥٥ م) ، أمالي المرتضى (١٨٣/١) وما بعدها .
- ٢ الشعر والشعراء (١٣١ وما بعدها) .
- ٣ لعمر ك ما كانت حمولة معبد على جدها حرباً لدينك من مضر المعاني الكبير (١١١٨/٢) ، شرح القصائد العشر (ص ١٨٢) .
- ٤ شعراء النصرانية (٣٠٥/١) .
- ٥ البطلوسي . الاقتضاب (١٠٤) ، شعراء النصرانية (ص ٣٢١ ، ٣٣٠ وما بعدها) ، شرح المعاني السبع ، للزوزني (ص ٤٢ وما بعدها) ، (دار صادر) ، البلدان (٢٠٨/٧) .
- ٦ مجمع الأمثال (٤١٢/١) وما بعدها .
- ٧ معجم الشعراء (ص ٢٠١) ، الأغاني (٥٢٤/٣) .
- ٨ شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، للأنباري (ص ١١٦) ، الشعر والشعراء (ص ٩١) .

اسمه (التريبع بن حوثره) (أبو ريشة) (أبو رائشة الحوثرى) وكان، عمرو ابن هند) قد اختاره وعينه على البحرين : حين همت (بكر بن وائل) بعامل (عمرو بن هند) . وتزعم رواية أخرى ، أن قاتله هو (المعلى بن حنش العبدي) وان الذي تولى قتله بيده هو (معاوية بن مرة الأيفلي) من (حبي طسم وجديس)^١ .

وفرت المتلمس الى بلاد الشام حيث الغساسنة أعداء المناذرة ، وصار يمدحهم ويهجو عمرو بن هند ، واستقر بـ (بصرى) الى أن هلك . وقد خلف ولداً اسمه (عبد المنان) . وهناك قصص عن كيفية عودته الى زوجته ، وعن وصوله اليها ساعة عقد قرانها لرجل جديد في كنيسة ، لظن أهلها انه كان قد مات^٢ . وقد سخر (المتلمس) في أشعاره من (عمرو بن هند) ، وأقذع في هجائه حتى قال فيه :

ملك النهار فأنت الليل مومسة ماء الرجال على فخذيك كالقرس

ووصفه فقال : انه (أخنس الأنف) ، وان أضراسه كالعدس ، الى غير ذلك من هجاء مرّ شديد .

وأود أن أبين ان من الرواة من ينسب هذا الهجاء الى شاعر آخر ، قالوا ان اسمه (عبد عمرو بن عمارة) ، وذكروا انه قاله في هجاء (الأبرد الغساني)^٣ . ويظهر من رسالة الغفران ، أن للناس أقاويل في مقتل (طرفة) ، ورد فيها :

١ ديوان طرفة بن العبد (ص ٥) (كرم البستاني) ، الشعر والشعراء لابن قتيبة (١٣٧ ، ١٤٤) .

٢ راجع عن طرفة - الأغاني (١٢٠/٢١ وما بعدها) ، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، للأنباري (ص ١١٥ وما بعدها) ، شرح القصائد العشر ، للتبزي (ص ٩٨) ، رسالة الغفران ، لأبي العلاء المعري (ص ٣٢٦ وما بعدها) ، (تحقيق الدكتور بنت الشاطيء) ، طبقات ابن سلام (١٦) ، الشعر والشعراء (ص ٨٨) ، شعراء النصرانية ، للويس شيخو ، (ص ٢٩٨ وما بعدها) ، شرح ديوان الحماسة ، للمرزوقي ، ديوان طرفة - بيروت ، شرح المعلقات السبع للزوزني (دمشق ١٩٦٣ م) ، خزنة الأدب ، للبغدادى (٤١٤/١) الحيوان (٦٦/٣) ، معجم الشعراء ، للمرزباني (ص ٣٠١ وما بعدها) ، المؤلف والمختلف ، للأفندي (ص ١٤٦) ،

٣ قولاً لعمرو بن هند غير مثبت يا أخنس الأنف والأضراس كالعدس الأغاني (١ من القسم الثاني ص ٢٩٣) ، الأغاني (٣٠/١٤) .

« ولقد كثرت في أمرك أقاويل الناس : فمنهم من يزعم أنك في ملك النعمان اعتقلت ، وقال قوم : بل الذي فعل به ما فعل عمرو بن هند »^١ .
وتطرق (الشريف المرتضى) في أماليه الى موضوع قتل (عمرو بن هند) لطرفة ، فذكر أن عامل البحرين يومئذ هو (المعلى بن حنش العبدى) وذهب الى احتمال كون قاتل (طرفة) هو (النعمان بن المنذر) ، استدك على ذلك بقول طرفة :

أبا منذر كانت غروراً صحيقتي ولم أعطكم في الطوع مالي ولا عرضي
أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض

قال : « وأبو المنذر هو النعمان بن المنذر ، وكان النعمان بعد عمرو بن هند ، وقد مدح طرفة النعمان فلا يجوز أن يكون عمرو قتله ، فيشبه أن تكون القصة مع النعمان »^٢ .

هذا وللمتلمس أشعار في هجاء (عمرو بن هند) ، وقد ظل يهجو الى أن توفي وهو في الغربة في بلاد الشام . وفي جملة ما قاله فيه .

أطردني حذر الهجاء ولا والله والأنصاب لا تثيلُ

فهو يعيره بأنه إنما أبعد عنه وطرده ، لأنه كان يهجو ، ولأنه كان يحذر هجاءه ويقول في أبيات أخرى .

ألك السدير وبارق ومرابض ، ولك الخورنق
والقصر ذو الشرفات من سنداد والنخل المسبق

* * *

فلئن تعشقت فلتبلغن أرماحنا منك المُخَنَّق^٣

وللشاعر (سويد بن خدّاق) شعر في هجاء (عمرو بن هند) ، وهو أخو الشاعر (يزيد بن خدّاق) ، وهما من (عبد القيس) . وذكر أن (يزيد بن

-
- ١ رسالة الغفران (٣٣٨) .
 - ٢ أمالي المرتضى (١٨٣/١ ، ١٨٥) مجمع الأمثال (٣٥٠/١ وما بعدها) ، ديوان المتلمس (١٧٢ وما بعدها) .
 - ٣ شعراء النصرانية (٣٣٩/٣) .

خذاق) ، كان أول من ذمّ الدنيا في شعرا . وفي جملة ما قاله (سويد) في هجاء (عمرو بن هند) ، قوله :

أبى القلب أن يأتي السدير وأهله وإن قيل عيش بالسدير غزير
به البق والحُمى وأسد خَفِيَّة وعمرو بن هند يعتدي ويجور

و (المنخل الشكري) من معاصري (عمرو بن هند) كذلك . وكان يشبب بـ (هند) اخت (عمرو بن هند) ، واتهم بامرأة لعمرو بن هند ، فقتله على رواية ^٢ . وذكر انه اتهم بالمتجردة امرأة النعمان بن المنذر، وانه كان ينادم النعمان، وهو الذي اوقع فيما بينه وبين النابغة لحقده عليه ، حتى سبب في فرار النابغة الى (آل غسان) ليخلص نفسه من غضب النعمان عليه ^٣ . ومعنى هذا ان (عمرو بن هند) لم يقتله بل عاش الى ايام النعمان . وقد مدح (المثقب العبدى) (عمرو بن هند) وكان في زمانه ، بقوله :

غلبت ملوك الناس بالحزم والنهى وأنت القى في سورة المجد ترتقي
ونجب به من آل نصر سميع أغرّ كلون الهندواني رونق

ونعته بالحلم والرزانة (والحلم الرزين) ، وبالفعلات ^٤ .

وقد عدّ (ابن قتيبة) الشعراء الذين عاصروا (عمرو بن هند) من قدماء شعراء الجاهلية . فلما تحدّث عن الشعارين (سويد) و (يزيد) ، قال : « وهما قديمان كانا في زمن عمرو بن هند » ^٥ . ولما تحدّث عن (المثقب العبدى) قال عنه : « وهو قديم جاهلي . كان في زمن عمرو بن هند » ^٦ . وعدّ (المنخل الشكري) من قدماء الشعراء الجاهليين ، فقال عنه : « وهو قديم جاهلي » ^٧ .

-
- ١ الشعر والشعراء (ص ٢٢٨) .
 - ٢ (وقتله عمرو بن هند . وقال قبيل قتله ٠٠) ، الشعر والشعراء (ص ٢٣٩) .
 - ٣ الشعر والشعراء (ص ٢٣٨) .
 - ٤ الشعر والشعراء (ص ٢٣٤) .
 - ٥ الشعر والشعراء (ص ٢٢٨) .
 - ٦ الشعر والشعراء (ص ٢٣٤) .
 - ٧ المصدر نفسه (ص ٢٣٨) .

ويجب أن نتذكر أن الشاعر (امرؤ القيس) كان أيضاً من معاصري (عمرو بن هند) ، وهو شاعر جاهلي قديم ، في نظر علماء الشعر . فيكون زمن أقدم شعر جاهلي ، وصل خبره إلينا ، هو النصف الثاني من القرن السادس للميلاد ، أي في سنين لا تبعد كثيراً عن زمن ميلاد الرسول ، كما سأتحدث عن ذلك في القسم الخاص بالناحية الثقافية للعرب قبل الاسلام .

وورد في إحدى قصائد الأعشى ما يفيد اتساع ملك عمرو بن هند وجباية كل ما بين عمان و (ملح) له^١ . ويذكر بعض الرواة ان المراد بـ (عمان) هنا (عمان) بلاد الشام ، واما (ملح) ففي اليمامة من بلاد بني جعدة^٢ .

ويذكر بعض الأخباريين ان عمرو بن هند كان على (بقعة) يدير أعمالها في أيام أبيه المنذر ، واليه لجأ امرؤ القيس الشاعر المعروف مستجيراً به لأنه كان ابن عمته ، فأجاره ، ومكث عنده زمناً . فلما سمع به المنذر ، وكان يتعقبه ، طلبه من ابنته ، فأنذره عمرو ، فهرب حتى أتى حمير مستجيراً^٣ .

وقد نسب الى ابن هند غزوة غزا بها تغلب ، فقبل : طلب (عمرو) من بني تغلب ، حينما تولى الملك مساعدته على أخذ الثأر من بني غسان قتلة أبيه ، وكانوا انحازوا عنه ، وطلب منهم الرجوع الى طاعته والغزو معه ، فأبوا، وقالوا: مالنا نغزو معك . نحن رعاء لك فغضب عمرو بن هند ، وجمع الجموع . فلما تهيأت ، كان أول عمل قام به غزو تغلب ، فأوجعهم وآذاهم ، انتقاماً منهم ، لامتناعهم عن نصرته ومعاذته^٤ . وقد أشار الى هذا الحادث (الحارث بن حلزة البشكري)^٥ الشاعر الجاهلي احد اصحاب المعلقات .

ويذكر أهل الأخبار أن (الحارث بن حلزة) حضر مجلس (عمرو بن هند) ،

-
- ١ آنفا يجبي اليه خرجه كل ما بين عمان فملح ديوان الأعشى (القصيدة ٣٦ ، البيت ٩) .
 - ٢ ديوان الأعشى (ص ١٦٠) « طبعة كابر » (Geyer) ، (ص ٢٣٧) (طبعة الدكتور م. محمد حسين) ، البلدان (١٤٧/٨) .
 - ٣ الأغاني (٦٧/٨) .
 - ٤ الأغاني (١٧٣/٩) (٤٧/١١) (ط . دار الكتب المصرية) .
 - ٥ كتكاليف قومنا إذ دعا المنذر : هل نحن لابن هند رعاء ؟ المعاني الكبير (١٠١٢/٢) ، شرح المعلقات السبع ، للزوزني (ص ١٦٢) (طبعة صادر) .

وأنشده معلقته ، أنشده إياها من وراء سبعة ستور ، وذلك لبرص به . وكان الملك يأمر بعد خروج (الحارث) بغسل أثره بالماء ، كما يفعل بسائر البرص . فلما أنشده قصيدته هذه ، طرب لها الملك كثيراً ، فأمر برفع الستور من بينهما ، وأدناه منه ، وأطعمه في جفته ، وأمر أن لا ينضح أثره بالماء ، ثم جزّ نواصي البكرين السبعين الذين كانوا رهناً عنده وسلمها إليه^١ ، تعظيماً لشأنه ، وتقديراً له ولقومه الإشكريين .

وقد حرص (الحارث) في قصيدته تلك الملك على التغليبين ، وسرد حوادث تاريخية لها علاقة في هذا التعريض مما هاج الملك ، وراد في حدة غضبه عليهم . ذكره بالأرقام ، وهم بطون من تغلب ، وصورهم كأنهم أناس عزموا على الاعتداء على قومه انتقاماً منهم ، لوقائع وقعت بينهم وبين قومه ما بين (ملحمة فالصاقب) ، حيث ثار قومه بقتلهم . أما تغلب ، فلم تثار بقتلهم ، ثم ذكر التغلبين خصومه ، بأن قومه أناس أشداء في الحروب ، يعتمدون في القتال على أنفسهم ، ولا يركنون الى أحد . ساروا من البحرين سيراً شديداً ، حتى بلغوا (الأحساء) ، طووا المسيرة سيراً وَاغارة على القبائل ، ثم لم يكتفوا بذلك ، فأغاروا على (تميم) فلما دخل الشهر الحرام ، كفوا عن القتال ، حرمة له ، وعندهم سبايا من بنات القبائل صرن إماءً لهم . ثم ذكر الملك بامتناع (تغلب) من الانضمام اليه للحرب معه ، على حين نصره قومه ، وحاربوا معه . وكيف غلبوا على أمرهم ، غلبهم الملك . وكيف ذهبت دماء تغلب هدرأ ، لم يؤخذ بثأرها وهو لا يترك قومه دماؤهم هدرأ ، إذ يأخذون بالثأر من قتلة قتلهم . ثم انتقل الى يوم (الشقيقة) ، حيث جاءت (معد) ، ولكل حي منها لواء حول (قيس بن معد يكرب) . من ملوك حمير . وبين كيف أن قومه تعرضوا لقيس ولمن معهم ، حتى ردّهم بطعن خرج به الدم من جروحهم خروج الماء من أفواه القرب . ثم انتقل الى وصف قتالهم مع (حجر بن أم قطام) ، وكانت له كتيبة فارسية خضراء لما ركب دروع الكتيبة ، وجلا صدأها ، ثم حدث عن كيفية فكهم غل (امرئ القيس) . من حبسه بعد أن طال حبسه ونال منه العناء^٢ .

١ شرح المعلقات للزوزني ، (ص ١٥٤) ، (دار صادر) . ، (بيروت ١٩٥٨ م) .
٢ ويرى بعض علماء الأدب أن المراد (فارسية خضراء) ، دروع وبيض فارسية ، ركبها الصدا ، شرح الزوزني (ص ١٦٥) (صادر) .

وتعرض للذكر (الجون : جون آل بني الأوس) ومعه كتيبة شديدة العناد ، ولت الأدبار بعد قتالها مع (بني يشكر) قومه . ثم تعرض لقتالهم مع الغساسنة انتقاماً منهم ، لقتلهم (المنذر) والد (عمرو بن هند) وأسروهم تسعة من الملوك ، وأخذهم أسلابهم منهم ، وأسلبهم غالبية الأثمان ، لعظم أخطارهم وجلالة أقدارهم . ثم انتقل الى ذكر يوم (ذي المجاز) وكيف جمع (عمرو بن هند) بني (بكر) و (تغلب) وأصلح بينهما ، وأخذ منها الوثائق والرهون . وكتب العهد بينهما بوجوب الوفاء بما اتفق عليه في هذا اليوم . ثم أخذ يعيرهم ويذكر هزائمهم التي ألحقتها (كندة) و (إباد) و (تميم) و (بنو حنيفة) و (قضاة) وقبائل أخرى بهم ، ويتهمم بخرق العهد والمواثيق وبالغدر . وقد جاءت هذه القصيدة معبرة عن حقد (عمرو) على التغليبين وعن غضبه عليهم لمقاومتهم له . وغزا عمرو بن هند طيئاً ، بتمريض زرارة بن عدس بن عبدالله بن دارم الحنظلي إياه على غزوها ، ويقول أهل الأخبار ان عمرو بن هند امتنع في بادئ الأمر عن غزو طيء ، لوجود حلف بينه وبينهم ، غير ان زرارة ألح عليه بغزوهم ، فغزاهم وأخذ أسرى منهم^١ .

ويذكر بعض أهل الأخبار ان عمرو بن هند كان قد عاقد طيئاً ألا ينازعوا ولا يغزوا ولا يفاخروا . ثم غزا اليمامة ، فرجع منفصلاً ، فربط بطيء ، فحرضه زرارة عليهم ، ولم يزل به يحرضه ويغريه بالغنائم ، حتى غزا طيئاً ، وأسر من بني عدي رهط حاتم الطائي سبعين رجلاً ، وفيهم قيس بن جحدر ابن خالة حاتم الطائي ، وحاتم يومئذ بالحيرة . فلما بلغ عمرو بن هند الحيرة ، توسط (حاتم) لديه في فك الأسرى فوهبهم له^٢ .

وغزا (عمرو بن هند) تميمًا فقتل من (بني دارم) مئة نفس انتقاماً منهم لقتلهم أخاه سعداً أو ابنه مالكا في رواية أخرى . وكان ذلك في يوم أواره الثاني^٣ (يوم أواره الأخير) . ويزعم الأخباريون انه ألقى بالقتلى في النار ، ولهذا السبب عرف بـ (المحرق) (محرق) (المحرق الثاني)^٤ . ولبعض الأخباريين تفاسير

- ١ الأغاني (١٢٧/١٩ وما بعدها) ، شعراء النصرانية (١٢٤) .
- ٢ أيام العرب (١٠٢) .
- ٣ حمزة (ص ٧٣) ، معجم الشعراء (ص ٢٠٥) ، البلدان (٣٩٢/١) ، الكامل (٢٥٩/١) ، العقد الفريد (١٥٤/٣) ، الأغاني (١٢٢/١) .
- ٤ الأغاني (١٢٩/١٩) ، الكامل (٢٢٨/١) ، الميداني (٢٦٦/١) ، اللسان (٤٢/١٠) .

أخرى في منشأ هذا اللقب^١ ، تحاول إيجاد مخرج لمعنى (محرق) التي ترد مقرونة بأسماء بعض ملوك (آل جفنة) و (آل لحم) :

وفي كتب الأمثال مثل^٢ هو : « إن الشقي وافد البراجم » ، زعم أصحاب الأخبار أن قائله هو الملك (عمرو بن هند) قاله يوم قتلت (البراجم) - وهم أحياء من (تميم) : عمرو وقيس وغالب وكلفة وظليم ، وهم (بنو حنظلة بن زيد مناة) تحالفوا على أن يكونوا كبراجم الأصابع في الاجتماع - شقيق (عمرو ابن هند) ، فسار اليهم وآلى أن يحرق منهم مئة ، فقتل تسعة وتسعين ، وأحرق القتلى بالنار ، فر رجل من البراجم وراح رائحة حريق القتلى ، فحسبه قتار الشواء ، فمال إليه ، فلما رآه عمرو قال له : ممن أنت ؟ قال : رجل من البراجم فقال : ان الشقي وافد البراجم . وأمر فقتل وألقي في النار ، فبرت به يمينة^٣ .

وورد أن عمرأ بقي ينتظر وافداً من البراجم ليلقي به في النار فيكمل بذلك العدد ، حتى إذا طال انتظاره قيل له : لو تحللت بامرأة منهم ، فدعا بامرأة من بني نهشل بن دارم اسمها الحمراء بنت ضمرة بن جابر ، فأمر بالقائها في النار . فكمل بذلك العدد^٤ .

وكان سبب قتل أسعد أو سعد أخى عمرو بن هند أو ابنه مالك ، أنه لما ترعرع مرت به ناقة كوماء سمينة ، فرمى ضرعها ، فشد عليه ربها سويد أحد بني عبدالله بن دارم فقتله ، ثم هرب سويد فلحق بمكة ، واستجار بأهلها . فبلغ الخبر عمرو بن هند ، وكان زرارمة بن عدس التميمي عنده ، فاغتاز زرارمة من هذا العمل ، إذ كان الملك قد وضع (سعداً) (أسعد) في بيته ، وانتهاز زعماء طيء هذه الفرصة وحرصوا عمرو بن هند على مهاجمة بني دارم قتلته للأخذ بثأرهم منه^٥ .

-
- ١ الإقتضاب (ص ٣٥٩) ، العمدة (٢١٦/٢) .
 - ٢ البرقوقى (ص ٥٥) ، العمدة ، لابن رشيق (٢٠٥/٢) ، الأمثال للميداني (٩٥/١) ، ابن الأثير (٣٣٤/١) ، النقاظ (٦٥٢ ، ١٠٨١) ، اللسان (٤٢/١٠) ، (حرق) .
 - ٣ أيام العرب (١٠٥) .
 - ٤ العمدة (٢٠٥/٢) ، الأغاني (١٨٦/٢٢) ، (بيروت) ، المسعودي ، مروج (٢٣/١) ، اليعقوبي (١٧١/١) ، ابن خلدون (٥٦٦/٢) ، خزنة الأدب (١٤٠/٣) ، نهاية الأرب ، للنويري ، (١٨/٣) ، البكري ، معجم (٢٠٧/١) ، النقاظ (٦٥٢/٢) وما بعدها .

وهناك رواية أخرى تنفي تحريق عمرو بن هند للمذكورين من بني دارم والرجل الآخر من البراجم ، وترى أنهم قتلوا ، قتلوا بأمر عمرو بن هند^١ .
وأوارة الموضع الذي أحرق فيه المذكورون من بني تميم ، أو قتلوا فيه ، هو اسم ماء أو جبل لبني تميم قيل انه بناحية البحرين^٢ .

وكان (عمرو بن ملقط الطائي) ، هو الذي أصاب (بني تميم) مع (عمرو ابن هند) يوم أوارة ، فسأله فيهم فأطلقهم له ، وكان وفاداً الى الملوك^٣ .
والأعشى الشاعر ممن ذكر هذا اليوم في شعره . وعيّر الشاعر جريرُ الفرزدقَ بيوم أوارة^٤ .

وتذكر بعض الروايات عن يوم (أوارة) أن (عمرو بن ملقط الطائي) ، هو الذي حرّض (عمرو بن هند) على غزو بني دارم ، وأنه شاركه في غزوهم . وقد أُشير الى ذلك في شعر للطرماح الطائي يفاخر به الفرزدق ، وهو شاعر من بني تميم^٥ . وسبب ذلك أن طيثاً كانت تطلب عثرات زرارة . وبني أبيه ، لأنه كان قد حرّض عمرو بن هند عليهم . فلما بلغهم ما صنعوا بأخي الملك ، أنشأ (عمرو ابن ملقط) شعراً ، بلغ عمرو بن هند ، فتأثر به ، وقرر السير على زرارة وقومه للانتقام منهم بقتلهم شقيقه^٦ .

ويفهم من بعض الرواة أن (يوم الشقيقة) كان قد وقع في عهد عمرو بن هند ، إذ تذكر أن قوماً من شيبان جاؤوا مع قيس بن معديكرب ومعهم جمع عظيم من أهل اليمن ، وقصدوا لإبلاّ لعمر بن هند ، فردتهم بنو يشكر، وقتلوا فيهم ، ولم يوصل الى الإبل^٧ .

-
- ١ البلدان (٣٩٣/١) ، العمدة (٢٠٥/٢) . قال جرير :
أين الذين بسيف عمرو قتلوا أم أين اسعد فيكم المسترضع ؟
 - ٢ البلدان (٣٩٣/١) .
 - ٣ ذيل الامالي (٢٤) .
 - ٤ معجم ما استعجم (٢٠٧/١) (طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٤٥ م) .
 - ٥ واسأل زرارة والمأمون ما فعلت قتلى أوارة من رعلان واللند ودارم قد قذفنا منهم مئة ففي جاحم النار اذ يلقون في الخدد ديوان الطرماح (ص ١٤٥) .
 - ٦ أيام العرب (١٠٣) .
 - ٧ الأغاني (٤٨/١١) (دار الكتب المصرية) .

وقد رأى بعض أهل الأخبار ، استناداً الى قصيدة للنابغة مطلعها :

أثاركة تدللها قطام وضناً بالتحية والكلام

أن الذي قام بالغزو المذكور فيها هو (عمرو بن هند) . وأن غزوه بلغ حتى جبال حمى^١ . غير أن الأبيات تدل على أن صاحب تلك الغزوة كان قد دَوَّخَ العراق ، وأنه حارب قبائله ، ولهذا لا يعقل أن يكون صاحبها عمرو ابن هند ، بل لا بد أن يكون ملكاً من آل غسان غزا العراق وإلى هذا الرأي ذهب المستشرق (نولدكه)^٢ .

وفي بعض الروايات أن عمراً توسط بين بكر وتغلب ابني وائل فأصلح بينهما بعد حرب البسوس، وأخذ رهائن من كل حي من الحيين مئة غلام من أشrafهم، ليكف بعضهم عن بعض ، فكانوا يصحبونه في السلم والحرب^٣ .

ويرى فريق آخر من الأخباريين أن الذي توسط لعقد الصلح بين القبيلتين هو المنذر بن ماء السماء^٤ .

وذكر أن أناساً من تغلب جاؤوا الى (بكر بن وائل) يستسقونهم، فطردتهم بكر للحقد الذي كان بينهم ، فرجعوا عطاشاً ، فأتى سبعون منهم ، فاجتمع بنو تغلب واستعدوا لملاقاة بكر ومحاربتهم ، ثم خاف عقلاء الطرفين من عودة الحرب الى ما كانت عليه ، فتداعوا الى الصلح ، فتحاكموا الى الملك (عمرو بن هند) ، فطلب منهم سبعين رجلاً من أشraf وائل ليجعلهم في وثاق عنده ، فإن كان الحق لبني تغلب ، دفعوا اليهم ليأخذوا ثأرهم ، وإن لم يكن رجعوا سبيلهم، فجاءت تغلب وعلى رأسها عمرو بن كلثوم، وحل الخصومة عمرو بن هند^٥ . وفي رواية يذكرها (ابن دريد) : أن (بني الحارث بن مُرّة) قتلوا ابناً

١ شعراء النصرانية (ص ٧١٥) .

٢ الأغاني (١٢٧/١٩) ، شعراء النصرانية (١٢٤) .

٣ الأغاني (٤٢/١١ وما بعدها) ، (دار الكتب المصرية) ، شعراء النصرانية (ص ١٩٨ وما بعدها) .

٤ الأغاني (٤٤/١١ وما بعدها) (دار الكتب المصرية) ، (١٧٢/٩) (مطبعة التقدم) .

٥ جمهرة أشعار العرب (١٢٠) ، شرح القصائد السبع للزوزني (١٤٦ وما بعدها) .

لعمر بن هند ، فرهن (سيّار بن عمرو) قوسه بألف بعير ، وضمنها للملك من ملوك اليمن ، فعرف لذلك بـ (ذي القوس)^١ . أما (السكّري) ، فذكر أن سيّاراً ذا القوس، كان قد رهن قوسه على ألف بعير في قتل الحارث بن ظالم، من النعمان الأكبر^٢ .

وفيه من الموارد الأعجمية أن عمرأ كان قد أغار على بلاد الشام في سنة (٥٦٣ م) ، وكان على عربها الحارث بن جبلة^٣ . والظاهر أن الباحث على ذلك كان امتناع الروم عن دفع ما كانوا يدفعونه سابقاً لعرب الفرس مقابل اسكاتهم عن مهاجمة الحدود . فلما عقد الصلح بين الفرس والروم سنة (٥٦٢ م) ، وهذأت الأحوال ، لم يدفعوا لابن هند ما تعودوا دفعه لوالده ، فأثر امتناعهم هذا في نفسه، وطلب من الفرس مساعدته في ذلك . فلما طالت الوساطة ، ولم تأت بنتيجة، هاجم تلك المنطقة ، ثم أعاد الغارة في سنة (٥٦٦ م) وسنة (٥٦٧ م) على التوالي . وقام بهاتين الغارتين أخوه قابوس بأمر أخيه .

ويعزو (مينندر) (Manander) أسباب الغارة الأخيرة الى سوء الأدب الذي أبداه الروم تجاه رسول ملك الحيرة الذي ذهب الى القيصر (يوسطينوس) (Justinus) لمفاوضته على دفع المال^٤ . وكان الروم قد أرسلوا رسولين قبيل ذلك الى الفرس للبحث في هذا الموضوع ، أحدهما اسمه بطرس ، والآخر اسمه يوحنا ، غير أنهما أنكرا للفرس حق ملك الحيرة في أخذ إتاوة سنوية من الروم . فلما عومل رسول ملك الحيرة معاملة غير لائقة قام قابوس شقيق عمرو بتلك الغارتين^٥ .

وتذكر رواية من روايات أهل الأخبار أن (عمرو بن هند) جعل أخاه (قابوس بن المنذر) على البادية ، ولم يعط أخاه (عمرو بن أمّامة) شيئاً ، وكان مغاضباً له ، فخرج (عمرو) الى اليمن ، فأطاعته مراد ، وأقبل بها يقودها نحو العراق ، ولكنها ثارت عليه ، ثار عليه المكشوح وهو (هبيرة بن يغوث) فلما أحيط به ضاربهم بسيفه حتى قتل^٦ .

١ الاشتقاق (١٧٢/٢) .

٢ المحبر (٤٦١) .

٣ Rothstein, S. 96, Theophanes, 371, Noldeke, Sassa., 172, Ghassan., 20.

٤ Rothstein, S. 96, Menander, By Dindorf, Histo. Min., II, 45.

٥ Rothstein, S. 96.

٦ معجم الشعراء (ص ٢٠٦) .

أما (أمامة) أم (عمرو بن أمامة) ، فإنها (أمامة بنت سلمة بن الحارث الكندي) عم امرئ القيس^١ .

ويفهم من بعض الروايات ان علي بن زيد العبادي كان من المقربين عند عمرو بن هند ، وكان يصحبه مع من يصحبه من الرؤساء في الصيد^٢ .

وانتهت حياة عمرو بن هند بالقتل ، وهو مسؤول عن قتل نفسه إن صحت القصة . وخلاصتها : ان الغرور أخذ مأخذه من صاحبنا عمرو . وأراد يوماً أن يظهر فخره أمام الناس ، فقال لجلسائه : هل تعلمون ان أحداً من العرب من أهل مملكتي يأنف أن تخدم أمه أمي ؟ قالوا : ما نعرفه الا أن يكون عمرو بن كلثوم التغلبي ، فان أمه ليلي بنت مهلهل بن ربيعة وعمها كليب وائل أعز العرب وزوجها كلثوم وابنها عمرو ، فسكت وأضرها في نفسه . ثم بعث الى عمرو بن كلثوم يستريه ، ويأمره أن تزور أمه ليلي أم نفسه هند . فقدم عمرو مع أمه ، فأنزلهما منزلاً حسناً ، ثم أمر بالطعام فقدم للحاضرين . وكان عمرو قد قال لأمه : اذا فرغ الناس من الطعام ولم يبق الا الطرف ، فنحي خدمك عنك ، فاذا دنا الطرف فاستخدمي ليلي ومريها فلتناولك الشيء بعد الشيء . ففعلت هند ما أمرها به ابنها . فصاحت ليلي عندئذ : وأذلاه يا آل تغلب ! فسمعها ولدها عمرو بن كلثوم ، فثار الدم في وجهه ، والقوم يشربون ، وثار الى سيف ابن هند وهو معلق في السرادق ، فأخذه وضرب به رأس مضطرب الحجارة ، ونادى في التغلبيين فأخذوا ما تمكنوا من أخذه ، وعادوا من حيث أتوا^٣ . وهكذا جنى عمرو بن هند حصاد ما زرعه إن صحت الرواية . ويروي الرواة في تأييدها هذا المثل :

١ معجم الشعراء (ص ٢٠٦) .

٢ الأغاني (١٥٤/٢) .

٣ ابن الاثير (١٢٦/١) الأغاني (١٧٥/٩) ، (٥٣/١١) (دار الكتب المصرية) ، ابن خلدون ، القسم الأول ، المجلد الثاني (٥٦٦) ، (بيروت ١٩٦٥ م) المحبر (٢٠٢) ، الشعر والشعراء ، لابن قتيبة (١٨٥) ، الأماشي ، للقيالي (١٩٣/١) .

« أفتك من عمرو بن كلثوم » . كما افتخر بها الشعراء التغلبيون^١ .
ويقال إن أخا عمرو بن كلثوم : (مروة بن كلثوم) ، هو قاتل (المنذر
ابن النعمان بن المنذر) . وفي ذلك يقول الأخطل :

ابني كليب إن عمي اللذا قتل الملوك وفككا الأغلالا

يعني بعميه عمراً ومروة ابني كلثوم^٢ .

وذكر الشاعر (أفنون) واسمه (صريم بن معشر) ، وهو من بني تغلب
(عمرو بن هند) في شعر رواه (ابن قتيبة) على هذا النحو :

لعمرك ما عمرو بن هند اذا دعا لتخدم أمي أمه بموفق^٣

وفي هذا البيت إشارة الى مقتل (عمرو بن هند) ، بسبب أم الملك . وقد
وقع فيه تحريف ولا شك ، صير الأم التي طلبت منها أم عمرو بن هند خدمتها ،
أم الشاعر المذكور ، بينما هي (ليلي) أم الشاعر (عمرو بن كلثوم) ، قاتل
عمرو بن هند . كما يرويه علماء الشعر على لسان (أفنون) أيضاً ، ولكن على
هذا الشكل :

لعمرك ما عمرو بن هند وقد دعا لتخدم ليلي أمه بموفق^٤

(وعمرو بن كلثوم ، هو القاتل :

ألا هبّي بصحنك فاصبحينا

١ قانون أفنون التغلبي .

لعمرك ما عمرو بن هند وقد دعا لتخدم ليلي أمه بموفق
فقام ابن كلثوم الى السيف مصلتا وأمسك من ندمانه بالخنق
وجلله عمرو على السراس ضربة بني شطب صافسي الحديد رونق
ابن الأثير (٢٢٦/) ، الأغاني (١٨٣/٩) ، شعراء النصرانية (٢٠٠) .
وقال الأخطل مفتخرا :

ابني كليب ، ان عمي اللذا قتل الملوك وفككا الأغلالا
الأغاني (١٨٣/٩) ، ابن دريد . الاشتقاق (٢٠٤) ، خزانة الأدب (٥٢٠/١) ،
حمزة (ص ٧٢) .

٢ الشعر والشعراء (ص ١١٩ وما بعدها) .

٣ الشعر والشعراء (١١٩ ، ٢٤٩) .

٤ الأغاني (١٨٣/٩) ، ابن الأثير (٢٦٦/١) .

وكان قام بها خطيباً فيما كان بينه وبين عمرو بن هند . وهي من جيد شعر العرب القديم واحدى السبع ، ولشغف تغلب بها وكثرة روايتهم لها ، قال بعض الشعراء :

ألمى بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة^١ قالها عمرو بن كلثوم
يفأخرون بها مذ كان أولهم يا للرجال لفخر غير مسؤول^٢

والى هند أم الملك ينسب دير هند الكبرى من أديرة الحيرة ، وقد أرخ بناءؤه في عهد خسرو أنو شروان وفي عهد الأسقف مار افرام . وقد لقيت فيه بالملكة بنت الأملاك وأم الملك عمرو بن المنذر^٣ . وإذا صحت قراءة الأخباريين هذه ، كان بناء هذا الدير في أيام ابنها عمرو .

وكان الملك من نصيب قابوس بن المنذر بعد وفاة عمرو بن هند أخيه (قابوس) وأمه هند . أما المسعودي فجعل امه بنت الحارث من آل معاوية بن معديكرب^٤ . وقد ملك على رواية حمزة أربع سنين في زمن أنو شروان^٥ . وذكر حمزة ان من الأخباريين من قال انه لم يملك . (وإنما سموه ملكاً لأن أباه وأخاه كانا ملكين) . وقد وصفه بالضعف وبالبلى ، ولذلك قيل له (فتنة العرس) و (قينة العرس) في بعض الروايات . وقد قتله رجل من يشكر ، وسلب ما كان عنده وعليه^٦ . وليس بصحيح ما زعمه حمزة نقلاً عن بعض الأخباريين من أن قابوساً لم يكن ملكاً ، وإنما قيل له ذلك لأن أباه وأخاه كانا ملكين . فقد نعته (يوحنا الأفسوسي (John of Ephesus) في تاريخه الكنسي بـ (ملكاً) أي ملك ، ويوحنا الأفسوسي من الرجال الذين عاشوا في القرن السادس للميلاد . وقد توفي سنة (٥٨٥ م) تقريباً . ولم يكن لينعته بـ (ملكاً) لو لم يكن قابوس ملكاً على الحيرة حقاً^٦ .

- ١ الشعر والشعراء (ص ١٢٠) ، شرح التبريزي على المعلقات (٢٣٨) ، أمالي المرتضى (٥٧/١ ، ١٠٥ ، ٣٠١ ، ٣٢٧ ، ٥٥٩) .
- ٢ الحيرة (ص ٤٧) .
- ٣ مروج (٢٤/٢) ، (دار الرجا) .
- ٤ حمزة (٧٣) ، المحبر (٣٥٩) ، مفاتيح العلوم (ص ٦٩) .
- ٥ حمزة (٧٣) ، وجعل المسعودي مدة حكمه ثلاث سنين ، مروج (٢٤/٢) ، ابن الأثير (٢٠٠/١) ، المعاني الكبير (١١٨/٢) .
- ٦ John of Ephesus : Eccl. Histo., 354, II, 3, (Cureton ed.)
6, Rothstein, S. 102.

ويظهر أن الصورة التي رسمها الأخباريون لقابوس إنما حصلوا عليها من شعر الهجاء الذي قيل فيه، وأن ما أورده عنه من لين وضعف هو في حاجة الى دليل، إذ يظهر من الموارد الأخرى مثل التواريخ السريانية أنه كان على العكس^١. وقد يكون لتولية الحكم، وهو رجل متقدم في السن، أصل في ذلك الهجاء. فالذي يظهر من أخباره أنه ولي الحكم وهو شيخ كبير. وأما اللقب الذي لقب به، وهو قينة العرس، فقد انتزعه الأخباريون من شعر منسوب الى طرفة هجا فيه عمرو ابن هند وقابوساً، وهو قوله:

يأت الذي لا تخاف سبته عمرو وقابوس قينتا عرس^٢

وقد ذكر المؤرخ (مارسليانوس) (Marsillanus) رجلاً سماه (Chabus)، ذكره مع المنذر الثالث في حوادث سنة (٥٣٦ م)^٣. ويرى (روتشتاين) أن المراد به رجل آخر غير قابوس. فلو كان هو المقصود به كان قابوس إذن شيخاً هرمياً حين انتقل الملك اليه، ولكنه لا ينفي مع ذلك عدم جوازه^٤. وقد أشرت الى ارسال أخيه عمرو اليه في حملة انتقامية على عرب الشام، وذلك في سنة (٥٦٦) وسنة (٥٦٧ م).

ولما تولى قابوس الحكم، أغار على بلاد الشام، وكان يحكم عرب الشام المنذر ابن الحارث بن جبلة اذ ذاك. وقد ذكر (ابن العبري) أن المنذر بن الحارث (منذر برحرت) كان نصرانياً وان جنوده كانوا نصارى كذلك. ولم يشر الى نصرانية قابوس. ويفهم من جملة ابن العبري. (وقد أغار قابوس على العرب النصارية) ما يؤيد هذا الظن. وقد ظفر قابوس بغنائم عديدة أخذها وعاد بها غير ان المنذر جمع جيشه وسار يتعقبه. فلما التقى به، تغلب عليه، وأخذ منه أموالاً كثيرة وعدداً كبيراً من الجمال. ولما أعاد قابوس الكرة، انهزم، فذهب الى الفرس يلتمس منهم عوناً ومدداً^٥. ويظهر من رواية أخرى أن انتصار المنذر على قابوس كان في سنة (٨٨١) من التقويم السلوقي وهي توافق سنة (٥٧٠) للميلاد^٦.

Rothstein, S. 102, Caussin, Essai, II, 129. ١

اليقوي (١٧٢/١) ٢

Nöldeke : Sassa., 345, Rothstein, S. 102. ٣

Rothstein, S. 103. ٤

Bar Hebraeus, Vol., I, P. 79. ٥

Land : Anecd. Syr. I, 13. ٦

ويظهر من رواية لـ (يوحنا الأفسوسي) (John of Ephesus) ان الملك قابوساً انتهز الفرصة عند وفاة الحارث بن جبلة ، فباغت الغساسنة بهجوم مفاجيء في عقر دارهم ، فأسرع عندئذ المنذر بن الحارث وجمع جمعه ، وفاجأه بهجوم مقابل لم يتمكن قابوس من الثبات له ، فانهزم هزيمة منكرة بحيث لم ينج من أصحابه الا القليل . وقد فر هو ومن سار معه من الناجين في اتجاه نهر الفرات تاركاً عدداً من الأمراء اللخميين أسرى في أيدي المنذر . غير ان المنذر سار في أثرهم حتى كان على ثلاث مراحل عن الحيرة^١ ، ويرى نولدكه ان هذه المعركة هي معركة عين أباغ^٢ .

وبعد قليل من هذه الهزيمة جرب قابوس حظه مرة أخرى، غير انه مني بخسارة جديدة ، وكانت هذه الغارة حوالي سنة (٥٧٠ م)^٣ .

وجرب قابوس حظه مرة أخرى منتهزاً فرصة القطيعة بين المنذر والقيصر (يسطينوس) (Justinus) ، وهي قطيعة لا نعلم أسبابها على وجه التحقيق ، وانما يعزو ابن العبري سببها الى مطالبة المنذر للقيصر بدفع مال اليه ليتمكن به اعداد جيش قوي منظم يستطيع الوقوف به أمام الفرس^٤ . فأغار على حدود الروم وتوغل في الأرضين التابعة لهم حتى وصل أتباعه الى منطقة (انطاكية)^٥ . وقد دامت تخرشات (عرب الفرس) بحدود الروم ثلاث سنين هي مدة القطيعة، حيث كان المنذر قد ذهب مع اتباعه الى الصحراء فاحتفى فيها، ولم تنقطع هذه التخرشات الا بعد مصالحة الروم له في الرصافة . حينئذ جمع المنذر اتباعه وفاجأ المناذرة بهجوم خاطف كابدت منه الحيرة الأمرين ، وأطلق من كان في سجون الحيرة من أسرى الروم . وقد وقعت هذه المفاجأة حوالي سنة (٥٧٨ م) . ويظن (روتشتاين) انها وقعت بعد وفاة قابوس في عهد المنذر الرابع أخي (قابوس) وخليفته في الملك^٦ .

وقد ذكر (البكري) بيتاً من الشعر لأبني دؤاد وردت فيه اشارة الى غزوة

John of Ephesus, VI, 3, Rothstein, S. 103. ١

Rothstein, S. 103. ٢

Rothstein, S. 103. ٣

Bar Hebraeus, I, P. 79. ٤

John of Ephesus, P. 348, Rothstein, S. 104. ٥

Rothstein, S. 104. ٦

غزاها قابوس. عرفت به (يوم قحاد) . ويظهر ان خصوم قابوس أخذوا يثأرهم من هذا اليوم بغزوة قاموا بها على تنوخ^١ .

ويفاجئنا بعض الأخباريين بذكر رجل يقال له (فيشهرت) أو (السهراب) أو (السهراب) ، قالوا انه هو الذي تولى الملك بعد قابوس^٢ . وقد جعل حمزة مدة حكمه سنة واحدة في ايام (كسرى أنو شروان)^٣ . ولم يشر الأخباريون الى الأسباب التي ادت الى تعيين هذا الرجل الغريب ملكاً على الحيرة دون سائر آل لخم ، ومنهم المنذر أخو عمرو بن هند وقابوس ، فلعل اضطراباً حدث في المملكة او نزاعاً وقع بين اولاد قابوس او بين آل لخم ادى الى تدخل الفرس فقرروا تعيين رجل غريب عن اهل الحيرة لأمد حتى تزول أسباب الخلاف ، فقرروا تعيين واحد منهم . فلما زالت تلك المواقع ، عين المنذر ملكاً على الحيرة وبذلك عاد الملك الى آل لخم .

ويلاحظ ان بعض الأخباريين لم يذكروا اسم فيشهرت او السهراب، بل ذكروا ان الملك انتقل الى المنذر بعد وفاة اخيه قابوس^٤ . وذكر المسعودي في كتابه : مروج الذهب النعمان بن المنذر مباشرة بعد قابوس^٥ .

واذا صحت رواية حمزة من ان حكم المنذر كان ثمانية أشهر في عهد (كسرى أنو شروان) وثلاث سنين واربعة أشهر في ايام (هرمز بن كسرى) ، فيجب ان يكون حكمه قد امتد من سنة (٥٧٩) حتى سنة (٥٨٣) للميلاد^٦ ، تقريباً لأن نهاية حكم (أنو شروان) كانت في سنة (٥٧٩) للميلاد على رأي المؤرخين ، وحكم (هرمز) من سنة (٥٧٩) حتى سنة (٥٩٠) للميلاد^٧ .

ويظهر من شعر منسوب الى الشاعر (المرقش) ان (المنذر) كان ينقب عنه أي : يستقصي في طلبه ، ولم يذكر سبب ذلك ، ولعله كان قد هجاه ، او ان

- ١ البكري . معجم (١٤٩/٣) (طبعة السقا) .
- ٢ حمزة (ص ٧٣) ، المحبر (ص ٣٥٩) ، الطبري (٢١٣/٢) (دار المعارف) .
- ٣ حمزة (ص ٧٣) ، المحبر (ص ٣٥٩) ، (فيسهراب الفاروسي) ، مفاتيح العلوم (٦٩) .
- ٤ اليعقوبي (١٧٢/١) .
- ٥ مروج (٢٤/٢) .
- ٦ حمزة (ص ٧٣) ، المحبر (ص ٣٥٩) ، (ثم ولي بعده المنذر ابو النعمان اربع سنين) ، الطبري (٢١٣/٢) .
- ٧ Ency., 4, 178.

جماعة وشت به عنده ، فصار يبحث عنه للايقاع به . وقد طلب في شعره هذا من الملك المذكور أن يكف عن طلبه ويسكت عنه ، وتمنى لو أنه في (الزج) وهو موضع ، أو (بالشام ذات القرون) . وذلك لأن بلاد الشام بلاد كانت تحت حكم الروم ، فليس للمنذر حكم عليها ، فهو يكون بها في بلاد العدو بعيداً عن المنذر . وذكر (ابن قتيبة) أن معنى (ذات القرون) الروم ، وأراد قرون شعورهم^١ .

ويظهر من شعر لـ (سويد بن خدّاق) أن (قابوس بن هند) وأخاً من إخوته لم يذكر الشاعر اسمه ، غزوا قومه ، وهم من عبد القيس ، وانتصرا عليهم وانزلا بهم خسارة فادحة ، يوم العطيف : ففَصَّرَ قَا القِبَائِلَ ، وكانت أحلافاً متحالفة ، وشتتا الشمل . ودعا (الله) أن يجزيهما شرّ الجزاء بما فعلا ، وأن يحبس لبن (لبون الملك) ، فلا تدر عليه ، جزاء وفاقاً لما قاما به نحو قومه^٢ . أما الذي خلفه على الحيرة ، فهو النعمان بن المنذر المعروف بأبي قابوس . وقد كنّاه بعض الشعراء بـ (أبي قبيس)^٣ . كما كنّاه بعضهم بـ (أبي منذر)^٤ . ويذكر أهل الأخبار أن الناس كانوا إذا دخلوا على النعمان أو كلموه ، قالوا له : (أبيت اللعن) . وذكر المسعودي : أنه (هو الذي يقال له : أبيت اللعن)^٥ . أما أم النعمان ، فهي (سلمى بنت وائل بن عطية بن كلب) . أو (سلمى بنت عطية)^٦ . وقد نسبها بعض الأخباريين إلى سلمى بنت وائل بن عطية الصائغ . وقالوا إنها من فذك ، وزادوا في ذلك أنها كانت أمة للحارث بن حصن بن ضمضم ابن عدي بن جناب من كلب من دومة الجندل^٧ . فهي بنت صائغ من فذك على رواية بعض ، وأمة من دومة الجندل على رواية بعض آخر . وهي في كلتا الحالتين من طبقة وضیعة لا تليق بأسرة مالكة ، ولعلها من أصل يهودي^٨ ، إذ

- ١ المعاني الكبير (٧٩٧/٢) .
- ٢ الشعراء والشعراء (ص ٢٢٩) ، (ليدن) .
- ٣ في شعر النابغة ٣٠ ، ٧ ، ٣١ ، ١ ، علقمة ١٢ . Rothstein, S. 107.
- ٤
- ٥ مروج (٢٤/٢) (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) .
- ٦ مروج (٢٤/٢) ، الاغانى (١٣/١١) (دار الكتب المصرية) ، الاغانى (١٠٦/٢) ، (القاهرة ١٩٢٨) .
- ٧ الطبري (١٤٧/٢) .
- ٨ Rothstein, S. 108.

كان أكثر أهل فدك من اليهود . وكانوا يحترقون الحرف ومنها الصياغة . وقد دُعي النعمان بأمه ، فقبل له ابن سلمى في شعر الهجاء ، وقصدهم من ذلك إهائته . وقد تولى النعمان الثالث ، وهو النعمان الذي نتحدث عنه ، الحكم في حوالي السنة (٥٨٠) أو السنة (٥٨١) للميلاد . ودام حكمه حتى السنة (٦٠٢ م)^١ .

والظاهر من وصف الأخباريين له أنه كان دميم الحلقة ، فقالوا : إنه كان أحمراً ، أبرشاً ، قصيراً^٢ . وهذا مما قوى جانب خصومه في التهم به ، يضاف إلى ذلك أصل أمه ، وقد أثر هذا النقص الذي لا يد له فيه ، في نفسية النعمان ، وفي سلوكه ، ولا شك ، فصوره سريع الغضب ، أخذاً بالوشايات ، فوقع من أجل ذلك في مشكلات عديدة . وقد يكون تسرعه إلى تصديق ما قاله الواشون عن عدي بن زيد ، وتأثره بأقوالهم من غير تحقيق ولا امتحان وقتله له ، من جملة تلك العوامل التي أدت إلى هلاكه . وقد يكون اللقب الذي لقب به ، وهو (الصعب)^٣ ، وصفاً لتلك السجايا التي اتصف بها الملك ، والتي تعبر عن عقدة (مركب النقص) التي كانت ملازمة له .

وقد كان لقب النعمان ودمايته ولأصل أمه دخل ولا شك في تكوين الخلق العصبي فيه ، فصار يهيج ويتأثر به ، ويأخذ بأقوال الوشاة من غير تمحيص ولا تروي ، فتقمت منه الناس ، وهجاه بعض الشعراء . أما أخوته وكانت عدتهم اثني عشر رجلاً عدا النعمان ، فقد اشتهروا بالجمال والهيبة والوسامة ، ولذلك نعتوا بالأشاهب ، فوصفهم الأعشى بقوله :

وبنو المنذر الأشاهب بالحق يرة يمشون غدوة بالسيوف^٤

وقد أثرت شهرة أخوته بالأشاهب وبالوسامة في طبع النعمان المذكور ، وزادت في عصبية وفي حدة طبعه وفي تأثره بأقوال الناس . ويظهر من وصف الشعراء وأهل الأخبار للنعمان أنه كان صاحب شراب ، يحب

Brockelmann : Die Araber, I, S. 10.

١ الطبري (١٤٧/٢) ، الكامل ، لابن الأثير (٢٨٥/١) (الطباعة المنيرية) .

٢ المعاني الكبير (٨٧٨/٢ ، ١٠٢٧) .

٣ الطبري (١٩٤/٢) (دار المعارف) ، الكامل ، لابن الأثير (٢٨٥/١) (الطباعة المنيرية) .

الخمر ويجالس ندماءه ليشرب معهم ، غير ان الخمر كانت تؤثر فيه وتستولي على عقله ، فتدفعه الى السكر والعريضة والتطاول على ندمائه، مما ازعج اصدقاءه وحوادثهم الى خصوم وأعداء بسبب اهانات لحقت بهم منه في اثناء فقدته وعيه وعدم تمكنه من حفظ اترانه^١ .

وقد عبّر الشاعر (لبيد بن ربيعة العامري) عن النعمان بـ (الصعب ذي القرنين) في شعره ، مما يدل على ان لقب (الصعب) الذي لقبه به كان معروفاً شائعاً بين الناس^٢ . وقد يكون معبراً عن معنى آخر غير معنى الصعوبة في الملك ، كأن يكون اطلاقهم له من قبيل اطلاقهم لفظة (تبع) على من ملك من حمير . وأما (ذو القرنين) فقد قيل : إن القرنين هما الصغيرتان ، وإن القرن الصغير . وقد دعي بذلك لأنه كان قد ربى صغيرتين^٣ .

وقد جاء في رواية اخرى ان (الصعب ذا القرنين) لم يكن النعمان المذكور كما ذهب اليه الرواية المتقدمة ، وانما هو (المنذر بن ماء السماء ، وانه هو ذو القرنين)^٤ .

ويظهر من بيت أنشعر الذي نتحدث عنه وهو :

والصعب ذو القرنين أصبح ثاوياً بالحنو في جدث ، أميم ، مقيم

ان (الصعب ذا القرنين) كان قد ثوى في قبره ، فهو يرثيه ويذكره . وذهب الشراح الى ان (الحنو) اسم بلد ، ومعنى هذا ان الملك الذي يشير اليه (لبيد) قد دفن في هذا الموضع ، والذي نعرفه من بعض الروايات ان قبر (النعمان) كان بالحيرة ، وان ابنته هنداً قد دفنت الى جانبه .

ومن الشعراء الذين نسب اليهم هجاء النعمان الشاعر عمرو بن كلثوم ، وله فيه وفي أمه هجاء مرّ . وقد وصف خاله بأنه ينفخ الكير ، ويصوغ القروط بيثر ب أي انه كان من صاغة تلك المدينة، وهو مما يؤيد روايات الأخباريين في أصل امه^٥.

-
- ١ شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري (ص ٢٥٧) .
 - ٢ شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري (تحقيق الدكتور احسان عباس) ، (ص ١٠٩) .
 - ٣ المصدر المذكور .
 - ٤ شرح ديوان لبيد (ص ١٠٩) .
 - ٥ الاغانى (٥٨/١١ وما بعدها) .

لم ينتقل الملك الى النعمان بسهولة ، فقد كان للمنذر جملة أولاد حين أتته المنية ، عدتهم ثلاثة عشر ولداً معظمهم طامع في الملك . والظاهر ان المنذر كان عارفاً بالخلاف الذي كان بين اولاده ، فلم يشأ ان يزيده بتعيين احد ابنائه . ولا ندري لم لم ينص على اكبرهم جرياً على السنة المتبعة في انتقال الملك . ولعله كان عارفاً بحاجة الموقف وضعف مركز ابنه الكبير ، وعدم تمكنه من فرض نفسه عليهم إذا عينه ونصبه ، لذلك وكل أمره كله إلى اياس بن قبيصة الطائي ، فتولاه شهراً حتى انفرجت المشكلة على النحو التالي على حد رواية ابن الكلبي .

دعا كسرى بن هرمز عدي بن زيد العبادي ، فقال له : من بقي من بني المنذر ؟ وما هم ؟ وهل فيهم خير ؟ فقال عدي : بقيتهم في ولد هذا الميت ، المنذر بن المنذر ، وهم رجال . فبعث اليهم يمتحنهم . فلما وفدوا على كسرى ، أنزلهم على عدي بن زيد . فاحتال عدي على هؤلاء الأخوة كما يقول الأخباريون وتظاهر انه يفضلهم على ربيبه النعمان ، واوصاهم ان يجيبوا جواباً معيناً حين يسألهم كسرى ، وامر النعمان ان يجيب جواباً آخر يختلف عن جواب اخوته . وهو جواب يعتقد ان كسرى سيرضى عنه ويعينه . فلما ادخلوا على كسرى واجابوا بجواب واحد هو الجواب الذي لقنهم إياه عدي ، وهو : « إن سألكم الملك . أتكفونني العرب . فقالوا نكفيكمهم إلا النعمان ، وقال للنعمان : ان سألك الملك عن اخوتك فقل له : ان عمجرت عنهم ، فأنا عن غيرهم أعجز » ، رضي كسرى بجواب النعمان وسر به ، فللكه وكساه ، وألبسه تاجاً قيمته ستون ألف درهم فيه اللؤلؤ والذهب^١ . فانتصر بذلك النعمان على اخوته ، وسر عدي بن زيد بتولي ربيبه الملك .

وفي خبر لأبي الفرج الأصبهاني ان عدي بن زيد اخذ النعمان الى (جابر بن شمعون) ، وهو من (بني الأوس بن قلام بن بطين بن جمهير بن لحيان من بني الحارث بن كعب) ، وكان أسقفاً على الحيرة ، فاقترضا منه مالاً لتدبير امورهما به ، وذكر ان جابراً هو صاحب القصر الأبيض الذي بالحيرة^٢ ، وكان

١ الطبري (١٤٧/٢) ، (١٩٥/٢ وما بعدها) (دار المعارف) ، الاغانى (١٠٦/٢)

وما بعدها) (دار الكتب المصرية) .

٢ الاغانى (١١٥/٢) (دار الكتب المصرية) .

ذا سلطان واسع في بني قومه ، ولذلك فقد يكون لأخذ عدي للنعمان اليه للحصول على تأييده أثر في نجاحه في تولي العرش .

ويروي المفضل الضبي ان عدي بن زيد العبادي لما قدم على النعمان صادفه لا مال عنده ولا اثاث ولا ما يصلح للملك ، وكان آدم اخوته منظرأ ، وكلهم أكثر مالا منه ، فقال له عدي : كيف اصنع بك ولا مال عندك ! فقال له النعمان : ما أعرف لك حيلة الا ما تعرف انت ، فقال له : قم بنا نغضي الى ابن قردس - رجل من أهل الحيرة من دينه - فأتياه ليقترضا منه مالا ، فأبى ان يقرضها وقال : ما عندي شيء . فأتيا جابر بن شمعون ، وهو الأسقف وهو أحد بني الأوس بن قلام بن بطين بن جمهر بن لحيان من بني الحارث بن كعب ، فاستقرضا منه مالا ، فأنزلها عنده ثلاثة ايام ، يذبح لهم ويسقيهم الخمر . فلما كان في اليوم الرابع ، قال لها : ما تريدان ؟ فقال له عدي : تقرضنا اربعين الف درهم يستعين بها النعمان على امره عند كسرى ، فقال : لكما عندي ثمانون ألفاً ، ثم اعطاهم اياها ، فقال النعمان لجابر : لا جرم ، لا جرى لي درهم الا على يدك إن انا ملكت^١ .

ولكن انتصار النعمان ادى الى هلاك عدي بن زيد على ما يقوله الأخباريون ، فقد كان لعدي ، كما لكل رجل كبير صار له نفوذ وجاه ومركز خطير ، اعداء في مقدمتهم رجل اسمه كاسمه ودينه مثل دينه ، هو (عدي بن اوس بن مرينا) ، وبنو مرينا اسرة لها مكانتها وخطرها في الحيرة . وكان لهذا الرجل شأن يذكر في ايام المنذر ، وكان يميل الى الأسود بن المنذر لأنه ربيب بني مرينا ، فنصحته ان يتجنب الأخذ برأي عدي بن زيد ، لأنه رجل لا ينصح . فلما اخفق الأسود في الامتحان ، وعجز عن نيل التساج ، صار يدبر المؤامرات لخصمه عدي ، ويشي به الى النعمان ، ويغري آخرين بالتظاهر بأنهم من محبي عدي ، ليقبّل النعمان بهم ، فإذا أمن بهم ، عادوا فوشوا بعديّ عنده ، ثم لم يكتف بذلك فوضع رسائل على لسان عدي الى قهرمان لعدي فيه مكر ومؤامرة بالنعمان ، ثم دس له حتى اخذ الكتاب ، فجاء به الى النعمان ، فلما قرأه صدق بما جاء فيه، وغضب على عديّ وقرر الانتقام منه^٢ .

١ الاغانى (١١٥/٢) وما بعدها .

٢ الطبري (١٤٧/٢) وما بعدها ، اليعقوبي (١٧٣/١) ، الاغانى (١٠٨/٢) وما

بعدها) (دار الكتب المصرية) .

جرت كل هذه المؤامرات على ما يقوله الأخباريون ، وعديّ عند كسرى يقوم بوظيفته لا يدري بها . فلما كتب النعمان إليه : « عزمت عليك الا زرتني ، فلاني قد اشتقت الى رؤيتك » . صدّق كلامه ، واستأذن كسرى فأذن له . وسار الى منيته وهو لا يدري ما يحبته له القدر . فلما وصل الى من كان مشتاقاً الى رؤيته ، ألقاه في سجن منفرد لا يدخل عليه فيه أحد ، وهو لا يدري بمّ سجن . وفي السجن أخذ ينظم أشعاراً يتضرع فيها الى النعمان أن يفك أسره ، ويعظه فيها بالموت وبمن هلك قبله من الملوك الماضين ، وكاد يطلقه لولا وشاية أعدائه به . فلما طال سجنه ، كتب بشعر الى أخيه (ابي) وهو مع كسرى يستجير به للتوسط لدى كسرى أن يكتب الى النعمان يأمره بفك أسره . فلما كتب كسرى بذلك كتاباً أرسله مع شخص الى النعمان ، كتب خليفة النعمان عند كسرى اليه يبلغه بمجيء الرسول ، وعرف أعداء عديّ من (بني ببيعة) من غسان ، فقالوا للنعمان : اقتله الساعة قبل وصول الرسول اليك ، فان لم تفعل فسيذهب الى كسرى فلا يستبقي أحداً لا أنت ولا غيرك . فبعث اليه النعمان أعداءه فغموه حتى مات في سجنه بالصنّين . ولما وصل الرسول ، رُشي بهدايا كثيرة نفيسة ، فعاد الى كسرى يخبره أن عدياً مات قبل وصوله بأيام^١ .

وقد أحس عديّ بن زيبد كما يقول الأخباريون بامتعاض خصمه عديّ بن أوس بن مرينا من الحيلة التي دبرها لنجاح النعمان وبمحاولته الغدر به ، فأراد مصالحته واسترضاه كما يقول الأخباريون فعمل له طعاماً دعا اليه من أحب عديّ ابن أوس بن مرينا حضوره ، وحلف بعد انتهاء الطعام في البيعة أنه لن يحقد عليه ، وأنه سيتناسى ما حدث ، ورجا من خصمه أن يفعل مثله . فقام عديّ ابن أوس الى البيعة ، فحلف مثل يمينه أن لا يزال يهجو أبدأ ويبيغيه الغوائل ما بقي . وقد كان^٢ . وهم يروون شيئاً من هذا التهاجي الذي وقع بين الخصمين . ويذكر أهل الأخبار ان عدي بن مرينا صار يحرض الأسود ويحثه على الأخذ

١ الطبري (١٥٢/٢) ، اليعقوبي (١٧٣/١) ، مروج الذهب (٢٥/٢) وما بعدها (٢٨٦/١) ، الاغانى (٦٥/٦) (دار الكتب المصرية) ، الكامل لابن الاثير (٢٨٦/١) وما بعدها (الطباعة المنيرية) ، المعاني الكبير (١٢٦١/٣) وما بعدها .
٢ الطبري (١٤٧/٢) .

بثأره من عدي بن زيد ، فكان يقول له : « أما اذا لم تظفر ، فلا تعجزن أن تطلب بثأرك من هذا المعدي الذي فعل بك ما فعل ، فقد كنت أخبرك ان معداً لا ينالم كيداً »^١ . وعدي من تميم ، وتميم من معد .

وهناك روايات أخرى في أسباب غضب النعمان على عدي وحبه له في الصنين . لا تخرج في جملة من حدود هذه المنافسة التي دبرها عدي بن مرينا وخصوم عدي له ، ولكنها تجمع كلها على قتل النعمان لعدي^٢ .

وفي كتاب الأغاني رواية تذكر ان النعمان أرسل ذات يوم الى عدي بن زيد ان يأتيه ، فأبى أن يأتيه ، ثم أعاد رسوله فأبى أن يأتيه ، وقد كان النعمان شرب ، وأمر به فسحب من منزله حتى انتهى به اليه ، فحبسه في الصنين بظاهر الكوفة من منازل المنذر ، وبه نهر ومزارع ، وبقي هناك حتى لاقى حتفه^٣ .

ويظهر من شعر ينسب الى عدي ، قاله لابنته يوم باتت عنده مع أمها في السجن ، وهي جويرية صغيرة ، ان النعمان كان قد أمر بوضع الغل في يديه^٤ . والقصة كما يرويها الأخباريون قصة طريقة تصلح أن تكون موضوعاً لشريط سينائي اختلط فيها التاريخ بالخيال ، والواقع بالابداع . أما نحن فلا نهتمنا من أمرها الا النتيجة ، وهي ان الفرس قبضوا على النعمان ملك الحيرة وسجنوه ، وان حادثاً وقع بعد ذلك كان وقعه عظيماً في نفوس العرب ، لا في العراق وحده ، انما دوى صداه الى جميع جزيرة العرب كلها ، هو حادث وقعة ذي قار ، وهي من الوقائع الفاصلة في تاريخ الجزيرة كان لها أثر في فتح الاسلام للعراق .

وندم النعمان كما يقول الأخباريون على ما صنع ، واجترأ أعداء عدي عليه ، وهابهم هيبة شديدة . وبينما كان يوماً في صيده ، اذ به يشاهد غلاماً ظريفاً ذكياً ففرح به فرحاً شديداً . فلما عرف انه زيد وانه ابن من أبناء عدي ، قرّبه وأعطاه وحباه ، ثم أرسله الى كسرى ، وكتب معه كتاب توصية رقيقة يشير فيه الى منزلة عدي منه والى خسارته بوفاته والى عظم المصيبة ، ويوصي كسرى بالولد خيراً . فلما وصل زيد الى كسرى ، جعله مكان أبيه وصرف عمه الى عمل آخر ،

-
- ١ الاغاني (١٠٩/٢) (دار الكتب المصرية) .
 - ٢ شعراء النصرانية (ص ٤٥٠) .
 - ٣ الاغاني (١١٥/٢) وما بعدها .
 - ٤ مجالس العلماء (١٦٢) وما بعدها .

فكان هو الذي يلي ما يكتب به الى أرض العرب وخاصة الملك . ولما مضى وقت على زيد في هذه الوظيفة ، وقع عند الملك بهذا الموقع مكاناً حسناً، وتعالى منزلته عنده . ولما اطمأن الى مركزه أخذ يدبر مكيدة الانتقام من النعمان قاتل أبيه حتى نجح في مسعاه ، اذ قبض عليه كسرى فبعث به الى سجن خائنين ، فلم يزل في السجن حتى وقع الطاعون فمات فيه . وفي رواية انه مات بساباط^١ . وقد رجح الطبري رواية خائنين ، وانه مات بسحق القبيلة له . وفي رواية أخرى انه سجن في القطقطانة في البر^٢ . وهكذا نجد الرواة يذهبون جملة مذاهب في سجن النعمان والذين يروون ان حبس النعمان كان بساباط يستشهدون بشعر للأعشى جاء فيه :

فذاك وما أنجى من الموت ربه بساباط حتى مات وهو محرزق^٣

وقد ذكر المسعودي قصة حبس النعمان ووفاته فقال : « وأمر كسرى النعمان فجلس في مجلسه بساباط المدائن ، ثم أمر به فرمى تحت أرجل القبيلة ، وقال بعضهم : بل مات في محبسه بساباط^٤ ، مما يدل على ان وفاته كانت في المدائن . وفي رواية سريانية ان كسرى بعد أن قبض على النعمان بن المنذر وأولاده سقاهاهم سمّاً فماتوا ، وعصى عندئذ العرب الفرس وأخذوا يهاجمونهم . فأرسل كسرى قائلاً سمته الرواية بـ (بولر) تولى أمر الحيرة ، ولكنه لم يتمكن من ضبط أمورها ، لشدة أهلها ، فانصرف عنها وترك أمرها لمرزبان اسمه (رزوبى

- ١ البلدان (١٢٥/٧) ، ابن الاثير (١٧٣/١) ، (هو ساباط كسرى بالمدائن ، اللسان (٣١١/٧) ، (سبط) .
- ٢ البلدان (١٢٥/٧) ، الاغانى (٢٨/٢) ، نوادر المخطوطات ، المجموعة الثالثة (٢٥١) .
- ٣ الاغانى (٦٥/٦) (دار الكتب المصرية) ، الكامل ، لابن الاثير (١٨٥/١) وما بعدها ، مروج الذهب (١٠٠/٢) وما بعدها . (هو ساباط كسرى بالمدائن ، وبالعجمية بلاس آباد ، وبلاس اسم رجل ، ومنه قول الاعشى :
فأصبح لم يمنعه كيد وحيلة بساباط حتى مات وهو محرزق
يذكر النعمان بن المنذر وكان (أبرويز حبسه بساباط ثم ألقاه تحت أرجل القبيلة - وساباط : موضع ، قال الاعشى :
هناك ما اغتشه عزة ملكه بساباط ، حتى مات وهو محرزق) ، اللسان (٣١١/٧) ، (سبط) .
- ٤ مروج (٢٦/٢) ، طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد ، (ثم النعمان بن المنذر - وهو الذي قتله أبرويز تحت أرجل القبيلة ، وهو آخر ملوك لخم) ، مفاتيح العلوم (٦٩) .

مرزوقه) ، أقام في بركة الحيرة في حصن حفنة ، وأخذ يقاتل منه الأعراب^١ .
وفي رواية لـ (حمزة الأصفهاني) أن كسرى لما سخط على النعمان بن المنذر
واستدرجه اليه من وسط البادية ، رمى به الى أرجل الفيلة ، واستباح أمواله وأهله
وولده ، وأمر ان يباعوا بأوكس الأثمان^٢ .

وتذكر بعض الروايات سبب غضب (كسرى) على النعمان ، أن (زيد) ،
وهو ابن المقتول (عدي بن زيد) الذي نال مكانة عظيمة عند كسرى ، أو
عمه ، كانا قد دبّرا مكيّدة للإيقاع بالنعمان . فلما طلب (ابرويز) النساء ، دخل
عليه (زيد) ، فكلّمه فيما دخل فيه ، ثم قال : إني رأيت الملك كتب في
نسوة يطلبن له ، فقرأت الصفة ، وقد كنت بآل المنذر عالماً ، وعند عبدك
النعمان من بناته وبنات عمه وأهله أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة . قال :
فتكتب فيهن . قال : أيها الملك ، إن شرّ شيء في العرب وفي النعمان خاصّة
أنهم يتكتمون عن العجم ، فأنا أكره أن يغيّبهن ، فابعثني وابعث معي رجلاً
من العجم من حرسك يفقه العربية ، حتى أبلغ ما تحبه . فبعث معه رجلاً جليداً
فخرج به زيد حتى بلغ (الحيرة) . فلما دخل على الملك النعمان ، قال : إنه
قد احتاج الى نساء لأهله وولده ، وأراد كرامتك بصهره ، فبعث اليك . فشق
عليه ، فقال لزيد : أما في بقّر السواد وفارس ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا؟
فقال زيد للنعمان : إنما أراد كرامتك ، ولو علم أنّ هذا يشق عليك ، لم يكتب
اليك به . وعادا . فلما دخلا على (كسرى) ، وقصّا عليه ما وقع وحدث ،
عرف الغضب في وجهه ، ووقع في قلبه منه ما وقع . وسكت (كسرى) على
ذلك أشهراً ، ثم فعل ما فعل بالنعمان^٣ . وانتقم (زيد) بهذه المكيّدة من النعمان
قاتل والده .

وقد أشير الى مصرع النعمان في شعر عدد من الشعراء مثل سلامة بن جندل ،

Histoire Nestorienne, II^{me} Partie, pp. 539, 546.

٢ حمزة (ص ٤٢) .

٣ الطبري (٢/٢٠١ وما بعدها) ، نوادر المخطوطات ، المجموعة الثالثة ، رسالة
أبي غرسيه (ص ٢٥٠ - ٢٥١) ، رسالة أبي يحيى بن مسعدة (ص ٢٧٧) ،
رسالة لأبي الطيب بن من القروي (٣١٩ وما بعدها) .

وقد ورد فيه ذكر القاء كسرى للنعمان تحت أرجل القيلة^١ . ويتفق هذا الرأي مع رأي ابن الكلبي ويعارض رواية لحماد جاء فيها أنه مات بحبس في ساباط^٢ . وذكر أن هانيء بن مسعود الشيباني كان في جملة من رثى النعمان في شعر . وقد نعته بـ (ذي التاج) ، ويفهم من رثائه له أن موته كانت تحت أرجل القيلة ، حيث داست على رأسه . وورد في شعر شعراء آخرين أن (فيول الهند) تخبطه وداست عليه^٣ .

وهناك قصيدة نسبها بعضهم الى زهير بن أبي سلمى ، ونسبها آخرون الى صرمة الأنصاري . ذكر فيها كيف ذهب النعمان - قبل ذهابه الى كسرى - الى من كان يحسن اليهم ، ويغدق عليهم الألفاظ ، فلما غضب عليه كسرى لم يجره هؤلاء ، ولم يساعده إلا ما كان من بني رواحة من عبس ، فشكروهم النعمان وودعهم وأثنى عليهم ، وقال لهم : لا طاقة لكم بجنود كسرى ، فانصرفوا عنه^٤ . وساباط : هو على ما يذكره أهل الأخبار ، موضع بالمدائن ، به كان حبس النعمان على رواية من صرح بأنه كان محبسه لا موضعاً آخر ، ثم ألقاه تحت أرجل القيلة . وذكر (ابن الكلبي) أنه إنما سمي بساباط نسبة الى (ساباط بن باما) أخي النخير جان الذي لقي المسلمين في أهل المدائن^٥ . ويظهر من شعر (للأعشى) أن (كسرى) أمر بالنعمان فحبس بـ (ساباط) ثم ألقاه تحت أرجل القيلة فوطئته حتى مات . يقول الأعشى :

هو المدخل النعمان بيتاً سماؤه نحور الفيول بعد بيت مسردق^٦

ولليد بن ربيعة العامري قصيدة نظمها في رثاء النعمان . من أبياتها :

له الملك في ضاحي معد، وأسلمت اليه العباد كلها ما يحاول^٧

- ١ شعراء النصرانية (ص ٤٩١) .
- ٢ شعراء النصرانية (ص ٤٦٤) .
- ٣ مروج الذهب (١٠١/٢) .
- ٤ شعراء النصرانية (ص ٥٨٤) ، الكامل ، لابن الاثير (٢٨٧/٦) (الطباعة المنيرية) ، مروج الذهب (١٠١/٢) .
- ٥ ديوان الاعشى ، قصيدة ٢٦ ، (ص ١٢٨) ، اللسان ، (٣٠٨/٧) بيروت ١٩٥٦ م ، البلدان (١٦٦/٣) ، دائرة المعارف الاسلامية ، لمحمد فريد وجدي (٢٤/٧) .
- ٦ المعارف (ص ٦٥٠) .

وضاحي معد ، بمعنى ظاهر معد ، لا في معد نفسها ، لأن (رب معد) في
ايامه هو (حذيفة بن بدر) . أما النعمان فهو ملك على ما وراء ديار معد .
والعباد هنا هي القبائل النصرانية المعروفة من أهل الحيرة^١ .

وقد ذكر الأخباريون انه كان يتوقع ان يدبر له كسرى مكيدة ، فقرر أن
ينجو بنفسه قبل حلولها به ، فلحق بجبلي طيء ، وكان متزوجاً اليهم ، فلراد
النعمان ان يدخلوه الجليل ويمنعوه ، فأبوا عليه خوفاً من كسرى ، فأقبل وليس
أحد من العرب يقبله حتى نزل (ذوقار) في بني شيان سراً ، فلقي هانيء بن
مسعود الشيباني ، وكان سيداً منيعاً ، فأودعه أهله وماله وسلاحه ، ثم توجه بعد
ذلك الى كسرى ، حيث لقي مصرعه^٢ .

أما زوجة النعمان هذه ، فهي ابنة (سعد بن حارثة بن لأم الطائي) ، وهو
من أشرف طيء البرص ، وكان (النعمان) قد جعل لبني لأم بن عمر ربيع
الطريق طعمة لهم ، وذلك بسبب زواجه المذكور^٣ .

وذكر ان أحد أولاد (النعمان بن المنذر) كان شاعراً ، وقد عرف بـ (المحرق)
فلما سمع يقتل (كسرى) لأبيه ، قال شعراً يخاطبه فيه ، منه قوله :

قولا لكسرى ، والخطوب كثيرة : إن الملوك بهرمر لم تجبر^٤

ويروى ان النابغة الذبياني لما سمع بمقتل النعمان ، رثاه بأبيات . وهي إن صح
انها من شعر النابغة حقاً ، تدل على ان هذا الشاعر قد عاش أيضاً بعد مقتل
النعمان^٥ . وروي ، ان (زهير بن أبي سلمى) رثى النعمان كذلك^٦ .

ويروي أهل الأخبار شعراً زعموا أن (عدي بن زيد) قاله لأهل بيت
النعمان ، هو :

-
- ١ شرح ديوان لبيد (ص ٢٥٧) .
 - ٢ الكامل (١٧٣/١) .
 - ٣ المحبر (ص ٣٠١) ، الاغانى (حاتم الطائي) .
 - ٤ المؤلف (ص ١٨٥) .
 - ٥ العقد الثمين ، (ص ١٦٤) ، شعراء النصرانية (ص ٨٢٠) ، النابغة الذبياني ،
لعمر الدسوقي (ص ١٠٨) .
 - ٦ الكامل ، لابن الاثير (٢٨٥/١ وما بعدها) .

فلا يمينا بذات الودع ، لو حدثت فيكم ، وقابل قبر الماجد الزارا

وقد علق (ابن قتيبة الدينوري) عليه بقوله : « ذات الودع . صنم كان بالحيرة ، ويقال : بل هي الإبل التي تسير الى مكة ، يعلق عليها الودع ، ويقال : إن مكة ، يقال لها : ذات الودع . وواجه قبر النعمان الزار ، وهي الأجمة ، أي : دُفِنَ حذاءها » .

إذن لبؤم بجمع لا كفاء له أوتاد ملك تليد ، جدّه بارا

قال : « أي لو مات لغزتم الجيوش ، فأقررتم ، أو رجعتم بجيش لا مثيل له ، أوتاداً لملك قديم قد سقط جده ، أي : صرتم كذلك . وهو منصوب على الحال ، ولا يجوز أن يكون منصوباً على النداء ، لأنه لا يجوز أن يدعوهم بذلك ، والنعمان لم يميت » ٢ .

وذكر أن ملك النعمان بلغ اثنتين وعشرين سنة . وعلى رأس ثلاث سنين وثمانية أشهر مضت من ملكه ، كان الفجار الأكبر ، فجار البراض ، وهو لتمام عشرين سنة من مولد الرسول ، ولثماني عشرة سنة وثمانية أشهر مضت من ملك النعمان بُنيت الكعبة . وذلك لاحدى عشرة سنة مضت من ملك أبرويز كسرى بن هرمز ٣ .

ولا نعلم عن أعمال النعمان الحرية في بلاد الشام شيئاً يذكر . وقد ذكر حمزة أنه غزا (قرقيساء) (Circestum) ، ولكنه لم يعين تأريخ وقوعها ، ويقصد بذلك بالطبع غارة أغارها على أرض الروم ٤ . ولم ينسب غيره من المؤرخين العرب أو السريان اليه حروباً أخرى أجج نارها في بلاد الشام .

١ المعاني الكبير (٨٣٨/٢) ، (والودع : وثن . وذات الودع : وثن أيضا . وذات الودع : سفينة نوح ، عليه السلام ، كانت العرب تقسم بها فتقول : بذات الودع ، قال عدي بن زيد العبادي :

كلا ، يمينا بذات الودع ، لو حدثت فيكم ، وقابل قبر الماجد الزارا

يريد سفينة نوح ، عليه السلام ، يحلف بها ويعني بالماجد النعمان . بن المنذر ، والزار أراد الزارة بالجزيرة ، وكان النعمان مرض هناك . وقال أبو نصر : ذات الودع مكة لأنها كان يعلق عليها في ستورها الودع ، ويقال : أراد بذات الودع الاوثان) ، اللسان (٣٨٧/٨) .

٢ المعاني الكبير (٨٣٨/٢) .

٣ المحبر (٣٦٠) ، حمزة (٧٤) ، مروج الذهب (٢٤/٢) .

٤ حمزة (ص ٧٣) .

وقد ورد في حديث الطبري عن قصة سجن النعمان لعدي ما يفيد أن النعمان خرج يريد البحرين ، فأقبل رجل من غسان ، فأصاب في الحيرة ما أحب . وقد قيل : إن هذا الرجل هو (جفنة بن النعمان الجفني)^١ . ولعل هذه الغارة هي واحدة من جملة غارات قام بها الغساسنة على الحيرة . وفي شعر النابغة الذبياني اشارات الى أمثال هذه الغارات^٢ . ويفيد خبر رواه المؤرخ (ثيوفلكتس) (Theophylaktus) ان عرب الروم أغاروا على عرب الفرس حوالي سنة (٦٠٠ م) ، أي في أثناء الصلح الذي عقد بين الروم والفرس^٣ .

وقد ذكر (الطبري) ان هذه الغزوة كانت في أيام وجود عدي بن زيد في سجنه فلما سمع عدي بها قال :

سما صقر فأشعل جانبيها والهالك المروح والغريب^٤

وقد ورد اسم (السيلحون) في جملة المواضع التي كان يجيها النعمان ، وذلك في شعر لأعشى قيس^٥ . ويقع السيلحون في البرية بين الكوفة والقادسية ، كما ورد اسم هذا الموضع في شعر لهانئ بن مسعود الشيباني يرثي فيه النعمان ويذكر قتل كسرى اياه^٦ . ويظهر انه كان من جملة المسالحي التي تحمي الحدود من البادية . والمسالح هي مواضع في الثغور يوضع فيها الجنود والمسلحون لحماية الحدود من الأعداء^٧ .

ولم يكن النصر حليف النعمان في اليوم المعروف بيوم الطخفة (يوم طخفة) ، وهو يوم نسبه بعض الأخباريين أيضاً الى قابوس بن المنذر بن ماء السماء ، كما نسبه

- ١ الطبري (١٤٨/٢) .
- ٢ ديوان النابغة (٢٧ ، ٣٥) (طبعة Ahlwardt ، Rothstein, S. 112)
- ٣ Theophylaktus, VIII, I, Nöldeke, Ghass., S. 39, Rothstein, S. 112.
- ٤ الطبري (١٩٨/٢) (دار المعارف) .
- ٥ ولا الملك النعمان يوم لقيته بأمته يعطى القوط ويأفك
وتجى اليه السيلحون ودونها صريفون في انهارها والخورنق
- شعراء النصرانية (ص ٣٨٣) ، البكري ، معجم (٧٧٢/٣) ، تاج العروس
(٢٣١/٩) ، مرصد (٧٦٧/٢) .
- ٦ البلدان (١٩٦/٥) .
- ٧ البلدان (١٩٨/٥) وما بعدها .

بعض آخر الى المنذر بن ماء السماء . وخلاصة الحادث : ان حاجب بن زرارة الدارمي التميمي سأل النعمان أن يجعل الرداقة للحرث بن بنية بن قرط ابن سفيان بن مجاشع الدارمي التميمي . وكانت لبني يربوع ، يتوارثونها صغيراً عن كبير ، وكان الرديف يجلس عن يمين الملك . فلما سأل النعمان موافقتهم على نقل الرادقة منهم ، أبوا ذلك ، لما لها من منزلة ومكانة ، فبعث اليهم قابوساً ابنه وحسان أخاه على رأس جيش كثيف فيهم الصنائع والوضائع وناس من تميم وغيرهم ، فساروا حتى أتوا طخفة ، فالتقوا هم ويربوع واقتتلوا ، وصبرت يربوع وانهزمت جموع النعمان ، وأخذ قابوس وحسان أسيرين . فلما بلغ خبر هذه الهزيمة سمع النعمان طلب من أحد بني يربوع - وهو شهاب بن قيس بن كياس اليربوعي - أن يذهب عاجلاً الى بني يربوع ليفك أسر ابنه وأخيه مقابل إعادة الرداقة اليهم وأداء دية الملوك وهي ألف بغير للرجل الواحد . وبذلك صالح مرغماً (بني يربوع) . وهذا اليوم من الأيام التي يفاخر بها أبناء يربوع . وقد ورد ذكره في شعر مالك بن نويرة^١ والأحوص^٢ وجريز^٣ .

ويذكر أهل الأخبار أن (النعمان بن المنذر) طلب (مالك بن نويرة) ، وكان قد أراد استرضاءه ، وهو من (بني يربوع) ، فأبى ، وهرب منه ، وقال فيه شعراً يهجو ، منه :

لن يذهب اللؤم تاج قد حُييت به من الزبرجد والياقوت والذهب^٤

ويدل ذلك على أن (النعمان) ، كان يتوج رأسه بتاج ، فيه ذهب وأحجار كريمة .

وكان (مالك بن نويرة اليربوعي) من (بني تميم) ، لأن (بني يربوع) منهم ، وقد لقب بـ (الجفول) . وهو شاعر شريف ، وأحد فرسان بني يربوع ورجلهم المعدودين في الجاهلية ، ومن أرداف الملوك ، أي ملوك الحيرة . وقد أدرك الرسول ، فأسلم ، وعينه على صدقات قومه فلما بلغه وفاة الرسول ، أمسك

-
- | | |
|---|--|
| ١ | ابن الاثير . الكامل (٢٧٢/٢ وما بعدها) ، العقد الفريد (١٠٢/٣) . |
| ٢ | البلدان (٥١٨/٣) . |
| ٣ | البكري (٤٥٢/١) . |
| ٤ | الجواليقي (ص ٣٥٦) . |

الصدقة ، وفرقها في قومه ، وجفل إبل الصدقة ، فسمي الجفول . قتله (ضرار ابن الأسود الأسدي) بأمر خالد بن الوليد^١ .

وكان نصيب النعمان من يوم السلان كنصيبه من يوم الطخفة ، وسبب وقوع هذا اليوم هو أن بني عامر بن صعصعة، وكانوا حمساً لقاحاً متشددين في دينهم لا يدينون للملوك، تعرضوا للطيمة كان الملك النعمان بن المنذر يريد ارسالها الى عكاظ لبيعها في السوق . وكان من عادته ارسال لطيمة الى عكاظ كل عام لتباع هناك. فلما بلغ النعمان الخبر ، غضب فبعث الى أخيه لأمه ، وهو (وبرة بن رومانس الكلبي) ، وإلى صناعته وهم من مكان يصطنعه من العرب ليغزو بهم، والوضائع وهم الذين كانوا شبه سادة القبائل ، وأرسل الى بني ضبسة بن أد وغيرهم من الرباب وتميم فجمعهم ، فأجابوه ، وأتاه ضرار بن عمرو الضبي في تسعة من بنيهم كلهم فوارس ومعه حبش بن دلف ، فاجتمعوا كلهم في جيش عظيم . وأرسل النعمان معهم تجارة ، وأمرهم ألا يتحرشوا ببني عامر الا بعد الانتهاء من عكاظ ومن الأشهر الحرم . فلما انتهوا من عكاظ ، أحست قريش بنيات جماعة النعمان، فأخبروا بني عامر وحذروهم فاستعدوا للقتال . فلما وصل أصحاب النعمان اليهم ، قاتلوهم عند موضع السلان ، وهو موضع قريب من منازل بني عامر ، وتغلبوا عليهم ، وأسروا وبرة بن رومانس الكلبي وعدداً من رؤساء القوم ، وانهمزمت جماعة النعمان ، ورضي عندئذ من حملته هذه بدفع دية أخيه وبرة ودية عدد من الرؤساء^٢ .

ويذكر بعض أهل الأخبار ان الذي أعلم (بني عامر) بعزم الملك النعمان على الانتقام منهم ، هو وجيه مكة وثريها : عبدالله بن جدعان^٣ .

١ معجم الشعراء (ص ٣٦٠) .

٢ صبح الاعشى (٣٤٠/١) ، جمهرة ، ابن حزم (٣٨١/١) ، ابن خلدون (٢٥٥/٢) ، القسم الاول ، المجلد الثاني ، الاشتقاق (٢٣٧) ، (الطبعة الاولى بمصر) ، ابن الاثير (٢٦٨/١ وما بعدها) ، البلدان (١٠٤/٥) ، سبائك الذهب ، للسويدي (١١٧) ، المسعودي مروج (٥٤/٢) ، الطبري ، (١٤٧/٢) ، البعقوبي (١٤٣/١) ، البكري ، معجم (٧٤٩/٣) ، (لجنة) المختصر ، لابي الفداء (١٠٢/١) (بيروت) ، الروض الانف ، للسهيلى (١٣٣/١) (الجمالية) نهاية الارب ، للنويري (٤١٢/١) ، ذيل الامالي للقالبي (١٤٧/٣) مراصد (٧٢٦/٢) ، العقد الفريد (٣٦٤/٣) .

٣ الكامل فى التاريخ لابن الاثير (٢٩٥/١) .

وكان الذي أسر وبرة (يزيد بن عمرو بن خويلد الصعق) ، وقد أبقى (يزيد) (وبرة) لديه حتى افتدى نفسه منه ، أي من يزيد بن الصعق بألف بغير وفرس . فاستغنى يزيد . فلما أسر (وبرة) ، ثبت جيشه (ضرار بن عمرو الضبي) ، فقام بأمر الناس ، ولكنه وقع في الأسر ، ثم وقع رجل آخر من كبار الجيش في الأسر ، وهو (حبيش بن دلف) ، الذي افتدى نفسه بأربع مئة بغير ، وهزم جيش النعمان^١ .

وقد تعرضت لطيمة النعمان مرة أخرى الى النهب حينما وكل أمر حمايتها الى رجل من هوازن ، فربص بها رجل خليع معروف اسمه (البراض بن قيس بن رافع) من بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فقتل حامي القافلة وساق الركاب^٢ . وكان من عادة النعمان أن يشتري بثمان اللطيمة الأدم والحريز والوكاء والحذاء والبرود من العصب والوشى والمسير والعدني من سوق عكاظ^٣ .

وذكرت إحدى الروايات ان الذي كان يجيز لطيمة النعمان له هو (سيد مضر)^٤ ولم تذكر اسم سيد مضر اذ ذاك .

وورد ان (البراض) وهو (رافع بن قيس) كان من فتاك الجاهلية المعروفين. وكان حالف بني سهم من قريش ، فعدا على رجل من هذيل فقتله ، فخلعه بنو سهم ، ثم جاء الى (حرب بن أمية) فحالفه ، فعدا على رجل من خزاعة فقتله وهرب الى اليمن ، ثم جاء مكة بعد سنة ، فاذا الهذليّون والخزاعيون يطلبونه وقد خلع ، فلحق بالحيرة ، فوافق وفود العرب بالحيرة عنده . فأقام يطلب الاذن معهم ، فلم يصل اليه حتى خرج النعمان فجلس للناس بالحيرة وكانت لطائمه التي توفي سوق الموسم اذا دخلت تهامة لم تهج ، حتى قتل النعمان أخا بلعاء بن قيس الكناني ، فجعل (بلعاء) يعترض لطائمه فينتهبها . فخاف النعمان على لطيمته ، فقال يومئذ : من يجير هذه العير ؟ فقتل البراض : أنا أجبرها لك . فقال الرجال عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب : أنا . أيها الملك أجبرها لك . من الحيين كليها ، وسخر من الرجال وازدراه . فدفع النعمان اللطيمة الى عروة

-
- ١ أيام العرب (١٠٨) ،
 - ٢ شرح ديوان لبيد (ص ٤٨) .
 - ٣ الاغانى (٧٥/١٩) .
 - ٤ الاغانى (٧٥/١٩) .

الرحال ، فتعقبها البراض ، حتى اذا انتهت عروة الى أهله دوين الجريب بماء يقال له (أواره) ، أنزل اللطيمة ودخل قبته فنام ، ووثب عليه البراض فقتله ، ثم أتى خيبر ، فكان بسببه حروب الفجاء بين كنانة وقيس^١ .

وقد عرف بعض العلماء اللطيمة بأنها (سوق المسك) أو العير التي كانت تحمل المسك ، ولكن اللطيمة قافلة كانت تحمل تجارة يرسلها ملوك الحيرة ، ولا سيما النعمان بن المنذر الى سوق عكاظ خاصة لبيعها هناك ، وكانت تعود محملة بما تشتريه من تجارة اليمن والحجاز ، وما يأتي به العرب وسائر التجار الى السوق في أثناء الموسم . وهي تجارة ثمينة تعود على النعمان بأرباح طائلة وثروة كبيرة . ولوصولها سالمة الى السوق ثم لعودتها سالمة من السوق الى الحيرة ، كان لا بد من حمايتها بوضعها في جوار سادات أقوياء شجعان يتعهدون بامرارها بسلام في أرض قبائلهم ثم تسليمها الى سادات الأرض التي تليهم ، وهكذا الى السوق أو العكس . وقد يقوم مجير اللطيمة نفسه بتولي اللطيمة في الذهاب والأوبة ، لمقامه ولوجود عهود جوار بينه وبين سادات القبائل الأخرى ، وإلا تعرضت اللطيمة للسلب والنهب . وإذا ما أغضب الملك خُفراء اللطيمة ، أو انتزاع الخفارة منهم فأعطاهم لأناس آخرين ، أو أزعج بعض سادات القبائل التي تمر القافلة في أرضهم ، فلن ينفعه ملكه في حماية سلامة القافلة ، فتنهب فلا يقبض منها شيئاً ما ، وهو لا يستطيع أن يفعل شيئاً لأن سلطانه لا يصل الى كل مكان^٢ .

وفي أيام النعمان كان يوم شعب جبلة ، وهو عامر وعبس على ذبيان وتميم . وهو من أيام العرب المشهورة في نظر الأخباريين . وقد اشترك النعمان فيه بمساعدته لقيط بن الجون الكلبي ملك هجر ، وإرساله أخاه لأمه حسان بن وبرة الكلبي لمعاونة لقيط . ويلاحظ أن الرواة قد لقبوا لقيطاً بلقب ملك ، وأشاروا الى اشتراك جملة ملوك في هذا اليوم^٣ .

وكان حسان بن وبرة شقيق النعمان لأمه رئيساً على ضبة . وقد أسره يزيد ابن الصعق في الغارة التي قامت بها بنو عامر على تميم وضبة ، وانهمزت فيها

١ المعبّر (ص ١٩٦) .
٢ الكامل في التاريخ (٣٥٨/١) .
٣ العقد الفريد (١٠/٦) وما بعدها (طبعة العريان) .

نميم . وقد قادى حسان نفسه من يزيد بن الصعق بألف بغير هي فدية الملوكة .
كما سبق أن ذكرت . وأغار يزيد بعد ذلك على عصافير النعمان وهي لابل معروفة
شهيرة كانت اذ ذاك بمكان يسمى ذا ليّان^١ .

ويذكر أن (يوم العذيب) كان في عهد حكم (النعمان) . وكان (النعمان)
قد بعث الى (الأصهب الجعفي) ينكر عليه بلوغ (سعد بن زيد مناة)
و (عترة) العذيب ، فحشد (الأصهب) لهم ولقيهم ، فقتلوه ، قتل (الأحمر)
ابن جندل) ، وانهزمت اليمانية هزيمة شديدة ، وأخذ منهم مال كثير وسي^٢ .
وروى أهل الأخبار أن (النعمان بن المنذر) لما توج واطمأن به سريرته ،
دخل عليه الناس ، وفيهم أعرابي ، فأنشأ يقول :

إذا سُسْتُ قوماً فاجعل الجود بينهم وبينك تأمّنْ كلّ ما تتخوفُ
فإن كشفت عند الملّات عورة كفاك لباس الجود ما يتكشف

فقال : مقبول منك نصحك ، ممن أنت ؟ قال : أنا رجل من جرم ، فأمر
له بمئة ناقة ، وهي أول جائزة أجازها^٣ .

ويقال ان (المنذر) أحد أبناء النعمان بن المنذر سقط قتيلًا على يد رجل من
تغلب يدعى مرة بن كلثوم ، وهو أخو عمرو بن كلثوم ، ويقال انه قتل أيضاً
ابناً آخر من أبناء النعمان^٤ .

وكانت للنعمان كتائب يقاتل بها هي : الرهائن والصنائع والوضائع والأشاهب
والدوسر . وقد اشتهرت هذه الكتيبة الأخيرة بالشدة وبقوة البطش ، فقبل في أمثالهم
(أبطش من دوسر)^٥ .

أما الصنائع ، فقد ورد في بعض الروايات انهم جماعة كان يصطنعهم الملك من
العرب ليحارب بهم ، وكان يأخذهم من (بني ثعلبة) خاصة ، يتخذهم كالحرس
لا يبرحون بابه . وأما الرضائع ، فألف رجل من الفرس ، يخدمون الملك ليقاتل
بهم ، ويستبدلون بمثلهم كل سنة .

١ العقد الفريد (٤١/٦) وما بعدها .

٢ العمدة (٢١٧/٢) .

٣ الامالي للقالبي (٣٢٩/١) « بيروت » .

٤ Rothstein, S. 112.

٥ الميداني . مجمع الامثال (٧٨١) .

ويذكر أهل الأخبار انه كان للنعمان بن المنذر أخ من الرضاعة يقال له (سعد القرقرة) من أهل (هجر) كان من أضحك الناس وأبطلهم ، وكان يضحك النعمان ويعجبه^١ . وذكر ان أناساً من البطالين المضحكين كانوا يأتونه لإضحائه ولنيل جوائزه . وذكروا منهم (العيسار بن عبدالله الضبي) . وكان بطلاً ، يقول الشعر ، ويضحك الملوك^٢ .

وقد كان النعمان بن المنذر مثل عمرو بن هند محباً للشعر والشعراء ، والخطب والخطباء ، وقد جعله الأخباريون من خير خطباء زمانه، كالذي يظهر من كلامه مع كسرى ، وقد ذكر انه قال له في مجلس كان حافلاً بوفود الروم والهند والصين ، اجتمعوا عند كسرى . كما نسب اليه وفد ضم أكثم بن صيفي وحاجب ابن زراراة التميمي ، والحارث بن عباد وقيس بن مسعود البكرين ، وخالد بن جعفر وعلقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامريين ، وعمرو بن الشريد السلمي وعمرو بن معديكرب الزبيدي والحارث بن ظالم المرتي ، وكانوا خيرة من عرف بالخطابة وحسن الكلام في تلك الأيام^٣ .

وروى الأخباريون شعراً من الشعر الذي قاله أصحابه في حضرة النعمان أو في مدحه وفي مدح آل لحم ، كما روي شعراً في هجائه ، ورووا بعض ما قيل في حضرته من حديث وبعض ما صادفه الشعراء حين كانوا يقصدونه لنيل ما يبتغون مثل حديث حسان بن ثابت الشاعر المخضرم المعروف فقد زاره ومدحه غير أن هواه كان الى الغساسة أكثر منه الى آل لحم . فقد كان يفتخر بهم ، ويسامي الناس بهم ، وينال جوائزهم حتى وإن لم يكن عندهم . يرسلونها اليه إن لم يكن في استطاعته أن يشخص اليه^٤ .

وقد جاء في شعر لـ (حسان بن ثابت) أنه زار (ابن سلمى) ، أي

-
- ١ الفاخر (ص ٥٦) .
 - ٢ وفد على النعمان بن المنذر فقال له :
ابيت اللعن واسعدك الهك سلخ التيس وذبحه مستهجن
 - ٣ الفاخر (ص ٥٦) .
العقد الفريد (٢٥٣/١ وما بعدها) (طبعة الريان) ، بلوغ الارب (١٤٧/٣ وما بعدها) .
 - ٤ العقد الفريد (٢٦٧/١) ، الاغانية (٢٧/١٥) (دار الكتب المصرية) ، العقد الفريد (٢٢/٢) .
 - ٥ العقد الفريد (٢٢/٢) .

(النعمان بن المنذر) ، وأنه أكرمه وقدره وحباه ، وتكلم اليه في جماعة من قومه ، كانوا في سجنه مقيدين مكبلين بالسلاسل حتى صفح عنهم ، وأطلق لهم حريتهم ، وهم أبيي ونعمان وعمرو ووافد ، وهم جماعة من أهل يثرب ، كانوا قد حبسوا في سجن (النعمان) . فأما (أبيي) ، فهو (أبيي بن كعب بن قيس بن معاوية) من (بني النجار) . وأما (نعمان) ، فإنه (نعمان بن مالك بن قوئل ابن عوف بن عمرو) ، وأما (وافد) ، فإنه (وافد بن عمرو بن الاطنابة ابن عامر) من الخزرج . ولم يذكر (حسان) سبب حبس (النعمان) لهم ، ووضعهم في السجن مكبلين بالحديد ، مقفولاً عليهم^١ .

وقد ذهب (نولدكه) الى احتمال كون (ابن سلمى) أميراً من أمراء الغساسنة ، كما ذهب الى أن (أبيي) الذي كان في جملة المحكومين هو (أبيي ابن ثابت) وهو شقيق حسان^٢ .

ويظهر من كلام أهل الأخبار أن النابغة الذبياني كان من أكثر الشعراء صلة بالنعمان . وفي الشعر الذي يرويه الأخباريون عنه وينسبون قوله اليه ، شيء كثير من المناسبات التي وقعت بين الملك وبين هذا الشاعر ، وقد استاء خصوم النابغة من قومه من النعمان ، ونيله جوائزه وألطافه ، فسعوا به اليه حتى غضب عليه ، وهمّ بقتله ، ولم ينجه من القتل إلا هربه من آل جفنه ملوك عرب الشام ، فبقي في كنفهم مدة ، ثم عاوده الحنين الى صاحبه وحاميه القديم النعمان ، فاعتذر اليه ، وتنصل من التهم التي ألصقها خصومه به ، وعاد يأخذ جوائزه ونعمه كما كان^٣ .

وذكر ان النعمان بن المنذر كان يكرم (النابغة) ويحبوه دوماً ، أمر له مرة بمائة ناقة بريشها من نوق عصفيرة ، المعروفة بهجائن النعمان ، وجام وآنية من فضة ، وكانوا اذا حبا الملك بعضهم بنوق يغمزون في أسنمتها ريش النعام ليعلم انها حبا الملك^٤ . ذكر (حسان بن ثابت) انه وفد على النعمان بن المنذر فلدحه

١ البرقوقى (ص ١١٤ ، ٣٧٧) ، ديوان حسان (D. 17) (هرشفلد) .

٢ غسان (ص ٤٧) .

٣ الاغانى (٢٧/١٥ وما بعدها) (دار الكتب المصرية) ، شعراء النصرانية (٦٤١-٦٤٩ وما بعدها) ، المعاني الكبير (١١٣٠/٢) ، امالي المرتضى (٢٦٤/١) .

٤ امالي المرتضى (٢٦٥/١ وما بعدها) .

وأجازه الملك على مدحه وأكرمه . وبينما هو جالس عنده ذات يوم ، اذا بالنايغة يدخل قبة الملك ، وكان يوم ترد فيه النعم السود ، ولم يكن بأرض العرب بغير أسود الا له ، فأنشده كلمته التي يقول فيها :

كأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبدُ منهن كوكب

فدفع اليه مائة ناقة من الإبل السود ، فيها رعاؤها ، فاحسدت أحداً حسدي النايغة ، لما رأيت من جزيل عطيته وسمعت من فضل شعره^١ .
ويذكر المسعودي ان النايغة دخل على النعمان يوماً ، وكان عنده نديمه خالد بن جعفر الكلابي ، وكان ممن يعطف على النايغة ، فدح النعمان بشعر ، « فتهلل وجه النعمان بالسرور ، ثم أمر فحشي فوه جوهرأ ، ثم قال : يمثل هذا فلتمدح الملوك »^٢ .

وتذكر رواية أخرى ان النايغة لما سأل حاجب النعمان الاستئذان للدخول عليه ، قال له الحاجب : الملك على شرايه . ولما سأله : من عنده ؟ قال : خالد بن جعفر بن كلاب ! فتوسل اليه بأن يبلغه تحية النايغة ، وأن يسهل له الدخول على الملك ، ففعل وأمر النعمان حاجبه بادخاله عليه . فلما دخل ، سلم عليه وحياه بتحية الملك ، وجلس وهو يقول : « أيها الملك . أيفاخرك صاحب غسان ؟ فوالله لقفاك أحسن من وجهه ، ولشمالك أجود من يمينه ، ولأملك خير من أبيه ولغدك أسعد من يومه . فضحك النعمان . ثم قال لخالد : من يلومني على حب النايغة ؟ ألك حاجة ؟ قال : نعم . فقضى حوائجه بأسرها ، وأحسن جائزته ، فانصرف داعياً له »^٣ .

ويذكر الأخباريون ان آخر مرة اتصل بها النايغة بالنعمان كانت في أثناء مرض الملك النعمان . وكان النايغة هارباً آنذاك على أثر الوشاية به . فلما سمع النايغة بمرضه أثر السفر اليه ، والاعتذار منه . فلما وصل الحيرة ، كان الملك لا زال مريضاً ، شديد المرض . وقد حمل سريريه على العادة المتبعة عند مرض الملوك مرضاً شديداً ،

١ الشعر والشعراء (ص ٧١ ، ٧٥) ، (النايغة الديباني) .

٢ مروج (٢٥/٢) (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) .

٣ مجالس العلماء (٢٥٩ وما بعدها) (عبد السلام محمد هارون) ، لابي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي .

يشرف فيه على الموت . فاستأذن للناطقة في الدخول عليه وانشاده ما نظمته في مدحه
فسمح له بالدخول . وأنعم النعمان بالنعيم عليه . وهناك روايات تذكر انه عاد اليه
قبل هذا الحادث ، فقبل عذره وعفا عنه^١ .

وفي جملة من كان له شرف الاتصال بالنعمان ، ونبيل هباته وجوائزته من
الشعراء : المنخل الشكري ، والمثقب العبدى ، والأسود بن يعفر ، وحاتم الطائي
وأمثال هؤلاء .

والأسود بن يعفر شعر معروف ، ذكر فيه (آل محرق) و (الخورنق)
و (السدير) . وله أشعار أخرى ذكرها الرواة . وكان قد أقام مدة عند النعمان
ينادمه ويؤاكلة^٢ .

ويذكر أن المنخل الشكري كان ينادم النعمان وينشده القصائد ، وكان النعمان
يكرمه ويقربه اليه ، غير أنه يؤثر شعر الناطقة على شعره ، وهذا مما غاظ المنخل
وجعله يسعى للإيقاع به^٣ . فأوغر صدر النعمان عليه ، حتى همّ بقتله ، فهرب
الناطقة منه ، وخلا المنخل بمجالسة النعمان ، وأصبح من أقرب المقربين اليه . ولكن
الدنيا كما يقول الناس لا تدوم ، فابث مدة حتى انقلب الحظ على المنخل ،
فدفع به الى (عكب) صاحب سجن النعمان ، وهو من بني تغلب ، فسجنه
وعذّبه ثم قتله . وقيل بل دفن حياً أو أغرق . ومهما يكن من شيء ، فلم تكن
خاتمة هذا الواشي خاتمة حسنة ، وضرب بنهايته المثل كما ضرب بالقارظ العتري
وأشباهه ممن هلكوا ولم يعلم لهم خبر^٤ .

ويروى أن (يزيد بن خذاق) الشاعر ، وهو من (الهيصم) ، كان قد
هجا (النعمان بن المنذر) ، فبعث النعمان كتيبته التي يقال لها (دوسر) ، فاستباحث
قومه^٥ .

ويذكر أن (ليبد بن ربيعة) كان في وفد زار (النعمان بن المنذر) ، فيه

-
- ١ الاغاني (٢٨/١٥ وما بعدها) ، الشعر والشعراء (ص ٧٧) .
 - ٢ الاغاني (١٢٨/١١ وما بعدها) ، مطبعة التقدم ، الشعر والشعراء (١٧٦) ،
المعارف (ص ٦٤٦ وما بعدها) ، ابن هشام ، سيرة (٩١/١) ، الامالي ،
للقالبي (٢٥/١ ، ٧١) .
 - ٣ شعراء النصرانية (ص ٦٤١ وما بعدها) .
 - ٤ شعراء النصرانية (ص ٤٢١ وما بعدها) .
 - ٥ الاشتقاق (٢/٢٠٠) .

أبو البراء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ملاعب الأسنة ، وإخوته طفيل ومعاوية وعبيدة ، لقضاء بعض حوائج لهم ، فوجدوا عنده (الربيع بن زياد العبسي) ، وكان يسمى الكامل ، يأكل مع النعمان تمرّاً مع زيد ، وكان ينادمه ومعه رجل من أهل الشام ، يقال له (سرجون بن توفل) (نوفل) ، وكان حريفاً للنعمان ، من (الربيع) ومعها (النطاسي) وهو طبيب كان له ، ومن ندمائه ، فنظم (ليبد) أبياتاً نابية منفرة في (الربيع بن زياد) ، جعلت (النعمان) يعاف من مؤاكلته فتركه^١ . ولما كتب (الربيع بن زياد) الى النعمان في ذلك ، كتب النعمان اليه : « إنك لست قادراً على ردّ ما تكلمت به الألسن ، فالحق بأهلك » ، ثم كتب اليه شعراً ، كان مما جاء فيه :

قد قيل ما قيل إن حقاً وإن كذباً فما اعتذارك من قول إذا قيلاً^٢

ويقال إن (النعمان بن المنذر) ، نظر الى (شبيب بن ضمرة) ، المعروف ب (ضمرة بن ضمرة) ، وهو من رجال (بني تميم) في الجاهلية ، وله لسان وبيان وكلام ، فقال (تسمع بالمعيدي لا أن تراه) (تسمع بالمعيدي خير من أن تراه) . فقال (ضمرة) . (أبيت اللعن ، إن الرجال لا تكال بالقفران ، ولا توزن بالميزان) . والبيان يجعل هذا للصقعب النهدي ، سيد بني نهد ، الذي أخذ مرباعهم دهرأ .

ولى النعمان هذا نسب بعض الأخباريين قتل عبيد بن الأبرص ، وذلك لظهوره في يوم يؤس النعمان^٣ . وقد عدّ يوم عبيد من أيام الشؤم ، وضرب به المثل ، فقبل (يوم عبيد) . وللى النعمان هذا نسب بعض الأخباريين قتل (عمرو بن مسعود) و (خالد بن نضلة) ، وقد استولوا عليه بشعر لبرة بن عمرو الأسدي^٤ .

-
- ١ الفاخر (ص ١٤١ وما بعدها) ، الاغاني (٢٢/١٦) ، نزهة الجليس (٥٠٧/٢) وما بعدها .
 - ٢ نزهة الجليس (٥٠٩/٢ وما بعدها) ، أمالي المرتضى (١٨٩/١ وما بعدها) .
 - ٣ حمزة (ص ٧٣) ، مجاني الادب (٣٠٩/٣) ، شعراء النصرانية (ص ٦٠٠)
 - ٤ قال ابو تمام :
- من بعد ما ظن الاعادي أنه سيكون لي يوم كيوم عبيد
شعراء النصرانية (٦٠٢) ، اللسان (٢٦٧/٤) ، (خير) .

وقد نسب حمزة الى النعمان بناء الغريين وغريهما بدم من يقتله في يوم يؤسه^١ .
وقد رأينا فيما سلف ان الأخباريين من نسب بناءهما وقصة يومي البؤس والنعيم الى
المنذر بن ماء السماء .

وذكر الأخباريون انه كانت للنعمان عادات ، منها انه اذا غلب الرجل عنده
وفلج على خصمه ، زاده وسادة ، وأمر فلقم عشر لقمات من طعامه قبل أن
يأكل أحدها^٢ .

وللنعمان حاجب ، اشتهر حتى خلد اسمه في الشعر وفي كتب الأدب . واسم
هذا الحاجب (عصام) ، وهو من رجال (جرم) ، وفيه قيل : « نفس
عصام سودت عصاماً » ، وكان النعمان اذا أراد أن يبعث بألف فارس ، بعث
بعصام . ولخطر مركزه ، ولأن في استطاعته ادخال من يريد الوصول الى النعمان
أو تأخيرهم أو منعه ، كان الناس يتوددون اليه ليوصلهم الى الملك . وقد أشار
(النابغة) ، اذ قال :

فلإني لا ألومك في دخول ولكن ما وراءك يا عصام^٣

وكان النعمان في أول عهده عابده وثن ، يتعبد للعزى، ويذبح الذبائح للأوثان،
ثم رأى رأياً فغير دينه ، ودخل في النصرانية . ولبعض مؤرخي الكنيسة . ولبعض
الأخباريين قصص في كيفية اعتدائه الى النصرانية ، مرجعها قصص نصارى أهل
الحيرة على ما يظهر . يحدثنا أصحاب تواريخ الكنيسة ان النعمان ولع به الشيطان
وأصيب بلوثة ووسوسة ، فحاول الشفاء منها بالتجائه الى كهنة الأصنام .
فلما عجزوا من شفائه ، أشار عليه بالالتجاء الى آباء الكنيسة ، فلجأ الى شمعون
ابن جابر أسقف الحيرة ، وإلى (سبريشوع) أسقف (لاشوم) و (ايشوعزخا)
(ايشوع زخا) الراهب فانتفع بهم ، فغير دينه ، فتنصر واعتمد وحسن إيمانه ،
وطرد اليعاقبة من سائر أعماله وتقوت بذلك النسطورية . وكذلك تنصر ولده ،
ومنهم الحسن والمنذر . وكان الحسن أشد الجماعة تمسكاً بالنصرانية . وقد سبقته

-
- ١ حمزة (ص ٧٢) .
 - ٢ شرح ديوان لبيد (ص ٤٠٤) .
 - ٣ الاشتقاق (٢ / ٣١٨) .

أخته هند ومارية الى الدخول في هذا الدين . وهذه رواية النساطرة في كيفية تنصر النعمان^١

أما الأخباريون فينسبون تنصره الى تأثير عدي بن زيد عليه . وهم يروون أنه خرج ذات يوم ركباً ومعه عدي بن زيد ، فوقف بظهر الحيرة على مقابر مما يلي النهر ، فقال له عدي بن زيد : أبيت اللعن ، أتدري ما تقول هذه المقابر؟ قال : لا ! قال : إنها تقول :

أيها الركب المختون على الأرض المجدون
مثل ما أنتم حيننا وكما نحن تكونون

ثم قال :

ربّ ركب قد أناخوا حولنا يشربون الخمر بالماء الزلال
ثم أضحوا لعب الدهر بهم وكذلك الدهر حالاً بعد حال

فأثر هذا القول — على حد قول الأخباريين — في نفس النعمان ، وارعوى ، وتنصر^٢ .

وقد كان تنصر (النعمان) في حوالي سنة (٥٩٣ م) تقريباً ، وصار يعد نفسه من حاة المذهب النسطوري الذي انتشر في العراق ، كما صارت الحيرة من معاقل هذا المذهب أيضاً لدخول أناس من أصحاب الجاه والسلطان فيه . ومن الحيرة خرج (سرجيوس) (Sergios) في أواسط القرن السادس ، فذهب الى اليمن ، الى نجران ، حيث قام بالتبشير هناك ، مدة ثلاث سنوات حتى وافته منيته بعد ثلاث سنين^٣ .

وينسب الى النعمان أبو قابوس دير اللج ، وقد دعي بـ (دير اللجينة) في (تأريخ سعرت) ، ونسبه الى اللجة ابنة النعمان . وذكر ان في هذا الدير قبر

١ Histoire Nestorienne, Seconde Partie, P. 468, 478, Evagrius, IV, 22, Pauly-Wissowa, 33, 1936, 1254, Die Araber, I, S. 198.

٢ حمزة (ص ٧٣ وما بعدها) ، ذكر صاحب الاغانى هذه الابيات مع شيء من الاختلاف ، الاغانى (٩٦/٢) (دار الكتب) ، معجم الشعراء (ص ٢٤٩) .

٣ Die Araber, I, S. 198.

(مار آبا الكبير) الجاثليق^١ .

وينسب أهل الأخبار (شقائق النعمان) الى (النعمان بن المنذر) فيقولون : « وكان خرج الى الظهر وقد اعتم نبتة من بين أحمر وأخضر وأصفر ، وإذا فيه من هذه الشقائق شيء كثير ، فقال : ما أحسنها ! احوها . فحموها فسميت : شقائق النعمان »^٢ .

وذكر ان النعمان كان يعتني بتربية الخيل والإبل والماشية ، فكان يشتري خير فصائلها ويحميها لنفسه ، ولا يسمح لأحد بالحصول عليها أو تلقيح نعمهم أو خيولهم منها الا بأذنه . وقد اشتهرت الحموم والدؤفوف من جملة خيوله^٣ .

وبينا نقرأ في شعر لملك بن نويرة اليربوعي ، ان تاج النعمان بن المنذر كان من ذهب وزبرجد وياقوت^٤ ، نرى (المعري) يشير الى انه كان خرزات ، ولم يكن كتاج المنذر^٥ . وخرزات الملك : جواهر تاجه^٦ .

ونجد في كتب الأخبار والأدب ، ان وفود العرب كانت تفد على (النعمان ابن المنذر) ، فيكرمها ويحبوها ، ويقضي حوائجها . وكان يتخذ الوفود عند انصرافها مجلساً يطعمون فيه معه ويشربون . وقد يتفاخر رؤساء الوفود بعضهم على بعض ، فيحكّمونه في أيهم أفضل . وقد تتحول تلك المفاخرات الى مفاخرات ومهاترات بسبب ترجيح الملك رئيساً على آخر^٧ .

ونسب حمزة الى النعمان أربع بنات . هن : هند ، وحرقة ، وحريقة ، وعنفقر^٨ . وهند هي البنت الوحيدة التي نعرف عنها شيئاً من بنات النعمان ، وقد

١ الحيرة (٢٠٣) ،

Histoire Nestorienne, (Chronique de Seert), Second Partie,

I, P. 155.

٢ المعارف (ص ٢٦٤) ، اللسان (١٠/١٨١ وما بعدها) ، الشعر والشعراء (ص ١٣٨) ، (ليدن) .

٣ ذيل الامالي والنوادر ، للقالبي (ص ١٨٥) .

٤ الجواليقي ، المغرب (٣٥٦) .

٥ رسالة الغفران (٤٧١) ، (بنت الشاطي) .

٦ اللسان (٣٤٥/٥) .

٧ العمدة (٢/٢٢٠ وما بعدها) .

٨ حمزة (٧٤) .

ورد في بعض الروايات أنها لم تكن بنت النعمان ، بل كانت أخته^١ . وذكر أيضاً أن والدها النعمان زوّجها من عدي^٢ . وقد عاشت حتى أدركت الإسلام ، وكانت مترهبة ، فلم تقبل الدخول فيه . ولما ماتت دفنت في ديرها الى جانب قبر أبيها النعمان . وقد بقي الدير والقبران معروفين مدة طويلة في الإسلام .

ويذكر أن (الحرقه) (حرقه) رأت الدنيا كيف أدبرت عن أهلها، ونظرت في حالها بعد هلاك أبيها فقالت :

فبينما نسوس الناس ، والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة نَتَنَصَّفُ
فأفّ لدنيا لا يدوم نعيمها تَقَلَّبُ تاراتِ بنا وتَصَرَّفُ

و (السوقه) هم العامة وسواد الناس .

وقد ذكر المسعودي هذه الأبيات، وقال إنها قالتها لـ (سعد بن أبي وقاص) يوم أُنْتَه في جاعة من قومها ، وقد قال إنها كانت « اذا خرجت الى بيعتها ، يفرش لها طريقها بالحرير والديباج مغشى بالخرز والوشي ، ثم تقبل في جواربها حتى تصل الى بيعتها وترجع الى منزلها . فلما هلك النعمان لفها الزمان فأنزّلها من الرفعة الى الذلة »^٣ . وقد سماها (خرقاء بنت النعمان بن المنذر) . ولعله قصد (خرقاء) أو (حُرْقَة) ، فحرف النساخ الكلمة وصيّرَها (خرقاء) .

وكانت للنعمان جملة نساء ، منهن : زينب بنت أوس بن حارثة ، وفرعة بنت سعد بن حارثة بن لأم ، وقد ولدت له ولداً وبنتاً ، وكانت عنده لما طلبه كسرى ، وصار يتجول بين القبائل ليمنعوه^٤ . ومارية الكندية، وهي أم هند التي تزوجها عدي بن زيد^٥ .

ويذكر (ابن قتيبة) انه كانت للنعمان دار في الحيرة عرفت بـ (الزوراء) . وقد بقيت قائمة الى ايام أبي جعفر المنصور ، فأمر بهدمها ، ولم يذكر السبب

١ الاغانى (٣٤/١) ،

٢ Assemani, Bibl. Orient., III, 109, Rothstein, S. 125. Rothstein, S. 125.

٣ مروج (٢٧/٢) ،

٤ الاغانى (١١٥/١) ، (دار الكتب المصرية) .

٥ الاغانى (١١٩/١) .

الذي حمله على ذلك . وقد ذكرها (النابغة) فقال :

بزوراء في أكتافها المسك كارع^١

وذكر ان في جملة وزراء النعمان عمرو بن ببيعة والد عبد المسيح، وهو صاحب قصر بني ببيعة بالحيرة . وكان عبد المسيح في جملة من اشترك في المفاوضات مع خالد بن الوليد لعقد الصلح وتسليم الحيرة ، وله دير بناه في ظاهر الحيرة في موضع يقال له الجرعة عرف بـ (دير الجرعة) وبـ (دير عبد المسيح)^٢ .

وقد ورد ذكر زوجة من زوجات (النعمان بن المنذر) في كتب الأدب ، هي (المتجردة)^٣ . ويظهر أن (جلم بن عمرو) ، كان قد تعرض لها ، فبلغ أمره (النعمان) فحمله على أن يركب فرسه (اليعموم) ، فأرداه^٤ . وقد وصفها (النابغة) في (الدالية) المتسوية اليه . وسمع (النعمان) بالقصيدة كما يذكر أهل الأخبار ، بدس^٥ حساد النابغة القصيدة والأشعار الأخرى الى النعمان ، فانزعج منها . ولما بلغ (النابغة) الخبر ، فرّ الى الغساسنة لينجو بنفسه من عقابه . وكان النعمان متيمماً بـ (المتجردة) وللشعراء فيها قصائد مشهورات^٥ .

ويذكر أهل الأخبار أن سيفاً من سيوف (النعمان بن المنذر) جيء به الى الخليفة (عمر) ، فأعطاه (جبير بن مطعم)^٦ .

أما عدي بن زيد ، فهو من العباديين ، أي من نصارى الحيرة . وأما والده فهو زيد بن حماد (حماز) بن زيد بن أيوب بن محروق بن عامر بن عصية بن امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم ، فهو تميمي الأصل^٧ . وكان لزيد ثلاثة أولاد هم : عدي هذا الذي تحدثنا عنه ، وعمار (حار) (حماد) واسمه أبسي

-
- ١ المعاني الكبير (٤٦٥/١) ، اللسان (٣٣٨/٤) ، (صادر) ، (زور) .
 - ٢ الاغانى (١١/١٥) ، السجستاني (٣٨) ، البلدان (٦٥١/١) ، ٦٧٧ ، شعراء النصرانية (١٥) .
 - ٣ اللسان (١١٦/٣) ، (صادر) ، (جرد) .
 - ٤ رسالة الغفران (١٩٦) ، اللسان .
 - ٥ رسالة الغفران (١٩٦ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧) ، الاغانى (٨١/١) ، الشعر والشعراء (٢٣٨ ، ٧٦) .
 - ٦ اللسان (٤٨٧/٢) .
 - ٧ الطبري (١٤٦/٢) ، الاغانى (٩٧/٢) (دار الكتب المصرية) ، معجم الشعراء للمرزباني (٢٤٩ وما بعدها) ، شعراء النصرانية (٤٣٩/١ وما بعدها) .

وكان مع كسرى وعمره واسمه سميّ ، ولهم أخ من أهمهم يدعى بن حنظلة ، وهو من (طيء)^١ .

وكان أيوب جد عدي من أهل البامة على رواية الأخباريين ، كان يقيم في بني امرئ القيس بن زيد مناة ، ولكنه اضطر الى ترك البامة والهجرة الى الحيرة لإصابته دماً ، فخاف على نفسه من القتل ، والتجأ الى أوس بن قلام ، وكان بينه وبين أوس نسب في النساء . فلما قدم أيوب الحيرة ، نزل في دار أوس ، وأقام عنده أمدأ . ثم أقام في دار أخرى بعد أن حباه أوس وأكرمه ، وصار له شأن في البلد ومقام . فاتصل بالملوك وتقرب اليهم وغدا من عليّة القوم^٢ .

وصار لزيد بن أيوب شأن يذكر في البلد ، وتزوج امرأة من آل قلام ولدت له ولداً دعاه حمّاداً . وبينما كان زيد يتصيد في البادية ، اصطاده رجل من بني امرئ القيس ، فقتله بسهم أخذاً للثأر قومه من أبيه أيوب . وعلم حمّاد (حمّاز) الكتابة والقراءة ، فكان أول من كتب من بني أيوب في رواية الأخباريين ، وغدا من أكتب الناس في الحيرة ، ولذلك اختير كاتباً للملك الحيرة ، واتصل بكبار الفرس ومنهم (فروخ ماهان) الذي تكفل زيد بن حمّاد بعد وفاته ، وربّاه مع أبنائه . ثم أوصله الى كسرى أنو شروان فجعله على البريد ، لما تبين له من ذكاء زيد وقدرته في العربية والفارسية . وهي وظيفة لم تكن تعطى لغير أبناء الفرس^٣ .

وتزوج زيد امرأة من طيء ولدت له عدياً ، وقد ربي هذا تربية طيبة ، فأرسل الى الكتاب ، فلما حلق ومهر فنه بالعربية ، أرسل الى كتاب الفارسية ، فتعلم مع أولاد المرازبة ومنهم شاهان مرد الفارسية حتى صار من الحاذقين بها العارفين بفنونها ، ثم تعلم الرماية ولعب الصولجان ، واتصل بكبار الفرس . وقد ساعده مركزه هذا على التقرب من آل نخم . والى (زيد بن حمّاد) أوكل

-
- ١ الطبري (١٤٦/٢) ، الاغانى (١٠٥/٢) (دار الكتب المصرية) .
 - ٢ الاغانى (٩٨/٢) (دار الكتب) ، شعراء النصرانية (ص ٤٣٩) ، طبقات ابن سلام (٣١) ، الشعر والشعراء (١١١) ، رسالة الغفران (١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٩٠ ، ١٩٧ ، ٦٠٦) .
 - ٣ الاغانى (٩٦/٢ وما بعدها) (دار الكتب المصرية) ، شعراء النصرانية (٤٤١/١) .

تدبير شؤون ملك الحيرة بعد سياحة النعمان على رواية بعض الأخباريين الى أن انتقل الملك الى المنذر بن ماء السماء .

وقرب عدياً الى كسرى أنو شروان المرزبان فروخ ماهان ، فعهد اليه الكتابة بالعربية ، فتولاها وضار له شأن يذكر عند الفرس ، كما صار له مركز خطير في قصور آل لحم . ولما توفي كسرى أنو شروان ، وملك هرمز ابنه ، أرسل عدياً الى قيصر الروم (طياريوس) (طبريوس) بمهمة سياسية ، فأظهر لباقة وحنكة وحكمة ، مما جعل القيصر يحترمه ، فأكرمه ، وجباه ، وأراه أطراف مملكته ، وذهب الى دمشق ، وأقام فيها أمدأ ، وهو على صلوات حسنة بالروم ، وفي أثناء اقامته بالشام ، أراد أهل الحيرة قتل المنذر والخروج عليه ، لظلمه وأخذة أموالهم بغير حق . فلما علم بذلك المنذر ، طلب من زيد والسد عدي أن يتولى هو الأمر ، وفرح الناس على ما يذكره الرواة بهذا القرار ، فجأؤوه بحيوته بتحية الملك ، ولكنه أبى أن يسمى ملكاً ، ورضي بالحكم بغير هذا الاسم ، وسر المنذر بهذا الحل ، ورضي به . وبقي في هذا المركز الى ان هلك ، وابنه بعيد عنه في دمشق .

فلما جاء عدي من الشام ، لم ينس المنذر فضل أبيه عليه ، وانقاذه الملك بهذا الحل ، وسلمه ما كان قد تركه أبوه ، واستقبله استقبالا عظيماً حينما قدم الحيرة قادماً من المدائن بعد زيارته لكسرى لتقديم هدية القيصر اليه . وأقام في الحيرة سنين يتصيد ويلهو ويلعب ، ويبدو في فصلي السنة ، فيقيم في حفير ، ويشنو بالحيرة ، ويأتي المدائن في خلال ذلك فيخدم كسرى . وكان لا يؤثر على بلاد بني يربوع مبدى من مبادي العرب ، ولا ينزل في حي من أحياء بني تميم غيرهم . وكان أخلاؤه من العرب كلهم بني جعفر . وكانت إبله في بلاد بني ضبة وبلاد بني سعد ، ولم يزل على حاله تلك حتى تزوج هنداً بنت النعمان بن المنذر^٢ .

-
- ١ الاغاني (١٠٠/٢) (دار الكتب المصرية) شعراء النصرانية (ص ٤٤٣) ، المرزباني (٢٤٩ وما بعدها) الشعر والشعراء (ص ١١٣ وما بعدها) (عدي بن زيد العبادي) .
 - ٢ الاغاني (١٠٢/٢) وما بعدها (دار الكتب المصرية) ، المشرق ، الجزء الاول ، كانون الاول ، ١٩٤٤ ، (ص ٤٦ وما بعدها) ، شعراء النصرانية (١ / ٤٣٩ وما بعدها) ، المرزباني (٢٤٩ وما بعدها) .

وأما (مارية الكندية) فهي من كندة من جهة الأم . ثم أمره (النعمان) بالافتراق منها وتخليقها بعد ما غضب عليه وألقاه في السجن .

وروى الأخباريون لعدي شعراً زعموا انه قال أكثره في حبسه وفي معاتبته للنعمان وفي توسله اليه بأن يطلقه من حبسه ، وفيه مواظ تذكّر النعمان بأن الدنيا زائلة ، وأنها دار فناء ، وأن الملك لا يدوم ، وأمثال ذلك . وهو شعر لم ينظر اليه علماء الشعر نظرهم الى شعر الشعراء الفحول ، وذلك لأنه كان قروباً ، أي من أهل الحضر ، ولذلك أيضاً لم يستشهد به علماء اللغة في ضبط قواعد اللغة^١ .

هذا ويذكر (ابن النديم) في كتابه (الفهرست) ان في جملة مؤلفات (ابن الكلبي) الكثيرة مؤلفاً اسمه (كتاب عدي بن زيد العبادي)^٢ ، وهو كتاب لم يصل إلينا حتى الآن . ولعله كان في جملة الموارد الرئيسية التي اعتمد عليها المؤرخون وأهل الأدب والأخبار في تدوينهم أخبار ذلك الشاعر السياسي الأديب .

ونجد في (رسالة الغفران) شعراً لعدي . وقد دعي بـ (السروي) في موضع منها ، حين تحدث مؤلفها (المعري) عن المنادمة وعن باطية الخمر^٣ . وكُنِّي بـ (أبي سودة) في موضع آخر^٤ .

وانتقل ملك الحيرة بعد مقتل النعمان الى رجل غريب لم يكن من لحم ، اسمه إياس بن قبيصة الطائسي^٥ ، أو إياس بن قبيصة بن أبي عفراء ، أو إياس بن قبيصة بن النعمان بن حية بن سعة^٦ . وله خال اسمه حنظلة بن أبي عفراء بن النعمان . ويقال انه كان نصرانياً . وقد ذكر له أخ اسمه قيس بن قبيصة كان نازلاً بعين التمر^٧ . وذكر ان والده كان من شعراء جرم، وجرم رهط من طيء^٨ .

-
- ١ الاغانية (١٠٩/٢) (دار الكتب المصرية) ، الشعر والشعراء (ص ١١٤) ، (عدي بن زيد العبادي) .
 - ٢ الفهرست (ص ١٤٧) .
 - ٣ رسالة الغفران (ص ١٨٥) .
 - ٤ رسالة الغفران (١٨٦ ، ١٩٠ ، ٢٠٣) .
 - ٥ حمزة (ص ٧٤) ، (إياس بن قبيصة بن أبي عفراء بن النعمان بن حية بن سعية بن الحارث بن الحويرث بن ربيعة بن مالك بن سقر بن هني بن عمرو بن غوث بن طيء) ، شعراء النصرانية (ص ١٣٥) ، ديوان الاعشى (ص ١٦٢) (طبعة الدكتور م . محمد حسين) .
 - ٦ الاشتقاق (٢٣١) .
 - ٧ Rothstein, S. 119.
 - ٨ شعراء النصرانية (ص ٩٣) .

وآل قبيصة من الأسر المعروفة في الحيرة ، وقد سبق أن عهدت الى إياس ادارة مهيات الحكومة بعد وفاة المنذر ، فكث أشهراً ملكاً يدير أمور الملك الى أن أعطي التاج للنعمان أبي قابوس . ويظهر من روايات الأخباريين انه كان مقرباً من كسرى لأنه ساعده حينما هرب من بهرام ، وأهدى اليه فرساً وجزوراً ، ولأنه عاونه في نزاعه مع الروم^١ . فلما فرّ أبناء النعمان بعد مقتل والدهم ، وتشتت شمل البيت المالك مدة ، تذكر كسرى فضل هذا الرجل عليه فعينه ملكاً على الحيرة ، وعين معه رجلاً فارسياً اختلفوا في اسمه ، فقالوا : (الهمرجان) و (البحرجان) و (النخرجان) و (التخرجان)^٢ . وهو اختلاف يسير ، يعود سببه على ما يظهر الى عدم تمكن النسخ أو الرواة من ضبط الكلمة . والظاهر انها وظيفة ومركز ، حسبها الرواة اسم علم ، فأطلقوها على شخص^٣ . وقد كان كسرى قد عينه مدة أشهر على الحيرة ، وذلك قبل أن ينتقل الملك الى النعمان^٤ .

وذكر الأخباريون ان كسرى بن هرمز كان يتيمن بـ (إياس) ، ويفزع اليه في حروبه ويعجبه ، وانه استنجد به في حربه مع قيصر ، فتعقبه حتى أدركه في موضع (ساتيدما) فأثنى القتل في جنوده ، ونجا قيصر في خواص من أصحابه بصعوبة . وأصيب إياس بمرض في هذه السفرة ، أشار الأعشى في شعره اليه^٥ . وللأعشى قصائد في مدح إياس ، وكانت له صلة به ، وقد أغدق عليه نعمه^٦ .

وفي رواية ذكرها أبو الفرج الأصبهاني أن كسرى كان قد عين إياساً على عين التمر وما والاها من الحيرة ، وأطعمه ثلاثين قرية على شاطئ الفرات^٧ . ويظهر من هذه الرواية ومن رواية وفاته في عين التمر ووجود أخيه فيها أن عين التمر كانت من مناطق نفوذ هذه الأسرة حتى في أيام ملك آل لخم .

وذكر (الدينوري) أن كسرى ولي إياس بن قبيصة الطائي ثمانية أشهر ،

-
- ١ الطبري (١٥٢/٢) .
 - ٢ حمزة (ص ٧٤) ، ابن الاثير (٢٠٠/١) شعراء النصرانية (١٣٧) .
 - ٣ Nöldeke, Sassa. 152, Rothstein, S. 120.
 - ٤ شعراء النصرانية (١٣٥) ، الطبري (١٩٤/٢) (دار المعارف) .
 - ٥ ديوان الاعشى (ص ١٥٩) (طبعة كاير) البلدان (٦/٥) (مادة ساتيدما) .
 - ٦ ديوان الاعشى ، القصائد ٢١ ، ٢٩ ، ٣٦ ، ٥٥ ، ٧٩ .
 - ٧ الاغانى (١٣٤/٢١) .

واضطرب أمر كسرى وجاء الاسلام ومات إياس بعين النمر ، وفيه يقول
زيد الخيل :

فان يكُ رب العين خلى مكانه فكل نعم لا محالة زائل

وذكر بعض أهل الأخبار أن حكم إياس دام تسع سنين^١ .
ولا نعرف شيئاً مهماً قام به إياس في أثناء توليه الملك ، ويظهر أن حكمه
لم يكن يتجاوز هذه المنطقة التي أشار اليها الاخباريون ، ولم يشر الاخباريون الى
قيامه بغارات على عرب الشام . أما الشيء المهم الذي وقع في أثناء توليه الحكم ،
فهو يوم ذي قار .

ذو قار :

وذو قار ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط^٢ . وبالقرب
منه مواضع منها حنو ذي قار وقرقر وجبابات ذي العجرم وجذوان وبطحاء
ذي قار^٣ . ويقع حنو ذي قار على ليلة من ذي قار^٤ .

يرجع الاخباريون سبب وقوع ذي قار الى مطالبة (كسرى ابرويز) هانئ
ابن قبيصة بن هانئ بن مسعود أحد بني ربيعة بن ذهل بن شيان بتسليم الودائع
التي أودعها النعمان لديه اليه . فلما أبى هانئ تسليم ما أؤتمن عليه لغير أهله ،
غضب كسرى ، فبعث الى الهامرز التستري ، وهو مرزبان الكبير ، وكان مسلحه
في القطقطانة ، والى جلايزين وكان مسلحه في بارق ، كما كتب الى قيس بن
مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الجدين ، وكان كسرى استعمله على سفوان
بأن يرافقوا إياساً فإذا اجتمعوا فإياس على الناس . وجاءت الفرس معها الجنود
والفيلة عليها الأساورة ، فالتحموا بأرض ذي قار . فلما كان اليوم الأول ، استظهر
الفرس على العرب ، ثم جزعت الفرس في اليوم الثاني من العطش ، فصارت
الى الجبابات ، فتبعتهم بكر وباقي العربان ، فعطش الأعاجم ، ومالوا الى بطحاء
ذي قار وبها اشتدت الحرب ، وانهزمت الفرس ، وكسرت كسرة هائلة ، وقتل

١ المعارف (ص ٢٨٤) ، المحبر (٣٥٩ وما بعدها) .

٢ البلدان (٨/٧) .

٣ Rothstein, S. 121.

٤ البلدان (٨/٧) .

أكثرهم وفيهم الهامرز وجلابزين ، وانتصر العرب على الفرس انتصاراً عظيماً ،
وانتصفت فيه العرب من العجم^١ .

ويوم ذي قار لم يكن اذن يوماً واحداً ، أي معركة واحدة وقعت في ذي قار
وانتهى أمرها بانتصار العرب على الفرس ، بل هو جملة معارك وقعت قبلها ثم
ختمت بـ (ذي قار) ، حيث كانت المعركة الفاصلة فنسبت المعارك من ثم
الى هذا المكان . ومن هذه الأيام : يوم قُراقر ، ويوم الحنو . حنو ذي قار ،
ويوم حنو قراقر ، ويوم الجبابات ، ويوم ذي العُجَرم ، ويوم الغدوان ، ويوم
البطحاء : بطحاء ذي قار ، وكلهن حول ذي قار^٢ .

أما متى وقع يوم ذي قار ، فالمؤرخون مختلفون في ذلك ، منهم من جعله في
يوم ولادة الرسول، ومنهم من جعله عند منصرف الرسول من وقعة بدر الكبرى^٣ ،
ومنهم من جعله قبل الهجرة^٤ . وقد ذهب (روثشتاين) الى انه كان حوالي
سنة (٦٠٤ م) ، وذهب نولدكه الى انه بين (٦٠٤) و (٦١٠ م)^٥ . وأكثر
أهل الأخبار انه وقع بعد المبعث ورووا في ذلك حديثاً قالوا إن الرسول لما بلغه
من هزيمة ربيعة جيش كسرى ، قال : « هذا أول يوم انتصف العرب من
العجم ، وبني نصرُوا »^٦ .

والذي يستنتج من روايات أهل الأخبار عن معركة ذي قار ان (هانيء بن
مسعود الشيباني) ، لم يكن قائد بني شيبان ولا غيرها من العرب يوم ذي قار ،
بل تذهب بعض الروايات الى انه لم يدرك هذا اليوم ، لأنه هلك قبله، وإنما هو:

- ١ الطبري (١٥٢/٢ وما بعدها) (المعارف) (ص ٦٠٣) ، البلدان (٨/٧ وما
بعدها) شعراء النصرانية (ص ١٣٧) ، مجمع الامثال (٣٥٢/٢) ، العملة ،
لابن رشيقي (١٦٩/٢) ، حمزة (ص ٩١) ، ابو الفداء ، المختصر في اخبار
البشر ، (١٠١/١) ، (دار الكتاب اللبناني) ، مروج الذهب (٢٣٦/١) ،
(وكتب كسرى الى قيس بن خالد ، وكان عاملاً له على الطف) ، العملة (٢١٨/٢)
(وقتل الهامرز بن خلا بزر عامل كسرى) ، العملة (٢١٨/٢) .
- ٢ الطبري (١٩٣/٢) وما بعدها .
- ٣ البلدان (٩/٧ وما بعدها) ، التنبيه والاشراف (ص ٢٤١) . (بيروت)
- ٤ (١٩٦٥) ، اليعقوبي (١٨٤/١ وما بعدها) (طبعة النجف) .
- ٥ المحبر (ص ٣١٠) .
Rothstein, S. 123.
- ٦ الطبري (١٩٣/٢) (دار المعارف) ، التنبيه ص (٢٤١) (بيروت ١٩٦٥ م) ،
الكامل (٢٨٥/١ وما بعدها) .

(هانيء بن قبيصة بن هانيء بن مسعود)^١ . وترى روايات أخرى أن (هانيء ابن مسعود) ، كان يخشى عاقبة هذه الحرب وانه لم يكن يريد مقابلة الفرس ، وكل ما كان يريده هو الاحتفاظ برهينة النعمان ، وأن الفرس عندما دنوا من العرب بمن معهم : « انسل قيس بن مسعود ليلاً فأتى هانئاً ، فقال له : أعط قومك سلاح النعمان فيقووا ، فإن هلكوا كان تبعاً لأنفسهم ، وكنت قد أخذت بالحزم ، وإن ظفروا ردّوه عليك . ففعل . فقسم الدروع والسلاح في ذوي القوى والجلد من قومه . فلما دنا الجمع من بكر ، قال لهم هانيء : « يا معشر بكر ، إنه لا طاقة لكم بجنود كسرى ومن معهم من العرب ، فاركبوا القلابة . فتسارع الناس الى ذلك ، فوثب حنظلة بن ثعلبة بن سيار فقال له : إنما أردت نجاتنا ، فلم ترد علي أن ألقيتنا في الهلكة ، فرد الناس وقطع وضئ الموادج ، لئلا تستطيع بكر أن تسوق نساءهم إن هربوا - فسمي مقطّع الوضئ - ، وهي حزم الرجال . ويقال : مقطّع البطن ، والبطن حزم الأقتاب ، وضرب حنظلة على نفسه قبة يبطحاء ذي قار ، وآلى ألا يفر حتى تفر القبة . ففضى من مضى من الناس ، ورجع أكثرهم ، واستقوا ماءً لنصف شهر ، فأتتهم العجم ، فقاتلتهم بالحنسو ، فجزعت العجم من العطش ، فهربت ولم تقم لمحاصرتهم ، فهربت الى الجبابات ، فتبعتهم بكر وعجل »^٢ ، « فقاتلوهم بالجبابات يوماً . ثم عطش الأعاجم ، فالوا الى بطحاء ذي قار ، فأرسلت إياد الى بكر سراً - وكانوا أعواناً على بكر مع إياس بن قبيصة : أي الأمرين أعجب اليكم . أن نظير تحت ليلتنا فنذهب ، أو نقيم ونفر حين تلاقون القوم ؟ قالوا : بل نقيمون فإذا التقى القوم انهزمتم » . فلما التقى القوم في مكان من ذي قار يسمى (الجب) اجتلدوا والتحموا ، فانهزمت (إياد) كما وعدتهم ، وانهزم الفرس^٣ .

ويذكر (الطبري) في رواية من رواياته عن (ذي قار) أن الناس توامروا فولوا أمرهم حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي ، وكانوا يتيمنون به ، فقال

-
- ١ الطبري (٢٠٦/٢) ، معجم (١٠٢٤/٣) ، الكامل (٢٨٥/١) وما بعدها .
 - ٢ الطبري (٢٠٦/٢) ، معجم (١٠٤٢/٣) ، الكامل (٢٨٥/١) وما بعدها .
 - ٣ الطبري (٢٠٨/٢) وما بعدها ، العقد الفريد (٣٨٣/٣) وما بعدها ، (٢١١/٥) ، الكامل (٢٨٥/١) وما بعدها (الطباعة المنيرية) ، نهاية الارب (٤٣١/١٥) وما بعدها ، صبح الاعشى ، (٣٩٢/١) (دار الكتب) .

لهم : لا أرى إلا القتال ، فتبعوا أمره ، وهو الذي تولى إدارة القتال ، فكان له شأن كبير فيه ، وقد قاد قومه من (بني عجل) في ذلك القتال ، فله النصيب الأكبر منه^١ . وقد احتل (حنظلة) مسيرة (هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود) رئيس بكر في القتال الذي جرى في ذي قار في موضع الجب^٢ .

وكان (هانئ بن قبيصة) رئيس بكر يشغل القلب في أثناء الهجوم على الفرس يوم الجب في ذي قار ، وكان على ميمنته (يزيد بن مسهر الشيباني) ، و (حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي) على يسارته يحميه من كل هجوم جانبي يقع عليه من الميسرة ، كما ذكرت^٣ .

وكان (يزيد بن حمار السكوني) ، وهو حليف لبني شيبان ، قد كمن مع قومه من بني شيبان في مكان من ذي قار هو الجب ، فلما جاء إياس بن قبيصة مع الفرس الى هذا المكان ، خرج مع كمينه ، فباغت إياساً ومن معه ، وولت إياساً منهزمة ، فساعد بذلك كثيراً في هزيمة الفرس^٤ .

فهؤلاء المذكورون اذن هم الذين قادوا نصر العرب على الفرس . وقد ذهب بعض الأخباريين الى أن الحرب الرئيسية دارت على بني شيبان ، ورئيس الحرب هو (هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود) . أما (حنظلة) فكان صاحب الرأي^٥ . ولكن الذي يظهر من دراسة مختلف الروايات ان شأن حنظلة في القتال كان أهم وأعظم من شأن هانئ فيه ، حتى لقد ذكرت بعض الروايات انه هو الذي ولي أمر القتال بعد هانئ ، وان القوم صيروا الأمر اليه بعد هانئ في معركة (جب ذي قار) وانه هو الذي قتل (جلابزين) ، وان كتيبته (كتيبة عجل) قامت بأمر عظيم في هذه المعركة التي انتهت بهزيمة الفرس^٦ . وكان حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي من سادات قومه ، وهو صاحب قبة ،

١ الطبري (٢٠٧/٢ وما بعدها) .

٢ الطبري (٢٠٩/٢) .

٣ الطبري (٢٠٩/٢) (دار المعارف) ابن خلدون (٦٢٦/٢) (دار الكتب اللبنانية) .

٤ الطبري (٢٠٩/٢) (دار المعارف) .

٥ الكامل ، لابن الاثير (٢٨٥/١ وما بعدها) .

٦ الطبري (٢١٠/٢) (دار المعارف) .

ضربت له يوم ذي قار ويوم فلج^١ ، ولا تضرب قبة الا الملك أو سيد . وكانت له بنت يقال لها (مارية) ، كانت معه في هذه المعركة ، وهي أم عشرة نفر أحدهم جابر بن أنجر . وأورد الطبري شعراً في يوم ذي قار نسبته الى (يزيد بن المكسر بن حنظلة بن ثعلبة بن سيار) ، وإذا كان يزيد هذا هو حفيد حنظلة كما يظهر من سياق النسب ، يكون حنظلة اذ ذاك كبيراً في السن . وقد نسب الطبري الى حنظلة شعراً ذكر انه قاله في يوم ذي قار^٢ .

وذكر ان (النعمان بن زرعة التغلبي) هو الذي أشار على كسرى بمهاجمة (هانيء بن مسعود الشيباني) في ذي قار ، وكان يجب هلاك بكر بن وائل ، وان إياداً وهي في الحرب انفقت سراً مع بكر على الحرب ، فهربت حين كان إياس بن قبيصة والفرس يقاتلون بكراً ، فاضطرب صف العجم، وولوا الادبار ، فقتل منهم من قتل ، وأسر عدد كبير . وأسر (النعمان بن زرعة التغلبي)^٣ .

والروايات عن معركة ذي قار ، هي على شاكلة الروايات عن أيام العرب وعن حروب القبائل وغزو بعضها بعضاً، من حيث تأثرها بالعواطف القبلية وأخذها بالتحيز والتعزب . فترى فيها تحيزاً لبني شيبان يظهر في شعر (الأعشى) لهم ، اذ يمدحهم خاصة ، مما أدى الى غضب غيرهم مثل (الهازم)^٤ ، ونرى فيها اعطاء فخر لفلان وحبسه عن فلان . ولذلك يجب على الباحث عن أيام العرب وعن حروب القبائل وغزواتها أن يفتن لذلك .

وشعر الأعشى ، أعشى بكر ، في ذي قار ، ومدحه قومه (بني بكر) ، شعر مهم للوقوف على حوادث تلك المعركة وكيف جرت^٥ . ولبيكر : أصم بني الحارث ، شعر أيضاً يمدح فيه بني شيبان ويمجد عملهم وفعلهم في هذا اليوم^٦ . وقد هجا (أعشى بكر) في قصيدة له عن يوم ذي قار وعن مقام عشيرته

-
- ١ الاشتقاق (ص ٢٠٨) .
 - ٢ الطبري (٢٠٩/٢ وما بعدها) .
 - ٣ ابن الاثير (١٧٣/١ وما بعدها) ، الطبري (٦١٢/١) ، الاغانى (١٢٧/٢) ، ابن خلدون ، القسم الاول ، المجلد الثاني (ص ٥٥٦) ، (منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر) بيروت ١٩٥٦ م . العمدة (٢١٨/٢) .
 - ٤ الطبري (٢١١/٢) .
 - ٥ الكامل (٢٨٥/١ وما بعدها) .
 - ٦ الطبري (٢١١/٢) (دار المعارف) الكامل ، لابن الاثير (٢٨٥/١ وما بعدها)

ومكانته فيه تميماً وقيسَ عيلان ، ثم تعرض لقبائل معد ، فقال :
لو أن كل معد كان شاركننا في يوم ذي قار ، ما أخطأهم الشرف^١
ونجد شعراً للعديل بن الفرخ العجلي^٢ ، يفتخر فيه بقومه ويتباهى بانتصارهم
على الفرس في هذا اليوم ، فيقول :

ما أوقد الناس من نار لمكرمة إلا اصطلينا ، وكنا موقدي النار
وما يعدون من يوم سمعت به للناس أفضل من يوم بندي قار
جئنا بأسلابهم والخيول عابسة يوم استلبنا لكسرى كل أسوار^٣

وكان هانيء بن قبيصة ، من أشرف قومه ، وكان نصرانياً ، وأدرك الإسلام
فلم يسلم ، ومات بالكوفة^٤ . أما (قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي
الجد بن) ، فكان سيد قومه في أيامه ، وذلك قبل الإسلام . وكان كسرى استعمله
على (طف سفوان)^٥ .

ويذكر بعض أهل الأخبار أن هناك يوماً آخر ، عرف بيوم (ذي قار) ،
وقد وقع أيضاً بين العرب والفرس ، فانتصر فيه العرب أيضاً ، وقد وقع قبل
اليوم المذكور ، فعرف لذلك بيوم ذي قار الأول ، وبيوم صيد ، وبيوم القبة .
وكان سبيه أن بكر بن وائل أصيبت بسنة (أي قحط) فخرجت حتى نزلت
بندي قار ، وأقبل حنظلة بن سيار العجلي ، حتى ضرب قبه بين ذي قار وعين
صيد ، وكان يقال له (حنظلة القياب) ، وكانت له قبة حمراء ، إذا رفعها
انضم إليه قومه ، فأثامهم عامل كسرى على السواد ليخرجهم منه ، فأبوا ، فقاتلهم
فهزموه وانتصروا عليه^{*} .

وقد نسب الى (زيد الخيل) شعراً ، زعم انه قاله يذكر لإياس بن قبيصة
الطائي هو :

-
- ١ الكامل (٢٨٥/١ وما بعدها) ، نهاية الارب (٤٣١/١٥ وما بعدها) .
 - ٢ الشعر والشعراء (٣٧٥/١) .
 - ٣ الاشتقاق (ص ٢١٦) .
 - ٤ الطبري (٢٠٧/٢) (دار المعارف) .
 - ٥ البكري (١٠٤٢/٣) .

أفي كل عام سيد يفقدونه تحكك من وجد عليه الكلاكل ؟
ثم يكون العقل منكم صحيفة كما علقت على السلم الجلاجل ؟

وقد قال (ابن قتيبة الدينوري) في تفسيره : « كان كسرى أرسل الى مال إياس ليأخذه فنفرت عن ذلك طيء ، وقد أراد أن يبطش بأناس منهم . فلما رأى ذلك كسرى ، كتب لهم كتاباً في أمان ، فقال زيد شعراً ، هذان البيتان فيه ، يحض قومه ، وينهاهم أن يقبلوا كتابه ، أو يطمثوا الى قوله^١ . وليس في هذا الشرح كما نرى تفسيراً للسبب الذي دفع كسرى الى المطالبة بمال إياس . هل كان ذلك بسبب اختلافه معه ، أو بسبب آخر . ولا يعقل أن تكون هذه المطالبة في حالة صلح وعلاقات طيبة بين الجهتين ، بل لا بد أن تكون عن ظروف سيئة لم يتطرق لها (ابن قتيبة) .

وعندي ان هذه الحادثة ان صحت روايتها ، وجب أن تكون قد وقعت بعد موت (إياس) ، وتركه ثروة وأملاكاً طائلة ، فأراد الفرس الاستحواذ عليها ، وأخذ ما جمعه من مال ، فحدث ما حدث .

وذكر الأخباريون بعد (إياس) رجلاً فارسياً قالوا انه هو الذي حكم (الخيرة) وملكها في زمن (أبرويز) ، وفي زمن شيرويه بن أبرويز ، وفي زمن أردشير ابن شيرويه ، وفي زمن بوران بنت أبرويز ، وذكروا ان مدة حكمه سبع عشرة سنة أو أقل من ذلك . وسموا هذا الرجل (أزاديه بن ماهيبان بن مهرا بنداد)^٢ أو (أزاديه بن يابيان بن مهر بنداد الهمداني)^٣ ، أو (آزاديه بن ماهان بن مهر بنداد الهمداني) أو (زادويه الفارسي) . حكم سبع عشرة سنة ، من ذلك في زمن كسرى بن هرمز أربع عشرة سنة وثمانية أشهر ، وفي زمن شيرويه بن كسرى ثمانية أشهر ، وفي زمن أردشير بن شيرويه سنة وسبعة أشهر ، وفي زمن بوران دخت بنت كسرى شهراً^٤ . ولكنهم لم يذكروا من أمره شيئاً ، فلا نعرف من أعماله أي شيء مع طول مدة حكمه ان صحت رواية الأخباريين .

١ المعاني الكبير (١٠٠٨/٢) .

٢ (زاديه بن ماهيبان بن مهرا بنداد الهمداني) ، حمزة (ص ٧٤) ، المجسر (٣٦٠) .

٣ الطبري (١٥٦/٢) .

٤ الطبري (٢١٣/٢) ، مفاتيح العلوم (٦٩) .

وأرى ان (دادويه الفارسي) الذي ذكر (حمزة الأصفهاني) انه كان قد ملك الحيرة ، هو (زادويه) المذكور ، وان النساخ قد أخطأوا في كتابة الاسم فصيروه على هذه الصورة ، او ان (حمزة) نفسه قد أخطأ في التسمية ، أو هو نقلها من كتابين مختلفين أو من مصدر واحد كتبها بصورتين ، فشايعه حمزة ولم يتبته الى انه صيّر الاسم الواحد اسمين .

وذكر بعض أهل الأخبار ان الذي حكم بعد (آزاذبه) هو (المنذر بن النعمان ابن المنذر) المعروف بـ (الغرور) أو (المغرور) ، وهو المقتول بالبحرين يوم جوثا^١ ، « فكان ملكه وملك غيره الى أن قدم خالد بن الوليد الحيرة ثمانية أشهر »^٢ . وهو كلام مشكوك فيه . ففي الاخبار أن المنذر لم يحكم الحيرة ، وإنما حكم البحرين في أثناء الردة ، وذلك بأن ربيعة حينما ارتدت عن الاسلام قالت : نرد الملك في المنذر بن النعمان بن المنذر . فلما حارب المسلمون المرتدين ، منوا بهزيمة منكرة ، وسقط المنذر أسيراً في أيدي المسلمين . ويقال إنه أسلم على أثر ذلك ، وسمى نفسه (المغرور) بدلاً من (الغرور) ، وهو اللقب الذي كان يعرف به قبل اسلامه^٣ .

ويظهر أن النصرانية كانت هي المتفشية في البحرين وفي بني عبد القيس ، وقد كان المنذر الغرور مع المرتدين ، الذين تركوا الاسلام وعادوا الى النصرانية بعد دخولهم في الإسلام^٤ .

وقد ذكر (الطبري) في حديثه عن يوم المقر وفم فرات بادقلي : أن الذي كان يلي أمر الحيرة هو (الآزاذبه) ، وقال فيه : « كان مرزبان الحيرة أزمان كسرى الى ذلك اليوم »^٥ . وقد كان من أشرف الفرس وسادتهم ، وذكر أيضاً : أن قيمة قلعته خمسون ألفاً ، وقيمة القلنسوة عند الفرس تدل على مكانة صاحبها وشأنه عند الساسانيين . وانه لما سمع بسدنو (خالد بن الوليد) من الحيرة تهيأ لحربه ، وقدم ابنه ، ثم خرج في أثره حتى عسكر خارجاً من الحيرة ، وأمر ابنه بسد الفرات ، ولكن خالداً فاجأه وأصاب جيشه فلما بلغ أباه خبر ما حل

-
- ١ المحبر (٣٦٠) ، حمزة (٧٥) ، مفاتيح العلوم (٦٩) .
 - ٢ الاغانى (٤٨ / ١٤) ، ابن الاثير ، الكامل (١٥٤ / ٢) .
 - ٣ الطبري (١٣٦ / ٣) وما بعدها (دار المعارف بمصر) .
 - ٤ الطبري (٣٥٩ / ٣) .
 - ٥ الطبري (٣٥٩ / ٣) .

به ، هرب من غير قتال ، وكان عسكره بين الغرين والقصر الأبيض ، وتمكن بذلك خالد بن الوليد من فتح الحيرة^١ .

فيهم من حديث الطبري عن فتح الحيرة أن المنذر بن النعمان لم يكن قد ولي حكمها ، وأن ما ذكره من توليه الحكم ثمانية أشهر ، يناقض ما ذكره هو فيما بعد عن فتح الحيرة وبقيّة أرض العراق ويخالف كذلك ما ورد في بقيّة كتب أهل الأخبار عن فتوح العراق .

وكان ملوك الحيرة مثل غيرهم من الملوك ، كالغساسنة والساسانيين والروم ، يتراسلون مع القبائل وعماهم بالبريد . وكانت برد ملوك العرب في الجاهلية الخيل^٢ ، تنطلق في مراحل ، فإذا بلغ البريد المرحلة المعينة استراح ، وتولى البريد الثاني نقل الرسائل الى المكان المقصود ... وبذلك تمّ المراسلات .

ومن الأسر المعروفة في الحيرة ، العلسيون ، وهم من (كليب) ، وقد نسبوا الى أمهم على ما يذكره أهل الأخبار .

ومن سادات الحيرة وأشرفها (بنو الأوس بن قلام بن بطين بن جمهير (جمهر) بن لحيان) ، وكان منهم (جابر بن شمعون) الأسقف من أساقفة الحيرة المعروفين ، وهو صاحب القصر الأبيض بالحيرة^٣ .

وقد اشتهرت الحيرة بسوقها ، إذ كان الأعراب وتجار جزيرة العرب يقصدون السوق لبيع تجارتهم وشراء ما فيها من سلع نفيسة مطلوبة في بلاد العرب . وقد اشتهرت بنوع خاص من السيوف ، قيل لها (السيوف الحاربية) ، كما عرفت بصناعة الأنماط^٤ .

واشتهرت الحيرة بقصرها المعروف بـ (الخورنق) . وهو قصر يقع على ثلاثة أميال منها ، ويقال إنه بني على نهر : بناه للنعمان المعروف بالأعور بناءً رومي اسمه (سمار) في عشرين سنة . وقد لقي البناء مصرعه بسبب هذا القصر ، في

١ الطبري (٣٥٩/٣) وما بعدها .

٢ قال. امرؤ القيس الكندي :

على كل مقصوص الذنابي معاود بريد السرى بالليل من خيل بريرا

الكامل ، للمبرد (٢٨٦/١) .

٣ الإغاني (١١٥/٢) .

٤ مروج الذهب (٩٠/٢) وما بعدها ، البلدان (٣٢٨/٢) ، فتوح البلدان (٢٤٥)

قصص يرويه عنه أهل الأخبار ، ويضربون به المثل في المكافأة على الفعل الحسن بالقيح^١ .

ولأهل الأخبار آراء في التسمية : منهم من يقول إنها عربية ومن أصل عربي ومنهم من يقول إنها فارسية ، وأن اللفظة معربة .

وارتبط باسم (الخورنق) اسم قصر آخر هو (السدير) . وقد بني في البرية ، فهو أبعد من الخورنق عن الحيرة^٢ . ولأهل الأخبار كعادتهم في تحليل الأسماء العادية مذاهب في التسمية . ويرجح المستشرقون أنها من الألفاظ المعربة عن الفارسية^٣ . وقد كان ذا قسب ثلاث ، ويتألف من ايوان ينتهي الى غرفه ، وعلى جانبيه غرفتان . ويظهر من روايات أهل الأخبار انه كان أقدم عهداً من الخورنق ، وإن ملوك آل نخم كانوا يقيمون فيه في قديم الزمان^٤ .
وذكر ان (السدير) نهر بالحيرة ، قال عدي :

سرّه حاله وكثرة ما يد سلك ، والبحر معرضاً ، والسدير^٥

وفي شعر ينسب الى الأسود بن يعفر ، ذكر للقصرين المذكورين ، رثى الشاعر فيه حال (آل محرق) ، وتألّم وتوجع لما نزل وحلّ بهم ، كما توجع لإياد ، إذ قال :

ماذا أؤمل بعد آل محرق تركوا منازلهم ، وبعد إياد ؟
أرض الخورنق والسدير وبارق^٦ والقصر ذي الشرفات من سنداد^٧

١ القاموس (٢٢/٣) تاج اللغة وصحاح العربية ، للجوهري ، (٧٩/١) ،
مراصد الاطلاع (٤٩٨/١) ، اللسان (٧٨/١) ، اليعقوبي (١٧٠/١) ، أمثال
العرب ، للمفضل الضبي (ص ٩٦) .

٢ الجوهري ، تاج اللغة (٣٣٠/١) ، البكري ، معجم (٧٢٩/١) ، ابن سيدة ،
المخصص (١٢٦/٥) ، الديارات ، للشابشتي (١٥٢) ، مراصد الاطلاع
(٦٩٩/١) .

٣ (والسدير : بناء ، وهو بالفارسية شهد لي ، أي ثلاث شعب ، أو ثلاث
مداخلات . وقال الاصمعي : السدير فارسية) ، اللسان (٣٥٥/٤) .

٤ الديارات (١٥٢) .

٥ اللسان (٣٥٥/٤) ، (صادر) ، (سدر) .

٦ اللسان (١٨/١١) وما بعدها ، (صادر) ، ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء
(١١٦ وما بعدها) .

ويجب أن يكون هذا الشعر قد نظم بعد نكبات حلت بـ (آل محرق) ،
حملتهم على ترك ديارهم وعلى زوال سلطانهم عنها ، أي بعد النكبة التي حلت
بالنعمان بن المنذر بعد زوال دولة المناذرة .

وبارق : اسم موضع على مقربة من الكوفة ، وموضع آخر في السّواد على
مبعدة من الكوفة^١ . أما (سنداد) فمن مواضع لباد .

ومن الأماكن التي تنسب إلى ملوك الحيرة موضع يعرف باسم (الدوسر) ،
قبل أنه من أبنية أحد أمراء الحيرة . وقد ملكه (جعبر بن مالك) ، وهو من
(بني قُشَيْر) ، فنسب إليه ، وعرف بـ (قلعة جعبر) . ويظن أنه موضع
(Dausara) الذي ذكره (اسطيقيان البيزنطي) . ويقع على الشاطئ الأيسر لنهر
الفرات. ومن أسمائها عند اليونان (Dausas) و (دونه) (Daune) و (Dabanae)^٢ .

ومن المواضع القريبة من الحيرة موضع يعرف بـ (الخصوص) ، تنسب إليه
(الدنان) ، ذكر في (صادية) (عدي بن زيد العبادي)^٣ . وموضع (عمير
للخصوص) وهو قرية من قرى الحيرة . ودير قرّة ، وهو بإزاء (دير الجماجم)
منسوب إلى (قرّة) ، وهو رجل من نَحْم بنائه على طرف البر أيام النعمان^٤ .

وقد تأثر فن بناء القصور في الحيرة وما والاها من قصور (آل نَحْم) بالفن الساساني
فصار في القصر رواق في الوسط هو مجلس الملك ، وهو الصدر ، وجناحان هما كُمان
يُكوّنان طرفي الرواق ، ميمنة وميسرة . وقد صار هذا الطراز من البناء سمة
من سمات بناء قصور الحيرة ، وكذلك تأثر تزويق جدران بيوت الحيرة ونقشها
بطريقة الفن الساساني في تزيين جدران القصور والبيوت ونقشها . وقد أثرت طريقة
أهل الحيرة هذه في فن البناء في مدينة (سامراء)^٥ .

وفي كتاب (مروج الذهب) إشارة إلى قصر المتوكل المعروف بـ (الحيري)

١ اللسان (١٨/١١ وما بعدها) ، (صادر) ، البكري ، معجم (٢٢١/١) ، تاج
العروس (٢٨٥/٦) ، مراصد الاطلاع (١٥١/١) ، المعارف (٦٤٧) ، (ثروت
عكاشة) ، العقد الفريد (٣٨٤/٣) ، مقاييس اللغة (٢٢٧/١) .

٢ رحلة بنيامين ، (ص ١٢٣) .
٣ ابلغ خليلي عبد هند فلا زلت قريبا من سواد الخصوص

رسالة الغفران (١٨٦) .

٤ رسالة الغفران (١٨٧) .

٥ Die Araber, I, S., 607, Franz Altheim und Futh Stiehl, Asain und Rom,

Tübingen, 1952, S., 49.

والكمين ، قال فيه : « وأحدث المتوكل في أيامه بناءً لم يكن الناس يعرفونه ، وهو المعروف بالخيبري والكمين والأروقة . ، وذلك أن بعض ستماره حدثه في بعض الليالي : أن بعض ملوك الحيرة من النعمانية من بني نصر ، أحدث بنياناً في دار قراره ، وهي الحيرة على صورة الحرب وهيأتها للهجته بها وميله نحوها لثلا يغيب عنه ذكرها في سائر أحواله ، فكان الرواق مجلس الملك ، وهو الصدر ، والكمين ميمنة وميسرة ، ويكون في البيتين اللذين هما الكمان من يقرب منه من خواصه وفي اليمين منها خزانة الكسوة وفي الشمال ما احتيج إليه من الشراب ، والرواق قد عم فضائوه الصدر ، والكمين والأبواب الثلاثة على الرواق ، فسمي هذا البنيان إلى هذا الوقت بالخيبري والكمين إضافة إلى الحيرة . واتبع الناس المتوكل في ذلك اثماً بفعله ، واشتهر إلى هذه الغاية »^١ . وفي هذا الوصف وصفه لذلك القصر الذي بناه أحد النعمانية . ولكن أي نعمان هو ؟ هل هو النعمان صاحب الخورنق أو هو نعمان آخر بنى قصراً آخر في عاصمته الحيرة .

وقد وجد بعض المؤرخين في هذا الوصف دلالة على احتمال كون القصر المعروف بـ (قصر المشتى) ، هو من بناء أحد ملوك الحيرة ، إذ وجد في خطة بنائه ، وفي هذا الوصف شبهة حمل على القول باحتمال كونه من أبنيتهم^٢ .

قوائم ملوك الحيرة :

يصعب تصوّر حدوث خلاف بين الأخباريين في أسماء ملوك الحيرة وعددهم ومددهم ، لدعواهم أنهم أخذوا علمهم بهم من كتب كانت مدونة محفوظة في الحيرة ومن موارد أخرى هي كتب الفرس ، وقد ذكر بعضهم ملاحظات من مثل قوله : « ذكر هشام عن أبيه أنه لم يجد الحادث فيمن أحصاه كتاب أهل الحيرة من ملوك العرب ، قال : وظنني أنهم إنما تركوه لأنه توثب على الملك بغير إذن ملوك الفرس ، ولأنه كان بمنزل عن الحيرة التي كانت دار المملكة ، ولم يعرف له مستقر ، وإنما كان سياراً في أرض العرب »^٣ . ومثل ملاحظة أخرى

١ مروج (٣٦٩/٢) . (القاهرة ١٣٤٦ هـ) (طبعة عبد الرحمن محمد) ، (٤/٤) وما بعدها) ، (دار الاندلس) .
٢ Die Araber, I, S. 595.
٣ حمزة (ص ٧١ وما بعدها) .

لابن الكلبي أشرت إليها سابقاً، هي دعواه انه كان يستخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ أعمار من عمل منهم لآل كسرى وتأريخ سنيهم من بيع الحيرة ، وفيها ملكهم وأمورهم كلها^١ . فدعاوى مثل هذه لا تصور لنا وقوع اختلاف كبير بين الأخباريين في أسماء ملوك الحيرة: ومبالغ أعمارهم وتأريخ سنيهم وأمثال ذلك ، مع إننا نجد بين الأخباريين اختلافاً غير يسير في أسماء الملوك وفي ترتيب توليهم الحكم ومقدار سنيهم وأمثال ذلك . والعجب أنهم يعتمدون على مورد أو موارد مشتركة قد يشيرون إليها ، ثم إذا بهم يختلفون في أمور ما كان ينبغي وقوع اختلاف ما فيها لأخذها من مورد مشترك أو موارد مشتركة .

وعدة ملوك الحيرة قد يزيد على العشرين ملكاً بقليل عند بعض الأخباريين ، وقد ينقص عن هذا العدد عند بعض آخر . وقد ذهب المسعودي الى أن عدة ملوكهم ثلاثة وعشرون ملكاً من بني نصر وغيرهم من العرب والفرس ، وأن مدة ملكهم ستمائة سنة واثنان وعشرون سنة وثمانية أشهر^٢ ، وذهب حمزة الى أن مدة ما حكمه ملوك الحيرة منذ عهد عمرو بن عدي الذي اتخذها منزلاً الى أن وضعت الكوفة واتخذت منزلاً في الإسلام هي خمسمائة وبضع وثلاثون سنة^٣ .

ونحن اذا فحصنا القوائم التي سجلها الأخباريون لملوك الحيرة، وفحصنا ما ذكره من مدة حكم كل ملك لإجمالاً ، ثم قابلناه بما ذكره بالنسبة الى حكم ذلك مجزئاً على مدد حكمه بالقياس الى من حكم في زمانه من ملوك الفرس ، نجد اختلافاً بين ما ذكره لإجمالاً ثم ما ذكره تفصيلاً ، كذلك نجد مثل هذا الاختلاف بين المدة الاجالية التي ذكروها لعمر مملكة الحيرة وبين المدد التي ذكروها لحكم كل ملك أيضاً على وجه الاجمال ، مما يدل على أنهم لم ينتبهوا الى ملاحظة أمثال هذه الأمور الضرورية للمؤرخين .

ونجد قائمة (ابن الكلبي) لأسماء ملوك الحيرة ومدد حكمهم ومقدار حكم كل ملك بالنسبة الى من عاصره من ملوك الفرس مدونة في تأريخ الطبري وفي تأريخ حمزة وفي تواريخ أخرى . ولاقتصار ابن الكلبي على ذكر مدد حكم ملوك

-
- ١ الطبري (٣٧/٢) .
 - ٢ مروج (٢٨/٢) .
 - ٣ حمزة (ص ٦٦) .

الحيرة إجمالاً ، ثم ذكرها تفصيلاً بما يقابل ذلك من سني حكم الأكاسرة دون الإشارة أبداً الى ما يقابل ذلك أيضاً بالقياس الى القياصرة ، نستطيع أن نقول إن ابن الكلبي لم يغرف من موارد تأريخية استندت الى تواريخ الروم أو السريان ، وإنما غرّف من مناهل تأريخية فارسية أو معتمدة على الموارد الفارسية، ومن موارد أهل الحيرة وهي موارد يظهر أنها لم تكن تعتمد على أصول قديمة مدونة لتواريخ الحيرة ، لأن أكثر ما رووه لا يختلف في طبيعته في الغالب عن النوع الذي ألفناه من أخبار الأخباريين .

وقد جزأ الطبري قائمة ابن الكلبي لملوك الحيرة ، فوضعها قطعاً قطعاً في ثنايا حديثه عن ملوك الفرس وفي المناسبات، ولم يذكرها جملة واحدة في مكان واحد ، أو في فصل مستقل خاص كما فعل غيره من المؤرخين ، وتبلغ جملة ملوك الحيرة عشرين ملكاً ، وقد ذكر مع كل ملك مقدار ما حكمه من سنين وأسماء من عاصروهم ذلك الملك من الأكاسرة .

أما هؤلاء الملوك فهم :

١ - عمرو بن عدي ، وقد عاش مئة وعشرين سنة وحكم على حد قول ابن الكلبي مئة سنة وثمانين سنة من ذلك في زمن (أردوان) و (ملوك الطوائف) خمس وتسعون سنة وفي زمن ملوك فارس أي الساسانيين ثلاثاً وعشرين سنة . من ذلك في زمن أردشير بن بابك أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وفي زمن سابور بن أردشير ثمانين سنة وشهران .

٢ - امرؤ القيس البدء ، وقد عاش مملكاً في عمله مئة سنة وأربع عشرة سنة من ذلك في زمن سابور بن أردشير ثلاثاً وعشرين سنة وشهراً، وفي زمن هرمز بن سابور ستة وعشرة أيام، وفي زمن بهرام بن هرمز بن سابور ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام، وفي زمن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير ثمانين سنة . ولكنك اذا جمعت هذه المدد وقابلت حاصل الجمع ، وجدت فرقاً كبيراً بين ما زعمه ابن الكلبي من انه حكم ١١٤ سنة ، ثم ما زعمه هو نفسه من حكم هذا الملك مجزئاً بالنسبة الى ملوك الفرس .

٣ - عمرو بن امرؤ القيس ، وقد حكم على رواية ابن الكلبي أيضاً ثلاثين سنة . وعاصر من الملوك سابور وأردشير بن هرمز بن نرسي وبعض أيام سابور بن سابور .

٤ - أوس بن قلام ، وقد حكم خمس سنين في أيام سابور بن سابور وبعض أيام بهرام بن سابور ذي الأكتاف .

٥ - امرؤ القيس البدء بن عمرو بن امرئ القيس ، وقد حكم خمساً وعشرين سنة . حكم في أيام بهرام بن سابور ذي الأكتاف ، وهلك في عهد يزدجرد الأنيم .

٦ - النعمان بن امرئ القيس ، وقد ملك تسعاً وعشرين سنة وأربعة أشهر . من ذلك في زمن يزدجرد خمس عشرة سنة ، وفي زمن بهرام بن يزدجرد أربع عشرة سنة . وينقص ذلك أربعة أشهر عن العدد الاجمالي الذي ذكره ابن الكلبي .

٧ - المنذر بن النعمان ، وقد ملك أربعاً وأربعين سنة ، من ذلك في زمن بهرام جور بن يزدجرد ثمانين سنة وتسعة أشهر ، وفي زمن يزدجرد بن بهرام ثمانين سنة ، وفي زمن فيروز بن يزدجرد سبع عشرة سنة .

٨ - الأسود بن المنذر ، وقد حكم عشرين سنة ، من ذلك في زمن فيروز ابن يزدجرد عشر سنين ، وفي زمن بلاش بن يزدجرد أربع سنين ، وفي زمن قباذ بن فيروز ست سنين .

٩ - المنذر بن المنذر بن النعمان وقد ملك سبع سنين .

١٠ - النعمان بن الأسود بن المنذر ، وكان ملكه سبع سنين .

١١ - أبو يعفر بن علقمة بن مالك بن عدي بن الذميل ، وكان ملكة ثلاث سنين .

١٢ - المنذر بن امرئ القيس البدء ، وكان ملكه تسعاً وأربعين سنة .

١٣ - عمرو بن المنذر ، وكان جميع ملكه ست عشرة سنة .

١٤ - قابوس بن المنذر ، وقد ملك أربع سنين : ثمانية أشهر منها في زمن أنو شروان ، وثلاث سنين وأربعة أشهر في زمن هرمز بن أنو شروان .

١٥ - السهرب .

١٦ - المنذر بن المنذر أبو النعمان ، وقد ملك أربع سنين .

١٧ - النعمان بن المنذر أبو قابوس ، وقد ملك اثنتين وعشرين سنة ، من ذلك في زمن هرمز بن أنو شروان سبع سنين وثمانية أشهر ، وفي زمن كسرى أبرويز بن هرمز أربع عشرة سنة وأربعة أشهر .

١٨ - إياس بن قبيصة الطائي ومعه النخير جان ، وقد ملك تسع سنين في زمن كسرى بن هرمز .

١٩ - آراذبه بن بابيان بن مهر بنداذا الحمداني ، وقد حكم سبع عشرة سنة : في زمن كسرى بن هرمز أربع عشرة سنة وثمانية أشهر ، وفي زمن شيرويه بن كسرى ثمانية أشهر ، وفي زمن أردشير بن شيرويه سنة وسبعة أشهر وفي زمن بوران دخت بنت كسرى شهراً .

٢٠ - المنذر بن النعمان بن المنذر ، وقد ملك ثمانية أشهر .
هذه هي قائمة أسماء ملوك الحيرة كما رواها الطبري عن ابن الكلبي^١ .

ملوك الحيرة بحسب رواية (ابن قتيبة) :

- ١ - مالك بن فهم .
- ٢ - جذيمة الأبرش .
- ٣ - عمرو بن عدي .
- ٤ - امرؤ القيس ، ويقال : بل ملك الحارث بن عمرو بن عدي .
- ٥ - النعمان بن امرئ القيس .
- ٦ - المنذر بن امرئ القيس .
- ٧ - المنذر بن المنذر بن امرئ القيس .
- ٨ - عمرو بن هند .
- ٩ - النعمان بن المنذر .
- ١٠ - إياس بن قبيصة^٢ .

أما (محمد بن حبيب) ، فقد رتب أسماء ملوك الحيرة على هذا الشكل :
(عمرو بن عدي بن نصر) و (امرؤ القيس البدء) وهو الأول ، فابنه (عمرو)
ف (أوس بن قلام بن بطينا بن حمير بن لحيان) ، و (امرؤ القيس) البدء ،

١ الطبري (٢/٢١٣ وما بعدها) ، (ذكر من كان على ثغر العرب من قبل ملوك
الفرس بالحيرة بعد عمرو بن هند) ، (دار المعارف) .
٢ المعارف (ص ٦٤٥ وما بعدها) .

وهو (محرق الأول) ، ف (النعمان بن امرئ القيس البدء) ، فابنه (المنذر) ، فابنه (الأسود) ، فأخوه (المنذر) ، فابن أخيه (النعمان بن الأسود) ، ف (أبو يعفر بن علقمة بن مالك) ، ف (المنذر بن امرئ القيس) ، ف (عمرو ابن المنذر بن امرئ القيس) ، ف (قابوس بن المنذر) ، ف (السهرب) الفارسي ، ف (المنذر بن المنذر) ، ف (أبو قابوس النعمان بن المنذر) ، ف (إياس بن قبيصة الطائي) ، ف (آزاذبه) ، ف (الغرور المنذر بن النعمان ابن المنذر) ، وهو المقتول بالبحرين يوم (جواتا)^١ .

ملوك الحيرة بحسب رواية اليعقوبي :

- ١ — عمرو بن عدي ، وقد ملك خمساً وخمسين سنة .
- ٢ — امرؤ القيس بن عمرو ، وقد ملك خمساً وثلاثين سنة .
- ٣ — الحارث بن عمرو ، وقد ملك سبعةً وثمانين سنة .
- ٤ — عمرو بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي ، وقد ملك أربعين سنة .
- ٥ — المنذر بن امرئ القيس .
- ٦ — النعمان .
- ٧ — المنذر بن النعمان ، وقد ملك ثلاثين سنة .
- ٨ — عمرو بن المنذر .
- ٩ — عمرو بن المنذر الثاني .
- ١٠ — قابوس بن المنذر .
- ١١ — المنذر بن المنذر ، وقد ملك أربع سنين .
- ١٢ — النعمان بن المنذر^٢ .

ملوك الحيرة بحسب رواية المسعودي :

- ١ — عمرو بن عدي ، وكان ملكه مئة سنة .

١ المحبر (ص ٣٥٨ وما بعدها) .
 ٢ اليعقوبي (١٦٩/١ وما بعدها) ، (طبعة النجف) .

- ٢ - امرؤ القيس بن عمرو بن عدي ، وقد ملك ستين سنة .
- ٣ - عمرو بن امرئ القيس ، وقد ملك خمساً وعشرين سنة .
- ٤ - النعمان بن امرئ القيس ، وقد حكم خمساً وستين سنة .
- ٥ - المنذر بن النعمان ، وكان حكمه خمساً وثلاثين سنة .
- ٦ - المنذر بن الأسود بن النعمان بن المنذر ، وقد ملك أربعاً وثلاثين سنة .
- ٧ - عمرو بن المنذر ، وكان ملكه أربعاً وعشرين سنة .
- ٨ - قابوس بن المنذر ، وقد ملك ثلاثين سنة .
- ٩ - النعمان بن المنذر ، وكان ملكه اثنتين وعشرين سنة .
- ١٠ - لياس بن قبيصة الطائي ، وكان ملكه تسع سنين .

هذه هي أسماء ملوك الحيرة الذين ذكرهم المسعودي ، وقد نص هو على أن عدة ملوك الحيرة ثلاثة وعشرون ملكاً من بني نصير وغيرهم من العرب والفرس ، ومدة ملكهم ستمائة سنة واثنتان وعشرون سنة وثمانية أشهر^١ . ونص في كتابه (التنبيه) ، على أن « عدة من ملك الحيرة من بني نصر والعباد وغسان وتميم وكندة والفرس وغيرهم نيفاً وعشرين ملكاً ، ملكوا خمس مئة سنة واثنتين وعشرين سنة وشهوراً »^٢ .

قائمة حمزة ملوك الحيرة :

- ١ - عمرو بن عدي ، وكان جميع ما ملكه مئة وثمانين عشرة سنة . ذلك في زمن ملوك الطوائف خمسة وتسعون سنة ، وفي زمن ملوك فارس ثلاث وعشرون سنة ، منها في أيام أردشير بن بابك أربع عشرة سنة وعشرة أشهر ، وفي أيام شابور بن أردشير ثمانين سنين وشهران .
- ٢ - امرؤ القيس بن عمرو بن عدي ، وقد ملك مئة وأربع عشرة سنة ، منها في زمن شابور بن أردشير ثلاث وعشرين سنة ، وفي زمن هرمز بن شابور سنة وعشرة أشهر ، وفي زمن بهرام بن هرمز تسع سنين وثلاثة أشهر ، وفي زمن

١ مروج (١٦/٢ وما بعدها) .

٢ التنبيه (ص ١٥٨) .

بهرام بن بهرام ثلاثاً وعشرين سنة ، وفي زمن بهرام بن بهرام بن بهرام ثلاث عشرة سنة وستة أشهر ، وفي زمن نرسي بن بهرام بن بهرام تسع سنين ، وفي زمن هرمز بن نرسي ثلاث عشرة سنة ، وفي زمن شابور ذي الأكتاف عشرين سنة وخمسة أشهر .

٣ - عمرو بن امرئ القيس ، وقد ملك ستين سنة ، من ذلك في زمان شابور ذي الأكتاف إحدى وخمسين سنة وسبعة أشهر ، وفي زمن أردشير أخي شابور خمس سنين ، وفي زمن شابور بن شابور أربع سنين وخمسة أشهر .

٤ - أوس بن قلام ، وقد ملك خمس سنين في زمن أردشير أخي شابور .
٥ - امرؤ القيس ، وقد حكم إحدى وعشرين سنة وثلاثة أشهر ، من ذلك في زمن شابور بن شابور خمس سنين ، وفي زمن بهرام بن شابور إحدى عشرة سنة ، وفي زمن يزدجرد بن شابور خمس سنين وثلاثة أشهر .

٦ - النعمان بن امرئ القيس ، وكانت مدة ملكه ثلاثين سنة ، من ذلك في زمن يزدجرد بن بهرام بن شابور خمس عشرة سنة وثمانية أشهر ، وفي زمن بهرام جور بن يزدجرد أربع عشرة سنة وأربعة أشهر .

٧ - المنذر بن النعمان ، وقد ملك أربعاً وأربعين سنة ، من ذلك في زمن بهرام جور بن يزدجرد ثماني سنين وتسعة أشهر ، وفي زمن يزدجرد بن بهرام ثماني عشرة سنة وثلاثة أشهر ، وفي زمن فيروز بن يزدجرد سبع عشرة سنة .

٨ - الأسود بن المنذر ، وقد ملك عشرين سنة ، من ذلك في زمن فيروز ابن يزدجرد عشر سنين ، وفي زمن بلاش بن فيروز أربع سنين ، وفي زمن قباد ابن فيروز ست سنين .

٩ - المنذر بن المنذر ، وقد ملك سبع سنين في زمن قباد بن فيروز .

١٠ - النعمان بن الأسود ، وكان ملكه أربع سنين في زمن قباد .

١١ - أبو يعفر بن علقمة الهملي : وكانت مدة حكمه ثلاث سنين في زمن قباد بن فيروز .

١٢ - امرؤ القيس بن النعمان، وكان ملكه سبع سنين في زمن قباد بن فيروز .

١٣ - المنذر بن امرئ القيس ، وقد ملك اثنتين وثلاثين سنة ، من ذلك في زمن قباد بن فيروز ست سنين ، وفي زمن كسرى أنو شروان بن قباد ستاً وعشرين سنة .

- ١٤ - الحارث بن عمرو بن حجر الكندي .
- ١٥ - عمرو بن المنذر ، وكان ملكه ست عشرة سنة .
- ١٦ - قابوس بن المنذر ، وكان حكمه مدة أربع سنين في زمن أنو شروان .
- ١٧ - فيشهرت ، وقد حكم سنة في زمن أنو شروان .
- ١٨ - المنذر بن المنذر ، وقد ملك أربع سنين ، منها ثمانية أشهر في زمن أنو شروان ، وثلاث سنين وأربعة أشهر في زمن هرمز بن كسرى أنو شروان .
- ١٩ - النعمان بن المنذر ، وكان ملكه اثنتين وعشرين سنة ، من ذلك سبع سنين وثمانية أشهر في زمن هرمز بن أنو شروان ، وأربع عشرة سنة وأربعة أشهر في زمن كسرى بن هرمز .
- ٢٠ - إياس بن قبيصة ومعه (البحر جان) (النخر جان) ، وكان ملكه مدة سبع سنين في زمن أبرويز .
- ٢١ - زاده بن مساهبيان بن مهرا بندان الهمداني ، وقد ملك سبع عشرة سنة ، من ذلك أربع عشرة سنة وثمانية أشهر في زمن أبرويز ، وثمانية أشهر في زمن شيرويه بن أبرويز ، وستة وسبعة أشهر في زمن أردشير بن شيرويه ، وشهراً واحداً في زمن بوارن بنت أبرويز .
- ٢٢ - المنذر بن النعمان بن المنذر ، وكان ملكه وملك غيره الى أن ورد خالد بن الوليد الحيرة ثمانية أشهر^١ .
- وقد ذكر حمزة أن جميع ملوك آل نصر ومن استخلف من العباد والفرس بالحيرة خمسة وعشرون ملكاً حكموا في مدة سبائة وثلاث وعشرين سنة وأحد عشر شهراً . لكنه ذكر في مكان آخر أن الحيرة عمرت « خمسمائة وبضعاً وثلاثين سنة الى أن وضعت الكوفة ونزلها عرب الاسلام^٢ » .
- وقد استند حمزة في تأليف قائمته هذه على رواية ابن الكلبي في تأريخ الطبري ، وعلى رواية محمد بن حبيب وعلى ابن قتيبة ، ولذلك خالفت قائمته هذه بعض المخالفة قائمة الطبري في الأسماء وفي السنين .

١ حمزة (ص ٦٥ وما بعدها) ، (٧٥) .

٢ حمزة (ص ٦٥) .

ملوك الحيرة بحسب رواية الخوارزمي :

وأما (الخوارزمي) ، فقد رتب أسماء ملوك الحيرة على هذا الشكل :

- ١ - مالك بن فهم .
- ٢ - ثم ابنه جذيمة الأبرش .
- ٣ - ثم عمرو بن علي .
- ٤ - ثم امرؤ القيس البلع .
- ٥ - ثم ابنه عمرو ، وهو ابن هند .
- ٦ - ثم أوس بن قلام .
- ٧ - ثم امرؤ القيس البدن . وهو محرق الأول .
- ٨ - ثم ابنه النعمان الذي بنى الخورتق والسدير . وفارس حليلة، وهو السائح والأعور .
- ٩ - ثم ابنه المنذر .
- ١٠ - ثم ابنه الأسود .
- ١١ - ثم المنذر بن المنذر .
- ١٢ - ثم النعمان بن المنذر .
- ١٣ - ثم النعمان بن الأسود .
- ١٤ - ثم أبو يعفر بن علقمة .
- ١٥ - ثم امرؤ القيس بن النعمان . وهو صاحب سمار .
- ١٦ - ثم ابنه المنذر ، وهو ابن ماء السماء .
- ١٧ - ثم الحارث بن حجر الكندي ، آكل المرار .
- ١٨ - ثم المنذر بن ماء السماء .
- ١٩ - ثم ابنه عمرو بن هند ، وهو مضطرب الحجارة ومحرق الثاني .
- ٢٠ - ثم ابنه قابوس بن المنذر .
- ٢١ - ثم فيسهرب الفارسي في زمن أنو شروان .
- ٢٢ - ثم المنذر بن المنذر ، وأخوه عمرو بن هند .

- ٢٣ - ثم النعمان بن المنذر . وهو آخر ملوك الحزم .
٢٤ - ثم إياس بن قبيصة الطائي .
٢٥ - ثم زادويه الفارسي .
٢٦ - ثم المنذر بن النعمان بن المنذر^١ .

١ مفاتيح العلوم (٦٨ وما بعدها) .

الفصل التاسع والثلاثون

ملكة كندة

كندة قبيلة قحطانية في عرف النسابين ، تنسب الى (ثور بن عفير بن عدي ابن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن زيد بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ) ، و (ثور) هو (كندة)^١ .
وقد عرفت عند الأخباريين بـ (كندة الملوك)^٢ ، لأن الملك كان لهم على بادية الحجاز من بني عدنان^٣ . ولأنهم ملكوا أولادهم على القبائل . وكانوا يتعززون بنسبهم الى كندة ، والى (آكل المرار) ، لأنهم كانوا ملوكاً^٤ .
و (كندة) هي (كدت) القبيلة التي ورد اسمها في نصوص المسند ، مثل نص (أبرهة)^٥ . بل ورد اسمها في النصوص المذكورة قبل هذا العهد بكثير .

١ الاشتقاق (٢١٨/٢) ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب (ص ٣٩٩) ، الاكليل (٥٤/١٠) ، منتخبات (ص ٩٤) ، ابن خلدون (٢٧٦/٢) نهاية الأرب (٢٨٧/٢) ، البيان والتبيين (٣٢٨/٣) (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ، Enc. II, p. 1018.

٢ (كندة حمي من اليمن منهم كانت الملوك) ، منتخبات (ص ٩٤) ، (فأخبرني عن كندة ، قال : (ساسوا العباد ، وتمكنوا من البلاد) ، مروج (٣٢٥/٢) ، (ذكر خلافة عمر) .

٣ ابن خلدون (٢٥٧/٢) .

٤ الطبري (١٣٩/٣) (دار المعارف بمصر) .

٥ Glaser, Zei Inschriften über den Dammbruch von Marib, S. 55, Gunnar

Ollinder, The Kings of Kinda, 1927, P. 33.

Ollinder : وسيكون رمزه :

اذ ورد في النص : (Jamme 635) ، المسدون في أيام الملك (شعر أوتر) ملك سبأ وذي ريدان . وقد كانت قد انضمت الى حلف معاد للملك المذكور على نحو ما تحدثت عنه . وكان يحكم (كدت) كندة في ذلك الوقت ملك اسمه (ربعت) ، أي (ربيعة) ، وذكر انه من (ذ ثورم) (ذ الثورم) ، أي من (الثور) (آل ثور) ، وانه كان ملكاً على (كدت) كندة وعلى (قحطن) أي (قحطان)^١ .

فنحن على هذا النص أمام مملكة كندية كانت قد تكونت في أيام (شعر أوتر) أي في النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد ، وذلك فيما لو جارينا رأي (جامعة) وصرنا مسراه في تقدير أيام (شعر أوتر)^٢ . وقبل هذا الوقت فيما لو ذهبنا مذهب غيره ممن يرجعون مبدأ تأريخ سبأ الى أقدم من تقديره ومن تقدير (ريكمنس) . ونحن أيضاً بموجبه أمام ملك من ملوك كندة اسمه (ربعت ذا الثورم) أي (ربيعة) من (الثور) ، أي من (آل ثور) ، فهو إذن من صميم كندة . وقد رأينا أن أهل الأخبار ينسبون كندة الى (ثور بن عفير) ، ويظهر انهم أخذوا (ثور) القديم ، وهو اسم عائلة او بيت او عشيرة من كندة ، فصبروه الجد الأكبر لكندة . وأعطوه النسب الطويل المذكور .

وبلاحظ أن الملك (ربيعة) كان يحكم إذ ذاك (كندة) ، كما كان يحكم (قحطان) . و (قحطان) في هذا الوقت قبيلة ، كانت متحالفة مع (كندة) . ومن هذا الاسم أخذ الأخباريون قحطانهم ، فصبروه جد العرب القحطانيين . وقد ورد اسم قحطان في نص آخر وسم به (REP. EPIG., 4304) . هذا نصه : (عبد شمس سبأ بن يشجب ، يعرب بن قحطان)^٣ . وهو نص سبق أن تحدثت عنه ، وقلت إنه في نظري مصنوع موضوع ، وأعتقد ان صانعه وضعه لغاية واضحة هي اثبات أن ما يذكره أهل الأخبار عن نسب سبأ ، هو صحيح ، وانه وارد مذكور في المسند . وبين (صنعاء) و (زبيد) مدينة تعرف ب (قحطان)^٤ .

١ السطر ٢٧ من النص : (Jamme 635).

٢ Mahram, P. 391.

٣ REP. EPIG. 4304, Orientalia, V, 1936, P. 63.

٤ Mahram, P. 138.

وكانت كندة (كدت) مستقلة وعلى رأسها ملك، في أيام (الشرح يحضب) كذلك . وكان ملكها إذ ذاك من المناهضين المعادين للملك (الشرح يحضب) ، فاشترك كما رأينا في أثناء بحثنا عن (الشرح) في الحلف الكبير الذي تألف ضد مملكة (سبأ وذى ريدان) ، والذي امتد من الجنوب نحو الشمال ، وشمل البر والبحر . وقد أصيبت (كندة) بهزيمة في القتال الذي نشب بينها وبين جيش (سبأ) ، ووقع ملكها واسمه إذ ذاك (ملكم) مع عدد من رؤسائها وكبرائها (مراس واكبرت) ، في الأسر . وسيقوا الى (مأرب) ، وأبقوا في الأسر حتى وافقوا على وضع أولادهم رهائن عند ملك (سبأ وذى ريدان) وعلى اعطاء عهد بعدم التحرش مرة أخرى بمملكة (سبأ وذى ريدان) وبمساعدة أعدائها . وقد وافق (مالك) على اعطاء عهد بما طلب منه ووضع ابنه رهينة ، كما وضع رؤساء وكبراء كندة أولادهم رهائن لديه ، فأفرج بذلك عنهم^١ .

وقد فقدت كندة بعد هذا العهد استقلالها في وقت لا نستطيع تحديده الآن ، لعدم ورود شيء عنه في النصوص، وصارت خاضعة لحكم دولة (سبأ وذى ريدان وحضرموت ويمنت) ، اذ ورد في النصين (Jamme 660) و (Jamme 665) انها كانت تابعة اذ ذاك لحكم هذه الدولة . يخبر النص : (Jamme 660) ، ان كندة كانت تحت حكم حاكم من حكام (شمر يهرعش) ، سقط اسمه الثاني من النص وبقي اسمه الأول وهو : (وهب اوم) (وهب اوم) (وهب اوم) ، وان ذلك الحاكم كان يدير بالاضافة الى كندة قبائل حضرموت ومنحج و (بهلم) (باهلة) و (حدان) و (رضوم) و (أظلم) ، ومعنى ذلك انه كان يدير منطقة واسعة تسكنها قبائل متعددة ، في جملتها كندة التي صارت تحت حكم ملوك سبأ^٢ .

ونخبرنا النص : (Jamme 665) ، ان رجلاً من (جدنم) (جدن) كان كبيراً (كبر) على (اعراب ملك سبأ) (اعراب ملك سبأ) وعلى (كندة) (كدت) و (منحج) وعلى (حررم) (حررم) (حرر) (حرار) (حرير) وعلى (بهلم) (باهلم) (باهل) (باهلة) وعلى (زيد ايل) ، وعلى كل

Jamme 576, MaMb 212, Mahram, PP. 67, Geukens 3.

Jamme 660, MaMb 156, Mahram, P. 164. السطر الثاني من النص :

أعراب سبأ (وكل اعراب سبأ) وعلى حبر وحضرموت ويمنت^١ . وقد عيّنهُ بدرجة (كبر) أي (كبير) ، وهي من أعلى الوظائف في الدولة الملك (ياسر يهنم) وابنه (ذراً أمر أيمن) . ومعنى هذا ان كندة كانت تابعة أيضاً في هذا العهد لحكم سبئيين ، وان ذلك الكبير كان يدير منطقة واسعة وضعها الملكان تحت تصرفه .

ويرى (جامه) ان أرض كندة يجب أن تكون في جنوب (قشتم) (قشم) (قشام) (القشم) ، وذلك لأن النص : (Jamme 660) يضعها بين (حضرموت) و (ملحج) ، فيرى لذلك ان منازلها في ذلك الوقت كانت عند هذه المواضع^٢ . والمعروف اليوم ان أول من ذكر اسم (كندة) من المؤلفين الكلاسيكيين على وجه لا يقبل الشك أو الجدل ، هو (نونوسوس) ، وقد دعاها باسم (Kindynoi) أي (كندة) ، وذكر انها و قبيلة (ماديئوى) (Maddynoi) (معد) ، هما من أشهر القبائل العربية عدداً ومكانة ، يحكمها رجل واحد اسمه (Kaisos) اي (قيس)^٣ .

وعلى أخبار الأخباريين معولنا في تدوين تأريخ كندة . وفي مقدمة هؤلاء ابن الكلبي الأخباري المعروف ، وله مؤلف خصصه بتاريخ كندة ، سماه : (كتاب ملوك كندة) ومؤلفات أخرى لها علاقة بهذه القبيلة^٤ ، وابو عبيدة والأصمعي ، وعمر بن شبة ، وأمثالهم ممن سترد اسمائهم في ثنايا صحائف هذا الفصل . وهي اخبار تمثل جملة نزعات واتجاهات تصور تحزب اولئك الأخباريين وميولهم الى هذه القبيلة او تلك ، فبينها أخبار تميل الى تأييد اهل اليمن ، وبينها اخبار ترجح كفة (كندة) ، وبينها اخبار ترجع الفضل الى كلب ، وبينها اخبار تؤيد بني اسد ، وطبيعتها على العموم من طبيعة ما يرويه لنا الأخباريون من روايات عن تأريخ العرب قبل الاسلام ، فيها العصبية القبلية والتحزب ، فيجب ان ننظر اليها اذن بحذر شديد .

١ السطر الاول فما بعده حتى السطر الرابع من النص .

٢ Mahram, P. 318, 372.

٣ Olinder, PP. 114.

٤ راجع ايضا مقدمة (أوليندر) (Olinder) عن الموارد التي يستعان بها في تدوين تاريخ كندة من الصفحة التاسعة فما بعد ، الفهرست (٩٨) ، (طبعة خياط) .

وقد ذكر حمزة انه نقل اخبار ملوك كندة من (كتاب أخبار كندة)^١، وأظنه قصد كتاب ابن الكلبي ، الذي أشرت اليه . وفي استطاعة الباحث العثور على الموارد التي تفيدنا في تدوين تأريخ كندة ومعرفة اتجاهاتها وتعيين أسمائها . و (الفضليات) و (الأغاني) و (النقائص) وأمثالها وبقية كتب الأدب ، هي خير أمثلة لتطبيق ما أقول .

ويذكر الأخباريون أن مواطن (كندة) الأصلية كانت بجبال اليمن مما يلي حضرموت^٢ . وقد أطلق (الهمداني) عليها (بلد كندة من أرض حضرموت)^٣ . وذكر ياقوت أن كندة مخلاف باليمن ، هو باسم قبيلة كندة^٤ ، وروى رواية لابن الكلبي تفيد أن هذه القبيلة كانت تقيم في دهرها الأول في (غر ذي كندة) أي في مواطن العدنانيين ، ومن هنا احتج القائلون في كندة ما قالوا من نسبهم في عدنان، وهو يدل على وجود فريق كان يرى أن قبيلة كندة من قبائل عدنان^٥ ويدل هذا الاختلاف على اختلاط كندة بالقحطانيين والعدنانيين ، ومن أمثال هذا الاختلاط تتولد الأنساب .

ولم يتحدث الأخباريون عن مواطن كندة قبل استقرارهم في (غر ذي كندة) وكيف وصلوا الى هذا الموضع ، ولا عن كيفية انتقالهم الى حضرموت قبل الإسلام . وقد تحدث اليعقوبي عن حرب وقعت بين كندة وحضرموت . طال أمدها ، وهلك فيها جمع من الرؤساء ، منهم : (سعيد بن عمرو بن النعمان بن وهب) ، و (عمر بن زيد) وكان على (بني الحارث بن معاوية) و (شرحبيل ابن الحارث) وكان على السكون ، وهؤلاء من كندة ، و (مسعر بن مستعر) و (سلامة بن حجر) و (شرحبيل بن مرة) ، وهؤلاء من حضرموت . فلما ملكت حضرموت (علقمة بن ثعلب) وهو يومئذ غلام ، لانت كندة بعض اللين ، وكرهت محاربة حضرموت ، وكان القتل قد كثُر فيها ، فصارت كندة الى أرض معد ، ثم ملكوا رجلاً منهم كان أول ملوكهم يقال له (مرتع بن

١ حمزة (ص ٩٢) ، (كندة) (السكون) (السكاسك) ، الفهرست (٩٨/١) ، طبعة فلوكل) .

٢ الصفة (ص ٨٥ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢٥٧/٢) .

٣ الصفة (ص ٨٥ وما بعدها) .

٤ البلدان (٢٨٤/٧) .

٥ البلدان (٣٠٤/٦) ، الأغاني (١٦٠/١١) ، الفضليات (ص ٤٢٧) .

معاوية بن ثور (فلك عشرين سنة ، ثم ملك ابنه ثور ، ثم ابنه معاوية بن ثور ، ثم الحارث بن معاوية ، وكان ملكه أربعين سنة ، ثم ملك وهب بن الحارث عشرين سنة ، وملك بعده حجر بن عمرو المعروف بـ (آكل المزار) الشهير الذي حالف بين كندة وربيعة بالذئاب وتولى الملك^١ فهؤلاء إذن هم أسلاف (حجر بن عمرو) ، حكموا كندة ومعداً على رأي اليعقوبي قبل حجر بسنين .

وفي رواية لابن الكلبي ان « أول من أنسا الشهور من مضر مالك بن كنانة ، وذلك ان مالك بن كنانة نكح الى معاوية بن ثور الكندي ، وهو يومئذ في كندة ، وكانت النساء قبل ذلك في كندة ، لأنهم كانوا قبل ذلك ملوك العرب من ربيعة ومضر ، وكانت كندة من أرداف المقاول^٢ » . وتدل هذه الرواية على ان هذه القبيلة كانت على اتصال وثيق بالقبائل المنتسبة الى معد ، وربما كان اتصالها هذا أوثق وأقوى من اتصالها بقبائل قحطان ، مع ان النساين يعدونها من قبائل قحطان . وأقدم رجل في كندة تحدث عنه الأخباريون بشيء من التفصيل والوضوح ، هو (حجر) الملقب بـ (آكل المزار)^٣ ، وهو ينسب الى (عمرو بن معاوية ابن ثور بن مرتع بن معاوية) على رواية^٤ ، والى (عمرو بن معاوية بن الحارث الأصغر بن معاوية بن الحارث الأكبر بن معاوية بن كندة) على رواية أخرى^٥ .

- ١ (الذئاب) ، الصفة (ص ١٢٣ ، ١٤٦ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٨٢ ، ٢٠٩) ، البلدان (١٩٧/٤ وما بعدها) ، اليعقوبي (١٧٦/١ وما بعدها) ، (طبعة النجف) .
- ٢ الأزرقى : أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار (١١٨/١) (المطبعة المأجدية بمكة سنة ١٣٥٢) .
- ٣ المزار : عشب مر اذا أكلته الابل قلصت عنها مشافرها فبدت أسنانها ، قيل سمي حجر آكل المزار لكثرة كان به ، وقيل لان ابنة له سبها ملك من ملوك سليح يقال له (زياد بن هبولة) من الضجاعة ، فقالت له ابنة حجر : (كانك بأبي قد جاء كأنه جمل أكل المزار ، تعني كاشرا عن أنيابه ، وقيل : انه كان في نفر من أصحابه في سفر ، فأصابهم الجوع ، فأما هو فأكل المزار حتى شبع ، فعرف بآكل المزار . وهناك روايات أخرى في هذا المعنى . راجع : اليعقوبي (١٧٧/١) ، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر (٧٤/١) ، شرح ديوان امرئ القيس ومعه أخبار المراقسة وأشعارهم في الجاهلية وصدر الاسلام (ص ٦) ، لحسن السندوبي ، اللسان (١٧١/٤) .
- ٤ حمزة (ص ٩٢) .
- ٥ ابن خلدون (٢٧٣/٢) .

ورويت روايات أخرى تختلف عن هذه السلسلة بعض الاختلاف^١. وذكر انه كان أخاً لـ (حسان بن تبع) لأمه . فلما دوتـ (حسان) بلاد العرب ، وسار في الحجاز ، وهمّ بالانصراف ، ولّى أخاه (حجرأ) على (معد بن عدنان) كلها ، فدانوا له ، وسار فيهم أحسن سيرة^٢ .

وفي رواية أخرى من روايات الأخباريين ان التبابعة كانوا يصاهرون (بني معاوية ابن عترة) من كندة ، وكانوا يملكون في (دمنون) ، ويولونهم على (بني معد ابن عدنان) بالحجاز ، فكان أول من ولي منهم . (حجرأكل المزار) ، ولأهـ (تبع بن كرب) الذي كسا الكعبة ، وولى بعده ابنه (عمرو بن حجر)^٣ . فيفهم من هذه الرواية ان (بني معد) كانوا أتباعاً للتبابعة يعيّنون عليهم من يشاءون من الناس .

وفي رواية ترجع الى ابن الكلبي ، مفادها ان تبعاً المعروف بـ (أبي كرب) حين أقبل سائراً الى العراق نزل بأرض معد ، فاستعمل عليها (حجرأكل المزار) ، ومضى لوجهه . فلما هلك ، بقي حجر لحسن سيرته مطاعاً في مملكته . وملك الشام يومئذ (زياد بن الهولة السليحي) والملك الأعظم في بني جفنة ، وزياد كالمغلب على بعض الأطراف ، فقتله حجر . وقد بقي حجر حتى خرف ، وله من الولد : عمرو ومعاوية^٤ .

فيظهر من الرواية المتقدمة ان حجرأ كان معاصراً لـ (زياد بن الهولة السليحي) وهو ملك عرب الشام يومئذ ، ويذكر حمزة ان (حجرأ) قتله^٥ .

وفي رواية أخرى ان حجرأ هو أول ملوك كندة . وكانت كندة قبل أن يملك حجر عليها بغير ملك ، فأكل القوي الضعيف ، فلما ملك حجر سدّد أموالها وساسها احسن سياسة ، وانتزع من اللخمين ما كان بأيديهم من أرض (بكر ابن وائل) . وبقي حجر كذلك حتى مات^٦ . فـ (حجر) على هذه الرواية

-
- ١ الاغانى (٨٢/١٥) .
 - ٢ ابن خلدون (٢٧٣/٢) ، ابن قتيبة : المعارف (ص ٣٠٨) ،
 - ٣ ابن خلدون (٢٧٦/٢) .
 - ٤ حمزة (ص ٩٢) ، ابن خلدون (٢٧٣/٢) ، الاغانى (٨٢/١٥) المحبر (ص ٣٦٨ وما بعدها) .
 - ٥ حمزة (ص ٩٢) .
 - ٦ أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر (٧٤/١) (المطبعة الحسينية) .

أول ملك من ملوك كندة ، واول زعيم من زعمائها تمكن من توحيد صفوفها ومن تغليبها على قبائل أخرى ، ومن توسيع رقعة أراضيها حتى بلغت حدود مملكة لحم .

وذكر عدد من الأخباريين أن والد (حسان تبع) هو (أسعد أبو كرب) ، المعروف بـ (تبع الأوسط) ، وهو ابن (كلي كرب بن تبع)^١ . وقد ذهب (هارتمن) (Hartmann) الى أن (حسان تبع) هذا هو (شرحبيل يعفر) المذكور في نص (Glaser 554) الذي يعود تأريخه الى سنة (٤٥٠) للميلاد ، وهو ابن (أب كرب أسعد) الذي حكم على تقدير (هومل) من سنة (٣٨٥) حتى سنة (٤٢٠) للميلاد^٢ ، غير أننا يجب أن نأخذ أمثال هذه الأمور بحذر^٣ ، خاصة فيما يتعلق بفتوحات التبابعة واتساع ملكهم وغير ذلك مما يقصه علينا الأخباريون .

ونزل حجر على رواية بنجد بـ (بطن عاقل) ، وكان اللخميون قد ملكوا كثيراً من تلك البلاد ، ولا سيما بلاد (بكر بن وائل) ، فنهض بهم وحارب اللخميين ، واستخلص أرض بكر منهم^٤ . ويقع (بطن عاقل) في جنوب (وادي الرمة) على الطريق بين مكة والبصرة^٥ .

ويحدثنا بعض الرواة أن حجراً بينا كان يغزو عماناً ، بلغ ذلك (الحارث بن الأهم) (الأهم) بن الحارث الغساني) ، فأغار على أرض حجر ، وأخذ أموالاً لحجر ، وقينة من أحب قيانته اليه ، وانصرف ، فقال للقينة : « ما ظنك بحجر؟ » فقالت : « لا أعرفه ينالم إلاّ وعضو منه يقظان ، وليأتينك فاغراً فاه كأنه بعير أكل مراراً ، فان رأيت ان تنجو بنفسك فافعل » ، فلطمها الغساني فما لبثوا أن لحقهم حجر كما وصفت ، فرد القينة والأموال ، وكان حجر قد رجع من غزاة عمان وهو يقول بعد أن بلغه غارة الغساني : « لا غزو إلا بالتعقيب »^٦ وذكر (الهمداني) في معرض تفسيره لـ (آكل المرار) مضمون هذه الرواية دون

- ١ المعارف (ص ٣٠٧) ، حمزة (ص ٨٥ وما بعدها) .
- ٢ Handbuch, S. 104, Hartmann, Die Arabische Frage, S. 481.
- ٣ Olinder, P. 40.
- ٤ ابن الأثير (٢٠٩/١) ، شرح القصائد العشر ، للزوزني (ص ٦) .
- ٥ البلدان (٩٨/٦) ، Olinder, P. 42.
- ٥ منتخبات (ص ٩٧) .

أن يشير الى اسم الغساني ، او اسم الموضع الذي كان حجر يغزو فيه^١. وذكرت بعض الروايات الحارث بن جبلة بدلاً من الحارث بن الأهم (الأهم) بن الحارث الغساني^٢.

وذكر الميداني القصة نفسها عن (الحارث بن مندلة الضجعمي) من (بني سليح) . أما (ابن هشام) ، فجعله (عمرو بن الهبولة الغساني)^٣.

وفي رواية أخرى ان الغازي هو (زياد بن الهبولة) ملك الشام ، وكان من (سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة) ، غزا ملك حجر في أثناء اغارة حجر في كندة وربيعة على البحرين ، فأخذ الحريم والأموال ، وسب (هنداً بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية) زوجة حجر . فلما سمع حجر وكندة وربيعة ، عادوا من غزوهم في طلب (ابن الهبولة) ومع حجر أشراف ربيعة (عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان) ، و (عمرو بن ابي ربيعة بن ذهل بن شيبان) ، وغيرهما ، فأدركوا (زياداً) (عمرأ ؟) ب (البردان) دون عين أباغ ، وقد أمن الطلب ، فنزل حجر في سفح جبل، ونزلت بكر وتغلب وكندة مع حجر دون الجبل بالصحصحان على ماء يقال له (حفير) ، ووقعت معركة تغلب فيها حجر على خصمه ، وأخذ زياد أسيراً ، ثم قتل، واسترجعت منه هند في قصة معروفة مشهورة فيها شعر على الطريقة المألوفة عند الأخباريين^٤. وتقول الرواية انه بعد ان انتقم وانتصر ، عاد الى الحيرة^٥. وقد عرفت هذه المعركة بـ (يوم البردان)^٦.

ويلاحظ ان ابن الأثير اورد في روايته عمرأ بدلاً من زياد أي زياد بن الهبولة ملك الشام كما هو مقتضى الكلام، وأورد في نهاية القصة هذه الجملة « ثم عاد الى الحيرة » وهي تشعر ان موضع حجر كان في الحيرة ، ولم يذكر أحد انه كان فيها .

- ١ الصفة (ص ٨٦) .
- ٢ الأغاني (٦٣/١٣) ، Olinder, P. 44.
- ٣ Olinder, P. 45.
- ٤ ابن الأثير (٢٠٧/١) ، الأغاني (٨٢/١٥) وما بعدها ، البيان والتبيين (٣٢٨/٣) (لجنة) ، Olinder, P. 43.
- ٥ ابن الأثير (٢٠٨/١) ، (البردان) ، تاج العروس (٣٠٠/٢) ، القاموس (٢٧٧/١) .
- ٦ ابن الأثير (٢٠٧/١) وما بعدها .

ويظهر أن المورد الذي نقل منه ابن الأثير أو أصحاب القصة ، لم يحسن حبكها ،
أو أنه خلط بين قصتين ، فظهرت في هذا الشكل .

وقد انتبه ابن الأثير إلى هذا الاضطراب ، فقال : « هكذا قال بعض العلماء :
إن زياد بن هبولة السليحي ملك الشام غزا حجرآ . وهذا غير صحيح ، لأن
ملوك سليج كانوا بأطراف الشام مما يلي البر من فلسطين إلى (قنسرين) ، والبلاد
للروم ، ومنهم أخذت غسان هذه البلاد ، وكلهم كانوا عمالاً لملوك الروم ، كما
كان ملوك الحيرة عمالاً لملوك الفرس على البر والعرب ، ولم يكن سليج ولا
غسان مستقلين بملك الشام ، وقولهم ملك الشام غير صحيح .

وزياد بن هبولة السليحي ملك مشارف الشام ، أقدم من حجر آكل المرار
بزمان طويل ، لأن حجرآ هو جد الحارث بن عمرو بن حجر الذي ملك الحيرة
والعرب بالعراق أيام قباذ أبي أنو شروان ، وبين ملك قباذ والهجرة نحو ثلاثين
ومئة سنة . وقد ملكت غسان أطراف الشام بعد سليج ستمائة سنة ، وقيل خمسمائة
سنة ، وأقل ما سمعت فيه ست عشرة سنة وثلاثمئة سنة ، وكانوا بعد سليج ،
ولم يكن زياد آخر ملوك سليج ، فتزيد المدة زيادة أخرى ، وهذا تفاوت كثير ،
فكيف يستقيم أن يكون ابن هبولة الملك أيام حجر حتى يغير عليه ، وحيث طبقت
رواة العرب على هذه الغزاة ، فلا بد من توجيهها ، وأصلح ما قيل فيه : إن
زياد بن هبولة المعاصر لحجر كان رئيساً على قوم ، أو متغلباً على بعض أطراف
الشام . وبهذا يستقيم هذا القول والله أعلم .

وقولهم أيضاً إن حجرآ عاد إلى الحيرة لا يستقيم أيضاً ، لأن ملوك الحيرة من
ولد عدي بن نصر اللخمي ، لم ينقطع ملكهم لها إلا أيام قباذ ، فإنه استعمل
الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار ، كما ذكرنا من قبل ، فلما ولي أنو شروان ،
عزل الحارث ، وأعاد اللخمين . ويشبه أن يكون بعض الكنديين قد ذكر هذا
تعصياً ، والله أعلم .

إن أبا عبيدة ذكر هذا اليوم ، ولم يذكر أن ابن هبولة من سليج ، بل قال :
هو غالب بن هبولة ملك من ملوك غسان ، ولم يذكر عوده إلى الحيرة ، فزال
هذا الوهم ^١ .

١ ابن الأثير (٢٠٨/١) وما بعدها .

وبهذا التعليق اراد ابن الأثير اصلاح ما جاء في الرواية المذكورة من اوهام .
ولكن تعليقه نفسه فيه اوهام وأخطاء من حيث عدد السنين وتقدير المدد وما شاكل
ذلك من أمور ترد في روايات أهل الأخبار .

ولا نعرف متى توفي حجر ، وقد ذكر ابن الأثير انه توفي بـ (بطن عاقل)
وبه دفن^١ . ويرى (أوليندر) (Olinder) استناداً الى تقدير سنة وفاة الحارث
حفيد . (حجر) بسنة (٥٢٨) للميلاد ، والى تقدير مدة حكم الضجاعة من
(بني سليح) ، انه حكم في الربع الأخير من القرن الخامس للميلاد^٢ .

ويرى بعض الباحثين ان (حجرأ) هو (Ogarus) المذكور في بعض التقاويم
في حوادث السنين ٤٩٧ و ٥٠١ و ٥٠٢ للميلاد. وقد ذكر معه اسم أخ له عرف
بـ (Badicharimus) أي (معديكرب) ، كما ذكر أحد احفاده وهو (Aretha)
اي الحارث^٣ .

ونسب الأخباريون لـ (حجر) ثلاث زوجات ، هن : (هند) ابنة (ظالم
ابن وهب بن الحارث بن معاوية) ، وتعرف بـ (هند الهنود) ، و (أم
أناس بنت عوف بن محم الشيباني) وهي ام (الحارث بن حجر)^٤ ، واما الثالثة
فن حمير^٥ .

وفي ديوان الشاعر الجاهلي (بشر بن ابي خازم الأسدي) قصيدة يمدح فيها
(عمرو بن ام اناس) ، أو (ام أناس)^٦ ، وهو من (كندة) . وام اناس
هي ابنة (عوف بن محم الشيباني) الذي يضرب به المثل ، فيقال : « لا حر
بوادي عوف » . وهو من بيت شرف قديم ، لهم قبة يقال لها (المعادة) من
لجأ اليها أعاذوه^٧ . ومما جاء في مدح هذا الشاعر له :

-
- ١ ابن الأثير (٢٠٩/١) .
 - ٢ Olinder, P. 46.
 - ٣ Provincia Arabia, III, S. 286.
 - ٤ الاغانى (١٥٩/٩) (٨٢/١٥) ، جمهرة ابن حزم (٣٢٣) ، الزوزني ، شرح
القصائد العشر (٧) .
 - ٥ Olinder, P. 42.
 - ٦ بالياء في ديوان بشر حسب تحقيق الناشر .
 - ٧ الاشتقاق (٢١٥) .

والمناجح المثة الهجان بأسرها تُزجي مطافها كجثة يثرب
ولرب زحف قد سموت بجمعه فلبسته رهواً بأرعن مُطنب
بالقوم مجتابي الحديد كأنهم أسد على لحق الأباطيل شرباً^١

ويستفاد من هذه القصيدة ان الممدوح ، وهو عمرو ، كان كريماً سخياً يهب
المئات من الإبل الهجان الطيبة الأعراق ، وانه كان صاحب جيش قوي . وينطبق
هذا الوصف على (عمرو بن حجر) . أكثر من انطباقه على (عمرو بن الحارث)
جدّ (امرئ القيس) ، وذلك على رواية من زعم أنه كان للحارث جدّ
الشاعر المذكور ولد اسمه (عمرو) من زوجة له دعوها (أم أناس) ابنة (عوف
ابن محلم الشيباني) . إذ لم يكن وضع أولاد الحارث وضعاً حسناً بعد النكبة التي
نزلت بمصيبة والدهم وبتعقب المنذر بن ماء السماء لهم ، وبثورة القبائل عليهم .
فليس من المعقول أن يهب (عمرو) تلك الهبات وأن يجمع لسه جيش لجب .
خاصة وأن الرواة لم يذكرُوا اسمه في جملة أسماء أبناء الحارث الذين ملكهم على
القبائل في حياته او الذين ورثوا ملكه بعد مماته .

وقد نص (ابن قتيبة) في كتابه : (المعاني الكبير) على أن (عمرو بن
أم أناس) ، هو (عمرو بن حجر الكندي) ، الذي كان جدّ (عمرو بن
هند) ، وهند أم (عمرو بن هند) هي ابنته . وذكر أن (أم عمرو بن حجر)
هي (أم أناس بنت ذهل بن شيان بسن ثعلبة) ، وانه هو المذكور في شعر
الحارث بن حلزة ، اذ يقول :

وولدنا عمرو بن أم أناس من قريب لما أتانا الحباء^٢

وقد اختلف أهل الأخبار كما رأينا في السبب الذي حمل الناس على تلقيب
(حجر) بـ (آكل المرار) . فذهبوا في ذلك جملة مذاهب ذكروها في أثناء
حديثهم عنه^٣ .

-
- ١ ديوان بشر (٣٩) ، الأغاني (٨٢/١٥) وما بعدها .
 - ٢ كتاب المعاني الكبير (٥٣١/١) وما بعدها .
 - ٣ الأغاني (٦٠/٨) (طبعة مطبعة التقدم) ، التبريزي ، القصائد العشر ، (ص ٤) ،
الجاحظ ، البيان والتبيين (٣٢٨/٣) (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) .
الكامل ، لابن الأثير (٣٠١/١) ، (الطباعة المنيرية) ، دائرة المعارف ، للبستاني
(١٢٢/١) ، الأغاني (٨٣/١٥) .

وصار (عمرو بن حجر) المعروف بـ (المقصور) ملكاً بعد أبيه. ويقولون إنه إنما قيل له (المقصور) لأنه قصر على ملك أبيه ، أو لأن (ربيعة) قصرته عن ملك أبيه ، وبذلك سمي المقصور^١.

وكان لـ (عمرو) كما يقول الأخباريون اخ اسمه (معاوية) ، ويعرف بـ (الجون)^٢ (الجوف)^٣ ، كان نصيبه (اليامة) . ويظهر من هذا الخبر انه اخذ من شقيقه هذه المنطقة وترك الأرضين الباقية لأخيه .

ويذكر اهل الأخبار ان (عمرو) و (معاوية) شقيقه هي (شعبة بن أبي معاصر بن حسان بن عمرو بن تبع)^٤ . ويظهر من هذا النسب انها كانت من أسرة يمانية رفيعة ومن البيوتات التي كانت تحكم بعض المقاطعات .

وورد في رواية ان (عمراً) غزا الشام ومعه ربيعة ، فلقه الحارث بن أبي شمر الغساني فقتله . ولم يصف (اليعقوبي) صاحب الرواية المذكورة الى هذه الرواية شيئاً عن حياة (عمرو) المقصور^٥ . أما (حمزة) ، فلم يشر اليه بشيء^٦.

وفي رواية ان ربيعة حينما قصرت عمراً عن ملك أبيه ، استنجد عمرو المقصور (مرثد بن عبيد ينكف الحميري) على ربيعة ، فأمدّه بجيش عظيم . فالتقوا بـ (القنان) ، فشدد عامر الجون على عمرو المقصور فقتله^٧ . فهذه الرواية تنفي رواية من يقول ان الحارث بن شمر الغساني هو الذي قتله .

واذا صحت الرواية المتقدمة ، تكون (ربيعة) قد ثارت على (ابن حجر) لأنها أرادت التخلص من حكم كندة لها . وقد تمكنت من ذلك على الرغم من المساعدة اليمنية التي قدمت له .

ويظهر من الروايات الواردة عن عمرو ومن تلقيه بلقب : (المقصور) ومن

١ ابن الأثير (٢٠٩/١) ، المحبر (ص ٣٦٩) ، الفضليات (ص ٤٢٩) ، الاغانى (٦٠/٨) .

٢ ابن الأثير (٢٠٩/١) ، الاغانى (٨٢/١٥) ، المحبر (ص ٣٦٩) .

٣ (الجوف) ، الاغانى (٦١/٨) ، وهو تصحيف ، والصحيح (الجون) ، (٧٩/٩) (طبعة دار الكتب) .

٤ الاغانى (٦٠/٨) .

٥ اليعقوبي (١٧٧/١) ، الاغانى (٦٥/٨) .

٦ حمزة (ص ٩٢) .

٧ يوم القنان ، الفضليات (ص ٤٢٩) ، البلدان (١٦٥/٧) .

الشروح التي ذكرها الرواة في تفسير هذه الكلمة ، أن (عمرأ) لم يكن قوياً صاحب عزم وإرادة ، وأنه اكتفى بما وقع له من أبيه ، فلم يسع في توسيعه وتقويمه ، وأن حكمه على ما يظهر لم يكن طويلاً ، وقد جعله ابن الكلبي في جملة من كان يخدم (حسان بن تبع) تبع حمير ، ولم يلقبه بلقب ملك ، بل قال : إنه كان سيد كندة في زمانه . وذكر أن (حسان بن تبع) حين سار إلى جديس ، خلفه على بعض أموره . فلما قتل (عمرو بن تبع) أخاه (حسان بن تبع) ، وملك مكانه اصطنع (عمرو بن حجر) ، وكان ذا رأي ونبل ، وكان مما أراد عمرو إكرامه به وتصغير بني أخيه حسان أن زوجته ابنة (حسان بن تبع) ، فتكلمت في ذلك حمير . وكان عندهم من الأحداث التي ابتلوا بها ، لأنه لم يكن يطمع في التزويج إلى أهل ذلك البيت أحد من العرب . وولدت ابنة (حسان بن تبع) لعمرو بن حجر (الحارث) الذي عيّن (تبع بن حسان بن تبع بن ملكي كرب ابن تبع الأقرب) ، أي خال (الحارث) على بلاد معد^١ .

ويظهر من رواية مرجعها ابن الكلبي أن الأسود بن المنذر ملك الحيرة ، كان قد تزوج ابنة لـ (عمرو بن حجر) ، فولدت له (النعمان بن الأسود) الذي حكم في زمن (قباذ) أربع سنين ، ولذلك عرفت بـ (أم الملك)^٢ . وانتقل الملك على رأي أكثر الأخباريين من عمرو إلى ابنه الحارث : وهو المعروف بـ (الحارث الحرّاب) على بعض الروايات^٣ . وقد ورد في شعر للشاعر (ليبد) هذا البيت :

والحارث الحرّاب خلّي عاقلاً داراً أقام بها ولم يتنقل

وقد ذهب الأصمعي إلى أن الشاعر المذكور قصد بـ (الحارث الحرّاب) الحارث الذي نتحدث عنه . وذلك لأن (عاقلاً) من ديار كندة . وهو جبل كان يسكنه (حجر أبو امرئ القيس)^٤ . وإذا أخذنا بهذه الرواية وجب علينا أن نفترض أنه كان قد أقام بموضع عاقل وحكم منه في أغلب الأوقات .

١ الطبري (٨٦/٢) .

٢ الطبري (٩٠٠/١) ، حمزة (ص ٦٩) .

٣ شرح ديوان ليبد بن ربيعة العامري (ص ٥٥ ، ٢٧٥) .

٤ شرح ديوان ليبد (ص ٢٧٥) .

وقد نعت (حمزة) الحارث بـ (المقصور)^١ . وقد رأينا ان جماعة من الأخباريين منحت هذا اللقب لـ (عمرو) .

وقد اختلف الرواة في ام (الحارث) ، فذهب بعض منهم الى انها ابنة (حسان بن تبع)^٢، وذهب بعض منهم الى انها (ام أناس)^٣ او (ام اياس)^٤ بنت (عوف بن محم بن ذهل بن شيان) ، وامها (أمامة بنت كسر بن كعب ابن زهير بن جشم) من تغلب^٥ .

وفي رواية اخرى ، ان (ام اناس) ، كانت زوجة لـ (حجر) وهي ام (الحارث بن حجر) و (هند بنت حجر) . ولذلك فهي ليست أمّاً للحارث ابن عمرو المقصور ، كما جاء في الرواية المتقدمة . ويظهر ان مرد هذا الاختلاف يعود الى تشابه الاسمين ، والى عدم تمييز الرواة بينهما . ويكون (الحارث بن حجر) المذكور اذن شقيقاً لعمرو بن حجر^٦ .

وقد ذكر (ثيوفانس) رئيساً عريباً دعاه (الحارث من بني ثعلبة) (Aretas O. Thalabaynys) ، يظن (أوليندر) انه (الحارث الكندي)^٧ ، ويرجح لذلك الرواية الثانية التي تجعل ام الحارث (ام أناس) (ام اياس) . ذلك لأن (ام أناس) من شيان ، وشيان هو ابن ثعلبة في عرف النسابين ، فيكون هذا الحارث على رأيه هو الحارث الكندي .

ولست أستطيع الجزم بهذا الرأي ، فان (الحارث) من الأسماء المعروفة الكثيرة. الاستعمال عند العرب في بادية الشام وفي بلاد الشام ، وشمال الحجاز ونجد ، وقد عرفنا أسماء عدد من الأمراء وسادات القبائل عرفوا بهذا الاسم ، ثم ان نسبة الحارث الى الثعلبانية (ثعلبة) ، لا يدل على ان الحارث الذي ذكره (ثيوفانس) هو (الحارث الكندي)، بل يدل على انه كان من قبيلة اسمها (ثعلبة) أو (ثعلبان). وقد ذكر كتبة اليونان والسرمان اسم قبيلة (ثعلبة) وكانت من القبائل الخاضعة

-
- ١ حمزة (ص ٩٢) .
 - ٢ الطبري (٩٠٠/١) ، حمزة (ص ٦٩) .
 - ٣ الفضليات (ص ٤٢٩) ، الاغانى (٦٢/٨) .
 - ٤ Olinder, P. 48.
 - ٥ الفضليات (ص ٤٢٩) .
 - ٦ الاغانى (٨٣/١٥) .
 - ٧ Olinder, P. 48.

للروم . قورد (طايوي ربيث رومرين دبيث ثعلبة) ، أي (العرب الذين في أرض الروم الملقبون ببني ثعلبة) ، وورد ذكرها في اخبار مؤرخي الكنيسة في النصف الثاني من القرن الرابع للميلاد^١ .

وفي (طيء) ثلاثة بطون عرفت بـ (بني ثعلبة) ، هي (ثعلبة بن ذهل) ، و (ثعلبة بن رومان) و (ثعلبة بن جدعاء) ، وتعرف بـ (ثعالب طيء) . ويوجد أيضاً (بنو ثعلبة بن شيان) من بطون (تميم)^٢ . وقد عرف (بنو شيان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل) و (بنو شيان ابن ذهل بن ثعلبة بن عكابة) بـ (بني ثعلبة) في تواريخ الروم والسريان . ومن (شيان) كان (حارث بن عباد) سيد شيان في حرب البسوس . وقد عرفوا بـ (Thalabenes) عند الروم^٣ .

وتذكر رواية لابن الكلبي أن (تبع بن حسان بن تبع بن ملكيكرب بن تبع الأقرون) ، اعان (الحارث بن عمرو) وساعده على تولي الملك . و (تبع بن حسان بن تبع) ، هو خاله على هذه الرواية . وتزعم انه بعث الى ابن أخيه بجيش عظيم سار معه الى بلاد معد والحيرة وما والاها ، فسار الى (النعمان بن امرئ القيس بن الشقيقة) ، فقاتله ، فقتل النعمان وعدة من اهل بيته ، وهزم اصحابه ، وافلته المنذر بن النعمان الأكبر ، وملك (الحارث بن عمرو الكندي) ما كانوا يملكون^٤ .

ولا نعرف من الأسماء المذكورة في الكتابات العربية الجنوبية اسم ملك يدعى (تبع بن حسان بن تبع بن ملكيكرب بن تبع الأقرون) . ويرى (هارتمن (Hartmann) أن الأخباريين ارادوا به (شرحبيل يكف) ، وهو ابن شرحبيل يعف (المذكور اسمه في النص المؤرخ بسنة ٤٦٧)^٥ .

يظهر من رواية (ابن الكلبي) المتقدمة ان الملك لم ينتقل الى الحارث من ابيه ارثاً، وانما جاءه بمساعدة خاله (تبع بن حسان بن تبع) . ولم تذكر الرواية

١ شيخو ، النصرانية (القسم الأول ص ٧٩) ، Rothstein, S. 74.

٢ النصرانية (القسم الأول ، ص ١٢٧) . ابن حزم ، جمهرة (ص ٢٩٧) .

٣ النصرانية (القسم الأول ، ص ١٣١ وما بعدها) ، (القسم الثاني : ٤٢٢/٢) .

٤ الطبري (٨٦/٢) .

٥ Olinder, P. 54, Hartmann, S. 497.

الأسباب التي دعت الى اعتماد الحارث على (تبع) في تولي الملك . ولو صحت هذه الرواية كان معناها انه لم يتمكن من الحصول على حقه في الملك إما لامتناع القبائل من قبوله ملكاً عليها ، مما دعاه الى الاستعانة بـ (تبع) او بغيره ، وإما لأن ملك والده يوم توفي لم يكن واسعاً ، بل كان مقتصرأ على كندة ومن في حلفها ، او لأنه لقي مقاومة من أشقائه واقربائه ، مما دفعه الى الاستعانة بالغرباء في تنصيب نفسه ملكاً على كندة وعلى القبائل الأخرى ، ثم على توسيع ملكه فيما بعد .

ولدينا رواية أخرى ، تذكر ان الذي ساعد (الحارث بن عمرو) على تولي الحكم على بلاده معد ، هو (صهبان بن ذي خرب) ، وذلك ان معداً لما انتشرت تباعثت وتظالمت ، فبعثت الى صهبان تسأله ان يملك عليها رجلاً يأخذ لضعيفها من قوتها مخافة التعدي في الحروب ، فوجه اليها الحارث بن عمرو الكندي ، واختاره لها ، لأن معداً أخواله ، امه امرأة من بني عامر بن صعصعة ، فسار الحارث اليها بأهله وولده . فلما استقر فيها ، ولى ابنه حجر ، وهو أبو امرئ القيس الشاعر على أسد وكنانة ، وولى ابنه شرحبيل على قيس وتميم ، وولى ابنه معدي كرب ، وهو جد الأشعث بن قيس الكندي على ربيعة ، فكنثوا كذلك الى أن مات الحارث ، فأقر صهبان كل واحد منهم في ملكه ، فلبثوا بذلك ما لبثوا . ثم ان بني أسد وثبوا على ملكهم حجر بن عمرو ، فقتلوه . فلما بلغ ذلك صهبان ، وجه الى مضر عمرو بن نابل اللخمي ، والى ربيعة ليبيد بن النعمان الغساني ، وبعث برجل من حمير يسمى أوفي بن عتق الحية وأمره ان يقتل بني أسد أبرح القتل . فلما بلغ ذلك أسداً وكنانة ، استعدوا . فلما بلغ أوفي ذلك ، انصرف نحو صهبان ، واجتمعت قيس وتميم فأخرجوا ملكهم عمرو بن نابل عنهم فليحق بصهبان ، وبقي معدي كرب جد الأشعث ملكاً على ربيعة^١ .

اما صهبان ، فهو رجل لم يكن من اهل بيت الملك في حمير ، بل كان قد وثب على الملك واخذ عنة ، وذلك حينما تضعضع امر الحميرية بقتل (عمرو بن تبع) اخاه (حسان بن تبع) ، فانتهاز صهبان هذه الفرصة ، ووثب على (عمرو ابن تبع) فقتله واستولى على ملكه وصار الأمر اليه^٢ .

١ الدينوري : الاخبار الطوال (ص ٥٣ وما بعدها) .

٢ الاخبار الطوال (ص ٥٢ وما بعدها) .

وهناك رواية اخرى تذكر ان (صهبان بن محرث) هو الذي عين الحارث على معد . فهي تأييد للرواية المتقدمة ، سوى انها عينت اسم والد صهبان ، بأن نصت عليه ، فجعلته (محرثاً) . اما الرواية المتقدمة فدعته (ذي خرب) . و (ذي خرب) لقب ، يعبر عن منصب وليس باسم علم .

وفي رواية يرجع سندها الى ابي عبيدة ، ان بكر بن وائل لما تسافهت ، وغلبها سفهاؤها ، وتقاطعت ارحامها ، ارتأى رؤساؤهم فقالوا : إن سفهاءنا قد غلبوا على أمرنا فأكل القوي الضعيف . فرى ان نملك علينا ملكاً نعطيهِ الشاة والبعر ، فيأخذ للضعيف من القوي . ويرد على المظلوم من الظالم . ولا يمكن ان يكون من بعض قبائلنا ، فيأباه الآخرون ، فيفسد ذات بيتنا ، ولكننا نأتي تبعاً فنملكه علينا ، فأتوه ، فذكروا له امرهم ، فلك عليهم الحارث بن عمرو آكل المرار الكندي ، فقدم فتزل بطن عاقل^١ .

ويدرك من هذه الروايات انه كان للتبابعة نفوذ على قبائل معد ، وان تلك القبائل كانت تستشيرهم في أمورهم ، وتحتم اليهم فيما يحدث بينهم من خلاف . وانه كان لهم يد في تعيين الحارث وتنصيبه على تلك القبائل .

والشيء الوحيد الذي يمكن استخلاصه من هذه الروايات المدونة عن تعيين الحارث ملكاً ، انه تولى الحكم على كندة بعد وفاة أبيه ، وانه وسع ملكه بعد ذلك وقد يكون بمساعدة (تبع) ، فصار ملكاً على كندة وبكر وعلى قبائل اخرى وانه تمكن بشخصيته من رفع شأن قبيلته . ويرى (أوليندر) انه حكم حوالي سنة (٤٩٠) للميلاد^٢ .

وليس من السهل تعيين اسم (التب) الذي عين الحارث ملكاً كما جاء ذلك في الروايات الألمانية بالاستناد الى نصوص المسند ، وليس من السهل ايضاً تصور بلوغ نفوذ (ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت واعرابها في الجبال وفي تهامة) المواضيع التي ذكرها اخباريو اليمن . وقد رأينا آثار الوهن بادية على تلك المملكة ، بحيث لم تتمكن من مقاومة غزو الحبشة لها . وليس من السهل ايضاً تصور مجيء (بكر) والقبائل الأخرى مختارة طائفة الى الحارث تلتئم منه ان

١ نهاية الارب (٤٠٦/١٥) ، العقد الفريد (٧٨/٦٦) ، (طبعة العريان) .
٢ Ollender, P. 58.

يتفضل عليها بأن يكون ملكاً عليها ، وقد رأيناها كما يقول الأخباريون أنفسهم تنقض على البيت المالك من كندة وتثور عليه ، وتقتل امراءها منهم ، حال علمها بضعف ذلك البيت ، وبوفاة الرجل الذي جمع تلك القبائل بقوته ، ووحدها بشخصيته . والأقرب الى المنطق هو أن هذه القبائل لم تعرف برئاسة الحارث عليها ، وبتاجه عليها إلا لما رأته فيه من القوة ، وإلا يعد استعمال القوة والعنف مع عدد من القبائل ، فرضيت به ملكاً ما دام قوياً والأمر بيديه ، وهو منطق السياسة في الصحراء . وبهذا التفسير نستطيع فهم تكون ممالك أو امارات بسرعة عجيبة ، تظهر فجأة قوية تحتضن جملة قبائل ، ثم تسير بسرعة فتهدد حدود الدول الكبرى وتهاجمها كالفيضان ، فإذا أصيبت هذه الدول تمزقت أوصالها وتجزأت كما تتجزأ الفقاعة وتذوب . هكذا حياة الممالك في البوادي ، ممالك تولد ، وأخرى تموت .

ويذكر الأخباريون أن الحارث الكندي جمع الى ملكه ملك الحيرة وآل نجم ، وذلك في زمن قباد . ورووا في ذلك جملة روايات عن كيفية تولي الحارث ملك الحيرة ، وطرده للملكها الشرعي وتولى الحكم دونه . فرووا أن الزمن لم يكن مؤاتياً لـ (قباد) يوم أوتي الحكم . كانت الأحوال مضطربة ، والفتن رافعة رأسها في مواضع متعددة ، والنفوذ في المملكة بيد الموابذة ، ولموبدان موبد الكلمة العليا ، إذ هو الرئيس الروحي الأعلى في المملكة ، كما كان للأغنياء وللأقطاعيين الشأن الأول في سياسة الدولة . فلم يعجب قباد الوضع ، لأنه (ملك الملوك) (شاهنشاه) ومن حق (ملك الملوك) الا ينازع في الملك ، ففكر في طريقة لتقليص ظل الموابذة والمتنفذين في المملكة من كبار الأغنياء والملاكين ، ورأى أن خير ما يفعله في هذا الباب ، هو نشر تعاليم مزدك بين الناس . فإذا انتشرت كانت كفيلة بالقضاء على الأغنياء وعلى رجال الدين المتنفذين^١ . وكان مزدك وأصحابه يقولون ان الناس تظالموا في الأموال والأرزاق ، فاعتصبها بعضهم من بعض ، وان الأغنياء قد اغتصبوا رزق الفقراء ، وانهم يأخذون للفقراء من الأغنياء ، ويردون من المكثرين على المقلين ، وانه من كان عنده فضل من الأموال والنساء والأمتعة ، فليس هو بأولى به من غيره . فافترض السفلة ذلك ، واغتمموه ، وكانوا مزدك وأصحابه وشايعوهم فابتلي الناس بهم ، وقوى أمرهم حتى كانوا

Noldeke, Aufsätze zur Persischen Geschichte, Leipzig, 1887, S. 109.

يدخلون على الرجل في داره ، فيغلبونه على منزله ونسائه وأمواله ، لا يستطيع الامتناع منهم ^١ . هكذا وصف الطبري وغيره من الأخباريين دعوة مزدك . فهي على هذا الوصف دعوة اشتراكية جاءت مقوضة لرجال الدين والاقطاعيين ومتنفذة الأغنياء .

فلما شايع قباذ المزدكية ، اجتمعت كلمة (موبدان موبد) والعطاء على ازالته من ملكه ، فأزالوه عنه وجسوه ، وعينوا أخاه جاماسب مكانه . ويذكر الطبري ان ذلك كان في السنة العاشرة لملك قباذ ، فيكون ذلك في سنة (٤٩٨ م) على رأي من جعل ابتداء ملكه في عام (٤٨٨ م) ^٢ . وقدّر حدوثه أيضاً في سنة (٤٩٦ م) ^٣ . وقد مكث أخوه ملكاً ست سنوات ثم أزاله عنه أخوه قباذ الذي أفلت من السجن في قصة يرويها الأخباريون ، واستعاد قباذ بذلك ملكه ^٤ . فتكون استعادته ملكه في حوالي سنة (٥٠٤) أو (٥٠٢ م) . وقد مكث ملكاً حتى انتقل الى العالم الثاني في سنة (٥٣١ م) .

وتذكر رواية الأخباريين هذه ، ان الملك قباذ طلب من المنذر بن ماء السماء الدخول فيما دخل فيه من مذهب مزدك وزندقته ، فامتنع ، فاغتاظ قباذ وانزعج منه ، ودعا (الحارث بن عمرو) الى ذلك ، فأجابه ، فاستعمله على الحيرة . وطرده المنذر من مملكته ، فعظم سلطان الحارث ، وفخم أمره ، وانتشر ولده ، فلكهم على بكر وتميم وقيس وتغلب وأسد ^٥ . وكان من حلّ نجداً من أحياء نزار تحت سلطان الحارث دون من نأى منهم عن نجدة ^٦ . فتربط هذه الرواية كما نرى بين زندقة قباذ وعزل المنذر وتنصيب الحارث ملكاً على الحيرة ، بقبوله مذهب قباذ . وروى (حمزة) ان الحارث كان قد طمع في ملك (آل لحم) ، وكان قد وجد ان (قباذ) ضعيف الهمة فاتر العزم ، غير ميال الى القتال ، وانه سوف لا يساعد آل لحم ، إن هو هاجمهم ، لذلك ساق كندة ومن كان معه من بكر ابن وائل عليهم ، وباغت سادة الحيرة ولم يتمكنوا من الوقوف أمامه ، فهرب

١ الطبري (٨٨/٢) .

٢ Ency. Brita., Vol., 17, P. 574, Ency., 4, P. 178.

٣ Noldeke, Aufs., S. 109.

٤ الطبري (٨٧/٢) .

٥ ابن الاثير (٢٠٩/١) ، الطبري (٨٩/٢ وما بعدها) ، المحبر (ص ٣٦٩) .

٦ حمزة (ص ٩٢) .

(المنذر) من دار مملكته بالحيرة ومضى حتى نزل الى (الجرساء الكلبي) وأقام عنده الى أن تغير الحال بوفاة قباذ ، وتبدل سياسة الحكومة بتولي (كسرى أنوشروان) الملك . فعاد الى ملكه وقهر الحارث وتغلب عليه واستعاد ما اغتصب منه^١ .

وذكر (حمزة) ان سبب لجوء (بكر بن وائل) الى الحارث ، وخضوعها لحكمه واشراكها معه في مهاجمة (آل لحم) وانتزاع الحكم منهم ، هو أن (امرأ القيس البدء) كان يغزو قبائل (ربيعة) ، فينكي فيهم ، ومنهم أصاب (ماء السماء) ، وكانت تحت (أبي حوط الخطاثر) فثارت به (بكر بن وائل) فهزموا رجاله ، وأسروه ، وكان الذي ولي أسره (سلمة بن مرة بن همام بن مرة بن ذهل بن شيان) ، فأخذ منه الفداء وأطلقه ، فبقيت تلك العداوة في نفوس (بكر بن وائل) الى أن وهن أمر الملك (قباذ) ، فعندها أرسلت بكر الى الحارث بن عمرو فلكوه ، وحشدوا له ، ونهضوا معه حتى أخذ الملك ودانت له العرب^٢ .

وبهذه الكيفية شرح (حمزة) كيفية تولي (الحارث) عرش الحيرة ، وسبب بغض (بكر بن وائل) لآل لحم ، بغضاً دعاها الى تنصيب (الحارث) ملكاً عليها ، وعلى الانتقام من آل لحم .

ولابن الكلبي رواية عن كيفية تولي الحارث ملك الحيرة ، ذكر « ان قباذ ملك فارس لما ملك كان ضعيف الملك ، فوثبت ربيعة على النعمان الأكبر ابي المنذر الأكبر ذي القرنين . وإنما سمي ذا القرنين لضفرين كانا له ، فهو ذو القرنين بن النعمان بن الشقيقة . فأخرجوه ، فخرج هارباً حتى مات في إباد ، وترك ابنه المنذر فيهم ، وكان أرجى ولده عنده . فتنطلق ربيعة الى كنده . وكان الناس في الزمن الأول يقولون ان كنده من ربيعة . فجاءوا بالحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندي ، فلكوه على بكر بن وائل ، وحشدوا له ، وقاتلوا معه ، فظهر على ما كانت العرب تسكن من أرض العراق ، وأبى قباذ أن يمد المنذر بجيش . فلما رأى ذلك المنذر ، كتب الى الحارث بن عمرو : إني في غير قومي ، وأنت أحق من ضمتي واكتفني ، وأنا متحول اليك . فحوّله اليه ، وزوجه

١ حمزة (ص ٧٠ وما بعدها) .
٢ حمزة (ص ٧٠ وما بعدها) .

ابنته هنداً . ففرق الحارث بن عمرو بنيه في قبائل العرب ، فصار شرحبيل بن الحارث في بكر بن وائل وحظلة بن مالك وبني زيد بن تميم وبني أسد وطوائف من بني عمرو بن تميم والرياب ، وصار غلفاء وهو معديكرب في قيس ، وصار سلمه بن الحارث في بني تغلب والنمر بن قاسط وسعد بن زيد مناة بن تميم ... ومع معديكرب الصنائع ، وهم الذين يقال لهم بنو ربيعة أم لهم ينسبون إليها . وكانوا يكونون مع الملوك من شذاذ الناس . فلما هلك أبوهم الحارث بن عمرو ، تشتت أمرهم وتفرقت كلمتهم ، ومشت الرجال بينهم ، وكانت المغاورة بين الأحياء الذين معهم ، وتفاقم أمرهم حتى جمع كل واحد منهم لصاحبه الجموع وزحف إليه بالجيوش ... »^١ .

ولابن الكلبي رواية أخرى دوتها الطبري ، هذا نصها : « لما لقي الحارث ابن عمرو بن حجر بن عدي الكندي النعمان الأكبر ، وملك الحارث بن عمرو الكندي ما كان يملك بعث قباز بن فيروز ملك فارس الى الحارث بن عمرو الكندي انه قد كان بيننا وبين الملك الذي قد كان قبلك عهد ، واني احب أن ألقاك .

وكان قباز زنديقاً يظهر الخير ويكره الدماء ، ويداري أعداءه فيما يكره من سفك الدماء ، وكثرت الأهواء في زمانه واستضعفه الناس . فخرج إليه الحارث ابن عمرو الكندي في عدد وعدة حتى التقوا بقنطرة الغيوم ... فلما رأى الحارث ما عليه قباز من الضعف ، طمع في السواد ، فأمر أصحابه مسالحه أن يقطعوا الفرات ، فيغيروا في السواد ، فأتى قباز الصريخ وهو بالمدائن فقال : هذا من تحت كنف ملكهم . ثم أرسل الى الحارث بن عمرو ان لصوصاً من لصوص العرب قد أغاروا ، وانه يجب لقاءه ، فلقبه . فقال له قباز : لقد صنعت صنيعاً ما صنعه أحد من قبلك . فقال له الحارث : ما فعلت ولا شعرت ، ولكنها لصوص من لصوص العرب ، ولا أستطيع ضبط العرب الا بالمال والجنود . قال له قباز : فما الذي تريد؟ قال : أريد أن تطعمني من السواد ما أتخذ به سلاحاً . فأمر له بما يلي جانب العرب من أسفل الفرات ، وهي ستة طساسيح . فأرسل الحارث بن عمرو الكندي الى تبع وهو باليمن : إني قد طمعت في ملك الأعاجم ، وقد أخذت منه ستة طساسيح ،

١ المفضليات (ص ٤٢٧ وما بعدها) ، النقائض (ص ١٠٧٢ وما بعدها) ، (طبعة لندن) .

فاجمع الجنود ، وأقبل فجمع تبع الجنود ، وسار حتى نزل الحيرة، وقرب من الفرات ، فأذاه البق ، فأمر الحارث بن عمرو أن يشق له نهر الى النجف ، وهو نهر الحيرة ، فترل عليه ، ووجه ابن أخيه شمر ذي الجناح الى قباد، فقاتله فهزمه شمر حتى لحق بالري . وقد ترك ابن الكلبي الاشارة الى الحارث وطفر الى الحديث عن فتوحات شمر الذي أوصل فتوحاته الى القسطنطينية ، ثم الى رومة (رومية) ، ثم الى عودة (تبع) وتهوده بتأثير أخبار يثرب ، ثم الى علم (كعب الأخبار) الذي استمده على حد قوله من بقية ما أورثت أخبار يهودا .

ويرى (موسل) ان التقاء (الحارث) بـ (قباد) (٤٨٨ - ٥٣١ م) عند قنطرة الفيوم ، كان سنة (٥٢٥) للميلاد^٢ . والفيوم موضع لا يبعد كثيراً عن (هيت)^٣ .

يفهم من رواية ابن الكلبي هذه ان الحارث التقى بملك الحيرة (النعمان بن المنذر) في معركة أسفرت عن مقتل (النعمان) وفرار المنذر ابنه ، وعن انتصار عرب الحارث على عرب الحيرة، واستيلاء الحارث على ما كان يملكه النعمان . فلما حدث هذا ووقع ، اضطر (قباد) الى ملاطفة الحارث واسترضائه . ولكن الحارث طمع في أكثر من ذلك ، طمع في السواد ، فأقطعه منه ما يلي جانب العرب من أسفل الفرات ، أقطعه منه ستة طساسيح . فليس في هذه الرواية اشارة الى قبول (الحارث) الدخول في المزدكية ، ولا الى طرد النعمان من ملكه نتيجة لرفضه اتباعه في دينه ، انما هو ضعف قباد وعجزه عن مساعدة صاحبه النعمان وانتهاز الحارث الذكي هذه الفرصة المواتية للاستيلاء على ما طمع فيه من ملك النعمان . أما الشق الثاني ، وهو خبر (تبع) ، وحروبه ومساعدته له ، فهو على ما يظهر من هذا النحو الذي ألفناه في ربط تأريخ كندة باليمن ، والإشادة بماضي القحطانيين وانفرادهم بالملك دون خصومهم العدنانيين ، والى عدم تمكن كندة من العمل وحدها لولا مساعدة الجانيين .

يستنتج من كل هذه الروايات أن (الحارث بن عمرو) الكندي اغتصب عرش الحيرة أمدأ ، اغتصبه من (النعمان بن امرئ القيس بن الشقيقة) ، أو

١ الطبري (٨٩/٢ وما بعدها) .
٢ Musil, Middle Euphrates, P. 350.
٣ البلدان (٤١٤/٦) .

(المنذر الأكبر بن ماء السماء) أو (النعمان الأكبر أبو المنذر الأكبر ذو القرنين) ،
و (ذو القرنين) ، هو (ذو القرنين بن النعمان بن الشقيقة)^١ ، أو (النعمان
ابن المنذر بن امرئ القيس بن الشقيقة)^٢ ، وذلك في زمن (قباذ) ملك الفرس .
ويقصد ب (قباذ) هذا (قباذ) الأول الذي حكم ثلاثاً وأربعين سنة على ما
جاء في الأخبار^٣ . ويقدر العلماء ذلك من سنة (٤٨٨) حتى سنة (٥٣١) بعد الميلاد^٤ .
ولنتمكن من تعيين اسم الملك الذي قصده الرواة ، علينا الرجوع الى أسماء من
حكم في أيام قباذ من ملوك الحيرة ، وذلك على نحو ما رواه لنا الأخباريون .

ان أول من حكم في عهد (قباذ) ، على ما يدعيه (حمزة) ، هو الملك
(الأسود بن المنذر) ، وقد حكم في أيامه ست سنين . ثم المنذر بن المنذر ،
وأمه (هر) ، وقد حكم سبع سنين . ثم النعمان بن الأسود ، وأمه ام الملك
بنت عمرو بن حجر أخت (الحارث بن عمرو بن حجر الكندي) ، أربع سنين .
ثم أبو يعفر بن علقمة الذميلي ، وقد حكم ثلاث سنين . ثم امرؤ القيس بن النعمان
ابن امرئ القيس ، وقد حكم سبع سنين . ثم امرؤ القيس بن النعمان بن امرئ
القيس ، وقد حكم سبع سنين . ثم المنذر بن امرئ القيس المعروف بالمنذر بن
ماء السماء ، وهو ذو القرنين ، وقد حكم اثنتين وثلاثين سنة من ذلك ست سنين
في زمن قباذ . ثم الحارث بن عمرو بن حجر الكندي ، ولم يذكر (حمزة) مدة
حكمه ، انما قال : « ذكر هشام عن ابيه انه لم يجد الحارث فيمن أحصاه كتاب
أهل الحيرة من ملوك العرب . ثم قال : وظني انهم انما تركوه لأنه توثب على
الملك بغير اذن من ملوك الفرس ، ولأنه كان بمعزل عن الحيرة التي كانت دار
المملكة ولم يعرف له مستقر وانما كان سياراً في أرض العرب »^٥ . ولم يذكر
حمزة مدة حكم (قباذ)^٦ .

أما (الطبري) ، فجعل (النعمان بن المنذر بن امرئ القيس بن الشقيقة)

١ المفضليات (ص ٤٢٧) .

٢ Olinder, P. 58.

٣ الطبري (٨٩/٢) .

٤ Ency., IV, P. 178.

٥ حمزة (ص ٦٩ - ٧٢) .

٦ حمزة (ص ٣٩) .

الملك الذي كان قد حكم حينما تولى (قباذ) الحكم ، وجعل (الحارث بن عمرو ابن حجر) الذي قتل النعمان على روايته من بعده . وقد دام حكمه على ما يظهر من رواية الطبري حتى أيام (كسرى أنو شروان بن قباذ) . فلما قوي شأن (كسرى أنو شروان) ، بعث الى المنذر بن النعمان الأكبر ، وأمه ماء السماء ، فملكه الحيرة وما كان يلي آل الحارث بن عمرو بن حجر^١ .

أما (ابن الأثير) ، وهو عيال على الطبري وناقل منه ، فقد ذكر ما ذكره الطبري ، وأضاف اليه : أن المنذر بن ماء السماء لما بلغه هلاك قباذ ، وقد علم خلافه على أبيه في مذهبه ، أقبل الى (أنو شروان) فعرفه نفسه ، وأبلغه أنه سيعيده الى ملكه، وطلب (الحارث بن عمرو) ، وهو بالأنبار ، فخرج هارباً في صحابته وماله وولده ، فر ب (الثوية) ، فتبعه المنذر بالخيول من تغلب واياذ وبهراء ، فلحق بأرض كلب ، ونجا ، وانتهبوا ماله وهجائنه ، وأخذت بنو تغلب ثمانية وأربعين نفساً من بني آكل المرار ، فقدموا بهم على المنذر ، فضرب رقابهم ب (جفر الأميال)^٢ (جفر الأملاك) في ديار بني مرينا العباديين بين دير بني هند والكوفة^٣ .

ترى مما تقدم اختلاف الروايات وتباينها وتعددتها ، حتى ان الراوية الواحد مثل (ابن الكلبي) يروي لنا جملة روايات ، قد يناقض بعضها بعضاً . لقد وجدنا منها ما زعمت ان قباذ طرد المنذر من مملكته، وأحل الحارث محله، ومنها ما زعمت ان المنذر استرضى الحارث بعد أن رأى عجزه وعجز صاحبه ، فحوّله اليه ، وزوّجه ابنته هند ، ومنها ما ذكرت ان الحارث قتل النعمان بن المنذر بن امرئ القيس بن الشقيقة ، وان المنذر بن النعمان الأكبر فرّ ونجا بنفسه ، وان الحارث ملك بالقوة ما كان يملكه ملوك الحيرة وان قباذ داراه واسترضاه لما وجد فيه من البأس . فإذا نستخلص من مجموع هذه الروايات ؟

كل ما يستخلص منها ان الحارث استبد بملك آل لحم ، في أيام قباذ، وكان مركز هذا الملك صعباً بسبب ضعفه ، وبسبب العقيدة التي قبلها ، وهي عقيدة تناقض ما كان عليه الناس . وقد حكم أمداً : يظهر انه امتد مدة حكم قباذ ، ثم

١ الطبري (٨٩/٢ وما بعدها) .

٢ ابن الأثير (١٧٥/١) .

٣ البلدان (١٢٧/٤ وما بعدها) .

تغيرت به الأحوال ، فعاد أصحاب البيت الى بيتهم ، وهرب هو الى من حيث جاء . ولا نعرف على وجه التحقيق متى ولي الحكم ، ولا متى غادره .

لقد ذكرت أسماء الملوك الذين حكموا في أيام (قباذ) على رواية حمزة ، وهي رواية تكاد تتفق مع القائمة التي دونها الطبري في آخر كلامه عن (كسرى أنو شروان) نقلاً عن هشام بن الكلبي لأسماء ملوك الحيرة ومدد حكمهم ، وذلك قبل عهد (كسرى أنو شروان)^١ . فأى ملك من هؤلاء يمكن أن يكون هو الملك المقصود ؟

لقد ذكر (يوشع العمودي) (Joshua the Stylite) ان ملك الحيرة (النعمان) اشترك مع (قباذ) في المعارك التي وقعت بينه وبين الروم ، فأصيب النعمان بجروح بليغة على مقربة من (قرقيسيا) (Circesium) قضت عليه ، وذلك في سنة (٥٠٣) للميلاد . ولقد انتهز عرب الروم المسمون بالثعلبيين (بني ثعلبة) هذه الفرصة ، فغزوا الحيرة ، واضطرت القوة التي تركها النعمان في عاصمته الى الفرار للبادية . أفلا يجوز أن يكون هؤلاء الغزاة هم أعراب (الحارث الكندي) ، انتهزوا هذه الفرصة فأغاروا على الحيرة واستولوا عليها ، فصارت في قبضة (الحارث) على نحو ما رواه بعض الأخباريين ؟ ثم ألا يجوز أن يكون بعض الرواة قد سمعوا بمقتل (النعمان) ، فظنوا أن القاتل هو (الحارث) ، أو تعمدوا نسبة القتل اليه لرفع من شأن كندة ومن كان معها من قبائل^٢ ؟

ولكن من يثبت لنا أن هؤلاء الأعراب الثعلبيين ، أي من (بني ثعلبة) ، وهم من عرب الروم على حد قول (يوشع العمودي) هم من أتباع الحارث ، أو أنهم من (آل الحارث) أي من كندة ، وأن العائلة الكندية المذكورة كانت تعرف بـ (بني ثعلبة) . وليس في الذي بين أيدينا من موارد ، مورد واحد يذكر بأن (آل آكل المرار) هم من (بني ثعلبة) أو أنهم كانوا قد عرفوا بـ (بني ثعلبة) في يوم من الأيام ، أو أنهم كانوا قد خضعوا لسلطان الروم . لذلك ، لا أظن ان (يوشع العمودي) قصد بالثعلبيين عرب الروم ، كندة ،

١ الطبري (٩٤/٢) .

٢ (قرقيسيا) ، البلدان (٥٩/٧) ،

Olinder, P. 59, Ency., II, P. 765, Musil, Euphrates, P. 334.

وانما قصد أعراباً من اعراب الروم ، كانوا يعرفون بـ (بني ثعلبة) أو (آل ثعلبة) ، وكانوا يتمتعون باستقلالهم تحت حماية الروم . ولما وجدوا فرصة ما حل بالنعمان من جروح في الحرب التي خاضها مع الفرس على الروم ، هاجموا الحيرة فانتهبوها ، وكانت حاميتها ضعيفة فقوت الى البادية ، ولم يذكر المؤرخ مدة مكوث هؤلاء الأعراب في الحيرة ، والظاهر انها لم تكن سوى مدة قصيرة ، وانها كانت من نوع غارات الأعراب على المدن : غزو خاطف ، يعقبه انسحاب عاجل لتأمين سلامة ما ينهبونه وايصاله الى ديارهم حتى لا تتمكن القوات التي ستأتي لمعاقتهم من أخذ ما حصلوا عليه من غنائم وأموال .

ويظهر أن حكم كندة للحيرة لم يكن طويلاً ، ويظن أنه كان بين سنة (٥٢٥) وستة (٥٢٨) للميلاد ، وذلك في أثناء ظهور فتنة المزدكية في إيران^١ . وليس بمستبعد أن يكون الحارث قد اتصل بالفرس قبل هذا الزمن ، في أثناء صلح سنة (٥٠٦) للميلاد ، او على اثر الفتور الذي طرأ على علاقاته بالبيزنطيين ، لأنه وجد ان الاتفاق مع الفرس يعود عليه بفوائد ومنافع لا يمكن أن يغتنمها من الروم ، ووجد بكرةً وتغلب قد زحفتا اذ ذاك من مواطنها القديمة في الهامة ونجد نحو الشمال تريدان التزول في العراق . وقد أقره الفرس على المناطق الصغيرة أو الواسعة التي استولى عليها لقاء جعل^٢ .

لم يكن من مصلحة ملك الحيرة ، بالطبع ، الرضى بنزول منافس قوي أو منافسين أقوياء في أرضه أو في أرض مجاورة له . فلما ظهر الحارث في العراق ، وعرف ملك الحيرة نياته وتقربه الى الفرس ، وملك الحيرة ، هو باعتراف الفرس (ملك عرب العراق) ، لم يكن من المعقول سكوته انتظاراً للنتائج . ومن هنا وقع الاختلاف^٣ .

لم تكن العلاقات حسنة بين قباذ والمنذر ملك الحيرة ، لسبب غير واضح لدينا وضوحاً تاماً ، قد يكون بسبب المزدكية ، وقد يكون بسبب تقرب الحارث الى الفرس واقطاعهم اياه أرضاً وتودده الزائد الى قباذ ، وقد يكون لأسباب أخرى

١ Olinder, P. 65.

٢ O. Blau, Arabien in Sechsten Jahrhundert, in ZDMG., Bd., 23, (1869), S. 579.

٣ حمزة (ص ٦٥) ، Olinder, P. 65.

مثل تردد ملك الفرس وضعفه ، فلم تكن له خطة ثابتة مما أثر في وضع (ملك عرب العراق) . على كل حال ، فقد أدى هذا الفتور الى استفادة الحارث منه واستغلاله ، فتقرب الى الفرس وتودد اليهم حتى آل الأمر بأن يأخذ ملك الحيرة أمداً حتى تغيرت الأحوال في فارس بموت (قباذ) وتولى (كسرى أنوشروان) الملك من بعده ، فعاد المنذر عندئذ الى عرش الحيرة وأبعد الحارث عن ملكه . وآراء الأخباريين متباينة كذلك في المكان الذي اختاره الحارث للاقامة فيه بعد اغتصابه ملك (آل لخم) ، فبينما يفهم من بعض الروايات انه استقر في الحيرة وأقام فيها ، نرى بعضاً آخر يرى انه أقام في الأنبار^١ . وبينما يذكر (حمزة) أن الحارث حينما بلغه خبر قدوم المنذر عليه واقترابه من الحيرة ، هرب فنبعته خيل المنذر ، مما يفهم انه كان في الحيرة ، نجده يقول في موضع آخر : « ان الحارث كان بمعزل عن الحيرة التي كانت دار المملكة ، ولم يعرف له مستقر ، انما كان سيرة في أرض العرب »^٢ . ونجد صاحب الأغاني يذكر في موضع انه كان في الأنبار ، ويشير في موضع آخر انه كان في الحيرة^٣ .

وتتفق روايات الأخباريين على ان مجيء (كسرى أنوشروان) كان شراً على الحارث، وخيراً لآل لخم ، فقد كانت سياسة (أنوشروان) مناقضة لسياسة قباذ بسبب المزدكية . وقد ظهر اختلافها هذا في السنين الأخيرة من سني حكم قباذ^٤ . وقد أدى هذا الاختلاف الى محاربة المزدكية وسقوطها . ويحدثنا (ملالا) (John Malalas) ان سقوطها كان بعد وفاة (الحارث) وقبل غارة المنذر على بلاد الشام^٥ . وقد قام المنذر بها في شهر آذار من سنة (٥٢٨) للميلاد على رواية (ثيوفانس) (Theophanes)^٦ . وكانت وفاة الحارث في أوائل سنة (٥٢٨) للميلاد^٧ . ومن رواية هذين الكاتبين يتبين ان الحارث كان قد قضى نحبه قبل

-
- ١ اليقوبي (١٧٧/١) ، ابن الاثير (٢٠٩/١) ، الاغاني (٦٢/٨) (طبعة الساسي) .
 - ٢ حمزة (ص ٧٢ ، ٩٣) ، Rothstein, Die Dynastie der Lakhmiden, S. 88.
 - ٣ الاغاني (٦٢/٨) .
 - ٤ Nöldeke, Die Sasaniden, S. 462, Christensen, Le Regne du Roi Kawadh I, et le Communisme Mazdaqite, PP. 124, Olinder, P. 65.
 - ٥ John Malalas, Chronographia, Lib., XVIII, Col. 653, Olinder, P. 65.
 - ٦ Olinder, P. 54, 65.
 - ٧ Olinder, P. 54.

القضاء على المزدكية لمدة غير طويلة ، وان المنذر كان في آذار سنة (٥٢٨) للميلاد
قد قام بغارته على بلاد الشام^١ .

ويستدل من اشارة (ملالا) و (ثيوفانس) الى موت الحارث في سنة
(٥٢٨ م) ومن تلقيه بلقب (فيلارخس) أي عامل ، على ان علاقات الحارث
بالروم في أواخر أيام حياته كانت حسنة . ومعنى هذا ان خلافاً او فتوراً كان
قد وقع فيما بينه وبين الفرس ، دفعه على التقرب نحو خصوم الساسانيين وهم
الروم ، فاتصل بهم وذلك في أيام (قباد) ، او في أيام (كسرى انوشروان)^٢ .

ويظهر ان تودد (الحارث) الى البيزنطيين لم يأت له بنتيجة او بفائدة تذكر.
اذ يحدثنا الكاتبان (ملالا) و (ثيوفانس) ان قائد فلسطين الرومي (ديوميديس)
(Diomedos) أجبر سيد قبيلة يدعى (اريتاس) (Aritas) ، اي (الحارث) على
التراجع في اتجاه الهند (Indica) ، ويقصد بذلك جهة الجنوب او الشرق، حيث
كان يطلق البيزنطيون على العربية الجنوبية (الهند) . فلما سمع بذلك (الموندارس)
(Alamoundaros) أي (المنذر) رئيس العرب (السرسيني) (Saracens)
الخاضعين لنفوذ الفرس ، هجم على الحارث فقتله ، وغنم امواله وما ملكه ، وأسر اهله .
فلما بلغ النبأ للقيصر (يوستنيانوس) (Justinianus) ، أمر حكام (فينيقية)
(Phenicia) و (العربية) (Arabia) والجزيرة وعامل الحدود بتعقب المنذر
ومهاجمته . وقد اشترك في هذه الحملة عدد من القادة والحكام ، وفي جملتهم سيد
قبيلة اسمه (اريتاس) (Aritas) ، أي (الحارث) ، وهو الحارث بن جبلة
الغساني على ما يظهر^٣ .

ولم يتعرض الأخباريون للخبر الذي ذكره الكاتبان عن كيفية قتل (الحارث)
ولا عن الأمر الذي أصدره القيصر بتعقيب (المنذر) ، والظاهر انهم لم يقفوا عليه^٤ .

غير ان للأخباريين رواياتهم الخاصة عن مصير صاحبنا (الحارث) الكندي .
حدث صاحب (الأغاني) ان (أنوشروان) حينما ملك ، أمر بقتل الزنادقة ،

١ Olinder, P. 85.

٢ Olinder, P. 86.

٣ Olinder, P. 53, Nöldeke, Sasaniden, S. 171.

٤ Olinder, P. 86.

أي أتباع مزدك ، « فقتل منهم ما بين جازر^١ الى النهروان الى المدائن في ضحوة واحدة مئة ألف زنديق وصلبهم »^٢ ، وأعاد المنذر الى مكانه ، وطلب « الحارث ابن عمرو ، فبلغه ذلك وهو بالأنبار وكان بها منزله ... فخرج هارباً في هجائه وماله وولده ، فرّ بالثوية^٣ ، وتبعه المنذر بالخليل من تغلب وبهراء وإياد ، فلحق بأرض كليب ، فنجا وانتهبوا ماله وهجائه ، وأخذت بنو تغلب ثمانية وأربعين نفساً من بني آكل المزار ، فقدمت بهم على المنذر ، ف ضرب رقابهم ب (جفر الأملاك) (حفر الأملاك) في ديار بني مرينا العبادين بين دير هند والكوفة ... »^٤ . وأضاف (ابن الأثير) الى هذا الخبر ان (تغلب) قبضت على ولدين من أولاد الحارث هما : (عمرو) و (مالك) في جملة الثمانية والأربعين ، فجاءت بهما الى المنذر في (ديار بني مرينا) فقتلهم^٥ .

ويحدثنا (ابن قتيبة) أن (المنذر) لما اقبل « من الحيرة هرب الحارث ، وتبعته خيل فقتلت ابنه عمرأ ، وقتلوا ابنه مالكا بهيت ، وصار الحارث بمسحلان فقتلته كلب » . وزعم غير ابن قتيبة انه مكث فيهم حتى مات حتف أنفه^٦ . وذكر (حمزة) الروايات المدونة في كتاب (الأغاني) بحذف بعض كلماتها^٧ . ولم يشر اليعقوبي الى من قتل (الحارث) من ملوك الحيرة ، بل أوجز فقال : « ... وكانوا يجاورون ملوك الحيرة ، فقتلوا الحارث . وقام ولده بما كان في أيديهم ، وصبروا على قتال المنذر حتى كافؤوه^٨ . ويشعر على كل حال

-
- ١ (جازر) قرية من نواحي النهروان من اعمال بغداد قرب المدائن ، وهي قصبة طسوح الجازر ، البلدان (٣٦/٣) ، الاغاني (٨٠/٩) (طبعة دار الكتب المصرية) ، (١٩٣٦) ، الاغاني (٦٢/٨) (طبعة مطبعة التقدم) ، وفيها أغلاط عديدة .
 - ٢ الاغاني (٦٢/٨) ، (مطبعة التقدم) ، (٨٠/٩) (طبعة دار الكتب المصرية) .
 - ٣ الثوية : موضع قريب من الكوفة ، وقيل خريبة الى جانب الحيرة على ساعة منها . وقيل انه كان سجناً للنعمان بن المنذر كان يحبس به من أراد قتله ، البلدان (٢٨/٣) .
 - ٤ الاغاني (٦٢/٨) ، (٨٠/٩) (طبعة دار الكتب المصرية) .
 - ٥ ابن الأثير (٢٠٩/١) ، (جفر الاملاك) ، البلدان (١١٥/٣) ، ابن الأثير (٣٠٤/١) وما بعدها (الطباعة المنيرية) .
 - ٦ الاغاني (٦٢/٨) ، Musil, Middle Euphrates, P. 350 .
 - ٧ حمزة (ص ٩٣) ، (مسحلان) ، البلدان (٥١/٨) .
 - ٨ اليعقوبي (١٧٨/١) .

من جملة « وصبروا على قتال المنذر » ومن روايات الأخباريين الأخرى أن القتل كان في أيام المنذر .

وفي رواية أخرى أن الحارث بقي في كلب حتى توفي فيما بينهم حتف أنفه^١. وقد أضافت الرواية التي تنسب الى (أبي عبيدة) الى هذا الخبر انه دفن بـ (بطن عاقل)^٢ . والظاهر ان اضافة (بطن عاقل) إنما وقعت سهواً واشتباهاً، من باب عدم التمييز فسيما بين (حجر) الذي زعم انه دفن بـ (بطن عاقل) وبين (الحارث)^٣ .

وجاء في رواية أن الحارث خرج يتصيد ، فرأى جماعة من حمر الوحش فشدها عليها ، وانفرد منها حمار فتبعه ، وأقسم ألا يأكل شيئاً قبل كبده ، فطلبته الخيل ثلاثة أيام حتى أدركته ، وأتى به ، وقد كاد يموت من الجوع ، ثم شوي على النار واطعم من كبده وهي حارة ؛ فمات^٤ .

ولا تخلو هذه الروايات المتعلقة بموت (الحارث) ونهايته من مؤثرات العواطف القبلية التي صبغت كل الأخبار التي يرويها الأخباريون بهذه الصبغة . فكلب تدعي انها هي التي قتله ، وكندة تنكر ذلك مدعية انه مات كما يموت سائر الناس ، وأهل الحيرة يقولون انهم هم الذين قتلوه، قتلوه في حرب . وأبو الفرج الأصبهاني يقول : « فكلب يزعمون انهم قتلوه ، وعلماء كندة تزعم انه خرج الى الصيد فالظ بئيس من الظباء ، فأعجزه فألى أن لا يأكل أولاً إلا من كبده ، فطلبته الخيل ثلاثاً ، فأتى بعد ثلاثة ، وقد هلك جوعاً ، فشوى له بطنه فتناول فلذة من كبده ، فأكلها حارة فمات »^٥ .

ولورود خبر مقتل (الحارث) مسجلاً تسجيلاً دقيقاً لدى الكاتبين المذكورين : (ملالا) و (ثيوفانس) ، ومطابقته لرواية أهل الحيرة في النتيجة ، وهو ان مقتله كان على أيدي (المنذر) وجماعته نرجح هذه الرواية على غيرها من الروايات.

-
- ١ (وزعم ابن قتيبة أنه مكث فيهم حتى مات حتف أنفه) ، الاغانى (٦٢/٨) ، أبو الفداء (٧٤/١) .
 - ٢ العقد الفريد (٧٧/٣) ، نهاية الارب (٤٠٦/١٥) ، العقد الفريد (٧٨/٦) وما بعدها (طبعة محمد سعيد العريان) ، Olinder, P. 68.
 - ٣ Olinder, P. 68.
 - ٤ أيام العرب (٤٦) .
 - ٥ الاغانى (٦٢/٨) ، ابن الاثير (٢١٠/١) .

ويظهر من غريلة الروايات التي رواها أهل الأخبار عن نهاية (الحارث) أنها قد اختلفت فيما بينها وتضاربت في موضوع نهايته ، فزعم بعض منها ، انه قتل وان قاتله هو (المنذر بن ماء السماء) ، وزعم بعض آخر انه قتل ، ولكنه لم يصرح باسم قاتله ، وزعم بعض آخر انه هلك ، وانه لم يقتل ، وانما مات حتف أنفه^١ . والذي أرجحه انه قتل ، قتل في أثناء المعارك التي وقعت من جراء تعقب المنذر بن ماء السماء له .

ولا نكاد نعرف شيئاً يذكر عن أعمال الحارث في أثناء توليه ملوكية قبائل (معد) غير ما ذكره الرواة من انه وزّع أولاده عليها ، وجعلهم ملوكاً على تلك القبائل . كذلك لا نكاد نعرف شيئاً يذكر عن أعماله وهو ملك على الحيرة ، فأصحابنا الأخباريون سكوت عن هذه الأمور . ويفهم من كلام بعض الأخباريين عن (الحارث) انه حينما نزل ببيكر بن وائل ، أقام بـ (بطن عاقل) ، ومنه غزا بهم ملوك الحيرة اللخمين ، وملوك الشام الغسانيين ، وفيه كانت نهايته^٢ .

وفهم من بيت في ديوان (امرئ القيس) ان ملك الحارث قد امتد من العراق الى عمان . ولا تعني أمثال هذه الأقوال امتلاكاً فعلياً ، بل كانت تحدث في الواقع عن اتفاقات تعقد بين القبائل يعترف فيها بالرياسة لمن له النفوذ الأكبر والمكانة ، فإذا حدث حادث للرئيس الذي تمكن بمكانته ومنزله من ضم هذه القبائل وتوحيدها ، انهدت كيانه ذلك الاتحاد وتشتت شمله ، كالذي حدث بعد وفاة الحارث كما سنرى فيما بعد . وقد لا تعني هذه الأقوال سوى المبالغات والفخر ، على نحو ما يرد في شعر غيره من الشعراء من امتلاكهم الدنيا ومن عليها ، ومن تدوينهم القبائل والناس ، وليس في الواقع أي شيء مما جاء في دعوى أولئك الشعراء المقتخرين .

ويحدثنا (ابن الكلبي) انه كان للحارث زوجات ثلاث ، هن : أم قطام بنت سلمة بن مالك بن الحارث بن معاوية ، وأسماء ، ورقية أمة أسماء . وقد زعم ابن الكلبي ان أم قطام وأسماء كانتا شقيقتين ، وأما رقية ، فكانت أمة لأسماء . وقيل أيضاً : « هن أخوات ، فجمعهن جميعاً »^٣ . وزوجه بعض

١ البداية والنهاية ، لابن كثير (٢٠٨/٢) .

٢ نهاية العرب ٤٠٦/١٥ ، العقد الفريد (٧٨/٦) (طبعة العريان) .

٣ الفضليات (ص ٤٢٩ ، ٤٣٢) .

الأخباريين بامرأة أخرى هي : (أم أناس) بنت (عوف بن محم بن ذهل بن شيبان) ، وهي والددة (عمرو بن الحارث) المعروف عندهم بـ (ابن أم أناس) (ابن أم إياس)^١ . وفي رواية (ابن السكيت) ان (أم قطام بنت سلمى) هي امرأة من (عترة)^٢ .

وقد دون لنا الرواة أسماء جملة أولاد من أبناء (الحارث) ، ذكروا منهم حجر وشرحبيل ومعديكرب وعبدالله وسلمة، ومحرق ومالك وعمر^٣ . وأم (حجر) هي : (أم قطام)^٤ .

ويذكر أهل الأخبار انه كان للحارث ابن ، حجّ ففقده ، فاتهم به رجل من بني أسد يقال له حبال بن نصر بن غاضرة . فأخبر بذلك الحارث ، فأقبل حتى ورد تهامة أيام الحج ، وبنو أسد بها . فطلبهم ، فهربوا منه . فأمر منادياً فنادى من آوى أسدياً قدمه جبار . ثم إن الملك عفا عنهم وأعطى كل واحد منهم عصاً أماناً له . وبنو أسد يومئذ قليل . فأقبلوا الى تهامة ومع كل رجل منهم عصاً . فلم يزلوا بتهامة حتى هلك الحارث ، فأخرجتهم بنو كنانة ، وسموا عبيد العصا ، بالعصا التي أخذوها^٥ .

ويذكر أهل الأخبار انه كانت للحارث بن عمرو بنت اسمها هند ، وقد تزوجها المنذر بن ماء السماء ، وهي والددة الملك (عمرو بن هند) وشقيقة (قابوس) وعممة الشاعر امرئ القيس^٦ .

وهم يذكرون أن ملك الحارث لما توسع واشتغل هو بالحيرة عما كان يراعيه من أمور البوادي ، تفاسدت القبائل وفشا بينها الشر ، فجاء أشرافها فشكوا ما حل بهم من غلبة السفهاء ، وطلبوا اليه أن يملك عليهم أبناءه ، فلئلك ابنه حجراً على بني أسد وغطفان ، وملك ابنه شرحبيل على بكر بن وائل بأجمعها وعلى

١ ابن الاثير (٢٠٧/١) .

٢ الاغانى (٦١/٨) .

٣ الاغانى (٦٢/٨ وما بعدها) ، المفضليات (ص ٤٣٢) ، ابن الاثير (٢٠٩/١) ،

٤ شرح القصائد العشر ، للزوزني (ص ٧) .

٥ ديوان بشر بن أبي خازم الاسدي (ص ١٢٥ وما بعدها) ، مجمع الامثال ،

للميداني (١٩/٢ وما بعدها) .

٦ الشعر والشعراء (٥٠/١ وما بعدها) ، (ص ٤٣) ، (طبعة ليدن) .

بني حنظلة بن مالك بن زيد مناة وطوائف من بني دارم بني تميم والرباب ،
وملك ابنه معديكرب على بني تغلب والنمر بن قاسط وسعد بن زيد مناة وطوائف
من بني دارم بن حنظلة والصنائع ، وهم بنو رقية : قوم كانوا يكونون مع
الملوك من شذاذ العرب ، وملك ابنه عبد الله على عبد القيس ، وملك ابنه
سلمه على قيس عيلان^١ . وقيل إن شرحبيل بن الحارث ملك في بكر بن وائل
وحنظلة بن مالك وبني زيد بن تميم وبني أسيد وطوائف من بني عمرو بن تميم
والرباب ، ومعديكرب في قيس والصنائع ، وهم بنو رقية ، وسلمة في بني
تغلب والنمر بن قاسط وسعد بن زيد مناة^٢ .

وقد اكتفى (حمزة) بقوله : « وانتشر ولده ، فلكنهم على بكر وتميم وقيس
وتغلب وأسد »^٣ . وهناك روايات أخرى تختلف في التفاصيل وفي الأمور الثانوية
عن هذه الروايات التي ذكرتها بعض الاختلاف^٤ ، سأشير إليها في أثناء البحث
عن هؤلاء الأولاد .

وذكر (ياقوت الحموي) رواية رجعها الى (أبي زياد الكلابي) ، خلاصتها
أن (مضر) و (ربيعة) اجتمعت على أن يجعلوا منهم ملكاً يقضي بينهم ،
فكل أراد أن يكون منهم ، ثم تراضوا أن يكون من (ربيعة) ملك ومن (مضر)
ملك ، ثم أراد كل بطن من ربيعة ومن مضر أن يكون الملك منهم ، ثم اتفقوا على أن يتخذوا
ملكاً من اليمن . فطلبوا ذلك الى (بني آكل المرار) من كندة ، فلكت بنو عامر
شراحيل بن الحارث الملك بن عمرو المقصور بن حجر آكل المرار ، وملك
بنو تميم وضبة محرق بن الحارث ، وملك وائل شراحيل بن الحارث . وتختلف
هذه الرواية كما ترى بعض الاختلاف عن رواية لـ (ابن الكلبي) ذكرها (ياقوت)
أيضاً ، هي ان سلمة بن الحارث ملك (بني تغلب) و (بكر بن وائل) ،
وأما (غلفاء) وهو (معديكرب) (معدي كرب) ، فقد ملك بقية (قيس) ،

١ الاغانى (٦٢/٨ وما بعدها) ، (٨٢/٩) (طبعة دار الكتب المصرية) ، البلدان
(٤٧٢/٤) (كلاب) ، نقائض جرير والفرزدق (٤٥٢/١) (تحقيق بيفان)
(ليدن ١٩٠٧) .

٢ المفضليات (ص ٤٢٨) ، Ency., II, P. 1018.

٣ حمزة (ص ٩٢) .

٤ خزنة الادب (٥٠٠/٢) .

وأما (أسد) و (كنانة) ، فقد ملكت عليها (حجر بن الحارث) ، أي والد امرئ القيس^١ .

أما (حجر) ، فهو أكثر هؤلاء الأولاد ذكراً عند الأخباريين . وهو والد الشاعر الجاهلي المعروف (امرئ القيس) . وقد يعود الفضل الى هذا الشاعر في ذبوع شهرة والده وانتشار خبره ، وحفظ أخبار هذه الأسرة من كندة . وهو أكبر أولاد الحارث ، واليه انتقلت عامة كندة بعد وفاة والده^٢ . وهو ابن (أم قطام بنت سلمة بن مالك بن الحارث بن معاوية) من كندة^٣ .

ملك (الحارث) ابنه (حجراً) كما ذكرت الأخبار على أسد وكنانة وهما قبيلتان من قبائل مضر . وتقع مواطن (أسد) الرئيسية في القرن السادس للميلاد في جنوب جبلي طيء (أجاً) و (سلمى) ، ويسميان جبل شمر في الزمن الحاضر على جانبي بطن الرمة (وادي الرمة) ، غير ان بطونها متفرعة منتشرة في مناطق واسعة تمتد من المدينة الى نهر الفرات^٤ . ولكنها لم تكن سيدة هذه الأرضين ، بل كانت تعيش مع غيرها من القبائل متفرقة^٥ . ويظن انها (استينوى) (Asatynoi) الساكنة في أرض تسمى بهذا الاسم في (جغرافيا) بطليموس^٦ . وتعدّ هذه القبيلة في عرف النسابين من نسل (أسد بن خزيمه بن مدركة بن مضر) ، وهي شقيقة (الهون) و (كنانة)^٧ .

وروى المؤرخ (ثيوفانس) أن (رومانس) (Romanus) حاكم فلسطين في أيام (أنسطاسيوس) (Anastasius) هزم في سنة (٤٩٠) للميلاد سيدي قبيلتين ، هما : (جبلس) (Gabalas) (Jabalas) و (اوكاروس) (Ogaros) ابن (ارتاس) (Aretas) ، أي الحارث من (آل ثعلبة) (Thalabanys) ، ويظن أن (Gabalas) هو (جبلة) ، والد الحارث بن جبلة

١ البلدان (٤٢٩/٣) .

٢ Olinder, P. 76.

٣ الفضليات (ص ٤٢٩) .

٤ O. Blau, Arabien Im Sechsten Jahrhundert, In ZDMG., BD., 23, S. 579,

٥ Olinder, P. 74.

٦ Olinder, P. 74, Ency., I, P. 474.

٧ Ency., I, P. 474.

٨ Pauly-Wissowa, Ogaros, Olinder, P. 51, Ency., II, P. 1019.

الفساني . وأما (Ogaros) ، ف يرى بعض المستشرقين أنه (حجر بن الحارث ابن عمرو الكندي) . وقد وقع أسيراً في قبضة (رومانوس) . ويرى (أوليندر) أن في تقدير هذا المؤرخ بعض الخطأ وأن التاريخ الصحيح هو سنة (٤٩٧) للميلاد^١. ثم أشار هذا المؤرخ الى تحرش آخر قام به بعد أربع سنوات سيد قبيلة اسمه (Madikaripos) (Madicaripos) كان شقيقاً لـ (Ogaros) . أوغل في الغزو وأوقع الرعب في جند الروم . وقد قصد (ثيوفانس) بـ (Madikaripos) (معديكرب بن الحارث) شقيق حجر .

وكان من نتائج هذه الغارات كما يقول هذا المؤرخ أن عقد القيصر (أنسطاسيوس) صلحاً مع (Aretas) أي الحارث ، والد الأخوين المذكورين ، فخيم الأمن بذلك على فلسطين والعربية وفينيقية^٢. وقد أشار الى هذا الصلح المؤرخ (نونوسوس) (Nonnosus) ، حيث ذكر ان القيصر (أنسطاسيوس) أرسل جدّه الى (Aretas) لمفاوضته في عقد صلح . ويظهر من قول هذا المؤرخ أن هاتين الغزوتين كانتا في حياة (Aretas) .

ولم يشر الأخباريون الى هذه الغزوات التي قام بها (حجر) و (معديكرب) على حدود سورية وفلسطين في عهد (أنسطاسيوس) كما روى ذلك هذا المؤرخ^٣. وورد أن حجراً أغار على اللخمين في أيام امرئ القيس والد المنذر بن ماء السماء . ويظن (نولدكه) أن هذه الحملة التي لا نعرف من أمرها شيئاً انما وقعت بعد وفاة الحارث ، وقد قصد (حجر) منها استرجاع ما خسره أبوه ، واعادة نفوذ كندة الى ما كان عليه^٤ .

لقد كانت نهاية (حجر) بأيدي (بني أسد) ، ويظهر انهم قبلوه ملكاً عليهم مكرهين . فلما حانت الفرصة قاموا عليه وقتلوه . حدث (ابن الكلبي) انه كان لحجر على بني أسد اتاوة في كل سنة مؤقتة . فلما كان بتهامة ، أرسل جاييه الذي كان يجيبهم ، فتنعوه ذلك ، وضربوا رسله وضرجوهم ضرباً شديداً قبيحاً ، فبلغ ذلك حجراً ، فسار اليهم بجند من ربيعة وجند من جند أخيه من

Pauly-Wissowa, Ogaros, Olinder, P. 51, Ency., II, P. 1019. ١

Olinder, P. 51, 74. ٢

Olinder, P. 75. ٣

Olinder, P. 76, Nöldeke, Fünf Mo'Allaqat, I, S. 80. ٤

قيس وكنانة ، فأتاهم وأخذ سرائهم ، فضربهم بالعصا وأباح الأموال وصيرهم الى تهامة ، وحبس سيدهم (عمرو بن مسعود بن كندة بن فزارة الأسدي) ، والشاعر (عبيد بن الأبرص) ، فأثر ذلك في نفوس « بني أسد وأضمرؤا له الانتقام »^١ . ثم إن حجراً وفد على أبيه الحارث في مرضه الذي مات فيه ، وأقام عنده حتى هلك ، ثم أقبل راجعاً الى بني أسد ، فلما دنا منهم ، وقد بلغهم موت أبيه ، طمعوا فيه ، فلما أظلمهم وضربت قبايه ، اجتمعت بنو أسد الى (نوفل بن ربيعة) ، فهجم على (حجر) ومن معه ، فانهزم جيشه وأسر (حجر) وتشاور القوم في قتله ، فقال لهم كاهنهم : لا تعجلوا بقتله حتى أجزر لكم ، فلما رأى ذلك (علباء) خشي أن يتواكلوا في قتله ، فحرّض غلاماً من بني كاهل على قتله ، وكان حجر قد قتل أباه ، فدخل الحيمة التي احتبس حجر بها فطعنه طعنة أصابت مقتلًا^٢ .

ويزعم أهل الأخبار أن (بني أسد) الذين عصوا حجراً عرفوا منذ ضربهم حجر بالعصا بـ (عبيد العصا) ، وقد أشير الى هذه التسمية في الشعر ، ويذكرون أيضاً أن (عبيد بن الأبرص) ، وقف أمام الملك حجر ، فقال شعراً يستعطفه فيه على قومه ، فرق لهم ورحمهم وعفا عنهم ، وأرسل من يردهم الى بلادهم ، فلما صاروا على مسيرة يوم من تهامة تكهن كاهنهم وهو (عوف بن ربيعة بن عامر الأسدي) ، بأنهم سيقتلون حجراً وسيستقيمون منه ومن أهله ، فصدقوا بنبوءته وعادوا الى موضع حجر فوجدوه نائماً ، فذبحوه ، وشدوا على هجائنه فاستاقوها . وفي رواية أخرى ، أنهم هجموا على عسكر حجر ودخلوا قبته ، فطعنه علباء بن الحرث الكاهلي ، فلما قتل ، استصلحت أسد كنانة وقيساً ، ونهبوا ما كان في عسكر حجر وسلبوه ، وأجار (عمرو بن مسعود) عيال حجر . وقيل أجارهم غيره ، وبذلك تخلصت بنو أسد من حكم كندة^٣ .

١ الاغانى (٦٣/٢) ، ابن خلدون (٢٧٤/٢ وما بعدها) ، ابن الاثير (٢١٠/١) ، الاغانى (٨١/٩) (طبعة دار الثقافة ، بيروت ١٩٥٧) ، ابن الاثير (٣٠٤/١) ، (الطباعة المنيرية ١٣٤٨ هـ) ، البداية والنهاية ، لابن كثير (٢١٨/٢) (القاهرة ١٩٣٢) .

٢ أيام العرب (١١٤ وما بعدها) .

٣ ابن قتيبة ، الشعر والشعراء (٥٠/١ وما بعدها) ، (دار الثقافة بيروت ، ١٩٦٤) ، الاغانى (٦/٨) (التقدم) ، البلدان (١٢٧/٤ وما بعدها) ، خزنة الادب (١٥٩/١ وما بعدها) .

وهناك روايات أخرى يرجع سندها الى (ابن الكلبي) والى غيره مثل (أبو عمرو الشيباني) و (الهيثم بن عدي) و (يعقوب بن السكيت) وغيرهم تختلف فيما بينها بعض الاختلاف في كيفية قتل (حجر) . وقد زعمت بعض الروايات بأن (علباء بن الحرث الكاهلي) هو الذي قتله ، طعنه ، فقضت طعنته هذه عليه ، وكان (حجر) قد قتل أباه . وزعمت رواية أخرى أن الذي قتله هو ابن أخت (علباء) ، وكان حجر قد قتل أباه ، ضربه بحديدة كانت معه سببت وفاته^١ .

وتذكر رواية أن (حجراً) لما علم انه ميت أوصى ودفع كتابه الى رجل أمره ان ينطلق الى اكبر أولاده (نافع) ، فإن بكى وجزع ، فليذهب الى غيره حتى يصل الى أصغرهم وهو امرؤ القيس ، فأبهم لم يجزع يدفع اليه الكتاب . فكان ذلك الولد امرؤ القيس^٢ .

ونجد في شعر (بشر بن أبي خازم الأسدي) فخراً واعتزازاً بقتل أسد لحجر والد امرئ القيس . وقد دعاه بـ (ابن ام قطام) في احدى قصائده ، وقال ان قومه علوه بالسيوف البيض الذكور . وأم قطام هي بنت سلمة بن مالك بن الحارث بن معاوية^٣ . ودعاه بـ (حجر) في قصيدة أخرى ، وافتخر بأن قومه ضربوا رأس حجر بأسيايف مهندة رفاق^٤ . وذكر في قصيدة أخرى أن قومه ضربوا خيل حجر بجنب الرده . والرده موضع في ديار قيس ، والظاهر أنهم قتلوا حجراً بجنب الرده^٥ .

وأما (شرجيل) ، فقد ملكه ابوه علي (بكر بن وائل) و (حنظلة بن مالك) و (بني أسيد) و (الرباب) ، أي على عدد من قبائل ربيعة ومضر ، وكان نصيبه القسم الشرقي من مملكة كندة ما عدا البحرين^٦ . وليس بين الذي

١ الكامل ، لابن الاثير (٣٠١/١ وما بعدها) ، الاغانى (٦٤/٨ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢٧٦/٢) ، ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب (تحقيق عبد السلام هارون) (دار المعارف بمصر ١٩٦٢) ، (ص ٤٢٧) .

٢ أيام العرب (١١٥) .

٣ ديوان بشر بن أبي خازم ، تحقيق الدكتور عزة حسن (ص ٩١) .

٤ ديوان بشر (ص ١٦٦) .

٥ ديوان بشر (ص ٢٢) .

٦ Olinder, p. 82.

يروى الأخباريون عنه شيء ذو بال ، إلا ما ذكروه عن كيفية مقتله وتهايته ، وهذا ملخصه :

لما هلك الحارث بن عمرو تشتت امر اولاده ، وتفرقت كلمتهم ، ومشت الرجال بينهم ، وتفاقم أمرهم حتى جمع كل واحد منهم لصاحبه الجموع وزحف اليه بالجيوش . وقد بلغت العداوة أشدها بين (شرحبيل) وسلمة ، بسبب المنذر الذي عاد الى الحيرة وأخذ يشعل نار الفتنة بين الأخوين . فسار شرحبيل ببكر ابن وائل ومن معه من قبائل حنظلة ومن أسيد بن عمرو بن تميم وطوائف من بني عمرو بن تميم والرباب ، فتزلت (الكلاب) ، وهو ماء بين الكوفة والبصرة على بضع عشرة ليلة من اليمامة ، وأقبل (سلمة) في بني تغلب وبهراء والنمر وأحلافها وسعد بن زيد مناة بن تميم ومن كان معهم من قبائل حنظلة وفي الصنائع يريدون الكلاب . وكان نصحاء شرحبيل وسلمة نهوهما عن الفساد والتحساد ، وحذروهما الحرب وعتراتها وسوء مغبتها ، فلم يقبلا ، ولم يتزحزا ، وأبيا إلاّ التتابع . فلما تلاقى الجمعان ، اقتتلا قتالاً شديداً ، ثم خذلت بنو حنظلة وعمرو ابن تميم والرباب ببكر بن وائل ، وانصرفت وثبتت بكر بن وائل ، وانصرفت بنو سعد وألفافها عن بني تغلب ، وصبرت تغلب ، وساء أمر شرحبيل ، فجاء اليه من عرف موضعه وقتله^١ .

ويذكر أهل الأخبار ان العداوة كانت شديدة بين الأخوين ، حتى ان كل واحد منها وضع جائرة لمن يأتي برأس أخيه ، فذهب (أبو حنش) وهو عصم ابن النعمان بن مالك (عصم بن مالك الجشمي) ، فطعن (شرحبيل) ، واحتز رأسه وجاء به الى أخيه ، فطرحه أمامه . ويقال إن شرحبيل لما رأى (أبا حنش) يريد توجيه طعنة اليه قال له : يا أبا حنش اللبن اللبن ، فقال أبو حنش : قد هرقت لنا لبناً كثيراً . فقال : يا أبا حنش أملك بسوقه^٢ . وذلك ان دم الملوك

١ المفضليات (ص ٤٢٨ وما بعدها ، ١٠٧٢ وما بعدها) ، النويري ، نهاية الارب (٤٠٦/١٥ وما بعدها) ، الكامل ، لابن الاثير (٢٢٧/١) ، العقد الفريد (٧٨/٦) ، البلدان (٣٦٩/٣ وما بعدها) ، نقائض جرير والفرزدق (٤٥٢/١) (ليدن ١٩٠٧) ، (تحقيق بيفان) ، الكامل لابن الاثير (٢٣١/١) (الطباعة المنبرية) ، البكري : معجم (١١٣٢/٤) ، اليعقوبي (١٨٣/١ وما بعدها) ، العقد الفريد (٢٢٢/٥) (لجنة) ، نقائض (١٠٧٣/٢) ، الكامل لابن الاثير (٣٧٩/١) .

٢ نقائض جرير والفرزدق (٤٥٢/١) (بيفان) ، أيام العرب (٤٧) .

فوق دم العامة ، وهم السوق . وان الملك لا يقتل بسبب قتله رجلاً من سواء الناس .

ويظن ان (يوم الكلاب) كان قد وقع سنة (٦١٢) للميلاد^١ .

ويقول الرواة ان (بني تغلب) أخرجت (سلمة) ، فلجأ الى (بني بكر ابن وائل) ، فانضم اليهم ، ولحقت تغلب بالمنذر بن امرئ القيس . وتذكر رواية من الروايات التي يقصها أهل الأخبار عن كيفية نهاية ملوك كندة . ان الأمر لما اشتد على أولاد الحارث ، جمع (سلمة) جموع اليمن ، فسار ليقتل نزاراً . وبلغ ذلك نزاراً ، فاجتمع منهم (بنو عامر بن صعصعة) وبنو وائل : تغلب وبكر ، وقيل : بلغ ذلك كليب وائل ، فجمع ربيعة ، وقدّم على مقدمته السفاح التغلبي وأمره أن يعلو (خزاز)^٢ فيوقد عليه ناراً ليهتدي الجيش بها ، وقال له : إن غشيك العدو فأوقد نارين . وبلغ سلمة اجتماع ربيعة ومسيرها فأقبل ومعه قبائل مذحج ، وهجمت مذحج على خزاز ليلاً ، فرفع السفاح نارين ، فأقبل كليب في جموع ربيعة اليهم ، فالتقوا بخزاز ، فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهمزمت جموع اليمن . وفي رواية (أبي زياد الكلابي) ، ان الذي أوقد النار على خزاز (خزاز) هو الأحوص بن جعفر بن كلاب ، وكان على روايته هذه رئيساً على نزار كلها . ويذكر الكلابي ان أهل العلم من الذين أدركهم ذكروا له انه كان على نزار (الأحوص بن جعفر) . ثم ذكرت ربيعة أخيراً من الدهر ان (كليياً) كان على نزار^٣ . أما (محمد بن حبيب) ، فيروي ان (كليب وائل) هو الذي قاد جموع (ربيعة) و (مضر) و (قضاة) في يوم خزاز الى اليمن^٤ .

وقال بعض الأخباريين : كان كليب على ربيعة ، والأحوص على مضر^٥ .

Naval, P. 233.

- ١
- ٢ ويعرف أيضاً بيوم خزاز ، ويوم خزازي ، البلدان (٤٣٠/٣) النقائض (ص ٨٨٧) ، البكري : معجم (١٠٦ ، ٣٠٣ ، ٥٦٣) ، ابن الاثير (٣١٠/١) ، العقد الفريد (٩٧/٦) (العريان) ، نهاية الارب (٤٢٠/١٥) وما بعدها () ، (طبعة دار الكتب) .
- ٣ البلدان (٤٣٠/٣) .
- ٤ المحبسر (ص ٢٤٩) .
- ٥ البلدان (٤٣٠/٣) .

ويعود سبب هذا الاختلاف في روايات الرواة الى النزعات القبلية التي كان يحملها الرواة . ف (أبو زياد الكلابي) يتعصب كما نرى لـ (بني كلاب) ، فيرجع الرئاسة اليهم ، لأنه منهم ، وهذا مما يأباه رواة ربيعة وينكرونه عليه اذ يرون ان الرئاسة فيهم . وتوسط رواة بين رواة ربيعة ورواة مضر حسماً للنزاع على ما يظهر ، فقالوا بالرئاستين : رئاسة كليب على ربيعة ، ورئاسة الأحوص على مضر وبذلك أصلحوا ذات البين .

وقد ذكر (أبو زياد الكلابي) أن يوم (خزاز) أعظم يوم التقت فيه العرب في الجاهلية وانه اول يوم استنصفت فيه نزار من اليمن ، وأنها لم تزال منذ هذا اليوم ممتنعة قاهرة لليمن في كل يوم يلتقونه حتى جاء الاسلام^١ .

وذكر (الأصمعي) أن يوم خزاز كان المنذر بن ماء السماء ولبنى تغلب وقضاعة على (بني آكل المرار) من كندة وعلى بكر بن وائل ، وان المنذر وأصحابه من بني تغلب أسروا في هذا اليوم خمسين رجلاً من بني آكل المرار . ويفهم من شعر لـ (عمرو بن كلثوم) قيل إنه قاله متذكراً هذا اليوم ، أن رهطه وهم من بني تغلب آبوا بالتهاب وبالسبايا وبالملوك مصفدين . ولم يشر الشاعر الى هوية هؤلاء الملوك المأسورين ، ولكن (الأصمعي) يقول : إنه قصد بقوله : « وأبنا بالملوك مصفدينا » (بني آكل المرار)^٢ .

فيظهر من الرواية المتقدمة ان يوم خزاز ، كان بين سلمة ومن جاء معه من اليمن وبين تغلب ومن انضم اليها من قبائل ربيعة ومضر . ويظهر من رواية الأصمعي ان ذلك اليوم كان بين المنذر بن ماء السماء وتغلب وقضاعة من جهة وبين (بني آكل المرار) ، وبكر بن وائل من جهة اخرى . وهناك روايات أخرى تذكر ان هذا اليوم ، انما كان قد وقع بين ملك من ملوك اليمن وبين قبائل معدة ، ولا علاقة له بسلمة وبين آكل المرار أو المنذر بن ماء السماء في هذا اليوم ، الذي أدى الى انتصار بني معدة على اولاد قحطان^٣ .

١ البلدان (٣/٤٣٠ وما بعدها) .

٢ النقائض (ص ٨٨٧) ، من بيت لعمر بن كلثوم :

وآبوا بالتهاب وبالسبايا وأبنا بالملوك مصفدينا

٣ ابن الاثير (١/٣١٠) ، العقد الفريد (٣/٣٦٤) ، نقائض جرير والفرزدق

(١٩٣/٢) ، البكري ، معجم (٢/٤٩٦) .

ويذكر بعض أهل الأخبار أنه : « لولا عمرو بن كلثوم ما عرف يوم خزاز » .
وأم عمرو بن كلثوم ، هي ابنة (كليب بن ربيعة) ، المعروف بـ (كليب
واثل)^١ . فذكره في شعره لذلك اليوم ساعد ولا شك في ابقاء اسمه في ذاكرة
الناس ، حتى دون خبره في الاسلام .

وليوم (أواره) الأول علاقة وصلة بـ (سلمة بن الحارث) وبـ (المنذر
ابن ماء السماء) على ما يرويه بعض أهل الأخبار . فهم يذكرون ان تغلب لما
أخرجت (سلمة) عنها ، التجأ الى (بكر بن وائل) ، فلما صار عند بكر
ابن وائل أذعنت له ، وحشدت عليه ، وقالت : لا يملكنا غيرك . فبعث اليهم
المنذر يدعوهم الى طاعته ، فأبوا ذلك ، فحلف المنذر ليسيرن اليهم ، فان ظفر
بهم فليذبحنهم على قلة جبل أواره . وسار اليهم في جموعه ، فالتقوا بأواره ،
فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وأجلت الواقعة عن هزيمة بكر وأسر (يزيد بن شرحبيل
الكندي) ، فأمر المنذر بقتله وبقتل عدد كبير من بكر^٢ .

وأما (شراحيل بن الحارث) ، فقد قتله (بنو جعدة بن كعب بن ربيعة
ابن صعصعة)^٣ .

ومحدثنا (يعقوب بن السكيت) انه كان لحجر والد امرئ القيس جملة أولاد
أكبرهم (نافع) وأصغرهم (امرؤ القيس) ، وبين الأكبر والأصغر جملة
أولاد ، غير انه لم يذكر أسماءهم^٤ . وقد ورد اسم (نافع) في بيت شعر
لامرئ القيس^٥ .

وذكر (ياقوت) ولداً لـ (سلمة بن الحارث) سماه (قيساً) قال : انه
أغار على (ذي القرنين المنذر بن النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي)
فهزمه ، حتى أدخله الخورنق ومعه ابنه قابوس وعمرو . فكث ذو القرنين حولاً ،
ثم أغار عليهم بـ (ذات الشقوق) ، فأصاب منهم اثني عشر شاباً من بني حجر
ابن عمرو وكانوا يتصيدون ، وأفلت منهم امرؤ القيس على فرس شقراء ، فطلبه

١ البكري ، معجم (٤٩٦/٢) .

٢ ابن الأثف (٢٢٨/١) .

٣ البلدان (٤٣٨/٣) وما بعدها .

٤ الاغانسي (٦٥/٨) .

٥ الاغانسي (٦٥/٨) . Olinder, P. 94.

القوم فلم يقدروا عليه . وقدم المنذر الحيرة بالفتية فحبسهم بالقصر الأبيض شهرين ثم أمر بضرب أعناقهم فضربت عند (الجفر) ، فعرف منذ ذلك الحين بـ (جفر الأملاك) ، وهو موضع (دير بني مرينا) . وقد أشير الى مقتلهم في شعر لامرئ القيس^١ .

كندة تلحق بحضرموت:

وقد ذكر الرواة ان ملك كندة لما انخرق، وهلك من هلك منهم ، قام « عمرو أقحل بن ابي كرب بن قيس بن سلمة بن الحارث ، الملك ، فقال : يا معشر كندة . إنكم قد اصبحتم بغير دار مقام . وقد ذهب أشرافكم وانخرق ملككم ، ولا آمن العرب عليكم ، فالحقوا بحضرموت »^٢ .

ويذكر الرواة ان الملك خرج من (بني آكل المرار) وساد بنو الحارث بن معاوية فأول من ساد منهم (قيس بن معديكرب) ، ثم ابنه الأشعث بن قيس ، وهو الذي اتى النبي في ستين او سبعين راكباً من اشراف كندة فأسلموا . أسلم الأشعث ، وكانت كندة قد توجهت عليها^٣ .

ويذكر (حمزة) ، ان المنذر بن ماء السماء تتبع غابرههم ، فقتل عامتهم ، وصارت رئاسة كندة في (بني جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين) ، ثم في (معديكرب بن جبلة) ، ثم في (قيس بن معديكرب) ، وعلى عهده قام الاسلام بمكة ، ثم في (الأشعث بن قيس)^٤ .

وقد ذكر (ابن حبيب) ، (الأشعث بن قيس بن معديكرب) في جملة الجرّارين من اليمن^٥ . والجرّارون من كان يرأس ألفاً^٦ ولا يعد الرجل جرّاراً

١ البلدان (١٢٧/٤ وما بعدها) ، (٦٤٨/٢) (طبعة وستنفلد) ، التاج (٣٥٣/٩) .

٢ المحبر (ص ٣٧٠) .

٣ الطبري (١٣٩/٣) ، الفضليات (ص ٤٤١) ، حمزة (ص ٩٣) ،

٤ حمزة (ص ٩٣) .

٥ المحبر (ص ٢٥١) .

٦ المحبر (ص ٢٤٦) .

حتى يقود ألفاً^١ . وذكره في باب (أعرق العرب في الغدر) . فقال عنه إنه غدر بـ (بني الحارث بن كعب) . وكان بينهم عهد وصلاح ، فعزاهم فأسروه ، ففدى نفسه بمائتي قلووس ، فأدى مائة ، ولم يؤد البقية حتى جاء الاسلام ، فهدم ما كان في الجاهلية . وغدر الأشعث ايضاً فارتد عن الاسلام .

وقال عن والده (قيس بن معديكرب بن معاوية بن جبلة الكندي) ، انه كان من « أعرق العرب في الغدر » كذلك ، وكان بينه وبين مراد ولث^٢ الى أجل ، فعزاهم في آخر يوم الأجل غادراً . « وكان ذلك اليوم يوم الجمعة . فقالوا له : انه قد بقي من الأجل اليوم . وكان يهودياً . فقال : انه لا يحمل لي القتال غداً . فقاتلهم ، فقتلوه وهزموا جيشه . وكان معديكرب عقد لمهرة صلحاً ، فعزاهم غادراً بالعهد . فقتلوه وشقوا بطنه ، فلأوه حصي^٣ » .

وقد لقب (قيس) بالأشج ، لأثر شج في وجهه ، وعرف بالأعشى كذلك وقيل له : (بطريق اليمن) . وذكر بعض الرواة ان كلمة (بطريق) تعني الخاذق في الحرب وأمورها^٣ .

وفي حق (قيس) هذا قال (الحارث بن حلزة الشكري) في جملة ما قاله في قصيدته مفتخراً بقومه :

حول قيس مستلثمين بكبش قرظي كأنه عبلاء

وقد قال الشراح ان قيساً جاء على رأس جيش لجب ومعه راياته متحصن بسيد من بلاد القرظ ، وبلاد القرظ اليمن ، كأنه في منعته وشوكته هضبة من الهضاب ، قد لبسوا الدروع ، فردتهم (يشكر) قوم الشاعر ، وقتلوا منهم^٤ . ويذكر أهل الأخبار ان الشاعر الأعشى كان ممن يفد على (قيس بن معديكرب)

١ المحبر (ص ٢٥٣) .

٢ المحبر (ص ٢٤٤ وما بعدها) .

٣ قيس أبو الأشعث بطريق اليمن لا يسأل السائل عنه ابن من اللسان (٢١/١٠) (طبعة بيروت) الاغاني (٧٨/٨) ، البيان والتبيين (١٨/١) ، الاغاني (١٢٦/١١) ، الامالي للقالبي (٩٢/١) .

٤ المعلقات السبع ، للزوزني (ص ١٦٤) (طبعة صادر ، بيروت) ابن قتيبة ، كتاب المعاني الكبير (ص ٩٤٣) .

من الشعراء . وقد رووا له شعراً قاله لقيس^١ . في جملة قوله :

وجلنداء في عمان مقيماً ثم قيساً في حضرموت المنيف^٢

وقد ذكر (ابن حبيب) ان (خالد بن جعفر بن كلاب) ، أسر (قيس ابن سلمة الكندي) يوم الحرمان^٣ .

وذكر أهل الأخبار ان ملوك كندة جعلوا رداقتهم في (بني سدوس)^٤ . وجاء ان (الأشعث بن قيس) ، كان قد غلب على أهل نجران وملك رقابهم وجعلهم (عبيداً مملكتهم) . وذكر انه خاصمهم عند (عمر) في ايام خلافته ، فاحتجوا عليه ان ذلك كان في الجاهلية ، فلما أسلموا سقطت تلك العبودية عنهم^٥ .

امرؤ القيس الشاعر :

ويذكر الأخباريون ان (حجرأ) لم يكن راضياً عن ابنه (امرؤ القيس) فطرده من عنده وآلى الا يقيم معه أنفة من قوله الشعر ، وكانت الملوك تأنف من ذلك . فكان يسير في احياء العرب ومعه اخلاط من شذاذ العرب من طيء وكنب وبكر بن وائل . فلما صادف غديراً او روضة او موضع صيد ، اقام فذبح لمن معه في كل يوم ، وخرج الى الصيد فتصيد ، ثم عاد فأكل واكلوا معه وشرب الخمر وسقاهاهم وغتته قباناه ، ولا يزال كذلك حتى ينفد ماء ذلك الغدير ، ثم ينتقل عنه الى غيره . فأناه خبر ابيه ومقتله وهو بـ (دمنون) من ارض اليمن ، أناه به رجل من بني عجل يقال له عامر الأعور أخو الوصاف . فلما أناه بذلك ، قال :

تطاول الليل عليّ دمنون دمنون ، إنا معشر يمانون
وانسا لأهلها محبتون

-
- ١ الاغانى (٧٨/٢) ، الامالى (٩٢/١) ، الجمحي ، طبقات الشعراء (ص ١٢٣) .
 - ٢ ديوان الاعشى (القصيدة ٦٣ ، البيت ١٥) .
 - ٣ المحبر (ص ٢٥٢) .
 - ٤ الاشتقاق (ص ٢١١) .
 - ٥ اللسان (٤٩٣/١٠) .

ثم قال : ضيعني صغيراً وحلني دمه كبيراً ، لا صحو اليوم ، ولا سكر غداً ، اليوم خمر ، وغداً أمر . فذهبت مثلاً ثم قال :

خليلي ، لا في اليوم مصحى لشارب ولا في غد إذ ذاك ما كان يشرب
ثم شرب سبعا فلما صحا آلى ألا يأكل لحماً ولا يشرب خراً ولا يدهن بدهن
ولا يصيب امرأة ولا يغسل رأسه من جنبه حتى يدرك بثأره^١ .
وفي رواية أخرى انه طرد لما صنع في الشعر بفاطمة ما صنع، وكان لها عاشقاً،
فطلبها زماناً ، فلم يصل إليها ، وكان يطلب غرة حتى كان منها يوم الغدير بدارة
جلجل ما كان ، فقال قصيدته المشهورة : (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل) .
فلما بلغ ذلك والده غضب عليه ، وأوصى بقتله ثم طرده^٢ . وهناك من يزعم انه
انما طرد ، لأنه تغزل بامرأة من نساء ابيه^٣ .

هذا وصف موجز لأصغر أبناء (حجر) : (امرئ القيس بن حجر الكندي)
الشاعر الشهير و (الملك الضليل) و (ذي القروح)^٤ .
وللرواة أقوال في اسم (امرئ القيس) ، فقد سماه بعضهم (خندجاً) ،
ودعاه آخرون (عدياً) ، ودعاه قوم (مليكاً) ، ودعاه نفر (سليمان) وهو
معروف عندهم بالاجماع بـ (امرئ القيس) ، وهو لقبه^٥ . ويكنى بأبي وهب
وأبي يزيد وأبي الحارث وذي القروح^٦ .
ولا نعرف سنة ولادة هذا الأمير الشاعر . ويظن (أوليندر) انه ولد حوالي

- ١ الاغاني (٦٥/٨) ، ابن قتيبة ، الشعر والشعراء (٥٠/١ وما بعدها) (دار الثقافة بيروت ١٩٦٤) خزائن الادب (١٥٩/١ وما بعدها) ، شرح القصائد العشر ، للتبريزي (ص ٦ وما بعدها) ، معجم الشعراء ، للمرزباني (ص ٩) ، المحبر (ص ٣٥٢) ، نزهة الجليس (١٤٨/٢ وما بعدها) .
- ٢ الشعر والشعراء (ص ٣١) (طبعة مصطفى السقا) ، القاهرة ١٩٣٢ ، (٣٢) .
- ٣ Olinder, P. 96.
- ٤ الاغاني (٦١/٨) ، الشعر والشعراء (ص ٣١) ، الخزائن ، للبغدادي (٤٣٢/٣) ، سرج العيون ، لابن نباتة (١٨١) ، العمدة ، لابن رشيقي (٤١/١ ، ٤٢ ، ٩٧) ، تقريب الاغاني ، لابن واصل (ص ١٠٠١) .
- ٥ الزهر (٢١٤/٣) ، الآمدي : المؤلف والمختلف (ص ٩) ، جمهرة أشعار العرب (ص ٤٩) ، (القاهرة ١٩٢٦) ، طبقات فحول الشعراء : (دار المعارف) شرح المعلقات السبع ، للزوزني (ص ١ وما بعدها) ، المحبر (ص ٢٣٣ ، ٣٤٩) الاشتقاق (٢٢٢/٢) ، القاموس المحيط (٥٤٦/١) ،
- ٦ السندوبي (ص ٦ وما بعدها) . Olinder, P. 95.

سنة (٥٠٠) للميلاد^١ . أما أمه فهي (فاطمة) بنت ربيعة بن الحارث بن زهير ،
أخت (كليب) و (مهلهل) التغلبيين^٢ . وورد في بيت شعر ينسب الى هذا
الشاعر : (امرئ القيس بن تملك)^٣ . وقد استنتج بعض العلماء منه ان أمه هي
(تملك) ورجعوا نسبها الى (عمرو بن زبيد بن مذحج رهط عمرو بن معديكرب) ،
ويرى بعض المستشرقين انه أدخل في ديوان هذا الشاعر ، وانه يعود الى شاعر
آخر اسمه (امرئ القيس) ، وقد عد (آلوارت) (Ahlwardt) ، ستة عشر
شاعراً أسماؤهم (امرؤ القيس)^٤ . ويلاحظ أن من زعم من الرواة ان أم امرئ
القيس هي (تملك) جعل نسبه (امرأ القيس بن السمط بن امرئ القيس بن
عمرو بن معاوية بن ثور) ، وهو (كندة) ، وهم يخالفون بذلك سلسلة النسب
المألوفة عند غالبية الرواة .

وذكر انه ولد ببلاد بني أسد ، وانه كان يتزل بالمشقر وهو موضع ذكر في
شعره^٥ . وروى (ابن قتيبة) ان (امرأ القيس) من أهل نجد ، وأن الديار
التي وصفها في شعره كلها ديار بني أسد^٦ . وقد تنقل هذا الشاعر في مواضع
متعددة من الجزيرة ، ووصل الى القسطنطينية عاصمة الروم .

وكان امرؤ القيس بـ (دمنون) حينما جاء اليه نبأ مقتل والده على رواية^٧ .
ودمنون من قرى حضرموت للصدف في رواية^٨ . وفي رواية أخرى مرجعها (الهيثم
ابن عدي) ان امرأ القيس لما قتل أبوه كان غلاماً قد ترعرع ، وكان في بني

Olinder, P. 95.

١ ابن الاثير (٢١١/١) ، الاغاني (٦٠/٨) ، Ency., II, P. 477

٢ ألا هل أتاهم والحوادث جملة بأن امرأ القيس بن تملك يبقرا

٣ ديوان امرئ القيس (٢٠ : ٣٧) ، الاغاني (٦١/٨) ، Olinder, P. 95.

٤ AhlWardt, Bemerkungen über die echtheit der alten Arabischen Gedichte,

S. 73.

راجع أخبار المراقسة وأشعارهم في الجاهلية وصدر الاسلام : تأليف حسن
السندوبي ، القاهرة ٦٩٣٩ ، وقد جمع فيه أشعار من كان شاعراً ويسمى
بـ (امرئ القيس) .

٥ الاغاني (٦١/٨) ، البلدان (٦٥/٨) ، معجم ما استعجم (٥٦١) .

٦ الشعر والشعراء (ص ٣١) (طبعة السقا) ، القاهرة ١٩٣٢ ،

Olinder, P. 95.

Maritm, Arabien, S. 53.

٧ الاغاني (٩٥/٨) .

٨ الصفة (٨٥) ، البكري ، معجم (٣٤٨/١) ، (وساكن دمنون هو الحارث بن

عمرو بن حجر آكل المرار) ، البلدان (٨٥/٤) .

حنظلة مقيماً ، لأن ظئره كانت امرأة منهم ، وقد روت شعراً زعمت أنه قاله حيناً بلغه النبأ ، وهو :

أتاني وأصحابي على رأس صيلع حديث أطار النوم عني فأنما
فقلت لعجلي بعيد مآبة ابن لي وبين لي الحديث المجمع
فقال : أبيت اللعن عمرو وكاهل أباحا حمى حجر فأصبح مسلماً^١

ويفهم من هذا أن شاعرنا كان في صيلع حينما أبلغ خبر وفاة والده ، أناه به رجل اسمه (عجل) ويعرف بعامر الأعور^٢ .

أما صيلع ، فوضع من شق اليمن ، كثير الوحش والظباء . ورد اسمه في خبر مجيء وفد همدان الى الرسول^٣ . وقد صرح (ياقوت الحموي) أن به ورد الخبر على امرئ القيس بمقتل أبيه حجر^٤ .

وهناك خبر يفيد أنه نزل في (بني دارم) وبقي عندهم حتى قتل عمه (شرحبيل) ، وفي رواية تنسب الى (الهيثم بن عدي) أنه كان مع والده (حجر) حين هاجمته بنو أسد ، وانه هرب على فرس له وتمكن من النجاة^٥ . ويقول (ابن الكلبي) و (يعقوب بن السكيت) أن امرأ القيس ارتحل بعد أن بلغه نبأ مقتل والده حتى نزل بكرة وتغلب ، فسألهم النصر على بني أسد ، فبعث العيون على بني أسد ، فنذروا بالعيون ولجأوا الى بني كنانة ، ثم أدركوا ان امرأ القيس يتعقبهم ، ونصحهم (علياء بن الحارث) بالرحيل ليل ، وألا يعلموا بني كنانة ، ففعلوا وتركوا (بني كنانة) وارتحلوا عنهم ليلاً دون أن يشعروا . فلما وصل امرؤ القيس الى بني كنانة ظاناً بني أسد بينهم ، نادى : يا لثارات الملك . يا لثارات الملك . فأخبروه انهم قد تركوهم وارتحلوا عنهم . فتعقبهم مع بكر وتغلب حتى لحق بهم ، فقاتلهم ، فكثرت فيهم الجرحى والقتلى حتى جاء الليل فحجز بينهم ، وهربت بنو أسد فلما أصبحت بكر وتغلب ، أبوا أن يتبعوهم وقالوا له : قد أصبت ثأرك . قال : والله ، ما فعلت ولا أصبت من بني كاهل

١ (أباحوا حمى حجر فأصبح مسلماً) ، السندوبي (١٨١) ، الاغانى (٦٦/٨) .
٢ الاغانى (٦٥/٨) .
٣ البكري ، معجم (٦١٤/٢) .
٤ البلدان (٤٠٦/٥) .
٥ Ollinder, P. 96.

ولا من غيرهم من بني أسد أحداً . قالوا : بلى ، ولكنك رجل مشؤوم ،
وكرهوا قتالهم بني كنانة ، وانصرفوا عنه ، ومضى هارباً لوجهه حتى لحق بحمير^١ .
ولما أقبل امرؤ القيس من الحرب على فرسه الشقراء ، لجأ ابن عمته (عمرو
ابن المنذر) وأمه (هند بنت عمرو بن حجر آكل المرار) ، وذلك بعد قتل
أبيه وأعمامه ، وتفرق ملك أهل بيته ، وكان عمرو يومئذ خليفة لأبيه المنذر
بـ (بقة) ، فدحه وذكر صهره ورحمه ، وأنه قد تعلق بحباله ، ولجأ إليه فأرجاه
ومكث عنده زماناً . ثم بلغ المنذر مكانه عنده ، وأنذره عمرو ، فهرب حتى
أتى حمير^٢ .

وفي رواية يرجعها الرواة الى (ابن الكلبي) و (الهيثم بن عدي) و (عمر
ابن شبة) و (ابن قتيبة) : ان (امرأ القيس) خرج فوراً بعد امتناع بكر
ابن وائل وتغلب من أتباع بني أسد الى اليمن ، فاستنصر أزد شنوءة ، فأبوا أن
ينصروه وقالوا : اخواننا وجيراننا ، فنزل بقبيل يدعى (مرثد الخير بن ذي جدن
الحميري) ، وكانت بينهما قرابة ، فاستنصره واستمده على بني أسد ، فأمدّه
بخمسة رجل من حمير ، ومات مرثد قبل رحيل امرئ القيس بهم ، وقام بالملكة
بعده رجل من حمير يقال له : قرمل بن الحميم ، وكانت أمه سوداء ، فردد
امرؤ القيس ، وطول عليه حتى همّ بالانصراف ... فأنفذ له ذلك الجيش ،
وتبعه شذاذ من العرب ، واستأجر من قبائل العرب رجالاتاً ، فسار بهم الى بني
أسد ، ومرّ بـ (تبالة) ، وبها صنم للعرب تعظمه يقال له (ذو الخلصة) ،
فاستقسم عنده بقداحه ، وهي ثلاثة : الأمر والناهي والمتربص ، فأجأها فخرج
الناهي ، ثم أجأها فخرج الناهي ، ثم أجأها فخرج الناهي ، فجمعها وكسرها
وضرب بها وجه الصنم ، وقال : مصصت بظر أمك لو أبوك قتل ما عقتني ،
ثم خرج فظفر بـ (بني أسد)^٣ .

فلما ظفر بهم ، فقال هذه الأبيات :

قولاً لدودان عبيد العصا ما غرّكم بالأسد الباسل ؟
قد قرت العينان من مالك ومن بني عمرو ومن كاهل

١ الاغاني (٦٧/٨) ، ابن الاثير ، الكامل (٣٠٦/١) وما بعدها .

٢ الاغاني (٦٧/٨) .

٣ الاغاني (٦٧/٨) وما بعدها ، البداية والنهاية ، لابن كثير (٢١٩/٢) .

ومن بني غم بن دودان إذ نقذف أعلاهم على السافل

* * *

حلت لي الخمر وكنت امراً عن شربها في شغل شاغل
فاليوم أشرب غير مستحقب إثمأ من الله ولا واغل

وهي أبيات يفهم منها انه أوقع في (بني دودان) و (بني مالك) و (بني عمرو) و (بني كاهل) و (بني غم بن دودان) ، وهي بطون من بني أسد، هي التي قتلت أباه حجراً ، قالها بعد أن أنجده (قرمل بن الحميم الحميري) وانه ألبسهم الدروع المحاة ، وكحلهم بالنسار ، فبرّ يمينه ، وحل له شرب الخمر^١ .

وبنو دودان ، هم بنو ثعلبة بن دودان بن أسد ، والى ثعلبة هذا تنسب الثعلبية التي بين الكوفة ومكة . وهم جملة بطون ذكرها أهل الأنساب^٢ .
والى (قرمل) أشار (امرؤ القيس) في شعره :

وكنّا أناساً قبل غزوة قرمل ورثنا الغنى والمجد أكبر أكبرا

وهو من (السحول) من (ذي الكلاع)^٣ .

وفي رواية تنسب الى (الخليل بن أحمد الفراهيدي) أن رجلاً من قبائل (بني أسد) فيهم (قبيصة بن نعيم) وكان في بني أسد مقيماً ، قدموا على امرئ القيس بعد مقتل أبيه ، ليحتذروا اليه وليسوا قضية قتل والده ، فرفض إلا الانتقام من (بني أسد) قائلاً : « لقد علمت العرب أن لا كفء لحجر في دم ، واني لن أغتاض به جملأ أو ناقة ، فاكتسب بذلك سبة الأبد وفث العضد . وأما النظرة ، فقد أوجبتها الأجنة في بطون أمهاتها ، ولن أكون لعطبها سبباً وستعرفون طلائع كندة من بعد ذلك تحمل القلوب حنفاً وفوق الأسنة علقاً^٤ . وتذكر الرواية أنه خرج اليهم بعد ابطاء دام ثلاثة أيام ، وهو في قباء وخف وعمامة سوداء ، وكانت العرب لا تعم بالسواد إلا بالثارات ، فلما نظروا اليه ، وبلر اليه قبيصة ، يتكلم باسمهم معتذراً ، طالباً الصفح عنهم ، ودفع الدية عن

١ السندوبي (ص ١٥١) ، الشعر والشعراء (٤٣ وما بعدها) . Olinder, P. 102.

٢ جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم (ص ١٨٢) .

٣ الاشتقاق (ص ٣٠٧ ، ٣٠٩) .

٤ الاغانى (٧٢/٨ وما بعدها) .

حجر ، أخبرهم ، أن دم حجر لا يعتاض بجمل أو ناقة ، وأنه لا بد من أخذه بالثأر ، ثم أمهلهم حتى يجمع طلائع كندة ، فيهجم عليهم^١ .
وهناك رواية أخرى تنسب الى (أبي عبيدة) في هذا المعنى المتقدم مآلها أن (بني اسد) اجتمعت بعد قتلهم حجر بن عمرو الى ابنه امرئ القيس على أن يعطوه ألف بعير دية ابيه ، او يقيدوه من أي رجل شاء من بني أسد، أو يمهلهم حولاً . فقال : أما الدية ، فما ظننت أنكم تعوضونها على مثلي . وأما القود ، فلو قيد إلي ألف من بني اسد ما رضيتهم ولا رأيتهم كفؤاً لحجر . وأما النظرة فلکم ، ثم ستعرفوني في فرسان قحطان أحكم فيكم ظبا السيوف وشبا الأسنة حتى اشفي نفسي وأنال ثأري^٢ .

ولم تشر رواية (الخليل) و (أبي عبيدة) الى ما فعله (امرؤ القيس) بعد ذلك في (بني اسد) ، ولكننا إذا ما اردنا ربط هذه الروايات بعضها ببعض وبحسب التسلسل الطبيعي المنطقي ، نستطيع ان نجعلها مقدمة لرواية (ابن الكلبي) و (ابن السكيت) و (خالد الكلابي) وملحقها ، وهي رواية (محمد بن سلام) عن نزول (امرئ القيس) بـ (بكر) و (تغلب) ، وطلبه النجدة منهم والنصرة على بني اسد ، واقتصاصه منهم بعد تركهم لـ (بني كنانة) كما ذكرت ذلك سابقاً . وان نربطها كذلك برواية (ابن الكلبي) (والهيثم بن عدي) و (عمرو بن شبة) وابن (قتيبة) الملحق بهذه الرواية ، والرواية القائلة بذهاب (امرئ القيس) الى اليمن واستنصاره بـ (أزد شنونة) و (مرثد الخير بن ذي جلدن الحميري) بعد ان امتنعت بكر بن وائل وتغلب عن ملاحقة بني اسد . وقد أشار (ابن قتيبة) اشارة مختصرة الى هجوم (امرئ القيس) على بني أسد حينما كانوا في (بني كنانة) ، وذكر انه اوقع بـ (بني كنانة) ، ونجت (بنو كاهل) من بني اسد ، فقال :

يا لهف نفسي اذ خطئن كاهلا القاتلين الملك الحلاحلا
تالله لا يذهب شيخي بأطلا^٣

- ١ الاغاني (٧٢/٨ وما بعدها) .
- ٢ الاغاني (٨٥/١٩) .
- ٣ الشعر والشعراء (٥٠/١ وما بعدها) ، البداية والنهاية (٢١٨/٢) ، شرح القصائد السبع الطوال ، للأنباري (ص ٤ وما بعدها) (دار المعارف ١٩٦٣) ديوان امرئ القيس (ص ٣٤) (دار المعارف) (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم) ، الحيوان ، للجاحظ (٥٧٨/٥) .

وأما (اليعقوبي) فذكر ان (امرؤ القيس) حين بلغه مقتل أبيه جمع جمعاً وقصد (بني أسد) ، فلما كان في الليلة التي أراد أن يغير عليهم في صبيحتها ، نزل بجمعه ذلك ، فدعر القطا ، فطار عن مجاثمه فرّ بني أسد ، فقالت بنت (علباء بن الحارث) أحد (بني ثعلبة) ، وكان القائم بأمر بني أسد : ما رأيت كالليلة قطاً أكثر . فقال علباء : « لو ترك القطا لغفا ونام » فأرسلها مثلاً . وعرف ان جيشاً قد قرب منه ، فارتحل ، وأصبح امرؤ القيس فأوقع بكثافته ، فأصاب فيهم ، وجعل يقول : يالثرأت حجر ! فقالوا : والله ما نحن الا كثافة . فتركهم وهو يقول :

ألا يالطف نفسي بعد قوم هم كانوا الشفاء فلم يصابوا
وقاهم جدّهم ببني أبيهم وبالأشقين ما كان العقاب
وأفلتني علباء جريضا ولو أدركته صفر الوطاب^١

ولم يشر اليعقوبي الى محاولة (امرؤ القيس) تعقيب (بني أسد) وامتناع من كان معه عن الذهاب معه كما رأينا ذلك في الرواية السابقة بل قال : « ومضى امرؤ القيس الى اليمن لما لم يكن به قوة على بني أسد ومن معهم من قيس ، فأقام زماناً ، وكان يدمن مع ندامى له ، فأشرف يوماً ، فاذا براكب مقبل ، فسأله : من أين أقبلت ؟ قال : من نجد ، فسقاه مما كان يشرب ، فلما أخذت منه الخمرة ، رفع عقيرته وقال :

سقيننا امرؤ القيس بن حجر بن حارث كؤوس الشجا حتى تعود بالقهر
وألهاه شرب ناعم وقرقر وأعياه ثأر كان يطلب في حجر
وذاك لعمرى كان أسهل مشرعاً عليه من البيض الصوارم والسمر

ففزع امرؤ القيس لذلك ثم قال : يا أخا أهل الحجاز ، من قاتل هذا الشعر؟ قال : عبيد بن الأبرص . قال : صدقت . ثم ركب واستنجد قومه ، فأمدوه بخمسة من مذحج ، فخرج الى أرض (معد) ، فأوقع بقبائل معد ، وقتل الأشقر بن عمرو ، وهو سيد بني أسد وشرب في قحف رأسه ، وقال امرؤ القيس في شعره :

قولا لدودان عبيد العصا : ما غركم بالأسد الباسل ؟
يا أيها السائل عن شأننا ليس الذي يعلم كالجاهل
حلت لي الخمر وكنت امرأة عن شربها في شغل شاغل

وطلبت قبائل معد امرأة القيس ، وذهب من كان معه ، وبلغه ان المنذر ملك
الحيرة قد نذر دمه ، فأراد الرجوع الى اليمن ، فخاف حضرموت ، وطلبت بنو
أسد وقبائل معد ، فلما علم انه لا قوة به على طلب المنذر واجتماع قبائل معد على
طلبه ولم يمكنه الرجوع ، سار الى (سعد بن الضباب الإيادي ، وكان عاملاً
لكسرى على بعض كور العراق فاستتر عنده حيناً حتى مات سعد بن الضباب) ،
فخرج امرؤ القيس الى جبل (طيء) ونزل بقوم من طيء ، ثم لم يزل في طيء
مرة وفي جديلة مرة وفي نيهان مرة حتى صار الى (تيماء) فترل بالسموأل بن
عادياء فأودعه أذراعه وانصرف عنه الى قيصر^١ .

وذكر (ابن خلدون) ان (امرأة القيس) سار صريحاً الى (بني بكر)
و (تغلب) فنصروه ، وأقبل بهم ، فأجفل (بنو أسد) وساروا الى (المنذر
ابن امرئ القيس) ملك الحيرة ، وأوقع (امرئ القيس) في (كنانة) ، فأئخن
فيهم ، ثم سار في ملاحقة (بني أسد) الى أن أعياء ولم يظفر منهم بشيء ،
ورجعت عنه بكر وتغلب ، فسار الى (مؤثر الخير بن ذي جلدن) من ملوك
حير صريحاً بنصره بخمسمئة من حير ، ويجمع من العرب سواهم . وجمع المنذر
لامرئ القيس ومن معه ، وأمد كسرى أنوشروان بجيش من الأساورة، والتقوا ،
فانهزم امرؤ القيس ، وفرت حير ومن كان معه ، ونجا بدمه ، وما زال يتنقل
في القبائل والمنذر في طلبه ، وسار الى قيصر صريحاً فأمدته ، ثم سعى به
(الطمّاح) عند قيصر انه يشب ببيته، فبعث اليه بحلة مسمومة كان فيها هلاكه
ودفن بأنقرة^٢ .

و (أبو الفداء) من الذين نفوا كذلك خبر ايقاع (امرئ القيس) بـ (بني
أسد) . فهو يرى انه لم يظفر بهم ، وان (بني أسد) هربت حيناً علمت
بمجيء (بكر) و (تغلب) . فلما أعجز القبيلتين الطلب ، تحاذلتا عن (امرئ

١ اليقوبسي (١٨٠ / ١) .

٢ ابن خلدون (٢٧٤ / ٢) وما بعدها .

القيس) ، وتركته . ولما عرفت جموع (امرئ القيس) بتطلب (المنذر بن ماء السماء) له ، تفرقت خوفاً من المنذر ، وخاف (امرؤ القيس) ، وصار يدخل على قبائل العرب ويتنقل من أناس الى أناس حتى قصد (السموأل بن عاديا) اليهودي ، فأكرمه وأنزله ، وأقام عنده ما شاء الله ، ثم سار الى قيصر مستنجداً به^١ .

ينفي خبر (ابن خلدون) المتقدم ، خبر انتقام امرئ القيس من بني اسد ، وهو يتفق بذلك مع رواية مؤيدة لبني اسد تنكر اخذ امرئ القيس بثأره من بني اسد ، وتروي في ذلك أبياتاً تنسبها اسد الى (عبيد بن الأبرص) شاعر بني اسد . قال ابن قتيبة : « وقد ذكر امرؤ القيس في شعره انه ظفر بهم ، فتأبى عليه ذلك الشعراء » . قال عبيد :

يا إذا المخوفنا بقتل أبيه إذلالاً وحينا
أزعمت انك قد قتلت سراتنا كذباً ومينا^٢

وعبيد هذا هو الذي زعم (ابن الكلبي) وأضرابه انه قال أبياتاً يتوسل فيها الى (حجر) ان يترفق بقبائل بني اسد ، وان يعفو عنها ، ويقبل ندامتها ، فيسمح لها بالعودة الى موطنها . وكان قد امر باجلائها الى تهامة ، لأنها أبت دفع الاتاة الى جابي (حجر) ، وضربته ، وضرجته ضرباً شديداً . ومطلعها :

يا عين فابكي ما بني أسد ، فهم أهل الندامة

ويقول ويقولون : انه لما سمعها رَقَّ على (بني اسد) ، فبعث في اثرهم وسمح لهم بالعودة من تهامة^٣ . وهو قول فيه تحيز على بني أسد .
وفهم من هذه الأبيات :

كأنني إذ نزلت على المعلّي نزلت على البواذخ من شمام
فأملك العراق على المعلّي بمقتدر ولا الملك الشامي

-
- ١ أبو الفداء (٧٥/١) ، خزانة الادب ، (٥٣٢/٣) ، الكامل لابن الاثير (٣٠٨/١ وما بعدها) .
 - ٢ ابن قتيبة (ص ٣٣) ، الشعر والشعراء (٥٠/١ وما بعدها) (دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٤) ، خزانة الادب (١٥٨/١ وما بعدها) تاريخ يعقوبية (١٨٩/٢) (طبعة النجف) ، الشعر والشعراء (ص ٣٩) ، (طبعة ليدن) .
 - ٣ الاغانى (٦٣/٨) .

أصد نشاط ذي القرنين حتى تولى عارض الملك الهمام
أقر حشا امرئ القيس بن حجر بنو تيم مصاييح الظلام

أن امرأ القيس نزل على (الملقى) احد (بني تيم بن ثعلبة) فأجاره ومنعه .
ولم يكن للملكين : ملك العراق وهو المنذر ولا ملك الشام أي ملك الغساسنة ،
اقتدار عليه . وقد بقي لديه زماناً ، ثم اضطر الى الارتحال عنه ^١ . فذهب ونزل
عند (بني نبهان) من طيء ، ثم خرج ، فنزل بـ (عامر بن جوين الطائي)
وهو احد الخلعاء والفنك ، فبقي عنده زماناً ، ثم أحس منه ماراً به ، فتغفله ،
وانتقل الى رجل من (بني ثعل) فاستجار به ، فوَقعت الحرب بين (عامر) وبين
(الثعلبي) ، فخرج ونزل برجل من (بني فزارة) اسمه (عمرو بن جابر بن مازن)
فأشار هذا عليه بالذهاب الى (السموأل بن عاديا) ببناء ، فوافق فأرسله في صحبة
رجل من (فزارة) اسمه (الربيع بن ضبع الفزاري) كان يأتي السموأل ، فيحمله ويعطيه .
فنزل عنده وأكرمه ، ثم انه طلب اليه أن يكتب له الى (الحارث بن أبي شمر)
الغساني ، ليوصله الى قيصر . ثم أودعه امرؤ القيس ابنته وأدراعه وأمواله ، وأقام
ابنته مع (يزيد بن الحارث بن معاوية) ابن عمه وخرج ^٢ . وكان الذي أشار
على (امرئ القيس) بالتوجه الى قيصر هو ذلك الرجل الفزاري ^٣ .

ويظهر من غربة كل هذه الروايات ، ان مطاردة (المنذر بن ماء السماء)
لامرئ القيس كانت أعنف شيء أصاب هذا الشاعر بعد مقتل والده . لقد أخافته
وجعلته ينتقل من قوم الى قوم . فرّ عنه من انضم اليه من عصبة حمير ، ونجا في
جاعة من بني آكل المرار ، حتى نزل بالحارث بن شهاب في بني يربوع بن حنظلة
ومعه أدراعه الخمسة : الفضفاضة ، والضافية ، والمحضنة ، والحريق ، وام
الذبول ، كن لبني مرار يتوارثونها ملكاً عن ملك ، فقلما لبثوا عند الحارث بن
شهاب حتى بعث اليه المنذر مئة من أصحابه يوعدة بالحرب أن يسلم بني آكل
المرار فأسلمهم ، ونجا امرؤ القيس ومعه ابن عمه يزيد بن معاوية بن الحارث
وبنته هند ، والأدرع والسلاح ، ومال كان بقي عنده ، ومضى الى أرض طيء

١ الاغانى (٦٨/٨) ، السندوبي (ص ١٧٩) . - Ollender, P. 108.

٢ الاغانى (٧٠/٨) .

٣ الاغانى (٦٨/٨) وما بعدها .

ونزل عند المعلتي بن تيم الذي مدحه شاعرنا ، فأقام عنده ، واتخذ لإيلاً ، ثم خرج فتنزل بعامر بن جوين على نحو ما ذكرت^١ .

ويذكر الأخباريون ان (عمرو بن قميئة) كان قد رافق (امرأ القيس) في سفره الى (القسطنطينية) . وقد أشير اليه في شعر (امرئ القيس) كذلك . ويذكرون انه كان من قدماء الشعراء في الجاهلية « وانه أول من قال الشعر من فزار ، وهو أقدم من امرئ القيس . ولقبه امرؤ القيس في آخر عمره ، فأخرجه معه الى قيصر لما توجه اليه ، فمات معه في طريقه . وسمته العرب : عمرأ الضائع لموته في غربة وفي غير أرب ولا مطلب »^٢ . بل روى انه كان من أشعر الناس^٣ . وانه كان من خدم والد امرئ القيس ، وانه بكى وقال لامرئ القيس غررت بنا ، فأنشأ امرؤ القيس شعراً فيه^٤ .

أما خبر (امرئ القيس) مع الغساسنة في طريقه الى قيصر ، فلا نعلم منه شيئاً ، وليس في شعره ما يشير الى انه ذهب اليهم رجاء التوسط في الوصول اليه . ويظهر من شعر لامرئ القيس ، انه سلك طريق الشام في طريقه الى (قيصر) وأنه مر بـ (حوران)^٥ وبعليك وحمص وحماة وشيزر^٦ . أما ما بعد ذلك حتى عاصمة الروم ، فلا نعرف من امره شيئاً .

ويقول الرواة ان قيصر أكرم امرأ القيس ، وصارت له منزلة عنده ، وأنه دخل معه الحمام ، وان ابنته نظرت اليه فعشقتة ، فكان يأتيها وتأتيه ، وانه

-
- ١ الاغاني (٦٨/٨) .
 - ٢ الاغاني (١٥٨/١٦) وما بعدها .
 - ٣ الاغاني (١٥٩/١٦) .
 - ٤ (ثم سار ومعه عمرو بن قميئة أحد بني قيس بن ثعلبة وكان من خدم أبيه . فبكى ابن قميئة ، وقال : غررت بنا . فأنشأ امرؤ القيس يقول :
بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له : لا تبك عينك انما نحاول ملكا أو نموت فنعدرا)
الشعر والشعراء (ص ٤٥ وما بعدها) ، (طبعة ليدن) ، امالي الشريف المرتضى (٦٢٩/١) .
 - ٥ فلما بدت حوران والأل دونهما نظرت فلم تنظر بعينيك منظرها
سندوبي (ص ٧٠)
 - ٦ لقد أنكرتني بعليك وأهلها ولابن جريج في قرى حمص أنكرا
سندوبي (ص ٧٠) ،
(ابن جريج) ، Olinder, P. 110.

نادمه ، واستمده فوعده ذلك وفي هذه القصة يقول :

ونادمت^١ قيصر في ملكه فأوجهني وركبت^٢ البريدا^٣

ويذكرون أن (القيصر) أنجد (امرأ القيس) وأمده بجند كثيف فيه جماعة من أبناء الملوك ، ولكن رجلاً من بني أسد اسمه (الطمّاح) كان امرؤ القيس قد قتل أخاً له ، لحق بامرئ القيس، وأقام مستخفياً ، فلما ارتحل (امرؤ القيس) اتصل بجماعة من أصحابه ، اتصلوا بقيصر ، وقالوا له : « ان العرب قوم غلر ولا نأمن ان يظفر بما يريد ، ثم يغزوك بمن بعثت معه » . وفي رواية لابن الكلبي انه ذهب الى قيصر ، وقال له : « ان امرأ القيس غوي عاهر ، وانه لما انصرف عنك بالجيش ذكر انه كان يرسل ابتك ويواصلها ، وهو قائل في ذلك أشعاراً يشهر بها في العرب فيفضحها ويفضحك . فبعث اليه حينئذ بحلة وشي مسمومة منسوجة بالذهب ، وقال له : اني أرسلت اليك بحلتي التي كنت ألبسها تكرمة لك ، فإذا وصلت اليك فالبسها باليمن والبركة ، واكتب اليّ بخبرك من من مزل منزل . فلما وصلت اليه لبسها ، واشتد سروره بها ، فأسرع فيه السم ، وسقط جلده ، فلذلك سمي (ذا القروح) . ويستشهدون على قولهم هذا بشعر امرئ القيس^٤ .

ويذكر بعضهم أن امرأ القيس كان مصاباً بداء قديم ، وقد عاوده في ديار الروم ، وهو عائد الى دياره ، فلما وصل الى (أنقرة) ، اشتد عليه المرض ، فأت هناك . وانه رأى قبر امرأة من أبناء الملوك ماتت هناك ، فدفت في سفح جبل يقال له (عسيب) ، فسأل عنها فأخبر بقصتها ، فقال في ذلك شعراً .

١ الاغاني (٧٠ / ٨) ، الشعر والشعراء (ص ٤٦) ، (ليدن) ، أمالي المرتضى (٥٩١ / ١) .

٢ ابن قتيبة (ص ٣٣) ،
Olinder, P. III, FR. Ruckert, Amrlikals der Dichter und König, Hannover, 1924.

٣ الاغاني (٧٠ / ٨ وما بعدها) ، (الطمّاح بن قيس الاسدي) ، الشعر والشعراء (٥٠ / ١ وما بعدها) (دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٤) ، (ص ٤٦) ، (ليدن) .
قوله :

وبدلت قرحا داميا بعد صحة فيا لك نعمي قد تحول أبؤسا
الشعر والشعراء (ص ٤٧) ، (ليدن) .

ثم مات فدفن في جنب المرأة ، فقبره هناك^١ .

ويرى بعض المستشرقين ان ذهاب (امرى القيس) الى (القيصر) (يوسطيانوس) كان حوالي سنة (٥٣٠) للميلاد ، وانه توفي في أثناء عودته بين سنتي (٥٣٠) و (٥٤٠) للميلاد^٢ .

وليس في كتب الروم او السريان الواصلة الينا اشارة الى هذه الحوادث التي يرويها الأخباريون عن ذهاب امرى القيس الى القسطنطينية ، وطلبه النجدة من القيصر وموته في أنقرة ، ولا عن الشعر الذي قاله في حق القيصر ، وفي حق القبر الذي شاهده ، وما الى ذلك مما يذكره الأخباريون .

وأما (المعلّى) الطائي احد بني تيم ، من (جديلة) والذي يعرف قومه بـ (مصاييح الظلام) ، فقد ذكره اهل الأخبار في عداد الوافين من العرب . قيل ان (المعلّى) شخص في يوم لبعض امره ، وبلغ (المنذر بن ماء السماء) ان امرأ القيس عند المعلّى وقد أجاراه ، فركب حتى اتى (ابن المعلّى) . فعمد ابن المعلّى حتى انتهى الى القبة التي هو فيها . فقال له : « إن فيها حرم المعلّى ولست واصلاً إليها » . ونادى في قومه ، فنعوه ، فقال امرؤ القيس شعراً يمدح (بني تيم) وذكر نعتهم (مصاييح الظلام) ، وقال :

فما ملك العراق على المعلّى بمقتدر ولا الملك الشامي^٣

واما (عامر بن جوين الطائي) الذي نزل امرؤ القيس عنده ، فهو من

١ (ولما صار الى مدينة بالروم تدعى أنقرة ثقل ، فأقام بها حتى مات وقبر هناك . وقال قبل موته :

رب خطبة مسحفره وطعنة متعنجره
وجعبة متحيره تدفن غدا بأنقره

ورأى قبراً لامرأة من بنات ملوك الروم هلكت بأنقره ، فسأل عن صاحبه فخبّر بخبرها ، فقال :

اجارتنا ان المزار قريب واني مقيم ما أقام عسيب
اجارتنا انا غريبان هاهنا وكل غريب للغريب نسيب

الشعر والشعراء (ص ٤٧) ، (ليدن) ، الاغاني (٧١ / ٨) ،

Ency., II, P. 477.

Ency., II, P. 477.

٢ المحبر (ص ٣٥٣ وما بعدها) .

(طيء) ثم من (بني جرم) . وقد أقام امرؤ القيس عنده ، حتى قبل عامر امرأة امرئ القيس ، فأعلمته بذلك ، فسار امرؤ القيس الى (جارية بن مرّ الطائي) ثم (الثعلبي) المعروف بـ (أبي حنبل) ، فلم يصادفه ، وصادف ابنه . فقال له ابنه : « انا أجبرك من الناس كلهم إلا من أبي حنبل » . فرضي بذلك وتحول اليه . فلما قدم ابو حنبل رأى كثرة أموال امرئ القيس وأعلمه ابنه بما شرط له في الجوار . فاستشار في اكله نساءه . فكلهن أشرن عليه بذلك ، وقلن له : « انه لا ذمة له عندك » . ولكنه خالفهن بعد ان فكر في نفسه وفي سوء عاقبة الغدر ثم قرر الوفاء ، فعقد له جواراً ثم ركب في اسرته حتى نزل منزل عامر بن جوين ومعه امرؤ القيس ، فقال له : « قبل امرأته كما قبل امرأتك . افعل »^١ .

وذكر اهل الأخبار ان (المنذر بن النعمان الأكبر) ، ضغن على (عامر بن جوين الطائي) ، لما أجار (امرأ القيس) ايام كان مقيماً بالجبلين ، وقال كلمته التي يقول فيها :

هنالك لا أعطى مليكاً ظلامه ولا سوقه حتى يؤوب ابن مندلة

فلما وفد عليه ، وذلك بعد انقضاء ملك كندة ورجوع الملك الى لحم . ودخل عليه ، أتبه على فعلته وهدده بغزو قومه ، وبانزاله العقوبة الصارمة بهم . فخرج (عامر) من عنده ، بعد ان قال له : « إن البغي اباد عمرراً ، وصرع حجرأ ، وكان أعز منك سلطاناً ، واعظم شأنأ ، وان لقيتنا لم تلق انكاسأ ولا أغساسأ ، فهبش وضائعك وصنائعك ، وهلم اذا بدا لك ، فنحن الألى قسطوا على الأملاك قبلك » ، ثم اتى راحلته ، وانشأ يقول ابياتاً يتوعد فيها الملك^٢ .

ويشير اهل الأخبار الى ملك من ملوك كندة ، عرف بـ (ابي جبر) . قالوا عنه ، انه كان ملكاً شديد البأس ، خرج الى (كسرى) يستجيشه على قومه ، فأعطاه جيشاً من الأساورة ، فلما بلغوا (كاظمة) ونظروا الى بلاد العرب قالوا : اين يمضي بنا هذا الرجل ، وعمدوا الى سم . دفعوه الى طبأخه ،

١ المحبر (ص ٣٥٢ وما بعدها) .

٢ كتاب ذيل الامالي (١٧٧) ، (المجلس الاول : مطلب ما دار من الحديث بين المنذر بن النعمان الأكبر وعامر بن جوين الطائي لما وفد عليه) .

فألقاه في احب الألوان اليه ، فلما استقر في جوفه،مرض وتوجع ، فجاء الأساورة اليه ، طالبين منه ان يكتب لهم انه قد أذن لهم بالرجوع ، فكتب لهم، فرجعوا وخفّ ما به ، فخرج الى (الطائف) الى (الحارث بن كلدة الثقفي) ، ليداويه فداواه وبرىء ، ثم ارتحل يريد اليمن ، فنكس ومات . وكانت له عمّة اسمها (كبشة) فرثته^١ .

هذه قصة (كندة) ، وهذه حكاية شاعرها (امرئ القيس) الذي يعود اليه الفضل في حفظ الأخباريين لتأريخ كندة .

أما شعر امرئ القيس وديوانه وصحيحه وفاسده ، فقد تحدث العلماء فيه ، ولهم فيه كلام يخرجني التعرض له عن صلب هذا الموضوع . فعلى مقالاتهم المعول في هذه الأمور .

يتبين للقارئ بعد غزيلة الأخبار المتقدمة ، ان كندة كانت قد تمكنت من الهيمنة على القبائل النازلة في أواسط جزيرة العرب ، ومن تكوين مملكة لها، بلغت أوج ملكها في القرن الخامس للميلاد. الا ان ملكها على عادة حكومات القبائل لم يدم طويلاً ، فسرعان ما أخذ بنيانه يتآكل ويتداعى ، فأخذت اجزاؤه تتساقط ، وعادت القبائل التي اضطرت بقانون القوة المتحكم في البداية إلى الانفصال عنها وإلى استعادة حريتها بذلك القانون ايضاً . فخسرت كندة ملكها الذي شمل نجداً ووصل العراق ، وبقي رؤساء منها يتحكمون في حضرموت ، ثم أخذوا يتعاملون مع قبائل عربية جنوبية اخرى لتوسيع ملكهم لا سيما بعد تركهم نجداً ولجوئهم الى حضرموت ، ويقدر بعض الباحثين عدد من جاء الى حضرموت من كندة بحوالي ثلاثين الف رجل ، نزل اكثرهم في (دمون)^٢ .

السموأل :

ولا بد من الاشارة باختصار الى (سموأل) الذي مر اسمه في أثناء كلامنا على (امرئ القيس) ، وقصته هي في الواقع جزء من قصة هذا الشاعر ،

١ نزمة الجليس (٤٨٤/١) .

٢ Beiträge, S. 121.

وذيل لها . وهو على ما يقوله لنا الأخباريون يهودي ثري ، شاعر ، مقره (الأبلق) ب (تباء) يعرف بـ (السموأل بن عاديا) وبـ (السموأل بن غريض بن عاديا) (عاديا) اليهودي^١ . وبـ (السموأل بن حيان (حسان) ابن عاديا^٢) وبـ (السموأل بن عاديا بن حيا)^٣ ، وبـ (السموأل بن حيا ابن عاديا بن رفاعه بن الحارث بن ثعلبة بن كعب)^٤ ، وبـ (السموأل بن أوفى بن عاديا)^٥ . ويظهر من بيتين من قصيدة للأعشى ، هما :

كن كالسموأل إذ سار الهام له في جحفل كسواد الليل جرّار
جار ابن حيا لمن نالته ذمته أوفى وأمنع من جار ابن عمار

أن المراد بـ (ابن حيا) السموأل ، أي ان اسم والد السموأل هو (حيا) . واختلفوا في نسب (عاديا) (عاديا) ، فقالوا : (عاديا بن حباء) وقالوا (عاديا بن رفاعه بن جفنة) ، وقالوا : إنه من ولد (الكاهن بن هارون ابن عمران)^٦ ، وقالوا عن قبيلته إنه كان من (بني غسان)^٧ . ونسبه (دارم ابن عقال) الى (رفاعه بن كعب بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء) . وهو نسب أنكره (أبو الفرج الأصبهاني) حيث قال : « وهذا عندي محال ، لأن الأعشى أدرك شريح بن السموأل ، وأدرك الإسلام وعمرو مزيقيا قديم لا يجوز أن يكون بينه وبين السموأل ثلاثة آباء ولا عشرة إلا أكثر ... وقد قيل إن أمه كانت من غسان »^٨ . ونسب السموأل الى الأزدي^٩ .

وللأعشى الشاعر الشهير شعر يرويه الرواة في مدح (الشريح بن السموأل) .

- ١ (عاديا) ، الاغاني (٩٨/١٩) ، ابن سلام الجعفي ، طبقات فحول الشعراء (ص ٢٣٥) ، (طبعة دار المعارف) ، Ency., IV, P. 133.
- ٢ الميداني ، الامثال (٢٧٦/٢) ، المشرق ، السنة الثانية عشرة ١٩٠٩ م العدد ٣ اذار ص ١٦٢ ، (حسان) ، مروج (١٧٦/٢) ، (طبعة دار الاندلس) .
- ٣ المغرب ، للجواليقي (ص ١٨٨) .
- ٤ الاشتقاق (٢٥٩) .
- ٥ المشرق ، العدد المذكور (ص ١٦٢) .
- ٦ المشرق ، العدد المذكور ، معاهد التنصيص (١٣١/١) .
- ٧ الاشتقاق (٢٥٩) ، المحبر (٣٤٩) .
- ٨ الاغاني (٩٨/١٩) ، المشرق ، العدد المذكور .
- ٩ المغرب (ص ١٨٨) .

وقد ورد فيه اسم ولدين للسموأل ، هما : (حوط) و (منذر)^١ . ولم يذكر
الأخباريون اسم الولد الذي زعم ان (الحارث بن أبي شمر) أو (الحارث بن
ظالم) قتله لرفض (السموأل) دفع أدرع الكندي اليه ، على نحو ما يذكره
الرواة في قصة الوفاء . ونجد مضمون هذه القصة في قصيدة الأعشى الرائية الموجودة
في ديوانه . وهي قصيدة تتألف من واحد وعشرين بيتاً ، يروي الرواة انه قالها
مستجيراً بـ (شريح بن السموأل) ليفكه من الأسر . وكان الأعشى على ما يقوله
الرواة قد هجا رجلاً من (كلب) ، فظفر به الكلبي وأسرّه ، وهو لا يعرفه ،
فتزل بشريح بن السموأل وأحسن ضيافته ، ومرّ بالأسرى ، فناداه الأعشى بهذه
القصيدة ، فجاء شريح الى (الكلبي) ، وتوسل اليه بأن يهبه ، فوهبه اياه ،
فأطلقه ، وقال له : أقم عندي حتى أكرمك وأحبوك ، فقال له (الأعشى) :
« إن تمام احسانك إليّ أن تعطيني ناقة ناجية ، وتخلّيني الساعة ، فأعطاه ناقة
ناجية ، فركبها ومضى من ساعته . وبلغ (الكلبي) ان الذي وهبه لشريح
(الأعشى) ، فأرسل الى شريح ابعث إليّ الأسير الذي وهبت لك حتى أحبوه ،
فقال : قد مضى ، فأرسل الكلبي في أثره ، فلم يلحقه »^٢ .

وروى (ابن قتيبة) القصة المتقدمة على هذا النحو : « قال أبو عبيدة :
أسر رجل من كلب الأعشى فكتمه نفسه وجبسه ، واجتمع عند (الكلبي) شرب
فيهم (شريح بن عمرو الكلبي) ، فعرف الأعشى . فقال للكلبي : من هذا ؟
فقال خَشَّاش التقطته . قال : ما ترجو به ولا فداء له ! خلّ عنه . فخلّني
عنه . فأطعمه شريح وسقاه . فلما أخذ منه الشراب سمعه يترنم بهجاء الكلبي ، فأراد
استرجاعه . فقال الأعشى :

شريح لا تتركني بعد ما علقت حبالك اليوم بعد القد أظفاري
كن كالسموأل اذ طاف الهام به في جحفل كهزيع الليل جرّار
بالأبلى الفرد من تباء منزله حصن حصين وجار غير غدار^٣

- ١ المشرق ، السنة الثانية عشرة ، ١٩٠٩ م ، العدد ٣ اذار ، (ص ١٦٣) .
- ٢ الاغانى (٩٩/١٩ وما بعدها) ، ديوان الاعشى (ص ١٢٦ وما بعدها) ، (تحقيق رودلف كاير) ، (لندن ١٩٢٨ م) ، ديوان الاعشى الكبير (ص ١٧٩) ، (تحقيق الدكتور م. محمد حسين) .
- ٣ الشعر والشعراء (ص ١٣٩) ، (الاعشى ميمون بن قيس) .

فجعل الرجل المجير (شريح بن عمرو الكلبي) ، أي من العشيرة التي أسر أحد رجالها الأعشى ، ولم يجعله ابناً من أبناء السموأل .

وجاء نسب (شريح) في شرح (أبي العباس ثعلب) على ديوان الأعشى على هذا الشكل : (شريح بن حصن بن عمران بن السموأل بن حياً بن عاديا)^١ ، فصار (السموأل) جدّاً من أجداد (شريح) لا والدّاً له .

وقد اختلف الأخباريون في الرجل الذي طالب السموأل بتأدية سلاح (امرئ القيس) إليه ، فزعم بعضهم أنه (الحارث بن أبي شمر الغساني)^٢ . وزعم بعض آخر أنه (الحارث بن ظالم) في بعض غاراته بالأبلى ، وزعم آخرون أنه (المنذر) ملك الحيرة ، وجهّه بـ (الحارث بن ظالم) في خيل ، وأمره بأخذ مال امرئ القيس من السموأل ، وزعم انه (الأبرد) وهو الملك الغساني . وكان الحارث بن أبي شمس لما قتل المنذر يعين أباغ ، وجه ابن عمّه الأبرد ، فجعله بين العراق والشام . فلما سمع الأبرد بهلاك امرئ القيس ، طالب السموأل بدفع الدروع إليه ، فامتنع ، فذبح ابنه وهو يراه . ولم يصرح بعضهم باسم الملك الذي طالب بتأدية الدروع ، انما ذكروا انه كان بعض ملوك الشام^٣ .

واذا تتبعنا الروايات الواردة في قصة وفاء السموأل ، وذبح ابنه ، وامتناعه عن تأدية الأمانة المودعة لديه ، نجد أنها ترجع الى موردين : قصة (دارم بن عقال) وشعر الأعشى . ويلاحظ أن في شعر الأعشى كثيراً من أخبار السموأل ، ومن شعره أخذ الأخباريون (تيماء اليهودي) ، وهذه ملاحظة تستحق الدرس^٤ . ويفهم منه أن الأعشى كان ممن يرتادون حصن السموأل . أما (دارم بن عقال) ، فهو من ولد السموأل . وهو راوي خبر قصة الوفاء ، والأشعار المنسوبة الى امرئ القيس المتعلقة بهذا الموضوع . وقد أشار الى ذلك مؤلف كتاب (الأغاني) في أثناء كلامه على قصيدة نسبت الى (امرئ القيس) ، ابتداءها :

طرقتك هند بعد طولٍ تجنب وهنا ولم تك قبل ذلك تطرق

-
- ١ ديوان الاعشى (١٢٥) ، (تحقيق كابر) .
 - ٢ طبقات فحول الشعراء (٢٣٥) ، الاغاني (٩٩/١٩) .
 - ٣ الاغاني (٩٩/١٩) ، ديوان الاعشى (١٢٦) ، (كابر) ، المجير (٣٤٩) .
 - ٤ البلدان (٤٤٢/٣) ، الحيوان للجاحظ (١٨٨/٦) ، المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٦٣) .

فقال : « وهي قصيدة طويلة ، وأظنها منحولة ، لأنها لا تشاكل كلام امرئ القيس ، والتوليد فيها بيسن ، وما دوتها في ديوانه أحد من الثقات ، وأحسبها مما صنعه دارم ، لأنه من ولد السموأل ، ومما صنعه من روى عنه من ذلك فلم تكتب هنا ... »^١ . ولا أستبعد أن تكون هذه القصة ، قصة الوفاء من صنع هؤلاء الصنّاع .

ويرى (ونكلر) (Winckler) ان قصة الوفاء هذه هي أسطورة استمدت مادتها من أسفار (صموئيل الأول) في التوراة ، ومن الأساطير العربية القديمة نظمت على هذه الصورة فجعل بطلها شخصان هما : السموأل وامرؤ القيس^٢ .

ولا بد لي وقد انتهيت من البحث عن امارة كندة، من الاشارة الى (الأكيدر) صاحب (دومة الجندل) ، فقد نسبته أهل الأخبار الى (كندة) . وقد ذكروا انه من السكون ، والسكون هم من كندة . ومعنى هذا ان عائلة تنتمي الى كندة كانت تحكم هذا الموضع المهم في البادية ، لأنه ملتقى طرق قوافل وسوق معروف من أسواق الجاهليين .

كندة في العربية الجنوبية :

وقفنا على أخبار كندة بنجد وفي العربية الشرقية الى العراق . ثم رأينا ما حل بتلك الامارة وكيف تشتت شملها . ونريد الآن أن نتحدث عن دور هذه القبيلة في العربية الجنوبية .

يرى بعض الباحثين ان الحصومات التي وقعت في امارة كندة ، وتعقب ملوك الحيرة ولا سيما (المنذر) لساداتها ، وانفضاض القبائل التي كانت تخضع لها عنها ثم سقوط امارة كندة ، دفعت بعشائر كندة إلى الاتجاه نحو الجنوب نحو العربية الجنوبية ، ولا سيما حضرموت ، وهي موطنها القديم ، فزححت اليها واستوطنت بها . وكونت لها امارة كندية بحضرموت .

١ الاغانى (٧٠ / ٨) .

٢ H. Winckler, Arabisch-Semltisch-Orientalisch, in Mittel. der Vorder Asia. Gesel., 1901, S. 112. 6 Jahrgang.

وهذا القول يجب ألا يفسر على أن مجيء كندة الى العربية الجنوبية انما كان بعد سقوط حكومتهم وتشتت أمرهم ، فقد أشرت فيما سلف في مواضع الى وجود كندة في العربية الجنوبية قبل هذا العهد بزمن طويل ، وأشرت الى ورود اسمها في نصوص المسند وان الأدوار التي لعبتها في ايام ملوك سبأ وذو ريدان ، قبل الاسلام بمئات السنين ، بل ربما كان ذلك قبل الميلاد .

وقد رأينا فيما سلف ورود اسم (كندة) (كدت) في نص أمر بتدوينه الملك (معديكرب يعفر ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابها في النجاء وفي المنخفضات) . وهو من النصوص التي عثر عليها في (وادي مأسل) (وادي ماسل) (مأسل الجمح)^١. وقد دون ووضع في موضع (مأسل الجمح)^٢ المناسبة ارسال الحملة العسكرية الى موضع (كتا) لمحاربة (منذر) أي (المنذر) الذي أعلن الحرب على قبائل هذه الجهات . وقد اشتركت في هذه الحرب قبائل سبأ وحمير و (رحبت) (رحبة) وحضرموت و (يمنست) (اليمن) والأعراب و (كدت) أي (كندة) و (مَدَحَج) . واشترك مع المنذر (منذر) بنو ثعلبة (بن ثعلبت) و (شبيع ؟) . وقد أرخ النص بشهر (ذ قيصن) (ذو قيص) (ذو القيص) من سنة (٦٣١) من التقويم الحميري أي في صيف سنة ٥١٦ للميلاد^٣ .

ويظهر من هذا النص أن (المنذر) كان قد بلغ في حروبه مناطق بعيدة عن قاعدة ملكه ، وانه هو الذي غزا القبائل القاطنة في وادي مأسل الجمح (ما سلم جمح) . ولعله كان يتعقب عشائر كندة ومن كان يؤازرها وبعادي ملك الحيرة ، حتى بلغ هذا المكان الذي كان خطأ أمامياً من خطوط الدفاع لحكومة « سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابها في الأطواد والمنخفضات » . ولهذا السبب هب الملك (معديكرب) لمساعدة (كندة) على نحو ما ورد في النص .

وقد ذكرت (كدت) كندة مع مراد ومدحج والقبائل الأخرى في الهجوم الذي قام به الملك (يوسف اسار) (يوسف أسار) على الأحباش في مدينة (ظفار) ، وعلى المدن التي كانت تناصرهم . وقد ورد تأريخ هذا الهجوم في

١ كدأبك من أم الحويرث قبلها وجارتها أم الرباب بمائل

٢ (بما سلم جمح)
Le Muséon, LXVI, 1953, P. 307, 310, Ryckmans 510-446.

٣

نص سجله القيل (شرح ايل يقبل بن شرح ايل يكمل) من (ال يزن) (آل يزن) (آل يزأن) بالاشتراك مع (جدن) (جدنم) و (حيم) (حب) و (نسا) (نسان) (نسن) و (جبا) (جبا) لهذه المناسبة .

ويتبين من هذا النص ان الملك (يوسف اسار) (يوسف أسار) هاجم (ظفار) مقر الأحباش ، واستولى على الكنيسة (قلسن) (القليس) ، ثم سار بعد ذلك على (أشعرن) (الأشعر) ، وعين القيل على رأس جيش ، ثم سار الى (غون) (مخا) فقتل سكانها واستولى على كنيستها ، وهدم جميع حصون (شمر) ومعقلها والسهل . وعندئذ قام بهجوم ماحق على (أشعرن) . وقد قُتل في هذه المعارك عدد كبير من الناس : قُتل ثلاثة عشر ألف قتيل ، وأخذ تسعة آلاف وخمسة اسير ، واستولى على (٢٨٠) ألف من الإبل والبقر والمعز . وأخذت غنائم عديدة أخرى .

وأمر الملك بعد هذه المعارك القيل (شرح ايل يقبل) (شرح ال يقبل) بالالتحاق بالجيش الذي أرسل الى نجران . وفي صعيد هذه المدينة اجتمع رؤساء (بني أزأن) (آل يزأن) (بن يزن) وقبائل همدان وكندة ومراد ومذحج وأعرابها . فتغلب جيوش الملك على هذه المدينة ، وأنزلت بسكانها خسائر كبيرة في الأموال والأرواح ، ووضعت الأغلال في ايدي الأسرى ، وقتل من وجد هناك من الأحابيش . وكان مع الملك في جيشه من الرؤساء : (لحييت برخم) و (سميغ أشوع) و (شرح ايل أسعد) . وقد دوّن هذا النص في شهر (ذ قيصن) (ذو القيص) من شهور صيف سنة (٦٣٣) من التقويم الحميري الموافقة لسنة (٥١٨) للميلاد .

وقد لعبت (كندة) (كدت) دوراً خطيراً في الأوضاع السياسية والعسكرية في أيام استيلاء الحبش على العربية الجنوبية ، كما يتبين ذلك من الفصل الخاص المتعلق بهذا الموضوع . وقد دخل رؤساؤها في الاسلام ، فتبعهم أتباعهم ، كما يرد ذلك في كتب التواريخ والسير .

ويذكر أهل السير والتواريخ ، أن وفداً من وفود (كندة) ، كان في جملة

الوفود التي قدمت المدينة لمبايعة الرسول في السنة العاشرة من الهجرة . وكان قد رأسه (الأشعث بن قيس الكندي) . « دخلوا على رسول الله مسجده ، وقد رجّلوا اجمعهم ، وتكحلوا ، عليهم جيب الحيرة ، قد كفّفوها بالحرير » ، ثم قال الأشعث : « يا رسول الله ؛ نحن بنو آكل المرار ، وأنت ابن آكل المرار » ، يفتخر بجده (آكل المرار) ، وب « أن كندة كانت ملوكاً »^١ . وقد عرف جد (الأشعث بن قيس بن معديكرب بن معاوية) ، بمعاوية الأكرمين ، وإنما سمي معاوية الأكرمين لأنه ليس في آبائه إلا ملك أو رئيس . وكان كريم الطرفين . وقد ذكره (الأعشى) في شعر له . وكان أحد ملوك كندة بحضرموت^٢ .

وكان (نخوص) (نخوس) ومشرح وجسد وأبضعة بنو معديكرب بن وليعة بن شرحبيل بن معاوية من سادات كندة عند ظهور الاسلام . وقد لقب كل واحد منهم نفسه بلقب (ملك) . واختص كل واحد منهم بواد ملكه . وقد نزلوا المحاجر ، وهي أحياء حموها ، وقد عرف هؤلاء بالملوك الأربعة من (بني عمرو بن معاوية) ، وقد لعنهم النبي^٣ . وقتلوا في الردة^٤ .

ويرجع النسابون نسب كندة الى جدّ أعلى قالوا له (عقيّر بن عدي) وهو والد (ثور) . و (ثور) هو كندة^٥ . وولد (كندة) معاوية بن كندة وأشرس ، وامها هي رملة بنت اسد بن ربيعة بن نزار^٦ . ويمثل هذا النسب صلة كندة بقبائل معد ، وارتباط تأريخها بها ، وتملكها عليها قبل الاسلام بزمان . وهو تملك جعل (كندة) تفتخر به ، حتى صارت تدعو نفسها : (كندة الملوك) . ويذكر (الهمداني) ، ان الشاعر (امرؤ القيس) ، كان يفتخر ويقول :

لا ينكر الناس منّا يوم تملكهم كانوا عبيداً وكنا نحن أربابا^٧

-
- ١ الطبري (١٣٨/٣ وما بعدها) ، (قدوم الأشعث بن قيس في وفد كندة) .
 - ٢ الاكليل (٩٠/١) .
 - ٣ ابن الاثير (١٥٨/٢ وما بعدها) ، البلدان (٢٩٤/٣) ، (حضرموت) ، ابن خلدون (٥٦/٢) ، القسم الثاني : الوفود .
 - ٤ الاشتقاق (٢٢٠) .
 - ٥ الاكليل (١٤٦/١) .
 - ٦ الاكليل (١٤٥/١) .
 - ٧ الاكليل (١٤٥/١) .

وان (تبعاً الآخر) ، وهو (عمرو بن حسان) ، عين حجرأ آكل المزار على معد كلها ، فالملك على (معد) لكندة . وان (كندة) كانت تقول : « لم تزل لها نزار ومن نزل الحيرة والشأم من العرب طعمة ورعية » .

وقد نسب بعض النسابين (كندة) الى كندة ، وهو ثور بن مرتع بن معاوية ابن كندي بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان^١ . ونسبه بعض آخر الى (كندة بن عفير بن الحارث) ، الى غير ذلك من آراء . وقد زعم بعض النسابين ان (الصدف) واسمه (مالك) ، وهو جد (الصدف) ، هو شقيق كندة^٢ .

ومن بطون كندة معاوية بن كندة، ومنه الملوك بنو الحارث بن معاوية الأصغر ابن ثور بن مرتع بن معاوية ، أسلاف الشاعر امرؤ القيس ، وقد حكموا القبائل الأخرى من غير كندة ، ومنها قبائل من عدنان^٣ .

و (الأشرس بن مرتع)، هو أخو (كندة) ، وهو ابو السكون والسكاسك^٤. ونسب السكاسك الى (حميس السكسك بن أشرس بن ثور . وهو كندة بن عفير)^٥. ومن السكون (تجيب) . وكان (أكيدر بن عبد الملك) صاحب دومة الجندل من السكون . وأخوه بشر بن عبد الملك . يذكرون أنه ذهب الى الحيرة ، وتعلم بها الخط ، ثم رجع الى مكة فتزوج الصهباء بنت حرب أخت أبي سفيان . ومنه تعلم أهل مكة الكتابة^٦ .

ويذكر أهل الأخبار أن كندة لما خرجت من (الغمر) : غمر ذي كندة ، نزلت بحضرموت وتآلفت مع الصدف تذكرت الأواصر والقربات التي كانت تربطها بـ (الصدف) فصارت تحارب معها^٧، وجعل (الهمداني) أهل حضرموت من كندة والصدف وحير .

١ جمهرة أنساب العرب (ص ٣٩٩) ، الأكليل (٤/١٠) ، الأنباة (١١٤) ، الاشتقاق (٢١٨) ، ابن خلدون (٢٥٧/٢) ، صبح الاعشى (٣٢٨/١) ، نهاية الارب (٣٠٣/٢) ، الروض الانف (٣٤٥/٢) ، تاج العروس (٤٣/١) ، (٢٨٧/٢) ، اللسان (٣٨٦/٤) .

٢ الأكليل (٥/١٠) .

٣ ابن خلدون (٢٥٧/٢) .

٤ الأكليل (٣٥٨/١) .

٥ الأنباة (١١٥) ، الاشتقاق (٢٢١) ، تاج العروس (١٤١/٧) ، تاريخ العرب قبل الاسلام (٢٨١/٤) .

٦ جمهرة (٤٠٣ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢٥٧/٢) .

٧ الأكليل (١٥/٢ فما بعدها) . Beiträge, S. 133.

فلسطين الثالثة :

لقد ذهب (كوسان دى برسفال) (Caussin de Perceval) الى أن (كيسوس) (Kaisus) (Caisus) المذكور عند (بروكوبيوس) و (نونوسوس) (Nonnosus) هو (امرؤ القيس)^١ .

ذكر (بروكوبيوس) ، أن القيصر (يوستينيانوس) (Justinianus) ، أرسل رسولا هو (يوليانوس) (Julianus) الى (Esimiphaeus) (السميفع أشوع) ليطلب منه بحكم رابطة الدين والمصالح المشتركة تنصيب أحد أبناء الأشراف ورؤساء القبائل واسمه (Kaisus) (Caisus) على (معد) (Maddenin) ، وأن يرسل قوة كبيرة من رجاله يشتركون مع الـ (سرسين) والـ (Maddenin) في غزو مملكة الفرس^٢ . وكان (كيسوس) هذا قد قتل أحد أقارب (Esimiphaeus) والتجأ الى البادية ، ولم يبق أي منهما بالغزو ، ولم يذكر (بروكوبيوس) شيئاً آخر عن (كيسوس) هذا ، أي (قيس) . وقد كانت سفارة (يوليانوس) الى الحميريين قبل موت (قباز) اي قبل سنة (٥٣١ م)^٣ . وفي الخبر اشارة الى شجاعة (قيس) وكفائه وحزمه ، لهذه الأسباب ولأسباب سياسية أخرى رغب القيصر في تعيينه رئيساً على معد .

وذكر (نونوسوس) ان القيصر (يوستينيانوس) كلفه الذهاب في سفارة الى (Kaisos) (قيس) حفيد (الحارث) (Aretas) ورئيس قبيلتين عظيمتين من أعظم قبائل الـ (سرسينوى) (Saracynoi) هما (Kindyoi) كندة و (معد) (Maadynoi) لمواجهة ودعوته للذهاب الى الانباطور اذا أمكنه ذلك . فذهب اليه ، ونفذ أوامر القيصر ، وعاد الى بلده سالماً . وكان القيصر (أنستاسيوس) (Anastasius) قد كلف جند (نونوسوس) أن يذهب الى الحارث ليعقد عهداً معه ، كما ان القيصر (يوستينوس) ، كلف أبا (نونوسوس) وهو (ابراهيم) (ابراهيم) أن يذهب الى (المنذر) (Alamoundaros) رئيس الـ (سرسينوى) لمفاوضته في فك أسر قائدين كانا أسيرين لديه ، هما (تيموستراتوس)

Olinder, P. 114, Caussin de Perceval, Essai., II, P. 317. ١

Procopius, History of the Wars, P. 193, I, XX, 9-13. ٢

Olinder, P. 114. ٣

و (يوحنا) . ثم كلف مرة ثانية في عهد (يوستنيانوس) (Justinianus) سفارة اخرى لدى قيس ، لعقد معاهدة معه . وقد تمكن من ذلك ، وعاد ومعه أحد أبناء (قيس) واسمه (معاوية) (Mauias) ليكون رهينة في (بوزنطية) عند (يوستنيانوس) . وكلف (ابراهيم) مرة أخرى ان يذهب الى (قيس) بمهمة سياسية اخرى ، فذهب اليه وأقنعه بالقدوم الى (بوزنطية) ، فقسم ولايته على القبائل بين أخويه (يزيد) (Jezidos) و (أومروس) (Aumros) (عمرو) ، ونال من الانباطور ولاية (فلسطين) ، وجاء معه بعدد لا يحصى من مرؤوسيه^١ .

وقد ذكر (ملخوس الفيلاذلفي) (Malchus of Philadelphia) اسم عامل عربي سمّاه (Amorkesos) أي (امرؤ القيس) . كان كما قال رئيساً على بطن من بطون الأعراب (Sareceni) هو بطن (Nokhalian) (Nokhalian) . وذكر ان (بطرس) (Peter) أسقف أهل الوبر (Saraceni) ذهب في عام (٤٧٣) للميلاد الى القسطنطينية ليطلب من القيصر (ليون) (Leo) أن يمنح هذا الرئيس درجة (عامل) (Phylarchus) (فيلارخ) على العرب المقيمين في العربية الحجرية.

وكان هذا الرئيس يقيم مع قبيلته في الأصل كما ذكر (ملخوس) في الأرضين الخاضعة لنفوذ الفرس ، ثم ارتحل عنها ونزل في أرضين قريبة من حدود الفرس وأخذ يغزو منها حدود الساسانيين ، والقبائل العربية المقيمة في الأرضين الخاضعة للروم . فتمكن بذلك من بسط نفوذه وسلطانه على القبائل حتى بلغ ساحل البحر الأحمر ، واستولى على جزيرة (ايوتابا) (Iotabe) ، وهي جزيرة مهمة كان الروم ينزلون فيها لجمع الضرائب من المراكب الذاهبة الى المناطق الحارة أو الآية منها ، فتصيب الحكومة أرباحاً عظيمة جداً . فلما استولى على تلك الجزيرة، صار يجلبها لنفسه ، حتى صار غنياً جداً . كذلك حصل على ثروة عظيمة من الغنائم التي حصل عليها من غزوه للمواضع المجاورة لهذه الجزيرة الواقعة في العربية الحجرية وأعلى الحجاز^٢ .

١ المشرق ، السنة الثامنة ، العدد ٢١ ، ١ تشرين الثاني ، سنة ١٩٠٥ م ، (ص ١٠٠٥) ، شيخو ، النصرانية وآدابها ، (القسم الثاني ، الجزء الثاني) (ص ٤٣٣ وما بعدها) ،

Migne, Patrol. Gree., Phot., Bibl. CIII, 46-47, Ollinder, P. 114.

Musli, Hegaz, P. 306. ٢

وأراد (امرؤ القيس) (Amorkesos) ، بعد ان بلغ من النفوذ مبلغه ، الاتصال بالروم ، والتحالف معهم ، والاعتراف به عاملاً رسمياً على العرب الذين خضعوا له وعلى العرب المعترفين بسلطان الروم عليهم . ولذلك أرسل الأسقف (بطرس) أسقف قبيلته ، ليكون رسوله الى القيصر . وقد نجح هذا الأسقف في مهمته ، وتوسط في دعوة (امرؤ القيس) لزيارة القسطنطينية ، فلما وصل إليها استقبل بها استقبالا لائقاً ورحب به ترحيباً حاراً ، ولا سيما بعد أن أعلن دخوله في النصرانية ، فأنعم عليه القيصر بالهدايا والألطف وعينه (عاملاً) (Phylaeachus) على تلك الجزيرة وعلى مواضع أخرى وعلى أعراب العربية الحجرية . ثم عاد مكرماً ، بالرغم من أن معاهدة الصلح التي كانت بين الروم والفرس كانت قد حرمت دخول رؤساء الأعراب وقبائلهم النازحين من مناطق أحد الطرفين في أرضين الطرف الثاني^١ .

ويحتمل على رأي (الويس موسل) أن يكون هذا الشيخ قد هاجر من (الوديان) و (الحجرية) ، الى (دومة الجندل) ومنها صار يغزو أعراب (العربية الحجرية) ، والمناطق المجاورة لها من (فلسطين الثالثة) (Palestina Tertia) ويتوسع فيها حتى بلغ ساحل البحر ، فتحكم في جزيرة (Iotabe) المهمة التي كانت محطة تجارية خطيرة للتجار مع الهند ، وفي الطريق البري المهم الذي يربط ديار الشام بالعربية الجنوبية ، فحصل على سلطان واسع ونفوذ عظيم^٢ .

ولعل هذه الجزيرة هي جزيرة (Ainu) التي ذكرها (بطليموس) ، أخذ تسميته هذه من (حينو) (حايو) (Hainu) الاسم الذي كانت تعرف به عند الأنباط^٣ . ويظن أنها جزيرة (تاران) (تيران) . وذكر (ياقوت) أن سكانها قوم يعرفون بـ (بني جدان)^٤ .

ويحدثنا (ثيوفانس) ان هذه الجزيرة كانت في عام (٤٩٠) للميلاد في أيدي

١ Musil, Hegaz, P. 306.

٢ Musil, Hegaz, P. 306.

٣ Musil, Hegaz, P. 307, Ptolemy, VI, 7, 43.

٤ Musil, Hegaz, P. 306. البلدان (٣٥٢/٢)

الروم ، استولى عليها حاكمهم (Dux) على فلسطين بعد قتال شديداً . وبدل خبر هذا المؤرخ على ان الروم انتزعوا هذه الجزيرة من (امرئ القيس) أو من خلفائه بعد مدة ليست طويلة من استيلاء امرئ القيس عليها . ولعلمهم استولوا عليها بعد وفاة هذا العامل على أثر نزاع وقع بين أولاده وورثته أضعف مركز الإمارة ، فانتهاز الروم هذه الفرصة وانتزعوا ما تمكنوا من انتزاعه من أملاك هذا الرئيس .

ويظن ان (Nokalian) هو (النخيلة) . و (النخيلة) موضع معروف قرب الكوفة على سمت الشام^٢ ، وهو موضع ينطبق عليه ما ذكره (ملخوس) من انه كان في أرض كانت تحت نفوذ الفرس .

وكان يحكم هذه المنطقة في أيام (يوسطينانوس) (Justinianus) (Joustinianus) رئيس يدعى (أبو كرب) (Abochorabus) ، وكانت له واحة خصبة مزروعة بالنخيل ، وهبها الى القيصر . فقبلها منه ، وعينه رئيساً (Phylarchus) على أعراب (Saracens) فلسطين . فحمى له الحدود من غزو الأعراب، ومنع اعتداء القبائل في الداخل . وذكر (بروكوبيوس) ان هناك أعراباً آخرين كانوا يجاورون أعراب هذا الرئيس ، يدعون بـ (Maddeni) أي (معد) ، يحكمهم (Homeritae) أي الحميريون^٣ . ويظهر من كلام هذا المؤرخ ان قبائل معد كانت في أيامه تابعة لحمير . ومعنى هذا ان نفوذهم كان قد امتد في هذا العهد حتى بلغ أعالي الحجاز . وفي كلامه هذا تأكيد لروايات الأخباريين الذين يتحدثون عن بلوغ التبابعة هذه الأماكن ، وعن حروب وقعت بين العدنانيين والقحطانيين . وليس في الذي أورده (بروكوبيوس) أو (نونوسوس) ، ما يثبت ان (قيساً) هو (امرؤ القيس) . ومجرد تشابه الاسمين لا يمكن أن يكون حجة على انهما لمسمى واحد . ثم ان ما ذكره (نونوسوس) من ان (قيساً) كان رئيساً على قبيلتي (كندة) و (معد) لا يكون دليلاً على انه كان حتماً من (كندة) أو انه كان حتماً (امرؤ القيس) الشاعر الذي يعرفه الأخباريون . لذا فنحن لا نستطيع الجزم في الوقت الحاضر بتعيين هوية هذا الرئيس .

١ Theophanes, Chronographia, P. 121, Musil, Hegaz, P. 307.

٢ البلدان (٢٧٦/٨ وما بعدها) . Blau, in ZDMG., 22, 1868, S. 578.

٣ Procopius, De Bello Persico, I, 19, Musil, Hegaz, P. 307.

الفصل الأربعون

ملكة الغساسنة

وحكم عرب بلاد الشام في دولة البيزنطيين ، عربٌ عرفوا بـ (آل غسان) ، وبـ (آل جفنة) وبـ (الغساسنة) . وقد استمر ملكهم الى الإسلام . فلما فتح المسلمون بلاد الشام، زالت حكومتهم ، وذهب سلطانهم كما ذهب ملك (آل لخم) منافسوه في العراق .

وقد نقلت كلمة (غَسَّان) في زعم الأخباريين من اسم ماء يقال له (غسان) ، ببلاد (عك) بزييد وريبع ، نزل عليه آل غسان ، وأصلهم من الأزدي ، بعد خروجهم من اليمن قبيل حادث سيل العرم أو بعده ، فلما أقاموا عليه وشربوا منه، أخذوا اسمهم منه، فسموا (غسان)^١ ، وعرف نسلهم بالغساسنة وبـ (آل غسان) . ولم يحدد أهل الأخبار زمان حدوث سيل العرم ، وتهدم السد . لذلك لا نستطيع أن نستنبط شيئاً من رواياتهم عن هذا الحادث في تحديد وقت وصول الغساسنة الى بلاد الشام . وحادث تصدع السد لم يكن حادثاً واحداً ، حتى نعتبره مبدأ لتأريخ هجرة الأزدي وغيرهم من قبائل اليمن نحو الشمال . فقد تصدع السد مراراً ورم

١ حمزة (ص ٧٦) ، المروج (٣٠/٢) ، القاموس (٢٥٣/٤) ، أما سألت فأننا معشر نجب الأزدي نسبنا والمساء غسان البرقوقي (ص ٤١٣) ، شرح ديوان كعب بن زهير لابن سعيد السكري ، (ص ٣٢ وما بعدها) ، (طبعة دار الكتب المصرية) ، الاشتقاق (ص ٢٥٩) ديوان حسان (ص) (هرشفلد) .

مراراً . والذي يفهم من أقوال الأخباريين أن هذا التصديق كان قد وقع قبل الإسلام بزمان ، وقد بقيت ذكراه عالقة في الذاكرة الى أيام الاسلام .

وأما سبب تسميتهم بآل جفنة وبأولاد جفنة ، فلانتسابهم الى جدّ أعلى يدعونه (جفنة بن عمرو مزريقاء بن عامر) على رأي^١ ، أو الى (جفنة) قبيلة من غسان من اليمن^٢ . ويذكر (ابن دريد) ان (جفنة) إما من (الجفنة) المعروفة ، أو من (الجفن) ، وهو (الكرم) ، وجفن السيف وجفن الانسان . ويذكر ان المثل المشهور بين الناس : « وعند جهينة الخبر اليقين » ، هو خطأ تقوله العامة ، وان صوابه : « وعند جفينة الخبر اليقين »^٣ .

ولم نظفر حتى الآن باسم غسان في نصوص المسند ، كذلك لم نظفر به في الأرضين التي عدّها الأخباريون في جملة ممتلكات هذه القبيلة .

ويزعم الأخباريون ان الذي قاد الغساسنة في خروجهم من اليمن ، هو عمرو المعروف بـ (مزريقا) ، وهو ابن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث^٤ . ولهم في نسبه على هذا النحو من ذكر الآباء والأجداد والألقاب أقوال وحكايات^٥ .

وروى (ابن قتيبة الدينوري) ان (عمرو بن عامر مزريقاء) لما خرج من اليمن في ولده وقرابته ومن تبعه من الأزد ، أتوا بلاد عك ، وملكهم (سملقة) (سملقة) ، وسألوهم أن يأذنوا لهم في المقام حتى يبيعثوا من يرتاد لهم المنازل ويرجعوا اليهم ، فأذنوا لهم . فوجه عمرو بن عامر ثلاثة من ولده : الحارث بن عمرو ، ومالك بن عمرو ، وحارثة بن عمرو ، ووجه غيرهم رواداً فأت عمرو ابن عامر بأرض عك قبل أن يرجع اليه ولده وروّاده ، واستخلف ابنه ثعلبة بن عمرو، وان رجلاً من الأزد يقال له جذع بن سنان احتال في قتل سملقة (سملقة)،

- ١ أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل شرح ديوان حسان بن ثابت ، (اخراج البرقوقى) ، (طبع المطبعة الرحمانية) ، القاهرة ١٩٢٩ م ، (ص ٣٠٩) شمس العلوم (١٠ ق ١ ص ٣٤٢) ، اللسان (٩١/١٣) ، (جفن) .
- ٢ شمس العلوم ، (١٠ ق ١ ص ٣٤٢) .
- ٣ الاشتقاق (ص ٢٥٩) ، اللسان (٩١/١٣) ، (صادر) ، (جفن) .
- ٤ حمزة (ص ٧٧) .
- ٥ مروج (٣٠/٢) .

ووقعت الحرب بينهم ، فقتلتك عك أبرح قتل وخرجوا هارين ، فعظم ذلك على ثعلبة بن عمرو ، فحلف أن لا يقيم ، فسار ومن اتبعه حتى انتهوا الى مكة وأهلها يومئذ جرهم ، وهم ولاية البيت ، فترلوا بطن مرة وسألوهم أن يأذنوا لهم في المقام معهم ، فقاتلتهم جرهم ، فنصرت الأزدي عليهم ، فأجلوهم عن مكة ، ووليت خزاعة البيت ، فلم يزالوا ولاته حتى صار (قصي) الى مكة ، فحارب خزاعة بمن تبعه ، وأعانهم قيصر عليها ، وصارت ولاية البيت له ولولده ، فجمع قريشاً ، وكانت في الأطراف والجوانب ، فسمي مجعاً ، وأقامت الأزدي زماناً^١.

فلما رأوا ضيق العيش شخصوا ، فصار بعضهم الى السواد، فلكوا بها . منهم (جذيمة بن مالك بن الأبرش) ومن تبعه. وصار قوم الى عمان، وصار قوم الى الشام، فهم (آل جفنة) ملوك الشام . وصار جذع بن سنان قاتل سلمقة الى الشام أيضاً ، وبها سليح ، فكتب ملك سليح الى قيصر يستأذنه في انزالهم ، فأذن له على شروط شرطها لهم ، وأن عامل قيصر قدم عليهم ليحييهم فطال بهم وفيهم جذع ، فقال له جذع خذ هذا السيف رهناً أن نعطيك . فقال له العامل: اجعله في كذا وكذا من أمك ، فاستل جذع السيف فضرب به عنقه . فقال بعض القوم : خذ من جذع ما أعطاك ، فذهبت مثلاً^٢.

فضى كاتب العامل الى قيصر فأعلمه ، فوجه اليهم ألف رجل وجمع له جذع من الأزدي من أطاعه ، فقاتلوهم فهزموا الروم ، وأخذوا سلاحهم ، وتقووا بذلك ، ثم انتقلوا الى يثرب وأقام بنو جفنة بالشام وتنصروا . ولما صار جذع الى يثرب وبها اليهود ، حالفوهم ، وأقاموا بينهم على شروط فلما نقضت اليهود الشروط ، أتوا تبعاً الآخر ، فشكوا اليه ذلك ، فسار نحو اليهود حتى قتل منهم وأذلهم ، وصار الأمر في يثرب للأزدي^٣.

ولللأخباريين تفاسير في سبب تلقيب عمرو بن عامر بمزقياء . وقد ذكر (حمزة) بعض الآراء الواردة في ذلك ، فقال : « وترعم الأزدي أن عمرأ سمي مزقياء لأنه كان يمزق كسل يوم من سني ملكه حلتين لثلا يلبسها غيره ، فسمي هو مزقياء . وسمي ولده المزاقية . فهذا قول وقيل : إنما سمي مزقياء ، لأن الأزدي

١ المعارف (ص ٦٤٠) ، (تحقيق ثروت عكاشة) .

٢ المعارف (ص ٢٧٨ وما بعدها) ، (٦٤٠) ، (تحقيق ثروت عكاشة) .

تمزقت على عهده كل ممزق عند هربهم من سيل العرم ، فاتخذت العرب افتراق الأزد عن أرض سبأ بسيل العرم ، فقالوا : ذهبت بنو فلان أيادي سبأ^١ . ومال (نولدكه) الى هذا التفسير الأخير ، فرأى أنه مأخوذ من الآية . « فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق » ، إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور^٢ .

ويظهر أن الغساسنة اخترعوا أسطورة تمزيق الثياب ، للإشارة الى غنى جدّهم (عمرو) واقتداره^٣ . وأما ما ذهب اليه (نولدكه) ، فهو في نظري نوع من الظن ، استخرجه من هذا التفسير الثاني الذي رواه الأخباريون في تفسير الكلمة الخاص بتفريق الأزد عن أرض سبأ لحدوث السيل .

وقد زعم أنه نزح معهم من اليمن قومهم من الأزد ، فترل المدينة رهط « ثعلبة العنقاء بن عمرو بن عامر ومنهم الأوس والخزرج، ونزل مكة رهط حارثة ابن عمرو بن عامر، وهم خزاعة، ونزل جفنة بن عمرو بن عامر بالشام، وهم الغساسنة ونزل لخم في العراق ومنهم المناذرة أو آل نصر^٤ » . فوصل أهل الأخبار بذلك تأريخ خزاعة والأوس والخزرج وآل لخم بآل غسان . وجعلوا ابتداء ظهورهم في أماكنهم منذ ذلك العهد ، أي منذ وقوع حادث (سيل العرم) .

وقد روى الأخباريون في ذلك شعراً لنفر من الأنصار ، ورد فيه انتساب أهل يثرب الى (عمرو بن عامر) ، واتصال نسبهم بنسب غسان . من ذلك شعر للشاعر الأنصاري المعروف (حسان بن ثابت) ، يقول فيه :

ألم ترنا أولاد عمرو بن عامر لنا شرف يعلو على كل مرتقى^٥

ومن ذلك شعر زعم ان قائله أحد الأنصار هو :

أنا ابن مُزَيِّقِيا عمرو ، وجدي أبوه عامر ماء السماء^٦

١ حمزة (ص ٧٧) ، (وهو مزريقاء . كان يمزق كل يوم حلة لثلا يلبسها أحد بعده) ، الاشتقاق (ص ٢٥٨) .

٢ سورة سبأ ، ٣٤ ، الآية ١٨ ، نولدكه : أمراء غسان ، (ص ٣) ، ملحوظة ١ (الترجمة العربية) .

٣ أمراء غسان (ص ٣ وما بعدها) ، (ص ٥) من النص الألماني .

٤ شرح ديوان حسان ، للبرقوقي (ص ٢٨٦) .

٥ البرقوقي (ص ٢٨٦) .

٦ شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، للبرقوقي (ص ٢٨٦) .

فالأنصار ، أي أهل يثرب ، وهم من الأوس والخزرج ، هم من الدوحة التي أخرجت الغساسنة ، وقد ظهر تأريخهم في يثرب بعد حادث سيل العرم على نحو ما رأيت .

وافتنخار أهل يثرب بآل جفنة يزيد كثيراً على افتخارهم بآل لحم ، مع أنهم على حد قولهم من أصل واحد ، وقد افترقوا جميعاً في وقت واحد ، وهم في درجة واحدة من القرابة . ونجد لحسان بن ثابت شعراً في الغساسنة ، هو أضعاف ما قاله في المناذرة . ويظهر أن لقرب الغساسنة من يثرب ، وللمصالح الاقتصادية ، وللهبات والعطايا التي كان ينالها حسان وأمثاله من الغساسنة بيسر وسهولة ، لقربهم منهم ، أثر كبير في هذا المدح والتعصب لغسان على آل لحم .

وأما عن نعت عامر بماء السماء ، فقال حمزة : « انه إنما سمي ماء السماء لأنه أصابت الأزرد مخمصة ، فأنهم حتى مطروا ، فقالوا : عامر لنا بدل ماء السماء »^١ . وقد عرف أشخاص آخرون بـ (ماء السماء) من غير غسان ، منهم (المنذر بن امرئ القيس اللخمي) و (ماء السماء بن عروة) من ملوك (الحيرة) على زعم (ابن الكلبي)^٢ . وقد نعت (حسان بن ثابت) الغساسنة الذين جاءوا من بعده بـ (أولاد ماء المزن) . و (المزن = المطر) . يريد بذلك (أولاد ماء السماء) ، أي : (بني ماء السماء) ، وماء السماء هو المطر ، وذلك كناية عن الجود والكرم والإغاثة . والمطر هو غوث للناس ورحمة والجود هو غوث لمن يجاد عليه ، فهو بمنزلة المطر للأرضين . فقصد الشاعر بذلك أن (آل غسان) ، للناس بمنزلة المطر للأرض . وقد يكون جد الغساسنة قد عرف بكرمه وسخائه ، فنعت بهذا النعت السدال على السخاء والجود . ولا أستبعد أن تكون هذه النعوت من النعوت التي أطلقها الشعراء على المذكورين ، فلأزمتهم حتى اليوم^٣ .

ونسب آل غسان إلى جد آخر ، يعرف بـ (ثعلبة) . وقد أشير إلى (عرب الروم من آل ثعلبة)^٤ . وقد ذكر (محمد بن حبيب) ، أن رئيس غسان

١ حمزة (ص ٧٧) (ما نهم - أي احتمل مؤنتهم ، أي قوتهم حتى يأتيهم الخصب)

البرقوقي (ص ٢٨٧) .

٢ المجسر (ص ٣٦٥) .

٣ كحفنة والقيقام عمرو بن عامر وأولاد ماء المزن وابني محرق

البرقوقي (ص ٢٨٧) .

٤ غسان (ص ٤) .

الذي قضى على (الضجاعة) ، وانتزع الملك من (سليح) ، هو (ثعلبة) ابن عمرو بن المجالد بن عمرو بن عدي بن مازن بن الأزدا . ومن نسله كان ملوك غسان ، فهو اذن (ثعلبة) المذكور .

ويظهر من روايات الأخباريين أن الغساسنة أخذوا الحكم بالقوة من أيدي عرب كانوا يحكمون هذه المنطقة قبلهم ، ويدعون بـ (الضجاعة) ، وهم من (سليح ابن حلوان) ^٢ .

وبنو سليح ، هم عرب ينسبهم النسابون الى (سليح بن حلوان بن عمران ابن الحاف بن قضاعة) ^٣ . وقد نسبهم (ابن دريد) الى (سليح بن عمران ابن الحاف) ، وجعل لـ (سليح) شقيقاً هو (يزيد) جدّ (التزديد) ^٤ . ونسبهم (السكري) الى (سليح بن عمرو بن الحاف بن قضاعة) ^٥ . ولكن اختلاف النسابين هذا في نسبهم ، يقف عند نهاية سلاسل النسب ، إذ تنتهي هذه النهاية في (قضاعة) حيث يتفق الكل أن (سليحاً) ، هم من قضاعة . أما صاحب كتاب المعارف ، فقد جعل سليحاً من غسان ، إلا أنه عاد فاستدرك على ذلك بقوله : « ويقال من قضاعة » ^٦ .

وقد ذكر أهل الأخبار ان (بني سليح) بقوا في بلاد الشام ، اذ ذكروهم في أخبار الفتوح ، وكانوا في جملة من أقام على النصرانية من عرب الشام . وقد أسلم قسم منهم ، وكانوا في (قنسرين) في أيام المهدي ^٧ .

ومن ملوك سليح الذين ذكرهم الأخباريون زياد بن الهبولة ملك الشام، جعلوه من معاصري حجر بن معاوية بن الحارث الكندي آكل المزار ، وذكروا انه سمع بغارة قام بها حجر على البحرين ، فسار الى أهل حجر ومن تركهم، فأخذ الحريم والأموال وسبى منهم هند بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معاوية . فلما سمع

-
- ١ المحبر (ص ٣٧١) .
 - ٢ حمزة (ص ٧٦ وما بعدها) .
 - ٣ حمزة (ص ٧٦ وما بعدها) ، الأكليل (١٨٢/١) .
 - ٤ الاشتقاق (٣١٤/٢) .
 - ٥ المحبر (ص ٣٧٠) .
 - ٦ المعارف (ص ٢٧٨) ، (أول من دخل الشام من العرب : سليح ، وهو من غسان ، ويقال من قضاعة) ، (ص ٦٤٠) ، (تحقيق ثروت عكاشة) .
 - ٧ فتوح البلدان ، للبلاذري (ص ١٥٢) (طبعة القاهرة (١٩٠) .

حجر وكندة وربيعة بغارة زياد ، عادوا عن غزوهم في طلب ابن هبولة ، ومع حجر أشراف ربيعة : عوف بن محلم بن ذهل بن شيان ، وعمرو بن أبي ربيعة ابن ذهل بن شيان وغيرهما . فأدركوا قوم زياد بـ (البردان) دون عين أباغ ، فحمل أتباع حجر على أتباع (ابن الهبولة) ، فانهمزوا ، ووقع زياد أسيراً ثم قتل^١ .

وتذكر رواية ان (حجراً) أرسل (سدوس بن شيان) و (صليح بن عبد غنم) الى عسكر (زياد) يتجسسان له الخبر ، ويعلمان علم العسكر، ثم عادا فأخبراه بخبره ، فسار على جيش ابن الهبولة ، واقتتلوا قتالاً عنيفاً، فشد (سدوس) على زياد واعتنقه وصرعه ، وأخذه أسيراً ، فلما رآه (عمرو بن أبي ربيعة) حسده فطعن زياداً فقتله ، فغضب سدوس لأنه قتل أسيره ، وطالب بديته ، دية الملوكة ، فتحاكما الى حجر ، فحكم على عمرو وقومه لسدوس بدية ملك، وأعانهم من ماله^٢ .

ويقتضي على هذه الرواية ان يكون ملك (زياد بن الهبولة) في وقت متأخر اذ لا ينسجم هذا القول مع ما يذكره أهل الأخبار من ان ملك (بني سليح) كان قبل الغساسنة^٣ . ولو أخذنا بالخبر المتقدم ، وجب علينا القول بأن زياداً كان يحكم في ايام الغساسنة لا قبل ذلك .

وقد ذكر (ابن الأثير) أن (زياد بن هبولة) لم يكن ملكاً على الشام ، لأن ملوك سليح كانوا بأطراف الشام مما يلي البرّ من فلسطين الى قنسرين والبلاد للروم ، ولم تكن سليح ولا غسان مستقلين بملك الشام ولا بشبر واحد ، وزياد ابن هبولة السليحي أقدم من حجر آكل المرار بزمان طويل . ولم يكن زياد آخر ملوك سليح . ثم خلاص من قوله برأي توفيقى ، بأن افترض ان زياد بن هبولة المعاصر لحجر كان رئيساً على قوم او متغلباً على بعض أطراف الشام ، فهو غير ذلك الملك المذكور^٤ .

-
- ١ ابن الاثير (٢٠٨/١) ، حمزة (ص ٩٢) ، الاغانى (٨٢/١٥) ، ايام العرب (٤٢) .
 - ٢ ايام العرب (٤٥) .
 - ٣ ابن الاثير (٢٠٨/١) .
 - ٤ ايام العرب (٤٥) .

وقد تحدث (أبو عبيدة) عن ذلك اليوم، ولم يذكر ان ابن هبولة من سليح، بل قال : هو غالب بن هبولة ملك من ملوك غسان^١ .

وقد تحدثت بعض الروايات عن (زياد بن هبولة) على هذا النحو : « منهم داوود اللثقي بن هباله بن عمرو بن عوف بن ضجعم . كان ملكاً ، ومنهم زياد ابن هباله بن عمرو بن عوف بن ضجعم . كان ملكاً . وهو الذي أغار على حجر آكل المرار . وهو محرق ، وكان أول من حرق بالنار »^٢ . فجعلت والد زياد رجلاً اسمه (هباله) ، وجعلت (داوود اللثقي) شقيقاً له . أما الروايات الشائعة ، فتجعل (داوود اللثقي) ابناً لـ (هباله) أي انه أخو (هبولة ابن عمرو بن عوف) ، فهبولة على هذا وهباله أخوان ، وزياد وداوود ابنا عم^٣ . وأما ملوك (سليح) على رواية (ابن قتيبة الدينوري) ، فهم : (النعمان ابن عمرو بن مالك) ، وقد عينه ملك الروم على قومه — على حد قوله — بعد ان دانوا بالنصرانية ، ثم مالك وهو ابنه ، ثم (عمرو) ، وهو ابن مالك . قال : ولم يملك منهم غير هؤلاء الثلاثة . اذ انتقل الملك من بعد (عمرو) الى الغساسنة^٤ .

ونسب الأخباريون (الضجاعة) الى (بني ضجعم بن حاطة بن سعد بن سليح بن عمرو بن الحاف بن قضاة)^٥ . فهم على هذا النسب ، ومن (بني سليح) ومن قبائل قضاة ، وقد حكموا بعد حكم (بني سليح) . ونسب بعض الأخباريين (ضجعم) الى (سعد بن سليح) ، أي باسقاط اسم (حاطة) من النسب ، بأن جعلوا (سعد بن سليح) والداً لضجعم . وقد ذكروا ان منهم (داوود اللثقي بن هبولة بن عمرو) وهو شقيق (زياد بن هبولة) المذكور . وذكر بعض منهم ان (داوود بن هبولة) هو شقيق (هباله بن عمرو ابن عوف بن ضجعم)^٦ .

-
- ١ أيام العرب (٤٥) .
 - ٢ الاشتقاق (٣١٩/٢) .
 - ٣ الاشتقاق (٣١٩/٢) .
 - ٤ المعارف (ص ٢٧٨ وما بعدها) ، (ص ٦٤٠) ، (ثروت عكاشة) .
 - ٥ المحبر (ص ٣٧٠) ، الاشتقاق (٣١٩/٢) ، ابن خلدون (٢٧٩/٢) ، حمزة (٧٦) ، غسان (٦) ، الاكليل (١٨٢/١) .
 - ٦ الاشتقاق (٣١٩/٢) .

ويظهر ان (داوود اللثي) كان قد اعتنق النصرانية ، وكان قد عمل للروم .
واليه ينسب (دير داوود) (دير الداوود)^١ .

ويظهر من بعض الروايات ان (زياد بن هبولة) الذي حارب (حجرآكل المرار) ، كان أخاً لـ (داوود) . ويظهر من روايات أخرى انه كان ابن عم له^٢ . وإذا اخذنا برواية من زعم ان (زياداً) هذا حارب (حجرآكل المرار) ، فمعنى هذا ان (جفنة) ، وهو مؤسس إمارة آل جفنة ، أي الفساسنة ، قد حكم بعد (زياد) . وقد زعم (حمزة) ان ملكاً من ملوك الروم اسمه (نسطورس) هو الذي ملك جفنة على عرب الشام^٣ . وذهب بعض أهل الأخبار الى ان القيصر الذي عين (جفنة) على عرب بلاد الشام هو (أنسطاسيوس) (Anastasius) الأول ، الذي حكم من سنة (٤٩١) حتى سنة (٥١٨) للميلاد . فتكون نهاية حكم الضجاعة وبداية حكومة (آل جفنة) في هذا العهد^٤ .

و (ضجعم) هو (Zocomus) أحد (العمال) (Phylarch) الذين نصبهم الروم على عرب بلاد الشام ، حرق اسمه فصار على الشكل المذكور . وقد حكم في أواخر القرن الرابع للميلاد . وقد ذكره (ثيوفلكتوس) (Theophylactus) على هذه الصورة : (Zeokomos)^٥ ، وذكر انه هو وقبيلته دخلوا في النصرانية وان الله وهبه ولداً بفضل دعاء النساك النصارى^٦ .

وقد كان الضجاعم من القبائل العربية المعروفة عند ظهور الاسلام . وقد كانوا مثل سائر القبائل المستعربة المستنصرة ضد الاسلام ، وقد وقفوا مع (دومة الجندل) في عنادهم ومقاومتهم لخالد بن الوليد، وكان رئيسهم اذذاك هو (ابن الحدرجان)^٧ .
لقد أشار المؤرخون اليونان والسريريان الى ملكة عربية دعوها (ماوية) (Mauia) (Mawia) ، حكمت القبائل العربية الضاربة في بلاد الشام، وهاجمت

١ Die Araber, II, S. 331.

٢ الاشتقاق (٣١٩/٢) ، ابن الاثير (٣٧٢/١) ، ابن خلدون (٢٧٨/٢) .

٣ حمزة (ص ٧٧) .

٤ Die Araber, II, S. 332.

٥ Sozomenus, VI, 38, Theophylactus, 2, 2, Die Araber, II, S. 330.

٦ غسان (ص ٦) ، (ص ٨) من النص الالمانى ،
Zosimus, 6, 38, Socrates, 4, 30, Rufinius, II, 6, Theodoretus, 40, 21.

٧ الطبري (٣٧٨/٣) (خبر دومة الجندل) .

فلسطين و (فينيقية) ، ويظهر ان هذا الهجوم كان قد حدث بعد ترك القيصر (والنس) (Valens) (٣٦٤ - ٣٧٨ م) انطاكية وذلك سنة (٣٧٨ م)^١ . وقد حاربت الروم مراراً ، وانتصرت غير مرة ، ثم تصالحت معهم . وكان من جملة ما اشترطته عليهم أن يُسَقَّف على عربها راهب يدعى موسى كان يتعبد في بادية الشام ، فوافق القيصر على ذلك ، وكان هذا الراهب كاثوليكياً معارضاً للمذهب أريوس^٢ .

ويذكر المؤرخون أن غارات تلك الملكة على حدود الروم ، كانت عنيفة كاسحة ، أنزلت الدمار والخراب بقرى وبمدن عديدة ، وألحقت خسائر فادحة بالأرواح والمال . وقد شملت تلك الغارات أرض فلسطين و (الحدود العربية) (Arabici Limites) . وتذكر أن عربها كانوا من الـ (سارسين) (سارسين) (Saracene)^٣ .

وقد وليت (ماوية) الحكم بعد وفاة زوجها ، ويظهر أن نزاعاً وقع بينها وبين الروم أدى الى توتر العلاقات بينهما ، آل الى هجوم الملكة على حدود الروم . ولما عجز الروم من الانتصار عليها ، استعانوا ببعض سادات القبائل للتغلب عليها ، ولما وجدوا ان القبائل لم تفعل شيئاً ، اضطروا على التفاوض معها ، وعلى ترقيتها على نحو ما ذكرت^٤ .

وقد قام موسى (Moses) بنشاط كبير في نشر النصرانية بين العرب . وقد كان من مصلحة الروم تنصر الأعراب ، لأن في تنصرهم تأييداً لهم ، حتى وان خالف مذهبهم مذهب الروم^٥ .

وقد حكم قبل (ماوية) (عامل) عربي أشار اليه المؤرخ (أميانوس) (Ammianus) ، غير أنه لم يذكر اسمه ، قال إنه (Assanitarum) وإنه من (السرسين) ، (Phylarchus Saracenorum Assanitarum)^٦ ، وقد حكم

١ Provincia Arabla, III, S. 286, Theophanes, 64, (Ed. De Boor), Socrates, IV, 36, Sozomenus, VI, 38, Eusebios, 2, 2.

٢ المشرق - السنة العاشرة ، العدد ١١ ، حزيران ، ١٩٠٧ ، (ص ٥٢٤) ، Theodoretus, 4, 21, Socrates, Hist. Eccl., 4, 36.

٣ Die Araber, II, S. 328.

٤ Die Araber, II, S. 328.

٥ Die Araber, II, S. 330.

٦ Ammianus, 24, 4, 2, Provincia Arabla, III, S. 286.

في أيام (يولييان) (جوليان) (Julian) (٣٦١ - ٣٦٣ م) . ويظن البعض أن مراد المؤرخ بـ (اسانته) (Assanitae) الغساسنة ، أي ان الكلمة من أصل (غسان)^١ .

غير أن هذا الظن معناه أن حكم الملكة (ماوية) ، كان في أيام الغساسنة ، وأنها أزعجت الروم في وقت كان فيه (آل جفنة) على عرب بلاد الشام . وهذا ما لا تؤيده الموارد التاريخية المتوفرة لدينا الآن . لذلك أرى ان حكم (ماوية) كان قبل تولي (الغساسنة) الحكم رسمياً من الروم ، أو ان الملكة كانت تحكم في الأقسام الجنوبية من بادية الشام ، ومنها أخذت تهاجم حدود الروم المؤلفة لكورة فلسطين ، وتتوغل بها حتى بلغت (فينيقية) و (مصر) ، ولم يكن حكم الغساسنة متمكناً إذ ذاك ، فاستغلت هذا الضعف ، وأخذت تهاجم الحدود .

وزعم المسعودي أن ملك العرب بالشام يعود الى أيام (فالغ بن هور) (فالغ ابن يغور) . وقد صيّرته من صميم أهل اليمن ، ملك ثم ترك الحكم الى (يوتاب) (سومات) ، وهو (أيوب بن رزاح) . ثم انتقل ملك الشام على رأيه أيضاً الى الروم . وكانت قضاة من مالك بن حير أول من نزل الشام ، وانضافوا الى ملوك الروم، فلكوهم بعد أن دخلوا في النصرانية على من حوى الشام من العرب. وكان النعمان بن عمرو بن مالك أول من تولى من تتوخ بالشام . ثم ملك بعده عمرو ، ثم (الحواري بن النعمان) . ثم انتقل الملك الى سليح . وانتقل الملك منهم الى آل غسان^٢ .

وقد كانت سليح - كما يذكر الأخباريون - يجبون من نزل بساحتهم من مضر وغيرها للروم. فأقبلت غسان في جمع عظيم يريدون الشام حتى نزلوا بهم ، فقالت سليح لهم: إن أقررتم بالخرج، وإلا قاتلناكم . فأبوا عليهم ، فقاتلهم سليح، فهزموا غسان . ورئيس غسان يومئذ (ثعلبة بن عمرو بن المجالد بن عمرو بن عدي بن مازن بن الأزد) . فرضيت غسان بأداء الخرج اليهم . فكانوا يجبونهم لكل رأس ديناراً، وديناراً ونصفاً، ودينارين في كل سنة على أقدارهم فلبثوا يجبونهم حتى قتل (جندع بن عمرو الغساني) جابي سليح، وهو سيط بن المنذر بن عمرو

١ Musil, Kusejr 'Amra, Wien, 1907, P. 130.

٢ مروج (٢٩/٢ وما بعدها) ، (٨٢/٢ وما بعدها) ، (طبعة دار الاندلس) .

ابن عوف بن ضجعم بن حياطة . فتنادت سليح بشعارها وتنادت غسان بشعارها . فالتقوا بموضع يقال له (المحفف) ، فأبارتهم غسان . وخاف ملك الروم أن يميلوا مع فارس عليه ، فأرسل الى ثعلبة ، فقال : أنتم قوم لكم بأس شديد وعدد كثير . وقد قتلتكم هذا الحي ، وكانوا أشد حي في العرب وأكثرهم عدة ولاني جاعلكم مكانهم ، وكاتب بيني وبينكم كتاباً : إن دهمكم دهم من العرب أمددتكم بأربعين الف مقاتل من الروم بأداتهم ، وإن دهمنا دهم من العرب فعليكم عشرون الف مقاتل على أن لا تدخلوا بيننا وبين فارس . فقبل ذلك ثعلبة ، وكتب الكتاب بينهم . فلذلك ثعلبة وتوَّجهُ . وكان ملك الروم يقال له (دقيوس)^١ .

وقد تحدث الأخباريون وأصحاب كتب الأمثال عن هذا الحادث في معرض كلامهم عن المثل : « خذ من جذع ما أعطاك » . وقد اتفقوا كلهم في اسم القاتل ، وهو منصوص عليه في المثل ، ولكنهم اختلفوا في اسم المقتول ، فقال بعضهم انه سبيط ، وقال آخرون : انه سبطة^٢ ، ويقول بعض آخر : انه كان رجلاً من الروم^٣ .

وقد زعم بعض أهل الأخبار ، ان اليوم الذي انتصر فيه الغساسنة على الضبجاعة هو (يوم حليلة) . وذلك أن الحرب لما ثارت بين الضبجاعة والغساسنة للسبب الذي ذكرته ، وقالوا « خذ من جذع ما أعطاك » ، كان لرئيس غسان ابنة جميلة يقال لها (حليلة) ، فأعطاهم خلوقاً لتخلق به قومها ، وانتصر الغساسنة بذلك اليوم على الغساسنة . فقالوا : « ما يوم حليلة بسر »^٤ .

ونسب ابن خلدون (سبطة) القتييل الى المنذر بن داوود^٥ ، ويظهر انه قصد (داوود اللثقي) . والى داوود ينسب دير داوود ، وذلك يسدل على انه كان نصرانياً^٦ ، كما أشرت الى ذلك قبل قليل .

وعندي أن (سبطة) هو (Aspehetos) (Aspehbet) (Aspatylatos) ،

١ المحبر (ص ٣٧٠ وما بعدها) ، حمزة (ص ٧٦) .

٢ ابن خلدون (٢٧٩/٢) .

٣ اليعقوبي (١٦٧/١) (طبعة النجف) .

٤ البلدان (٣٢٥/٢ وما بعدها) (طهران ١٩٦٥ م) .

٥ ابن خلدون (٢٧٩/٢) .

٦ غسان (ص ٧) ، الاصل الالمانى (ص ٨) .

الذي قيل إنه كان عاملاً (فيلارك) (Phylarch) عريباً من عمال الفرس ، فأغار على (الكورة العربية) (Arabia Provincia) ، وذلك في أواسط القرن الخامس للميلاد ، وأعلن نفسه عاملاً على الأرضين التي استولى عليها ، واعترف به وبأبنائه عمالاً عليها^١ .

وزعم المؤرخ حمزة أن أول ملك ملك من غسان هو جفنة بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء بن حارثة الفطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن ابن الأزد بن الغوث . وقد زعم انه ملك في أيام نسطورس ، وهو الذي ملكه على عرب الشام . فلما ملك ، قتل قضاة من سليح الذين يدعون الضجاعة ، ودانت له قضاة ومن بالشام من الروم ، وبني جلق والقرية وعدة مصانع ، ثم هلك . وكان ملكه خمساً وأربعين سنة وثلاثة أشهر^٢ .

وقد ابتدأ (حسان بن ثابت) بجفنة هذا في قصيدته التي افتخر فيها بنسبه^٣ . وبجفنة هذا سمي ملوك الغساسنة (آل جفنة) ، كما سُمِّيَ خصومهم (المناذرة) بـ (آل لحم) . وإلى هذا الرأي ذهب (الأصمعي) ، حيث قال : « وجفنة أول ملك ملك من غسان ، واليه تنسب ملوك غسان التي ذكرها حسان بن ثابت الأنصاري في شعره »^٤ . وقد نسب الأصمعي له وصية زعم أنه أوصى بها بنينه في كيفية السير بالناس ، وتسيير الملك^٥ .

وعند المسعودي ان اول من ملك من بني غسان بالشام الحارث بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن غسان بن الأزد بن الغوث ، ومن بعده الحارث بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو بن عامر بن حارثة ، وهو ابن مارية

Provincia Arabia, III, S. 286, Euthymii Vita, Ed : Cotelierius, Ecclesiae Graeca Monumenta, II, P. 221. ١

حمزة (ص ٧٦) ، (جفنة بن علي بن عمرو بن عامر) ، اليعقوبي (١٦٧/١) (طبعة النجف) (جفنة بن مزيقيا) ، ابن خلدون (٢٨١/٢) ، شرح ديوان النابغة الذبياني ، للبطليلوسي (ص ٦) ، التنبيه (ص ١٥٨) . ٢

أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل الأصمعي ، تاريخ ملوك العرب الاولى ، (ص ١٠٢) ، (محمد حسن آل ياسين) كجفنة والقمام عمرو بن عامر وأولاد ماء المزن وابني محرق . ٣

البرقوقي (ص ٢٨٧) . ٤
الأصمعي ، تاريخ ملوك العرب الاولى (ص ١٠٢) . ٥
المصدر نفسه (ص ١٠١) .

ذات القرنين^١ . أما ابن قتيبة ، فذهب الى ان أول من ملك منهم هو الحارث ابن عمرو المعروف بـ (محرق) . وسمي بمحرق لأنه أول من حرق العرب في ديارها ، وهو الحارث الأكبر ويكنى بأبي شمر^٢ .

وقد ذكر ابن دريد ان الحارث بن عمرو بن عامر ، (هو محرق) ، وهو أول من عذب بالنار^٣ . فأيد بذلك رواية من يرى انه أول من عذب وحرق الناس بالنار .

وذهب (محمد بن حبيب) الى أن أول من ملك من الغساسنة بالشام هو (ثعلبة بن عمرو بن المجالد بن عمرو بن عدي بن عمرو بن مازن بن الأزد) ، وذلك بعد فثك (جذع) بالضجاعة فعهد اليه ملك الروم (ديقوس) أمر تولي رئاسة عرب بلاد الشام ، وملكه وتوجسه ، فصار بذلك أول ملك من ملوك غسان^٤ ، على نحو ما ذكرته قبل قليل .

و (جفنة) الذي صيّرته حمزة أول من ملك من غسان ، هو (جفنة بن عمرو ، وهو مزيقيا بن عامر ماء السماء) . وقد نجل عمرو بن عامر على رواية ابن خلدون ، جملة أولاد ، منهم : جفنة ، والحارث وهو محرق ، وثعلبة وهو العنقاء (العنقاء) ، وحارثة ، وأبو حارثة ، ومالك ، وكعب ، ووادعة ، وعوف ، وذهل ، وواكل^٥ . فيكون جفنة على هذه الرواية أخاً للحارث بن عمرو الذي عدّه المسعودي وابن قتيبة أول من تملك من الغساسنة في ديار الشام . وتولى الحكم بعد جفنة على رواية حمزة ابنه عمرو بن جفنة ، وكان ملكه خمس سنين . ونسب حمزة اليه بناء عدة أديرة ، منها : دير حالي ، ودير أيوب ، ودير هند^٦ .

أما (الأصمعي) فقد أورد اسم (الحارث بن جفنة بن ثعلبة بن عمرو) ، بعد اسم (جفنة) . وقال عنه (وهو الحارث الأكبر) ثم ذكر له وصية وصى

-
- ١ مروج (٢٩٨/١) (طبع المطبعة البهية) .
 - ٢ المعارف (ص ٢٨٠) ، (ولد عمرو بن عامر الحارث . وهو محرق . وهو أول من عذب بالنار) ، الاشتقاق (ص ٢٥٩) .
 - ٣ الاشتقاق (ص ٢٥٩) .
 - ٤ المحبر (ص ٣٧١ وما بعدها) .
 - ٥ ابن خلدون (٢٧٩/٢) ، الاشتقاق (٢٥٩) .
 - ٦ حمزة (ص ٧٧) .

بها ابنه (عمرو بن الحارث) وهي وصية نظمها شعراً . وقد قال له فيها إن هذه الوصية هي وصية أبي لي ، وبها يا عمر أوصي وفيها الملك مرسوم^١ .

وأما (محمد بن حبيب) ، الذي جعل ثعلبة أول من ملك من الغساسنة ، فقد جعل الحكم للحارث بن ثعلبة من بعده ، ثم لابنه جبلة بن الحارث بن ثعلبة ، ثم لابنه الحارث ، وهو ابن مارية ذات القرطين ، ثم للنعمان بن الحارث ثم للمنذر ابن الحارث ثم للمنيذر بن الحارث ، ثم لجبلة بن الحارث^٢ .

وأما (ابن قتيبة) ، الذي جعل (الحارث بن عمرو بن محرق) أول ملوك آل غسان ، فقد وضع (الحارث بن أبي شمر) من بعده . وقال : انه الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر ، وأمه مارية ذات القرطين . وكان خير ملوكهم ، وأيمنهم طائراً ، وأبعدهم مغاراً . وكان غزا (خير) ، فسي من أهلها ، ثم أعتقهم بعد ما قدم الشام . وكان سار اليه المنذر بن ماء السماء في مئة ألف ، فوجه اليهم مئة رجل ، فيهم ليبد الشاعر وهو غلام ، وأظهر انه انما بعث بهم لمصالحته ، فأحاطوا برواقه فقتلوه ، وقتلوا من معه في الرواق ، وركبوا خيلهم فنجا بعضهم وقتل بعض وحملت خيل الغسانيين على عسكر المنذر فهزمهم ، وكانت له بنت يقال لها (حليلة) كانت تطيب أولئك الفتيان يومئذ وتلبسهم الأكفان والدروع وفيها جرى المثل : « ما يوم حليلة بسر » . وكان فيمن أسر يومئذ أسارى من بني أسد ، فأتاه النابغة ، فسأله اطلاقهم ، فأطلقهم ، وأتاه علقمة ابن عبدة في أسارى من بني تميم ، فأطلقهم اكراماً لشأنه . وفي جملة من أطلق حريتهم شأس بن عبدة شقيق علقمة^٣ .

وروى (ابن قتيبة) أيضاً ان (علقمة بن عبدة) قال في (الحارث بن أبي شمر) هذه الأبيات :

الى الحارث الوهاب أعلمتُ ناقتي بكلكلها ، والقُصْرَيْنُ وجيبُ
وفي كل حيٍّ قد خَبِطت بنعمة فحقّ لشأس من نذاك ذُنُوبُ

فقال الحارث : نعم وأذنبه^٤ .

١ الاصمعي ، تاريخ (١٠٣ وما بعدها) .

٢ المحبر (ص ٣٧٢) .

٣ المعارف (ص ٢٨٠) ، (ص ٦٤١ وما بعدها) ، (طبعة ثروت عكاشة) .

٤ المعارف (ص ٢٨٠) ، (ص ٦٤١ وما بعدها) ، (ثروت عكاشة) .

وزعم (ابن قتيبة) ان الذي ولي الملك بعد (الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر) ، هو ابنه (الحارث بن الحارث بن الحارث) ويسميه بالحارث الأصغر ابن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر . وكان له اخوة ، منهم : النعمان بن الحارث ، يقول ، وهو الذي قال فيه النابغة :

هذا غلام حسن وجهه مستقبل الخير سريع التام
للحارث الأكبر والحارث الأصغر والحارث الأعرج خير الأنام

وله يقول النابغة أيضاً ، وكان خرج غازياً :

إن يرجع النعمان نفرح ونبتهج ويأتي معداً ملكها وربيعها
ويرجع الى غسان ملك وسؤدد وتلك المني لو أننا نستطيعها^١

وقد وهم (ابن قتيبة) في (الحارث بن أبي شمر) إذ صيّرهُ الملك الثاني ، وجعله ابناً للحارث الأكبر ، في حين أنه (الحارث بن جبلة) الذي حارب المنذر بن ماء السماء ، وهو صاحب يوم حليمة . وهم في (الحارث الأصغر) أيضاً حين صيّرهُ في هذا المكان ، وجعله على هذا النسب ، ولابن قتيبة أوهام أخرى من هذا القبيل .

وتولى بعد عمرو بن جفنة ابنه ثعلبة على رواية حمزة ، وكان ملكه سبع عشرة سنة . ونسب اليه بناء عقة وصرح الغدير في أطراف حوران مما يلي البلقاء^٢ . وقد نسب البطليوسي اليه بناء صرح السدير في أطراف حوران مما يلي البلقاء . وذكر مثل حمزة أنه حكم سبع عشرة سنة^٣ .

ثم تولى من بعده (الحارث) ، وهو ابنه ، وكانت مدة ملكه عشرين سنة ، وذكر حمزة أنه لم يبن شيئاً . ثم ذكر من بعده (جبلة بن الحارث) ، وهو ابنه ، وحكم على روايته عشر سنين^٤ . وجعل (البطليوسي) مدة حكمه عشر سنين أيضاً^٥ .

١ المعارف (ص ٢٨٠) .

٢ حمزة (ص ٧٧) .

٣ البطليوسي (ص ٦) .

٤ حمزة (ص ٧٧) .

٥ البطليوسي (ص ٦) .

وجبله هو أول من يمكن أن نطمئن الى وجوده من ملوك الغساسنة كل الاطمئنان وهو (جيلس) (Jabalac) عند ثيوفانس . وقد ذكر عنه أنه غزا فلسطين حوالي سنة ٥٠٠ للميلاد^١ . ولا نعرف من أمر هذا الرجل شيئاً يستحق الذكر . وقد نسب حمزة والبطلوسي اليه بناء القناطر وأدرج والقسطل . وقالوا إنه حكم عشر سنين^٢ . وذكره (ابن دريد) على هذا النحو : « ومنهم جبله بن الحارث الملك . وهو ابن مارية التي يقال لها قرطامارية »^٣.

وجاء بعد (جبله) ابنه (الحارث بن جبله) ، الذي يمكن عدّه أول ملك نعرف من أمره شيئاً واضحاً يذكر من ملوك آل جفنة . وهو في نظر (نولدكه) (اريتاس) (Aretas) (Arethas) الذي ذكره المؤرخ السرياني (ملالا) (Malalas) . وقد ذكر انه كان عاملاً للروم^٤ . ويظن أن حكمه كان من حوالي سنة (٥٢٩) حتى سنة (٥٦٩) للميلاد تقريباً^٥ . وأرى ان حكمه كان قبل سنة (٥٢٩) للميلاد بقليل ، اذ ذكر أنه حارب (المنذر) (Alamundarus) في حوالي السنة (٥٢٨) للميلاد^٦ . ومعنى ذلك أنه ولي الحكم في هذه السنة ، أو قبلها بقليل .

وقد عرف الحارث هذا عند أهل الأخبار بـ (الحارث الأعرج) وبـ (الحارث الأكبر) .

وذكر حمزة والبطلوسي وآخرون أن والدة الحارث هي (مارية ذات القرطين ، بنت عمرو بن جفنة)^٧ . وذكر المسعودي ومحمد بن حبيب أنها (مارية بنت الأرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة) . واستدرك (محمد بن حبيب) على ذلك بقوله : « ويقال : بل هي مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية ابن ثور ، من كندة »^٨ . وهي أخت هند الهنود امرأة حجر الكندي ، وقد

-
- ١ غسان (ص ٨) ، Theophanes, 218, O'Leary, P. 164.
 - ٢ حمزة (ص ٧٧) ، البطلوسي (ص ٦) .
 - ٣ الاشتقاق (ص ٢٥٩) .
 - ٤ غسان (ص ٩) ، Malalas, (Malalas), 2, 166.
 - ٥ Provincia Arabia, II, S. 174, III, S. 285.
 - ٦ Provincia Arabia, III, S. 352.
 - ٧ حمزة (ص ٧٨) ، البطلوسي (ص ٦) .
 - ٨ المحبر (ص ٣٧٢) .

ضرب المثل بحسنها ، فقيل : « خذوه ولو بقرطي مارية » . وقالو : وكان في قرطيا ممتا ديناراً .

وذكر البطليوسي ان الحارث كان يسكن البلقاء ، وبها بنى (الحفير) ومصنعة بين (دعجان) وقصر أبير ومعان^٢ . وكان حكمه على رأيه عشرين سنة^٣ . وهو دون العدد الذي يقدره الباحثون لحكمه ، حيث قدر بأربعين سنة . إذ حكم على تقديرهم من حوالي السنة (٥٢٩) حتى السنة (٥٦٩) للميلاد^٤ .

ويشك بعض الباحثين في صحة نسبة الأبنية المذكورة الى الحارث ، اذ يرون أنها من عمل شخص آخر . غير أنهم يرون احتمال بنائه للقصر الأبيض في (الرحبة) . ولقصر الطوبة^٥ .

وجعل (ابن دزید) للحارث بن جبلة من الولد : النعمان والمنذر والمنيذر وجبلة وأبا شمر ، ذكر أنهم ملوك كلهم^٦ .

وذكر الأخباريون ان الحارث بن مارية الغساني ، كان قد اجتبي أخوين من بني نهد اسمهما حزن وسهل ، وهما ابنا رزاح ، فحسدهما زهير بن جنتاب الكلبي وسعى بهما لدى الحارث ، وأظهر له أنهما عين للمنذر ذي القرنين عليه حتى قتلها . ثم تبين له فيما بعد بطلان قول زهير ، فطرده من عنده . واسترضى الحارث والد القتيلين رزاح ، وأبقاه عنده ، فلم يطلق زهير على ذلك صبراً ، حتى تخلص منه بمكيدة انتهت بقتل الحارث له وبرجوع زهير الى ما كان عليه^٧ . وهي قصة من هذه القصص التي يرويها الأخباريون تشير الى معاصرة زهير للحارث وللمنذر الأكبر ذي القرنين ، أي المنذر بن ماء السماء .

وقد ذكر ملايا ان الحارث بن جبلة حاربت (المنداروس) (Alamundarus) (Alamoundros) أمير عرب الفرس ، وانتصر عليه في شهر نيسان من سنة (٥٢٨ م)^٨ ، وذكر معه اسم أميرين ، هما : (جنوفاس) (Jnophas) ،

- ١ المحبر (ص ٣٧٢) ، البرقوقي (ص ٣٠٩) .
- ٢ حمزة (ص ٧٨) ، البطليوسي (ص ٧) ، Provincia Arabia, II, S. 8.
- ٣ البطليوسي (ص ٧) ، حمزة (ص ٧٨) .
- ٤ Provincia Arabia, II, S. 174.
- ٥ Provincia Arabia, II, S. 174.
- ٦ الاشتقاق (٢٥٩) .
- ٧ الاغانى (١١٨/٥ وما بعدها) .
- ٨ غسان (ص ١٠) . Melalas, 2, 166.

و (نعمان) (Naaman) . ويرى (نولدكه) ان (جنوفاس) هو (جفنة) وهو اسم أحد الأمراء الجفنيين ، سمي باسم جفنة مؤسس تلك الأسرة . وأما نعمان فهو أيضاً اسم أمير من أولئك الأمراء الجفنيين^١ .

وقد تحدث الطبري عن الحرب التي وقعت بين المنذر بن النعمان ملك الحيرة ، والحارث بن جبلة ، الا انه وهم في اسمه فصيره (خالد بن جبلة) . وقال عن الحرب : « وقع بين رجل من العرب كان ملكه يخطيانوس على عرب الشام ، يقال له خالد بن جبلة ، وبين رجل من لحم ، كان ملكه كسرى على ما بين عمان والبحرين واليامة الى الطائف وسائر الحجاز ومن فيها من العرب ، يقال له المنذر بن النعمان نائراً ، فأغار خالد بن جبلة على حيز المنذر ، فقتل من أصحابه مقتلة عظيمة ، وغنم أموالاً من أمواله ، فشكا المنذر الى كسرى ، وسأله الكتاب الى ملك الروم في انصافه من خالد . فكتب كسرى الى يخطيانوس^٢ ، الا انه لم يحفل بكتاباته فغزا كسرى بلاده ، وتوغل فيها واضطر (يخطيانوس) عندئذ الى عقد صلح معه ، والى ارضائه .

ويرى (نولدكه) أيضاً ان هذا الحارث هو الحارث الذي ذكر عنه المؤرخ ملالا انه أخذ ثورة السامريين الذين ثاروا في فلسطين في سنة (٥٢٩)^٣ .

وقد ورد في تأريخ (بروكوبيوس) (Procopius) ان المنذر ملك العرب (سركينوى) (Sarakynou) الذين كانوا في مملكة الفرس ، لما أكثر من الغارات على حدود انباطورية الروم ، وعجز قواد الروم من أرباب لقب (Dux) (Duce) (Dux) وسادات القباب من أرباب لقب (فيلارخ) (Phylarchus) المحالفين للروم عن صده والوقوف أمامه ، رأى القيصر (يسطانانوس) (Justinianus) ان يمنح الحارث بن جبلة الذي كان يحكم عرب العربية (Arabia) لقب (ملك) ليقف بوجه (المنذر) (Alamoundaros) . وقد ذكر ان هذا اللقب لم يمنح لأحد من قبل . ولكن المنذر لم يرعو مع ذلك عن غزو الحدود الشرقية لبلاد الشام والعبث بها مدة طويلة من الزمن^٤ . وقد ذهب (نولدكه) الى أن هذه الحوادث

١ غسان (ص ١٠) .
٢ الطبري (١٤٩/٢ وما بعدها) (طبعة دار المعارف بمصر) .
٣ غسان (ص ١٠) ، O'Leary, P. 164, Malalas, 2, 180.
٤ Procopius, I, XVII, 43-48, J. B. Bury, II, P. 91.

كانت في سنة (٥٢٩ م)^١ .

وقد بلغ المنذر في هجومه على بلاد الشام أسوار (انطاكية) ، ولكنه تراجع بسرعة حينما سمع بمجيء قوات كبيرة من قوات الروم ، تراجع بسرعة أعجزت الروم عن اللحاق به^٢ . ويشك نولدكه في رواية بروكويوس بشأن منح الحارث لقب ملك ، ذلك لأن لقب ملك كان خاصاً بقياصرة الروم ، فلا يمنح لغيرهم^٣ . ويلاحظ أن بعض كتبة اليونان أطلقوا أيضاً لقب ملك على الأمراء العرب ، مثل (ماوية) ، فقد لُقبت بـ (ملكة) . ولم يستعملوا كلمة (فيلارخوس) (Phylarkos) (Phylarque) (Phylarcos) التي تعني العامل أو سيد قبيلة . وأما الكتبة السريان ، فقد لقبوا رؤساء القبائل العربية بلقب (ملك) في بعض الأحيان على نحو ما نجده في الشعر العربي^٤ . ولكن نولدكه يرى أن هذا الاستعمال لا يمكن أن يكون سنداً لأثبت أن الروم أطلقوا لقب ملك على الحارث أو على خلفائه رسمياً ، لأن الوثائق الرسمية لم تطلق هذا اللقب عليهم .

والذي صح إطلاقه من الألقاب على أمراء الغساسنة ، وثبت وجوده في الوثائق الرسمية ، هو لقب (بطريق) (Patricius) ، ولقب (عامل) أو سيد قبيلة (فيلارخوس) (Phylarchus) (Phylarkos) (Phylarcos) مقرونأً بنعت من النعوت التابعة له ، أو مجرداً منه ، كالذي جاء عن المنذر الذي حكم بعد الحارث بن جبلة البطريق الفائق المديح ، ورئيس القبيلة (فلارخوس المنذر) ، و (المنذر البطريق الفائق المديح) ، وما ورد عن الحارث (الحارث البطريق ورئيس القبيلة)^٥ .

ولقب (البطريق) من ألقاب الشرف الفخمة عند الروم ، ولذلك فلم يكن يمنح إلا لعدد قليل من الخاصة ، ولصاحبه امتيازات ومنزلة في الدولة حتى ان بعض الملوك كانوا يجتهدون للحصول على هذا اللقب من القيصر^٦ . وقد منح القيصر

١ غسان (ص ١١) .

٢ J. B. Bury, I, P. 81.

٣ غسان (ص ١٢) ، المشرق . السنة الاولى ، الجزء ١١ ، حزيران ١٨٩٨ (ص ٤٨٥) .

٤ غسان (ص ١٢) .

٥ غسان (ص ١٢ وما بعدها) .

٦ المشرق . السنة الاولى . الجزء ١١ ، حزيران ١٨٩٨ (ص ٤٨٥) .

(يسطنيانوس) (Justinianus) (الحارث) هذا اللقب ، وكذلك لقب (فيلارخ) فكان بذلك أول رجل من الغساسنة بمنح هذين اللقبين اللذين انتقلا منه الى أبنائه فيما بعد^١ .

ويلاحظ ان نص أبرهة الذي ذكر في جملة ما ذكره ان الحارث بن جبلة أرسل رسولا عنه الى مدينة مأرب ليهنئه بترميمه سد مأرب ، لم يدون كلمة (ملك) مع اسم الحارث ، ولكن ذكر (ورسل حرثم بن جبلة) ، أي : (ورسل الحارث بن جبلة)^٢ . فلم يلقبه بلقب (ملك) ، ويدل عدم اطلاق أبرهة لقب ملك على الحارث على انه اتبع الأصول الدبلوماسية المقررة عند البيزنطيين وان لقب ملك لم يكن لقباً رسمياً له مقررأ دولياً. وقد كان وصول رسول الحارث أو رسله في سنة (٥٤٢ م) .

ويتبين من رواية المؤرخين بروكوبيوس وملا ان الحارث بن جبلة كان قد اشترك في المعركة التي نشبت بين الفرس والروم في ١٩ نيسان سنة (٥٣١ م) ، وانتهت باندحار الروم ، وكان قائدهم (بليزاريوس)^٣ . وذكر ان الفرس أسروا رجلاً اسمه (عمرو) (Amros) ، وكان حائزاً على درجة (قائد) (Dux)^٤ .

وقد أثار تصرف الحارث في الحرب التي نشبت في سنة (٥٤١ م) بين الفرس والروم ، شك الروم في إخلاصه لهم ، والحذر منه ، اذ ما كان يعبر هذا الأمير نهر دجلة مع القائد بليزاريوس حتى بدا له فرجع الى مواضعه بعد أن سلك طريقاً آخر غير الطريق الذي اتبعه معظم الجيش دون أن يقوم بعمل يذكر في هذه الحرب^٥ . وهذا مما حمل الروم على الشك في صداقته لهم ، وجعلهم يحذرون منه ويراقبون حركاته ، خوفاً من انقلابه عليهم وإلحاقه الأذى بهم وانفاقه سراً مع الفرس .

وقد عاد النزاع فتجدد بين الحارث والمنذر حوالي سنة (٥٤٤ م) ، وانتهى

Provincia Arabia, II, S. 174.

١ راجع النص الموسوم Glaser 618.

٢ Musil, Palmyrena, P. 274, Procopius, I, 8.

٣ غسان

٤ Malalas, 2, 199.

٥ غسان (ص ١٨) . Malalas, 2, 202.

٥ غسان (ص ١٨) . Malalas, 2, 203, Procopius 2, 5, 16, 18.

Musil, Palmyrena, 266.

بسقوط ملك الحيرة قتيلاً في معركة حدثت في سنة (٥٥٤ م) ، على مقربة من (قنسرين) بالقرب من الحيار . وهذه المعركة هي معركة يوم حلينة على رأي تولدكه^١ . ويظهر أن المنذر كان قد هاجم بلاد الشام ، وتوغل فيها حتى وصل الى حدود قنسرين ، فصرع هناك . حدث ذلك في السنة السابعة والعشرين من حكم (يوسطينانوس) (Justinianus) على رواية ابن العبري .

وقد كان سبب اختلاف الحارث مع المنذر ، تنازعهما على ارض يطلق الروم عليها اسم (Strata) جنوب تدمر ، تمر بها الطرق البرية الموصلة الى بلاد الشام وهي من الطرق العسكرية المهمة ومرعى مهم للأعراب ، يرعى فيها أعراب العراق وأعراب بلاد الشام . وقد ألف (جستنيان) لجنة تحكيم ، لم تتمكن من فض النزاع . وقد اتهم الفرس أعداءهم الروم بأنهم يريدون الاتصال سراً بالمنذر ورشوته لتحريضه على القيام على الفرس^٢ .

وقد ذكر ابن العبري في أثناء كلامه على هذه الحرب أن (برحيرت) ، (Bar-Herath) أي (ابن الحارث) سقط قتيلاً في الحرب^٣ . وكان قد ذكر قبل كلمات ان المنذر بن النعمان ، لما هاجم منطقة (Rhomaye) وتوغل فيها ، نازله (الحارث بن جبلة) (Herath bar Gebala) بهجوم مقابل ، فهزمه وقتله في قنسرين . ثم ذكر ان ابن الحارث سقط قتيلاً في هذا الموضع . ويعرف هذا الولد باسم جبلة^٤ .

ونجد في شعر (حسان بن ثابت) إشارة الى (زمين حلينة) أي زمن حلينة^٥ . كما نجد في الأمثال (ما يوم حلينة بسر)^٦ ، دلالة على شهرة ذلك اليوم .

وكان الحارث من أنصار (المونوفستيين) (Monophysites) ، أي القائلين بوجود طبيعة واحدة في المسيح ، ويقال أنه سعى لدى الانباطورة (ثيودورة)

١ غسان (ص ٢٠)

٢ J. B. Bury, II, P. 92.

٣ Bar Hebraeus, Vol., I, P. 76.

٤ Michael the Syrian, Chronicle, (ED : Chabot), Vol., 4, PP. 323, Musil, Palmyrena, P. 144.

٥ البرقوقى (ص ١٤٦)

٦ كذلك (ص ١٤٦)

في تعيين (يعقوب البرادعي) ورفيقه (ثيودورس) ، أسقفين للمقاطعات السورية العربية . فنجح في مسعاه هذا في سنة (٥٤٢ - ٥٤٣ م) ، وبذلك وطد هذا المذهب في بلاده^١ .

ونسب المؤرخ السرياني (ميخائيل الكبير) الى الحارث محاورة جرت بينه وبين البطريق (افرام) (٥٢٦ - ٥٤٥ م) في السريانية أو اليونانية في طبيعة المسيح وفي مذهبه القائل بوجود طبيعة واحدة فيه . وهو مذهب (يعقوب البرادعي) المتوفي سنة (٥٧٨ م) . وقد صيغت الحكاية بأسلوب يفهم منه انه تغلب بأدب ولطف على خصمه البطريق^٢ .

ولمعارضة مذهب اليعاقبة أتباع يعقوب البرادعي لمذهب الكنيسة الرسمي للأنطاكية عدت الروم هذا المذهب من المذاهب المنشقة المعارضة فقاوموه وناضلوا أصحابه ولا سيما في أيام القيصر يوستينانوس ، باعتباره مذهباً من المذاهب المناهضة لسياسة الملوك والدولة ، كمعارضة الأحزاب السياسية في الزمن الحاضر^٣ ، الا ان الحارث سعى جهده في تخفيف حدة غضب الحكومة على رجال هذا المذهب ، ومن التقريب ما أمكن بين آراء رجال الكنيستين . ولجهود الحارث ومسعاه في حماية هذا المذهب ، فضل كبير ولا شك في بقائه ، وفي انتشاره بين السريان وعرب الشام^٤ .

وقد زار الحارث القسطنطينية في تشرين الثاني من سنة (٥٦٣ م) ، فاستقبل استقبالاً حافلاً . وأثر أثراً عميقاً في نفوس أهل العاصمة وفي رجال القصر والحاشية ، ويقال ان رجال البلاط كانوا يخرفون القيصر (يوستينوس) (Justinus) بعد خرفته بالحارث ، فكان يهدأ ويسكت روعه حين سماعه اسمه^٥ . والظاهر ان الغاية التي من أجلها ذهب الحارث الى القسطنطينية هي مفاوضة رجال الحكم فيمن سيخلفه على عرشه بعد وفاته من أولاده ، وفي السياسة التي يجب سلوكها تجاه عمرو

Franois Nau, Les Arabes Chrestiens, PP. 52.

المشرق ، المجلد ٣٤ (السنة ١٩٣٦) ، الجزء الاول (ص ٦١ وما بعدها) .

E. Gibbon, Der Sleg, S. 66.

المشرق . السنة الاولى . الجزء ١١ ، حزيران ١٨٩٨ ، (ص ٤٨٦) .

غسان (ص ٢٠) .

J. of Ephesus Eccl., 3, 2, O'Leary, P. 165, Huart, I, 60, Les Arabes Chrestiens,

PP. 58, Michel the Syrer, Chronique, I, II, P. 314.

ملك الحيرة^١ .

والى هذا الحارث قصد امرؤ القيس الكندي الشاعر ، ليوصله الى القيصر ليشكو له ظلامته ، ويطلب منه مساعدته في استرجاع حقه وأخذه بالثار حسب رواية الأخباريين . واليه تنسب أيضاً قصة مطالبة السموأل بن عاديا باعادة دروع امرئ القيس التي أودعها لديه في القصة الشهيرة التي يحكيها الأخباريون في معرض كلامهم على امرئ القيس وقصة السموأل والوفاء . وهناك جماعة من الأخباريين ترى ان الحارث الذي طالب بتسليم دروع امرئ القيس اليه ، هو شخص آخر اسمه الحارث بن ظالم^٢ . ولكنها لم تذكر الصلة التي كانت بين الحارث بن ظالم وامرئ القيس ، وحملته على المطالبة بتلك الدروع .

وقد ذكر (الجهمي) أن (الحارث بن أبي شمر الغساني) هو الذي طلب الى (السموأل بن عاديا) أن يدفع اليه سلاح (امرئ القيس) الذي استودعه عنده ، فأبى السموأل أن يسلمه اليه^٣ . وقد ذكر (أبو زيد الطائي) أنه زاره ونعته بأنه (الحارث بن أبي شمر الغساني ملك الشام) . وقد كان (أبو زيد) هذا « من زوآر الملوك ، والملوك العجم خاصة . وكان عالماً بسيرها »^٤ .

وقد تعرض (ابن قتيبة) لموضوع (امرئ القيس) ، فقال : « وكان امرؤ القيس في زمان أنو شروان ملك العجم ، لأنني وجدت الباعث في طلب سلاحه الحارث بن أبي شمر الغساني ، وهو الحارث الأكبر ، والحارث هو قاتل المنذر بن امرئ القيس الذي نصبه أنو شروان بالحيرة . ووجدت بين أول ولاية أنو شروان وبين مولد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أربعين سنة »^٥ . وذكر أيضاً ان « الحارث بن أبي شمر الغساني ، وهو الحارث الأكبر ، لما بلغه ما خلّف امرؤ القيس عند السموأل ، بعث اليه رجلاً من اهل بيته يقال له (الحارث بن مالك) وأمره ان يأخذ منه سلاح امرئ القيس ووداعه فلما انتهى الى حصن السموأل أغلقه دونه ، وكان للسموأل ابن خارج الحصن يتصيد فأخذه

-
- ١ غسان (ص ٢٠) .
 - ٢ الاغانى (٣٣١/٦ وما بعدها) .
 - ٣ طبقات الشعراء (ص ٧٠) .
 - ٤ طبقات الشعراء (ص ١٣٢) .
 - ٥ الشعر والشعراء (ص ٥٠) .

الحارث ، وقال للسموأل : إن انت دفعت إليّ السلاح وإلا قتلتك ، فأبى ان يدفع اليه ذلك . وقال له : اقتل أسيرك ، فإني لا ادفع اليك شيئاً ، فقتله ، وضربت العرب المثل بالسموأل في الوفاء^١ .

وذكر الأخباريون أن الحارث الأعرج - وهو في روايتهم هذه الحارث بن أبي شمر الغساني - غزا قبيلة تغلب ، وكان السبب الذي حمله على هذا الغزو مروره بجماعات منها لم تهتم به كما كان يجب ان يكون . وقد نصحه الشاعر (عمرو بن كلثوم) - على حدّ قولهم - بعدم غزوهم ، واعتذر عنهم اليه . ولكنه لم يأخذ بنصيحته ، فلما تقابل معهم ، انهزم مع قومه من غسان ، وقتل منهم عدد كثير كان في جملتهم أحد إخوة الحارث^٢ .

ويظن بعض الباحثين ان الحارث هو الذي أمر ببناء كنيسة الرصافة الكبرى لا الملك يوسنيانوس ، ذلك لأن المؤرخ (بروكويوس) لم يشر في أثناء كلامه على هذا القيصر الى أي أثر له في هذه المدينة، على حين أشار الى تسوير الحارث لها والى احترامه العظيم للقديس (سرجيوس) المدفون بها ، وهو قديس له منزلة كبرى في نفوس نصارى عرب الشام^٣ .

وينسب الى الحارث اصلاح ذات البين فيما بين قبائل طيء ، وكانت متخاصمة متحاربة ، فلما هلك عادت الى حربها، ووقع بينها يوم اليعاميم حيث دارت الدائرة فيه على جديلة من طيء ، ويعرف أيضاً بقارات حوق^٤ .

ومن الأمراء العرب الذين عاصروا الحارث بن جبلة ، أمير اسمه (أبو كرب ابن جبلة) ، لعله شقيق الحارث . وقد ورد اسمه في نص (أبرهة) ، حيث كان (أبو كرب) قد أرسل اليه رسولا^٥ لتهنئته بترميمه سد مأرب . والأمير (قيس) (Kalsus) وكان عاملاً على (فلسطين الثالثة) في حوالي سنة ٥٣٠ م . والأسود ، ويظهر انه كان قد تحارب مع الحارث^٥ .

١ الشعر والشعراء (ص ٤٦) ، (طبعة ليدن) .

٢ ابن الاثير (٢٢٢/١) .

٣ Rusafah, P. 12, Hertzfeld., I, S. 167.

٤ أيام العرب (٦٠) .

٥ غسان (ص ١٧ ملحوظة ٤٨) .

وعثر في إحدى الكتابات في حرّان على اسم أمير يدعى (شرحيل بن ظالم) يرى نولدكه انه أمير كندي ، لأن هذين الاسمين من الأسماء الشائعة في كندة ويرجع تأريخ هذه الكتابة المدونة باليونانية والعربية الى حوالي سنة (٥٦٨ م) . وقد دُوِّنت عند تدشين هذا العامل بناءً اقامه للقديس يوحنا المعمدان ، فيكون (شرحيل) شرحيل اذن من المعاصرين للحارث بن جبلة^١ . ويستنتج نولدكه من ذلك ان عدداً من المشايخ ظلوا يتمتعون بسلطانهم حتى بعد تألق نجم آل غسان. ويرى ان ذلك مما يوافق سياسة الروم الذين لم يكن من مصلحتهم ظهور أمير واحد قوي وإنما كان من مصلحتهم وجود جملة امراء متنافسين ، ليتمكنوا بذلك من السيطرة عليهم جميعاً بضرب بعضهم ببعض^٢ .

وقد دعي الأمير المذكور بـ (Asaraelus) ودعي أبوه بـ (Talemus) وكان يحكم (اللجاة) ، فيظهر من ذلك ان إمارات كانت تنافس اماراة الغساسنة في هذا العهد^٣ .

وقد توفي الحارث في سنة (٥٦٩ م) او (٥٧٠ م) على رأي نولدكه ، استنتج ذلك من ورود اسمه في الوثائق الكنسية التي يعود تأريخها الى سنتي (٥٦٨ و ٥٦٩) ، والى ربيع سنة (٥٧٠ م) حيث حل اسم ابنه المنذر في محله ، فاستدل من هذا التغيير على أنه توفي في هذا الزمن^٤ .

وقد حكم (المنذر) من سنة (٥٦٩ - ٥٧٠ م) حتى سنة (٥٨١ م) ، على تقدير بعض الباحثين^٥ .

وقد عرف المنذر بـ (Alamoundaros) (Alamundaros) عند اليونان والسريان وقد استهل حكمه بالحرب مع ملك الحيرة قابوس . والظاهر ان عرب الحيرة كانوا هم البادئين بها ، فانتصر عليهم في يوم ٢٠ أيار (مايس) من سنة ٥٧٠م^٦.

١ غسان (ص ١٧) ،

Waddington, Inscriptions Grecques, 3, P. 563, ZDMG., 38, 53.

٢ غسان (ص ١٦) ، النص الالمانى (ص ١٦) .

٣ Provincia Arabia, III, S. 268, Waddington 2464, Nöldeke, S. 13, Anm : 2.

٤ غسان (ص ٢٥) .

٥ Die Araber, I, S. 10.

٦ غسان (ص ٢٥) . Land : I, 13.

ثم انتصر عليهم في معركة أخرى فيما بعد^١ . ويرى نولدكه ان المعركة الأولى هي عين أباغ^٢ .

والمنذر هو أبوكرب الذي ذكر اسمه في نص سرياني عثر عليه في إحدى ضواحي تدمر ، وهو نص ديني ورد فيه اسم الأسقفين يعقوب وثيودور ، وهما : يعقوب البرادعي وصاحبه^٣ .

لقد حدث سوء تفاهم بين القيصر (يسطينوس) (Justinus) وبين المنذر تطور حتى صار قطيعة . ولما أحس المنذر بأن القصر قد دبّر له مؤامرة ، وأنه أمر عامله البطريق (مرقيانوس) (Marcianus) بأن يحتال عليه ليقتله ، تمرد على الروم ، وغادر أرضهم الى البادية . فانتهاز عرب الحيرة هذه الفرصة المؤاتية فأمعنوا في غزو بلاد الشام ، وابقاع العرب في نفوس سكان القرى المجاورة لهذه الحدود مما حمل الروم على مراسلة المنذر والتودد اليه لاسترضائه ، حتى اذا ما تلطف الجو أرسلوا اليه البطريق (يوستينيانوس) ليجتمع به في مدينة الرصافة عند قبر القديس (سرجيوس) لاقتاعه بترك موقفه والموافقة على العودة الى محله . وعند القبر المقدس عقد الصلح بينها في صيف سنة (٥٧٨ م) . فعاد المنذر الى أرضه ، ليقوم بالدفاع عن حدود الشام^٤ .

وقد أشار ابن العربي الى هذا الحادث ، فذكر أن العرب (طياية) كانوا منقسمين الى جاعتين : جماعة المنذر بن الحارث (منذر برحيرت) (Mundar bar Herath) ، وكان نصرانياً وكذلك كان جنوده وجماعة قابوس ، فهاجم قابوس وجنوده العرب النصارى ، وقصد بذلك الغساسنة ، واستاق ما وجده أمامه من ماشية ، ثم قفل الى بلاده . فلما رأى المنذر ما حدث ، جمع جيشاً هجم به على قابوس ، فتغلب عليه ، ورجع بفنائم عديدة وعدد كبير من الابل . وعاد قابوس فهاجم المنذر ، غير أنه مُني بهزيمة ثانية اضطرتته الى طلب النجدة من الفرس . فأخبر القيصر يسطينوس بذلك ، وطلب منه امداده بالمال ليؤلف به جيشاً يقف أمام الفرس ، فاستاء القيصر منه ، وقرر التخلص منه بقتله ، لظنه

J. of Ephesus, 6, 3.

١ غسان (ص ٢٧ وما بعدها) ، Provincia Arabia, III, S. 355.

٢ غسان (ص ٢٧) ، Provincia Arabia, II, S. 174.

٣ غسان (ص ٢٦) ، J. of Ephesus, 6, 3-46, Provincia Arabia, II, S. 174.

أنه كان السبب في غزو الفرس لـ (Rhomaye) وكتب الى عامله مرقيانوس وكان معسكراً يومئذ في منطقة (نصيبين) (Nisibis) أن يربص بالمنذر فيقبض عليه ، ويقطع رأسه . وقد أخطأ كاتب الرسالة ، فأرسل الرسالة الخاصة بالطريق مرقيانوس الى المنذر ، وأرسل الرسالة الخاصة بالمنذر الى الطريق . فلما قرأ المنذر الكتاب وعرف بما أراد القيصر أن يفعله به ، غضب غضباً شديداً ، وتصالح مع قابوس ، وصاروا يهاجمان بلاد الشام . فظن يسطينوس ان مرقيانوس قد خانه ، وانه أخبر المنذر بالمؤامرة ، فأمر بالقبض عليه ، وحبسه ولما صار (طيباريوس) (Tiberius) قيصراً ، ذهب المنذر الى القسطنطينية ، فلامه القيصر على ما صنع ، ولكنه قدره واحترمه كثيراً حينما أراه رسالة يسطينوس التي أراد توجيهها الى عامله لاغتيال المنذر ، وأنعم عليه بهدايا كثيرة ، وأطاف سنّة ، ثم عاد مكرماً الى مركزه السابق^١ .

لقد قام المنذر بالزيارة المذكورة للقسطنطينية في اليوم الثامن من شباط سنة ٥٨٠م مصطحباً معه ابنين من أبنائه . فلما بلغها ، استقبل بكل احترام وتبجيل ، وأنعم القيصر (طيباريوس) (Tiberius) عليه بلقب (Rex) وبالتاج وهو لقب كان له شأن كبير في انبراطورية الروم . ويرى نولدكه ان الروم لم يمنحوا عمالهم العرب على بلاد الشام من قبل الا (الاكليل) ، ودرجته دون درجة (التاج)^٢ . وقد أغدق القيصر عليه بالهدايا الثمينة النفيسة ومن بينها مصوغات من ذهب وفضة ، مما لم ينعم به على أي ملك عربي من قبل . كما أنعم على ولديه بدرجات عسكرية^٣ .

وكان المنذر مثل والده من القائلين بمذهب (الطبيعة الواحدة) والمدافعين عنه ، ولذلك انتهز فرصة وجوده في القسطنطينية ، فسعى في اقناع رجال القصر بالتسامح مع رجال مذهبه والصفح عنهم . ويظهر انه عقد هناك مجمعاً في اليوم الثاني من شهر آذار سنة (٥٨٠ م) لمعاوضة هذا المذهب والدفاع عنه ، كما اتصل بالبطاركة للتوفيق بين رجال الكنيستين ، غير انه خابت مساعيه بالرغم من اظهار البطاركة رغبتهم في ذلك وعدم ممانعتهم فيه^٤ .

١ Bar Hebraeus, Vol., I, P. 80, 82.

٢ J. of Ephesus, 4, 39, 42, P. 265, 271. غسان (ص ٢٦)

٣ J. of Ephesus, 4, 39, P. 265, 4, 43, P. 271, Provincia Arabia, II, P. 174, Die Araber, I, S. 10.

٤ غسان (ص ٢٧) ، المشرق ، السنة ٣٤ - ١ (ص ٦٤) ، السنة ١٩٣٦ ، J. of Ephesus, 4, 40, Les Arabes Chrestiens, P. 63, Die Araber, I, S. 10.

وقد ذكر ان المنذر بنى صهاريج لايصال الماء الى الرصافة مدينة القديس (سرجيوس) ذي المكانة العظيمة عند عرب الشام . وظهر من كتابة عثر عليها في أنقاض كنيسة في الرصافة ان المنذر بنى أو جدّد بناء تلك الكنيسة . وأما بناؤها فهو على الطراز البيزنطي^١ .

ولم تمنع قدسية مدينة الرصافة الأعراب ، ولا سيما أعراب العراق من التحرش بها ، فغزتها مراراً ، وأخذت قبيلة تغلب صورة القديس بعد عودتها من غزو المدينة^٢ ، وهدم أهل الحيرة صهاريج المدينة مراراً ، ولحابتها من الهجمات أحاطها القيصر (يوستينانوس) بسور قوي ، بدلاً من سورها القديم^٣ .

وذكر ان المنذر لما كان في القسطنطينية طلب من البيزنطيين مساعدته في بناء قصر يكون أعظم قصر غساني بُني حتى أيامه ، وذلك بأن يرسلوا اليه أحسن الممارين والبنّائين الحاذقين . فلبى البيزنطيون طلبه فأمدوه بما يحتاج اليه من معمارين ومن مواد بناء. ومن أبنيته الخربة المعروفة اليوم بناء يعرف باسم (البرج). وقد عثر على اسمه مدوناً على حجارة من ذلك البناء^٤ .

ولما حاول الروم غزو حدود الفرس في سنة (٥٨٠ م) ، وجلبوا الجسر المنصوب على نهر الفرات مهدّماً ، فاضطروا الى التراجع وترك الغزو . وكان المنذر معهم في هذه الحملة ، فذهبوا الى ان المنذر كان على اتفاق سري مع الفرس ، وانه هو الذي أوعز بهلم الجسر ، ليكتب للحملة الاخفاق ، وقرروا القبض عليه والايقاع به ، انتقاماً منه للخيبة التي منوا بها . ولما عاد المنذر فغزا أرض الحيرة بنفسه فيما بعد ملحقاً بالمدينة أذى كثيراً ، جاعلاً اياها طعمة للنيران ، اتخذ الروم هذه الغزوة دليلاً على تحدي المنذر لهم ، ورغبته في الخروج على طاعتهم، فقرروا الانتقام منه بقتله، فأصدروا الى حاكم بلاد الشام (مكنوس) (Magnus) صديق

^١ Kirchengeschichte., V, S. 315, H. Gelzer, in Byzantinischer Zeitschrift, I, 1892, S. 245. Les Arabes Chrestiens, P. 69, Musil, Palmyrena, PP. 165, 264, 323.

^٢ ديوان الاخطل (ص ٣٠٩) ، (طبعة الصالحاني) ،
Musil, Palmyrena, PP. 263, 267.

^٣ Musil, Palmyrena, P. 264, Rusafah, P. 12.

^٤ Provincia Arabia, II, P. 175.

^٥ Wetzstein, NO : 173, Waddington 2562C, Provincia Arabia III, S. 200.

المنذر أمراً سرياً بالعمل على قتله . وصادف ان الروم كانوا قد انتهوا من بناء كنيسة في (حوارين) ، وقد عزم (مكنوس) على تدشينها ، فكتب يدعو صديقه الى الاحتفال بذلك . فلما كان على مقربة منه ، قبض عليه وأرسله مخفوراً الى العاصمة حيث أجبر على الإقامة فيها مع احدى نساؤه وبعض أولاده وبناته ، وذلك في أيام القيصر طباريوس وفي ابتداء السنة (٥٨٢) للميلاد . ولما انتقل العرش الى موريقيوس ، وكان بكرهه ويعاديه ، أمر بتفجيرا الى صقلية وبقطع المعونة التي كان الروم يدفعونها الى الغساسنة في كل عام^١ .

وقد لقب حمزة المنذر بلقب الأكبر ، وجعل مدة حكمه ثلاث سنين ، ونسب اليه بناء (حربا) وموضع (زرقا) على مقربة من الغدير^٢ . وقد أخطأ (حمزة) في مدة حكم المنذر ، إذ هي تزيد على تلك المدة ، فقد حكم على رأي الباحثين من سنة (٥٦٩) حتى سنة (٥٨٢) للميلاد^٣ .

أثار عمل الروم هذا ثائرة أبناء المنذر ، فتركوا ديارهم ، وتحصنوا بالبادية ، وأخذوا يهاجمون منها حدود الروم ملحقين بها أذى شديداً ، فاضطر القيصر على أثره أن يوعز إلى القائد (مكنوس) بتجهيز حملة من أبناء المنذر ألحق بها أحد إخوة المنذر . وكان قد أعد ليتولى مقام أخيه ، غير انه توفي بعد أيام . ولما كان من الصعب على الروم مهاجمة أبناء المنذر في البادية ، عمد القائد الى المكيدة فأرسل الى النعمان كبير أبناء المنذر انه يريد مقابلته للاتفاق معه على وضع شروط للصلح . وقد ظن الأمير أن القائد صادق فيما دعا اليه فذهب لمقابلته ، فقبض الروم عليه ، وأرسلوه مخفوراً الى العاصمة حيث حجروا فيها عليه^٤ .

وكان موضع (حوارين) في جملة المواضع التي هاجمها النعمان بعد ارتحال (مكنوس) عنها ، وقد استولت عساكره عليها ، وقتلوا بعض أهلها، وأسروا قسماً من الباقين، ثم عادوا بغنائم كثيرة الى البادية للاحتماء بها من هجمات الروم^٥ .

-
- ١ غسان (ص ٣٠ وما بعدها)
Evagrius, 6, 2, Bar Hebraeus, Vol., I, P. 82, J. J. of Ephesus, Eccl. His., III, PP. 40, 42, 54, Provincia Arabia, II, P. 175.
 - ٢ حمزة (ص ٧٨) ، البطلبيوسي (ص ٧)
Provincia Arabia, II, S. 174.
 - ٣ غسان (ص ٢٢ وما بعدها)
Evagrius, 6-2.
 - ٤ Musli, Palmyrena, P. 38.

وذكر ابن العبري ان النعمان لما بلغت رسالة القائد ماكنوس لم يذهب اليه ، وإنما أرسل اليه بعض الشبان وأمره أن يتظاهر له بأنه هو النعمان . فلما وصل الشاب الى القائد ، سأله : أنت النعمان ؟ فقال له : نعم ، جئتك بحسب أمرك ، فقال القائد لمن معه : أقبضوا على عدو الملك ، وقيدوه بالحديد . ولما تبين للقائد أنه لم يكن النعمان ، همّ بقتله ، ثم أمر باخراجه ، فعاد الى أهله . وتوفي ماكنوس بعد ذلك بأمد قصير^١ .

ويدعي ابن العبري أن النعمان ذهب بعد ذلك الى (موريقيوس) (Mauricius) واعتلر اليه ، وبين له أنه إنما حارب مع الفرس ليتمكن بذلك من انقاذ والده من الأسر . ولما طلب منه (موريقيوس) أن يدخل في المذهب الخلقيدوني ، أجابه ان جميع القبائل العربية (طياية) هي على المذهب الحنيف (الأرثوذكس) (Orthodox) ، وانه اذا بدل مذهبه لا يأمن على نفسه من القتل . ولما قفل راجعاً ، قبض عليه ونفي^٢ .

لقد تصدّع بناء الغساسنة وتفكك ، وانقسم الأمراء على أنفسهم ، وذلك حوالي سنة (٥٨٣) أو (٥٨٤ م) على تقدير نولدكه . ويشير ميخائيل السوري وابن العبري الى أنهم انقسموا بعد القبض على النعمان الى خمس عشرة فرقة تركت بعضها ديارها فهاجرت الى العراق وتشتت الباقون ، ولم يبق لهم شأن يذكر . ولم يشر الكتبة السريان أو البيزنطيون الى ملك الغساسنة بعد هذا الحادث^٣ ، وهو أمر يؤسف له غاية الأسف . اذ حرمتنا بذلك من الحصول على وثائق مهمة تساعدنا في معرفة تأريخ عرب الشام .

وقد عقب هذا التصدع حدوث اضطراب في الأمن وفوضى بين القبائل التي أخذت تتنافس بينها للحصول على الرئاسة والسيادة ، ولخطورة مثل هذه الأحوال بالنسبة الى الروم وسلامة الحدود ، كان هذا مما حمل البيزنطيين على التفكير في اختيار رئيس قوي من سادات القبائل المتنافسين ليقوم بضبط هذه القبائل واعادة الأمن الى نصابه وحماية الحدود من هجمات عرب الحيرة^٤ .

Bar Hebraeus, Vol., I, P. 82. ١

Bar Hebraeus, I, P. 82. ٢

غسان (ص ٣٣ ، ٣٥) . ٣

Nöldeke, S. 31, Ency., II, P. 143. ٤

ولم يشر الأخباريون الى هذا الحادث ، ويظهر انهم لم يعرفوه . وقد ذكر حزة ان الذي حكم بعد المنذر هو شقيقه النعمان . وقد جعل مدة حكمه خمس عشرة سنة وستة أشهر .

وزاد في ربك وضع الغساسنة وفي انقسامهم على أنفسهم ، غزو الفرس لبلاد الشام سنة (٦١٣ - ٦١٤ م) ، فقد اكتسح الفرس كل بلاد الشام ، وصار عرب بلاد الشام أمام حكام جدد ، لم يألفوا حكمهم من قبل ، ولكن ألفوهم دائماً في جانب عرب الحيرة أعداء الغساسنة ومنافسيهم .

وقد تمكن الغساسنة من رؤية وجوه البيزنطيين مرة أخرى وذلك في حوالي سنة (٦٢٩ م) ، فقد تمكن البيزنطيون من طرد الفرس من الأرضين التي استولوا عليها ومن إجلالهم نهائياً عنها ، وإعادة فرض حكمهم عليها ، غير أن الأقدار أبت ان تبقوهم هذه المرة مدة طويلة في بلاد الشام ، فأكرهتهم على فتح أبوابها للإسلام ، فتساقطت مدنها في أيدي المسلمين تساقط ورق الشجر في أيام الخريف . وصارت دمشق درة بلاد الشام من أهم حواضر الاسلام . أما ملك الغساسنة ، فقد ولى ، ولم يبق للغسانيين حكم في هذه البلاد منذ هذا الزمن .

وقد خمد اسم رؤساء غسان في الموارد اليونانية والسريانية منذ قبض على النعمان ، فعُدنا لا نجد في تلك الموارد شيئاً يذكر عنهم . وفي سكوت هذه الموارد عن ايراد أخبارهم ، دليل على زوال شوكتهم وهيبتهم وعدم اهتمام الروم بأمرهم ، حيث ضعف أمرهم بسبب تفرق كلمتهم وتنازعهم بينهم . أما الموارد الاسلامية ، فإنها بقيت تذكر أسماء رجال منهم زعمت انهم ملكوا وحكموا ، بل زعمت أن بعضهم حكموا دمشق ، وبقيت تذكر أسماءهم الى أيام الفتح الاسلامي . ومن هذه الموارد تأريخ حزة الاصفهاني ، الذي استمر يذكر أسماء من ملك من آل غسان حتى انتهى بآخرهم وهو جبلة بن الأيهم . وفي هذه الأسماء تكرار وزيادات ، لذلك زاد عدد من ذكرهم من ملوك غسان على عدد ما ورد عند سواه من المؤرخين .

وأنا لا أستطيع أن اوافق حزة على العدد المذكور ، واخالفه في مدد حكمهم

١ حمزة (ص ٧٨) ، البطليوسي (ص ٧) .

وفي ترتيبهم على النحو المدون في تأريخه . فالذين ذكرهم على أنهم ملوك لم يكن مجال حكمهم كبيراً واسعاً، وهم لم يكونوا في الواقع إلا سادات بيوت أو سادات عشائر منشقة ، تمسكت باللقب القديم الموروث : لقب ملك . وقد كان بعضهم يعاصر بعضاً ، ويدعي الرئاسة لنفسه ، وذلك بسبب تخصمهم ، ولهذا كثرت أسمائهم في قائمة حمزة . وقد انحسر مدّ حكمهم وانكمش فاقصر على البوادي، ولا يتعارض ذلك بالطبع مع ورود أخبار بسكناهم في قصورهم عند أطراف المدن ومشارف القرى ، فإن سادات القبائل في هذا اليوم أيضاً يحكمون القبائل ويعيشون في قصور في المدن ، وهم لا يحكمون المدن بالطبع .

والذي يظهر من روايات أخرى من روايات أهل الأخبار من غير حمزة ان أبيين رجل من غسان ظهر بعد النعمان ، هو (الحارث) المعروف بـ (الأصغر) ثم (عمرو بن الحارث) ، وهو الذي مدحه (النابعة) ، ثم (النعمان بن الحارث) وهو شقيق (عمرو) ، وقد مات مقتولاً كما يظهر ذلك من شعر للنابعة الذياني ، ثم (شرجيل بن عمرو الغساني) ، و (جبلة بن الأيهم) .

ولما كنا قد سرنا على قائمة حمزة في ترتيب الملوك ، فاننا نجاريه في ترتيبه لهم فنذكر أسماء من حكم الغساسنة بعد النعمان على وفق هذه القائمة ، فنقول :

حكم بعد النعمان على رواية حمزة وآخرين (المنذر بن الحارث) أي شقيق المنذر والنعمان ، وجعل حمزة مدة حكمه ثلاث عشرة سنة ، ولقبه بلقب (الأصغر) وكنّاه بـ (أبي شمر)^١ .

وتولى بعده على رواية حمزة أخوه جبلة ، وجعل منزله بـ (حارب) ونسب اليه بناء (قصر حارب) و (محارب) و (صنيعة) ، وكانت مدة حكمه على رأيه أربعاً وثلاثين سنة^٢ .

وحكم بعد جبلة على رواية حمزة أخوه الأيهم . وقد حكم على رأيه ثلاث سنين ونسب اليه بناء (دير ضخم) و (دير النبوة) و (دير سعف)^٣ .

ثم انتقل الحكم على رواية حمزة أيضاً الى عمرو ، وهو أيضاً على رأيه أحد

١ حمزة (ص ٧٨) ، المحبر (ص ٣٧٢) .
٢ حمزة (ص ٧٨) ، البطلاني (ص ٧) .
٣ حمزة (ص ٨٧) .

أبناء الحارث بن جبلة . وقد حكم ستاً وعشرين سنة وشهرين ، وذكر انه نزل
السدير ، وبني قصر (الفضا) (قصر الفضة) و (صفاء العجلات) و (قصر
منار)^١ .

وعمره هذا هو الذي مدحه النابغة الذبياني، وقد كان متكبراً دميماً قبيح السيرة
أنشأ في دمشق وضواحيها - على حد قول أهل الأخبار - عدة قصور شائعات ،
منها : قصر الفضة ، وقصر (صفات العجلات) ، وقصر منار . وقد صور
في بعض هذه القصور مجالسه وجلساءه ورؤساء دولته ، وأشكال صورته .
ثم اتعظ وتغير على أثر شعر قاله له عمرو بن الصعق العدواني ، وكان قد أسر
الأمير أخته ، وحسنت سيرته ومات بعد أن حكم ستاً وعشرين سنة^٢ .
ويقول أهل الأخبار إن من قديم الشعر الذي قاله النابغة في مدح عمرو بن
الحارث ، قصيدته البائية التي يقول في جملة ما يقول فيها :

عليّ لعمره نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب

وقد أوغل فيها في مدح الغساسنة وفي ذكر ملوكهم ، وهي من عيون شعره .
وقد قال هذا الشعر حينما اختلف مع النعمان بن المنذر في موضوع الشعر الذي
وصف به زوجة النعمان (المتجردة) ، وصفاً استغله أعداؤه ، فوشوا به الى
النعمان ، فهرب منه ، وانحاز الى خصومه آل غسان . ولجأ الى زعيمهم في تلك
الأيام ، وهو (عمرو بن الحارث)^٣ .

وللنابغة أشعار أخرى في مدح (عمرو بن الحارث بن أبي شمر الغساني) ،
في جملتها أبيات يعتذر للنابغة فيها اليه من وشاية أثارت حنق عمرو عليه ، فنظمها
في استرضائه ، وقد ذكر فيها انه اكرمه وجابه بمئة من الابل ، وانه يریش قوماً
ويبري آخرين ، وانه يجزي الناس على أفعالهم^٤ .
ونجد في قصيدة للنابغة مطلعها :

أهاجك من أسماء رسم المنازل بروضته نعي فذات الأجاول

١ حمزة (ص ٨٧) .

٢ البطليوسي (ص ٧) .

٣ ديوان النابغة الذبياني (ص ٩ وما بعدها) ، (بيروت ١٩٢٩) .

٤ ديوان النابغة (ص ٤٦) (بيروت ١٩٢٩) .

خبر غزو قام به (عمرو بن الحارث) لبني مرة ، وقد أوجعهم فيها على ما يظهر من هذه القصيدة^١ .

هؤلاء الستة الذين ذكرهم حمزة بعد الحارث بن جبلة ، هم أبناؤه إذن ، وقد حكموا على زعمه بالتعاقب دون فترة . ثم نقل الحكم من عمرو الى رجل دعاه جفنة الأصغر ، وهو على رأيه ابن المنذر بن الحارث . ولم يذكر أي منذر قصد . وذكر أنه كان سيطرة جَوَّاباً . ثم هلك ، وكان ملكه ثلاثين سنة^٢ .

وحكم بعد جفنة الأصغر على رواية حمزة النعمان الأصغر بن المنذر الأكبر . حكم سنة واحدة ، ولم ينسب اليه بناء ما^٣ .

ثم انتقل الحكم على زعم حمزة الى النعمان بن عمرو بن المنذر ولم يكن أبوه عمرو على رأي حمزة ملكاً ، وإنما كان غازياً يغزو بها بالجيوش ، وكان ملكه سبعة وعشرين سنة ، ونسب اليه بناء (السويداء) و (قصر حارب)^٤ .

وذكر حمزة ان (عمرو) المذكور ، أي والد النعمان على زعمه ، هو الذي مدحه النابغة بقوله :

على لعمرو نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب

وذكر انه ، أي النابغة (ذكر أباه المنذر بقوله)^٥ :

وقصر بصيداء التي عند حارب

وقد أخطأ حمزة في ذهابه الى أن الشخص المدوح هو (النعمان بن عمرو) ، فان رواية هذا الشعر يذكرون ان الملك المدوح الذي قصده النابغة بمدححه ، هو (عمر بن الحارث بن أبي شمر) المتقدم ذكره ، وهو شقيق (النعمان بن الحارث ابن أبي شمر) الذي مدحه النابغة كذلك ، وكانت له صلات حسنة وثيقة به^٦ .

١ ديوان النابغة (ص ٨٥) (بيروت ١٩٢٩ م) .

٢ حمزة (ص ٧٨) .

٣ حمزة (ص ٧٩) .

٤ حمزة (ص ٧٩) .

٥ حمزة (ص ٧٩) .

٦ ديوان النابغة (ص ٩ وما بعدها) .

وجعل حمزة بعد النعمان ابنه جبلة وزعم ان منزله ب (صفتين) ، وانه صاحب (عين أباغ) ، وقاتل المنذر بن ماء السماء ، وكان ملكه ست عشرة سنة^١ .

ثم ملك - بعد جبلة - النعمان بن الأيهم بن الحارث بن مارية ، وكان ملكه لإحدى وعشرين سنة لم يحدث خلالها على حد قول حمزة شيء ، فتولى من بعده النعمان بن الحارث ، وهو الذي أصلح صهاريج الرصافة ، وكان بعض ملوك لحم خربها ، وكان ملكه ثمانى عشرة سنة^٢ .

ويرى (الويس موسل) ان النعمان هذا كان قد حارب الفرس من حوالي سنة (٦٠٤) حتى سنة (٦١٦م) ، وانه قد احتفى مراراً بأسوار الرصافة . وبهذه المناسبات على ما يظهر قام بترميم صهاريج المدينة لحزن الماء^٣ .

وذكر حمزة اسم (المنذر بن النعمان) بعد النعمان بن الحارث ، وهو ابنه . قال : ولم يحدث شي في أيامه ، ثم هلك وكان ملكه تسع عشرة سنة^٤ .

ثم صار الحكم من بعده - على رأي حمزة - الى عمرو بن النعمان . وهو شقيقه ولم يحدث شيئاً في أيامه ، ثم هلك ، وكان ملكه ثلاثاً وثلاثين سنة وأربعة أشهر^٥ . ثم انتقل الحكم الى حجر بن النعمان ، وهو شقيق عمرو ، وجعل حمزة ملكه اثني عشرة سنة . ثم صير الملك الى ابنه من بعده ، وهو الحارث بن حجر . وجعل ملكه ستاً وعشرين سنة^٦ .

وصير حمزة الملك الى جبلة بن الحارث ، بعد وفاة والده (الحارث بن حجر). وجعل مدة حكمه سبع عشرة سنة وشهراً واحداً^٧ .

ثم صير حمزة الحكم الى (الحارث بن جبلة) ، وهو على رأيه ابن الملك المتوفى (جبلة بن الحارث) . وذكر حمزة أنه يسمى أيضاً ب (الحارث بن أبي شمر) ، وهو الذي أوقع ببني كنانة ، وكان يسكن الجابية . وكان ملكه

- | | |
|---|---------------------------|
| ١ | حمزة (ص ٧٩) . |
| ٢ | حمزة (ص ٧٩) . |
| ٣ | Musil, Palmyrena, P. 287. |
| ٤ | حمزة (ص ٧٩) . |
| ٥ | حمزة (ص ٧٩) . |
| ٦ | حمزة (ص ٧٩ وما بعدها) . |
| ٧ | حمزة (ص ٨٠) . |

إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر^١ . ويجب أن يكون هذا الحارث هو (الحارث ابن أبي شمر الغساني) ، الذي ذكر أن الرسول وجه كتاباً إليه ، حمله إليه : شجاع بن وهب كما سيأتي فيما بعد .

وذكر حمزة أن الذي حكم بعد (الحارث بن جبلة) ، هو ابنه (النعمان بن الحارث) ، وكنيته (أبو كرب) ، ولقبه (قطام) ، وهو الذي بنى ما أشرف على (الغور الأقصى) . وكان ملكه سبعا وثلاثين سنة وثلاثة أشهر^٢ . وقد أخطأ حمزة في إضافة لقب (قطام) الى النعمان بن الحارث ، ولا نعرف ان أحداً اضاف هذا اللقب إليه .

ونجد للناطقة الذبياني أشعاراً في مدح (النعمان) المذكور، وكان يزوره ويتوسط لديه في فك أسرى قومه الذين كانوا يقعون في أسر الغساسنة ، وذلك بسبب غاراتهم المتوالية على بني غسان وأعرابهم . وكان قومه (بنو ذبيان) وحلفاؤهم (بنو أسد) الى جانب عرب الحيرة ، وكانوا ينقمون على الغساسنة ويغيرون دوماً على أرضهم ، فيتدخل الناطقة لدى الغساسنة للصفح عن قومه ، ويتوسل اليهم في فك أسرههم . ولما أغار قومه على وادي (ذي اقر) ، نهاهم الناطقة عن هذه الغارة ، وحذرهم من عواقبها ، وهولهم بكثرة ما لدى (النعمان بن الحارث) ، من جموع وحشود ، غير أنهم لم يهتموا بنصح الناطقة ، ولم يحفلوا بتخويفه لهم ، بل عدوا نصيحته هذه لهم من امارات الخوف والجبن ، فتصدت لهم أعراب (النعمان) بقيادة (النعمان بن الجلاح الكلبي) ، وأوقعت بهم خسائر فادحة ، ويذكر بعض الرواة أن (ابن الجلاح) سبي ستين أسيراً وأهداهم الى قيصر الروم^٣ . ولم يتطرقوا لبيان الأسباب التي أدت بالغساسنة الى اهداء هؤلاء الأسرى الى الروم . وأعتقد ان اقحام (قيصر الروم) في هذا الاهداء ، هو من مبالغات الرواة ، وقد عودونا أمثال هذه المبالغات . إلا أن يكون أولئك الأعراب قد غزوا حدود الروم ، فأوجعوا أهلها ، فقدم (ابن الجلاح) الذي تعقبهم ، من وقع في أسره الى حاكم من حكام الروم لتأديبهم .

١ حمزة (ص ٨٠) .

٢ حمزة (ص ٨٠) .

٣ ديوان الناطقة (ص ٥٤) (بيروت ١٩٢٩ م) .

وقد طلب (النابغة) في شعره في وصف هذه الغارة من (حصن بن حذيفة) سيد (ذبيان) ومن (ابن سيار) فك من وقع أسيراً من النساء دفعاً للخزي والعار من وقوعهن أسيرات في أيدي العضايرط من الأتباع والأجراء .

ونجد النابغة يحذّر (النعمان) من غزو (بني حنّ بن حرام) ، وينصحه بعدم التورط في قتالهم ، لأنهم أناس محاربون صعب . فلما أبى إلا قتالهم ، بعث النابغة الى قومه يخبرهم بغزو النعمان لهم ، ويأمرهم أن يمددوا بني حنّ ، ففعلوا . فلما غزاهم النعمان ، هزم بنو حنّ وبنو ذبيان جمعه ، وحازوا ما معهم من الغنائم ، فقال النابغة في ذلك شعراً منه :

لقد قلت للنعمان يوم لقيته يريد بني حنّ بركة صادر
تجنب بني حنّ فان لقاءهم كرية ، وإن لم تلق إلا بصابر

فهو يعاتب بذلك النعمان ، ويذكره بعدم اهتمامه بنصحه له ، وتخويفه اياه من عاقبة هذه الغارة ^١ .

وكان في جملة ما قاله النابغة عن بني حنّ بن حرام ، وهم من عذرة ، أنهم كانوا قد منعوا (وادي القرى) عن عدوهم ومن أهله وحومه منهم ، وهو كثير النخل ، فتمنعوا بشمره ، وطرّدوا (بلياً) ، وهم من (بني القين) وهم أصحابه من هذا الوادي ، واستولوا على نخيلهم ، ونفّوهم الى غير بلادهم ، وهم الذين ضربوا أنف الفزاري ، وهم الذين منعوها من قضاة كلها ومن (مضرّ الحمراء) ، وقتلوا الطائي بالحجر عنوة ، ويريد به (أبا جابر الجلاس ابن وهب بن قيس بن عبيد) ، وكان ممن اجتمع عليه جديلة طيء . ومثل هؤلاء قوم لا يغلبون ^٢ .

ويظهر من شعر النابغة ان (النعمان) كان قد غزا تميمًا وقيس وائل ، وانه أوجمهم ، وقد غزاهم في الربيع ^٣ . وللنابغة أشعار أخرى في مدح (النعمان) هذا ، منها أبيات استهلها بقوله :

١ ديوان النابغة (ص ٦٠ وما بعدها) (بيروت ١٩٢٩ م) .

٢ ديوان النابغة (ص ٦٠ وما بعدها) .

٣ ديوان النابغة (ص ٨٢) .

والله والله لنعم الفتي إذ أعرج، لا النكس ولا الخامل^١

وقد أدرك النابغة أجل (النعمان بن الحارث بن أبي شمر) ، إذ مات مقتولاً^٢ فرثاه بقصيدة ، يظهر منها انه كان يكنى بـ (أبي حجر) ، وانه قبر في موضع يقع بين (بصرى) و (جاسم)^٣ .

وقد غزا (النعمان) العراق ، ولا يستبعد (نولدكه) أن يكون هو الذي قصده المؤرخ (ثيوفلكتوس) حين تحدث عن غزو قام به عرب الروم على العراق في زمن الصلح أي حوالي سنة (٦٠٠ م)^٤ .

وقد مدح النابغة (النعمان بن الحارث الأصغر) في القصيدة التي تبدأ بقوله :

إن يرجع النعمان نفرح ونبتهج ويأت معداً ملكها وربيعها
ويرجع الى غسان ملك وسؤدد وتلك التي لو اننا نستطيعها^٥

ورثى (النابغة) النعمان في قصيدة جاء فيها ان شيان وذهلاً وقيس بني ثعلبة وتميماً سرّوا بوفاته ، لأنهم أمنوا بذلك على أنفسهم من غاراته ومن غزوه لهم^٦ .
ويظهر من شعر النابغة فيه انه كان محارباً يغزو القبائل ، ولذلك هابته . وقد بكاه بقوله :

بكي حارث الجولان من فقدريه وجوران منه خاشع متفائل^٧

وذكر (ابن قتيبة) ان النابغة لما صار الى غسان ، انقطع الى (عمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبي شمر الغساني)
والى أخيه (النعمان بن الحارث) ، فأقام النابغة فيهم فامتدحهم ، فغم ذلك النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وبلغه ان الذي قُذِف به عنده باطل ، فبعث اليه من يسأله أن يعود ، فاعتذر النابغة في شعر ، وقدم عليه مع زبّان بن سيار ومنظور بن سيار الفزاريين ، وقبل عذره ورحب به^٨ .

١ ديوان النابغة (ص ٩٠) .

٢ ديوان النابغة (ص ٨٤) .

٣ غسان (ص ٤٢) ، Theophylactus, Historiae, 8, I .

٤ البطليوسي (ص ٥٧) .

٥ البطليوسي (ص ٦٠ وما بعدها) .

٦ حمزة (ص ٨٠) .

٧ الشعر والشعراء (ص ٧٧) (النابغة الذبياني) .

ثم ملك بعده - على رأي حمزة - الأيهم بن جبلة بن الحارث بن أبي شمر، وهو على حد تعبيره صاحب (تدمير) و (قصر بركة) و (ذات أنمار) وغير ذلك^١.

ثم ملك بعد الأيهم بن جبلة شقيقه المنذر بن جبلة ، وكان ملكه على رواية حمزة ثلاث عشرة سنة^٢.

ثم صار الملك الى شقيقه (شراحيل بن جبلة) على رواية حمزة . وكان ملكه خمساً وعشرين سنة وثلاثة أشهر^٣.

ثم انتقل الحكم الى (عمرو بن جبلة) بعد وفاة (شراحيل) وهو على رأي حمزة شقيقه ، وقد حكم عشر سنين وشهرين^٤.

ثم حوّل حمزة الحكم الى (جبلة بن الحارث) ، بعد وفاة (عمرو بن جبلة) . وهو على رأيه ابن أخيه . وجعل حكمه أربع سنين^٥.

ثم صيّر حمزة الملك الى (جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث بن مارية) ، وهو على رأيه آخر ملوك غسان . وكان ملكه ثلاث سنين . وهو الذي كان أسلم ثم تنصر ، ولجأ الى الروم^٦ . وقد سرد المسعودي نسبه على هذه الصورة : (جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث بن حجر بن النعمان بن الحارث بن الأيهم ابن الحارث بن جبلة بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة)^٧ ، وسرده على هذه الصورة : (جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن مازن) في مكان آخر^٨.

وذكره (ابن عبد ربه) على هذه الصورة : (جبلة بن الأيهم بن أبي شمر الغساني)^٩ . وذكر (الذهبي) أن الأصل هو (الأيهم) ، لا (الأيهم) ، وكنّاه بـ (أبي المنذر) ، وقال إنه كان يتزل (الجولان)^{١٠}.

-
- | | |
|----|---|
| ١ | حمزة (ص ٨٠) |
| ٢ | حمزة (ص ٨٠) |
| ٣ | حمزة (ص ٨٠) |
| ٤ | حمزة (ص ٨٠) . |
| ٥ | حمزة (ص ٨١) . |
| ٦ | حمزة (ص ٨١) ، المحبر (ص ٣٧٢) ، لسان العرب (٩٦/١١) . |
| ٧ | التنبية (ص ١٥٨) . |
| ٨ | مروج (١٠٨/٢) ، (٣٠/٢) ، (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) . |
| ٩ | العقد الفريد (١٨٧/١ وما بعدها) (القاهرة ١٩٣٥ م) . |
| ١٠ | تاريخ الاسلام ، للذهبي (٢١٤/٢) (نسخة دار الكتب المصرية) . |

وقد وُصِف بأنه كان طويلاً ، طوله اثني عشر شبراً ، وكان اذا ركب مسحت قدمه الأرض^١ .

وقد ورد اسم (جبلة بن الأيهم) في أخبار الفتوحات الاسلامية لبلاد الشام ، إذ ذكر في (فتوح البلدان) للبلاذري : أن (هرقل) لما سمع بتجمع المسلمين ومقدمهم (يوم اليرموك) ، بعث على مقدمته (جبلة بن الأيهم الغساني) في مستعربة الشام من لحم وجذام وغيرهم لمقاتلة المسلمين ، غير أن (جبلة) انحاز في القتال الى الأنصار قائلاً : « أنتم إخواننا وبنو أئينا ، وأظهر الإسلام »^٢ . أما الطبري فقد ذكر : أن خالداً لما صار الى (مرج الصفر) ، لقي عليه غسان ، وعليهم (الحارث بن الأيهم)^٣ . ولم يشر الى جبلة . فيظهر أن وهماً في الاسم قد وقع للرواة ، فصار (جبلة) عند بعض ، وصار (الحارث) عند بعض آخر ، ولعل مرده الى سهو وقع من النساخ .

ولحسن بن ثابت شعر في مدح (جبلة بن الأيهم) ، وفي ذكر ملكه وملك (آل جفنة) ، يظهر منه شدة تعلقه بهم على بعده عنهم وزوال ملكهم وابتعاده عنهم بالاسلام^٤ . وقد أورد المسعودي بعض الأشعار التي مدح حسان بها (جبلة ابن الأيهم) منها :

أشهرنها فإن ملكك بالشا م الى الروم فخر كل يمانى^٥

وقد ورد في رواية من روايات أهل الأخبار أن حسان بن ثابت زار (جبلة ابن الأيهم) ، وعنده (النابغة) و (علقمة بن عبدة) فأنشده شعراً ، فأعطاه ثلاثمائة دينار وعشرة أقدسة لها جيب واحد ، في كل عام مثلها . وتذكر رواية أخرى ان الشخص الذي زاره (حسان) هو (عمرو بن الحارث الأعرج) ، وأنه مدحه فأعطاه ألف دينار مرجوحة ، وهي التي في كل دينار عشرة دنانير^٦.

- ١ المعارف (ص ٢٨١) .
- ٢ فتوح البلدان (١٤١ وما بعدها) ، (القاهرة ١٩٠١ م) .
- ٣ الطبري (٤١٠/٢) (دار المعارف بمصر) .
- ٤ مروج (١٣/٢) (محمد محيي الدين عبد الحميد) ، البرقوقى (٤١٤ وما بعدها) .
- ٥ مروج (٣١/٢) (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) .
- ٦ الاغانى (٢/١٤ وما بعدها) .

وذُكر ان (جبلة بن الأيهم) لما سمع ، وهو ببلاد الروم ، أن حسناً قد صار مضروباً بالبصر كبير السن ، أرسل اليه خمسمائة دينار وخمسة أثواب ديباج ، فلما سلمها الرسول الذي حمل الهدية اليه ، نظم شعراً في مدحه أوله :

ان ابن جفنة من بقية معشر لم يغنهم آباؤهم باللؤم
لم ينسني بالشأم إذ هو رثيها كلاً ولا متنصراً بالروم

وأخذ يراجع ذكريات تلك الأيام الخالية التي قضاها معه ومع بقية آل غسان^١. وقد انفتحت روايات أهل الأخبار في موضوع دخول جبلة في الاسلام ، ثم في ارتداده ، إلا رواية واحدة ذهبت الى انه لم يسلم . وقد ذهب أكثرهم في سبب رده الى ان أعرابياً من فزارة وطىء فضل لإزار جبلة وهو يسحبه في الأرض بمكة ، فلطمه جبلة ، فتابذه الأعرابي الى عمر ، فحكم عمر له بالقصاص ، فعدت جبلة القصاص اهانة له وهو ملك ، ففر الى بلاد الروم وارتد بها ، وبقي بها مرتداً حتى وافته منيته^٢. ولكن رواية (ابن قتيبة) ، تختلف عن رواية أكثر أهل الأخبار في موضوع المكان الذي كان السبب في ارتداده عن الاسلام، اذ جعلته مدينة (دمشق) ، قالت : « وكان سبب تنصره انه مر في سوق دمشق ، فأوطأ رجلاً فرسه ، فوثب الرجل فلطمه ، فأخذه الغسانيون فأدخلوه على أبي عبيدة بن الجراح ، فقالوا : هذا لطم سيدنا . فقال أبو عبيدة بن الجراح : البينة ان هذا لطمك . قال : وما تصنع بالبينة ؟ قال : إن كان لطمك لطمته بلطمتك . قال : ولا يقتل ؟ قال : لا . قال : ولا تقطع يده . قال : لا . انما أمر الله بالقصاص ، فهي لكمة بلطمة . فخرج جبلة ولحق بأرض الروم وتنصر »^٣.

ونجد خبر (ابن قتيبة) المذكور مدوناً في كتاب (الطبقات) لابن سعد ، حيث جاء : « وكتب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الى جبلة بن الأيهم ملك غسان يدعو الى الاسلام ، فأسلم وكتب باسلامه الى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأهدى له هدية ولم يزل مسلماً حتى كان في زمان عمر بن الخطاب ،

١ البرقوقي (ص ٣٩١ وما بعدها) .
٢ مروج (٣١/٢) وما بعدها (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) ابن خلدون (٥٨٦/٢) ، تاريخ الخميس (٦١/٢) ، الاغانى (٢/١٤) وما بعدها .
٣ المعارف (ص ٢٨١) .

فبينما هو في سوق دمشق اذ وطىء رجلاً من مزينة ، فوثب المزني فليطمه ، فأخذ وانطلق به الى أبي عبيدة بن الجراح ، فقالوا : هذا لطم جبيلة ، قال : فليطمه ، قالوا : وما يقتل ؟ قال : لا ، قالوا : فما تقطع يده ؟ قال : انما أمر الله ، تبارك وتعالى بالقود . قال جبيلة : أو ترون اني جاعل وجهي ندأ لوجه جدي جاء من عمق ! بثس الدين هذا ! ثم ارتد نصرانياً ! وترحل بقومه حتى دخل أرض الروم ، فبلغ ذلك عمر ، فشق عليه ، وقال لحسان بن ثابت : أبا الوليد ، أما علمت أن صديقك جبيلة بن الأيهم ارتد نصرانياً ؟ قال : وحق له ، فقام اليه عمر بالدرة فضربه بها ^١ .

وذكر بعض أهل السير والأخبار ، ان الرسول كتب الى جبيلة بن الأيهم آخر ملوك غسان ، كتاباً دعاه فيه الى الاسلام . فلما وصل الكتاب أسلم ، وكتب الى الرسول يعلمه باسلامه ^٢ . وذكر أن (شجاع بن وهب) انما بعثه رسول الله الى جبيلة ، فأسلم ^٣ ، وأرسل الى رسول الله هدية . وكان ينزل بالجولان ^٤ .

وتزعم بعض الروايات أنه زار المدينة في خلافة (عمر) . وقد عدّ يوم مجيئه اليها من الأيام المشهورة ، اذ جاء اليها في موكب حافل كبير فيه خيول كثيرة لم تر المدينة مثلها من قبل ، وخرج الناس الى الطرق لرؤية موكبه . وفرح عمر بمجيئه ، وعدّ ذلك توفيقاً من الله للاسلام ، وأكرمه غاية الاكرام . وبعد أن قابل الخليفة ، استأذن منه بالذهاب الى الحج ، فوقع له عندئذ حادث الإزار مع الأعرابي ، ففرّ الى بلاد الروم ، ويقال : انه توفي بالقسطنطينية سنة عشرين من الهجرة ^٥ . وذكر أنه لما قدم المدينة كان في خمسمئة فارس من عك وجفنة . فلما دنا من المدينة ألبسهم ثياب الوشي المنسوج بالذهب والفضة ، ولبس تاجه وفيه قرط مارية وهي جدته ، فلم يبق يومئذ بالمدينة أحد الا خرج ينظر اليه ^٦ .

وقد ذكر (البلاذري) أن (جبيلة بن الأيهم) حكم بعد (الحارث بن أبي شمر) . وروى أنه لما قدم (عمر) الشام سنة (١٧) للهجرة ، حدث أن لطم

-
- ١ طبقات (٢٦٥/١) .
 - ٢ تاريخ الخميس (٦١/٢) .
 - ٣ ابن خلدون (٢٨١/٢) .
 - ٤ تاريخ الاسلام ، للذهبي (٢١٤/٢) ، (نسخة دار الكتب المصرية) .
 - ٥ ابن خلدون (٢٨١/٢) .
 - ٦ العقد الفريد (١٨٧/١ وما بعدها) (القاهرة ١٩٣٥ م) .

(جبلة) رجلاً من مزينة على عينه ، فأمره عمر بالاعتصام منه ، فقال : أو عينه مثل عيني ! والله لا أقيم ببلد عليّ به سلطان . فدخل بلاد الروم مرتداً . وروى رواية أخرى خلاصتها أن جبلة أتى عمر على نصرانية ، فعرض عمر عليه الاسلام ، ولكنه لم يتفق مع عمر . فلما قال له عمر : ما عندي لك الا واحدة من ثلاث : إما الاسلام ، وإما أداء الجزية ، وإما الذهاب الى حيث شئت . فدخل بلاد الروم في ثلاثين ألفاً فلما بلغ ذلك عمر ندم^١ .

وتذكر رواية أن (جبلة بن الأيهم) عاش في القسطنطينية حتى مات سنة عشرين من الهجرة^٢ .

فنحن أمام روايتين بشأن مكان ردة جبلة ، وتجاه رواية عن إسلامه . رواية تجعل ارتداده في مكة ، ورواية تجعل ارتداده بدمشق، ورواية تذكر أنه لم يدخل مطلقاً في الاسلام . ويظهر أن رواية دمشق هي أقرب الى المنطق ، اذ لا يعقل فرار جبلة من مكة الى بلاد الروم بمثل هذه السهولة التي تخيلها أهل الأخبار ، وبينه وبين بلاد الروم مسافات شاسعة ما كان في امكانه قطعها قط والنجاة من تعقب المسلمين له ، لو كان موضع هربه هو مكة . أما دمشق ، فانها قريبة من حدود الروم ، ولدى جبلة فيها وسائل كبيرة تساعده على الهرب .

والرأي عندي أن جبلة ، لم يدخل أبداً في الاسلام ، وانما بقي مع الروم . وغادر بلاد الشام معهم ، وكان يحارب المسلمين الى جانبهم ، وانتقل بأتباعه ممن بقوا على دينهم الى بلاد الروم فأقاموا بها ، وقد مات هناك ودفن في تلك البلاد . وما هذا الذي روي عن اسلامه وعن زيارته ليثرب ولمكة إلا من قصص القصص وضعوه فيما بعد .

إنّ ما يذكره أهل الأخبار من ملك (جبلة) ، لا يخلو من مبالغة . وما يقال عن ملكه وعن استقبال (هرقل) له ، ذلك الاستقبال العظيم ، لا يخلو من مبالغة أيضاً . نعم من الجائز أن الروم قبلوه لاجئاً ، ورحبوا به وساعدوه على أمل استخدامه لمهاجمة المسلمين ، واسترداد بلاد الشام منهم . غير أننا لا نستطيع أن نوافق على ما ورد في روايات أهل الأخبار من ذلك الوصف الذي ذكره من احتفال الروم في القسطنطينية ومن المعيشة التي كان يعيشها في عاصمتهم

١ فتوح البلدان (ص ١٤٢ وما بعدها) .

٢ ابن خلدون (٢٨١/٢) .

الى حين وفاته^١. بل لقد شك بعض المستشرقين مثل (نولدكه) حتى في موضوع تملكه وتولية الحكم له على عرب الشام^٢.

ونجد في خبر فتح دومة الجندل ، رجلاً من غسان كان قد ترغم قومه وجاء في (طواف من غسان وتنوخ) لنجدة أهل (دومة الجندل) . وقد دعاه (الطبري) ، (ابن الأيهم) . ولم يشر الى اسمه^٣.

ونجد في (العقد الفريد) وصفاً لمجلس (جيلة) ولمسكنه في القسطنطينية لا يخلو من مبالغة ، وقد نسب وصفه الى رسول ذكر أن الخليفة عمر كان قد أرسله الى (هرقل) ليدعوه الى الاسلام . ويذكر الرسول الموفد أن (هرقلاً) هو الذي أشار عليه بزيارة قصر (جيلة) فلما ذهب اليه ، وجد على بابه من القاهرة والحجاب وكثرة الجمع مثل الذي على باب (هرقل) ، ثم وصف مجلسه وأرائكه المرصعة بالجواهر ، وغناء الجواري في مجلسه بغناء حسان بن ثابت مما يجعله في ثراء الملوك الحاكمين لا الملوك الفارين^٤.

واسم الرسول المذكور هو (جثامة بن مساحق الكناني)^٥ . ويذكر بعض أهل الأخبار أن الخليفة معاوية أرسل (عبدالله بن مسعود الفزاري) الى ملك الروم فوجد عنده (جيلة بن الأيهم) ، فوصف مجلسه وما كان عليه من فاخر الملبس والمأكل والمسكن ، وهو كلام فيه مبالغات وغلوت في الكلام ، على نمط ما رأيناه في وصف (جثامة)^٦ . وهو يتفق معه في الخبر . والظاهر أن الرواة قد أخطأوا في هذا الخبر ، فنسبوه مرة الى رسول عمر ، ونسبوه مرة أخرى الى رسول معاوية.

ملوك الغساسنة

وعدة ملوك الغساسنة على رواية حمزة اثنان وثلاثون ملكاً ، ملكوا ستمائة وست عشرة سنة^٧. أما (المسعودي) ، فجعل عددهم أحد عشر ملكاً^٨.

- ١ العقد الفريد (١٨٨/١ وما بعدها) .
- ٢ غسان (ص ٤٥) من النص الالماني ، Provincia Arabla II, S. 174.
- ٣ الطبري (٣٧٨/٣) (خبر دومة الجندل) .
- ٤ راجع الوصف في العقد الفريد (١٨٨/١ وما بعدها) .
- ٥ الاغانى (٢/١٤ وما بعدها) .
- ٦ الاغانى (٢/١٤ وما بعدها) ، البرقوقى (٢٣٤ وما بعدها) ، ابن قتيبة ، الشعر (٢٢٣) .
- ٧ حمزة (ص ٨١) .
- ٨ مروج (٣٢/٢) (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) ، ابن خلدون (٢٨١/٢)

وقد رتّب المسعودي أسماء الملوك على هذا النحو : (الحارث بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس) ، ثم (الحارث بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو) ثم (النعمان بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن جفنة) ، ثم (المنذر أبو شمر بن جبلة بن ثعلبة) ، ثم (عوف بن أبي شمر) ، ثم (الحارث بن أبي شمر) ، وكان ملكه حين بعث رسول الله ، ثم جبلة بن الأيهم^١ . والأسماء المذكورة هي أقل من الرقم المذكور كما نرى بكثير ، إذ هي سبعة فقط ، على حين يجب أن تكون بحسب روايته أحد عشر اسماً .

وفي الذي ذكره حمزة عن مدة حكم الغساسنة ، مبالغة . فلو أخذنا بالعدد الذي ذكره لمجموع حكم ملوكهم ، وهو ست عشرة وسبعمائة سنة ، لوجب علينا القول بأن ابتداء حكمهم كان حوالي الميلاد . وهو قول لم يقله أحد ، ولا يؤيده أي سند أو دليل . والذي نعرفه أن مدة حكمهم هي دون المدة المذكورة بكثير ، كما أن في الترتيب الذي ذكره حمزة للملوكهم تكراراً وزيادات . وهو يخالف ما نراه عند المؤرخين الآخرين الذين تعرضوا لآل غسان .

وتختلف قائمة (ابن قتيبة الدينوري) بأسماء ملوك غسان اختلافاً كبيراً عن قائمة (حمزة) وعن قائمة (المسعودي) . وقد ذكرت فيما مضى أنه جعل (الحارث بن عمرو) المعروف بمحرق أول ملك من ملوك غسان ، ثم جعل من بعده الحارث الأعرج ، ثم الحارث الأصغر ، ثم النعمان ، وهو شقيق الحارث الأصغر . وقد ذكر أنه كان للنعمان بن الحارث ثلاثة بنين هم : حجر بن النعمان وبسه كان يكنى ، والنعمان بن النعمان ، وعمرو بن النعمان . وقال ان فيهم يقول حسان ابن ثابت :

من يغر الدهر أو يأمنه من قتيل بعد عمرو وحجر
ملكا من جبل الثلج الى جانبي أيلة من عبد وحر^٢

وقال (ابن قتيبة الدينوري) : ومن ولد الحارث الأعرج أيضاً عمرو بن الحارث ، الذي كان النابغة صار اليه حين فارق النعمان بن المنذر ، وفيه يقول النابغة :

١ مروج (٣٠/٢) (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) ، (٨٣/٢ وما بعدها) .

(طبعة دار الاندلس) .

٢ المعارف (ص ٢٨١) .

عليّ لعمر ونعمة" بعد نعمة لوالده ليست بذات العقارب.

قال : وكان يقال لعمر أبو شمر الأصغر ، ومن ولده المنذر بن الحارث ،
والأيهم بن الحارث ، وهو والد جبلة بن الأيهم آخر ملوك غسان^١ .
وقد ذكر في كتب السير والتواريخ اسم أمير غساني ، هو الحارث بن أبي
شمر الغساني ، وهو الذي أرسل الرسول إليه شجاع بن وهب ليطلب إليه الدخول
في الاسلام ، وكان ملكه على ما يذكره الأخباريون في الشام ، وكان له قصر
منيّف وحجاب^٢ . وذكر الطبري أنه كان (صاحب دمشق)^٣ . وقد أدخله
(محمد بن حبيب) في جملة (العرجان الأشراف)^٤ . وقد عرف بـ (الحارث
الأصغر) في شعر حسان بن ثابت^٥ .
وأرى ان الحارث بن أبي شمر هذا هو (الحارث) معاصر (جبلة بن الأيهم)
الذي أشار حسان إليه .

وقد كان (حسان بن ثابت) زار الحارث بن أبي شمر الغساني ، وكان
النعمان بن المنذر اللخمي يساميه ، فقال له وهو عنده : يا ابن القرية ، لقد نبئت
أنك تفضل النعمان عليّ فقال : وكيف أفضله عليك ثم أخذ يشرح تفضيله له على
النعمان حتى سرّ الحارث ، ثم عاد حسان فنظم ما قاله نثراً فيه في أبيات زادت
من سروره ، وحصل على جوائزه وعطاياه^٦ .

وذكر أن حسان بن ثابت كان يفد على جبلة بن الأيهم سنة ، ويقيم سنة في
أهله . فقال : « لو وفدت على الحارث أبي شمر الغساني فإنّ له قرابة ورحماً
بصاحبي ، وهو أبذل الناس للمعروف ، وقد يشس مني أن أفد عليه لما يعرف
من انقطاعي الى جبلة » . فخرج في السنة التي كان يقيم فيها بالمدينة ، حتى قدم
على الحارث ، وقد هياً له مدحاً . فقال له حاجبه وكان له ناصحاً : « إن الملك
قد سرّ بقدمك عليه ، وهو لا يدعك حتى تذكر جبلة . فإياك أن تقع فيه ،

-
- ١ المعارف (ص ٢٨١) .
 - ٢ السيرة الحلبية (٢٥٥/٣) ، (طبعة مصر) ابن خلدون (٣٦/٢) .
 - ٣ الطبري (٦٥٢/٢) (دار المعارف) .
 - ٤ المحبر (ص ٣٠٤) .
 - ٥ البرقوقي (ص ١٨٢) .
 - ٦ البرقوقي (ص ١٨١ وما بعدها) ، مروج (٣١/٢) . (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) .

فانما يريد أن يختبرك ، وإن رآك قد وقعت فيه زهد فيك ، وإن رآك تذكر محاسنه ثقل عليه ، فلا تبتدىء بذكره ، وإن سألك عنه ، فلا تطنب في الثناء عليه ولا تعيبه ، امسح ذكره مسحاً وجاوزه الى غيره . ثم نصحه بنصائح أخرى تم عن سلوك الحارث ، وقد أفادته كثيراً . فلما دخل عليه ، حسنت منزلته عنده وصار يدعوه ، ثم حباه وأعطاه خمسمئة دينار وكسي والطفاً وعاد الى أهله^١ .

ولو صح هذا الخبر ، فانه يدل على ان أمر الغساسنة في هذا الوقت لم يكن واحداً ، وان حكمهم كان قد تبدد وتشتت . وان جبلة بن جبلة كان يحكم على جماعة من غسان ، والحارث بن أبي شمر كان يحكم في الوقت نفسه على جماعة أخرى ، وكل منهما كان يحلّي نفسه بحلية الملك ، ومن يدري فلعل أشخاصاً آخرين كانوا ينازعونهما الحكم أيضاً ، ويحلّون أنفسهم بلقب (ملك) ، اللقب الحبيب الذي لم يكن يرتفع في الواقع عن درجة سيد قبيلة أو (شيخ) عشيرة في اصطلاحنا في الوقت الحاضر .

وقد ذكر أهل الأخبار اسم رجل قالوا انه كان قائداً من قواد (الحارث بن أبي شمر) ، ودعوه بـ (النعمان بن وائل بن الجلاح الكلبي) ، وذكروا أنه أغار على بني فزارة وبني ذبيان ، فاستباحهم ، وسبي سبياً من غطفان . وأخذ (عقرب) بنت النابغة الذبياني . فلما سأله ، فانتسبت الى أبيها ، من عليها ثم أطلق له سبي غطفان . فلما سمع بذلك النابغة ، مدحه بقصيدة^٢ . وسبق أن تحدثت عن (النعمان بن الجلاح الكلبي) في أثناء كلامي على الملك (النعمان بن الحارث) حين أغار قوم النابغة على أعراب (النعمان بن الحارث) بوادي أقر ، وكان النابغة قد نهى قومه وحذرهم من التحرش بهم ، فخالفوا رأيه ، فأوقع بهم (ابن الجلاح) خسائر فادحة .

وفي ديوان حسان قصيدة ، مطلعها :

إني حلفت يميناً غير كاذبة لو كان للحارث الجفني أصحاب

يذكر شراحها أنه نظمها في رثاء (الحارث الجفني) ، وقالوا إن الحارث

١ الاغاني (٢/١٤ وما بعدها) .

٢ الاشتقاق (٣١٦/٢) ، ديوان النابغة (ص ٣٢ ، ٤٠) .

الجفني المذكور هو الحارث بن أبي شمر الغساني . وقد ذكروا أنه دافع فيها عن هزيمة أدركت الحارث في إحدى حروبه ، فعاد ومن معه بغير أسلاب ولا أسرى بل يظهر من أبياتها أن العدو أوقع به فقتل من جمعه ، وقد اعتذر الحارث بأن من معه لم يكونوا من (جند غسان) وإنما كانوا من (مأشبة الناس) أي جماعة أوشاب الناس وأوباشهم أي الأخلاط التي تجتمع من كل أوب . ومثل هؤلاء لا تكرهم الهزيمة ، ولا يسألون بذلك ، إذ لا أحساب لهم ولا شرف ، فلا عجب أن أصيب بخيبة في هذه المعركة ومعه مثل هؤلاء الناس^١ .

ويظهر من القصيدة المذكورة ، أن الحارث بن أبي شمر ، كان قد توفي قبل (جبلة بن الأيهم) . وذلك لرثاء حسان له ولإجماع أهل الأخبار على أن جبلة عاش أمداً بعد ظهور الاسلام ، وأنه مات في بلاد الروم بعيداً عن بلاد الشام وعن أرض آبائه وأجداده . وبدليل ما ورد في تأريخ الطبري من أن الرسول أرسل شجاعاً بن وهب إلى رجل من غسان اسمه (المنذر بن الحارث بن أبي شمر الغساني) . يدعوهم إلى الإسلام^٢ . وهذا الرجل هو أحد أبناء الحارث المذكور . وذكر الأخباريون رجلاً آخر من غسان ، دعوه (عدياً) ، وقالوا إنه ابن اخت الحارث بن أبي شمر الغساني ، وإنه أغار على بني أسد ، فلقبته (بنو سعد ابن ثعلبة بن دودان) بالفرات ، ورئيسهم (ربيعة بن حذار الأسدي) ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتلت بنو سعد عدياً^٣ . وقد سمي (محمد بن حبيب) هذا اليوم الذي وقع فيه القتال (يوم الفرات)^٤ .

وأشار الواقدي إلى ملك غساني اسمه (شرحبيل بن عمرو الغساني) ، وذكر أنه قتل رسول رسول الله إلى ملك بصرى في مؤنة^٥ . ويشك (نولدكه) في نسبة هذا الأمير إلى الغسانيين ، وحجته في ذلك أن الواقدي ذكره في موضع آخر مع أخويه (سدوس) و (بر) ، ونسبه في هذا الموضع إلى الأزد . ثم انه لم يكن من عادة الغساسنة على رأيه ذكر لقب الغساني بعد الاسم^٦ .

-
- ١ البرقوقى (ص ٢٩) .
 - ٢ الطبري (٦٥٢/٢) (دار المعارف) .
 - ٣ الاغانى (١٩٩/١١) (طبعة دار الكتب المصرية) .
 - ٤ المحير (ص ٢٤٧) .
 - ٥ الواقدي (ص ٣٠٩) ، (طبعة ولهوزن) ، السيرة الحلبية (٦٦/٣) .
 - ٦ غسان (ص ٤٨) .

وأشير في كتب الأدب الى اسم ملك من ملوك (غسان) قالوا له (قرص) ،
لم يذكروا عنه شيئاً ذكروه في حديثهم عن (عدي) قالوا : انه ابن (أخي
قرص الغساني) ، وكان (عدي) هذا قد غزا (بني أسد) فقتلوه ، وأوردوا
في ذلك شعراً نسبوه الى الغساني :

لعمرك ما خشيت على عدي^١ رماح بني مقيدة الحمار
ولكني خشيت على عدي^٢ رماح الجن أوياتك حاراً

ولم يرد اسم هذا الملك في القوائم التي وضعها المؤرخون أمثال اليعقوبي والطبري
والمسعودي وابن خلدون وأمثالهم لملوك غسان . وعدي المذكور في خبر (قرص) ،
هو (عدي) المتقدم ولا شك .

وقد وفد (حسان بن ثابت) على (عمرو بن الحارث) ، فاعتاص الوصول
اليه ، فلما طال انتظاره ، قال للحاجب : « إن أذنت لي عليه ، وإلا هجوت
اليمن كلها ، ثم انقلبت عنكم » . فأذن له ودخل عليه ، فوجد عنده (النابغة)
وهو جالس عن يمينه ، و (علقمة بن عبدة) وهو جالس عن يساره ، فقال
له (عمرو) : « يا ابن الفريعة قد عرفت عيصك ونسبك في غسان فارجع ،
فاني باعث اليك بصلة سنية ، ولا احتاج الى الشعر ، فإني أخاف عليك هذين
السبعين : النابغة وعلقمة . أن يفضحاك ، وفضيحتك فضيحتي » ثم تلا عليه
شعراً مما قاله الشاعران في مدحه . فأبى إلا ان يقول شعراً فيه ، وطلب من
الشاعرين أن يسمحا له بالقول ، فقال فيه قصيدته التي تبدأ بقوله :

أسألت رسم الدار أم لم تسأل بين الجوابي فالبضيع فحومل^٣

وقد أورد في هذه القصيدة أسماء مواضع ، منها : (الجوابي) ، أي (جابية
الجولان) ، و (البُضيع) أو (البُضيع) ، وهو جبل قصير أسود على تل
بأرض البلسة فيما بين (سيل) و (ذات الصنمين) و (حومل) و (مرج
الصفارين) ، وهو موضع بغوطة دمشق ، و (جاسم) ، وهي قرية بينها وبين
دمشق ثمانية فراسخ على يمين الطريق الى طبرية . وكل هذه الأماكن التي ذكرها

١ ديوان حسان ، (ص ٢١٩) ، (البرقوقية) ، (ص ٧٩) (هرشفلد) .

٢ ديوان حسان (ص ٣٠٥) ، (البرقوقية) .

هي منازل كانت لآل جفنة ، الا انها خربت ، وتركها أهلها حتى صارت دوارس تعاقبها الرياح^١ .

ثم تطرق الى ذكر من كان يتأديهم بـ (جلق) ، وهو موضع قيل انه بقرب دمشق ، وقيل انه (دمشق) : كيف كانوا كرماء أجواداً يجودون على من يفد عليهم ، لا فرق عندهم بين غني وفقير ، يمشون في الحلل القشبيسة المضاعف نسجها ، ويجيرون من يستجير بقبر أبيهم (ابن مارية الكرمي المفضل) ، فلا يخاف من عدو ولا يخشى من اعتداء يقع عليه . كلابهم لا تهر ، لأنها ألفت الضيوف وأنست بهم من كثرة تدفقهم عليهم ، يسقون ماءً بارداً من (البريص) ، ومن (بردا) ، وهما نهران بدمشق ، ممزوجاً بالرحيق . ثم تذكر (قصر دومة) أي دومة الجندل ، وكيف شرب الخمر في حانوتها من ساق متنتف، أي مقترط وضع القرط في أذنه ، والمنطقة في وسطه^٢ .

وجلق كما ذكرت موضع من مواضع الغساسنة ، ويظهر أن سلطان البيزنطيين لم يكن كبيراً عليه . وقد اشتهر ببساتينه وبكثرة أشجار الزيتون به ، وبوفرة مياهه وقد تغنى به الشعراء في الاسلام ، فورد ذكره في شعر أبي نواس^٣ . وكان الغساسنة يدفنون فيه موتاهم . ولهم ضريح ضم رفات ملوكهم . ومع شهرة المكان فقد اختلف الناس في تثبيت موضعه وتعيينه . والرأي الغالب انه ليس من أطراف دمشق كما ذهب الى ذلك بعض أهل الأخبار^٤ .

وقد ترك الروم ساقتهم بـ (ثنية جلق) ، وعليها صاحب الساقة ، وذلك ليراقب المسلمين حينما تقدموا لطردهم من بلاد الشام . ولم يرد للغساسنة أي ذكر في الدفاع عن هذا المكان^٥ .

ويظهر من نظم هذه القصيدة ، ومن أسلوبها ونقشها ، ومن تذكر (حسان) لآل جفنة بعد أن كبر وتقدمت به السن ، ان هذا الشعر هو من الشعر المتأخر ،

١ ديوان حسان (ص ٣٠٧) ، (البرقوقى) ، (ص ٣٢) ، (هرشفلد) .

٢ البرقوقى (ص ٣٠٨ وما بعدها) .

٣ اللسان ، مادة (جلق) ، البلدان ، (جلق) .

٤ الموسوعة الاسلامية (٨٦/٧) ، الاغانى (٢/١٤) اللسان (٣٦/١٠) .

٥ الطبري (٣٩٢/٣) .

ولا أستبعد أن يكون قد نظمه بعد زوال ملك (الغساسنة) ، وقد أنشده أمام أحد الغساسنة المتأخرين ، ولم يكن ملكاً بالمعنى المفهوم من الملك .

وقد رثى حسان بن ثابت رجلاً من غسان قتلته كسرى ، ولم يذكر اسمه ، ولا الأسباب التي حلت كسرى على قتله ، ولا الأحوال التي قتل فيها^١ . ويظهر من سياق الشعر الذي رثى به ذلك القتيل أن هذا القتيل قد وقع بعد أفول نجم آل غسان وادبار الدنيا عنهم . ولعلّه كان قد قتل بعد احتلال الفرس لبلاد الشام . فكان هذا الغساني من المعارضين للفرس المناوئين لهم ، ولذلك قتلوه في فترة احتلالهم لها .

وقد أشار (أبو الفرج الأصبهاني) إلى أمير غساني سمّاه : (يزيد بن عمرو الغساني) ، ذكر أنه قتل الحارث بن ظالم^٢ . ولا نعرف من أمر هذا الأمير شيئاً يذكر . وهناك روايات أخرى تنسب قتل الحارث إلى (النعمان الغساني) ، على حين تنسبه روايات ثالثة إلى آل لحم ويرجح نولدكه الرأي الأخير^٣ .

وقد ورد في شعر لحسان بن ثابت هجاء لـ (سلامة بن روح بن زنباع الجذامي) ، وكان يلي العشور للروم . ولا بد أن يكون ذلك في أيام الغساسنة المتأخرين . وقد شبهه بـ (دمية في لوح باب) ، أي كأنه صورة مصورة ، أو صنماً معلقاً على لوح باب^٤ .

ومن الأماكن التي وردت في شعر (حسان بن ثابت) على أنها من مواضع الغساسنة (الجواء) و (عذراء) ، وهما موضعان بالشّام بأكتاف دمشق . وإلى (عذراء) هذه يضاف (مرج عذراء) ، وكانت في هذه المواضع منازل بني جفنة ، لذلك ذكرها (حصان) في شعره^٥ . وذكر كذلك (بطن جلق) و (البلقاء) ، و (المحبس) و (السند) و (بُصْرَى) و (جبل الثلج)^٦ . أما ما يفهم من شعر (حسان) وغير حسان من شمول ملك الغساسنة مدينة

-
- ١ البرقوقى (ص ٣٨٧ وما بعدها) .
 - ٢ الاغانى (١٠ / ٢٨ وما بعدها) .
 - ٣ غسان (ص ٤٨) .
 - ٤ البرقوقى (ص ٢١٩) .
 - ٥ البرقوقى (ص ١ وما بعدها) .
 - ٦ البرقوقى (ص ١١٠) .

(دمشق) أو تجاوزها ومن وصوله مواضع قريبة منها أو ملتصقة بها ، فيجب أن نحمله محل المجاز أو محمل مبالغات الشعراء في التفاخر والتباهي والمدح . فإذا استثنينا هذا الشعر لا نجد أي مورد تاريخي يقول باستيلاء الغساسنة على (دمشق) أو على مواضع متصلة بها . وكل ما نعرفه من الموارد التاريخية أن سلطانهم كان على أطراف بلاد الشام ، أي على المواضع التي رأى الروم أن من الأصلح لهم تركها إلى أمراء غسان ، لصعوبة ضبطها من الوجهة العسكرية بالنسبة إليهم . ولعل ما يذكره أولئك الشعراء هو تعبير عن قصور وأملاك اشترأها ملوك الغساسنة وأمراؤهم في (دمشق) وفي مواضع حضرية أخرى لقضاء بعض الوقت فيها كما يفعل الأمراء في الزمن الحاضر من شراء بيوت وقصور في لبنان وفي أوروبا يقيمون فيها بعض الوقت للتسلية والراحة . فزارهم فيها أولئك الشعراء ، ووصفوها وصفاً شاعرياً ، صورَّ الشام وما حولها كأنها ملك من أملاك الغساسنة .

لقد كان (آل جفنة) كلهم على النصرانية عند ظهور الاسلام ، وكانوا أصحاب دين وعقيدة، يدافعون عن مذهبهم كما رأينا . وكانت لهم بيع وكنائس بنوها لهم ولرعيتهم . وقد أشير إلى رجل عرف بـ (أرطبان المرنى) ، قيل انه كان (شماشاً) في (بيعة غسان) ^١ ، مما يدل على انها كانت بيعة خاصة بآل غسان .

وقد نسب بعض أهل الأخبار أماكن أخرى إلى الغساسنة ، وذلك بالإضافة إلى الأماكن التي سبق أن تحدثت عنها . ومن هذه الأماكن : صفين . وقد زعموا ان منزل (جبل بن النعمان) كان به . وقد كان في الوقت نفسه صاحب عين أباغ ^٢ . ومن الأماكن المنسوبة إلى الغساسنة موضع (حارب) . وقد ورد اسمه في شعر ينسب إلى النابغة حيث يقول :

لئن كان للقبرين قبر يخلق وقبر بصيداء التي عند حارب ^٣

وورد (قصر حارب) . وقد نسب (حمزة) إلى النعمان بن عمرو بن المنذر ^٤ .

-
- ١ الإصابة (١٠٢/١) .
 - ٢ ابن خلدون : المجلد الثاني من القسم الاول ، (ص ٥٨٦) .
 - ٣ البلدان (١٨٣/٢) ، البكري ، معجم (٤١٧/١) ، المعاني الكبير (١٠١٥/٢) .
 - ٤ حمزة (ص ٧٩) ، الهمداني ، صفة (ص ١٧٩) .

ويذكر أهل الأخبار (السويداء) في جملة الأماكن التابعة للغساسنة . وقد رجع (حمزة) بناءها الى (النعمان بن عمرو بن المنذر)^١ . وتقع في (حوران)^٢ . والرصافة من المواضع المهمة عند الغساسنة ، ففيها مشهد القديس (سرجيوس) وهو من القديسين الجليلين عند الغساسنة ، وكانوا يتركون زيارة قبره ، ويتقربون اليه بالهدايا والندور . وكان لآل جفنة مساكن فيها ، وقد قاموا باصلاح ما كان يتهدم منها ، فقام (النعمان بن الحارث بن الأيهم) باصلاح وترميم صهاريج المدينة . وكان (النعمان بن جبلة) فيمن أقام بها^٣ .

أما حدود مملكة الغساسنة ، فلم تكن على وجه العموم ثابتة ، بل كانت تتبدل وتتغير بحسب تبدل سلطة الملوك ، وتغيرها ، وهي عادة نجدها لدى جميع الممالك والامارات التي تكونت في البادية أو على أطراف البوادي ، حيث تكون معرضة لغزو القبائل ، ولنفوذ القبائل الفتية القوية التي تطمع في ملك الإمارات التي تجد فيها شيئاً من الوهن والضعف ، وفي رؤسائها دعة أو حزمًا . ولهذا نجد ملك الغساسنة يتوسع ويتقلص بحسب الظروف فيصل الى مقربة من دمشق ، والى فلسطين الثانية و (الكورة العريضة) و (فلسطين الثالثة) و (فينيقية لبنان) . والى ولايات سوريا الشمالية في بعض الأحيان . وفي مساحات شاسعة من البادية الى المدى الذي يصل اليه سلاحهم . ثم نجده تارة أخرى أقل من ذلك بكثير ، لضعف الأمير المالك ولطمع القبائل فيه ولاختلافه مع السلطات . ويظهر من شعر حسان ابن ثابت ان ملك الغساسنة كان يمتد من حوران الى (خليج العقبة)^٤ .

وتعدّ منطقة الجولان من أشهر مناطق الغساسنة . وقد ورد ذكرها في الشعر العربي ، وفيها قبر بعض الأمراء الغسانيين . وهي من الأرضين التابعة لولاية فلسطين الثانية في التقسيم الإداري عند الروم ، وبها كان في الغالب مقر آل غسان^٥ . وقد اشتهرت (الجابية) بأنها كانت مقر الملوك ، ولذلك عرفت بجابية الملوك ،

١ حمزة (ص ٧٩) .

٢ الحموي ، المشترك (ص ٣١١) ، مرصد الاطلاع (٧٠/٢ وما بعدها) .

٣ البلدان ، مادة الرصافة ، البكري ، معجم ، الرصافة .

٤ غسان (ص ٥١) .

٥ المشرق ، السنة الاولى ، حزيران ١٨٩٨ م (٤٨٥) .

٦ غسان (ص ٥١ وما بعدها) ، John of Ephesus, 4, 22 .

كما عرفت أيضاً بجاية الجولان^١ .

وقد ذهب بعض المستشرقين الى أن قصر المشقى الذي نقلت بعض أحجار جدرانها المحفورة بالصور الجميلة الى متحف برلين ، هو من القصور التي أنشأها الغساسنة ، وكذلك بعض الآثار الأخرى الواقعة في البادية .

وفي (البرج) عثر على كتابة يونانية جاء فيها : « البطريق الشريف والأمير المنذر » . ويدل ذلك على أنه من آثار (المنذر) . أما بقية المواضع ، وهي عديدة منتشرة في أماكن واسعة ، فللعلماء في أصلها نظريات وآراء .

أمراء غساسنة :

وذكر الأخباريون أميراً جفنيّاً دعوه (جفنة بن النعمان الجفني) ، قالوا إنه غزا الحيرة في أثناء ذهاب النعمان بن المنذر الذي قتله كسرى الى البحرين ، فأصاب في الحيرة ما أحب . وذكروا أنه هو الذي عناهُ عديّ بن زيد العبادي في قصيدته مطلعها :

سما صقرٌ فأشعل جانبيها وأهلك المروّح والغريب^٢

وذكر (أبو حنيفة الدينوري) اسم رجل من غسان ، دعاه (خالد بن جبلة الغساني) ، قال عنه : « قالوا : وإن خالد بن جبلة الغساني غزا النعمان بن المنذر ، وهو المنذر الأخير ، وكانا مندرين ، ونُعمانين ، فالمنذر الأول هو الذي قام بأمر بهرام جور ، والمنذر الثاني الذي كان في زمان كسرى أنو شروان ، وكان عمّال كسرى على تخوم أرض العرب ، فقتل من أصحاب المنذر مقتلة عظيمة ، واستاق إبل المنذر وخيله ، فكتب المنذر الى كسرى أنو شروان يخبره بما ارتكبه منه خالد بن جبلة^٣ . وقد ذكره في موضع آخر ، في أثناء كلامه على ذهاب (كسرى) الى قيصر ، إذ قال : « وسار كسرى حتى انتهى الى اليرموك ، فخرج اليه خالد بن جبلة الغساني فقراه ، ووجه معه خيلاً حتى بلغ قيصر^٤ » .

Ency., I, P. 1029.

١ الاغانى (١١٧/٢) وما بعدها ، (طبعة دار الكتب) .

٢ الاخبار الطوال (ص ٦٨) .

٣ الاخبار الطوال (ص ٩١) .

وقد مدح حسان بن ثابت الأنصاري أميرين من أمراء غسان ، هما : عمرو وحجر . وقد ذكر أنهما ملكا من (جبل الثلج) حتى جانبي (أيلة) ، وأنهما غزوا أرض فارس^١ . ويرى (نولدكه) احتمال كون حجر هذا هو أحد أبناء النعمان الذي كُنّي بأبي حجر^٢ .

وقد ذهب بعض الأخباريين الى أن عمراً المذكور في هذه الأبيات هو عمرو بن عدي بن حجر بن الحارث . وأما حجر ، فهو حجر بن النعمان بن الحارث بن أبي شمر^٣ . والذي يتبين من هذه القصيدة أن الملكين المذكورين حكما في زمن واحد ، وغزوا مشتركين أرض فارس ، ويقضي ذلك أن يكونا قريبين ، كأن يكونا أباً أو ابناً ، أو أخوين ، أو أن كل واحد منهما كان يحكم فرعاً من فروع غسان ، وذلك بعد تصدع أمر غسان وانقسامهم الى جملة (مشيخات) .

ويرى (ابن الأثير) أن : أبا جبيلة عبيد بن مالك بن سالم ، وهو ملك من ملوك غسان على رواية بعض الأخباريين ، لم يكن من آل غسان ، وإنما كان من (بني غضب بن جشم بن الخزرج) ، ذهب الى غسان فصار عظيماً عند ملكهم ، مطاعاً بينهم ، واليه ذهب (مالك بن العجلان الخزرجي) مستجيراً به من يهود يثرب ، فأنجده وسار معه حتى أوقع في اليهود ، ثم رجع عائداً الى غسان^٤ . ولعل (أبا جبيلة الغساني) ، الذي ذهب اليه الشاعر الجاهلي (الرمق بن زيد ابن غنم)^٥ ، هو هذا الملك الذي نتحدث عنه .

ويتبين من شعر للأعشى ميمون بن قيس أنه زار الغساسنة ، وصحب ملوكهم في ديار الشام^٦ ، واتصل بهم ، وقد خاطب أحدهم بقوله : «إليك ابن جفنة»^٧ ،

١ من يغر الدهر أو بأمنه
ملكها من جبل الثلج الى
الآغاني (١٦/٣) ، (طبعة دار الكتب المصرية) ، البرقوقى (ص ٢٠٥) .

٢ غسان (ص ٤٤) .

٣ الآغاني (١٦/٣) ، (طبعة دار الكتب المصرية) .

٤ الكامل ، لابن الأثير (٢٧٦/١) .

٥ البيان (٢٣٨/١) .

٦ وصحبنا من آل جفنة أملاكاً
ديوان الأعشى (ص ٣١٥) ، (طبعة الدكتور م . محمد حسين) ، (ص ٢١١)
(طبعة كايير) (Geyer) ، القصيدة رقم ٦٣ ، البيت ١٣ .

٧ إليك ابن جفنة من شقة
القصيدة ٣١ ، البيت العاشر ، ديوان الأعشى (ص ٢٠٧) ، (طبعة م . محمد حسين) ، (١٣٩) ، (طبعة كايير) ، (Geyer)

غير أنه لم يذكر اسمه .

ووصل الينا اسم أمير من غسان ، هو (الشيطان بن الحارث الغساني) ، قتل رجلاً من قومه ، وكان المقتول ذا أسرة ، فخافهم فلحق بالعراق أو بالحيرة متنكراً ، وكان من أهل بيت الملك ، ومكث أمداً متنكراً ، حتى وافق غيرة من القوم، فركب فرساً جواداً من خيل المنذر وخرج من الحيرة يتعسف الأرض، حتى نزل بحمي من (بهراء) فأخبرهم بشأنه ، فأعطوه زاداً ورحلاً وسيفاً وخرج حتى أتى الشام فصادف الملك متبدياً ، فأثنى قبه ، وقصّ قصته، فبعث الى أولياء المقتول فأرضاهم عن صاحبهم^١ .

قوائم ملوك الغساسنة :

ولا بد لي ، وقد انتهيت من الكلام على الغساسنة ، من الإشارة الى ضعف مادة الأخباريين عنهم ، وقلة معرفتهم بهم ، فأنت اذا درست هذا الذي روي عنهم ، وحللتة تحليلاً علمياً لا تخرج منه الا بنتائج تاريخية محدودة ضيقة تترك انهم لم يكونوا يعرفون من أمرهم الا القليل ، وانهم لم يحفظوا من أسماء أفراد الأسرة الحاكمة غير أسماء قليلة ، وما عداها فتكرار واعادة لهذه الأسماء القليلة ، أو أوهام . وأنت اذا راجعت التواريخ مثل تاريخ الطبري لا تكاد تجد فيها شيئاً يذكر عن هذه الأسرة . وقد تفوق كتب الأدب كتب التاريخ في هذا الباب . ويعود الفضل في ذلك الى الشعر ، فلعدد من شعراء الجاهلية أشعار في مدح آل جفنة أو ذمهم ، ولهم معهم ذكريات حفظت بفضل هذا الشعر الذي يرويه الرواة ويروون المناسبات التي قيل فيها . فلولا ضاع أيضاً هذا القليل الذي عرفناه من أخبار الغساسنة .

وحق القوائم ، وهي جافة في الغالب ، لا تستند أيضاً الى علم بالرغم من هذا الترتيب الذي يحاول أصحابه اظهاره لنا بمظهر الواقع والحق . ولن تكسب سنوات الحكم المذكورة مع كل ملك ثقتنا بها . ولا اعتمادنا عليها . وقد اعتمد

١ النوادر ، للقالبي (ص ١٧٩) ، (خبر الشيطان الغساني ونزوله بملك الشام مستجيراً) .

أكثر من رتّب أسماء أمراء الغساسنة على رواية (ابن الكلبي) ، غير أنهم كما يظهر من مدوّنتهم لم يرووها عنه رواية تامة ، بل تصرفوا فيها ، فزادوا عليها أو نقصوا منها وحرّفوا فيها بعض التحريف . وأخذ آخرون من موارد أخرى ، واستعان بعض آخر بما رواه (ابن الكلبي) وبما رواه غيره وأضافوا إليه ما عرفوا من أسماء المذكورين في الشعر ، وهم من سادات قبيلة (غسان) ، ولم يكونوا كلهم ملوكاً ، فجاءت النتيجة قوائم متعددة بتعدد مشارب أصحابها، وهي على العموم شاهد عدل على ضعف الأخباريين في المحاكمات وفي منطق التأريخ . وقد درس (نولدكه) معظم القوائم التي رواها الأخباريون لأمراء الغساسنة، ونقدها وغربلها ، وقارن الحاصل بما وجده في الموارد السريانية والبيزنطية ، واستخلص من تلك الدراسة هذه القائمة :

أبو شمر جبلة . حكم حوالي سنة ٥٠٠ م تقريباً .

الحارث بن جبلة . استمر حكمه من حوالي سنة ٥٢٩ حتى سنة ٥٦٩ م .

أبو كرب المنذر بن الحارث . حكم من سنة ٥٦٩ حتى سنة ٥٨٢ م .

النعمان بن المنذر . وكان حكمه من سنة ٥٨٢ حتى سنة ٥٨٣ م .

الحارث الأصغر بن الحارث الأكبر .

الحارث الأعرج بن الحارث الأصغر .

أبو حجر النعمان . بين سنة ٥٨٣ وسنة ٦١٤ م .

عمرو .

حجر بن النعمان .

؟ ؟ ؟ ؟

جبلة بن الأيهم . حوالي سنة ٦٣٥ م .

ورتب (ابن قتيبة الدينوري) ، أسماء ملوك الغساسنة على هذا النحو :

الحارث بن عمرو بن محرق ، وهو (الحارث الأكبر) ، ويكنى (أباشمر) .

الحارث بن أبي شمر ، وهو (الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر) . وأمه

(مارية ذات القرطين) .

الحارث بن الحارث بن الحارث . وهو الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج

ابن الحارث الأكبر .

وكان له أخوة ، منهم : النعمان بن الحارث . وهو والد ثلاثة بنين : حجر ابن النعمان ، وبه كان يُكنى ، والنعمان بن النعمان ، وعمرو بن النعمان . ومن ولد الحارث الأعرج أيضاً عمرو بن الحارث ، وكان يقال له : أبو شمر الأصغر . ومن ولده : المنذر بن المنذر والأيهم بن الحارث . وهو أبو (جبلة ابن الأيهم) ، وجبلة آخر ملوك غسان^١ . وأما المسعودي ، فيرى أن عدة من ملوك آل غسان أحد عشر ملكاً ، ذكر منهم :

١ - الحارث بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن ماس (مازن) ، وهو غسان بن الأزد بن الغوث .

٢ - الحارث بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو بن عامر بن حارثة . وأمه مارية ذات القرطين بنت أرقم بن ثعلبة بن جفنة بن عمر .

٣ - النعمان بن الحارث بن ثعلبة بن جبلة بن جفنة بن عمرو .

٤ - المنذر أبو شمر بن الحارث بن جبلة بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو .

٥ - عوف بن أبي شمر .

٦ - الحارث بن أبي شمر . وكان ملكه حين بعث رسول الله .

٧ - جبلة بن الأيهم^٢ .

وذكر المسعودي ، أن جميع من ملك من ملوك غسان بالشام أحد عشر ملكاً . ولم يذكرهم في قائمته كلهم^٣ .

أما ملوك (الغساسنة) ، على ما جاء في (كتاب المحبر) ، فإنهم على هذا النحو : (ثعلبة) ، فابنه (الحارث) ، فابنه (جبلة) ، فابنه (الحارث) وهو المعروف بـ (ابن مارية ذات القرطين) ، و (النعمان بن الحارث) ، و (المنذر) ابنه ، و (المنذر بن الحارث) ، و (جبلة بن الحارث) ، و (أبو شمر بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة) ، و (الحارث الأعرج بن أبي شمر بن عمرو بن الحارث بن عوف بن

١ المعارف (٦٤٢ وما بعدها) ، (طبعة ثروت عكاشة) .

٢ مروج (٨٢/٢ وما بعدها) ، (دار الاندلس) .

٣ مروج (٨٦/٢) ، (دار الاندلس) .

عمرو بن عدي بن عمرو بن الحساس (وهو (حارثة بن بكر بن عوف بن عمرو بن عدي بن عمرو بن مازن بن الأزد) وليس بجفني ، ولكن أمه جفنية ، فلم يزل الملك فيهم حتى كان آخرهم (جبلة بن الأيهم بن جبلة) ، وهو الذي اتصل ملكه بخلافة عمر بن الخطاب^١ .

وجاء ترتيب ملوك الغساسنة في التعليقات التي طبعها (هرشفلد) مع ديوان (حسان) على هذا النحو : « كان أول من ملك من غسان : الحارث بن عمرو ابن عدي بن حجر بن الحارث ، ثم عمرو بن الحارث ، ثم الحارث بن عمرو ، وهو أبو شمر الأكبر ثم الحارث بن الحارث بن أبي شمر ، فالحارث الأصغر بن الحارث الأوسط وهو الأعرج ، فالنعمان بن الحارث ، فجبلة بن الأيهم ، وهو الذي أدرك الاسلام^٢ » .

قائمة حمزة :

وأشهر قائمة ذكرها الأخباريون لملوك غسان، القائمة التي ذكرها حمزة الأصبهاني وتتألف من :

- ١ - جفنة بن عمرو المعروف بمزيقياء .
- ٢ - عمرو بن جفنة .
- ٣ - ثعلبة بن عمرو .
- ٤ - الحارث بن ثعلبة .
- ٥ - جبلة بن الحارث .
- ٦ - الحارث بن جبلة .
- ٧ - المنذر بن الحارث .
- ٨ - النعمان بن الحارث .
- ٩ - المنذر بن الحارث .
- ١٠ - جبلة بن الحارث .
- ١١ - الأيهم بن الحارث .

١ المحبر (ص ٣٧٢) .

٢ ديوان حسان (ص ٩٦) ، (هرشفلد) .

- ١٢ - عمرو بن الحارث .
 - ١٣ - جفنة بن المنذر الأكبر .
 - ١٤ - النعمان بن المنذر الأكبر .
 - ١٥ - النعمان بن عمرو .
 - ١٦ - جبلة بن النعمان .
 - ١٧ - النعمان بن الأيهم .
 - ١٨ - الحارث بن الأيهم .
 - ١٩ - النعمان بن الحارث .
 - ٢٠ - المنذر بن النعمان .
 - ٢١ - عمرو بن النعمان .
 - ٢٢ - حجر بن النعمان .
 - ٢٣ - الحارث بن حجر .
 - ٢٤ - جبلة بن الحارث .
 - ٢٥ - الحارث بن جبلة (ابن أبي شمر) .
 - ٢٦ - النعمان بن الحارث (أبو كرب) .
 - ٢٧ - الأيهم بن جبلة بن الحارث .
 - ٢٨ - المنذر بن جبلة .
 - ٢٩ - شراحيل بن جبلة .
 - ٣٠ - عمرو بن جبلة .
 - ٣١ - جبلة بن الحارث .
 - ٣٢ - جبلة بن الأيهم .
- وقد نقل ابن خلدون من جملة كتب ألف منها الفصل الذي كتبه عن تأريخ آل غسان ، وكذلك الفصل الذي دونه عن تأريخ الحيرة . أما الموارد التي نقل منها فصل آل غسان ، فتواريخ ابن سعيد والمسعودي وابن الكلبي والجرجاني . وأما الموارد التي نقل منها ابن خلدون مادة فصله عن تأريخ الحيرة ، فتواريخ السهيلي وأبي عبيدة والطبري وابن اسحاق والمسعودي وابن سعيد والجرجاني والبيهقي^١ . وأكثر اعتماده في النقل على الطبري .

١ ابن خلدون (٢/٢٥٩ وما بعدها) .

وقد اكتفى ابن خلدون بالنبد التي أخذها من هذه الموارد ولم يُبدِ رأيه فيها ولم يرتبها ترتيباً زمنياً مع ذكر أهم الأعمال التي قام بها كل ملك من أولئك الملوك كما فعل حمزة مثلاً ، فأورد أسماء ملوك الغساسنة ، كما ذكرها الموارد التي أخذ منها ، أو نقلها في شيء من الاختصار ، فنقل قائمة المسعودي ، والمسعودي نفسه لا يتقيد بالترتيب والتدقيق ، ونقل قائمة الجرجاني وتبدأ بثعلبة بن عمرو شقيق جذع بن عمرو قاتل ملك سليج . وتنتقل بالملك من ثعلبة الى ابنه الحارث ابن ثعلبة ، وهو ابن مارية عند بعضهم ، يليه ابنه المنذر ، ثم ابنه النعمان ، ثم أبي بشر بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة على رواية بعض النسابين أو أبي بشر بن عوف بن الحارث بن عوف بن عمرو بن عدي بن عمرو بن مازن ، ثم الحارث الأعرج ، ثم ابن أبي شمر ، ثم عمرو ابن الحارث الأعرج ، ثم المنذر بن الحارث الأعرج ، ثم الأيهم بن جبلة بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة ، ثم ابنه جبلة^١ .

وقد ناقش نولدكه في كتابه عن آل غسان هذه القوائم التي نقلها ابن خلدون كما ناقش غيرها من القوائم التي وجدها في التواريخ المخطوطة أو المطبوعة التي تمكّن من الحصول عليها، وأظهر ما فيها من خلل ونقص في نهاية ذلك البحث^٢ .

١ ابن خلدون (٢٨٠/٢) .

٢ (ص ٥٨ وما بعدها) من النص العربي ، (وصفحة ٥٣) من النص الألماني .

الفصل الحادي والأربعون

العرب والحبش

صلات العرب بالحبشة صلوات قديمة معروفة ترجع الى ما قبل الميلاد . فبين السواحل الافريقية المقابلة لجزيرة العرب وبين السواحل العربية اتصال وثيق قديم ، وتبادل بين السكان . اذ هاجر العرب الجنوبيون الى السواحل الافريقية وكونوا لهم مستوطنات هناك ، وهاجر الأفارقة الى العربية الجنوبية ، وحكموها مراراً ، وقد كان آخر حكم لهم عليها قبل الاسلام بآمد قصير .

ويرى بعض الباحثين ان أصل الحبش من غرب اليمن من سفوح الجبال، وفي اليمن جبل يسمى جبل (حُبَيْش) ، قد يكون لاسمه صلة بالحبش الذين هاجروا الى افريقية وأطلقوا اسمهم على الأرض التي عرفت باسمهم، أي (حبشت) أو الحبشة^١ .

ويرون أيضاً ان (الجعر) أو (جعيزان) كما يدعون كذلك ، هم Cesani الذين وضع (بليبي) منازلهم على مقربة من (عدن) . فهم من أصل عربي جنوبي . هاجر الى الحبشة وكون مملكة هناك^٢ . والى هؤلاء نسبت لغة الحبش، حيث عرفت بالجعزية ، أي لغة الجعر^٣ .

Belträge, S. 75, 119, Conti Rossini, in *Expeditions et Possessions des Habasat en Arable*, Journal Asiatique, 1921, P. 5, Die Araber, I, S. 114, E. Littmann, in : *Handbuch der Orientalistik*, III, 2-3, 350, 376.

Die Araber, II, S. 274.

Die Araber, I, S. 114.

ويظن ان العرب الجنوبيين هم الذين موتوا السواحل الافريقية المقابلة بالعناصر السامية . وكانوا قد هاجروا مراراً اليها، ومن بين تلك الهجرات القديمة ، هجرة قام بها السبثيون في القرن الخامس قبل الميلاد . وقد هاجر معهم (الحبش) في ذلك الوقت أيضاً . وقد توقف سيل الهجرات هذه حين تدخل (البطالمة) في البحر الأحمر، وصار لهم نفوذ سياسي وعسكري على جانبي هذا البحر. غير أنها لم تنقطع انقطاعاً تاماً ، إذ يرى بعض الباحثين أن العرب كانوا قد دخلوا الحبشة والسواحل الإفريقية المقابلة فيما بعد الميلاد أيضاً ، فترحوا اليها فيما بين السنة (٢٣٢) والسنة (٢٥٠) بعد الميلاد مثلاً ، حيث ركبوا البحر ونزلوا هناك^١ .

وقد تبين أن السبثيين كانوا قد استوطنوا في القرن السادس قبل الميلاد المناطق التي عرفت باسم (تعزية) Ta'izziya من أرض (أريتريا) ونجد الحبشة ، وكونوا لهم حكومة هناك . وأمدوا الأرضين التي استولوا عليها بالثقافة العربية الجنوبية^٢ . ولم يقطع هؤلاء السبثيون صلاتهم بوطنهم القديم ، بل ظلت أنظارهم متجهة نحوه في تدخلهم وهم في هذا الوطن بشؤونهم وارسالهم حملات عليه واحتلالهم له في فترات من الزمن . ولعل ما جاء في أحد النصوص من (مصر) الحبشة ، قصد به هؤلاء الذين كانوا قد استوطنوا تلك المنطقة من إفريقيا^٣ .

وفي القرن السادس قبل الميلاد، كان الأوسانيون قد نرحوا الى السواحل الافريقية الشرقية ، فاستوطنوا الأرضين المقابلة لـ Pemba ولـ (زنبار) Zanzibar وهي (عزانيا) Azania ، وتوسعوا منها نحو الجنوب . وقد عرف هذا الساحل في كتاب « الطواف حول البحر الأريتري » ، باسم Ausanteae ، وهو اسم يذكرنا بـ (أوسان) . وقد ذكر مؤلف الكتاب ، أنه كان خاضعاً في أيامه (القرن الأول بعد الميلاد) ، لحكام Mapharitis^٤ . ويريد بهم حكام دولة (سبأ وذو ريدان)^٥ .

وقد عثر الباحثون على حجر مكتوب في حائط كنيسة قديمة بالقرب من

Die Araber, I, S. 126. ١

Arabien, S. 25. ٢

Glaser 1076, Arabien, S. 25. ٣

Periplus Maris Erythraei, 22, Arabien, S. 25. ٤

Arabien, S. 25. ٥

(أكسوم) ، وإذا به كتب بالسبئية ، وفيها اسم الإلهة السبئية (ذت بعدن) (ذات بعدن) (ذات البعد) وعثر على بقايا أعمدة في موضع (بحا) الواقع شمال شرقي (عدوة) Adua ، تدل على وجود معبد سبئي في هذا المكان ، كما عثر على مذبح سبئي خصص بالإله (سن) (سين) . وعثر على كتابات وأشياء أخرى تشير كلها الى وجود السبئيين في هذه الأرضين^١ .

وعرف ملك الحبش بـ (النجاشي) عند العرب . واللفظة لقب تطلقه العربية على كل من ملك الحبشة ، فهي بمنزلة (قيصر) ، اللفظة التي يطلقها العرب على ملوك الروم ، و (كسرى) التي يطلقونها على من حكم الفرس ، و (تبع) التي يطلقونها على من يحكم اليمن . أما في العربية الجنوبية ، فقد أطلقت لفظة (ملك) على من ملك الحبشة . وقد ورد (ملك اكسمن) ، أي (ملك اكسوم) وورد (ملك حبشت) ، أي ملك الحبشة . فأخذ العرب اللفظة من الحبش . وهي في الحبشية بمعنى جامع الضريبة ، والذي يستخرج الضريبة ، فهي وظيفة من الوظائف في الأصل ، ثم صارت لقباً^٢ . وورد في بعض النصوص العربية الجنوبية اذ لقب به (جدرة) مثلاً^٣ .

ويظن ان مملكة (أكسوم) التي ظهرت في أوائل أيام النصرانية ، قد كانت دولة أقامها العرب الجنوبيون في تلك البلاد . وقد استطاع الباحثون من العثور على عدد من الكتابات تعود الى ملوك هذه المملكة ، دون بعض منها باليونانية مما يدل على تأثر ملوك هذه المملكة بالثقافة اليونانية وعلى وجود جاليات يونانية هناك نشرت ثقافتها في الحبشة . وقد عرفت هذه المملكة بمملكة (أكسوم) (اكسمن) نسبة الى عاصمتها مدينة (اكسم) (أكسوم)^٤ .

وقد كان ملوك أكسوم وثنيين . بقوا على وثنيتهم الى القرن الرابع أو ما بعد ذلك للميلاد . ويظن ان الملك (عزانا) Ezana وهو ابن الملك (الاعميدا) Ela-Amida ، هو أول ملك تنصر من ملوك هذه المملكة وذلك لعثور الباحثين على آثار تعود الى عهده ، ترينا القديمة منها أنه كان وثنياً ، وترينا الحديثة منها

Handbuch, I, S. 34. ١

Die Araber, II, S. 293. ٢

Die Araber, I, S. 115, II, S. 295. ٣

Die Araber, I, S. 114. ٤

أنه كان نصرانياً ، مما يدل على أنه كان وثنياً في أوائل أيام حكمه ، ثم اعتنق النصرانية ، فأدخل شعارها في مملكته ، وذلك بتأثير المبشرين عليه^١ .

وفي جملة ما يستدل به على تأثير العرب الجنوبيين في الحبش ، هو الأبجدية الحبشية المشتقة من الخط العربي الجنوبي . وقرب لغة الكتابة والتسدين عندهم من اللهجات العربية الجنوبية . وبعض الخصائص اللغوية والنحوية التي تشير إلى أنها قد أخذت من تلك اللهجات . ثم عثور العلماء على أسماء آلهة عربية جنوبية ومعروفة في كتابات عثر عليها في الحبشة والصومال . ووجودها في هذه الأرضين هو دليل على تأثر الأفريقيين بالثقافة العربية الجنوبية، أو على وجود جاليات عربية جنوبية في تلك الجهات .

وكما تدخل العرب في شؤون السواحل الإفريقية المقابلة لهم ، فقد تدخل الأفريقيون في شؤون السواحل العربية المقابلة لهم . لقد تدخلوا في أمورها مراراً . وحكموا مواضع من ساحل العربية الغربية ومن السواحل الجنوبية وتوغلوا منها إلى مسافات بعيدة في الداخل حتى بلغوا حدود نجران .

ويظهر من الكتابات الحبشية ، أن الحبش كانوا في العربية الجنوبية في القرن الأول للميلاد . وقد كانوا فيها في القرن الثاني أيضاً . ويظهر أنهم كانوا قد استولوا على السواحل الغربية ، وهي سواحل قرية من الساحل الأفريقي ومن الممكن للسفن الوصول إليها وانزال الجنود بها . كما استولوا على الأرضين المسماة بـ Kinaidokolpitaie في جغرافية (بطليموس)^٢ .

ورود في نص من النصوص الحبشية ، أن ملك (أكسوم) ، كان قد أخضع السواحل المقابلة لساحل مملكته ، وذلك بإرساله قوات برية وبحرية تغلبت على ملوك تلك السواحل من الـ (Arrhabite) (الأرحب) (الأرحية) (أرحب)^٣ والـ Kinaidokolpitaie ، وأجبرتهم على دفع الجزية ، وعلى العيش بسلام في البر

Handbuch, S. 34, D.H. Müller, Epigraph., S. 37.

44, Aksum Expedition, 1913, BD., IV, S. 32.

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498.

١ (أرحب : حي أو مكان . وفي المعجم : أنه مخلاف باليمن يسمى بقبيلة كبيرة من همدان) ، (أرحب : بلد على ساحل البحر بينه وبين ظفار نحو عشرة فراسخ) ، تاج العروس (٤٩٢/٢) ، (طبعة الكويت) ، (رحب) .

وفي البحر . ويرى بعض الباحثين أن المراد بـ (Arrhabite) بدو الحجاز . وأن Kinaldokolpita ، هم (كنانة) . وأن السواحل التي استولى الأحباش عليها تمتد من موضع (لويكه كومه) Leuke Komé (القرية البيضاء) الى أرض السبئين^١ .

ويرى (فون وزمن) أن احتلال الحبش لأرض Kinaldokolpita ، الأرض المسماة باسم قبيلة لا نعرف من أمرها شيئاً ، والتي ورد اسمها في كتابة Monumentum Adulitanum فقط وفي جغرافية (بطليموس) ، كان قبل تدوين تلك الكتابة وربما في حوالي السنة (١٠٠) بعد الميلاد . ويراد بها ساحل الحجاز وعسير من ينبع Iania في الشمال الى السواحل الجنوبية الواقعة على البحر العربي شمال (وادي ييش) ، فشملت الأرض المذكورة والنهائم والساحل كله^٢ .

غير اننا نجد أن مؤلف كتاب (الطواف حول البحر الأريتري) يشير من جهة أخرى الى أن الساحل الأفريقي المسمى بـ (تنجانيقا) في الوقت الحاضر كان في أيدي الحميريين في ذلك الوقت^٣ . ومعنى ذلك ان ملك حمير استطاع في أيام ذلك المؤلف من الاستيلاء على ذلك الساحل ومن ضمه الى ملكه . كما فعل أهل حضرموت وعمان فيما بعد .

ووردت جملة (احزاب حبشت) في النص الموسوم بـ (CIH 314+954) . وهي تشير الى وجود (أحزاب) أي جماعات من الحبش في العربية الجنوبية . وقد يراد بها مستوطنات حبشية وقوات عسكرية كانت قد استقرت في تلك البلاد^٤ . كما وردت في النص الموسوم بـ Ryckmans 535 الذي يتحدث عن حرب أعلنها (الشرح يحضب) على (احزاب حبشت) ، و (ذى سهرتن) و (شمر ذى ريدان)^٥ .

وأشار (اصطيغان البيزنطي) الى قوم دعاهم Abasynoi ، يظهر من قوله ان مواطنهم كانت في شرق حضرموت . ويفهم من كلامه أن هؤلاء كانوا حبشاً

١ Beltrage, S. 119.

٢ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 472.

٣ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 480.

٤ Die Araber, II, S. 275.

٥ Le Muséon, 1956, P. 154, Die Araber, II, S. 275.

يقيمون في هذه الأرضين . وقد يكونون قد استولوا عليها بالقوة وألحقوا ما استولوا عليه بمملكة أكسوم^١ .

وورد في كتابات تعود الى أيام (علهان نهقان) ، بأن هذا الملك كان قد تفاوض مع (جدرت) (جدرة) ملك (أكسوم) والحبيشة لعقد صلح معه . ويظهر من جملة « واقول وقدمن واشعب ملك حبشت » ، أي « وأقبال وسادات وقبائل ملك الحبيشة » ، الواردة فيها ، أن ملك الحبيشة كان يحكم جزءاً من العربية الجنوبية في ذلك الوقت ، وإن الملك (علهان نهقان) تفاوض معه لتحسين العلاقات السياسية فيما بينه وبين الحبش ولضمان مساعدتهم في حروبه مع منافسيه وخصومه^٢ . ويرى (فون وزمن) أن تلك المفاوضات كانت قد جرت في حوالي السنة (١٨٠) بعد الميلاد^٣ .

وقد عقد (علهان) حلفاً مع الحبش ، ويظهر أنه عقده بعد انتهائه من الحرب التي أعلنها على حير . تلك الحرب التي اشترك الحبش فيها أيضاً وكذلك أهل حضرموت . ولما عقد (علهان) الحلف مع الحبش ، كان ابنه (شعر أوتر) قد اشترك معه في الحكم^٤ .

ولم يدم الحلف الذي عقد بين (علهان) وابنه (شعر أوتر) من جهة الحبش من جهة أخرى ، إذ سرعان ما نقض ووقعت الحرب بين (شعر أوتر) وبين (الحبش) على نحو ما ذكرت في أثناء حديثي عن حكم (شعر أوتر) . إلا أنه لم يتمكن من القضاء عليهم ، ولم يزحهم عن اليمن . بل بقوا في الأرضين التي كانت خاضعة لهم والتي تقع في الجزء الغربي من اليمن^٥ .

وقد جاء اسم (جدرت) (جدرة) على هذه الصورة : (جدر نجش اكسم) في النصوص . وورد على هذه الصورة : (جدرت ملك حبشت واكسمن) في النص الذي وسم بـ 631 Jamme^٦ . ومعنى الجملة الأولى (جدر نجاشي أكسوم) .

Die Araber, II, S. 275.

Naml 71 + 73, CIH 308.

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 47. 1.

CIH 308, 308a, Le Muséon, 1964, 3-4, P. 471.

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 475.

Die Araber, II, S. 284, IV, S. 274.

ومعنى الحملة الثانية (جلدة ملك الحبشة وأكسوم) . وقد قدّر بعض الباحثين زمان حكم هذا النجاشي بحوالي السنة (٢٥٠) بعد الميلاد^١ .

ويظهر أن الحبش كانوا قد تمكنوا من دخول (ظفار) عاصمة حير ، وذلك فيما بين السنة (١٩٠) و (٢٠٠) بعد الميلاد . وذلك في أيام (لعز زيهنف يهصدق)^٢ . ولا ندري الى متى بقوا فيها . والظاهر أن حكمهم فيها كان قصيراً .

وقد كان نزول الحبش في أرض اليمن في أيام حكم الملك الحبشي (عذبة) على ما يظن . وكان هذا الملك على صلات حسنة بالرومان ، ففتح بلاده للمصنوعات الرومانية النفيسة ، وظل الحبش في اليمن في أيامه حتى وفاته ، فلما توفي أو عزل تولى ملك آخر مكانه هو (زوسكالس) Zoskales وقد أدى هذا التغيير الى تبدل الحال ، اذ اضطّر الحبش الى التزوح من الأماكن التي كانوا قد استولوا عليها . ويرى بعض الباحثين ان ثورة قامت في الحبشة على حكم (عذبة) وأحلت (زوسكالس) محله . فانتفض أهل اليمن فرصة انشغال الحكومة بالاضطرابات التي وقعت بهذه الثورة ، ونهضوا على الحبش فأخرجوهم عن ديارهم ، وأخرج الحبش من السواحل التي كانوا قد استولوا عليها ، المعروفة بـ Kinaidokolpitae ، ويراد بها ساحل الحجاز وعسير^٣ .

ووردت في النص الموسوم بـ (Ryckmans 535) ، لفظة (وذب ه) (وذب) ثم ذكرت بعدها جملة : (ملك اكسمن) ، أي (ملك أكسوم) ، أو (ملك الأكسوميين) . وهو الملك الذي استعان به (شمر ذو ريدان) . وقد قرأ بعض الباحثين لفظة (وذب) على هذه الصورة (عذبة) أو (وزبه) . وذهبوا الى أنه ملك الحبشة الذي استعان به (شمر ذو ريدان)^٤ ، والذي تدخل في شؤون اليمن فيما بين السنة (٣٠٠) و (٣٢٠) بعد الميلاد^٥ .

ويظهر من اللقب الطويل الذي تلقب به ملك (أكسوم)، أي الحبشة Ethiopia وهو الملك (عيزانا) Ezana ، أن اليمن وما جاورها من أرضين كانت خاضعة

Le Muséon, 1958, 147, Die Araber, II, S. 285.

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498.

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 480.

Die Araber, II, S. 285.

Die Araber, II, S. 295.

الحكم الحبش في أيامه أيضاً . أما لقبه الذي تلقب به فهو : (ملك اكسوم وحمير وريدان وسبأ وسلحن) ، ويذكر بعد هذا اللقب أسماء ثلاثة مناطق افريقية كانت تحت حكمه ، ثم ختم هذا اللقب بتتمته ، وهي جملة : (ملك الملوك)^١ . و (سلحن) (سلحين) ، هو قصر ملوك سبأ وذو ريدان بمأرب .

وكان الملك (عيزانا) (عزانا) ، قد دخل في النصرانية بتأثير المبشر (فروميتيوس) ، الذي أرسله اليه الملك (قسطنطين) ملك البيزنطيين عام (٣٥٠) للميلاد أو (٣٥٦) . وقد فرض هذا الملك النصرانية على شعبه وأعلنها ديانة رسمية لمملكته كما جعلها الديانة الرسمية للعربية الجنوبية^٢ .

وكانت العربية الجنوبية خاضعة لحكم أبيه ، ولعله هو الذي أدخلها في حكمه . اذ كان أبوه وهو (الاعميدا) Ella 'Amida ، قد لقب نفسه باللقب المذكور^٣ . ويرى بعض الباحثين أن حكم (عيزانا) لم يكن فيما بين السنة (٣٣٠) و (٣٥٠) بعد الميلاد أو بعد ذلك كما ذهب الى ذلك بعض الباحثين ، بل كان في حوالي السنة (٤٥٠) للميلاد . ويرى أن ملكاً آخر كان قد تدخل في شؤون اليمن واستولى على ساحل Kinaidokopitae ، هو الملك (سمبروتس) Sembruthes وقد حكم على رأيهم في حوالي السنة (٤٠٠) بعد الميلاد^٤ .

ويرى بعض الباحثين أن الحبش استولوا على العربية الجنوبية بعد وفاة (شمر يهرعش) ، وأن ذلك كان في حوالي السنة (٣٣٥ م) . وأن (ثيوفيلس) نصرّ عرب اليمن في حوالي السنة (٣٥٤ م) ، إذ أنشأ كنيسة في (ظفار) . وقد صار رئيس أساقفة (ظفار) يشرف على الكنائس التي أنشئت في اليمن وفي ضمن ذلك كنيسة (نجران) والكنائس الأخرى التي بنيت في العربية الجنوبية الى الخليج^٥ .

وأعرف تدخل للحبش في العربية الجنوبية ، تدخلهم في شؤون اليمن في النصف الأول للقرن السادس واحتلالهم اليمن ، إذ بقوا فيها أمداً حتى ثار أهل اليمن

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 448.

Handbuch, I, S. 35, 36.

Handbuch, I, S. 36, 104, E. Littmann, Deutsche Aksum Expedition.

Altheim-Stiehl, Geschichte der Hunnen, 5, 175, Die Araber, II, S. 295.

Grohmann, S. 29.

عليهم ، فتمكنوا من انقاذ بلادهم من الحبش بمعونة من الفرس . وتركوا بذلك اليمن أبداً .

ويظهر من بعض الكتابات أن حصن (شمر) والسهل المحيط به كان في أيدي الحبش ، وقد ورد فيها اسم موضع (مخون) ، وهو (مخا) . ويرد اسم هذه المدينة لأول مرة . وتتناول هذه الكتابات حوادث وقعت سنة (٥٢٨) بعد الميلاد^١ .

وتبدأ قصة دخول الحبش الى اليمن على هذا النحو : لما قتل ذو نواس من أهل نجران قريباً من عشرين ألفاً ، أفلت منهم رجل يقال له (دوس ذو ثعلبان) أو رجل آخر اسمه (جبار بن فيض) أو غير ذلك ، ففسر على فرس له ، فأعجزهم حتى خرج فوصل الحبشة، وجاء الى ملكها ، فأعلمه ما فعل (ذو نواس) بنصاري نجران ، وأتاه بالانجيل قد أحرقت النار بعضه ، فقال له : الرجال عندي كثير ، وليست عندي سفن . وأنا كاتب الى قيصر أن يبعث إليّ بسفن أحمل فيها الرجال ، فكتب الى قيصر في ذلك وبعث اليه بالانجيل المحرق . فبعث اليه قيصر بسفن كثيرة عبر فيها البحر ودخل اليمن^٢ .

وفي رواية أخرى ان (دوس ذو ثعلبان) قدم على قيصر صاحب الروم ، فاستنصره على (ذي نواس) وجنوده وأخبره بما بلغ منهم ، فقال له قيصر : بعدت بلادك من بلادنا وثأت عنا ، فلا نقدر على أن نتناولها بالجنود . ولكني سأكتب لك الى ملك الحبشة ، فانه على هذا الدين ، وهو أقرب الى بلادك منا ، فينصرك ويمنعك ويطلب لك بئارك ممن ظلمك . فكتب معه قيصر الى ملك الحبشة يذكر له حقه وما بلغ منه ومن أهل دينه ، ويأمره بنصره وطلب ثأره ممن بغى عليه وعلى أهل دينه . فلما قدم دوس ذو ثعلبان بكتاب قيصر على النجاشي ، بعث معه سبعين ألفاً من الحبشة ، وأمر عليهم رجلاً من أهل الحبشة يقال له أرياط ، وعهد اليه إن أنت ظهرت عليهم فاقتل ثلث رجالهم ، وأخرب ثلث بلادهم ، واسب ثلث نسائهم وأبنائهم . فخرج أرياط ومعه جنوده ، وفي جنوده أبرهة الأشرم ، فركب البحر ومعه دوس ذو ثعلبان حتى نزلوا بساحل اليمن . وسمع بهم ذو نواس ، فجمع اليه حمير ومن أطاعه من قبائل اليمن ، فاجتمعوا اليه على

Le Muséon, 1964, 3-4, P. 438.

١
٢ الطبري (١٠٥/٢) ، المحبر (ص ٣٦٨) ، تفسير القرطبي (٢٩٣/١٩) .

اختلاف وتفرق لانتقطاع المدة وحلول البلاء والنقمة ، فلم تكن له حرب ، غير أنه ناوش ذا نواس شيئاً من قتال ، ثم انهزموا ودخلها أرباط بمجموعه . فلما رأى ذو نواس ما رأى مما نزل به وبقومه ، وجهه فرسه الى البحر ، ثم ضربه فدخل فيه ، فكان آخر العهد به . ووطيء (أرباط) اليمن بالحبشة ، فقتل ثلث رجالها وأخرب ثلث بلادها وبعث الى النجاشي بثلاث سباياها ، ثم أقام بها^١ .

ويظهر من دراسة هذا المروي، أن الرواة كانوا على اختلاف بينهم في حديثهم عن (أصحاب الأخدود) . وقد أشار العلماء الى هذا الاختلاف^٢ . وقد اختلفوا في زمانهم أيضاً ، واكتفى بعضهم بقولهم : « وكانوا بنجران في الفترة بين عيسى ومحمد »^٣ . وقال بعضهم : انهم كانوا باليمن قبل مبعث الرسول بأربعين سنة ، أخذهم « يوسف بن شراحيل بن تبع الحميري ، وكانوا نيفاً وثمانين رجلاً ، وحفر لهم أخدوداً وأحرقهم فيه^٤ . وجعل بعضهم عدد من قتل من نصارى نجران عشرين ألفاً ، وجعله بعضهم اثني عشر ألفاً ، وذكر بعض آخر ان أصحاب الأخدود سبعون ألفاً . وقد قتلهم (ذو نواس اليهودي) واسمه (زرعة بن تبان أسعد الحميري) ، واسمه أيضاً (يوسف) . وجعله بعضهم (يوسف بن ذي نواس بن تبع الحميري)^٥ . وجعلوا زعيم نصارى نجران ، والذي ثبت النصرانية فيها ونشرها بين النجرانيين رجل من أهل نجران ، اسمه (عبدالله بن ثامر) . وكان قد أخذ النصرانية عن راهب ، رآه فلازمه وتعلق به ، وأثر في قومه ، بشفائه الأمراض بالدعاء لهم الى الله لشفائهم ، فدخل كثير ممن شفوا وبرؤوا بدينه ، وبذلك انتشرت النصرانية في نجران^٦ .

ولم يبين رواية الخبر المتقدم الأسباب التي دعت نجاشي الحبشة الى الطلب من قائده (أرباط) بأن يقتل ثلث رجال اليمن ، ويخرب ثلث البلاد ، ويسبي

١ الطبري (١٠٥/٢ وما بعدها) ، ابن قتيبة (ص ٣١١) ، الكشاف للزمخشري (١٥٩٤/٢) . تفسير البضاوي (٣٩٥/٢) .

٢ تفسير القرطبي (٢٨٧/١٩) .

٣ تفسير القرطبي (٢٨٧/١٩) .

٤ تفسير القرطبي (٢٨٩/١٩) .

٥ تفسير القرطبي (٢٩٠/١٩) .

٦ تفسير القرطبي (٢٨٩/١٩ وما بعدها) .

ثلث النساء وأبناءهم وأن يتبع هذا النظام الثلاثي في العقوبة . ولم يذكروا الموارد التي أخذوا منها خبرهم على طريقتهم في أخذ الأخبار من غير تمحيص .
 وزعم (ابن الكلبي) أن السفن لما قدمت على النجاشي من عند قيصر ، حمل جيشه فيها ، فخرجوا في ساحل المنذب . فلما سمع بهم ذو نواس ، كتب إلى المقاتل يدعوه إلى مظهرته ، وأن يكون أمرهم في محاربة الحبشة ودفعهم عن بلادهم واحداً . فأبوا ، وقالوا : يقاتل كل رجل عن مقولته وناحيته . فلما رأى ذلك ، صنع مفاتيح كثيرة ، ثم حملها على عدة من الابل ، وخرج حتى لقي جمعهم فقال : هذه مفاتيح خزائن اليمن قد جئتم بها . فلما وجه الحبشة ثقات أصحابهم في قبض الخزائن ، كتب (ذو نواس) إلى كل ناحية أن اذبحوا كل من يريد اليكم منهم . ففعلوا . فلما بلغ النجاشي ما كان من ذي نواس : جهز سبعين ألفاً ، عليهم قائدان : أحدهما أبرهة . فلما صار الحبشة إلى صنعاء ورأى ذو نواس أن لا طاقة له بهم ، ركب فرسه واعترض البحر فاقترحمه ، فكان آخر العهد به^١ .

هذا مجمل ما ورد في كتب المؤرخين الاسلاميين والأخباريين عن ذي نواس . وقد أخذ بعضه مما علق في أذهان أهل اليمن عن ذلك الحادث ، وأخذ بعض آخر مما علق بأذهان أهل الكتاب عنه ، ويعود الفضل في تدوينه وجمعه إلى القرآن الكريم ، إذ أشار بإيجاز إليه : « قتل أصحاب الأخدود . النار ذات الوقود . إذ هم عليها قعود . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود »^٢ . فكانت اشارته هذه إلى أصحاب الأخدود حافزاً دفع بالمفسرين وأصحاب التأريخ والأخبار على جمع ما علق بالأذهان من هذا الحادث ، فجاء على الصورة المذكورة^٣ .

ولم يرد إلينا شيء من هذا القصص السني رواه الأخباريون عن ذي نواس مكتوباً في المسند . وكل ما ورد مما له علاقة بحادث دخول الحبشة اليمن ، هو ما جاء في النص المهم المعروف بنص حصن غراب والموسوم بـ REP. EPIGR. 2633 من أن الأحباش فتحوا أرض حير وقتلوا ملكها وأقياه الحميريين والأرحبيين .

١ الطبري (١٢٧/٢) (دار المعارف بمصر) ، المحبر (ص ٣٦٨)

٢ سورة البروج : رقم ٨٥ ، الآية ٤ وما بعدها .

٣ Loth, Tabari's Korancommentar, Die « Leute der Grube », in ZDMG., 1881, S. 610.

ولم يذكر في النص اسم هذا الملك . ويعود تأريخه الى سنة (٦٤٠) من التقويم الحميري الموافقة لسنة (٥٢٥) للميلاد^١ .

ويرى ونكلر مستنداً الى نص (حصن غراب) أن (ذا نواس) كان هو البادئ بالحرب ، وأن السميع أشوع وأولاده أصحاب النص كانوا في معية الملك ذي نواس في حملته على الحبشة ، غير انه لم يكتب له التوفيق ، وأصيب بهزيمة اذ سقط فهزم جمعه . وعندئذ غزا الحبش أرض اليمن واستولوا عليها . فأسرع السميع أشوع وأولاده في الذهاب الى حصن (ماوية) للتحصن فيه ولتقوية وسائل دفاعه ، ولم تكن قلوب هؤلاء مع ذي نواس ، وانما أكرهوا على الذهاب معه . وبقوا في حصنهم هذا الى أن دخل الحبش أرض اليمن ، فتفاهم معهم^٢ .

وقد أشرت الى ملخص ما جاء في التواريخ الاسلامية عن ذي نواس وعن حادث تعذيب نصارى نجران ، وهو حادث لم يكن بعيد العهد عن الاسلام . فقد أشير اليه بايجاز في القرآن الكريم : « قتل أصحاب الأخدود . النار ذات الوقود . اذ هم عليها قعود . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود »^٣ . فجمع المفسرون والأخباريون ما علق بالأذهان من هذا الحادث ورووا أخباراً متناقضة متباينة في أصحاب الأخدود .

أما رأي اليهود - وهم طرف من أطراف هذا النزاع - عن حادث نجران فلا علم لنا برأي رجاله المعاصرين في الحادث . إذ لم يصل إلينا شيء مدون بقلم مؤلف يهودي معاصر له . وقد أخذ الأخباريون - كما قلت - ما كان علق عن ذلك الحادث بأذهان يهود اليمن ويثرب ، على لسان وهب بن منبه ، وأضرابه ، أخذوه عن طريق الرواية والحفظ ، فهذا المدون في كتب أهل الأخبار والمنصوص على سنده هو كل ما نعرفه من رأي اليهود المتأخرين في حادث نجران .

وأما ما رواه النصارى عنه ، وهم الطرف الثاني في النزاع ، فلانه أطيب جداً وأوضح مما ورد في الموارد الاسلامية وفي الرواية اليهودية الشفوية اذ اعتمدت

١ REP. EPIGR., V, I, P. 5, Glaser, Die Abessinier, S. 131-132,

Mordtmann, in ZDMG., XLIV, 1890, S. 176.

٢ Winckler, AOF., IV, 1896,

« Zur Alten Geschichte Yemens und Abessinien », S. 327.

٣ سورة البروج : رقم ٨٥ ، الآية ٤ وما بعدها .

المواد الإسلامية واليهودية على منابع شفوية ، هي السماع والرواية ، فجاء وصفها للحادث مزوّقاً . أما الموارد النصرانية فقد اعتمدت على السماع والمشافهة أيضاً ، ولكنها أخذت من موارد ووثائق مسجلة دون بعضها بعد وقوع الحادث بقيل ، وكان لتدوينها الحادث أهمية كبيرة بالنسبة لمن يريد تأريخه والوقوف على كيفية حدوثه ، وإن كانت لا تخلو أيضاً من المبالغات والتهويل ، والعواطف ، لأنها كتبت في ظروف عاطفية حماسية . ونقلت من محيط للمبالغة فيه مكانة كبيرة ومن أفواه أناس ليس لهم علم بمنطق المحافظة على صدق الواقع . وقد دوت لبث حمية النصارى على انقاذ أبناء دينهم المضطهدين في اليمن .

وقد أدرك بعضها زمن الحادث وأخذ سماعاً من رجال شهوده ، أو من رجال نقلوا رواياتهم من شهود العيان . فلهذه الوثائق إذن شأن عظيم في نظر المؤرخ . ومن هؤلاء الرحالة : (قزما) ، والمؤرخ (بروكوبوس) المتوفي في حوالي السنة (٥٦٠) للميلاد^١ . ومن المتأخرين : المؤرخ (ملالا) Johannes Malala^٢ . وقد نقل من كتابه بعض المؤرخين المتأخرين عنه ، مثل (ثيوفانس) Theophanes (٧٥٨ - ٨١٨)^٣ و (سدرينس) Georg Cedrenus ، و (نيقيفورس كالستي) Nicephorus Callisti^٤ .

وكان (قزما) المعروف بـ Cosmas Indicopleutes أي (قزما بحار البحر الهندي) ، وصاحب كتاب (الطبوغرافية النصرانية) Christian Cosmography وكتاب (البحار الهندية) (بحار البحر الهندي) Indicopleutes في مدينة (أدولس) Adulis ، الواقعة على ساحل الحبشة على المحيط الهندي ينقل كتابة (بطليموس) Ptolemaeus اليونانية بأمر النجاشي (Elesboas) (Elesboan) في العهد الذي كان فيه النجاشي يتهماً لغزو أرض حيرة^٥ . فكتب في جملة ما كتبه

١ Procopius, History of the Wars, Musil, Palmyrena, P. 336.

٢ Johannes Malala, Chron., ED : Bonn.

٣ Theophanes, Chronographia, ZDMG., 1881.

٤ Nicephorus Callisti, Hist. Eccl., Lib., XVII, Cap. 32,

2, Gibbon, The Decline and fall of the Roman Empire, II, P. 625.

٥ ED : Montfaucon, P. 141, ZDMG., 1881, S. 5.

مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق : المجلد الثالث والعشرون : الجزء الاول ، ١٩٤٨ ، (ص ١٨ وما بعدها) .

قصة غزو الحبشة لليمن بعد ٢٥ عاماً من وقوعه^١ . فلروايته عن الحملة شأن كبير لأنها غير بعيدة عهد عن الحادث ، ثم ان صاحبها نفسه كان قد أدركها وقد سمع أخبارها من شهود عيان . ولعله كان نفسه من جملة أولئك الشهود ، شاهد السفن وهي تحمل الجنود لنقلهم الى اليمن ، واتصل بالرسميين الحبش واستفسر منهم عن الحملة .

ويفهم من رواية (قرما) ، ان الحملة كانت في أوائل أيام حكم القيصر (يسطينوس) Justinus (٥١٨ - ٥٢٧ م)^٢ . أما (ثيوفانس) Theophanes و (سدرينوس) Cedrenus ومن اعتمد عليها ، فقد جعلوا الحملة في السنة الخامسة من حكم هذا القيصر ، وذكروا ان الذي حل النجاشي على هذا الغزو هو تعذيب ملك حير لنصارى نجران ، وقد قتل هذا الملك^٣ .

ويحدثنا (ثيوفانس) و (سدرينوس) عن غزو ثان قام به الحبش على حير لاعتداءاتهم على تجار الروم ، وذلك في السنة الخامسة عشرة من حكم (يوستنيانوس) Justinianus (٥٢٧ - ٥٦٥ م) ، وفي عهد النجاشي (أدد) Adad . أما ملك حير ، فاسمه (دميانوس) Damianus . وقد ذكر (ملالا) هذا الحديث محرّفاً بعض التحريف ، فجعل اسم النجاشي (أندس) Andas بدلاً من ادد ، وصيّر اسم ملك حير (دمنوس) Damnus عوضاً عن (دميانوس) Damianus ، وذكر حملة (اندس) هذه قبل جملة Elesbaas . وأشار الى أن النصرانية كانت قد انتشرت في الحبشة قبل أيام (اندس) . وذكر المؤرخان الآخران ان (أدد) تنصر على أثر احرازه النصر على الحميرين^٤ .

وتحدثنا رواية سريانية ان النجاشي المسمى (ايدوك) Aidog حارب الملك (اكسينودون) Xenedon ملك الهنود . ثم حارب (دميون) Dimion ملك حير لاعتدائه على التجار الروم واستيلائه على أموالهم . فانتصر (ايدوك) على ملك حير ، ثم تنصر ، وعيّن على حير ملكاً نصرانياً . فلما مات هذا الملك ،

J.B. Bury, History of the Roman Empire, II, P. 323. ١

Cosmas, P. 141, ZDMG., 31, 1877, 66. ٢

ZDMG., 31, 1877, 66, Theophanes, I, 260. ٣

Mordtmann, in ZDMG., 31, 1877, S. 67, Theophanes, ٤

I, 346, Cedrenus, I, 656.

عذَّب خلفه نصارى نجران ، فغزا (ايدوك) حمير وانتصر عليها . وأقام عليها (ابرهام) (ابراهيم) Abraham ^١ . ولا يشك المستشرق (فيل) Fell في أن المراد بـ (Adad) (Andas) (Aidog) رجل واحد هو النجاشي (كالب) ، وهو Elesbaas (كلب الا أصبحه) (كالب الا أصبحه) . وأما Dimion و Dimianus و Xenodon ، فيراد بها (ذو نواس) . وقد تحدث (فل) Fel باطناب عن مختلف الروايات الواردة عن النجاشي (كالب) (كلب الا أصبحه) و (الاعاميدة) (عيلاميده) وعن انتشار النصرانية في الحبشة ، وأمثال ذلك ، فإنه يرجع من يطلب المزيد ^٢ .

وفي المرويات اليونانية عن الشهداء أن الذي قام بتعذيب نصارى نجران هو الملك (ذو نواس) Dunaas ملك حمير ، وإن ذلك كان في السنة الخامسة من حكم (يوسطينوس) Justinus ، أن الذي غزا اليمن هو النجاشي Ela Atzbeha Elesbas . فلما دخلت جيوشه أرض حمير ، فر Dunaas الى الجبال فتحصن فيها ، حتى إذا سنحت له الفرصة خرج فقتل من بقي من جيش النجاشي في اليمن واحتل مدينة (نجران) فقام عندئذ Elesbas بحملة ثانية فانتصر بها على (Dunaas) وعين Abrames في مكانه ^٣ .

وفي جملة ما لحق بقصص الشهداء الحميريين ، المناظرة التي جرت بين أسقف (ظفار) المسمى (كريكتيوس) Gregentius وبين Herban اليهودي ، والظاهر أنها من القصص الذي وضع في السريانية وليست لها قيمة تاريخية بالطبع ^٤ . وقد دون (يوحنا الأفسسي) John of Ephesus المتوفي في حوالي سنة (٥٨٥) للميلاد في تاريخه الكنسي وثيقة مهمة جداً عن حادث تعذيب نصارى نجران ، هي رسالة وجهها (مار شمعون) أسقف (بيت أرشام) Simon of Beth Arsham المعاصر لهذا الحادث الى (رئيس دير جبلة) Abt von Gabula يصف فيها ما سمعه وما قصه عليه شهود عيان من أهل اليمن عن تعذيب نصارى نجران

Mordtmann, in ZDMG., 31, 1877, S. 67, Assemani, Bibl. Orient., I, ١

359, Fell, in ZDMG., 35, 1881, S. 19.

Fell, in ZDMG., 35, 1881, S. 19. ٢

Mordtmann, in ZDMG., 31, 1877, S. 67, Anecdota Graeca, ٣

Vol., V, P. I, (Boissonade Ed.).

Mordtmann, in ZDMG., 31, 1877, S. 69, Bury, II, P. 327. ٤

وما لاقوه هناك من أصناف العذاب^١ . ومنه أخذها البطريق (ديونيسيوس) Patriarch Dionysius ، فأدخلها في تأريخه المؤلف بالسريانية . وقد نشرها (السمعاني) في مؤلفه (المكتبة الشرقية) . وتجدر هذه الرسالة أيضاً في تأريخ (زكريا) Zacharias von Mitylene المتوفي في حوالي سنة (٥٦٨) للميلاد ، وهو بالسريانية أيضاً^٢ . وفي الرسالة اختلافات عن نسخ الرسالة الأخرى ، ولكنها غير مهمة على كل حال ولا تغير من جوهرها شيئاً^٣ .

وقد ذكر (شمعون) في رسالته أنه كان قد رافق (ابراهيم) (ابراهيم) Abraham والد (نونوسوس) Nonnosus الشهير في رسالة خاصة أمر بها القيصر (يوسطينوس) Justinus الأول الى ملك الحيرة (المنذر الثالث) . وكان ذلك في العشرين من كانون الثاني من سنة (٨٣٥) من التأريخ السلوقي، وتقابل هذه السنة سنة (٥٢٤) للميلاد. فلما بلغا قصر الملك ، سمعا بأخبار استشهاد نصارى نجران . وعلم به (شمعون) من كتاب وجته ملك حير الى ملك الحيرة ، يطلب منه أن يفعل بنصاري مملكته ما فعله هو بنصاري نجران . وقد قرىء الكتاب أمامه ، فوقف على ما جاء فيه ، وعلم به أيضاً من رسول أرسله في الحال الى نجران ليأتيه بالخبر اليقين عن هذه الأعمال المحزنة التي حلت بالمؤمنين^٤ .

وقد وجّه شمعون في نهاية الرسالة نداءً الى الأساقفة خاصة أساقفة الروم ليعلمهم بهذه الفاجعة التي نزلت باخوانهم في الدين ، والى بطريق الاسكندرية ليتوسط لدى

١ مجلة المجمع العلمي العربي ، بدمشق ، المجلد الثالث والعشرون الجزء الاول السنة ١٩٤٨ (كتاب الشهداء الحميريين) ، لما راغناطيوس أفرام ، النصرانية (٦١/١) ،

Fell, « Die Christenverfolgung, in Südarabien und Himjarish Athiopischen Kriege nach Abessinischer Überlieferung », in ZDMG., 35, 1881, S. 2, Assemani, Bibl. Orient., I, P. 364, Bury, II, P. 323.

٢ النصرانية (٦١/١) ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، الجزء المذكور (ص ١٨) ، اللؤلؤ المنشور في تاريخ الآداب والعلوم السريانية (٢٥٤) ، حمص سنة ١٩٤٣ ،

Assemani, Bibl. Orient., I, 369, ZDMG., 35, 1881, S. 3.

Zacharias, Historia Miscellanea, by J.P.N. Land, Entitled Zachariae Episcopi Mitylenes Allorumquae Scripta Historica Graeca Plerumque Deperdita, Constituting, Land, Anecdota Syriaca, vol., 3, Leiden, 1890.

ZDMG., 35, 1881, S. 3, Bury, II, P. 323, Fragmenta Histori. Graeca, IV, P. 177.

نجاشي الحبشة في مساعدة نصارى اليمن ، كما وجّه نداءه الى أحبار (طبرية)
للتأثير على ملك حمير ، والتوسط لديه بالكف عن الاضطهاد والتعذيب^١ .

وقد درس عدد من الباحثين هذه الرسالة ، ونقدوها ، وهي في الجملة صحيحة
ووثيقة مهمة لا شك في ذلك بالنسبة الى من يريد الوقوف على موضوع استشهاد
نصارى نجران. أما ما جاء فيها على لسان ملك حمير من جمل وعبارات استخلصت
على حد قول (شمعون) من الرسالة التي وجهها ملك حمير الى المنذر، فسألة فيها
نظر ، وقضية لا يمكن التسليم بها ، فلا يعقل أن يكون ما قيل فيها على لسانه
قد صدر منه . وما دوتن فيها من عبارات بحق الشهيد (حارثة) (الحارث) Arethas
ونصارى نجران لا يعقل أن يكون قد صدر من ملك يهودي . ولكننا لا نستطيع
أن ننكر أو نتجاهل أمر الرسالة التي أرسلها الملك الى المنذر لحثه على اضطهاد
نصارى مملكته مقابل مبلغ يقدمه ملك حمير اليه . ولا داعي يدعو إلى نكرانها
والشك فيها . وكل ما نستطيع أن نقوله إن الرسالة صحيحة ، ولكن ما دوتنه
شمعون من جمل وعبارات على أنها من كلام ملك حمير ، هو من انشائه وكلامه ،
لا ترجمة حرفية للكتاب . وخلاصة ما يقال في الرسالة أنها وثيقة مهمة ، ولها
قيمة تاريخية في الجملة بغض النظر عن التفصيلات الواردة فيها وعن عواطف كاتبها
وعن المبالغات التي وردت فيها . وفي مركز صاحبها والمكانة التي كان فيها ما يسوغ
صدور مثل هذه الأمور منه ووقفه عليها^٢ .

ومن الوثائق التاريخية التي تتعلق بشهداء نجران كتاب ينسب إلى (يعقوب
السروجي) في السريانية في نصارى نجران ، وقصيدة في رثاء الشهداء لـ (بولس)
Paulus Bishop of Eddessa أسقف (الرها) Eddassa = Edessa ومدحه
اياهم ، ونشيد كنسي سرياني لـ (يوحنا بسالطس) Johannes Psaltes رئيس
دير قنسرين المتوفى سنة (٦٠٠) للميلاد^٣ ، وميمر ليعقوب الرهاوي^٤ .

١ ZDMG., 35, 1881, S. 3.

٢ ZDMG., 35, 1881, S. 4.

٣ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، الجزء المذكور (١٨) ، اللؤلؤ المنشور في
تاريخ الآداب والعلوم السريانية (٢٥٤) ، وفي رواية أنه توفي في ٣٠ أكتوبر
٥٢٦ للميلاد راجع :

Bury, II, P. 324, ZDMG., XXXI, 324, 363, 400, XXXV,
1881, S. 4.

٤ النصرانية (٦١/١) ، Bedjan, Acta Martyrum et Sanctorum, I, 372, 397.

ويظهر مما ورد في (كتاب الشهداء الحميريين)^١ وفي رسالة (شمعون الأرشامي) أن (يعقوب السروجي) أسقف (سرجيوبولس) Sergiopolis ، أي (الرصافة) كان من رجال البعثة المذكورة التي أوفدها القيصري (يوسطين الأول) (يسطينوس) Justin I إلى الملك (المنذر) . و (الرصافة) Sergiopolis هي (متروبولية منطقة الفرات) Metropolis of Euphratensis بالنسبة إلى نصارى العرب . ويذكر مؤلف الكتاب المذكور أنه عمّد وهو في (حيرة النعمان) (حيرتا دي نعمانا) Hirtha Dhe' Na'mana أحد سادات حمير ، واسمه (أفعو) Af'u ، وكان أحد الوثنيين الذين جاؤوا من اليمن إلى الحيرة ، وقد شاهد بنفسه تعذيب نصارى (نجران)^٢ . وقد كلفه ملكه ، أي ملك حمير ، السفارة عند ملك الحيرة . ولكنه كان رقيق القلب ، فرق قلبه وهو في الحيرة على النصرانية ، فتنصر على يديه^٣ .

وقد نقل مؤلف كتاب الشهداء الحميريين صورة الكتاب الذي أرسله ملك حمير ، وقد دعاه (مسروقاً) Masruq ، إلى (المنذر بن الشقيقة) (منذر بر شقيقة) Mundhar bar Zaqiqa وهو يخرضه فيه على النصارى^٤ . ولا بد من الإشارة إلى الأثر المهم المنشور باليونانية لـ (يوحنا بولند) Johann Bolland وجماعته في عشرات المجلدات ، وإلى أثر آخر نشره (بوسونا) Boissona في اليونانية كذلك في خمسة مجلدات^٥ . فقد دوّنت في الكتاب الأول قصة الشهيد القديس (الحارث) Arethas وبقية شهداء نجران ، وقصة الحرب التي وقعت بين النجاشي وذي نواس . ودوّنت في الأثر الثاني مضامين رسالة (مار شمعون) . وقد بين (فينند فل) Winand Fell رأيه فيما جاء في مجموعة (بولند) Bolland^٦ .

١ Axel Moberg, The Book of the Himyarites, Lund, 1924,

Le Muséon, 1963, 3-4, P. 349.

٢ Shshid, The Book of the Himyarites, in, Le Muséon,

1963, 3-4, P. 354.

٣ Le Muséon, 1963, 3-4, P. 352.

٤ The Book of Himyarites, Chapter XXV.

٥ النصرانية (٦١/١) ، وفي مكتبة الآباء اليسوعيين نسخة عربية من هذه الاعمال : (أعمال البولنديين) ،

Acta Sanctorum Oct. Tom. X, 721, Antwerp, 1643.

٦ ZDMG., 35, 1881, S. 5.

وللنصوص الحبشية ولا شك أهمية عظيمة عند من يريد تدوين غزو الأحباش لليمن وتأريخ شهداء نجران إذ كانوا الطرف الرئيسي في هذا الحادث، وهم الذين أغاروا على اليمن فقتلوا ملك حير . لذا وجّه الباحثون أنظارهم نحوها وفتشوا عنها ، غير أنهم لم يعثروا على نصوص فيها أمور جديدة عن الحادث تنفرد بها. وما عثر عليه ليس بكثير . ومن ذلك كتابة عثر عليها (يوسف سايتو) J. Sapeto أشهر فيها باختصار إلى القديس الحارث (حبروت) Herut وبقية الشهداء ، وجملة مخطوطات حبشية محفوظة في المتحف البريطاني وردت فيها أخبار الشهداء وغزو الحبشة لليمن، وأمر (ذو نواس) المسمى فيها بـ (فنجاس)، وهي لا تختلف في الجملة اختلافاً كبيراً عما جاء في أعمال (البولنديين) وأعمال القديس (أزقير) التي نشرها (روسيني) ، وهو الذي استشهد بأمر ملك حير (شرحيل بن ينكف) مع (٣٨) آخرين^١ .

يتبين من بعض الموارد الإغريقية والحبشية أن الأحباش كانوا قد نزلوا بأرض حير قبل قيام ذي نواس بتعذيب نصارى حير بسنين ، وأنهم انتصروا على ذي نواس ، فاضطروا إلى التقهقر إلى الجبال للاختباء بها ، وأنهم تركوا في اليمن جيشاً لحماية النصارى والدفاع عنهم . فلما مات قائد الجيش ونائب الملك ، انتهز ذو نواس هذه الفرصة فأغار على الجيش فتمكن منهم ، وعذب من وجد في بلاده من النصارى واضطهدهم ، وأغار على نجران ، وحاصرها مدة طويلة بلغت سبعة أشهر على زعم الرواية الحبشية . فلما طال الحصار، عمد ذو نواس إلى الخداع والغش ، ففاوض النجرانيين على التسليم له ، وتعهد إن فتحوا له المدينة ، ألا يتعرض لهم بسوء . فلما صدقوه وفتحوا المدينة له ، أعمل فيهم السيف ، فحمل ذلك الحبش على غزو اليمن^٢ .

وورد في كتاب الشهداء الحميريين ، ما يفيد بأن الحبش بعد أن نزلوا أرض حير ، عارضهم رجل اسمه (مسروق) وحاربهم وقاومهم ، وهاجم مدينة

١ النصرانية (٦١/١ وما بعدها) ، Sapeto, Viaggio e Missione e Cattolica fra i Mensa i Bogos etc., Roma, 1857, P. 412, ZDMG., 35, 1881, S. 9, Conti Rossini, Rendic. d. Reale Accad. d. Lencei, 1910, Ser., V, Vol., XIX, P. 705.
٢ ZDMG., 35, 1881, s. 13, Bury, II, P. 323.

(ظفار) عاصمة حير ، وكان الحبش قد استولوا عليها وتحصنوا بها ، ولما رأى (مسروق) أنه لا يتمكن من التغلب على الحبش الذين كانوا يحاربونه في مدينة (ظفار) ، أوفد اليهم كهاناً ويهوداً من طبرية ورجلين من الحيرة كانا نصرانيين في الاسم ، يحملون معهم كتاباً يعدهم فيه أنهم إن سلموا له (ظفار) فلن يؤذيهم ، بل يعيدهم الى الحبشة سالمين . فوثقوا بكلامه وصدقوه ، وخرجوا اليه وكانوا ثلاث مئة محارب على رأسهم القائد (أبابوت) ، فقبض عليهم وغدر بهم ، إذ سلمهم الى اليهود فقتلوه . ثم أرسل من حرق بيعة ظفار بمن كان فيها من الحبش ، عددهم مئتان وثمانون رجلاً ، وكتب إلى الحميريين أمراً بقتل النصارى قاطبة إن لم يكفروا بالمسيح ويهودوا . وكتب الى الحارث من أشرف مدينة نجران أن يأتيه مع من عنده من حملة السلاح لحاجته الشديدة اليهم . فلما بلغ الحارث مدينة ظفار ، وسمع بما حدث ، رجع الى نجران . فحاصر مسروق المدينة ، و طال الحصار ، فراسل أهلها على الأمان . فلما فتحوا له مدينتهم ، غدر بهم ، وأحرق بيعتهم وأحرق خلقاً منهم بالنار رجالاً ونساءً وأطفالاً . وكان بعض قسيسيه من حيرة النعمان ومن الروم والفرس والحبشة^١ .

فلما تمادى مسروق في غيه وفي قتل النصارى في نجران وغير نجران من مدن اليمن وقراها ، سار سيد من سادات القوم اسمه (أمية) الى الحبشة فأخبر مطرانها (أوبرويوس) و (كالب) النجاشي بما حل بنصارى اليمن ، فأمر (كالب) جيوشه بغزو حير ، فغزتها وقضى على (مسروق) اليهودي ، وهو (ذو نواس) في كتب الإسلاميين^٢ .

هذه رواية في السبب المباشر لغزو اليمن . وفي رواية أخرى أن الملك (دميون) Dimion (دميانوس) Dimianos ، ملك حير Homeritae ، كان قد أمر بقتل التجار الروم الذين كانوا في بلاده وبنهب أموالهم انتقاماً من الروم الذين أسأوا في بلادهم معاملة اليهود واضطهدوهم ، فتجنب التجار الروم الذهاب إلى اليمن أو إلى الحبشة وإلى المناطق القريبة من حير ، فتأثرت التجارة مع الحبشة ، وتضرر الأحباش . فعرض النجاشي على ملك حير عروضاً لم يوافق عليها ، فوقع

١ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، الجزء المذكور (١١ وما بعدها) ،
Fell, in ZDMG., 35, 1881, S. 48.

٢ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، الجزء المذكور (١٥) .

الحرب . وترجم الرواية أن النجاشي لم يكن نصرانياً ، فقبل له : إن كتب لك النصر فادخل في دين المسيح . فوافق على ذلك . فلما انتصر ، تنصّر ، وانتقم من حمير . ثم أرسل رجلين من ذوي قرابته الى القيصر يلتمس منه إرسال أسقف وعدد من رجال الدين . وبعد بحث واستقصاء وقع الاختيار على *Johannes Paramonaris* من كنيسة القديس يوحنا ، فذهب مع عدد من الكهان ، فعمّد النجاشي وأتباعه ، وأقام الكنائس ، وأرشد الناس الى الدين الصحيح^١ .

وقد عرف ذو نواس في النصوص النصرانية باسم *Dimnus = Damian* و *Dimnus = Dimianos* (مسروق)^٢ . ونرى تشابهاً كبيراً بين *Dimnus* و *Damian* و *Damnus* وكلمة (ذو نواس) العربية . فالظاهر أنها تحريف نشأ عن هذا الأصل . وأما النصوص الحبشية فقد دعت (فنحاس) *Phin'has* ، وهو اسم من أسماء يهود^٣ .

أما النجاشي الذي حارب حمير وغزا أرضها ، فقد دعاه (بروكوبيوس) باسم *Hellestheaeus*^٤ . ودعاه غيره بأسماء قريبة منه مثل *Elesbowan = Elisbahaz* و *Ela-Atzbeha = Elesbaas = Elesboas* (ايلاصباح) أو *Ela-Asbah* (ايلاصباح) في الحبشية^٥ . ودعي أيضاً باسم آخر ، هو *Aldug* ، دعاه به (يوحنا الأفيسي) *Johannes von Ephesus*^٦ و (اندس) *Andas* وقد دعاه (ملالا) بذلك^٧ . و *Adad* ودعاه به (ثيوفانس) و (سدرينوس) *Cedrenus*^٨ . أما في الروايات الحبشية ، فقد سمي (كالب)

Glaser, Die Abessinier, S. 175, Bury, II, P. 322.

Dillmann, in ZDMG., VII, 357, Noldeke, Tabari, S. 188.

Glaser, Die Abessinier, S. 177, Fell, in ZDMG., 35, S. 17,

1881, Ludolf, Comm. Ad. Hist. Aeth., P. 233.

مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، الجزء المذكور (١٥) .

Fell, in ZDMG., 35, 1881, S. 17, Ludolf, Comm., P. 233.

Procopius, History of the Wars, P. 189

ZDMG., 35, 1881, S. 18.

Galser, Die Abessinier, S. 176, ZDMG., 35, 1881, S. 19,

Assemani, Bibl. Orient. I, 359.

ZDMG., 35, 1881, S. 19, Malala, P. 434, Glaser,

Die Abessinier, S. 176.

Theophanes, I, P. 346, Cedrenus, I, P. 656.

Kaleb^١ . فهو إذن (الا أصبحت كالب) Elle 'Asbeha Kaleb وتعني (الا) Elle = Ella (ذو) أو من (آل) . وأما (أصبحت) ، فاسم أجداده وعشيرته التي انحدر منها . كما أن (ذا نواس) ، لا يعني اسم الملك ، بل لقب أسرته . فاسمه هو (يوسف) . ويكون النجاشي ، أي ملك الحبشة الذي جهز الجيش وفتح اليمن هو (كالب) من (آل أصبحت) أو (الا أصبحت كالب) كما عرف بذلك^٢ .

وقد تحول اسم النجاشي Ela Sebah = Elesbass إلى (أصبحت) في العربية . فقد ذكر بعض العلماء أن (أبرهة ملك اليمن من قبل أصبحت النجاشي)^٣ ، ف (أصبحت) إذن هو النجاشي المذكور .

والنجاشي Ela Atybeba = Elesboas ، وهو ابن النجاشي Tayena الذي كان على النصرانية . وقد خلف هذا النجاشي^٤ ، النجاشي Andas الذي كان قد أقسم أنه إذا انتصر في الحرب يتنصر . فانتصر، فدخل في النصرانية . وصارت النصرانية ديانة رسمية للحبشة . وقد لقب Tayena بلقب (ملك اكسوم وحير Homer ويريدان وسبأ وسلحين) في كتابة من كتاباته ، مما يدل على أنه كان قد حكم اليمن^٤ .

وقد عثر في خرائب مدينة (مأرب) القديمة ، على نص مصاب بتلف في مواضع عديدة منه ، تبين من دراسة ما بقي منه أنه مدون بلغة أهل الحبشة ، وأنه يتحدث عن غزو بحري لميناء لم يذكر اسمه في النص ، وقد يكون ذلك بسبب التلف الذي أصاب النص ، قام بذلك الغزو مدون النص ، وقد كان في سفينة تبعها إحدى عشرة سفينة أخرى ، فترل بذلك الميناء وتغلب عليه ونزل المحاربون من سفنهم ودخلوا الميناء ، فأخذوا غنائم وأسرى . ثم تلت هذه السفن دفعة ثانية من سفن جاءت محملة بالمحاربين ، نزلوا في موضع يقع جنوب الموضع الذي نزل هو فيه . لم يذكر اسمه في النص كذلك . وقد انتصر الغزاة على الأماكن

ZDMG., 35, 1881, S. 20. ١

Die Araber, III, S. 28. ٢

تفسير النيسابوري (١٦٣/٣٠) ، (حاشية على تفسير الطبري) ٣

Dillmann, in ZDMG., VII, 357, Nöldeke, Tabari, S. 188, ٤

Bury, II, P. 223.

التي هاجموها ، لأنهم كانوا مع الحق والشرع ، فكان الله معهم ، وكان أهل الميناء على الباطل وضد الشريعة الحقّة فعوقبوا بالهزيمة^١ .

والنص المذكور - وإن كان خلواً من كل إشارة الى (ذي نواس) ، أو الى اسم (نجاشي) الحبشة ، أو الى زمن وقوع الغزو والأماكن التي وقع عليها - يشير الى غزو الحبش لليمن في حكم (ذي نواس) ، والى تغلب الحبش عليه . ويظهر منه أن القافلة الأولى تركت ساحل الحبشة من موضع (ادولس) (عدولس) (عدولي) Adulis على ما يظهر وكانت بإمرة (الا اصبيجة) ، فعبرت باب المندب ، حتى وصلت الى ساحل اليمن . وقد اختارت ميناء (مخا) موضعاً للتزول ، فنزلت به وتغلبت على أصحابه . ثم جاءت قافلة أخرى نزلت في موضع يقع جنوب هذا الميناء ، وتغلبت على أصحابه كذلك . وبذلك تم النصر للحبش . ولم يشر النص الى أسماء الموانئ التي تحرك منها الجيش ، أو الموانئ التي نزل بها في ساحل اليمن .

وقد عالج الباحثون هذه الأسماء ، فرأى قسم منهم أنها تعني شخصاً واحداً هو ملك الحبشة الذي حارب ذا نواس . ورأى آخرون أن المراد بـ Aidug و Adad و Andas شخص واحد هو نجاشي حكم قبل هذا العهد ، أي في القرن الرابع للميلاد ، وهو (الا عاميدة) (علا عاميدة) Ela Amida ، المعاصر للقيصر قسطنطين ، وكان أول من تنصر من ملوك الحبشة على بعض الروايات . وذلك لعدم انسجام هذه الرواية التي تنص على تنصر Aidug بعد انتصاره على حمير ، كما أشرت الى ذلك ، مع روايات أخرى تشير إلى تنصر ملوك الحبشة قبل غزو اليمن هذا بكثير^٢ .

وترى الروايات العربية أن ذا نواس لما غلب على أمره ورأى مصيره السيء ، ركب فرسه وسار إلى البحر فدخله فغرق فيه . أما الروايات الحبشية والإغريقية ، فإنها ترى أنه سقط حياً في أيدي الأحباش فقتلوه^٣ .

Die Araber, III, S. 24. ff., Journ. af. Semit. Stud., 9, ١

(1964), P. 56.

ZDMG., 35, 1881, S. 20. ٢

ZDMG., 35, 1881, S. 16, Procopius, I, XX, I, Malala ٣

S. 433.

وهناك شعر نسب إلى علقمة ذي جدن زعم انه قائله ، هو :

أو ما سمعت بقتل حمير يوسفاً أكل الثعالب لحمه لم يقتبر ؟

وقد استدل منه (فون كريمير) على أن ذا نواس لم يفرق في البحر كما في الروايات العربية الأخرى ، بل قتل قتلاً كما ورد في روايات الروم^١ .

حكم السميع أشوع :

وذكر (بروكوبيوس) ان الذي حكم حمير بعد مقتل ملكهم هو رجل اسمه *Esimiphaios = Esimiphaeus* اختاره النجاشي من نصارى حمير ليكون ملكاً على أن يدفع إلى الأحباش جزية سنوية فرضي بذلك وحكم . غير أن من تبقى من جنود الحبشة في أرض حمير ثاروا عليه وحصلوه في قلعة ، وعينوا مكانه عبداً نصرانياً اسمه (ابراهام) *Abraham* كان مملوكاً في مدينة (أدولس) (عدول) *Adulis* لتاجر يوناني . فغضب النجاشي وأرسل قوة قوامها ثلاثة آلاف رجل لتأديبه وتأديب من انضم إليه . فلما وصلت إلى اليمن ، التحقت بالثوار ، وقتلت ائدها وهو من ذوي قرابة النجاشي . فغضب *Hellestheaeus* عندئذ غضباً نديداً، وسيّر إليه قوة جديدة لم تتمكن من الوقوف أمام أتباع *Abram* فانهزمت ولم يفكر النجاشي بعد هذه الهزيمة في إرسال قوة أخرى . فلما مات ، صالح *Abraham* خليفته على دفع جزية سنوية ، على أن يعترف به نائباً عن الملك على اليمن ، فعين نائباً عنه^٢ .

وذكر (بروكوبيوس) أيضاً أن القيصر (يوسطيانوس) أرسل رسولا عنه إلى النجاشي *Hellestheaeus Ela Atzbeha* وإلى *Esimiphaeus* اسمه (جوليانوس) *Julianus* ليرجو منها اعلان الحرب على الفرس وقطع العلاقات التجارية معهم ، لأنها والقيصر على دين واحد ، فعليها مساعدة أبناء دينهم الروم والاشترك معهم في قضيتهم ، وهي قضية عامة مشتركة ، على النصارى جميعاً الدفاع عنها .

^١ ZDMG., 35, 1881, S. 16, Von Kremer, Südarabische Sage, 92, 127.

^٢ Procopius, I, XX. 1-2, Bury, II, P. 324, John Malalas, XVIII, 457.

وطلب من ملك حمير **Homeritae** خاصة أن يوافق على تعيين (قيس) **Kaisos** = **Caisus** (**Phylarch**) سيداً على قبيلة معد **Maddeni**، وأن يجهز جيشاً كبيراً يشترك مع قبيلة معد في غزو أرض الفرس. وكان قيس كما يقول (بروكوبيوس) من أبناء سادات القبائل، وكان شجاعاً قديراً وكفوفاً جداً وحازماً، قتل بعض ذوي قرابة **Esimiphaeus** فانهزم إلى البادية هائماً. وقد وعد الملك خيراً، غير أنه لم ينجز وعده، إذ كان من الصعب عليه اجتياز أرض واسعة بعيدة وطرق طويلة تمر بصحارى وقفار لمحاربة أناس أقدر من قومه في الحرب^١.

وقد وصل رسول (جستينيان) (يوسطنيان) **Justinian** سنة (٥٣١ م) إلى ميناء (ادولس) من البحر، ثم ذهب منه إلى (اكسوم) حيث وجد النجاشي **Ela Atybeba** واقفاً على عربة ذات أربع عجلات، وقد ربطت بها أربعة فيلة، وكان عارياً إلا من مئزر كتان مربوط بذهب، وقد ربط على بطنه وذراعيه حلياً من ذهب. وبعد أداء هذا الرسول رسالته، ثار (ابرام) **Abram** على **Esimiphios**، وقضى على حكمه^٢.

وقد رجع السفير فرحاً مستبشراً بنجاح مهمته، معتمداً على الوعود التي أخذها من الملكين. غير أنهما لم يفعلوا شيئاً، ولم ينفذا شيئاً مما تعهدا به للسفير. فلم يغزوا الفرس، ولم يعين (السميفع أشوع) (قيساً) (فيلارخاً) على قبيلة معد. وقد تحرش **Abramos = Abram** بالفرس، غير أنه لم يستمر في تحرشه بهم، فما لبث أن كفَّ قواته عنهم^٣.

ولا يعقل بالطبع توسط القيصر في هذا الموضوع لو لم يكن الرجل من أسرة مهمة عريقة، له عند قومه مكانة ومنزلة، وعند القيصر أهمية وحظوة. ولشخصيته ولمكانة أسرته، أرسل رسوله إلى (السميفع) لاقناعه بالموافقة على إقامته رئيساً على قومه. وبهذا يكتسب القيصر رئيساً قوياً وحليفاً شجاعاً يفيد في خططه السياسية الرامية إلى بسط سلطان الروم على العرب، ومكافحة الساسانيين. وقد زار (ابرام) **Abram** والد (نونوسوس) **Nonnosus** الذي أرسله

Procopius, I, XX, 9-13. ١

Bury, II, P. 325. f. ٢

Procopius, I, XX, 9-13. ٣

(جستنيان) Justinian إلى النجاشي وإلى اليمن وإلى معد Caisos = Kalsos (قيساً) هذا مرتين ، وذلك قبل سنة (٥٣٠ م) ، وزاره (نونوسوس) نفسه في أثناء حكمه ، فأرسل (قيس) ابنه (معاوية) معه إلى القسطنطينية إلى (يوسطنيان) ، ثم استقال (قيس) ، وصار أخوه رئيساً على معد ، وزار القسطنطينية ، فعيّن (فيلارخاً) على فلسطين^١ .

ويظهر من دراسة خبر المؤرخ (بروكوبيوس) أن قيصر الروم المذكور كان قد أرسل رسولاً عنه إلى (النجاشي) وإلى (السميع) ، إبان حكم السميع لليمن ، أي قبل ثورة (أبرام) (أبرهة) عليه . ولهذا كلمه الرسول في أمر (قيس) ، ولكنه أخفق في اقناعه بالعفو عنه وبالاقرار به رئيساً على معد ، فلم يعترف به إلى مقتله . فلما توفي ، جاء رسول القيصر ثانية إلى النجاشي وإلى أبرهة وإلى (قيس) بمهمة تحريضهم لمعارضة الفرس ، وتوحيد كلمتهم . وكان (أبرهة) على عكس (السميع) على علاقة طيبة بـ (قيس) ، وقد قرر تنصيبه رئيساً على معد .

وقد أشار المؤرخ (ملالا) إلى خبر الرسول الذي أرسله القيصر إلى النجاشي لاقناعه بالاشتراك مع الروم في محاربة الفرس ، غير أنه لم يذكر اسم الرسول الذي أوفده القيصر إلى بلاط (أكسوم) . وقد ذكر أن النجاشي بعد أن تغلب على ملك حير عيّن أحد ذوي قرابته ويدعى Anganes = Aggan على الحميريين^٢ . وأما (يوحنا الأفسسي) ، فقد دعاه Abramios ، ودعاه (ثيوفانس) (الحارث) Arethas^٣ .

و Esimiphaeus الذي نصبه النجاشي ملكاً على حير بعد مقتل ملكهم اليهودي ،

١ تاريخ العرب قبل الاسلام ، لجواد علي (٣٩٤/٤) ،
Bury, II, P. 326, Fragmenta Historicorum Graecorum, IV, P. 179,
Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University
of London, Vol., XVI, Part : 3, P. 435.

٢ Malala, P. 456, Fell in ZDMG., 35, 1881, S. 34, ZDMG., 7, 473,
Bury, II, 324, Malala, XVIII, 457.

٣ Theophanes, I, P. 377, Fell, in ZDMG., 35, 1881, S. 35, Glaser,
Mitt., S. 428, S. 69, Seper.

هو (السمينع أشوع) ، صاحب النص الموسوم به CIH 621 بين العلماء . وقد دونه مع أولاده : (شرحيل) يكمل) و (معديكرب يعفر) ، وجاعة من سادات القبائل منهم : أبناء ملحم (ملحمهم) ، وكبراء (كبور) قبائل محرج سيبان ذونف . وقد كان السمينع أشوع من (بني لحيت يرخم) ، وكان هو وأولاده سادة (الهت) على : (كلعن) (كلعان) أي الكلاع و (ذيزن) (ذى يزان) (ذى يزأن) و (ذى جدن) و (مثلن) (مثلان) (مطلقن) (مطلقان) و (شرفن) (شرفان) (شرفان) و (حب) (حجم) و (يشعان) (يشر) (يشرم) و (يزور) و (مكرب) (مكريم) و (عقهت) (عقهة) و (بزاي) (بزايان) و (يلجب) (يلجم) و (غيمن) (غيمان) (جيان) و (يسب) و (جيج) و (جدوي) (جدويان) و (كزر) (كزران) و (رخيت) و (جردان) (الجرد) و (وقيل) (قبلان) و (شرحي) (شرحا)^١ .

أما أبناء ملحمهم ، فقد كانوا على وحظت (وحظة) و (الهان) (الهن) و (سلقن) (سلقان) (السلف) ، و (ضيفتن) (ضيفت) (الضيفة) و (ريان) (رثاج) و (رياح) و (ريحن) و (ركب) (ركبن) و (مطلقن) (مطلقان) و (مطلقن) (مطلقان) و (ساكلن) (ساكلان) ، و (زکرد)^٢ .

وقد دونوا النص المذكور ، لمناسبة ترميمهم واصلاحهم أسوار ودروب ومنافذ وصهاريج حصن (مويت) (عرمويت) ، (ماويت) (ماوية) ، وتحصنهم فيه بعد أن جاء الحبش إلى أرض حمير ففتحوها ، وقتلوا ملكها وأقواله الحميريين والأرجبيين ، وذلك في شهر (ذو حجت) (ذي الحجة) من سنة (٦٤٠) من

CIH 621, CIH, IV, III, I, P. 54, REP. EPIG. 2633,

REP. EPIG., V, I, P. 5, Mlaker, in Zeitschrift für Semitistik, VII,

I, 1929, S. 63, Le Muséon, LXIII, 3-4, 1950, P. 271.

Glaser, Die Abessinier, 132.

التاريخ الحميري الموافق لسنة (٥٢٥) للميلاد^١.

ويظهر أن (السميعع أشوع) ، كان من أهل (نصاب) ، وكان قد هاجر لسبب لا نعرفه هو وأولاده إلى الحبشة فأقام بها ، ثم عاد فاستقر في (عرّمويت) أي في (حصن ماوية) ، وأخذ يوسع من هذا الحصن أرضه ويفتح أراضي جديدة ويتقدم نحو الأراضي التي حكمها (ذو نواس) . فلما جاهر (ذو نواس) بمناصبه النصرانية والحيش والروم العداء ، كلفه الحيش والروم بمهاجمة (ذي نواس) وقدّموا له المساعدات المادية من عون عسكري ومالي ، ليستعين بها في تنفيذ مشروعه هذا . وأخذ يشتري القبائل ويفرض نفوذه عليها بالقوة وبالمال حتى انتهى الأمر بزوال ملك (ذي نواس) ، فعيّن (السميعع) حاكماً على اليمن ونائباً عن ملك الحبشة عليها ، إلا أن ثورة وقعت فيها ، قضت على حكمه ، فولى الأحباش شخصاً آخر في مكانه . وذلك بعد السنة (٥٣١) للميلاد^٢.

و (شرحب ال حمى عت يرخم) (شرحبيل لحييت يرخم) ، هو والد (السميعع أشوع) ، ولم يكن ملكاً ، غير أنه لم يكن من العامة ، بل كان من (أقول) الأقبال . وذلك لعدم ذكر لقب الملك بعد اسمه ، وعدم نص ابنه (السميعع) على أن والده كان ملكاً . ويجوز أن يكون للسميعع أشوع أبناء آخرون ، غير الولدين : (شرحب ال يكمل) (شرحبيل يكمل) و (معديكرب يعفر) المذكورين في النص^٣.

وفي متحف استانبول نص وسم ب Osma. Mus. No: 281 نشره وترجمه العالم

١ (سطور ذن مزندن بعرن مويت) ، السطران السادس والسابع من النص ، (عون) الحصن في الحميرية ، العرب قبل الاسلام لزيدان (١٢٥) ، وقد اختلف الباحثون بعض الاختلاف في قراءة أسماء الاعلام الواردة في هذا النص . السطر الحادي عشر من النص .

G. Hunt, Himyaric Inscriptions of Hisn Ghurab, Translated and Elucidated, 1848, Praetorius, Himjarische Inschriften, in ZDMG., XXVI, 1872, S. 436, J.H. Mordtmann, Neue Himjarische Inschriften, in ZDMG., XXXIX, 1885, S. 230, Von Maltzen, Reise nach Sudarabien, 1873, S. 225, REP. EPIG. 2633, REP. EPIG., V, I, P. 5, Glaser, Zwei Inschriften, S. 86, M. Hartmann, Die Arabische Frage, 1909, S. 367, J. Raymond Wellsted, Travels to the City of the Caliphs, P. 21 Rodiger, Versuch, S. 13.

Beiträge, S. 92, 120.

Le Muséon, LXIII, 3-4, 1950, P. 273.

البلجيكي (ريكمنس) G. Ryckmans في مجلة Le Muséon ، وردت في مطالعه جملة : « نفس قدس سميفع أشوع ملك سبا » ، وفي آخره عبارة : « بسم رحمن وبنهو كرشتش غلبن » ، ومعناها « بسم الرحمن وابنه المسيح الغالب »^١ . وفي هاتين الجملتين دلالة صريحة على أن السميفع أشوع كان ملكاً على سبا وأنه كان على دين النصراني . وقد استعمل النص كلمة (كرشتس) بمعنى المسيح ويستعملها أهل الحبشة كذلك . وقد أخذوها ، ولا شك من الروم . ويؤيد كون (السميفع أشوع) نصرانياً ، ما ذكره المؤرخ (بروكوبيوس) من أن الحبشة عينت رجلاً نصرانياً من حمير اسمه *Esimiphaeus* ملكاً على حمير ، وذلك بعد قتل الملك الحميري الذي عذب النصراني في بلاده ، ويقصد به ذو نواس .

ولم يكن (السميفع أشوع) ملكاً مستقلاً كل الاستقلال يتصرف بملكه كيف يشاء ، بل كان في الواقع تابعاً لحكومة (أكسوم) . يفهم ذلك صراحة من هذا النص الذي أتحدث عنه . جاء في السطر الثالث منه : (امراهو نجشت اكسمي برو وهوثرن) ، أي (في أيام أميرهم نجاشي أكسوم بنوا وأسسوا) . وجاء في السطر السادس : (املكن الابحه ملك حبشت) ، أي (الملك الابحه ملك الحبشة) ، ويقصد بـ (الابحه) نجاشي الحبشة (الا أصبحت) *Elle 'Asbeha* الذي كان ملك الحبشة في ذلك العهد ، وعاصمته مدينة (أكسوم)^٢ .

وتعني كلمة (نجشت) الواردة في النص ملكاً أو أميراً في العربية ، وقد أخذها العرب من الحبش ، وأطلقوها على ملوك الحبشة ، وهي (نجاشي) و (النجاشي) في عربيتنا ، كما أطلقوا كلمة (قيصر) على أباطرة الروم^٣ .

وقد ذكرت في النص أسماء (ذويزان) (ذو يزن) و (حسن) (حسان) و (شرحبال) (شرحيل) قيل (ذو معفرن) ، أي قيل المعافر . و (اسودن) أي الأسود (وسميفع) قيل (ذو بعدان) (ذ بعدن) ، وزرعة قيل مرجم ، أي مرجب (المراحب) و (حارث) و (مرثد) أمراء (ثعبان) و (شرحيل)

Handbuch, S. 105, Note : 4, Le Muséon, LIX, 1-4, 1964, P. 165, REP. EPIG.

3904, REP. EPIG., VI, II, P. 376, Le Muséon, LXIII, 3-4, 1950, P. 272, Istanbul,

7600, Bis, Conti Rossini, Storia D'Etiopia, Milano, 1925, Vol., I, P. 180.

Le Muséon, LIX, 1-4, 1946, P. 167.

Ency., III, P. 817.

يكمل (١) . وجاء بعض هذه الأسماء في نصوص أخرى ، ومنها نص (حصن غراب) المتقدم وقد اشتهر بعض هذه القبائل في الإسلام .

ولدينا نص غفل من التأريخ وسمه العلماء بـ REP. EPIG. 4069 ، وردت فيه جملة أسماء ، هي : (شرحب ال يكمل) (شرحبيل يكمل) و (شرحب ال يقبل) (شرحبيل يقبل) ، و (مرثد علن احسن) (مرثد علن أحسن) (مرثد علان أحسن) ، و (سميفع أشوع) أبناء (شرحب ال لحي عت يرخم) (شرحبيل لحيعت يرخم) أقيال (اقول) (ذو يزان) (ذو يزن) و (جدنم) (ذو جدن) و (يلجب) و (يصبر)^٢ . ويظن أن (السميفع أشوع) المذكور هنا ، هو الملك الذي نتحدث عنه^٣ . ولم يلقب في هذا النص بلقب ملك ، كما لم يلقب به والده كذلك . والظاهر أنه كتب قبل عهد توليه الملك . وأنه لم يكن من الأسرة المالكة ، ولكن من أبناء الذوات والأعيان .

ووردت في نهاية النص جملة « الرحمن ربّ السماء والأرض » ، وهي عبارة تختلف عن العبارات المألوفة التي نعهددها في النصوص الوثنية القديمة ، تظهر منها عقيدة التوحيد والابتعاد عن الآلهة القديمة بكل جلاء^٤ . غير أننا لا نستطيع أن نستخرج منها أن صاحبها كان يهودياً كما ذهب الى ذلك بعض الباحثين ، أو أنه كان نصرانياً^٥ . انما نستطيع أن نقول ان أصحاب هذا النص كانوا على دين التوحيد وكفى .

ومن الأسماء الواردة في هذا النص : (ضيفتن) (ضيفت) (ضيفة) و (ريحم) (ريح) (رياح) و (مهرت) (مهرة) و قبيلة (سبين) (سبيان)^٦ . وقد تكون مهرة (مهرة) ، هي مهرة التي تنسب الى (مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاة) في اصطلاح النسابين^٧ .

ويقع (عرمويت) ، أي حصن (مويت) (ماوية) في جزيرة بركانية

١ Le Muséon, LIX, 1-4, 1946, PP. 167, 171.

٢ REP. EPIG., VII, I, P. 66, Boscawen, 13.

٣ Ryckmans 63, Le Muséon, LXIII, 3-4, 1950, P. 272, Beiträge, S. 92.

٤ السطر الحادي عشر من النص .

٥ Le Muséon, LXIII, 1950, PP. 273, 274.

٦ السطران الرابع والخامس من النص .

٧ منتخبات (١٠٠) .

تسمى (حصن الغراب) وهو الآن خراب . وقد عثر الباحثون في أنقاضه على كتابة وسمت بـ CIH 728 دوتها (صيد ابرد بن مشن) (صيد ابرد بن مشان) ، أجد أقيال (بدش) (باداش) . وورد فيها اسم (قنا) . وقد كان لهذا الحصن شأن كبير في تلك الأيام لحماية الجزيرة والميناء من الأعداء المهاجمين ومن لصوص البحر . وللدفاع عن التجار الذين كانوا يتاجرون مع افريقية والهند . ولهذا اهتم (السميع أشوع) وأولاده بترميمه وإصلاحه وتقويته^١ .

وأما ميناء (قنا) الذي ذكرته في مواضع من هذا الكتاب ، وهو في الموضع المسمى بـ (بير علي) في الوقت الحاضر على رأي بعض الباحثين ، فقد كان من الموانئ المهمة على البحر العربي . وقد كان مرفأً للتجارة الآتية من الشمال ، أو من البحر لارسالها الى (شبوة) ومواضع أخرى في شمال هذا الميناء^٢ .

ومما يلاحظ أن المواضع الأثرية التي على الساحل الجنوبي لجزيرة العرب قليلة معدودة . وتكاد تنحصر في أرض عدن وأبين^٣ وحصن الغراب وفي مواضع من أطراف (ظفار) وحول (المكلا) و (الشحر) وساحل مهرة . مع أن السواحل هي من المواضع التي يجب أن تكون في العادة عامرة بالمدن والمرفأء بسبب سهولة اتصالها بالعالم الخارجي ، ووقوعها على طرق مائية تجلب اليهن السفن والناس . والظاهر أن وخامة الجو في هذه السواحل وصعوبة حماية الساحل من لصوص البحر ، وتفشي الأمراض ، وملوحة المياه الجوفية ، وأسباباً أخرى ، كانت في جملة ما حال بين الناس وبين بناء المدن على هذه السواحل^٣ .

وقد اشتهرت (ظفار) بأنها المرفأ المعد لتصدير اللبان والمر وحاصلات البلاد العربية الجنوبية الأخرى . وكان محاطاً بسور . أما المواضع الأخرى ، فلم تكن مسورة في الغالب . وقد أشار (كرب ايل وتر) في أخباره عن حروبه في السواحل الجنوبية أنه خرب مدينة (تفص) في (أبين) ، وأحرق مواضع أخرى على البحر ، يظهر أنها لم تكن مسورة . ويظهر أن هذه السواحل لم تكن مأهولة مثل الأرضين الشمالية العالية ، فلم يعثر الباحثون على كتابات كثيرة فيها

Belträge, S. 91. ١
Belträge, S. 93. ٢
Belträge, S. 87. ٣

حتى الآن . وصارت مدينة (عدن) ومدينة (قنا) من أهم المرافئ على الساحل الجنوبي^١ .

هذا ولا بد لي هنا من الإشارة الى كتابة حبشية ناقصة عثر عليها (أحمد فخري) سنة (١٩٤٧م) بمأرب ، فيها إشارة إلى دخول الحبشة إلى اليمن ، وإن لم ينص على ذلك نصاً . ويظن أنها تشير إلى استيلاء (الـا اصبحه) النجاشي على اليمن سنة (٥٢٥) للميلاد . وانتصاره على (ذي نواس)^٢ .

ويظهر من هذه الكتابة أن حملة الحبش على اليمن نقلت في قافلتين من السفن: تحركت القافلة الأولى بقيادة النجاشي السذي كان قد احتجز سفينة خاصة به ، فعبرت به باب المندب ورسّت عند ساحل اليمن . وكانت سفينة النجاشي أول سفينة بلغت ، ثم تلتها بقية السفن . وقد سقط من الكتابة اسم الموضع الذي رست السفن فيه ، ولعلّه (مخا) . فوقعت معارك بين الحبش وبين الحميريين ، انتصر فيها الأحباش فأخذوا أسرى وغنائم . ولما كان النص ناقصاً وقد طمست من الكتابة الباقية منه كلمات ، فقد صار غامضاً مقتضباً، لا يفهم منه إلا إشارات^٣ .

أبرهة :

و Abraham و Abramios ، هما اسمان لمسمى واحد ، أريد به (أبرهة) المشهور عند أهل الأخبار الذي اغتصب الملك باليمن ، ونصب نفسه حاكماً عليها، ولقب نفسه بألقاب الملوك ، وإن اعترف اسمياً بأنه (عزلى ملكن اجعزين)، أي (نائب ملك الأجاعة) على اليمن^٤ . وحكم اليمن أمداً ، وترك في نفوس اليابانيين اثراً قوياً .

ويرى بعض الباحثين أن (كالب ايلا أصبحت) ، كان قد أرسل حملة سنة (٥٢٣) للميلاد على اليمن ، حملتها اليها سفن بيزنطية ، نزلت في البلاد وتغلّبت على (ذي نواس) فهرب (ذو نواس) من (ظفار) ، ثم عاد فباغت

١ Beiträge, S. 88.

٢ Die Araber, III, S. 24.

٣ Die Araber, III, S. 24.

٤ راجع السطر الخامس من النص .

الحبش وأنزل بهم خسائر كبيرة ، واضطهد النصارى وعذبهم . فحمل النجاشي على ارسال حملة جديدة عليه نزلت اليمن سنة (٥٢٥) للميلاد . وصارت في أيدي الحبش حتى سنة (٥٣٠) للميلاد . اذ قامت ثورة على الحبشة ، وانتهمز (أبرهة) الفرصة ، فأخذ الأمر بيديه ، وبقي حاكماً على اليمن منذ هذا الوقت تقريباً حتى سنة (٥٧٥) للميلاد . وكان قد انتزع الحكم من (السميعع أشوع) ، الذي نصبه الحبش ملكاً على اليمن حين دخولهم اليها وعينوا رجلين من الحبش يحكمان معه ويراقبان أعماله لئلا يقوم بعمل يضر مصالحهم^١ .

ولأهل الأخبار روايات عن كيفية استئثار (أبرهة) بالحكم واغتصابه له . لهم رواية تقول : إنه جاء الى اليمن جندياً من جنود القائد الحبش (أرياط) الذي كلفه نجاشي الحبشة بفتح اليمن ، فلما أقام باليمن سنين ، نازعه في أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشي ، حتى تفرقت الحبشة ، وخرج أبرهة على طاعة قائده ، ثم غدر به وأخذ مكانه^٢ . ورواية أخرى ، تقول إن النجاشي أرسل جيشاً قوامه سبعون ألفاً ، جعل عليه قائدين ، أحدهما : أبرهة الأشرم^٣ . فلما ركب ذونواس فرسه واعترض البحر فاقتحمه وهلك به ، نصب أبرهة نفسه ملكاً على اليمن ، ولم يرسل له شيئاً ، فغضب النجاشي ووجه اليه جيشاً عليه رجل من أصحابه ، يقال له أرياط ، فلما حل بساحته ، بعث اليه أبرهة : « إنه يجمعني واياك البلاد والدين ، والواجب عليّ وعليك أن ننظر لأهل بلادنا وديننا ممن معي ومعك ، فإن شئت فبارزني ، فأينا ظفر بصاحبه كان الملك له ، ولم يقتل الحبشة فيما بيننا » . فرضي بذلك أرياط ، وأجمع أبرهة على المكر به . فاتعدا موضعاً يلتقيان به ، واكمن أبرهة لأرياط عبداً يقال له : « أرنبده » ، في وهدة قريب من الموضع الذي التقيا فيه ، فلما التقيا سبق أرياط فزرق أبرهة بحرته ، فزالت الحربة عن رأسه وشرمت أنفه ، فسمي الأشرم ، ونهض أرنبده من الحفرة ، فزرق أرياط فأنفذه ، فقتله^٤ . وأخذ أبرهة الحكم لنفسه ، واستأثر به .

١ J. Ryckmans, L'Inst., P. 320, Grohmann, S. 31.

٢ الطبري (١٢٥/٢) (دار المعارف) .

٣ الطبري (١٢٧/٢) (دار المعارف) .

٤ وذكر الطبري في خبر آخر أن اسم العبد الذي قتل أرياط (عتودة) الطبري (١٢٨/٢ ، ١٢٩) .

وتذكر رواية أخرى ، أن النجاشي كان قد وجه أرباط أباصم (ضخم) في أربعة آلاف الى اليمن ، فأدأخها وغلب عليها ، فأعطى الملوك ، واستذل الفقراء ، فقام رجل من الحبشة يقال له أبرهة الأشرم أبويكسوم ، فدعا الى طاعته . فأجابوه ، فقتل أرباط ، وغلب على اليمن^١ .

وتذكر رواية أن (أرباط) أخرب مع ما أخرب من أرض اليمن سلحين وبينون وغمدان ، حصوناً لم يكن في الناس مثلها . ونسبوا في ذلك شعراً الى (ذي جلدن) ، زعموا أنه قاله في هذه المناسبة^٢ . ويظهر من روايات أخرى أن تلك الحصون بقيت الى ما بعد أيامه . وذكر أن (أرباط) كان فوق أبرهة ، أقام باليمن سنتين في سلطانه لا ينازعه أحد ، ثم نازعه أبرهة الحبشي الملك^٣ .

وتجمع روايات أهل الأخبار على أن النجاشي غضب على أبرهة لما فعله باليمن ولما أقدم عليه من قتل أرباط ، وأنه حلف ألا يدع أبرهة حتى يطأ بلاده ، ويحز ناصيته ، ويهرق دمه . فلما بلغ ذلك أبرهة ، كتب الى النجاشي كتاباً فيه تودد واعتذار وتوسل واسترضاء ، فرضي النجاشي عنه ، وثبته على عمله بأرض اليمن^٤ .

ولما استقام الأمر لأبرهة باليمن ، بعث الى (أبي مرة بن ذي يزن) ، فترع منه امرأته (ربحانة ابنة علقمة بن مالك بن زيد بن كهلان) ، و (علقمة) هو ذو جلدن . وكانت ولدت لأبي مرة معديكرب بن أبي مرة ، وولدت لأبرهة بعد أبي مرة مسروق بن أبرهة ، وبسباسة ابنة أبرهة . وهرب منه أبو مرة^٥ .

ولأبرهة ذكر وشهرة في كتب أهل الأخبار والتاريخ . وقد ورد اسمه في الشعر الجاهلي ، وضرب به المثل في القوة والصيت والسلطان ، حتى لنجد أهل الأخبار يذكرون أسماء جملة أشخاص دعوهم (أبرهة) ذكروا أنهم حكموا اليمن .

١ الطبري (١٣٧/٢) (دار المعارف) ، أخبار مكة ، للزرقاني (٨١/١) وما بعدها ،

(٨٨/١) ، (طبعة خياط) .

٢ الطبري (١٢٥/٢) ، (دار المعارف) .

٣ أخبار مكة ، للزرقاني (٨٧/١) ، (خياط) ، الطبري (١٢٨/٢) (سنين) ، (دار المعارف) .

٤ الطبري (١٢٨/٢) وما بعدها (دار المعارف) .

٥ الطبري (١٣٠/٢) (دار المعارف) .

والظاهر أن الشهرة التي بلغها في أيامه وغزوه القبائل العربية واستعماله القسوة معها، أحاطته بهالة في أيامه تضخمت فيما بعد ، فأحيط بقصص وأساطير وصير من اسمه جملة حكام حكموا باسم (أبرهة) .

فقد ذكروا اسم (أبرهة تبع ذي المنار بن الرائش بن قيس بن صيفي بن سبأ) . وكان يقال له (الرائد)^١ . وجعلوا لأبرهة هذا ولدين ، هما : إفريقس ، والعبد ذو الأذعار . وأولد إفريقس شمر يرعش^٢ . وذكروا (أبرهة) آخر ، قالوا له : (أبرهة بن شرحبيل بن أبرهة) . وسمى (الهمداني) جملة رجال (أبرهة) ، وأدخلهم في (الأصابع)^٣ . ويظهر من دراسة اسم (أبرهة) ونعته في الحبشية أن الأخباريين أخذوها فصّروا منها أسماء عربية ربطوا بينها وبين تأريخ اليمن كما فعلوا مع أشخاص آخرين .

وقد ضرب (لبيد بن ربيعة العامري) المثل ب (أبي يكسوم) وهو أبرهة في وجوب الاتعاض بهذه الدنيا الفانية التي لا تدوم لأحد ، فقال :

لو كان حيّ في الحياة مُخلداً في الدهر ألقاه أبو يكسوم^٤
والتبّعان كلاهما ومُحرّق وأبو قيس فارس اليعحوم^٥

وقد ترك أبرهة وثيقة مهمة على جانب خطير من الأهمية ، وهي النص الذي وسم بـ Glaser 618 وبـ CIH 541 عند الباحثين في العريبات الجنوبية^٦ . وهي ثاني نص طويل يصل إلينا من اليمن ، يتألف من (١٣٦) سطراً ومن حوالي (٤٧٠) كلمة^٧ . وتبحث عن ترميم سدّ مأرب ذي المكانة الخالدة في القصص

١ الطبري (٥٦٦/٢) (دار المعارف) ، (١١١/٢) .

٢ الاكليل (٥٣/٢) .

٣ الاكليل (١٤٣/٣) .

٤ ديوان لبيد (ص ١٠٨) ، (الكويت ١٩٦٢ م) .

٥ الاكليل (١٥٩/٢) .

٦ Glaser 618, (+ 553 + 555 + 556), CIH 541, CIH, IV, II, III, P. 278, Glaser, Zwei Inschriften über den Dammbruch von Mareb, in Mitteilungen der Vorderasiatischen Gesellschaft, , 1897, S. 390, Seper., S. 31-126, Ryckmans, 506, Jamme 546, A. J. Drewes, Inscriptions de L'Ethiopie Antique, 1962, 71, 1961, 65.

Handbuch, S. 106, Die Araber, I, S. 587, ٧

Le Muséon, 66, 1953, P. 340, Beeston, in BSOAS, 16, 1954.

العربي وتجديده مرتين ، وذلك في أيام أبرهة . المرة الأولى في شهر (ذو المذرح) من سنة (٦٥٧) من التأريخ الحميري المقابلة لسنة (٥٤٢) للميلاد ، والثانية في شهر (ذومعان) (ذمعن) من سنة (٦٥٨) من التأريخ الحميري ، أي في سنة (٥٤٣) من الميلاد^١ .

وقد افتتح النص بالعبارة الآتية : « بنخيل وردا ورحمت رحمن ومسحو ورح قدس سطرو ذن مزندن . ان ابره عزلى ملكن اجعزين ربحز زيممن ملك سبأ وذو ريذن وحضرموت ويمنت واعربهمو طودم وتهمت »^٢ أي « بنحو وقوة ورحمة الرحمن ومسيحه وروح القدس سطروا هذه الكتابة . إن أبرهة نائب ملك الجعزين ربحز زيمان ملك سبأ وذو ريذن وحضرموت وأعرابها في النجاد وفي تهامة » . ويلاحظ أن أبرهة قد لقب نفسه في هذا النص باللقب الرسمي الذي كان يتلقب به ملوك حبر قبل سقوط دولتهم ، مع أنه كان (عزلى ملكن اجعزين) ، أي نائب ملك الجعزين . والواقع أنه كان قد استأثر بالحكم في اليمن ، وحصر السلطة في يديه ، وصار الحاكم المطلق ، ولم يترك لنجاشي أكسوم غير الاسم ، حتى أنه دعاه في هذا النص بـ (ملك الجعز) حسب^٣ .

وفي النص حديث عن ثورة قام بها (يزد بن كبشت) (يزيد بن كبشة) من السادات البارزين في اليمن . وكان أبرهة قد أنابه عنه ، وجعله خليفته على قبيلتي (كدت) و (دا)^٤ ، غير أنه ثار عليه لسبب لم يذكر في النص ، وأعلن العصيان . وانضم إليه أقبال (أقول) سبأ و (اسحرن) ، وهم : (ذو سحر) و (مرة) و (ثمت) (ثمامة) و (حنش) (حنشم) و (مرثد) و (حنف) (حنضم) (حنيف) و (ذخلل) (ذو خليل) و (ازانن) (الأزان) والقبيل (معديكرب بن سميغ) ، و (هعن) (هعان) واخوته أبناء أسلم . فلما بلغ نبأ هذه الثورة مسامع (أبرهة) ، سار إليه جيشاً بقيادة (جرح ذنبر) (جراح ذو زبنور) ، فلم يتمكن أن يفعل شيئاً ، وهزمه

١ F. Praetorius, 'Bemerkungen zur den beiden grossen Inschriften vom Dammbbruch zu Marib, in ZDMG., 1899, 5, 15.

٢ السطور الاولى من النص : CIH 541, Glaser 818.

٣ Glaser, Zwei Inschriften über den Dammbbruch von Marib, II, 1897, S. 421.

٤ (خلفتهوذ ستخلفو على كدت ردا) ، السطر الحادي عشر من النص ، Glaser, Zwei, S. 401, 413, Seper., 42, 54.

(يزيد) ، واستولى على حصن (كلدر) (كدار) ، وجميع من أطاعه من (كدت) (كدة) ومن (حريب) حضرموت وهاجم (هجن اذمرين) (هجان الذماري) وهزمه واستولى على أملاكه ، وحاصر موضع (عبرن) (عبران) (العبر) . عندئذ قرر أبرهة معالجة الموقف بارسال قوات كبيرة لرتق الخرق قبل اتساعه ، فجهز في شهر (ذقيضن) (ذوقيض) (ذوقيسان) من سنة (٦٥٧) من التقويم الحميري أي سنة (٥٤٢) للميلاد جيشاً لجباً من الأحباش والحميريين ، وجهه نحو أودية (سبأ) و (صرواح) ثم (نبط) على مقربة من (الوادي) (عبرن) (عبران) (العبر) . وفي (نبط) جعل أهل (الو) (الوى) و (لد) والحميريين في المقدمة . أما القيادة ، فكانت بأيدي القائدين: (وطح) (وطاح) و (عوده) (ذو جدن) . وبينما كان الجيش في طريقه لحرب (يزيد بن كبشة) إذا به يظهر مع عدد من أتباعه أمام (أبرهة) يطلب منه العفو والصفح . أما الباقيون، فقد تحصنوا في مواضعهم ، وأبو الحضوع والاستسلام.

وبينما كان أبرهة يفكر في أمر بقية اللاترين إذا به يسمع بخبر سيء جداً ، هو تصدع سد (مأرب) وتهدم بعض توابعه ، وذلك في شهر (ذمذرن) (ذو مذرن) (ذو المذرى) من سنة (٦٥٧) من تقويم حمير ، أي سنة (٥٤٢) للميلاد . فأمر مسرعاً بتحضير مواد البناء والحجارة ، وحدد أجل ذلك بشهر (ذصرين) (ذو الصرب) من السنة نفسها . وفي أثناء مدة التحضير هذه ، افتتح أبرهة كنيسة في مدينة مأرب يظهر أنه هو الذي أمر ببنائها، ورتب لخدمتها جماعة من متصرة سبأ . ولما انتهى من ذلك عاد إلى موضع السد لوضع أسسه وإقامته مستعيناً بحمير وبجنوده الحبش ، ولكنه اضطر بعد مدة إلى السماح لهم باجازه ، ليهيئوا لأنفسهم الطعام وما يحتاجون إليه ، وليريحهم مدة من هذا العمل المضني الذي تبرموا منه ، وليقضي بذلك على تدمير العشائر التي لم تعود مثل هذه الأعمال الطويلة الشاقة. ورجع أبرهة في أثناءها إلى مأرب ، فعقد معاهدة مع أقيال سبأ وتحسنت الأحوال ، وأرسلت إليه الغلات والمواد اللازمة للبناء ، ووصلت إليه جموع من القعلة وأبناء العشائر ، فعاد إلى العمل بهمة وجد، فأنجزه على نحو ما أراد ، فبلغ طوله خمسة وأربعين (أمماً) ، أي ذراعاً ، وبلغ ارتفاعه خمسة وثلاثين (أمماً) . أما عرضه ، فكان أربع عشرة ذراعاً ، بني بحجارة حمر من (البلق) . وانجزت أعمال قنواته وأحواضه والمشروعات الفرعية

المتعلقة به في (خبشم) (خبش) وفي (مفلم) (مفلل) (مفلول) .
وقد دون أبرهة في نهاية النص ما أنفقه على بناء هذا السد من أموال، وما قدمه
إلى العمال والجيش الذي اشترك في العمل من طعام واعاشة من اليوم الذي بدىء
فيه بالانشاء حتى يوم الانتهاء منه في شهر (ذو معن) (ذو معان) من سنة
(٦٥٨) الموافقة لسنة (٥٤٣) للميلاد .



مدينة مأرب ، وتقع على أنقاض مأرب القديمة
من كتاب : (Qataban and Sheba)

ويظهر من النص أن ثورة (يزيد بن كبشة) (يزد بن كبشت) كانت
ثورة عنيفة قوية، وأنها شملت حضرموت و (حريب) و (ذو جدن) و (حباب)
عند (صرواح) . ولكنها فشلت وتغلب أبرهة عليها بمساعدة قبائل يمانية ذكرها
في النص^١ .

أما (يزيد بن كبشة) فلا نعرف من أمره في الزمن الحاضر إلا شيئاً يسيراً،
وهو ما ذكره أبرهة في نصه عنه ، من أنه عيّنه عاملاً ووكيلاً عنه على قبيلة
(كدت) (كدة) . وهي كتلة على رأي أكثر العلماء^٢ .

١ Belträge, S. 121.
٢ Glaser, Mitt., S. 434.

وأما الأقبال الذين انضموا اليه وساعدوه ، وهم : (ذو سحر) و (مرّة) و (ثمامة) و (حنش) و (مرثد) و (حنيف) وآل ذو خليل وذو يزان (ذو يزن) (ذو يزن) ، و (معديكرب بن سميف) و (هعن) (هعان) واخوته أبناء أسلم . فهم يمثلون على الحملة الطبقات الأرستقراطية القديمة في سبأ . فآل ذو خليل وذو سحر ، من الأسر التي ذكرت أسماؤها في النصوص المدونة قبل الميلاد . وقد أرخ بأسرة (ذي خليل) في نصوص المسند ، وذكروا في كتابات السبئيين العتيقة التي تعود إلى أيام المكربين . وكان لهم في أيامهم شأن يذكر في تأريخ سبأ ، إذ كان منهم المكربون^١ . وذكر (الهمداني) اسم جماعة يقال لهم (البحرليون) ، قال : انهم من ولد ذي خليل من حمير^٢ .

وليس من السهل تشخيص (مرّة) و (ثمامة) ، فهما من الأسماء المتعددة المذكورة في الكتب العربية . وقد أشير إلى (ثمامة بن حجر) ملك (قصر الهدهاد) في (عمران)^٣ . وذكر الهمداني (بني ثمامة) وقال : إن جباً مدينة المعافر ، وهي لآل الكرندي من بني ثمامة آل حمير الأصغر^٤ ، فهل يكون هؤلاء صلة بـ (ثمامة) النص ؟

وذكر بعض الأخباريين اسم ملك من ملوك اليمن سموه (مرثداً) زعموا أنه كان آخر الملوك ، وزعم قسم منهم أنه حكم مدة قصيرة بعد (ذي نواس) ، فهل صاحب هذا الاسم هو (مرثد) المذكور في النص ؟ ولا عبرة بالطبع بما ذكر من أنه كان ملكاً ، فقد كان من عادة الأقبال والأذواء التلقب بلقب ملك^٥ .

وورد (ذو مرثد بن ذو سحر) ، في الموارد العربية^٦ ، فجمعت بين (مرثد) و (سحر) ، وورد اسم (سحر) واسم مرثد في النص ، فهل هنالك صلة بين هذه الأسماء ؟

ويرى (كلاسر) أن (ازان) ، هم (يزن) ، ومنهم (سيف بن

Glaser, Mitt., S. 456.	١
الصفة (١١٢) .	٢
Glaser, Mitt., S. 458.	٣
الصفة (٥٤) .	٤
Glaser, Mitt., S. 100.	٥
Glaser, Mitt., S. 100.	٦

ذى يزن) الذي ثار على الحبش، واستعان بالفرس لانتفاذ بلاده من أيدي الأحبا،
وأما معديكرب بن سميغ ، فيرى الباحثون أنه ابن (السميغ أشوع)^٢.
جاء اسمه بين أسماء الأقبال الذين ثاروا على أبرهة ، وانضموا الى ثورة (ابن كبشة) . فهو من الأقبال الحاقدين على أبرهة لاغتصاب أبرهة الملك
والده . ولهذا انضم الى (يزين بن كبشة) سيد (كدت) (كندة) وحا
معه الحبش^٣ .

وفي أثناء وجود أبرهة في مأرب قضي على عصيان الأقبال الذين انضموا
ثورة (يزيد) ، وأبوا الخضوع لحكم أبرهة بعد استسلام يزيد وخضوعه. وك
استسلمت قبيلة كدار (كيدار) (كدر)^٤ ، وتحسن موقفه بذلك كثير
وأصبح سيد اليمن وصاحب الأمر . أما الذين ساعدوه وآزروه وعاونوه وآ
حواله ، فهم : ذو معاهر^٥ و (بن ملكن) ابن الملك^٦ ومرجرف وذو ذر
وعدل (عادل) و ذو فيش ، وذو شولمان (ذو الشولم)^٧ و (ذو شعبان
(ذو الشعب) وذو رعين (ذرعن) ، و (ذو همدان)^٨ و (ذو الكلاع)^٩
و (ذو مهلم) (ذو مهد) و (ذو ثت) (ذو ثت) (ذو ثات) و (ذو
و (ذو يزان) (ذو يزن) (ذو يزن) ، و (ذو ذبين) (ذو ذبيبا
و (كبر حضرموت) كبير حضرموت ، وذو فرنة (ذو فرنة) . وقد ذ
النص أنهم كانوا الى جانب الملك ، وانهم كانوا على ود وصداقة معه . و
بالطبع من أسر عريقة ، ومن كبراء القوم ، وقد وردت أسماء بعض أسرهم
النصوص المدونة قبل الميلاد .

Glaser, Mitt., S. 101. ١

Handbuch, S. 106. ٢

Beiträge, S. 93. ٣

(كدر) في النص ، السطر ٣٤ من النص . ٤

(ذو معهر) في النص السطر ٨٢ . ٥

(بن ملكن) السطر ٨٣ . ٦

(ذو ذرنج) ، السطر ٨٣ من النص . ٧

(ذو شولمان) ، السطر ٨٤ من النص . ٨

(ذو شعبان) ، السطر ٨٤ من النص . ٩

(ذو همدان) ، السطر ٨٥ من النص . ١٠

(ذو كلعن) ، السطر ٨٥ من النص . ١١

ولم يذكر في هذا النص اسم (كبر حضرموت) ، أي كبير حضرموت الذي كان يحكم حضرموت في أيام أبرهة ، ويظهر من ذكره مع الرجال الذين حضروا إلى مأرب أنه كان تابعاً لأبرهة ، أو أنه كان حليفاً له^١ .

وتدل جملة (بن ملكن) ، على أن المراد بها (ابن الملك) ، أي (ابن أبرهة) ، ولم يشر النص إلى اسمه . فلعله قصد أكبر أولاده . ويرى البعض أنه كان يحكم (وعلان) (ذو ردمان) ، وأنه كان يلقب بـ (ذمعهر) . (ذو معاهر) (ذو معهر) . وقد أشار (الهمداني) إلى (ذي المعاهر) . وذكر أنه قصر (وعلان) بـ (ردمان)^٢ .

وفي أثناء وجود أبرهة في مأرب ، وفدت إليه وفود من النجاشي ومن ملك الروم (ملك رمن) ومن ملك الفرس (ملك فرسن) ، ورسل من (المنذر) (رسل منزن) ومن (الحارث بن جبلة) (رسل حرثم بن جبلة) ومن (أب كرب بن جبلة) (أبكرب بن جبلة) (رسل أبكرب بن جبلة) ومن رؤساء القبائل^٣ . ويلاحظ أن النص قد قدّم النجاشي على ملك الروم ، كما قدم ملك الروم على ملك الفرس ، ثم ذكر من بعد ملك الفرس اسم المنذر والحارث ابن جبلة وأبي كرب بن جبلة (أبكرب بن جبلة) . أما تقديم النجاشي على غيره فأمر لا بد منه ، وذلك لسيادة الحيشة ولو بالاسم على اليمن ، واعتراف أبرهة بسيادة مملكة اكسوم عليه . وفي ارسال مندوب عن النجاشي إلى أبرهة في مهمة سياسية ، دليل ضمني على انفراد أبرهة بالحكم ، واستقلاله في إدارة اليمن حتى صار في حكم ملك مستقل ، يستقبل وفود الدول ورسلمهم ومن بينهم وفد من ملك قامت حكومته بغزو اليمن والاستيلاء عليها . وأما تقديم ملك الروم على ملك الفرس ، فلصلة الدين والسياسة بين الحيشة والروم واليمن ، فللروم الأسبقية والأفضلية اذن على الفرس .

ويلاحظ أيضاً أن النص قد استعمل كلمة (محشكت) للوفد أو الرسل الذين جاؤوا إلى أبرهة من النجاشي ومن ملك الروم ، فكتب (محشكت نجاشين)

Glaser, Mitt., S. 467. ١

Belträge, S. 39. ٢

السطر ٨٨ من النص ، وما بعده إلى السطر ٩٣ . ٣

و (محشكت ملك رمن) أي (رسل النجاشي) (سفراء النجاشي) (سفير النجاشي) و (رسل ملك الروم) . وتعني كلمة (محشكت) في اللغة السبئية (الزوجة) ، فعبر في هذا النص بهذه الكلمة عن معنى (سفير) (سفراء) و (رسل حكومة صديقة مقربة) ، فلها إذن هنا معنى دبلوماسي خاص^١ . أما بالنسبة الى رسل (ملك الفرس) ، فقد أطلق عليهم كلمة (تنبلت) ، فكتب (تنبلت ملك فرس) ، أي (وفد ملك الفرس) وذلك يشير الى أن لهذه الكلمة معنى خاصاً في العرف السياسي يختلف عن معنى (محشكت) ، وأن الوفد لم يكن في منزلة وفدي الحبشة والروم ودرجتها .

ولقد أحدث مجيء مندوب النجاشي (ربحز زيمن) ومندوب ملك الروم ومبعوث ملك الفرس، ورسل المنذر ملك الحيرة ، والحارث بن جبلة وأبي كرب ابن جبلة ، أثراً كبيراً ولا شك في نفوس العرب الجنوبيين ، وفي نفوس الأقبال وقبائلهم ، فجاء هؤلاء الى اليمن ، وقطعهم المسافات الشاسعة ، ليس بأمريسير ، وفيه أهمية سياسية كبيرة . وفيه تقدير لأبرهة ولمكانته في هذه البقعة الخطيرة المسيطرة على البحر الأحمر وفيه عند باب المندب ، وعلى المحيط الهندي . كما أحدثت الأبهة التي اصطنعها أبرهة لنفسه في اليمن . والقوة التي جمعها في يديه أثراً كبيراً ولا شك أيضاً في نفوس المبعوثين الذين قطعوا تلك المسافات للوصول الى عاصمة سبأ ذات الأثر الخالد في النفوس^٢ .

ولم يكن مجيء هؤلاء المبعوثين الى أبرهة لمجرد التهنة أو التسلية أو المجاملة أو ما شاكل ذلك من كلمات مكتوبة في معجمات السياسة . ولكن لأمر آخر أبعد من هذه وأهم ، هي جرّ أبرهة الى هذا المعسكر أو ذلك ، وترجيح كفة على أخرى ، وخنق التجارة في البحر الأحمر ، أو توسيعها ، ومن وراء ذلك اما نكبة تحل بمؤسسات الروم وتجاراتهم ، واما ربح وافر يصيبهم بما لا يقدر . لقد كان العالم إذ ذاك كما هو الآن ، جبهتين : جبهة غربية ، وجبهة أخرى شرقية : الروم والفرس . ولكل طبّالون ومزمرّون من الممالك الصغيرة وسادات القبائل يطبّلون ويزمرون ، ويرضون أو يغضبون ، ويشبون أو يعاقبون لإرضاء

Glaser, Mitt., S. 408, Praetorius, in ZDMG., 48, S. 650.

Glaser, Mitt., S. 421.

للجبهة التي هم فيها ، وزلفى اليها وتقرباً . لقد سخر الروم كل قواهم السياسية للهيمنة على جزيرة العرب ، أو ابعادها عن الفرس وعن الميالين اليهم على الأقل . وعمل الفرس من جهتهم على تحطيم كل جبهة تميل إلى الروم وتؤيد وجهة نظرهم وعلى منع سفنهم من الدخول إلى البحر الهندي ، والاتجار مع بلاد العرب . وعمل المعسكران بكل جد وحزم على نشر وسائل الدعاية واكتساب معركة الدعاية والفكر ، ومن ذلك التأثير على العقول . فسعى الروم لنشر النصرانية في الجزيرة ، فأرسلوا المبشرين وساعدوهم ، وحرصوا الحبشة على نصرها ونشرها ، وسعى الفرس لنشر المذاهب النصرانية المعارضة للمذهب الروم والحبشة ولتأييد اليهودية أيضاً ، وهي معارضة لسياسة الروم أيضاً . ولم يكن دين الفرس كما نعلم نصرانياً ولا يهودياً ، وإنما هو دين بغيض إلى أصحاب الديانتين . ولم يكن غرض الروم من بث النصرانية أيضاً خالصاً لوجه الله بريئاً من كل شائبة .

أما النجاشي الذي أرسل الوفد إلى أبرهة فاسمه (ربحيز زبيمن) (ربحيز زبيمان) كما ذكر ذلك أبرهة نفسه . ولا يعرف من أمر هذا النجاشي شيء كثير ، ولا يعرف كذلك أكان قد خلف النجاشي (كالب ابلا أصبحته) Kaleb Ela Asbeha الذي بأمره كان الفتح ، أم كان خلفاً لخليفته . وقد أشرت من قبل إلى ما ذكره (بروكوبيوس) وأهل الأخبار عن التوتر الذي كان بين نجاشي الحبشة وأبرهة ، وعن امتناع أبرهة عن دفع جزية سنوية إليه . ويظهر أن أبرهة رأى أن من الخير له مصالحة النجاشي والاعتراف بسلطانه اسماً ، وفي ذلك كسب سياسي عظيم ، كما هو كسب للنجاشي ولو صورياً ، فدفع الجزية له ، وتحسنت العلاقات .

وأما (ملك رمن) ملك الروم ، فلم يذكر (أبرهة) اسمه في نصه . ولكن يجب أن يكون هو القيصر (يوستنيانوس) Justinian الذي حكم من سنة (٥٢٧) حتى سنة (٥٦٦) للميلاد ، وكان حكمه بعد حكم (يسطين) السني ولي الحكم من سنة (٥١٨) حتى سنة (٥٢٧) للميلاد . وكان (يوستنيانوس) (يوستنيان) قد وضع خطة للتحالف مع الحبش ومع حمير للإضرار بالفرس . وراسل (السميفع أشوع) Esimiphaeus للاتحاد معه ولمحاربة الفرس . فلما تولى (أبرهة) الحكم عاد القيصر فاتصل به ، وتودد إليه لتنفيذ ما عرضه على (السميفع أشوع)

من مهاجمة الفرس . فوافق أبرهة على ذلك ، وأغار عليهم ، غير أنه ترجع بسرعة^١ .

وأما (حرثم بن جبلت) ، فهو الحارث بن جبلة ملك الغساسنة ، وأما (ابكر بن جبلت) ، فإنه Abochorabus المذكور في تأريخ (بروكوبيوس) . وقد ذكر هذا المؤرخ أن القيصر (يوسطيانوس) (يوسطيان) Justinian كان عينه عاملاً (فيلارخا) Phylarch على عرب السرسين Saracens بفلسطين ، وأنه كان رجلاً صاحب قابليات وكفاية ، تمكن من تأمين الحدود ومن منع الأعراب من التعرض لها ، وكان هو نفسه يحكم قسماً منهم ، كما كان شديداً على المخالفين له . وذكر أيضاً أنه كان يحكم أرض غابات النخيل جنوب فلسطين ، ويجاور عربها عرب آخرون يسمون (معديني) (معد) Maddenl هم أتباع لـ (حمير) Homeritae^٢ .

أراد هذا الرئيس أن يتقرب الى القيصر ، وأن يبالغ في تقربه اليه وفي إكرامه له ، فتزل له عن أرض ذات نخل كثير ، عرفت عند الروم بـ Phoinikon (واحة النخيل) ، أو (غابة النخيل) وهي أرض بعيدة ، لا تبُلع إلا بعد مسيرة عشرة أيام في أرض قفرة . فقبل القيصر هذه الهدية الرمزية ، إذ كان يعلم ، كما يقول المؤرخ (بروكوبيوس) عدم فائدتها له ، وأضافها الى أملاكه ، وعين هذا الرئيس عاملاً (فيلارخاً) على عرب فلسطين^٣ .

وقد قام ملك هذا الرئيس على ملك رئيس آخر كانت له صلات حسية بالروم كذلك ، هو (امرؤ القيس) Amorkesos الذي سبق ان تحدثت عنه في كلامي على علاقة العرب بالبيزنطيين .

و (غابة النخيل) التي ذكرناها ، تجاور أرض قبيلة (معد) Maddenol ، وكانت معد كما يظهر من أقوال المؤرخ (بروكوبيوس) خاضعة في عهده لحكم الحميريين . وقد ذكرت كيف أن القيصر توسط لدى (السميعع أشوع) ليوافق

ZDMG., 35, 1881, S. 36. ١

Procopius, I, XIX, 8-16, P. 180, Glaser, Mitt., S. 437. ٢

Procopius, I, XIX, 2-16, Bulletin of the School of Oriental and African ٣

Studies, University of London, Vol., XVI, Part : 3, 1954, P. 428,

Musil, Hegay, P. 307.

على تعيين (قيس) رئيساً على معد . وقد تمردت هذه القبيلة على (أبرهة) ، فسيّر إليها قوة لتأديبها ، كما يظهر ذلك من كتابة أمر (أبرهة) بكتابتها لهذه المناسبة . أدّبها بقوة سيّرها إليها في شهر (ذو ثبّين) من شهور فصل الربيع ، فانهزمت معد ، وأنزلت القوة بها خسائر فادحة . وبعد أن تأدبت وخضعت ، اعترف (أبرهة) بحكم (عمرو بن ملر) عليها ، وتراجعت القوة عنها^١ .

و Maddenoi ، هي قبيلة Ma'addaya التي ذكرها (يوحنا الأفسوسي) John of Ephesus مع (طياية) Taiyaye في كتابه الذي وجهه إلى أسقف (بيت أرشام) Beth Arsham ، ويظهر من هذا الكتاب أن عشائر منها كانت مقيمة في فلسطين .

وفي القرآن الكريم سورة ، أشارت إلى سبل العرم ، هي سورة سبأ ، ورد فيها : « لقد كان لسبأ في مسكنهم آية ، جنات عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سبل العرم وبدّلناهم بجنتهم جنتين ذواتي أكل خمطٍ وأثلٍ وشيءٍ من سدرٍ قليل^٢ . ولم يحدد المفسرون الوقت الذي تهدم فيه السد^٣ .

ول (أبرهة) نص آخر ، كتبه بعد النص المتقدم ، لمناسبة غزوه (غزيو) (معداً) ، في شهر (ذو ثبّين) (ذي ثبّت) (ذي الثبّت) (ذي الثبات) من شهور سنة (٦٦٢) من التقويم الحميري الموافقة لسنة (٥٤٧) أو (٥٣٥) للميلاد . وهذا النص عثرت عليه بعثة (ريكمنس) مدوّناً على صخرة بالقرب من بثر (مريغان) . فوسم بـ Ryckmans 506 . وقد ترجمه (ريكمنس) G. Ryckmans إلى الفرنسية ، ثم إلى لغات أخرى^٤ .

١ Le Muséon, LXVI, 1953, 3-4, P. 277, Ryckmans, No. 506.

٢ سورة سبأ ، الآية ١٥ وما بعدها .

٣ تفسير الطبري (٥٢/٢٢ وما بعدها) ، تفسير النيسابوري (٥٠/٢٢ وما بعدها) ، (حاشية على تفسير الطبري) تفسير الألوسي (١١٥/٢٢) .

٤ تاريخ العرب قبل الإسلام (٣٩٦/٤ وما بعدها) ،
Le Muséon, 66, 1953, P. 275, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, 1954, Vol., XVI, Part, 3, P. 435, W. Caskel, Entdeckungen in Arabien, S. 27, Sidney Smith, Events in Arabia in the 6th Century A. D. BSOAS, 1954, P. 435, A. F. L. Beeston, Notes on the Muralghan Inscriptions, in BSOAS, 1954, P. 389.

وفي النص مواضع طمست فيها معالم بعض الحروف ، عزّ بذهابها فهم المعنى وضبط الأعلام . كما أن فيها بعض تعابير معقدة ، عقدت على من عاجله فهم المعنى فهماً واضحاً ، ثم هو نص قصير لا يتجاوز عشرة أسطر ، واختصر وصف الحوادث حتى صيّرهُ وكأنه برقية من برقيات (التلغراف) ، ولكنه مع كل هذا ذو خطر بالغ ، لأنه يتحدث عن حوادث لم تكن نعرف عنها شيئاً ، ويصف الأوضاع السياسية في ذلك العهد ، ويشير الى اتصال ملوك الحيرة بالحيش والى سلطان حكّام اليمن على القبائل العربية ، مثل معدّ ، مع أنها قبائل قوية وكثيرة العدد . وهو مما يؤيد رواية أهل الأخبار في أنه كان لليمن نفوذ على قبائل معدّ وأن تبابعة اليمن كانوا ينصبون الملوك والحكّام على تلك القبائل .

وقد تلقب (أبرهة) في هذا النص كما تلقب في نص سدّ مأرب بلقب الملك الذي كان يتلقب به ملوك اليمن ، وهو : (ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت (اليمن) وأعرابها في النجّاد (طودم) وفي المنخفضات (تهمتم) ، (تهامة) ، كما افتتحه بجملة : (بخيل رحمن ومسحهو) ، أي (بحول الرحمن ومسيحه) ، وقد سبق لـ (أبرهة) أن افتتح نصه الذي دوّنه على (سد مأرب) بجملة : (بخيل ودا ورحمت رحمن ومسحهو ورح قدس) ، ومعناها : (بحول وقوة ورحمة الرحمن ومسيحه روح القدس) ، والجملتان من الجمل الستة ترد في نصوص اليمن لأول مرة ، وذلك بسبب كون أبرهة نصرانياً ، وقد صارت النصرانية في أيام احتلال الحيش لليمن ديانة رسمية للحكومة ، باعتبار أنها ديانة الحاكمين . وعرف (أبرهة) في النصين بـ (ابره زيمن) ، أي (أبرهة زيمان) ، ولفظة (زي ب م ن) (زيمن) من ألقاب الملك في لغة الأحباش .

واليك هذا النص كما دوّنه (ريكننس) عن النص الأصيل :

« بخيل رحمن ومسحهو ملكن ابره زيمن ملك سبا وذ ريدان وحضرموت ويمنت واعربهمو طودم وتهمت سطرو ذن سطرن كغزيو معدم غزوتن ربعتن بورخن ذ ثبتن كقسدو كل بنيعمرم وذكى ملكن ابجر بعم كدت وعل وبشرم بنحصنم بعمر سعدم وم . خ ض . و وضرو قدمي جيشن على بنيعمرم كدت وعلى ود . ع . ز . رن . مردم وسعدم بود بمنهج تربن وهرجو وازرو ومنمو ذعسم ونخص ملكن

بحلبن ودنو كظل معدم ورهنو وبعدهو وزعهمو عسرم بن مذن ورهنهمو بنهو
وستخلفهوا على معدم معدم وقفلو بن حلبن بخيل رحمن ورخهوا ذلثي وستي
وست ماتم^١ .

ونصه في عربيتنا :

« بحول الرحمن ومسيحه . الملك أبرهة زبيان ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت
ويعنت (اليمن) وأعرابها في الطود (الهضبة) وفي تهامة (المنخفضات) . سطورا
هذه الأسطر لما غزت معد : الغزوة الربيعية بشهر ذو الثبات (ذئبن) (ذو الثبت) .
ولما غلظ (ثار) كل (بنو عامر) . أرسل الملك (أبا جبر) بقبيلة (كدت)
كندة وقبيلة (عل) و (بشر بن حصن) (بشرم بن حصن) بقبيلة (سعد)
لحرب (بني عامر) فتحركا بسرعة^٢ وقدما جيشها نحو العدو : فحاربت (كدت)
كندة وقبيلة (عل) بني عامر ومراداً ، وحاربت (سعد) بواد (بمنهج)
ينهج (يؤدي) إلى (ترين) (الترب) . فقتلوا من بني عامر وأسروا وكسبوا
غنائم^٣ . وأما الملك ، فحارب بـ (حلبن) (حلبان) ، وهزمت معد ، فرهنت
رهائن عنده .

وبعدئذ ، فاوض (عمرو بن المنذر) (عسرم بن مذن) ، وقدّم رهائن
من أبنائه . فاستخلفه (اقره) على معد . وقفل (أبرهة) راجعاً من (حلبن)
(حلبان) . بحول الرحمن . بتاريخ اثنين وستين وست مئة^٤ .
وقد درس بعض الباحثين هذا النص ، فذهب بعضهم الى أنه يشير الى حملة
أبرهة على مكة في العام الذي عرف عند أهل الأخبار بـ (عام الفيل) وأشار
اليها في القرآن الكريم^٥ . وذهب بعض آخر الى أنه يشير الى غزو قام به أبرهة
تمهيداً لحملة كان عزم القيام بها نحو أعالي جزيرة العرب ، فتوقفت عند مكة^٥ .

Le Muséon, 1953, 3-4, P. 277.

١ (ومنخضو) ، (وفي الحديث : أنه من عليه بجنابة تمنخض مخضاً ، اي تحرك

تحريكاً سريعاً) ، اللسان (٢٣١/٧) ، (صادر) ، (م/خ/ض) .

٢ (دعسم) (العسسم : الاكتساب ، والاعتسام : الاكتساب) ، اللسان

(٤٠٣/١٢) ، (صادر) ، (ع/س/م) .

٣ سورة الفيل ، الآية ١ فما بعدها ،

F. Altheim — R. Stiehl, Araber und Sasaniden, Berlin, 1954, S. 200-207,

Finanzgeschichte der Spätantike, S. 145, 353, Le Muséon, 1965, 3-4, P. 426.

W. Caskel, Entdeckungen in Arabien, S. 30, Le Muséon, 1965, 3-4, P. 426.

وذهب آخرون الى أن ما جاء في هذا النص لا علاقة له بحملة الفيل ، ذلك لأن هذه الحملة كانت في سنة (٥٤٧) للميلاد على تقديرهم ، على حين كانت حملة الفيل سنة (٥٦٣) على تقديرهم أيضاً^١ .

وذهب (بيستن) الى أن هذا النص يتحدث عن معركتين : معركة قام بها (أبرهة) في (حلبان) : ومعركة كندة وسعد - مراد بموضع (تربن) (الترب) (تربة) ، وقد حاربت فيها جماعة من القبائل^٢ .

ويظهر من النص ان (أبرهة) غزا بنفسه معداً في شهر (ذى ثبتن) من ربيع سنة (٦٦٢) من التقويم السبئي ، والتقى بها في موضع (حلبن) (حلبان) ، فهزمها وانتصر عليها ، فاضطرت عندئذ الى الخضوع له ومهادنته ، والى وضع رهائن عنده تكون ضماناً لديه بعدم خروجها مرة ثانية عليه . فوافق على ذلك . وفيما كان في (حلبان) بعد اتفاقه مع معد ، جاءه (عمرو بن المنذر) (عمرو ابن مذنر) ، وكان أبوه (المنذر) عينه أميراً على معد ، ليفاوضه في أمر (معد) فقابلته بـ (حلبان) ، وأظهر له استعداد أبيه (المنذر) على وضع رهائن عنده لئلا يتكرر ما حدث ، وبحصول اعترافه على تولي عمرو حكم (معد) فوافق أبرهة على ذلك ، وقفل (وقفلو) أبرهة راجعاً الى اليمن ، وسوى بذلك خلافه مع معد . وصار (عمرو بن المنذر) رئيساً على معد بتعيين أبيه له عليها وبثبيت (أبرهة) هذا التعيين^٣ .

و (حلبان) موضع في اليمن في أرض (حضور) ، وذكر انه موضع في اليمن على مقربة من (نجران) ، وانه موضع ماء في أرض (بني قُشَيْر) . وقد وعت ذاكرة أهل الأخبار على ما يظهر شيئاً عن المعركة التي نشبت في هذا الموضع إذ رووا شعراً للمخبل السعدي يفخر بنصرة قومه (أبرهة بن الصباح) ملك اليمن^٤ . وكانت (خندف) حاشيته . ذكروا أنه قال :

١ A. G. Lundin, Yujnaya Arabia W VI Weke (Palestynski Sbornik, 1961,

PP. 73, 82), Le Muséon, 1965, 3-4, P. 427.

٢ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 426, BSOAS, 1954, P. 391.

٣ في النص ثغرات والفاظ تجعل من الصعب على الباحث ضبط الترجمة الحرفية والمعنى للنص .

٤ البكري ، معجم (٤٦١/٢) ، (حلبان) (حلبان من أرض الأخرج بين حضور وحدان) ، الأكليل (١٥٨/٢) ، (حاشية ١) .

صرموا لأبرهة الأمور محلها حلبان فانطلقوا مع الأقوال
ومحرق والحارثان كلاهما شركاؤنا في الصهر والأموال^١

وأورد (الهمداني) أحياناً فيها اسم موضع (حلبان) واسم (أبي يكسوم) ،
وهي قوله :

ويوم أبي يكسوم والناس حضر^٢ على حلبان إذ تقضي محامله
فتحنا له باب الحضير وربّه عزيز يمشي بالسيوف أراجله

وقد روى هذان البيتان وهما من شعر (المخبل المعدي) في هذا الشكل :

ويوم أبي يكسوم والناس حضر على حلبان إذ تقضي محامله
طويتا لهم باب الحصين ودونه عزيز يمشي بالحراب مقالته^٣

ويظهر من هذا الشعر أن (أبرهة) لما جاء بجيشه إلى موضع (حلبان) ،
وجد مقاومة ، ووجد أبواب الحصن مغلقة ، وقد تحصن فيه المقاومون له ودافعوا
عنه ، فهجم قوم الشاعر عليه ، ففتحوا باب الحصن ، ودخلوه .

أما تأديب (بني عامر) ، فلم يقم به (أبرهة) بنفسه ، بل قام به قائد
اسمه (الجبر) (أبو جبر) ، قاد قبيلتي (كدت) ، أي (كندة) و (عل) ،
وقائد آخر اسمه (بشرم بن حصم) ، أي (بشر بن حصن) ، قاد قبيلة
(سعدم) ، أي (سعد) (بنو سعد) . وسار القائدان بجيشهما وتقدما بهما
إلى (بني عامر) ، وحاربا على هذا النحو : حاربت (كندة) و (عل)
قبائل سقطت بعض الحروف من اسم كل واحدة منها، فبقي من أحدهما (ود.ع)
وبقي من الأخرى (زرن) (ز.رن) وقبيلة (مردم) ، أي (مراد) .
وحاربت (سعد) بواد يؤدي إلى (ترين) (الترب)^٤ ، فقتلوا وأسروا
(ازرو) وأصابوا غنائم^٥ . ولم يسم النص الوادي الذي يؤدي إلى (الترب) .

١ اللسان (٣٣٤/١) ، (صادر) ، تاج العروس (٣١٤/٢) ، (طبعة الكويت) ،
(ضربوا) بدلا من (صرموا) ، البكري (٤٦١/٢) .

٢ Le Muséon, 1965, 3-4, P 430.

٣ (بود بمنهج ترين) ، السطران الخامس والسادس من النص .

٤ السطر السادس من النص .

ويظهر أن موضع (ترين) الذي يؤدي اليه الوادي الذي جرت فيه المعركة ، هو موضع (تربة) ، مكان في بلاد بني عامر ، ومن مخاليف مكة النجدية ، على مسافة ثمانين ميلاً تقريباً الى الجنوب الشرقي من الطائف^١ . وذكر أنه واد بقرب مكة على يومين منها ، يصب في بستان ابن عامر ، حوله جبال السّراة ، وقيل انه واد ضخم ، مسيرته عشرون يوماً أسفله بنجد وأعلاه بالسراة، وقيل : يأخذ من السراة ويفرغ في نجران ، وقيل : موضع من بلاد بني عامر بن كلاب واسم موضع من بلاد بني عامر بن مالك^٢ .

و (عمر بن مذن) ، هو (عمرو بن المنذر) ملك الحيرة ، وكان أبوه (المنذر) حليفاً للساسانيين . فيكون قد عاصر (ابراهة) اذن ، ويكون (عمرو) ابنه من المعاصرين له أيضاً .

وقصد ب (بنيعمر) ، (بني عامر) . وهم (بنو عامر بن صعصعة) من (هوازن)^٣ .

ومراد ، هي قبيلة مراد التي منها (غطيف) . وفي أيام الرسول وفد عليه (فروة بن مسيك المرادي) مفارقاً للملوك كندة . وقد كانت بين مراد وهمدان قبيل الاسلام وقعة ظفرت فيها همدان ، وكثر فيها القتل في مراد . وعرفت تلك الوقعة بيوم الروم . ورئيس همدان الأجدع بن مالك والد مسروق^٤ .

وأما (سعد) أي قبيلة (سعد) ، التي قادها (بشر بن حصن) في هذه المعركة ، فلم يذكر النص هويتها . غير أننا إذا ما أخذنا بشعر (المخبل السعدي) الذي افتخر به بنصرة قومه لأبرهة في يوم (حلبان) وبانضمامهم اليه ، ففي استطاعتنا أن نقول حينئذ : إن قومه هم (سعد) أي (سعد) القبيلة المذكورة في النص .

و (الجبر) اسم قد يقرأ (أبو جبر) ، وقد يكون (أبو جابر) وقد

١ البكري (٣٠٩/١) ، (مادة تربة) ،

Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, VOL., XVI, Part 3, 1954, P. 430.

٢ تاج العروس (٦٨/٢ وما بعدها) (طبعة الكويت) ، اللسان (٢٣١/١) ، (صادر)

٣ الاشتقاق (١٧٧/٢ ، ١٧٨) ، Le Muséon, 3-4, 1953, P. 341.

٤ ابن الاثير (١٢٣/٢) .

يكون (أبجير) وقد يكون (أبو جبار) . وكل هذه الأسماء هي أسماء معروفة عند الجاهليين . وقد ذهب (كستر) (M. J. Kister) الى احتمال كونه (يزيد ابن شرحبيل الكندي) أو (أبو الجبر بن عمرو) ، وهو من كندة أيضاً^١ . وهو من (آل الجون) من بطون كندة^٢ .

وقد أشير في كتب أهل الأخبار الى أمير من أمراء كندة عرف بـ (أبي الجبر) وقد ذكر في مقصورة (ابن دريد)^٣ . وروى أنه زار (كسرى) ليساعده على قومه ، فأعطاه جماعة من (الأساورة) أخذهم معه ليساعده ، فلما وصل إلى (كاظمة) سثموا منه ، وأرادوا التخلص منه فذسّوا السم له في طعامه . ولكنه لم يمت منه ، بل شعر بألم منه ، فأكرهه الأساورة على أن يكتب كتاباً لهم يحملونه معهم الى (كسرى) يذكر فيه أنه سمح لهم بالعودة ، فكتب لهم كتاباً ثم سافر الى (الطائف) ، فعالجه (الحارث بن كلدة الثقفي) ، حتى شفي ، فوهبه جارية كانت له اسمها (سمية) أهداها له (كسرى) ، ثم ذهب الى اليمن ، ولكن عاوده مرضه في طريقه اليها فمات . وقد رأى (كستر) أنه هو (أبو جبر) المذكور في النص^٤ .

وأما (بشر بن حصن) ، أي (بشر بن حصن) ، أو (بشر بن حصن) أو (بشار بن حصن) أو (بشار بن حصن) أو (بشر بن حصن) ، فقد ذهب (لُندن) (Ludin) ، الى أنه احد سادات (كندة)^٥ .

لقد أشرت الى رأي بعض الباحثين في هذه الحملة ، والى ذهاب بعضهم الى انها كانت حملة الفيل ، أي حملة أبرهة المذكورة في القرآن الكريم على مكة . كما أشرت الى رأي آخر ، ذكر أن هذه الحملة كانت مقدمة لحملة الفيل ، أي حملة

١ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 434.

٢ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 436.

٣ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 434.

مقصورة ابن دريد ، (ص ٨٢) (طبعة الجوائب) ، القاهرة ١٣٠٠ هـ ، نزهة الجليس (١ / ٤٨٤) .

٤ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 434.

٥ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 435, A. G. Lundin, Yujnaya Arabia W VI

Weke Palestyniski Sbornik 1961, PP. 73-84.

تجريبية سبقت تلك الحملة . وحجة الفريق الأول ما ورد في بعض الروايات من أن مولد الرسول كان بعد عام الفيل بثلاث وعشرين سنة^١ . أي في حوالي السنة (٥٤٧) للميلاد . وهو تأريخ ينطبق مع السنة المذكورة في النص ، اذا أخذنا برأي من يجعل مبدأ التقويم الحميري سنة (١١٥) قبل الميلاد^٢ . ومن ورود رواية أخرى في حساب السنين عند قريش ، تظهر بنتيجة حسابها وتحويلها أن عام الفيل كان في سنة (٥٥٢) بعد الميلاد ، وهو تأريخ ينطبق مع تأريخ النص أيضاً اذا أخذنا برأي (ريكمسنس) في مبدأ التقويم الحميري من أنه كان سنة (١٠٩) لا (١١٥) قبل الميلاد^٣ .

وأبرهة هذا هو (صاحب الفيل) الذي قصد بفيلته وجنده هدم الكعبة وإكراه الناس على الحج الى (القُلَيْس) الكنيسة التي بناها بمدينة (صنعاء) في روايات الأخباريين . وهي كنيسة قال عنها أهل الأخبار ، أنها كانت عجيبة في عظمتها وضخامتها وتزويقها من الداخل والخارج ، حتى ان (أبرهة) لما انتهى من بنائها كتب الى النجاشي : « لاني قد بنيت لك بصنعاء بيتاً لم تبني العرب ولا العجم مثله »^٤ . أو « لاني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبن مثلها الملك كان قبلك »^٥ . ويبالغ أهل الأخبار في وصفها فيذكر (الأزرقي) ، انه بناها بجانب قصر غمدان ، وأنه أقامها بحجارة قصر بلقيس بمأرب ، نقلها العمال والفعلة والمسحرون من مأرب الى صنعاء . فهدموا ذلك القصر وأخذوا حجروه وما يصلح للبناء من مادة ، ثم نقلوه الى صنعاء لاستعماله في بناء تلك الكنيسة التي بنوها بناءً ضخماً عالياً ، وجعلوا جدرانها من طبقات من حجر ذي ألوان مختلفة . لون كل طبقة يختلف عن الطبقة التي تحتها أو التي فوقها . وزينا الجدران بأفاريز من الرخام والخشب المنقوش . وجعلوا الرخام ناتئاً عن البناء ، وجعلوا فوق الرخام

-
- ١ البدء والتأريخ (١٣١/٤ وما بعدها) ، تأريخ العرب في الاسلام (٩١/١) .
 - ٢ Le Muséon, 1965, 3-4, PP. 426, 427.
 - ٣ Le Muséon, 1965, 3-4, PP. 427, 428.
 - ٤ الأزرقي (٨٢/١ وما بعدها) ، تفسير الطبري (١٩٣/٣٠) ، تفسير القرطبي (١٨٧/٢٠) .
 - ٥ ابن هشام (٤٣/١) ، ابن كثير ، البداية (١٦٩/٢) ، (١٧٠/٢) وما بعدها ، (مطبعة السعادة ، سنة ١٩٣٢ م) ، (القاهرة ، تفسير ابن كثير (٥٤٨/٤) وما بعدها) ، (عيسى البابي الحلبي) .

حجارة سوداً لها بريق ، وفوقها حجارة بيضاً لها بريق ، فكان هذا ظاهر حائط القليس . وكان عرضه ست أذرع . وكان للقليس باب من نحاس عشر أذرع طولاً في أربع أذرع عرضاً . وكان المدخل منه الى بيت في جوفه ، طوله ثمانون ذراعاً في أربعين ذراعاً معلق العمود بالسياج المنقوش ومسامير الذهب والفضة ، ثم يدخل من البيت إلى إيوان طوله أربعون ذراعاً ، عن يمينه وعن يساره ، وعقوده مضروبة بالفسيفساء مشجرة ، بين أضعافها كواكب الذهب ظاهرة ، ثم يدخل من الإيوان الى قبة ثلاثون ذراعاً في ثلاثين ذراعاً ، جدرانها بالفسيفساء ، فيها صلب منقوشة بالفسيفساء والذهب والفضة ، وفيها رخامة مما يلي مطلع الشمس من البلق مربعة عشر أذرع في عشر أذرع ، تغطي عين من ينظر إليها من بطن القبة تؤدي ضوء الشمس والقمر الى داخل القبة ، وكان تحت القبة منبر من خشب اللبخ ، وهو عندهم الآبنوس ، مفصّد بالعاج الأبيض . ودرج المنبر من خشب الساج ملبسة ذهباً وفضة . وكان في القبة سلاسل فضة^١ . وفي القبة أو في البيت خشبة ساج منقوشة طولها ستون ذراعاً يقال لها كعيب ، وخشبة من ساج نحوها في الطول يقال لها : امرأة كعيب كانوا يتبركون بهما في الجاهلية . وكان يقال لكعيب الأحوزي، والأحوزي بلسانهم الحر^٢ .

وكان أبرهة قد أخذ العمال بالعمل أخذاً شديداً ، وأمر بالعمل في بناء الكنيسة ليل نهار . وإذا تراخى عامل أو تباطأ عن عمله أنزل وكلاؤه به عقاباً شديداً ، يصل الى قطع اليد . وبقي هذا شأنه ودأبه حتى أكمل بناؤها وسر من رؤيتها ، فأصبحت بهجة للناظرين .

ونجد في وصف (الأزرق) ومن تقدم عليه من أهل الأخبار للقليس شيئاً من المبالغة ، ولكنه على الاجمال وصف يظهر أنه أخذ من موارد وعته وشاهدته وأدركته . لذلك جاء وصفاً حياً نابضاً بالحياة ، يتطبق على الكنائس الضخمة التي أنشئت في تلك الأيام في القسطنطينية أو في القدس أو في دمشق ، أو في المدن الأخرى . والظاهر من هذا الوصف ، أن فن العمارة البياني القديم قد أثر في شكل بناء هذه الكنيسة ، التي تأثرت بالفن البيزنطي النصراني في بناء الكنائس .

١ نهاية الأرب (٢٨٢/١) .

٢ الأزرق (٨٤/١ وما بعدها) ، (٩٠/١) ، (خياط) .

ويذكر (الأزرقى) ان القليس بقي في صنعاء على ما كان عليه حتى ولى أبو جعفر المنصور الخلافة ، فولى (العباس بن الربيع بن عبيد الله الحارثي) (العباس بن الربيع بن عبد الله العامري) اليمن ، فذكر له ما في القليس من ذخائر ، وقيل له انك تصيب فيه مالا كثيراً وكتراً فتاقت نفسه الى هدمه . ثم استشار أحد أبناء وهب بن منبه وأحد يهود صنعاء فألحا عليه بهدمه ، وبين اليهودي له أنه اذا هدمه فإنه سيلي اليمن أربعين سنة ، فأمر بهدمه ، واستخرج ما فيه من أموال وذهب وفضة . وخاف الناس من لمس الخشبة المنقوشة التي كانوا يتبركون بها ، ثم اشتراها رجل من أهل العراق كان تاجراً بصنعاء وقطعها للدار له^١ . وخرّب القليس حتى عفى رسمه وانقطع خبره^٢ .

واذا كان ما يقوله الأزرقى نقلاً عن رواية أدركوا تلك الكنيسة من أن أبرهة أقامها بأحجار قصر بلقيس باليمن ، فإنه يكون بذلك قد قوّض أثراً مهماً من آثار مدينة مأرب ، وأزال عملاً من الأعمال البنائية التي أقامها السبئيون في عاصمتهم قبله . وهو عمل مؤسف .

وفي صنعاء اليوم موضع يعرف بـ (غرفة القليس) ، يظن أنه موضع تلك الكنيسة ، وهو موضع حُفِّير صغير ترمى فيه القمامات وعليه حائط ويقع أعلى صنعاء في حارة القطيع بقرب مسجد نصير^٣ .

وذكر (الهمداني) اسم قصر دعاه (القليس) نسب بناءه الى (القليس بن عمرو) ، وهو في زعمه من أبناء (شرحبيل بن عمرو بن ذي غمدان بن الى شرح يحضب) . وقال : انه بناه بصنعاء ، وهو بناء قديم . وذكر أيضاً أن (عمرو بنأر ذو غمدان ابن الى شرح يحضب بن الصوار) هو أول من شرع في تشييد (غمدان) بعد بنائه القديم^٤ .

١ الأزرقى (٨٦/١) ، نهاية الارب (٣٨٣/١) ، وفي رواية أخرى ، أن السفاح أول خلفاء بني العباس ، هو الذي أمر بهدمها ، البداية ، لابن كثير (١٧٠/٢) وما بعدها . (السعادة) .

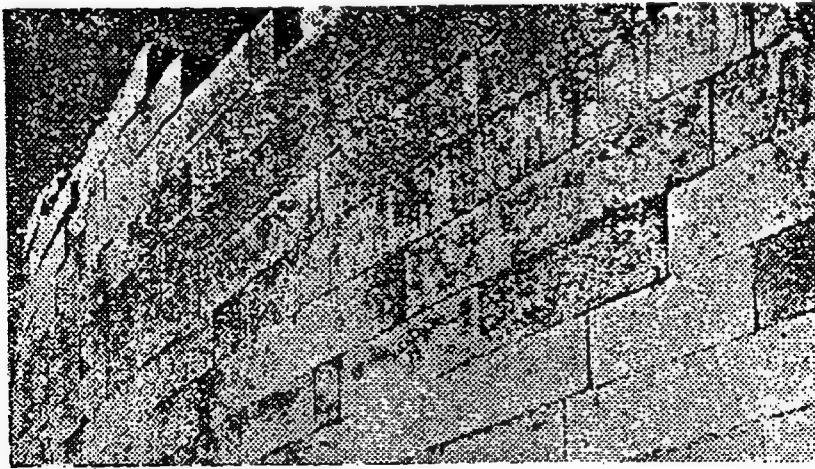
٢ البلدان (١٥٦/٧) (القليس) .

٣ الأكليل (٨٧/٢) ، حاشية لـ (لمحمد بن علي الاكوع الحوالي) ، رحلة في بلاد العرب .

٤ الأكليل (٨٦/٢ وما بعدها) .

السعيدة ، لنزيه مؤيد العظم ، (١٦٥/١) ، مصطفى مراد الدباغ ، الجزيرة العربية (٢٨٥/١) .

وقد أمر (أبرهة) ببناء كنيسة في (مأرب) أشار الى بنائها في نصه الشهير ، أقامها في سنة (٥٤٢ م) ، ورتب لخدمتها جماعة من متنصرة سبأ ، واحتفل هو نفسه بافتتاحها ، ولعله استعان ببنائها بحجارة قصور مأرب ومعبداتها الكبير ، ذلك لأن حجارته منحوتة نحتاً جيداً ، يجعل من السهل استعمالها في البناء على حين يتطلب الحجر الجديد وقتاً طويلاً وأموالاً باهظة . ولهذا السبب ذهب أهل الأخبار الى أنه أمر بنقل حجارة قصر مأرب الى صنعاء .



جدار معبد (أوم) (أوام) بمأرب ، وهو معبد اله سبأ
من كتاب (Qataban and Sheba)

لقد أصيب مشروع أبرهة الرامي الى هدم الكعبة والاستيلاء على مكة باخفاق ذريع ، يذكرنا بذلك الاخفاق الذي مُني به مشروع (أوليوس غالوس) . لقد كان في الواقع مشروعاً خطيراً ، لو تمّ إذن لاتصل ملك الروم بملك حلفائهم وأنصارهم الحبش في اليمن ، ولتحقق حلم الإسكندر الأكبر وأغسطس ومن فكر في الإستيلاء على هذا الجزء الخطير من العالم من بعدهما ، ولتغير الوضع السياسي في الجزيرة من غير شك . لكن حدث ما لم يكن في الحسبان ، حدث أن مكة التي أريد هدمها هي التي هدمت ملك الحبشة في اليمن ، وملك من جاء بعدهم لنجدة أهل اليمن ، وملك البيزنطيين في بلاد الشام وملك الفرس في العراق وفي

كل مكان^١ .

ويظهر من الرواية العربية أن نهاية (أبرهة) كانت بعد عودته من مكة بقليل إذ لازمه الوباء الذي نزل برجال حملته أثناء محاصرتهم لها ، ولم يتركه حتى بلغ صنعاء وهو مريض متعب ، فهلك بها عند وصوله^٢ . ويجب أن يكون ذلك سنة (٥٧٠) أو (٥٧١) للميلاد . أما المصادر اليونانية ، فلم تشر الى سنة وفاته .

ويذكر الأخباريون أن الذي حكم بعد (أبرهة) ، هو ابنه (يكسوم) . وبه كان أبرهة يكنى . فذلت حمير وقبائل اليمن ووطنتهم الحبشة ، وعم أذاهم وقتلوا خلقاً من رجالهم ، وأخذوا نساءهم ، واتخذوا أبناءهم تراجمة بينهم وبين العرب^٣ . ويذكر (المسعودي) أن (يكسوم) كان سيء السيرة في أهل اليمن فعمر أذاه سائر الناس ، الى أن هلك بعد عشرين سنة من الحكم^٤ .

وذكر (أبو حنيفة الدينوري) ، أن (النجاشي) أقر (أبرهة) على سلطان اليمن ، فكث على ذلك أربعين عاماً^٥ . أما ابنه (يكسوم) ، فكث على اليمن تسع عشرة سنة^٦ . وصير (حمزة) مدة حكم أبرهة ثلاثاً وعشرين سنة ، مذ قتل (أرياطاً) ، الذي حكم على زعمه عشرين سنة . وجعل حكم (يكسوم) سبع عشرة سنة ، وملك مسروق اثني عشرة سنة ، ومدة حكم الحبشة ، اثنتين وسبعين سنة^٧ .

ويرى (كلاسر) أن أبرهة كان قد عين ابنه (أكسوم) (يكسوم) على أرض (معاهر) (معهرن) ، وكانت له (ذي معاهر) ، فعرف (يكسوم) بـ (ذي معاهر) . وفي معاهر (عر وعلان) ، أي حصن وعلان^٨ .

١ Nöldeke, Geschichte der Perser, S. 188, Paullys — Wissowa,

Supplementband, VII, 1950, S. 75.

٢ الطبري (١٣٧/٢) (دار المعارف) .

٣ الطبري (١٣٩/٢) ، مروج (٨/٢ وما بعدها) (محيي الدين) ، المعارف (٢٧٨) .

٤ مروج (٨/٢ وما بعدها) (محيي الدين) .

٥ الأخبار الطوال (ص ٦٢) .

٦ المصدر نفسه (ص ٦٣) .

٧ حمزة (ص ٨٩) .

٨ Glaser, Mitt., S. 420, 461.

وانتقل الحكم من بعد هلاك (يكسوم) الى شقيقه (مسروق) . وهو من أم عربية هي (ربحانة ابنة علقمة بن مالك بن زيد بن كهلان) وهو (ذوجدن) . وكانت تحت (أبا مرة الفيّاض ذايزن) فانتزعا منه أبرهة ، وأولدها مسروقاً . ففرّ (ذويزن) من اليمن ، ولحق ببعض ملوك بني المنذر ، وبطن (الطبري) بأنه (عمرو بن هند) وأقام هناك^١ . وقد كان أسوأ سيرة من (يكسوم) ، ويذكر (المسعودي) أنه حكم ثلاث سنين^٢ . وقد قتل الفرس مسروقاً ، وذلك حين دخولهم اليمن ، وأخرجوا الحبشة عن اليمن^٣ .

وقد ذكر المؤرخ (ثيوفانس) ملكاً من ملوك حير قال ان الفرس أسروه ، وذلك في حوالي السنة (٥٧٠) للميلاد ، دعاه باسم (سنطرق) (سنطرقس) Sanaturces . وهو فيما يرى (كلاسر) تحريف (شناتر) ، والأصل (ذو شناتر) . و (شناتر) اسم موضع ، والمراد به (مسروق بن أبرهة) ، وكان والده قد عينه على هذا الموضع فعرف به . وقد ذكر (ابن قتيبة) أن (ذا شناتر) ، هو الابن الثاني لأبرهة ، ولهذا يرى (كلاسر) أن Sanaturces هو (مسروق)^٤ .

وبهلاك (مسروق) هلك حكم الحبش لليمن . اذ أخرجوا بعد انتصار الفرس وأهل اليمن عليهم . ويذكر الطبري ، أن حكم الحبشة لليمن دام اثنتين وسبعين سنة ، توارث ذلك منهم أربعة ملوك : أرياط ، ثم أبرهة ، ثم يكسوم بن أبرهة ثم مسروق بن أبرهة^{*} .

وجاء في شعر للشاعر (لبيد بن ربيعة العامري) انه دخل على ملك من ملوك الحبش ، اسمه (خير) ، أتاه فكلّمه في فداء قوم ، فأجازه ، وأحسن اليه ، وحمله على خيل ، (وبذرقة)^٥ ، أي : أرسل معه من يحرسه ، وأجازه ، وأعطاه (طيرساً) ، أي كتاباً ، كتبه له لأن يعطى ، وغلاماً أطلس أي حبشياً^٦ . ولم يذكر كيف

١ الطبري (١٤٢/٢) .

٢ مروج (٨/٢) (محيي الدين) .

٣ الطبري (١٣٩/٢) .

٤ Glaser, Zwei Inschriften, S. 486.

٥ الطبري (١٣٩/٢) .

٦ (بذرته : فارسي معرب) ، شرح ديوان لبيد (ص ١٥٥) .

٧ (والأطلس : الحبشي) ، شرح ديوان لبيد (ص ١٥٥) .

وصل الى (خير) ، ولا في اي مكان كان يحكم . وما علاقة ذلك الملك الحبشي
بجزيرة العرب إن صح أنه ملك الحبش حقاً ؟ وإذا أخذنا بقول هذا الشاعر
وصدقناه ، فقد يكون ذهب ليتوسل الى الحبش لفك أسر جماعة من قومه أو
من أصحابه قد يكونون ذهبوا للتجار أو لشراء الرقيق ، فقبض عليهم لسبب من
الأسباب واحتجزوا ، فذهب لالتماسهم فنجح في وساطته وقد يكون (خير) هذا
احد الحكام أو الاقطاعيين ، لا النجاشي ملك الأحباش .

ويظهر من كتاب (الإشتقاق) أنه كان لأبرهة حفيد اسمه (ابن شمر) إذ
ذكر مؤلفه (ابن دريد) اسم رجل سماه (ابن شمر بن أبرهة بن الصباح) ،
قال : إنه قتل مع (علي بن أبي طالب) بصفين^١ . ومعنى هذا أنه كان لأبرهة
ولد اسمه (شمر) . ونجد في كتب أهل الأخبار أسماء رجال كانوا من حفدة
(أبرهة) .

وقد سعى الأحباش ، مدة مكثهم في اليمن ، في نشر النصرانية بين الناس ،
وبناء الكنائس . ويحدثنا (قزما الرحالة) Cosmas Indicopleustes في نحو
سنة (٥٣٥ م) ، اي بعد اندحار (ذي نواس) ، عن كثرة الكنائس في العربية
السعيدة ، وعن كثرة الأساقفة والمبشرين الذين بشروا بين الحميريين والنبط وبني
جرم^٢ . وقد اشتهرت كنيسة (نجران) ، وكذلك كنيسة صنعاء ، وكنيسة
(ظفار) التي بناها الحبش ، وقد أشرف عليها الأسقف (جرجنسيوس) صاحب
(كتاب شرائع الحميريين) ، وكان مقرباً لدى النجاشي ومستشاره ومساعدته في
تنصير الحميريين^٣ .

وورد أن القيصر (يوسطين) (جستين) كان قد أرسل (كريكتيوس)
Gregentius of Ulpana من الاسكندرية الى (ظفار) ليكون (أسقفاً) على
نصارها . وقد تناظر مع (حبر) من أخبار يهود فيها ، فغلبه . وقدّم قانون
الشرعية الى (أبرام) (Abram) ملك حير^٤ .

١ الإشتقاق (٣٦١/٢) ، جمهرة أنساب العرب ، (لابن حزم) (٤٣٥) .
٢ النصرانية (٦٥/١) ، Migne, Patrolo. Gre., Vol., LXXX, Col., 169.
٣ النصرانية (٦٤/١) ، الإغاني (٧٥/٢) ،
Migne, Patrolo. Gre., Vol., 86, col. 567-620.
٤ Bury, II, P. 327.

حملة أبرهة :

وفي أيام عبد المطلب كانت حملة أبرهة على مكة ، وهي حملة روعت قريشاً وأفزعتهم ، لما عرفوه من قساوة أبرهة ومن شدته في أهل اليمن ، ومن انفراده بالحكم ، واستبداده في الأمور، حتى انه لما مات وذهب مع الذهبين لم تمت ذكراه كما ماتت ذكرى غيره من الحكام ، بل تركت أثراً عميقاً في ذاكرة أهل اليمن، انتقل منهم الى أهل الأخبار ، فرووا عنه أقاصيص ، ونسجوا حوله نسيجاً من أساطير وخرافات ، على عادتهم عند تحدثهم عن الشخصيات الجاهلية القوية التي تركت أثراً في أهل تلك الأيام ، حتى انهم لم يكتفوا بكل ما قالوه فيه ، وكأنه لم يكن كافياً ، فجعلوا منه جملة رجال سموهم (أبرهة) نصبوهم ملوكاً وتبابعة على مملكة سبأ وحير .

والرأي الغالب بين الناس ان حملة أبرهة على مكة ، كانت قبل المبعث بزهاء أربعين سنة ، وميلاد الرسول كان في عام هذه الحملة ، وهو العام الذي عرف بـ (عام الفيل) . وهو يوافق سنة (٥٧٠) أو (٥٧١ م) . وإنما عرف بعام الفيل ، لأن الحبش كما يزعم أهل الأخبار جاءوا الى مكة ومعهم فيل سموه (محموداً) ، وقد جاءوا به من الحبشة . وفي بعض الروايات أن عدد الفيلة كان ثلاثة عشر فيلاً ، أو اثني عشر ، أو دون ذلك ، أو أكثر ، وأوصلوا العدد إلى ألف فيل . ولوجود الفيل أو الفيلة في الحملة ، عرفت بحملة الفيل ، وعبر عن الحبش في القرآن الكريم بـ (أصحاب الفيل)^١ .

وقد ذهب بعض الرواة الى أن عام الفيل إنما كان قبل مولد النبي بثلاث وعشرين سنة ، وذكر بعضهم أنه كان في السنة الثانية عشرة من ملك (هرمز ابن انوشروان) . ولما كان ابتداء حكم (هرمز بن أنوشروان) سنة (٥٧٩) فعام الفيل يكون في حوالى السنة (٥٨١) للميلاد لاستة (٥٧٠) أو (٥٧١) للميلاد

١ سورة الفيل ، الطبري (١٣٠/٢) وما بعدها (دار المعارف) ، الكامل (٢٦٠/٢) ، تفسير ابن كثير (٥٤٨/٤) وما بعدها ، مروج (٧١/٢) ، دوق المعاني (٢٣٣/٢٨) ، الطبرسي ، مجمع (١٩١/٣٠) ، الأزرقى (٨٢/١) وما بعدها ، البداية والنهاية ، لابن كثير (١٧٠/٢) ، تفسير الطبري (١٦٦/٣٠) ، (المطبعة الميمنية) ، دائرة المعارف الإسلامية (٦١/١) وما بعدها ، ترجمة الشنتاوي .

كما يذهب الأكثرون الى ذلك . وأما إذا اخذنا برواية من قال من الرواة وأهل الأخبار من أن عام الفيل قد كان لاثنتين واربعين سنة من ملك (انو شروان) ، فيكون هذا العام قد وقع في حوالى السنة (٥٧٣) للميلاد^١ وهو رقم قريب من الرقم الذي ذهب اليه أكثر المستشرقين حين حوّلوا ما ذكره اهل الأخبار عن سنة ولادة الرسول الى التقويم الميلادي .

وقد ورد ذكر هذا الحادث في القرآن الكريم : « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل . ألم يجعل كيدهم في تضليل ، وارسل عليهم طيراً أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول »^٢ ؟ وقد خاطبت هذه الآيات الرسول بأن قريشاً سوف تحبب وتحل بها الهزيمة ، كما حلت بأصحاب الفيل ، واصحاب الفيل اعظم منهم قوة واشد بطشاً ، وهم لا شيء تجاههم ، وفيها تذكير لقريش بما حل بالحش ، وما كان عهد الحش عنهم يبعد .

وينسب الأخباريون حملة أبرهة على مكة الى تدنيس رجل من كنانة (القليس) التي بناها أبرهة في اليمن ، لتكون محجة للناس . فلما بلغ أبرهة خبر التدنيس كما يقولون ، عزم على السير الى مكة لهدم الكعبة ، فسار معه جيش كبير من الحش واهل اليمن ، وهو مصمم على دكها دكاً ، وصرف الناس عن الحج اليها الى الأبد . فلما وصل ، هلك معظم جيشه ، فاضطر الى العودة الى اليمن خائباً مدحوراً^٣ .

ويذكر اهل الأخبار ان الرجل الذي دنس القليس ، هو من النساء أحد بني فقيم ، ثم احد بني مالك من كنانة . وقد غضب لما رآه من شأن تلك الكنيسة ، ومن عزم أبرهة على صرف حاج العرب اليها ، ومن مبالغته في الدعاية لها ، ففعل ما فعل^٤ .

-
- ١ تفسير القرطبي (١٩٤/٢٠) .
 - ٢ سورة الفيل ، الرقم ١٠٥ ، تفسير الطبري (١٩٣/٣٠) ، (بولاق) ، القرطبي (١٨٧/٢٠ وما بعدها) .
 - ٣ الروض الانف (٤٠/١) وما بعدها ، تفسير القرطبي (١٨٨/٢٠) ، الازرقعي (٩٠/١ وما بعدها) ، (خياط) .
 - ٤ الطبري (١٣٠/٢) ، تاج العروس (١٤/٩) ، الكشف (٢٣٣/٤) ، تفسير الطبري (١٦٧/٣٠) ، تفسير النيسابوري (١٩٣/٣٠) ، (حاشية على تفسير الطبري) .



أحد القصور ، وهو يمثل الطراز اليمني في البناء

من كتاب : (Günther Pawelke) (JEMEN)

وقيل ان الرجل المذكور كان من النساك ، من نساك بني فقيم ، غاظه ما كان من عزم ابرهة على صرف العرب عن الحج اى مكة، فأحدث في القليس للحط من شأنها في نظر العرب ، ولطخ قبلتها بحدثه ، فشاع خبره بين الناس ، وهزىء القوم من (قُليّس) حدث به ما حدث . وغضب أبرهة من عمله المشين هذا الموجه اليه والى كل الخبش ، فعزم على هدم البيت الذي يقدهه ذلك الكنانى

ومن يحج إليه^١ .

وينسب أخباريون آخرون عزم (أبرهة) على ذلك الكعبة وهدمها إلى عامل آخر ، فهم يذكرون ان فتية من قريش دخلوا القليس فأججوا فيها ناراً ، وكان يوماً فيه ريح شديدة ، فاحترقت وسقطت إلى الأرض ، فغضب أبرهة ، وأقسم لينتقم من قريش بهدم معبدهم ، كما تسببوا في هدم معبده الذي باهى النجاشي به^٢ .

وذكر أن (أبرهة) بنى القليس بصنعاء ، وهي كنيسة لم يُرَ مثلها في زمانها بشيء من الأرض ، وكان نصرانياً ، ثم كتب إلى النجاشي : إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يُنَ مثلها لملك كان قبلك ، ولست بمنته حتى أصرف إليها حج العرب . فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشي ، غضب رجل من النساء ، فخرج حتى أتى الكنيسة ، فأحدث فيها ، ثم خرج فلحق بأرضه ، فأخبر بذلك أبرهة ، فغضب عند ذلك ، وحلف ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه . وبعث رجلاً كان عنده إلى بني كنانة يدعوهم إلى حج تلك الكنيسة ، فقتلت بنو كنانة ذلك الرجل ، فزاد أبرهة ذلك غضباً وحنقاً ، ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت ، ثم سار وخرج معه بالليل^٣ .

وذكر (السيوطي) سبباً آخر في قرار أبرهة غزو مكة ، زعم أن أبرهة الأشرم كان ملك اليمن ، وأن ابن ابنته أكسوم بن الصباح الحميري خرج حاجاً ، فلما انصرف من مكة ، نزل في كنيسة بنجران ، فعدا عليها ناس من أهل مكة ، فأخذوا ما فيها من الحلي وأخذوا قناع أكسوم ، فانصرف إلى جده مغضباً ، فبعث رجلاً من أصحابه يقال له (شهر بن معقود) على عشرين ألفاً من خولان

١ الكامل (٢٦٠/١ وما بعدها) ، تفسير البيضاوي (٢٦٩/٣٠) ، روح المعاني (٢٣٣/٣٠ وما بعدها) ، الكشاف (٢٨٨/٣) (بولاق) (٣٥٨/٣ وما بعدها) (١٩٤٨ م) .

٢ الكشاف (٢٣٣/٤) ، روح المعاني (٢٣٣/٢٨) ، تفسير الفخر الرازي (٩٦/٣١) ، تفسير ابن كثير (٥٤٩/٤) ، تفسير أبي السعود (٢٨٥/٥) ، تفسير النيسابوري (١٦٣/٣٠) ، وهو حاشية على تفسير الطبري (بولاق) ، التيجان في ملوك حمير ، لوهب بن منبه (ص ٣٠٣) ، حيدر آباد الدكن بالهند . تفسير الطبرسي ، مجمع (٥٣٩/١٠) ، (طهران) ، ابن هشام السيرة (٤٤/١ وما بعدها) ، روح المعاني ، للالوسي (٢٣٣/٣٠ وما بعدها) ، تفسير البيضاوي (٢٦٩/٣٠) .

٣ تفسير القرطبي (١٨٨/٢٠) ، تفسير الطبري (١٩٣/٣٠ وما بعدها) .

والأشعريين ، فساروا حتى نزلوا بأرض خثعم فتيمنت خثعم عن طريقهم . فلما دنا من الطائف خرج اليه ناس من بني خثعم ونصر وثقيف ، فقالوا : ما حاجتك الى طائفنا ، وإنها هي قرية صغيرة ؟ ولكننا ندلك على بيت بمكة يعبد فيه ، ثم له ملك العرب ، فعليك به ، ودعنا منك ، فأتاه حتى إذا بلغ الغميس ، وجد إبلاً لعبد المطلب مئة ناقة مقلدة ، فأنهبها بين أصحابه . فلما بلغ ذلك عبد المطلب جاءه ، وكان له صديق من أهل اليمن يقال له : ذو عمرو ، فسأله أن يردّ عليه ابله ، فقال : إني لا أطيق ذلك ، ولكن إن شئت أدخلتك على الملك . فقال عبد المطلب : افعل . فأدخله عليه ، فقال له : ان لي اليك حاجة . قال قضيت كل حاجة تطلبها ، ثم قصّ عليه قصة ابله التي انتهبها جيشه . فالتفت الى ذي عمرو ، ثم ضرب بإحدى يديه على الأخرى عجباً ، فقال : لو سأني كل شيء أحوزه ، أعطيته إياه ، ثم أمر بإرجاع ابله عليه . وأمر بالرحيل نحو مكة لهدمها . وتوجه ألف شهر وأصحاب الفيل ، وقد اجمعوا ما اجمعوا نحو مكة ، فلما بلغوها ، خرجت عليهم طير من البحر لها خراطيم كأنها البلس ، فرمتهم بحجارة مدرجة كالبنادق ، فشلتهم ، ونزل الهلاك بهم فانصرف شهر هارباً وحده ، ولكنه ما كاد يسير ، حتى تساقطت اعضاء جسده فهلك في طريقه الى اليمن وهم ينظرون اليه^١ .

ويتفق خبر (السيوطي) هذا في جوهره وفي شكله مع الروايات الأخرى التي وصلت إلينا عن حملة (أبرهة) ، ولا يختلف عنها الا في أمرين : في السبب الذي من أجله قرر أبرهة هدم الكعبة ، وفي الشخص الذي سار على مكة . اما السبب الذي اوردته السيوطي ، فهو غير معقول ، لسبب بسيط واضح ، هو ان ابن ابرهة ، وهو أكسوم بن الصباح الحميري ، هو رجل نصراني ، والنصارى لا تحج إلى مكة ، لأنها محجة الوثنيين ، وقد عزم جدّه ابرهة على صرف العرب من الحج إليها ، فكيف يحج إليها ابن ابنته ، وهو على دين جدّه ؟ واما ما زعمه من ان (شهر بن معقود) (مقصود) هو الذي سار على مكة لهدمها ، وذلك بأمر من ابرهة ، فإنه يخالف اجماع اهل الأخبار والمفسرين من ان ابرهة هو نفسه

١ السيوطي ، الدر المنثور في التفسير بالماثور (٣٩٤/٦) ، الاصبهاني ، دلائل النبوة (١٠٠ وما بعدها) ، الكشف (٢٨٨/٣) .

قاد تلك الحملة ، وانه هو الذي اخذ الفيل او البيلة معه، وسار على رأس جيش كبير من الحبش ومن قبائل من اهل اليمن كانت تخضع له . ثم إن السيوطي يشير الى وجود (الملك) في الجيش ، ولم يكن شهر بن معقود ملكاً ولم يلقبه اهل الأخبار بلقب (ملك) ، وانما أنعموا بهذا اللقب على ابرهة وحده . أضف الى ذلك ان ما ذكره السيوطي من حوار وقع بين عبد المطلب وبين الملك هو حوار يذكر اهل الأخبار انه جرى بين عبد المطلب وبين ابرهة . لذلك ارى ان الأمر قد التبس على السيوطي، فخلط بين ابرهة وبين شهر احد قادته من العرب ، وانه قصد بالملك ابرهة لا القائد ، وإن لم يشر اليه ، بل جعل الفعل كل الفعل للقائد المذكور .

وأورد (القرطبي) رواية اخرى نسبها الى مقاتل بن سليمان وابن الكلبي ، خلاصتها : ان سبب الفيل هو ما روى أن فتية من قريش خرجوا تجاراً الى ارض النجاشي ، فترلوا على ساحل البحر الى بيعة للنصارى ، تسميها النصارى : الهيكل ، فأوقدوا ناراً لطعامهم ، وتركوها وارتحلوا ، فهب ربح عاصفة على النار فأضمرت البيعة ناراً واحترقت ، فأتي الصريخ الى النجاشي ، فأخبره ، فاستشاط غضباً ، فأناه ابرهة بن الصباح وحجر بن شرحبيل وابو يكسوم الكنديون وضمنوا له احراق الكعبة . وكان النجاشي هو الملك ، وابرهة صاحب الجيش ، وابو يكسوم نديم الملك ، وقيل وزيره ، وحجر بن شرحبيل من قواده . فساروا معهم الفيل ، وقيل ثمانية فيلة ، ونزلوا بذئ المجاز ، واستاقوا سرح مكة^١ . وتتفق هذه الرواية مع الروايات السابقة من حيث الجوهر ، ولا تختلف عنها الا في جعل الكنيسة المحترقة بيعة في ارض النجاشي ، اي في ساحل الحبش ، لا في ارض اليمن ، والا في جعل الأمر بالحملة النجاشي ، لا ابرهة نفسه . أما المنفذون لها ، فهم ابرهة ومن معه .

وهناك سبب آخر سأعرض له فيما بعد ، يذكره اهل الأخبار في جملة الأسباب التي زعموا انها حملت ابرهة على السير نحو مكة لتهديتها . وهو سبب ارجحه وأقدمه على السببين المذكورين ، لما فيه من مساس بالسياسة ، ولأنه مشروع سياسي خطير من المشروعات العالمية القديمة التي وضعها اقدم ساسة العالم للسيطرة على

١ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن (٢٠ / ١٨٧ ، ١٩٢ وما بعدها) .

الطرق الموصلة الى الميـاه الدافئة والى الأرضين المتـجة لأهم المواد المطلوبة في ذلك العهد .

وتذكر روايات اهل الأخبار ان أبرهة لما رتب كل شيء وجهز نفسه للسـير من اليمن نحو مكة ، خرج له رجل من اشراف اليمن وملوكهم ، يقال له : (ذو نفر) وعرض له فقاتله ، فهزم (ذو نفر) واصحابه ، واخذ له ذو نفر اسيراً . ثم مضى ابرهة على وجهه ذلك ، يريد ما خرج له ، حتى اذا كان بأرض خثعم ، عرض له (نفيل بن حبيب الخثعمي) في قبيلي خثعم : شهران وناهس ومن تبعه من قبائل العرب ، فقاتله فهزمه أبرهة ، وأخذ له نفيل اسيراً وخرج معه يدله على الطريق ، حتى إذا مرّ بالطائف ، خرج اليه (مسعود بن معتب) في رجال ثقيف ، فقال له : أيها الملك ، انما نحن عبيدك ، سامعون لك مطيعون ، ليس لك عندنا خلاف، وليس بيتنا هذا بالبيت الذي تريد - يعني اللات - انما تريد البيت الذي بمكة ، يعنون الكعبة ، ونحن نبعث معك من يدلك ، فتجاوز عنهم ، وبعثوا معه أبا رغال ، فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله المغمس ، فهلك أبو رغال به . فرجمت العرب قبره،فهو القبر الذي يرجم الناس بالمغمس^١ .

وكان نفيل بن حبيب الخثعمي من سادات خثعم ، ولما أخذه أبرهة اسيراً واحتبسه عنده ، جعله دليـله إلى مكة ، وهو الذي أوصله إلى الطائف ، حيث تسلم أبرهة الدليل الآخر من ثقيف ، وهو أبو رغال^٢ . وذكر بعضهم أن (نفيل ابن حبيب) كان دليل أبرهة على الكعبة ، وأنه عرف بـ (ذي الـدين)^٣ .

ولأهل الأخبار قصص عن (أبي رغال) ، صيـره أسطورة ، حتى صيـره بعضهم من رجال ثمود ومن رجال (صالح) النبي . فزعموا ان النبي كان قد وجهه على صدقات الأموال ، فخالف أمره ، وأساء السيرة ، فوثب عليه (ثقيف) وهو قسي بن منبه ، فقتله قتلة شنيعة . وهو خير وضعه أناس من ثقيف ولا

-
- ١ الطبري (١٣١/٢ وما بعدها) ، تفسير الطبري (١٦٧/٣٠) ، (١٩٤/٣٠) (بولاق) ، تفسير القرطبي (١٨٨/٢٠) .
 - ٢ الاشتقاق (٣٠٦) ، تفسير الطبري (١٩٤/٣٠) (بولاق) .
 - ٣ وأرجم قبره في كل عام كرجم الناس قبر أبي رغال نوادر المخطوطات (القاب الشعراء) (ص ٣٢٧) .

شك ، للدفاع عن أنفسهم ، إذ اتهموا بأن (أبا رغال) منهم ، وقد جاءوا
بشعر ، زعموا أن (أمية بن أبي الصلت) قاله في حقه ، منه :

وهم قتلوا الرئيس أبا رغال بمكة إذ يسوق بها الوضيئاً^١

فصبروا القاتل جدّ ثقيف ، ونسبوا له فضل مساعدة نبي من أنبياء الله .

وقد أشار (جرير بن الحطفي) في شعر قاله في الفرزدق إلى رجم الناس
قبر أبي رغال ، إذ قال :

إذا مات الفرزدق فارجموه كرجمكم لقبر أبي رغال^٢

وذكر (المسعودي) ، أن العرب ترجم قبراً آخر ، يعرف بينهم بقبر العبادي
في طريق العراق الى مكة . بين الثعلبية والهبير نحو البطان . ولم يذكر شيئاً عن
سببه ، إذ أحال القارئ على مؤلفاته الأخرى^٣ .

وذكر (الهمداني) ان قبر أبي رغال عند (الزيمة) . و (الزيمة) موضع
معروف حتى هذا اليوم^٤ .

ولما نزل أبرهة الغمسي ، بعث رجلاً من الحبشة يقال له الأسود بن مقصود
على خيل له ، حتى انتهى الى مكة : فساق اليه أموال أهل مكة من قریش
وغيرهم ، وأصاب منها مئتي بعير لعبد المطلب بن هاشم ، وهو يومئذ كبير
قریش وسيدھا ، فهمت قریش وكنانة وهذيل ومن كان بالحرم من سائر الناس
بقتاله ، ثم عرفوا انه لا طاقة لهم به . فتركوا ذلك . ثم قرروا على أن يرسلوا
سيدهم (عبد المطلب) لمواجهة أبرهة والتحدث اليه ، فذهب وقابله ، وتذكر
رواية أهل الأخبار ان أبرهة لما سأله عن حاجته وعما معه من أنباء ، قال له :
حاجتي الى الملك أن يردّ علي مئتي بعير أصابها لي ، فعجب أبرهة من هذا القول
وقال له : أتكلمني في مئتي بعير قد أصبتها لك وترك بيتاً هو دينك ودين آبائك
قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه ؟ قال له عبد المطلب : إني أنا رب الابل ، وان

١ مروج (٥٣/٢) .

٢ اذا مات الفرزدق فارجموه كما ترمون قبر أبي رغال

مروج (٥٣/٢) ، (دار الاندلس) ، البداية (١٧٠/٢) وما بعدها .

٣ مروج (٥٤/٢) .

٤ الاكليل (٣٧٣/١) .

للبيت رباً سيمنعه^١ .

وتذكر هذه الرواية أن أبرهة ردّ على عبد المطلب ابله ، فرجع الى قومه ، وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز في شعف الجبال والشعاب تخوفاً عليهم من معرفة الجيش . فلما وصل جيش الحبش ، لم يجد أحداً بمكة ، ونفشي الوباء فيه ، واضطر الى التراجع بسرعة . فلما وصل أبرهة الى اليمن ، هلك فيها بعد مدة قليلة من هذا الحادث^٢ .

ويذكر (الطبري) ان الأسود بن مقصود لما ساق أموال اهل مكة من قريش وغيرهم ، وفي ضمنها ابل عبد المطلب ، وأوصلها الى أبرهة ، وأن قريشاً وكنانة وهذيل ومن كان معهم بالحرم من سائر الناس عزمت على ترك القتال ، إذ تأكدوا انهم لا طاقة لهم به . بعث أبرهة (حنطة الحميري) الى مكة ، وقال له : سل عن سيد هذا البلد وشريفهم ، ثم قل له إن الملك يقول لكم : إني لم آت لحربكم ، إنما جئت لهدم البيت ، فإن لم تعرضوا دونه بحرب ، فلا حاجة لي بدمائكم ، فإن لم يُرد حربي فائتني به ، فلما دخل حنطة مكة ، سأل عن سيد قريش وشريفها ، فقليل له : عبد المطلب ، فقال له ما أمره به أبرهة ، فقال له عبد المطلب : والله ما نريد حربه ، وما لنا بذلك من طاقة ، هذا بيت الله الحرام ، وبيت خليله إبراهيم ، فإن يمنعه فهو بيته وحرمه ، وإن يخل بينه وبينه ، فوالله ما عندنا له من دافع عنه . ثم انطلق معه الى أبرهة . فلما وصل المعسكر ، سأل عن (ذي نقر) ، وكان له صديقاً ، فدلّ عليه ، فجاءه وهو في محبسه ، فكلمه ، ثم توصل بوساطته إلى سائق فيل أبرهة وهو أنيس ، وأوصاه خيراً بعبد المطلب ، وكلمه في إيصاله الى أبرهة ، وإن يتكلم فيه عند أبرهة بخير . ونفذ أنيس طلب (ذو نقر) ، وأدخله عليه ، فكان ما كان من حديث^٣ .

وذكر الطبري : أن بعض اهل الأخبار زعموا ان نفراً من سادات قريش رافقوا عبد المطلب في ذهابه مع حنطة الى أبرهة ، ذكروا منهم : يعمر (عمرو)

-
- ١ الطبري (١٣٢/٢ وما بعدها) (دار المعارف) ، ابن الاثير (٣٢١/١) ، تفسير القرطبي (١٨٩/٢٠) .
 - ٢ الطبري (١٣٧/٢ وما بعدها) .
 - ٣ تفسير الطبري (١٩٤/٣٠ وما بعدها) (بولاق) ، تفسير القرطبي (١٨٩/٢٠ وما بعدها) .

ابن نفثة بن عديّ بن الدُّثْل بن بكر بن عبد مناف بن كنانة ، وهو يومئذ سيد بني كنانة ، وخويلد بن وائلة الهذلي ، وهو يومئذ سيد هذيل ، فعرضوا على أبرهة ثلث أموال أهل تهامة على أن يرجع عنهم ، ولا يهدم البيت ، فأبى عليهم^١ .

ويذكر أهل الأخبار أن جيوش (أبرهة) حين دنت من مكة ، توسل عبد المطلب إلى ربه ونجاه بأن ينصر بيته ويسدل (آل الصليب) وأنه أخذ بحلقة باب الكعبة وقال :

يا ربّ لا أرجو لهم سواك يا ربّ فامنع منهم حيّاك
إن عدوّ البيت من عاداك امنعهم أن يخربوا قراكا

وقال :

لاهمّ إن العبد يمنع رحله فامنع رحالك
لا يغلبن صليهم ومحالم عدوّ محالك
وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك^٢

وقد بلغ أبرهة مكة ، غير أنه لم يتمكن من دكتها ومن هدمها ، وخاب ظنه ، إذ نفّس المرض بجيشه وفتك الوباء به ، فهلك أكثره ، واضطر إلى الإسراع في العودة ، وكان عسكره يتساقطون موتى على الطريق ، وهم في عودتهم إلى اليمن . وذكرت بعض الروايات أن أبرهة نفسه أصيب بهذا المرض . ولم يبلغ صنعاء إلا بعد جهد جهيد . فلما بلغها ، مات إثر وصوله إليها^٣ . وعلى هذه الصورة أنهى أهل الأخبار أخبار حملة أبرهة ، فقالوا أنها انتهت

- ١ تفسير الطبري (١٩٥/٣٠) ، الطبري (١٣٤/٢) (دار المعارف) ، تفسير القرطبي (١٩٠/٢٠) .
- ٢ السيرة الحلبية (٢٤/١ وما بعدها) ، يزد البيت الثاني بشكل آخر في كتاب أخبار مكة للأزرقي (٢٨٣/١) ، تفسير الطبري (١٩٥/٣٠ وما بعدها) (بولاق) .
- ٣ تفسير الطبري (١٩٥/٣٠ وما بعدها) (بولاق) ، تفسير البضاوي (٢٦٩/١) ، مروج (٤٦/٢) ، روح المعاني (٢٣٣/٣٠) ، تفسير القرطبي (١٨٧/٢٠) ، تفسير الخطيب الشربيني ، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (٥٦٣/٤) ، تفسير الرازي (٩٦/٣١) ، البداية والنهاية (١٦٩/٢) ، ابن هشام (٢٨/١) ، الكامل (٢٥٤/١) ، الطبرسي (١٩١/٢٥) حمزة (٩٤،٨٩) .

باخفاق ذريع ، انتهت باصابة ابرهة بوباء خطير ، وبإصابة عسكره بذلك المرض نفسه : مرض جلدي ، أصاب جلود أكثر جيشه ، فزقها ، وأصابها بقروح وقبوح في الأيدي خاصة ، وفي الأفخاذ ، أو بمرض وبائي هو الحصبة والجُدري ، فيذكر أهل الأخبار في تفسير سورة الفيل ، وفي أثناء تحدثهم عن هذه الحملة وبعد شرحهم للمعنى (طير أبايل) : مباشرة ، هذين المرضين ويقولون : « ان أول ما رثيت الحصبة والجُدري بأرض العرب ذلك العام »^١ . وتفسير ذلك بعبارة أخرى ان ما اصاب الحبش ، هو وباء من تلك الأوبئة التي كانت تكتسح البشرية فيما مضى ، فلا تذهب حتى تكون قد أكلت آلافاً من الرؤوس .

وكان لرجوع الأحباش الى اليمن وهم على هذه الصورة من مرض يفتك بهم ، وتعب ألم بهم ، أثر كبير أثر فيهم وفي قريش ، ثم ما لبث ابرهة ان مات بعد مدة غير طويلة ، فازداد اعتقاد قريش بـ (رب البيت) وبأصنامها ، وهابت العرب مكة ، فكانت نكسة الحبش نصراً لقريش ولأهل مكة قوتى من معنوياتها . ويتجلى ذلك في القرآن الكريم في سورة الفيل ، وهي من السور المكّية القديمة : (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ، ألم يجعل كيدهم في تضليل ، وأرسل عليهم طيراً أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول)^٢ .

وقصة تدنيس (القليس) ، قد تكون حقيقية وقعت وحدثت ، وقد تكون أسطورة حيكت ووضعت ، على كل حال ، وفي كلتا الحالتين لا يعقل أن تكون هي السبب المباشر الذي دفع النجاشي إلى السير الى مكة لهدم البيت ونقضه من أساسه ورفع أحجاره حجراً حجراً ، على نحو ما يزعمه أهل الأخبار بل يجب أن يكون السبب أهم من التدنيس وأعظم ، وأن يكون فتح مكة بموجب خطة تسمو على فكرة تهديم البيت وتخريبه ، خطة ترمي الى ربط اليمن ببلاد الشام ، لجعل العربية الغربية والعربية الجنوبية تحت حكم النصرانية ، وبذلك يستفيد الروم والحبش

١ تفسير الطبري (١٩٦/٣٠) (بلاق) ، (وهو أول جدري ظهر في الارض) ، تفسير النيسابوري (١٦٥/٣٠) ، (حاشية على تفسير الطبري) ، (أول ما رؤيت الحصبة والجُدري بأرض العرب ذلك العام ، وأول ما دعى من مراير الشجر : الحرمل والحنظل والعشر ، ذلك العام) ، (الأزرقى (٩٧/١) وما بعدها) ، (خياط) .

٢ السورة رقم ١٠٥ .

وهم نصارى ، وان اختلفوا مذهباً ، ويحققون لهم بذلك نصراً سياسياً واقتصادياً كبيراً ، فيتخلص الروم بذلك من الخضوع للأسعار العالية التي كان يفرضها الساسانيون على السلع التجارية النادرة المطلوبة التي احتكروا بيعها لمرورها ببلادهم ، إذ سترد اليهم من سيلان والهند رأساً عن طريق بلاد العرب ، فتتخفص الأسعار ويكون في امكان السفن البيزنطية السير بأمان في البحار العربية حتى سيلان والهند وما وراءهما من بحار .

وآية ذلك خبر^١ يرويهِ أهل الأخبار يقولون فيه إن (أبرهة) توجَّج (محمد ابن خزاعي بن خزابة الذكواني) ، ثم السلمي ، وكان قد جاءه في نفر من قومه ، مع أخ له ، يقال له (قيس بن خزاعي) ، يلتمسون فضله ، وأمره على مضر ، وأمره أن يسير في الناس ، فيدعوهم في جملة ما يدعوهم اليه الى حج (القليس) ، فسار محمد بن خزاعي ، حتى اذا نزل ببعض أرض بني كنانة ، وقد بلغ أهل تهامة أمره ، وما جاء له ، بعثوا اليه رجلاً من هذيل ، يقال له عروة بن حياض الملاصي فرماه بسهم فقتله . وكان مع محمد بن خزاعي أخوه قيس ، فهرب حين قتل أخوه ، فلحق بأبرهة ، فأخبره بقتله ، فغضب وحلف ليقزون بني كنانة وليهدمن البيت^٢ .

فقتل (محمد بن خزاعي) ، هو الذي هاج أبرهة وحمله على ركوب ذلك المركب الخشن . ولم يكن هياجه هذا بالطبع بسبب أن القتل كان صاحبه وصديقه بل لأن من قتله عاكس رأيه وخالف سياسته ومراميه التوسعية القاضية بفرض ارادته وارادة الحبش وحلفائهم على أهل مكة وبقية كنانة ومضر ، وبتعيين ملك أو أمير عليهم ، هو الشخص المقتول ، فقتلوه . ومثل هذا الحادث يؤثر في السياسة وفي الساسة ، ويدفع الى اتخاذ اجراءات قاسية شديدة ، مثل ارسال جيش للقضاء على المتجاسرين حتى لا يتجاسر غيرهم ، فتفتلت من السياسي الأمور .

ومن يدري ؟ فلعل الروم كانوا هم المحرضين لأبرهة على فتح مكة وغير مكة حتى تكون العربية الغربية كلها تحت سلطان النصرانية ، فتتحقق لهم مآربهم في طرد سلطان الفرس من بلاد العرب . وقد حاولوا مراراً اقناع الحبش بتنفيذ

١ الطبري (١٣١/٢) ، تفسير الطبري (١٩٤/٣٠) ، (بولاق) ، الازرقعي (٨٦/١ وما بعدها) .

هذه الخطة والاشتراك في محاربة الفرس ، وهم الذين حرضوا الحبشة وساعدوهم بسفنههم وبمساعداً مادية أخرى في فتح اليمن . وهم الذين أرسلوا رسولاً اسمه (جوليانوس) Julianus ، وذلك في أيام القيصر (يوسطنيان) Justinian لاقناع النجاشي Hellestheaeus و (السميع أشوع) Esimiphaeus بالتحالف مع الروم ، وتكوين جبهة واحدة ضد الفرس والاشتراك مع الروم في اعلان الحرب على الفرس بسبب الرابطة التي تجمع بينهم ، وهي رابطة الدين^١ . وكان في جملة ما رجاه القيصر من (السميع أشوع) ، هو أن يوافق على تنصيب (قيس) Casius رئيساً على (Maddeni) معد^٢ .

وقد ذكر (المُسَكَّرِي) ، أن (محمد بن خزاعي بن علقمة بن محارب ابن مرة بن هلال بن فالح بن ذكوان السلمي) كان في جيش أبرهة مع الفيل ، أي انه لم يقتل كما جاء في الرواية السابقة^٣ .

وقد ورد في بعض الأخبار أن عائشة أدركت قائد الفيل وسائسه ، وكانا أعميين مقعدين يستطيعان . وقد رأتهما^٤ .

وقد كان من أشرف مكة في هذا العهد غير عبد المطلب ، المطعم بن عدي ، وعمرو بن عائد بن عمران بن غزوم ، ومسعود بن عمرو الثقفي ، وقد صعدوا على حِراء ينظرون ما سيفعل أبرهة بمكة^٥ .

وذكر بعض أهل الأخبار ، أن فلاناً من الحبش من جيش أبرهة وعفاء وبعض من ضمه العسكر ، أقاموا بمكة ، فكانوا يعملون ويرعون لأهل مكة^٦ . وليس في كتب أهل الأخبار أسماء القبائل العربية التي جاءت مع (أبرهة) للاستيلاء على مكة بتفصيل . وكل ما نعرفه انه كان قد ضم الى جيشه قوات عربية قد يكون بينها قوم من كندة ، وقد أشير الى اشتراك خولان والأشعريين فيها ، وذكر أن (حنِدفاً) كانوا ممن اشترك في جيش أبرهة ، وكذلك (حميس بن أد)^٧ .

Procopius, I, XIX, 8-16, P. 180, Glaser, Mitt., S. 437. ١

Procopius, I, XX, 9-12, P. 193. ٢

المحبس (١٣٠) . ٣

الكشاف (٢٢٣/٤) . ٤

تفسير ابن كثير (٥٤٨/٤) وما بعدها . ٥

الأزرقى (٩٧/١) ، وما بعدها ، (خياط) . ٦

Le Muséon, 1965, 3-4, P. 433. ٧

وقد اشير الى أبرهة الأشرم والى الفيل في شعر شعراء جاهليين ومخضرمين
واسلاميين . وقد ورد في شعر (عبدالله بن الزبيري) أنه كان مع (أمير الحبش)
ستون ألف مقاتل^١ . وورد في شعر (امية بن ابي الصلت) ان الفيل ظل يحبو
بـ (المغمس) ولم يتحرك ، وحوله من ملوك كندة أبطال ملاويث في الحروب
صفور^٢ . ومعنى هذا أن سادات كندة كانوا مع الحبش في زحفهم على مكة .
وذكر (عبدالله بن قيس الرقيّات) : ان (الأشرم) جاء بالفيل يريد
الكيد للكعبة ، فولى جيشه مهزوماً ، فأمطرتهم الطير بالجنادل ، حتى صاروا
وكانهم مرجومون يمحطون بحصى الرجم^٣ .

وذكر ان (عمر بن الخطاب) كان في جملة من ذكر (أبا يكسوم أبرهة)
في شعره ، واتخذ مثلاً على من يحاول التطاول على بيت الله وعلى (آل الله)
سكان مكة . وذكر أهل الأخبار أنه قال ذلك الشعر في هجاء (زنباع بن روح
ابن سلامة بن حداد بن حديدة) وكان عشيراً ، أساء الى (عمر بن الخطاب)
وكان قد خرج في الجاهلية تاجراً وذلك في اجتيازه واخذ مكسه ، فهجاه عمر ،
فبلغ ذلك الهجاء (زنباعاً) ، فجهز جيشاً لغزو مكة . فقال عمر شعراً آخر
يتحداه فيه بأن ينفذ تهديده ان كان صادقاً ، لأن من يريد البيت بسوء يكون
مصيبه مصير أبرهة الأشرم، وقد كف زنباع عن تنفيذ ما عزم عليه ولم يقم به^٤ .

لقد تركت حملة (الفيل) أثراً كبيراً في أهل مكة ، حتى اعتبرت مبدأ تقويم
عندهم، فصار أهل مكة يؤرخون بعام الفيل (في كتبهم وديونهم من سنة الفيل) .
فلم تزل قريش والعرب بمكة جميعاً تؤرخ بعام الفيل ، ثم أرخت بعام الفجار ،
ثم أرخت بينان الكعبة^٥ .

لقد كان لأهل مكة صلوات باليمن متينة ، إذ كانت لهم تجارة معها، تقصدها
قوافلها في كل وقت ، وخاصة في موسم الشتاء ، حيث تجهز قريش قافلة كبيرة
يساهم فيها أكثرهم ، واليها أشير في القرآن الكريم في سورة قريش : « لإيلاف

-
- ١ بلوغ الأرب (٢٥٨/١) ، روح المعاني (٢٢٣/٢٨) .
 - ٢ بلوغ الأرب (٢٦٠/١) .
 - ٣ بلوغ الأرب (٢٦٠/١) .
 - ٤ بلوغ الأرب (٢٦١/١ وما بعدها) ، الاشتقاق (٢٢٥) .
 - ٥ الأزرقى (١٠٢/١) .

قريش . ايلافهم رحلة الشتاء والصيف ^١ . ولهذا فقد كان من سياستهم مدارة حكام اليمن وارضائهم ، ومنع من قد يعتدي منهم على أحد من أهل اليمن أو الحبش ممن قد يقصد مكة للتجارة أو للاستراحة بها في أثناء سيره الى بلاد الشام ، خوفاً من منع تجارهم من دخول أسواق اليمن . فلما وثب أحدهم على تجار من اليمن كانوا قد دخلوا مكة ، وانتهبوا ما كان معهم ، مضت عدة من وجوه قريش الى (أبي يكسوم) ، أي أبرهة وصالحوه أن لا يقطع تجار أهل مكة عنهم . وضماناً لوفائهم بما اتفقوا عليه وضعوا (الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار) وغيره رهينة ، فكان (أبرهة) يكرمهم ويصلهم ، وكانوا يضعون البضائع الى مكة لأنفسهم ^٢ .

وقد وضع أهل الطائف رهائن عند أبي يكسوم كذلك ، ضماناً لحسن معاملتهم للحبش ولأن قد يقصد الطائف للتجارة من الحبش أو من أهل اليمن ^٣ .

طرد الحبشة :

لقد عجل الحبش في نهايتهم في اليمن ، وعملوا بأيديهم في هدم ما أقاموه بأنفسهم من حكومة ، باعتدائهم على أعراض الناس وأموالهم ، وأخذهم عنوة كل ما كانوا يجدونه أمامهم ، حتى ضجّ أهل اليمن وضجروا ، فهبوا يريدون تغيير الحال ، وطرد الحبشة عن أرضهم ، وإن أدى الأمر بهم الى تبديلهم بأناس أعاجم أيضاً مثل الروم أو الفرس ، اذا عجزوا هم عن طردهم ، فلعل من الحكام الجدد من قد يكون أهون شراً من الحبش ، وإن كان كلاهما شراً ، ولكن اذا كان لا بد من أحد الشرين فإن أهونها هو الخيار ولا شك .

وهبّ اليمانيون على الحبش ، وثار عليهم ساداتهم في مواضع متعددة غير أن ثوراتهم لم تفسدهم شيئاً ، إذ أخذت ، وقتل القائمون بها . ومن أهم أسباب إخفاقها أنها لم تكن ثورة عارمة عامة مادتها كل الجماهير والسادات ، بل كانت ثورات سادات ، مادة كل ثورة مؤججها ومن وراءه من تبع . هنا ثورة وهناك

١ الآية الأولى وما بعدها .

٢ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 432.

٣ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 431.

ثورة ، ولم تكن بقيادة واحدة ، أو بإمرة قائد خبير أو قادة متكاتفين خبراء بأمور الحرب والقتال ، فصار من السهل على الحبش ، الانقضاض عليها وإخادها ، أضف الى ذلك انها لم تؤقت بصورة تجعلها ثورات جماعية ، وكأنها نيران تلتهب في وقت واحد ، يعسر على محمد بن النيران إخادها ، او اخادها على الأقل بسهولة . ولتحاسد الأقيال وتنافسهم على السيادة والزعامة نصيب كبير في هذا الإخفاق ، لذلك وجه بعض السادة أنظارهم نحو الخارج في أمل الحصول على معونة عسكرية أجنبية خارجية ، تأتيمهم من وراء الحدود ، لتكره الحبش على ترك اليمن . وكان صاحب هذا الرأي والمفكر فيه (سيف بن ذي يزن) ، من أبناء الأذواء ومن أسرة شهيرة . وقد نجح في مشروعه ، فاكسب صفة البطولة وانتشر اسمه بين البانين ، حتى صير أسطورة من الأساطير ، وصارت حياته قصة من القصص أمثال قصة أبي زيد الهلالي وعنترة وغيرهما ممن تحولوا الى أبطال تقص حياتهم على الناس في المجالس وفي المقاهي وحفلات السمر والترفيه ، أو تقرأ للتسلية واللهو .

و (سيف بن ذي يزن) ، هو (معديكرب بن ابي مرة) ، وقد عرف ابوه ايضاً بـ (ابي مرة الفياض) ، وكان من أشرف حمير ، ومن الأذواء . وأمه (ربحانة ابنة علقمة) ، وهي من نسل (ذي جدن) على نحو ما ذكرت . يقال إن أبرهة لما انتزع ربحانة من بعلها (ابي مرة) ، فرّ زوجها الى العراق فالتجأ الى ملك الحيرة (عمرو بن هند) على ما يظن ، وبقي (معديكرب) مع امه في بيت (أبرهة) على ذلك مدة ، حتى وقع شجار بينه وبين شقيقه من امه (مسروق) الذي ولي الملك بعد موت اخيه (يكسوم) فأثر ذلك في نفسه وحقد على (مسروق) ، فلما مات يكسوم ، خرج من اليمن ، حتى قدم على قيصر ملك الروم ، فشكا ما هم فيه ، وطلب اليه ان يخرجهم عنه ، ويليهم هو ويبيع اليهم من يشاء من الروم ، فيكون له ملك اليمن ، فلم يشكه ولم يجسد عنده شيئاً مما يريد ، فخرج حتى قدم الحيرة على النعمان بن المنذر ، فأسكنه عنده ثم اوصله بكسرى ، وحدثه في شأنه وفي خاطره في قومه ، فأمدّه بثماني مئة محارب ، وبـ (وهرز) أمره عليهم ، وبثماني سفن جعل في كل سفينة مئة

١ الطبري (١٣٠/٢ ، ١٤٣) ، (معديكرب بن سيف) ، مروج (٥٥/٢) ، (دار الاندلس) .

رجل وما يصلحهم في البحر ، فخرجوا ، حتى اذا لجوا في البحر غرقت من السفن سفينتان بما فيها ، فخلص الى ساحل اليمن من ارض عدن ست سفائن فيهن ستمئة رجل فيهم وهرز وسيف بن ذي يزن ، نزلوا ارض اليمن ، فلما سمع بهم مسروق بن أبرهة ، جمع اليه جنده من الحبشة ، ثم سار اليهم ، فلما التقوا رمى (وهرز) مسروقاً بسهم ، فقتله ، وانهمزت الحبشة ، فقتلوا ، وهرب شريدهم ، ودخل (وهرز) مدينة صنعاء ، وملك اليمن ونفى عنها الحبشة ، وكتب بذلك الى كسرى . فكتب اليه كسرى يأمره ان يملك سيف بن ذي يزن على اليمن وارضها وان يرجع وهرز الى بلاده ، فرجع اليها . ورضي سيف بدفع جزية وخرج يؤديه في كل عام^١ .

وذكر (الطبري) في رواية له اخرى عن (سيف بن ذي يزن) وعن مساعدة الفرس له ، فقال : « فخرج ابن ذي يزن قاصداً الى ملك الروم ، وتجنب كسرى لابطائه عن نصر ابيه ، فلم يجد عند ملك الروم ما يحب ، ووجده يحامي عن الحبشة لموافقتهم اياه على الدين ، فانكفاً راجعاً الى كسرى^٢ . فقابلته وحياته وقال لكسرى : « انا ابن الشيخ الياني ذي يزن ، الذي وعدته ان تنصره فإني ابابك وحضرتك ، فلك العدة حق لي وميراث يجب عليك الخروج لي منه . فرق له كسرى ، وأمر له بمال . فخرج ، فجعل ينشر الدراهم ، فأنتهبها الناس . فأرسل اليه كسرى : ما الذي حملك على ما صنعت : قال : إني لم آتكم للمال ، إنما جئتكم للرجال ، ولتمنعني من الذل ، فأعجب ذلك كسرى ، فبعث اليه : ان أقم حتى انظر في امرك . ثم إن كسرى استشار وزراءه في توجيه الجند معه ، فقال له الموبذان : إن لهذا الغلام حقاً بتزوجه وموت ابيه بباب الملك وحضرته ، وما تقدم من عدته اياه ، وفي سجون الملك رجال ذوو نجدة وبأس ، فلو ان الملك وجههم معه ، فإن أصابوا ظفراً كان له ، وان هلكوا كان قد استراح وأراح اهل مملكته منهم ، ولم يكن ذلك يبعد الصواب . قال كسرى : هذا الرأي . وعمل به^٣ .

-
- ١ الطبري (١٣٦/٢) (دار المعارف) ابن خلدون (٢/٢٦٣) ، المعارف (٢٧٨) ،
 - ٢ الاخبار الطوال (ص ٦٣ وما بعدها) ، مروج (٢/٥٥) ، (دار الاندلس) .
 - الطبري (١٤٤/٢) ، (دار المعارف) .
 - ٣ الطبري (١٤٤/٢) ، (دار المعارف) .

ويظهر من هذه الرواية ، ان (ابا مرّة) ، والد (معديكرب) ، كان قد فرّ من اليمن الى العراق ، وقد حاول عبثاً حث كسرى على تقديم العون العسكري له لطرد ابرهة وقومه الحبش عن اليمن ، وبقي يسعى ويحاول حتى مات بالعراق ، مات بالمدائن على حد زعم هذه الرواية . ويظهر منها أيضاً ، ان سيف بن ذي يزن ، أي ولد ابني مرّة ، كان قد أيس هو من كسرى بعد ان رأى ما رأى من موقفه مع ابيه ، فذهب أولاً الى ملك الروم ، على أمل مساعدته ومعاونته في طرد الحبش عن بلاده ، حتى وان أدى الأمر الى استيلاء الروم على اليمن ، فلما خاب ظنه ذهب الى الفرس ، فساعدوه .

ويذكر (الطبري) أن وهرز لما انصرف الى كسرى ، ملك سيفاً على اليمن ، ف « عدا على الحبشة فجعل يقتلها ويقرر النساء عما في بطونها ، حتى اذا أنفأها الا بقايا ذليلة قليلة ، فاتخذهم خولاً » ، واتخذ منهم جمّازين يسعون بين يديه بحراهم ، حتى اذا كان في وسط منهم وجأوه بالحرا حتى قتلوه ، ووثب بهم رجل من الحبشة ، فقتل باليمن وأوعث ، فأفسد ، فلما باغ ذلك كسرى بعث اليهم (وهرز) في أربعة آلاف من الفرس ، وأمره الا يترك باليمن أسود ولا ولد عربية من اسود الا قتله ، صغيراً كان او كبيراً. فأقبل وهرز ، حتى دخل اليمن ففعل ذلك . ثم كتب الى كسرى بذلك ، فأمره كسرى عليها . فكان عليها ، وكان يجيئها الى كسرى حتى هلك^١ .

لقد كان استيلاء الحبشة على اليمن بأسرها سنة (٥٢٥) للميلاد . أما القضاء على حكمهم فكان قريباً من سنة (٥٧٥) للميلاد^٢ . ولكن الحبش كانوا في اليمن قبل هذا العهد ، اذ كانوا احتلوا بعض الأرضين قبل السنة (٥٢٥) للميلاد ، وكانوا يحكمونها باسم ملك الحبشة .

وجاء في تأريخ الطبري وفي موارد اخرى ان حكم الحبش لليمن دام اثنتين وسبعين سنة ، توارث ذلك منهم اربعة : أرياط ، ثم أبرهة ، ثم يكسوم بن ابرهة ، ثم مسروق ابن ابرهة^٣ . وهو رقم فيه زيادة ، اذا اعتبرنا ان نهاية

١ الطبري (١٤٨/٢) (دار المعارف) ، المعارف (٢٧٨) .

٢ W. Phillips, P. 223.

٣ الطبري (١٣٩/٢) .

حكم الحبش في اليمن ، كانت في حوالى السنة (٥٧٥ م) . اما اخذنا برواية اهل الأخبار مثل حمزة ، الذي ذكر كما سبق ان بيّنت ان حكم (أرياط) دام عشرين سنة ، وان حكم ابرهة ثلاثاً وعشرين سنة ، وان حكم (يكسوم) سبع عشرة ، وان حكم مسروق اثنتي عشرة سنة ، فيكون ما ذكره (الطبري) وحمزة صحيحاً من حيث المجموع ، لأن مجموعه (٧٢) سنة . ولكني أشك في ان حكم (أرياط) كان (٢٠) سنة . إذ يعني هذا ان حكمه استمر الى سنة (٥٤٥) للميلاد ، والمعروف من نص (ابرهة) المدون على جدار سد مأرب ، ان ابرهة رُم السد وقوّى جدرانته سنة (٥٤٢) للميلاد . ومعنى هذا انه كان قد استبد بأمر اليمن قبل هذا الزمن .

وقد تعرّض (حمزة) لهذا البحث ، ولفت النظر الى تفاوت الرواة في مدة لبث الحبشة باليمن وفي تأريخ اليمن كله . فقال : « وليس في جميع التواريخ تأريخ أسقم ولا أخلّ من تأريخ الأقبال ملوك حير ، لما قد ذكر فيه من كثرة عدد سني من ملك منهم ، مع قلة عدد ملوكهم » ، و « قد اختلف رواة الأخبار في مدة لبث الحبشة باليمن اختلافاً متفاوتاً »^١ . والواقع اننا نجد اختلافاً كبيراً بين اهل الأخبار في تأريخ اليمن ، حتى في المتأخر منه القريب من الاسلام . ويذكر (ابو حنيفة الدينوري) ، ان (وهرز) كان شيخاً كبيراً ، قد أناف على المائة ، وكان من فرسان العجم وابطالها ، ومن اهل البيوتات والشرف ، وكان اخاف السبيل ، فحبسه كسرى . ويقال له (وهرز بن الكاسجار) ، فسار بأصحابه الى (الأبلّة) فركب منها البحر . وذكر ان (كسرى) لما رده الى اليمن ، بعد وثوب الحبش بـ (سيف بن ذي يزن) ، وبقي هناك الى ان وافاه اجله ، قُبر في مكان سمّي (مقبرة وهرز) ، وراء الكنيسة ، ولم يشر الى اسم الكنيسة^٢ ، ولعله قصد موضع (القليس) .

أما (المسعودي) ، فصير (وهرز) موظفاً كبيراً بدرجة (اصبهذ) ، ودعاه بـ (وهرز اصبهذ الديلم) . اي انه كان اصبهذاً على الديلم اذ ذاك . وذكر انه ركب ومن كان معه من اهل السجون البحر في السفن في دجلة ومعهم

١ حمزة (ص ٨٩) .
٢ الاخبار الطوال (ص ٦٤) .

خيولهم وعُددهم وأموالهم حتى أتوا (الأبله) ، فركبوا في سفن البحر، وساروا حتى أتوا ساحل حضرموت في موضع يقال له (مَثُوب) ، فخرجوا من السفن فأمرهم (وهرز) ان يحرقوا السفن ، ليعلموا انه الموت . ثم ساروا من هناك براً حتى التقوا ب (مسروق)^١ .

وذكر (المسعودي) ، ان (كسرى انوشروان) ، اشترط على (معديكرب) شروطاً : منها أن الفرس تتزوج باليمن ولا تتزوج اليمن منها ، وخراج يحمله اليه . فتزوج (وهرز) معديكرب بتاج كان معه وبدنة من الفضة ألبسه إياها ، ورتبه بالملك على اليمن ، وكتب الى (أنوشروان) بالفتح^٢ .

قال (المسعودي) ولما ثبت (معديكرب) في ملك اليمن ، أتته الوفود من العرب تهنيئه بعود الملك اليه ، وفيها وفد مكة وعليهم عبد المطلب ، وأمّية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وخويلد بن أسد بن عبد العزى ، وابو زمعة جد أمّية بن ابي الصلت ، فدخلوا اليه ، وهو في اعلى قصره بمدينة صنعاء المعروف بغمدان ، وهنأوه ، وارتجل عبد المطلب خطاباً ، ذكر المسعودي وغيره نصه ، وأنشد (ابو زمعة) شعراً ، فيه ثناء على الملك وحمد للفرس (بنو الأحرار) الذين ساعدوا أهل اليمن ، على (سود الكلاب)^٣ .

واذا أخذنا برواية (المسعودي) عن وفد مكة ، وبما يذكره اهل الأخبار عن مدة حكم الحبش على اليمن ، وهي اثنتين وسبعين سنة ، وجب ان يكون ذهاب الوفد الى صنعاء بعد سنة (٥٩٧) للميلاد ، وهذا مستحيل . فقد كانت وفاة (عبد المطلب) في السنة الثامنة من عام الفيل ، والرسول في الثامنة اذذاك فتكون وفاة (عبد المطلب) اذن في حوالي السنة (٥٧٨) أو (٥٧٩) للميلاد ، اي في ايام وجود الحبش في اليمن ، وقبل طردهم من بلاد العرب . اما لو اخذنا برواية الباحثين المحدثين التي تجعل زمن طرد الحبش عن اليمن سنة (٥٧٥) للميلاد ، او قبلها بقليل ، فيكون من الممكن القول باحتمال ذهاب (عبد المطلب) الى اليمن ، على نحو ما يرويه (المسعودي) .

١ مروج (٥٥/٢) وما بعدها .

٢ مروج (٥٦/٢) وما بعدها ، دار الاندلس .

٣ مروج (٥٨/٢) وما بعدها .

لم يذكر اهل الأخبار السنة التي تولى فيها (سيف بن ذي يزن) الحكم على اليمن بعد طرد الحبش عنها ، ويرى بعض الباحثين انها كانت في حوالي السنة (٥٧٥) للميلاد . وان حكمه لم يكن قد شمل كل اليمن ، بل جزءاً منها ، ويظهر ان الفرس استأثروا بحكم اليمن لأنفسهم ، اذ نجد ان رجالاً منها تحكمها منذ حوالي السنة (٥٩٨) للميلاد تقريباً، وكان احدهم بدرجة (ستراب) (سطراب) Satrapie^١ .

وذكر (ابن دريد) ان من ذرية (سيف بن ذي يزن) ، (عُفَيْر بن زرعة بن عفير بن الحارث بن النعمان بن قيس بن عبيد بن سيف) . وكان سيد حمير بالشأم في ايام عبد الملك بن مروان^٢ .

وروا ان (وهرز) كان يبعث العبر الى كسرى بالطيوب والأموال فتمصر على طريق البحرين تارة وعلى طريق الحجاز اخرى، فعدا بنو تميم في بعض الأيام على عيرة بطريق البحرين ، فكتب الى عامله بالانتقام منهم ، فسار عليهم وقتل منهم خلقاً ، وذلك يوم (الصفقة)^٣ . وعدا بنو كنانة على عيره بطريق الحجاز حين مرت بهم ، وكانت في جوار رجل من أشراف العرب من قيس ، فكانت حرب الفجار بين قيس وكنانة^٤ .

وامر كسرى بتولي ابن وهرز ، وهو (المرزبان بن وهرز) منصب ابيه ، لما توفي والده . فكان عليها الى ان هلك^٥ .

ثم امر كسرى (الينجان بن المرزبان) اي حفيد (وهرز) بتولي منصب ابيه حين داهمته منيته . فأمر كسرى بعده (خُرْخُرة بن الينجان) ، فكان عليها ، ثم غضب كسرى عليه . واستدعاه الى عاصمته ، فذهب اليها ، فخلعه كسرى وعين باذان (باذام) في مكانه ، فلم يزل على اليمن حتى بعث الرسول^٦ . وذكر بعض اهل الأخبار ان (خذ خسرو بن السبحان بن المرزبان) هو الذي

Beltrage, S. 121, W. Phillips, P. 223.

١ الاشتقاق (٢٦٠/٢) .
٢ ابن خلدون (٦٥/٢) ، الاغانى (١٣١/١١) .
٣ ابن خلدون (٦٥/٢) ، اللسان (٣٥٤/٦) ، القاموس (١٠٨/٢) .
٤ الطبري (١٤٨/٢) ، صبح الأعشى (٢٥/٥) .
٥ الطبري (١٤٨/٢) .

حكم بعد (المرزبان بن وهرز) ، وهو الذي عزله كسرى ، وولى (باذان)
(باذام) بعده على اليمن^١ .

لقد كانت السنة السادسة من الهجرة ، سنة مهمة جداً في تاريخ اليمن . فيها
دخل (باذان) (باذام) في الاسلام ، وفيها قضى الاسلام على الوثنية واليهودية
والنصرانية وعلى الحكم الأجنبي في البلاد ، فلم يبق حكم حبشي ولا حكم فارسي^٢ .
ويرى بعض المستشرقين ان دخول باذان في الإسلام كان بين سنة (٦٢٨) و (٦٣٠)
للميلاد^٣ . ويذكر (الطبري) ، ان اسلام (باذان) ، كان بعد قتل (شيرويه)
لأبيه (كسرى أبريز) ، وتولية الحكم في موضع والده . فلما جاء كتاب شيرويه
اليه يبلغه بالخبر ، ويطلب منه الطاعة ، أعلن اسلامه ، وأسلم من كان معه من
الفرس والأبناء^٤ . وقد ولى (شيرويه) الحكم في سنة (٦٢٨) للميلاد ، ولم يدم
حكمه أكثر من ثمانية اشهر . وقد عرف بـ (قباد)^٥ .

وقد ذكر ان (باذان) (باذام) كان من (الأبناء) ، أي من الفرس
الذين ولدوا في اليمن ، وأن الرسول استعمل ابنه (شهر بن باذان) مكانه ،
أي بعد وفاة والده^٦ .

ويذكر أهل الأخبار ان الفرس الذين عاشوا في اليمن وولدوا بها واختلطوا
بأهلها ، عرفوا بـ (الأبناء) ، وبـ (بني الأحرار)^٧ .

ولما قتل (الأسود العنسي) (شهر بن باذام) (شهر بن باذان) ، واستبد
(العنسي) بأمر اليمن ، خرج عمال الرسول عن اليمن . فلما قتل (العنسي)
ورجع عمال النبي الى اليمن ، استبد بصنعاء (قيس بن عبد يغوث المرادي) ،
وتوفي الرسول والأمر على ذلك . ثم كانت خلافة ابي بكر ، فولى على اليمن
(فيروز الديلمي)^٨ .

١ صبح الاعشى (٢٥/٥) .

٢ الطبري (٦٥٥/٢) وما بعدها .

٣ W. Phillips, P. 223.

٤ الطبري (٦٥٥/٢) وما بعدها ، (دار المعارف) .

٥ Ency., 4, P. 178.

٦ الاصابة (١٧٠/١) .

٧ الاغانى (٧٣/١٦) .

٨ صبح الاعشى (٢٦/٥ ، ٤٦) .

وقد تطرق (ابن قتيبة) الى (ملوك الحبشة في اليمن) ، فذكر اسم (أبرهة الأشرم) ، ثم (يكسوم بن أبرهة) ، ثم (سيف بن ذي يزن) ، فقال عنه : انه (أنى كسرى أنو شروان بن قباذ) في آخر أيام ملكه — هكذا تقول الأعاجم في سيرها، وانا احسبه هرمز بن أنو شروان على ما وجدت في التأريخ—^١ مما يدل على أنه نقل أخباره عن حملة الفرس على اليمن من كتب سير ملوك العجم ، المؤلفات بلغتهم ، كما نقل من موارد أخرى غير أعجمية . وقد ذكر أيضاً أن المؤرخين اختلفوا اختلافاً متفاوتاً في مكث الحبشة في اليمن^٢ .

وكون الأبناء طبقة خاصة في اليمن ، ولما قدم (وهر بن مَحْنَس) على الأبناء باليمن ، يدعوهم الى الاسلام ، نزل على بنات النعمان بن مُيزَج فأسلمن ، وبعث الى فيروز الديلمي فأسلم ، والى (مركبود) وعطاء ابنه ، ووهب بن منبه، وكان أول من جمع القرآن بصنعاء ابنه عطاء بن مركبود ووهب بن منبه^٣ .

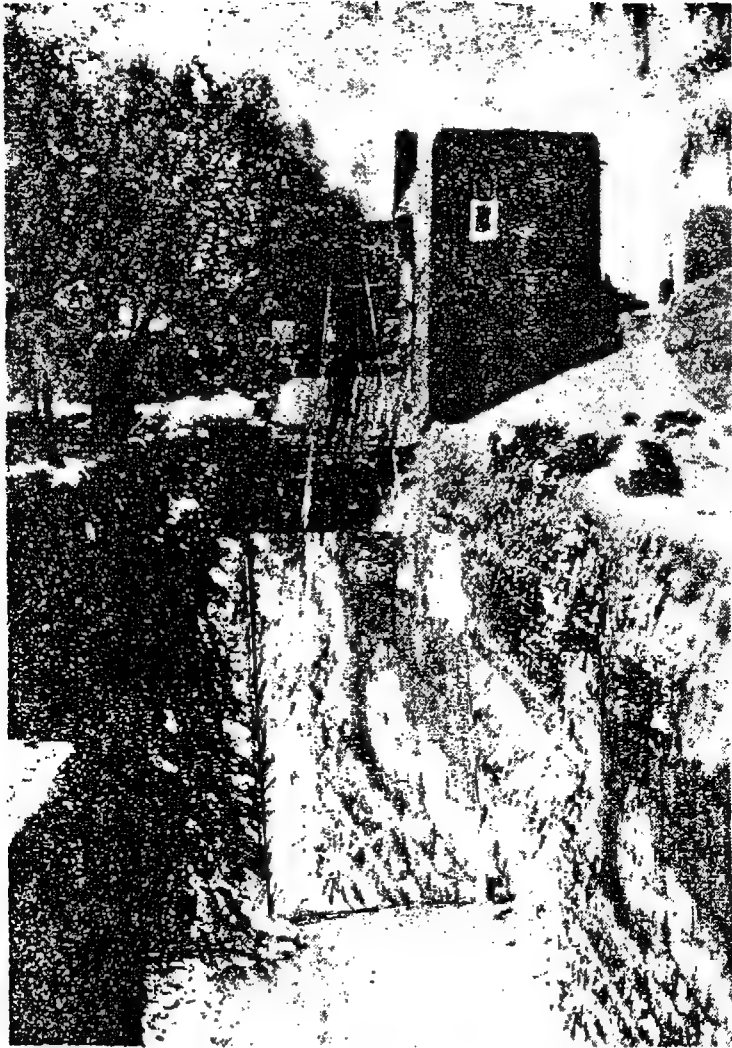
ونجد عهد استيلاء الحبشة الأخير على اليمن عهداً كريماً من ناحيته التاريخية ، اذ دون جملة نصوص ، تحدثت عنها فيما سلف . أما عهد استيلاء الفرس على اليمن الى دخولها في الاسلام ، فلم يترك شيئاً مدوناً ولا أثراً يمكن أن يفيدنا في الكشف عن اليمن في هذا العهد . لم يترك لنا كتابة ماء، لا بالمسند ولا بقلم الساسانيين الرسمي يشرح الأوضاع السياسية أو أي وضع آخر في هذا العهد .

وحالنا في النصوص الكتابية في أول عهد دخول اليمن في الاسلام ، مثل حالنا في استيلاء الفرس عليها ، فنحن فيه معدمون لا نملك ولا نصاً واحداً مدوناً من ذلك العهد . وهو أمر مؤسف كثيراً ، وكيف لا وهو والعهد الذي قبله المتصل به ، من أهم العهود الخطيرة في تأريخ اليمن وجزيرة العرب ، ونص واحد من هذين العهدين ثروة لا تقدر بثمن لمن يريد الوقوف على التطورات التاريخية التي مرت بالعرب قبيل الاسلام وعند ظهوره .

١ المعارف (ص ٦٣٨) ، (ثروت عكاشه) .

٢ المصدر نفسه .

٣ الطبري (١٥٨/٣) .



بشر من آبار صنعاء

من كتاب : Jemen, das Verbotene Land

لؤلفه : Günther Pawelke

هذا ولا بد لي من الإشارة الى أن حكم الفرس لليمن لم يكن حكماً فعلياً واقعياً ، فلم يكن ولاتهم يحكمون اليمن كلها ، وإنما كان حكمهم حكماً اسمياً صورياً ، اقتصر على صنعاء وما والاها ، أما المواضع الأخرى ، فكان حكمها لأبناء الملوك من بقايا الأسر المالكة القديمة والأقبال والأذواء . ذلك أن أهل كل

ناحية ملكوا عليهم رجلاً من حمير ، فكانوا (ملوك الطوائف)^١ فكان علي حمير عند مبعث رسول الله سادات نعتوا أنفسهم بنعوت الملوك، من بينهم (الحارث ابن عبد كلال ، ونعيم بن عبد كلال ، والنعمان قبل ذي رعين وهمدان ومعاقر وزرعة ذو يزن بن مالك بن مرة الرهاوي) . وقد أرسلوا الى الرسول مبعوثاً عنهم يخبره برغبتهم في الدخول في الاسلام ، وصل اليه مقله من أرض الروم ، ثم لقيه بالمدينة وأخبره باسلامهم وبمفارقتهم الشرك ، فكتب اليهم رسول الله كتاباً يشرح فيه ما لهم وما عليهم من واجبات وحقوق^٢ .

همدان وصنعاء ومأرب :

وكانت همدان عند مبعث الرسول ، مستقلة في ادارة شؤونها ، وقد أسلمت كلها في يوم واحد على يد علي بن أبي طالب^٣ .
ولقد صارت (صنعاء) عاصمة لحكام اليمن منذ عهد الحبش حتى هذا اليوم ، أما (مأرب) فقد صارت مدينة ثانوية ، بل دون هذه الدرجة ، وأقل كذلك شأن ظفار ، وسائر المواضع التي كان لها شأن يذكر في عهد استقلال اليمن وفي عهد الوثنية . ويرجع بعض أهل الأخبار بناء صنعاء الى (سام بن نوح) ، وزعموا أنها أول مدينة بنيت باليمن ، وأن قصر (غمدان) كان أحد البيوت السبعة التي بنيت على اسم الكواكب السبعة ، بناه (الضحاك) على اسم الزهرة . وكان الناس يقصدونه الى أيام (عثمان) فهدمه ، فصار موضعه تلاً عظيماً^٤ .

- ١ المعارف (٢٧٨) .
- ٢ (قدوم رسول ملوك حمير على رسول الله بكتابهم) ، الطبري (١٢٠/٣) (دار المعارف) .
- ٣ الطبري (١٣٢/٣) ، (دار المعارف) .
- ٤ صبح الأعشى (٣٩/٥ وما بعدها) ، (وكان الضحاك بناه على اسم الزهرة ، وخبره عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، فهو في وقتنا هذا - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة - خراب قد هدم فصار تلاً عظيماً ، وقد كان الوزير علي بن عيسى الجراح ، حين نفي الى اليمن وصار الى صنعاء ، بنى فيه سقاية وحفر فيه بئراً . ورأيت غمدان ردماً وتلاً عظيماً قد اتهدم بنيانه ، وصار جبل تراب كأنه لم يكن) ، (وقد قيل ان ملوك اليمن كانوا اذا قعدوا في أعلى البنيان بالليل واشتعلت الشموع ، رأى الناس ذلك من مسيرة ثلاثة أيام) ، مروج (٢٢٩/٢) وما بعدها) ، (والبناء القائم مكانه يدعى باسمه ويختصر في صنعاء ، فيقولون: القصر ، وفيه معمل للخرطوش) ، مصطفى مراد الدباغ ، الجزيرة العربية (٢٨٤/١) .

وقد ورد اسم (صنعاء) لأول مرة على ما نعلم في نص يعود عهده الى أيام الملك (الشرح يحضب) (ملك سبأ وذوي ريدان) ، ودعيت فيه بـ (صنعو)^١ . وذكر الأخباريون أنها كانت تعرف بـ (ازال) وبـ (أوال)^٢ . أخذوا ذلك على ما يظهر من (أزال) في التوراة بواسطة أهل الكتاب مثل (كعب الأخبار) ووهب بن منبه^٣ . وذكروا أن قصر غمدان الذي هو بها قصر (سام بن نوح) ، أو قصر (الشرح يحضب) (لشرح يحضب)^٤ . وذكروا أيضاً أنها أول مدينة اختطت باليمن بنتها (عاد)^٥ . ورووا قصصاً عن (غمدان) ، فزعم بعضهم أن بانيه (سليمان) أمر الشياطين ، فبنوا لبلقيس ثلاثة قصور : غمدان وسلحين وبينون . وزعم بعضهم أن بانيه هو : (لشرح يحضب) أراد انخاذ قصر بين صنعاء و (طيوه) ، فانتخب موضع (غمدان)^٦ . وقد وصف (الهمداني) ما تبقى منه في أيامه ، وأشار الى ما كان يرويه أهل الأخبار عنه^٧ .

نجران :

وأما (نجران) ، فقد كانت مستقلة بشؤونها ، يديرها ساداتها وأشرفها ، ولها نظام سياسي وإداري خاص تخضع له ، ولم يكن للفرس عليها سلطان . وكان أهلها من (بني الحارث بن كعب) ، وهم من (مذحج) و (كهلان) ،

١ Glaser 424.

٢ (وكانت تسمى أوال من الاولية بلغتهم) ، مختصر تأريخ اليمن المنقول عن كتاب العبر لابن خلدون ، (ص ١٢٥) ، تحقيق (H. C. Kay) (لندن

١٨٩٢ م ، Ency., IV, P. 144, Glaser, Skimme, II, S. 310, 424.

٣ الاكليل (ص ١٨) .

٤ الاكليل (ص ٤) ، القزويني ، آثار البلاد (٥١) .

٥ مختصر تأريخ اليمن (١٢٥) .

٦ البلدان (٣٠١/٦ وما بعدها) ،

Ency., II, P. 166, Niebuhr, Reisebeschreibung nach Arabien, I, S. 418, 421.

٧ الاكليل (١٢/٨ وما بعدها) .

وكانوا نصارى . ومن أشرفهم (بنو عبد المدان بن الديان) ، أصحاب كعبة نجران^١ وكان فيها أساقفة معتمون ، وهم الذين جاؤوا الى النبي ودعاهم الى المباهلة ، مع وفد مؤلف من ستين أو سبعين رجلاً ركباً ، فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرفهم ، منهم ثلاثة نفر اليهم يؤول أمرهم . العاقب أمير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم والذي لا يصدر عن إلا عن رأيهم ، واسمه عبد المسيح ، والسيد ثمالهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم واسمه الأهم (وهب) ، وأبو حارثة بن علقمة أحد بني بكر بن وائل ، أسقفهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مدراسهم^٢ . ويذكر الأخباريون، أن أبا حارثة كان قد شرف في أهل نجران ودرس الكتب حتى حسن علمه في دينهم ، وصار مرجعهم الأكبر فيه . وكانت له حظوة عند ملك الروم ، حتى أنه كان يرسل له الأموال والفضة ليعينوا له الكنائس، لما كانت له من منزلة في الدين وفي الدنيا عند قومه . وكان له أخ اسمه (كوزين علقمة) . وقد أسلم مع من أسلم من الناس بعد السنة العاشرة من الهجرة^٣ .

ويظهر من الخبر المتقدم أن ملوك الروم كانوا على اتصال بنصاري اليمن ، وانهم كانوا يساعدون أساقفتهم ويمولونهم ، ويرسلون اليهم العطايا والهبات . وقد أمدوهم بالبنائين والفضة وبالمواد اللازمة لبناء الكنائس في نجران وفي غيرها من مواضع اليمن . وقد كان من مصلحة الروم مساعدة النصرانية في اليمن وانتشارها ، لأن في ذلك كسباً عظيماً لهم . فبانتشارها يستطيعون تحقيق ما عجز عنه (أوليوس غالوس) حينما كلفه انبراطور روما اقتحام العربية السعيدة والاستيلاء عليها .

وذكر أهل الأخبار أيضاً ، أن رؤساء نجران كانوا يتوارثون كتباً عندهم ، كلما مات رئيس منهم فأضيفت الرئاسة الى غيره ، انتقلت الكتب اليه . وقد عرفت

-
- ١ الطبري (١٣٢/٣) (دار المعارف) . صبح الأعشى (٣٩/٥ وما بعدها) .
 - ٢ ابن هشام (٢٢٢/٢ وما بعدها) ، ابن الأثير (١٢٢/٢) ، ابن خلدون (٥٧/٢) (الوفود) ، البلدان (٢٥٨/٨ وما بعدها) ، الطبري (١٣٩/٣) ، تاج العروس (٢٨٩/١) ، Raccolta, III, P. 128 .
 - ٣ ابن هشام (٢٢٢/٢ وما بعدها) .

تلك الكتب بـ (الوضائع) . وكانوا يهتمونها ، فكلما تولى رئيس جديد ختم على تلك الكتب فزادت الخواتم السابقة ختماً^١ . وذكر علماء اللغة ان الوضائع هي كتب يكتب فيها الحكمة . وفي الحديث : أنه نبي وان اسمه وصورته في الوضائع^٢ .

ونجران أرض في نجد اليمن خصبة غنية ، وفيها مدينة نجران من المدن اليمنية القديمة المعروفة قبل الميلاد . وقد ذكرها (سترابون) في جغرافيته ، وسمّاها Negrana = Negrani في معرض كلامه على حملة (أوليوس غالوس) على العربية ، كما ذكرها المؤرخ (بلينيوس) في جملة المدن التي أصابها يد التخريب في هذه الحملة^٣ . كما ذكرها (بطلميوس) ، فسمّاها = Negara Metropolis = Nagera Mytropolis^٤ .

وفي ذكر (بطلميوس) لها على أنها (مدينة) دلالة على أنها كانت معروفة أيضاً بعد الميلاد . وأن صيتها بلغ مسامع اليونان .

وبعد النص الموسوم بـ Glaser 418, 419 ، من أقدم النصوص التي ورد فيها اسم مدينة نجران . إذ يرتفع زمنه الى أيام (المكربين) . وقد ذكر كما سبق في أثناء كلامي على دور المكربين ، في مناسبة تسجيل أعمال ذلك (المكرب) وتأريخ حروبه وما قام به من فتوح . وورد ذكرها في النص : (Glaser 1000) ، الذي يرتقي زمنه الى أيام المكرب والملك (كرب ايل وتر) آخر (مكربي) سبأ ، وأول من تلقب بلقب (ملك سبأ)^٥ . فورود اسم (نجران) في النصين المذكورين يدل على أنها كانت من المدن القديمة العامرة قبل الميلاد ، وأنها كانت من المواضع النابذة في أول أيام سبأ .

وورد اسمها في نصوص أخرى . كما ذكرت في جملة المواضع التي دخلها رجال

١ ابن هشام (٢٢٢/٢ وما بعدها) .

٢ اللسان (٣٩٩/٨) ، (و/ض/ع) .

٣ Strabo, XVI, IV, 24, vol., III, P. 212, Pliny, Nat. Histo., II, P. 458, VI, 160.

٤ Ptolemy, VI, 7, 37.

٥ Beiträge, S. 9.

حملة (أوليوس غالوس) على اليمن . وذكرها نص (الهارة) الذي يرتقي زمنه الى سنة (٣٢٨) بعد الميلاد . وقد كانت في أيدي الملك (شمر يهرعش) إذ ذاك على رأي أكثر الباحثين . اذ كان قد وسع رقعة حكومة (سبأ وذي ريدان وحضرموت) وأضاف إليها أرضين جديدة منها أرض (نجران)^١ ، وأشار الى تدمير ذلك الملك لـ (نبطر) ، أي النبط^٢ .

وقد ذهب (ريتر) الى أن *Negara Mytropolis* ، هو الموضع المسمى بـ (القابل) على الضفة الغربية لوادي نجران^٣ . أما (هالفي) ، فذهب الى أنها الخرائب المسماة (الأخدود)^٤ . وذهب (كلاسر) الى أنها الأخدود أو (رجلة) ، أو موضع آخر في (وادي الدواسر)^٥ .

وقد ذكر (الحمداني) ان موضع (هجر نجران) أي مدينة نجران ، هو الأخدود . ومدح خصب أرض نجران . ولم يكن (نجران) اسم مدينة في الأصل كما يتبين من النص *CIH 363* ، بل كان اسم أرض بدليل ورود أسماء مواضع ذكر انها في (نجران) نجران . ويرى بعض الباحثين أن مدينة (رجمت) كانت من المدن الكبرى في هذه الأرض ، ثم تخصص اسم نجران فصار علماً على المدينة التي عرفت بنجران^٦ .

وذهب بعض الباحثين الى أن (رجمت) (رجمة) هي (رعمة) المذكورة في التوراة . وقد تحدثت فيها سلف عن (رعمة) وعن انجار أهلها وتجار (سبا) *Sheba* مع (صور) *Tyrus*^٧ .

١ Beiträge, S. 11.

٢ Beiträge, S. 11.

٣ Paulys-Wissowa, 32ter Halbband, 1574.

٤ Halevy, Rapport sur une Mission Archéologique dans le Yemen, in Journal Asiat., VI, XIX, 1872, 39, 90.

٥ Glaser, Skizze, II.

٦ Beiträge, S. 10.

٧ أخبار الانام ، الاول ، الاصحاح الاول ، الآية ٩ ، التكوين الاصحاح العاشر ، الآية ٧ ، حزقيال ، الاصحاح ٢٧ ، الآية ٢٢ ، Beiträge, S. 11.

ويذكر الأخباريون أن قوماً من (جرهم) نزلوا بنجران ، ثم غلبهم عليها بنو حمر ، وصاروا ولاية للتبابعة ، وكان كل من ملك منهم يلقب (الأفعى) . ومنهم (أفعى نجران) واسمه (القلمس بن عمرو بن همدان بن مالك بن متاب ابن زيد بن وائل بن حمر) ، وكان كاهناً . وهو الذي حكم على حد قولهم بن أولاد نزار . وكان والياً على نجران لبليقيس ، فبعثه الى سليمان ، وآمن ، وبث دين اليهودية في قومه ، وطال عمره ، وزعموا انه ملك البحرين والمثلل . ثم استولى (بنو مذحج) على نجران . ثم (بنو الحارث بن كعب) ، وانتهت رياسة بني الحارث فيها الى بني الديان ، ثم صارت الى بني عبد المدان ، وكان منهم (يزيد) على عهد الرسول^١ .

ويرى بعض أهل الأخبار أن (السيد) والعاقب أسقفي نجران اللذين أرادا مباهلة رسول الله هما من ولد الأفعى بن الحصين بن غنم بن رهم بن الحارث الجرهمي ، الذي حكم بين بني نزار بن معد في ميراثهم ، وكان منزله بنجران^٢ . وقد سميت (نجران) بنجران بن زيد بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان على رأي بعض أهم الأخبار . وقد اشتهرت بالأدم^٣ .

وقد أرسل الرسول خالد بن الوليد الى (بني الحارث بن كعب) بنجران ، وأمره أن يدعوهم الى الإسلام قبل أن يقاتلهم ، فإن استجابوا اليه قبل منهم ، وإن لم يفعلوا قاتلهم . فلما دعاهم الى الاسلام أجابوه ، ورجع خالد مع وفد منهم الى رسول الله ، فأعلنوا إسلامهم أمامه ، ثم رجعوا وقد عين الرسول (عمرو ابن حزم) عاملاً على نجران . فبقي بنجران حتى توفي رسول الله^٤ .

ولما عاد خالد بن الوليد من نجران الى المدينة ، أقبل معه وفد (بلحارث بن

١ (مختصر تاريخ اليمن المنقول من كتاب العبر لابن خلدون (١٣٣ وما بعدها) ، مطبوع مع كتاب تاريخ اليمن لعلمارة اليمنى ، سنة ١٨٩٢ ، بلندن ، بعناية : Henry Cassels Kay. صبح الأعشى (٤٥/٥) .

٢ المحبر (١٣٢) .

٣ صبح الأعشى (٤٠/٥ وما بعدها) ، الاكليل (١٤/١) .

٤ الطبري (٣/١٢٦ وما بعدها) (سرية خالد بن الوليد الى بني الحارث بن كعب واسلامهم) .

كعب) ، فيهم قيس بن الحصين بن يزيد بن قنان ذي الغصة ، ويزيد بن عبد المدان ، ويزيد بن المحجل ، وعبد الله بن قريظ الزياتي ، وشداد بن عبد الله القناني ، وعمرو بن عبد الله الضبابي . فلما رآهم الرسول ، قال : من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند ؟ ثم كلمهم ، وأمر (قيس بن الحصين) عليهم ، ورجعوا ، وكان ذلك قبل وفاة الرسول بأربعة أشهر^١ .

وقد اشتهرت نجران بشاها ، ولما توفي الرسول ، كُفِّن في ثلاثة أثواب نجرانية^٢ .

وقد زار (فلي) وادي نجران ، وعثر على خرائب قديمة ، يرجع عهدها الى ما قبل الإسلام ، كما تعرف على موضع (كعبة نجران) . ووجد صوراً قديمة محفورة في الصخر على مقربة من (أم خرق) ، وكتابات مدونة بالمسند . وعلى موضع يعرف بـ (قصر ابن ثامر) ، وضريح ينسب الى ذلك القديس الشهيد الذي يرد اسمه في قصص الأخباريين عن شهداء نجران . ويرى (فلي) أن مدينة (رجمت) (رجمة) هي (الأخدود) ، وأن الخرائب التي لا تزال تشاهد فيها اليوم تعود الى أيام المعينيين^٣ . ويقع (قصر الأخدود) الأثري بين (القابل) و (رجلة) ، وهو من المواضع الغنية بالآثار^٤ . وقد تبسط (فلي) في وصف موضع الأخدود ، ووضع مخططاً بالمواضع الأثرية التي رآها في ذلك المكان^٥ .

ويتضح من مخطط (فلي) للمدينة (نجران) أنها كانت مدينة كبيرة مفتوحة ، وعندها أبنية محصنة على هيئة مدينة مربعة الشكل ، وذلك للدفاع عنها ، وبها مساكن وملاجئ للاحتباء بها ولتمكين المدافعين من صد هجمات المهاجمين لها^٦ .

١ الطبري (١٢٨/٣) ، سيرة ابن هشام (٣٤٧/٢ وما بعدها) .

٢ اللسان (١٩٥/٥) ، (ن/ج/ر) .

٣ Philby, Arabian Highlands, PP. 221, 238, 252, 257.

٤ فؤاد حمزة ، في بلاد عسير (١٩٠) (القاهرة ١٩٥١ م) .

٥ Philby, Arabian Highlands, P. 237.

٦ Beiträge, S. 11. Beiträge, S. 17.

أثر الحبش في أهل اليمن :

ولا بد أن يكون فتح الحبش لليمن قد ترك أثراً في لهجات أهلها ، ولا سيما بين النصارى منهم ، ممن دخلوا في النصرانية بتأثير الحبش من ساسة واداريين ومبشرين ، فاستعملوا المصطلحات الدينية التي كان يستعملها الأحباش لعدم وجود ما يقابلها عندهم في لهجاتهم لوثنيهم . ولكنني مع ذلك لا أستطيع أن أقول إن تلك المصطلحات كانت كلها حبشية الأصل والأرومة ؛ لأن الكثير منها لم يكن حبشياً في المنشأ والوطن ، وإنما كان دخيلاً مستورداً ، جاءت به النصرانية من لغة بني إرم ، أو من اللغات الأخرى المنتصرة ، فأدخلتها الى الحبشة ، فاستعملها الأحباش وحرّفوا بعضها على وفق لسانهم ، ومنهم انتقلت بالفتح وبالاتصال الى اليمن .

وقد عرض علماء اللغة المسلمون والمستشرقون لعدد من الألفاظ العربية ، ذكروا انها من أصل حبشي ، وهي من الألفاظ التي كانت مستعملة معروفة قبل الاسلام ، وقد ورد بعضها في القرآن الكريم وفي الشعر المنسوب الى الجاهليين . ومثل هذه الألفاظ تستحق أن تكون موضع درس وتمحيص لمعرفة صحة أصلها ونسبها ودرجة أرومتها في الحبشية ، لمعرفة أثر الأحباش في العرب ، وأثر العرب في الأحباش ، لأن بعض ما نسب الى الأحباش من كلم هو من أصل عربي جنوبي ، هاجر من اليمن بطرق متعددة الى افريقية ، واستعمل هناك ، ظن انه حبشي الأصل ، وان العرب أخذوه من الأحباش .

وقد أثر فتح الحبش لليمن على سحن الناس أيضاً . فظهر السواد على ألوانهم عند غلبة الحبشة على بلادهم . وقد تأثروا بأخلاق الحبش كذلك .

الفهرست

٥	٣٤. مملكة النبط
٥٣	مدن النبط
٥٥	الحجر
٥٧	الكورة العربية
٧٢	أهل الكهف والرقيم
٧٦	٣٥. مملكة تدمر
١٠٣	الزباء
١٣١	حصن (زنوية)
١٣٨	عانة
١٤٢	٣٦. الصفويون
١٥٥	٣٧. مملكة الحيرة
١٧٦	ملوك الحيرة
٢٣٩	٣٨. عمرو بن هند
٢٩٣	ذو قار
٣٠٤	قوائم ملوك الحيرة
٣٠٨	ملوك الحيرة بحسب رواية (ابن قتيبة)
٣٠٩	ملوك الحيرة بحسب رواية يعقوبي
٣٠٩	ملوك الحيرة بحسب رواية المسعودي
٣١٠	قائمة حمزة للوك الحيرة
٣١٣	ملوك الحيرة بحسب رواية الخوارزمي

٣١٥	٣٩. مملكة كندة
٣٥٧	كندة تلحق بحضرموت
٣٥٩	امرؤ القيس الشاعر
٣٧٤	السموأل
٣٧٨	كندة في العربية الجنوبية
٣٨٣	فلسطين الثالثة
٣٨٧	٤٠. مملكة الغساسنة
٤٤١	امراء غساسنة
٤٤٣	قوائم ملوك الغساسنة
٤٤٦	قائمة حمزة
٤٤٩	العرب والحيش
٤٧٢	حكم السميفع أشوع
٤٨٠	أبرهة
٥٠٧	حملة أبرهة
٥٢١	طرد الحبشة
٥٣١	همدان وصنعاء ومأرب
٥٣٢	نجران
٥٣٨	أثر الحبش في أهل اليمن